

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد / كلية الآداب

أبو عليّ الفارسيّ في مصنفات ابن جنّيّ

اطروحة تقدم بها

رحيم جمعه عليّ الخزرجيّ

إلى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات درجة دكتوراه فلسفة في اللغة

العربية وآدابها

بإشراف

الدكتور مهدي صالح سلطان الشمريّ

آب ٢٠٠٥ م

رجب ١٤٢٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ
، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ)) الشورى/آية ٢٠

((وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَآخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْعَالِمِينَ)) الروم/آية ٢٢

الاهداء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ وَرَسُولُهُ

الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين)

أهدي جهدي هذا ليكون ذخراً يوم الدين

يوم تُبلى السرائرُ وسنجزي الشاكرين .

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧-١	المقدمة
٤١-٨	التمهيد
٢٥-٨	صورة أبي علي في نتاج ابن جني
١٥-٨	أولاً: أسس العلاقة بينهما
٢٥-١٦	ثانياً: تقويم ابن جني لشيخه
٤١-٢٦	ثالثاً: أصول اللغة والنحو بين الشيخ وتلميذه
٢٨-٢٦	القرآن الكريم وقراءاته
٣٢-٢٩	الحديث النبوي الشريف
٣٤-٣٣	كلام العرب (النثر والشعر)
٣٦-٣٥	السماع
٤٠-٣٧	القياس
٤١-٤٠	الاستحسان
	الفصل الأول
١٣٧-٤٢	المباحث الصوتية
٩٢-٤٢	في الصوامت
٤٦-٤٢	الإدغام
٦٧-٤٧	الإبدال
٥٣-٥١	إبدال الهمزة هاء
٥٥-٥٤	إبدال الهمزة عيناً
٥٦-٥٥	إبدال الباء جيماً
٥٧-٥٦	إبدال الباء ميماً
٥٧	إبدال النون ميماً
٦٠-٥٨	إبدال الحروف المضاعفة ياءً
٦١	إبدال تاء افتعل
٦٣-٦٢	إبدال الفاء ثاءً
٦٤-٦٣	إبدال القاف كافاً

الموضوع	الصفحة
إبدال الظاء ذالاً	٦٤
إبدال الخاء تاءً	٦٥
إبدال اللام نوناً	٦٦
إبدال الطاء تاءً	٦٦
الإبدال بين الضاد والسين	٦٧
إبدال الشين سيناً	٦٧
الإشمام	٦٨-٧٠
التقاء الساكنين	٧٠-٧٣
القلب المكاني	٧٤-٧٨
الحذف	٧٩-٨١
التخفيف	٨٢-٩٢
التخفيف بالتسكين للضرورة الشعرية	٨٤-٨٧
تخفيف الهمزة	٨٨
همزة بينَ بينَ ، تخفيف للهمزة	٨٩-٩٢
تخفيف إننا	٩٢
الصوائت	٩٣-١٣٧
الصوائت الطويلة والقصيرة	٩٣-٩٦
مكان الطويلة من القصيرة	٩٦-٩٨
الابتداء	٩٩-١٠٠
الوقف	١٠١-١٠٣
الإمالة	١٠٤-١٠٧
الإعلال	١٠٨-١٣٥
قلب الواو ألفاً	١٠٩-١١٠
قلب الألف ياء	١١١-١١٢
قلب الياء ألفاً	١١٣-١١٥
قلب الياء واوًا - وقلب الواو ياءً	١١٥-١١٨
قلب الواو والياء ألفاً	١١٩-١٢٣

الصفحة	الموضوع
١٢٤-١٢٦	الاعلال والقلب بين الألف والهمزة
١٢٧-١٢٩	الاعلال والقلب بين الهمزة والواو
١٢٩-١٣٠	قلب همزة (رأى) في (فعلت)
١٣٠-١٣١	قلب الهمزة واواً وابدال الواو نوناً
١٣١-١٣٢	الاعلال بالقلب في (شاك ولاث)
١٣٢-١٣٣	الاعلال بالقلب في (خطايا)
١٣٤-١٣٥	الاعلال بالحذف والقلب
١٣٦-١٣٧	الإشباع
	الفصل الثاني
١٣٨-٢٢٤	المباحث الصرفية
١٣٨-١٥٦	الأبنية المجردة
١٣٨-١٤٦	أبنية الأسماء
١٤٠-١٤١	فعلٌ: وفعلٌ
١٤١-١٤٢	(فعلٌ) ثلاثي (وفعللة) رباعي
١٤٢-١٤٣	فعلٌ
١٤٣-١٤٤	فعللٌ
١٤٤-١٤٥	فعلٌ (هناه) الهاء اللاحقة فيها أصلية أم زائدة
١٤٥	علةٌ و علةٌ: فَعَّةٌ وفَعَّةٌ
١٤٦	فعللٌ: انقحٌ
١٤٦-١٥٦	أبنية الأفعال
١٤٩-١٥٠	علةٌ صحة الواو من الفعل يوطو (يفعل)
١٥٠-١٥١	مسألة في (بعثُ أبيعُ): (فعلتُ أفعُلُ)
١٥٢-١٥٣	مسألة في قلتُهُ أقبِلُهُ: فعلتُهُ أفعَلُهُ
١٥٤	مسألة: وعوتُ
١٥٤-١٥٥	دناً دَنُو: فعلٌ وفعلٌ
١٥٥-١٥٦	فعللٌ: حثتُ
١٥٦	زُكِمَ: فعلٌ

الصفحة	الموضوع
١٥٨-١٥٧	الزيادة
١٩٠-١٥٩	أنواعها:
١٧٦-١٥٩	الزيادة لمعنى
١٧٠-١٥٩	أبنية الاسماء المزيدة
١٦٠-١٥٩	أرونان - أفعالان
١٦١-١٦٠	الطَّلَاءُ: بين فَعْلَاءَ وَفَعَّالٍ
١٦٢-١٦١	رُوءَاءِ، رُوءَاءِ: فُعَّالٍ، فَعَّالٍ
١٦٣-١٦٢	مُرُوءَةٌ: فُعُولَةٌ
١٦٤-١٦٣	حِوَاءِ، حِيَّةٍ: فَعَّالٍ: فَعْلَةٌ
١٦٥-١٦٤	لام طَغَوَى
١٦٥	فِيَّادٍ: فَعَّالٍ
١٦٦	ضَهِيًّا: فَعِيلٍ ضَهِيَاءَ: فَعْلَاءَ
١٦٧	أصل الهمزة في الأءة
١٦٩-١٦٨	أَوْلِقَ: فُوعِلَ لا أَفْعَلَ
١٦٩	قِرَوَائِشِ دِرَوَاسٍ: فِعْوَالٍ
١٧٠	رَهِيًّا: فَعِيلٍ
١٧٠	هَنَّأَ: فَعَّلَ
١٨١-١٧١	أبنية الأفعال المزيدة
١٧٢-١٧١	أَخْطَأَ، خَطَأَ
١٧٣-١٧٢	أَيَّدَ: فَعَّلَ
١٧٤-١٧٣	حكم بناء انفعال وافتعل
١٧٤	التقطت النوى: افتعل
١٧٦-١٧٥	إِفْوَوْلٌ: أَفْعُوْعَلٌ
١٨١-١٧٦	الزيادة لللاحق
١٧٧	اللاحق في أبنية الأسماء الحاق تجفاف بقرطاس
١٨١-١٧٨	الإلحاق في أبنية الأفعال

الصفحة	الموضوع
١٧٨	البناء من (باع) على وزن (فيعل، فوعل، ففعول، فعَل) (فعل)
١٧٨	بناء فَعَلٍّ من ضربَ ضَرَبَبٌ
١٧٩	تَحَيَّرْتُ: تَفَيَّعْتُ
١٧٩	اقعسس: افعلل
١٨٠	شوراز: فوَعَال
١٨١	زيادة البناء
١٨١-١٩٠	زيادة الحرف في ضوء رتبة في الكلمة
١٨٤-١٨١	زيادة الهمزة
١٨٢-١٨١	النندلان فنعلان
١٨٣-١٨٢	زيادتها في الكلمة (مأروط: أوأرطي ، فعلى)
١٨٤-١٨٣	زيادتها في (شمال وشأمل، فعأل وفأعل)
١٨٥-١٨٤	زيادة الألف/ زيادتها في كلمة سخاخين
١٨٨-١٨٥	زيادة الميم
١٨٦-١٨٥	زيادتها في دُمالص وقُمارص وهرماس
١٨٧	زيادتها في مُعلوق، ومعلق
١٨٨	الميم في (معد) أصلية
١٩٠-١٨٨	زيادة النون
١٩٠-١٨٩	زيادة النون في (جُنْدب)
١٩٠	نون دهقان غير زائدة عند أبي عليّ
١٩٧-١٩٠	أبنية المصادر
١٩٣-١٩١	المصادر الثلاثية
١٩٣-١٩٢	لا مصدر للفعل (أيست)
١٩٥-١٩٤	كلمة (حيوان) مصدر له فعل
١٩٦-١٩٥	المصدر على بناء فَعول من اللازم
١٩٧-١٩٦	(وجهة) مصدر أم اسم
٢٠٥-١٩٨	المشتقات
٢٠٠-١٩٨	اسم الفاعل وصيغ المبالغة
١٩٩-١٨٩	التفاوت في الاستعمال اللغوي بين اسم الفاعل وصيغ المبالغة

الصفحة	الموضوع
١٩٩	اسم الفاعل من اللفيف المقرون نحو هوى منهوي
٢٠٢-١٩٩	اسم المفعول
٢٠١-٢٠٠	اسم المفعول (مشوب) يكون (مشتب) (مشتب)
٢٠٢	صيغة مفعول من أفعل
٢٠٤-٢٠٣	الاسم المقصور/دما، مقتى
٢٠٦-٢٠٥	الاسم المنقوص
٢٠٧-٢٠٦	ما يحذف لامه عند إلحاقه بجمع المذكر السالم
٢٠٨	من فعلة فعلات: سكون العين في المفرد وكسرها بالجمع
٢٠٩-٢٠٨	هنة هنت: هنوات وهنات
٢١٦-٢١٠	جموع التكسير
٢١٣-٢١٠	جموع القلة
٢١٠	بناء أفعل: نحو أشد
٢١١-٢١٠	بناء أفعال: أقواء
٢١٢-٢١١	بناء أفعال: باز: أبواز
٢١٢	أعيان جمع عين
٢١٣-٢١٢	بناء جمع قلة ويراد به الكثرة نحو جففات
٢١٦-٢١٣	جمع الكثرة
٢١٣	بناء فعل نحو أفوه فوه
٢١٤	بناء فعالة مؤنث فُعال: نحو نقاوة
٢١٤	فُعال: أموس: جمع أمس
٢١٥	جمع أسد على أسد بوزن فُعال
٢١٥	بناء فاعلة فاعلات وفواعل طالقة طالقات وطوالق
٢١٦	فعال جمع فُعال وفعالان: ملاء جمع مليء وملآن
٢١٦	جمع فعلة فُعال: كنة. كنان
٢٢١-٢١٦	التصغير أو التحقير
٢١٧	لغة التصغير هي لغة التحقير
٢١٨	تصغير دابة دويبة، دوابة

الصفحة	الموضوع
٢١٨	تصغير اسم الجمع دهاده
٢١٩	سفرجل: بين التصغير والتكبير
٢١٩	بين التصغير والجمع في البناء
٢٢٠-٢٢١	الخلافا في حمل التصغير على التكسير
٢٢١	تحقير اسم الجنس الجمعي رجل وركب
٢٢٢-٢٢٤	النسب
٢٢٢-٢٢٣	رد اللام المحذوفة عند النسب يد يدوي
٢٢٣-٢٢٤	بناء تفلّي لا يأتي إلا مع النسب نحو: تحية تحويّ
٢٢٤	الاختلاف في (داوية) عند الحاق ياء النسب
٢٢٥-٢٢٨	الفصل الثالث: المباحث النحوية
٢٢٥-٢٣٧	البناء والاعراب/المبني والمعرب من الأسماء والأفعال
٢٢٥-٢٢٦	تسمية رجل بـ(ضرب)
٢٢٦-٢٢٧	بناء (الآن) و(أمس)
٢٢٧-٢٢٨	الظرف المقطوع عن الإضافة
٢٢٨-٢٢٩	نون المثني في أسماء الإشارة/فتح نون المثني
٢٢٩-٢٣٠	علة الواو في جمع المذكر السالم والألف في المثني
٢٣٠-٢٣٢	الألف والياء في التثنية حرفا إعراب
٢٣٢-٢٣٣	علة الواو في (ذو) و(فو) حرف اعراب
٢٣٣-٢٣٥	التنوين عوضاً عن الياء في (جوارٍ وغواشٍ)
٢٣٥-٢٣٧	هيات بين النكرة والمعرفة والإفراد والجمع
٢٣٧-٢٥٢	النكرة والمعرفة/المعارف
٢٣٧-٢٤٣	أولاً: الضمير
٢٣٨-٢٣٩	اجراء المضمير مجرى المظهر في (اعطيتكمه)
٢٣٩	إيّاك: ضمير نصب منفصل
٢٤٠-٢٤٢	حكاية أبي عليّ في اختلاف النحاة في (إيّاك) وكافها
٢٤٢-٢٤٣	الهاء والكاف الضميران بينان على الكسر عند الإضافة الى الاسم والحرف

الصفحة	الموضوع
٢٤٤-٢٤٣	ثانياً: أسماء الاشارة /معرفة مبنية وتعرب منونة على الشذوذ
٢٤٩-٢٤٤	ثالثاً: الأسماء الموصولة
٢٤٥-٢٤٤	اللاء ليس محذوفاً من اللاني
٢٤٦-٢٤٥	حذف صلة الذي عند تشبيهها بـ(من) و (ما)
٢٤٩-٢٤٦	موازنة بين (ما)المصدرية والفاصلة بين المضاف والمضاف اليه
٢٥٢-٢٤٩	رابعاً: ال التعريف
٢٥٠-٢٤٩	ال التعريف في الخمسة العشر بين الزيادة والتعريف
٢٥١-٢٥٠	تزداد (ال) للضرورة في كلمة (أوبر) و(العمر)
٢٥١	حذف (ال التعريف) من العلم الدال على الصفة
٢٥٢-٢٥١	تعريف كلمة غدوة
٢٦٠-٢٥٢	المبتدأ والخبر
٢٥٤-٢٥٢	أولاً : المبتدأ
٢٥٣-٢٥٢	زيادة الباء في المبتدأ(بحسبك)
٢٥٤-٢٥٣	اعتراض المبتدأ والخبر بين اسم إن وخبرها
٢٦٠-٢٥٤	ثانياً الخبر
٢٥٦-٢٥٤	تعدد الخبر /العائد على المبتدأ من مجموع الخبرين
٢٥٧-٢٥٦	الخبر بالظرف عن الجثة
٢٥٨-٢٥٧	دخول اللام المفتوحة في خبر المبتدأ
٢٥٩-٢٥٨	الاستدلال بتقديم معمول الخبر على جواز تقديم الخبر على المبتدأ
٢٦٠-٢٥٩	دخول اللام المفتوحة على(من) الموصولة(المبتدأ)
٢٦٧-٢٦١	الأفعال الناقصة (كان واخواتها)
٢٦١	التبادل فيما بينها بالدلالة على المعنى
٢٦٢-٢٦١	تعدد خبر كان
٢٦٣-٢٦٢	حذف خبر كان واخواتها
٢٦٣	زيادة اللام في خبر أمسى
٢٦٥-٢٦٤	حذف كان والتعويض منها بـ(ما)
٢٦٦-٢٦٥	جواز تقديم معمول خبر (ليس)عليها

الموضوع	الصفحة
إنَّ وأخواتها	٢٦٧ - ٢٨٠
حذف خبر إنَّ وأنَّ والخلاف بين البصريين والكوفيين	٢٦٧ - ٢٦٨
الاعتراض بالقسم بين اسم إنَّ وخبرها	٢٦٩
اللام المتقدمة غير المزحلقة	٢٦٩ - ٢٧٠
اللام الفارقة	٢٧٠ - ٢٧١
تخريج تركيب الهاء الساكنة الملحقة بـ(إنَّ)	٢٧٢
المضارع بعد (أنَّ) المخففة	٢٧٢ - ٢٧٣
الكاف من (كأنَّ)	٢٧٣ - ٢٧٥
لا النافية للجنس / ثبات نون المثني في اسمها	٢٧٥ - ٢٧٦
مسألة (لا أبا - فاعلم - لك)	٢٧٦ - ٢٧٧
ظنَّ وأخواتها	٢٧٧ - ٢٨٠
فتح همزة (أنَّ) بعد لفظ القول	٢٧٧ - ٢٧٨
التخريج على التعليق (الفعل ذكر معلق)	٢٧٨ - ٢٨٠
وضع الفعل موضع المصدر في محل الفاعل معني	٢٨٠ - ٢٨١
تعدي الفعل ونزومه	٢٨١ - ٢٨٢
الفاعل والمفعول به / تقدم المفعول به على الفاعل	٢٨٢ - ٢٨٣
حذف المفعول به	٢٨٣ - ٢٨٤
المفعول المطلق / حذفه وتقديره ووجه المبالغة فيه	٢٨٤ - ٢٨٥
المفعول فيه (الظرف)	٢٨٦ - ٢٨٨
(بَيَّن) بين المصدرية والظرفية	٢٨٦ - ٢٨٧
(وَسَطَ) (وَسَطَ)	٢٨٧ - ٢٨٨
الحال	٢٨٩ - ٢٩١
واو الحال ومشابهتها لـ(إذ)	٢٨٩ - ٢٩٠
الحال من المضمرة (إياك) في القول (رأيتك إياك قائماً)	٢٩٠ - ٢٩١
الجر بالحرف / حروف الجرّ	٢٩١ - ٢٩٣
الجر بالكاف الزائدة عند عطف النفي	٢٩١
فتح لام الجر	٢٩٢

الموضوع	الصفحة
تقدير (على) بمعنى الظرفية	٢٩٣
الجر بالاضافة	٢٩٤-٢٩٦
إضافة الاسم إلى المسمى والمسمى إلى الاسم	٢٩٤
إضافة الأول للثاني	٢٩٤-٢٩٥
حذف المضاف وإقامة المضاف اليه	٢٩٥-٢٩٦
الجر بالجوار أو حذف حرف الجر	٢٩٦-٢٩٧
المصدر وإعماله	٢٩٧-٣٠٠
إعمال المصدر عمل فعله إذا كان مضافاً	٢٩٧-٢٩٨
دلالة المصدر على فعله	٢٩٨-٢٩٩
لا مساس	٢٩٩-٣٠٠
التعجب	٣٠٠-٣٠٢
التعجب السماعي	٣٠٠-٣٠١
التعجب القياسي/التقدير في (أكرم بزيد)	٣٠١-٣٠٢
الصفة (النعته)	٣٠٢-٣٠٥
نعت النكرات بالجمل	٣٠٢-٣٠٣
النعته جملة استفهامية	٣٠٣-٣٠٤
الفصل بين الموصوف والصفة	٣٠٤-٣٠٥
عطف النسق	٣٠٥-٣٠٩
ما يجوز لـ(واو) العطف ربّما لا يجوز للفاء	٣٠٥-٣٠٦
حذف الواو العاطفة	٣٠٦-٣٠٧
عطف الجملة على المصدر المؤول مع تقدير اللام	٣٠٧-٣٠٨
البدل	٣٠٩-٣١٠
إبدال (إذ) من (اليوم)	٣١٠-٣١٣
أسماء الأفعال	٣١٠-٣١١
هيات : اسم فعل أو ظرف	٣١١-٣١٢
تركيب (هلم)	٣١١-٣١٢
عمل اسم الفعل وموضعه من الاعراب	٣١٢-٣١٣
الممنوع من الصرف	٣١٣-٣١٩

الصفحة	الموضوع
٣١٤-٣١٣	أسماء السور القرآنية /سورة (ص)
٣١٥	صرف (أفعى)
٣١٦-٣١٥	منع (زوبر) من الصرف
٣١٧-٣١٦	منع (أبعد) من الصرف
٣١٧	منع فجار المعدولة من الصرف
٣١٩-٣١٨	منع فَعْل (زُفِر) من الصرف
٣١٩	القسم الباء في أحرف القسم
٣٢٤-٣٢٠	الفعل وأزمنته وإعرابه
٣٢١-٣٢٠	ماضي اللفظ مستقبل المعنى
٣٢٢-٣٢١	استعمال (لن) مكان (ما) للحاضر
٣٢٢	جزم الفعل / إبقاء الألف أو حذفها في الشعر
٣٢٤-٣٢٣	حذف لام الأمر وتقديرها في ضرورة الشعر
٣٢٨-٣٢٤	الشرط
٣٢٤	(إذا) بين البصريين والكوفيين
٣٢٥	حذف اللام من جواب لو، ولولا
٣٢٦-٣٢٥	موقع الفاء في جواب (أمّا)
٣٢٧-٣٢٦	حذف (إمّا) إذا كررت بدلالة المذكورة
٣٢٨-٣٢٧	الحكاية / الإعراب على الحكاية
٣٩٩-٣٢٩	الفصل الرابع: المباحث اللغوية
٣٣٥-٣٢٩	أصل اللغة ونشأتها
٣٤٤-٣٣٦	اللهجات واللغات
٣٣٨-٣٣٧	اسم المفعول من (خاط) و(باع) و(كال) في لهجة تميم وأسد والحجاز
٣٣٩-٣٣٨	حذف تنوين النصب عند الوقف في لغة ربيعة
٣٤١-٣٣٩	أدب لغة في يده
٣٤٢-٣٤١	لغات أف
٣٤٤-٣٤٣	التداخل بين اللهجات

الصفحة	الموضوع
٣٤٤ - ٣٤٧	الاشتقاق وأنواعه
٣٤٧ - ٣٥١	الأضداد
٣٥٢ - ٣٥٥	المعرب والدخيل
٣٥٦ - ٣٥٧	التصحيف والتحريف في ألفاظ اللغة
٣٥٨ - ٣٦٢	التّرادف
٣٦٣ - ٣٩٥	ما جاء من مادة المعجم اللغوي العربي فيما يرويه ابن جنّي عن الفارسي
٣٦٣ - ٣٦٤	الإجْرِد ، الأُسْوَار ، استكانو
٣٦٤ - ٣٦٥	أمر الشيء إمراً
٣٦٦	الإِنَاء ، أولق
367	بكرت ، ثأج
٣٦٨	ثبج ، جرر
٣٦٨ - ٣٧٠	جزيت في الخير وجزيته في الشر
٣٧٠ - ٣٧١	حبط ، إحنطاء ، حلت ، تحلىء
٣٧١ - ٣٧٢	حمصية ، أخفيها
٣٧٢ - ٣٧٣	الدمكمك ، الرأرة
٣٧٣	رهياً ، الرواء
٣٧٤ - ٣٧٥	ازعمي ، زعم ، الساهر
٣٧٥	لم يتسنه
٣٧٦ - ٣٧٧	شأني ، شأوت ، الشجب
٣٧٧	الشدُّ والشدَّة
٣٧٨	الصلاة ، الصوب
٣٧٩ - ٣٨٠	الصيصية ، عزوت
٣٨٠	العنس ، عوان
٣٨١	العوى ، غدن - اغدودن
٣٨٢	الغزالة ، فدم
٣٨٣	فرج ، أفرج ، فيل ، فايل

الصفحة	الموضوع
٣٨٥-٣٨٤	قباء ، القصر
٣٨٦-٣٨٥	قَضِضٌ
٣٨٧-٣٨٦	القَهْقَرُ
٣٨٨-٣٨٧	القَوَد ، الكروان
٣٨٨	اللزاق
٣٨٩	المئلاة
٣٩٠	مدينة، منى
٣٩١	مَنْجُون
٣٩٢	ناء، نَسَّ
٣٩٤-٣٩٣	النِّي ، الهلوك، هوم
٣٩٤	الوادي ، الوديّ
٣٩٥-٣٩٤	الواحد الأحد
٣٩٩-٣٩٦	الدلالة اللغوية
٣٩٧-٣٩٦	ساكب بمعنى مسكوب
٣٩٧	جذب يجذب بمعنى جاذب يجاذب
٣٩٨-٣٩٧	كابر اسم جمع جاء على بناء اسم الفاعل
٣٩٩-٣٩٨	تشبيه المصدر باسم الفاعل
٤٠٣-٤٠٠	الخاتمة
٤١٦-٤٠٤	المصادر
٤١٨-٤١٧	خلاصة باللغة الانكليزية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم :
(وعلم آدم الأسماء كلها)

اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد صلاة دائمة إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإنَّ اللغةَ أثرٌ من آثار الخالق سبحانه وتعالى ، لأنَّها منحة طيبة ونافلة حسنة أهداها الله لمن فضله على خلقه ومن ملكه الأرض وجعله خليفته فيها . فمن الثواب ليوم الجزاء أن تفهم هذه المنحة ويُتعرَّف طريقة نطقها وأشكال تصرفها واستخدام ألفاظها في سياق جملها ، واستعمالاتها اليومية عندما يحتاجها الإنسان ليعبر عن حاجاته ، لأنَّ اللغةَ ألفاظ يعبر بها كلُّ قوم عن حاجاتهم كما يقول ابن جنِّي .

من أجل هذا صبرت على دراسة هذه المنحة الإلهية في ضوء أفكار وآراء واطروحات عالمٍ نحريِّ من علمائها ، ألا هو الشيخ الجليل أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان المولود سنة (٢٨٨ هـ) والمتوفى سنة (٣٧٧ هـ) (رحمه الله) الذي بذل وقته وجنَّد فكره لخدمتها فدرس وكتب وشرح وألف المصنفات الكثيرة وتلمذ على شيوخ وعلماء ، بالمباشرة والرواية ثم تتلمذ على يديه تلامذة أوفياء أصبحوا بعد ذلك شيوخاً من بعده وسجلوا آثاره اللغوية وأفكاره العلمية في مصنفات ملأت أركان العلم ودوت في مسامع الدهر ، نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر ، التلميذ الوفي لاستاذه الشيخ الجليل والعالم اللغوي الإمام أبو الفتح عثمان بن جنِّي النحوي المتوفى سنة (٣٩٢ هـ) ، الذي سجل علم شيخه أبي علي في أغلب كتبه نحو الخصائص وسر صناعة الاعراب والمنصف والتمام والتنبيه وشرح أرجوزة أبي نواس والمحتسب وغيرها ، واستشهد بها واعتمد عليها في اطروحاته واستنتاجاته وشروحه العلمية ، فيعدُّ التلميذ البار الذي حفظ علم استاذه ، فيالها من وديعة فذة ملأت أركان العلم وصفحات الكتب وشغلت بها المكاتب والمناسخ ، والكتبة والنساخون ، فهذا ديدن العلماء الأوفياء في حفظ تراث شيوخهم العلمي ومن ثمَّ حفظ تراث أمتهم ، فيُعدُّ أبو الفتح سيبويه عصره عندما حفظ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) علم شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) (رحمه الله) في كتابه (الكتاب) ، كذلك حفظ أبو الفتح علم شيخه أبي علي الفارسي في مصنفاته الكثيرة .

وأنا إذ أتعرض لعلم هذا الشيخ في كتب ابن جنّي ومصنفاته ، أعمل على تأصيلها بعد نقلها وتدوينها في ضوء أفكار واطروحات شيوخه وعلماء اللغة الذين سبقوه في مضمار البحث والدراية حتى يتسنى لي معرفة علمه وممن استقاه ومصادره التي اعتمد عليها ، فضلاً عن معرفة جهوده العلمية ومدى تأثره بشيوخه وفي الاتفاق معهم أو مخالفتهم ، وكذلك معرفة اطروحاته ، استقاهما من بنات أفكاره أم اعتمد بها على غيره؟ ومن هذا وذاك سجلت أغلب ما نقله ابن جنّي في مصنفاته عن شيخه رواية ومشافهة ، ثم رجعت إلى المصادر والمؤلفات التي سبقته وزاوجت بين هذا وذاك حتى اتعرف ممّن أخذ ، وكيف عرض ، وكيف زاوج بين الأفكار في الاختلاف والاتفاق .

وفي ضوء هذا فإنني عندما أعرض ما قاله أبو علي أذهب لما قاله الخليل وسيبويه الفراء وثلعب والمبرد والزجاج وابن السكيت وابن السراج وغيرهم من اللغويين والنحاة لكي أناقش إطروحاته في ضوء إطروحاتهم حتى تتأصل أفكاره وعلومه وتمحص في ضوء البحث والمناقشة وأعطي الرجل ماله وما عليه وما حصل وما استنتج من تلك الأفكار ، وأنا في هذا أجعل من العالم عالماً ومتعلماً شيخاً وتلميذاً في الأخذ والردّ وفي الموافقة والمخالفة ، فهو في هذا وذاك يستعين بأفكار شيوخه وما عرضه من اطروحات لغوية فسار عليها وربما نقلها لتلاميذه بعد أن حلّلها وشرحها ، ثم أضاف إليها من أفكاره ، وهذا ديدن التراث العلمي كلاً ما مرّ بجيل أضاف إليه من أفكاره واطروحاته الى يومنا هذا ، فضلاً عن مناقشة آراء تلميذه ابن جنّي فيما عرضه شيخه حتى تعم الفائدة ويكتمل الغرض .

وفي معرض جمع علم الشيخ ومناقشته وتأصيله يطيب لي أن أعرض خطتي في دراسة بحثي هذا في ضوء مصنفات ابن جنّي ، فقد قسمت البحث على تمهيد وأربعة فصول .
ففي التمهيد تحدثت عن العلاقة العلمية وغيرها بين الشيخ وتلميذه وما قاله عنه ذلك التلميذ من خصال علمية ، فضلاً عن رأيه الشخصي فيه .

وفي الفصل الأول تناولت المباحث الصوتية عند أبي علي وآرائه من ادغام واعلال واقلاب وحذف وابتداء ووقف وتسكين وامالة واشباع .

وأما الفصل الثاني فقد شمل المباحث الصرفية في ضوء آراء الشيخ وتلميذه ، من أبنية الأسماء والأفعال المجردة والمزيدة ، والزيادة وأنواعها وأبنيتها وزيادة الحروف ، والمشتقات والمصادر والتصغير والنسب والجموع .

وأما الفصل الثالث فكان يحتوي على دراسة المباحث النحوية ومعالجتها في ضوء آراء الشيخ وتلميذه وتأصيلها ، نحو : المبتدأ والخبر والنواسخ والفعل والفاعل والمفاعيل والحال والاستثناء ، والتوابع ، واعراب الأفعال وبنائها ولا سيما المضارع ، ثم الظروف وغيرها .

وأما الفصل الرابع ففي دراسة المباحث اللغوية ومقابلة السابق باللاحق عند الشيخ أبي علي وشيوخه وتلاميذه ، في دراسة أصل اللغة ونشأتها والمباحث اللغوية الأخر نحو : الاشتقاق والتضاد والترادف والتصنيف ، ودراسة المعرب في العربية ، ثم دراسة ما رواه ابن جني عن شيخه في المعجم العربي ، ثم دراسة الدلالة اللغوية لبعض المشتقات نحو اسم الفاعل والمفعول .

وأخيراً يطيب لي أن أقدم شكري وتحياتي الخالصة إلى شيوخي الذين مدوا لي يد العون والمساعدة في دراستي هذه ، التحضيرية واختيار الموضوع وكتابته ، واخص بالذكر الدكتور طه محسن الذي اختار الموضوع والدكتورة خديجة الحديثي التي ساعدتني على ذلك ، والدكتور مهدي صالح الشمري الاستاذ المشرف ، الذي تابع البحث بفصوله خطوة خطوة وقومه في أحسن تقويم ، ولا أنسى استاذي المشرف الأول المرحوم الدكتور عبد الجبار علوان النايلة ، تغمده الله بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته انه سميع مجيب ، كما اقدم شكري للدكتور نهاد حسوبي صالح الذي اعارني كتبه وشجعني على كتابة البحث ، والدكتور عبد العزيز داخل عبد الكريم من كلية التربية الاساسية الجامعة المستنصرية الذي أسدى لي العون والنصيحة العلمية وأشكر أيضاً اساتذة قسم اللغة العربية ، ولا سيما الدكتور محمد حسين ال ياسين والدكتور محمد ضاري حمادي والدكتورة خولة الهلالي والدكتور محمود عبد الله الجادر ، كما اشكر كل العاملين في قسم اللغة العربية وارجو لهم الموفقية

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رحيم الخزرجي

المؤلفات التي تناولت دراسة أبي علي الفارسي قبل بحثي هذا

أولاً: ((أبو علي الفارسي، حياته ومكانته بين أئمة العربية، وآثاره في القراءات والنحو))

تأليف الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي

مكتبة نهضة مصر ومطبعتها /الفيحة/مصر/١٣٧٧ هـ

هذا الكتاب رسالة دكتوراه ، نوقشت بكلية دار العلوم /جامعة القاهرة يوم الأربعاء ٨

جمادي الآخرة ١٣٧٦ هـ - ٩ يناير ١٩٥٧ م.

يشمل هذا الكتاب تقديمًا للرسالة وسبعة أبواب ، والأبواب قسمت على فصول . ففي المقدمة تحدث المؤلف عن نشأة القراءات وتطورها وأثرها في البحث النحوي ثم تحدث عن الفقه وعلم الكلام وأثرهما في القراءات والنحو .

وفي الباب الأول تناول المؤلف عصر أبي علي وحياته وآثاره ، وقسم على ثلاثة فصول ، ففي الأول تعرض المؤلف إلى الحالة السياسية والعقلية والاقتصادية والخلقية في عصر أبي علي ، وفي الفصل الثاني درس نفسيته وعيشته وفي الثالث آثاره العلمية .

أما الباب الثاني فقد تحدث المؤلف فيه عن احتجاج أبي علي للقراءات ويتكون من فصلين ، الأول يشمل الاحتجاج في القراءات حتى عصر أبي علي فكان الحديث عن سببويه واحتجاجه للقراءات وكذلك الطبري واحتجاجه وابن مجاهد واحتجاجه ، أما الفصل الثاني ، فكان يشمل عرضاً لكتاب الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي .

وفي الباب الثالث عقد المؤلف موازنة بين الفراء والزجاج وابن السراج وابن خالويه من جهة وبين أبي علي الفارسي من جهة أخرى في ضوء الاحتجاج بالقراءات القرآنية .

في حين أن الباب الرابع بين فيه المؤلف أثر أبي علي عند ابن جني في المحتسب وعند مكي بن أبي طالب في الكشف وعند أبي عمرو الداني في الموضح ، وهذا الأثر يخص القراءات القرآنية أيضاً .

وفي الباب الخامس فقد درس المؤلف أثر أبي علي في النحو والصرف في ضوء مؤلفاته ، وكان الباب يتألف من فصلين ، في الأول تناول الباحث مقدمة تاريخية عن نشأة النحو من أبي الأسود الدؤلي إلى أبي علي الفارسي ، وفي الثاني عرض كتب مؤلفات أبي علي في النحو والصرف مثل البغداديات والعسكريات والبصريات والحلبيات والشيرازيات والإيضاح والتكملة والإغفال وكتاب الشعر وأقسام الأخبار .

وفي الباب السادس وازن المؤلف بين أبي علي والنحاة الأعلام من معاصريه مثل الزجاجي والسيرافي والرماني ، وكان الباب يتكون من ثلاثة فصول ، الأول يخص الموازنة مع السيرافي والثاني مع الرماني والثالث مع الزجاجي .

أما الباب السابع فقد تحدث المؤلف فيه عن أثر أبي علي في أصول النحو في ضوء خصائص ابن جني وكان في الفصل الأول ، أما في الثاني فقد تحدث عن أثره في الفرع في ضوء أمالي ابن الشجري ، والثالث اختص في الاحتجاج لمسائل الخلاف في إنصاف أبي البركات الأنباري ، وفي الرابع أثره في إعراب القرآن في ضوء إعراب أبي البقاء العكبري . ثم ختم بتلخيص واف للبحث ، وعن الجديد الذي فيه ، واخيراً المقترحات . يبدو أن المؤلف (شلمبي) أكد دراسة القراءات القرآنية تاريخياً وأثر أبي علي في تلك القراءات في ضوء (حجته) ومدى تأثيرها بالدراسات التي سبقتها ومدى أثرها بالدراسات التي جاءت من بعدها فكان البحث اختص بالقراءات ، لأن الكتاب في أكثر أبوابه اشتمل على موضوع القراءات ولا سيما الأبواب الأربعة الأولى ، أما الدراسة النحوية والصرفية فكانت في الأبواب الثلاثة الأخيرة واختصت بدراسة مؤلفاته في هذا المضمار وأصول النحو وفروعه وأثره فيمن جاؤوا من بعده مثل ابن جني وابن الشجري والأنباري والعكبري ، وموازنة بين أبي علي ومعاصريه من النحاة، ولهذا استطيع أن أقول: إن الدراسة انصببت على القراءات اكثر مما انصببت على الدراسة اللغوية والنحوية ، فضلاً عن أنها دراسة تطبيقية لآراء أبي علي اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية .

ثانياً : أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية

تأليف الدكتور علي جابر المنصوري /الطبعة الأولى/بغداد /١٩٨٧م

قسم المؤلف كتابه على بابين ، كلّ باب يحتوي فصلين ، والفصل يشمل موضوعات كثيرة.

في الباب الأول كان جهد المؤلف منصباً على الدراسة اللغوية فقط.

وقد قسم الباب على فصلين.

فقد درس في الفصل الأول اللغة ونشأتها وآراء أبي علي فيها ووسائله في دراستها والنتائج التي توصل إليها ، ثم عقد موازنة بين آراء أبي علي والمعجمات العربية القديمة ونقده لها نحو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وجمهرة ابن دريد وأثره في المعجمات المتأخرة كالمخصص والمحكم لابن سيده ولسان العرب لابن منظور. ثم تحدث عن اللغة بين القدماء والمحدثين ورأي أبي علي فيها . ثم تحدث عن الكلمة العجمية أو عجمة الكلمة ، أي أنه تحدث عن المعرب اللغوي .

وفي الفصل الثاني تناول المؤلف دراسة الموضوعات اللغوية الصرف نحو المشترك اللفظي والترادف والتضاد والاشتقاق وأنواعه والتركيب والنحت والدلالة البلاغية .

أمّا الباب الثاني فقد درس فيه المؤلف جهود أبي علي في الدراسات الصوتية فقط ، وقسمه على فصلين.

اختص الفصل الأول في أصوات الحروف ، وتقارب مخارجها ، وصفاتها ودراسة أصول الأصوات ، والمطل فيها ، والقلب والبدل ، ولا سيما في الأصوات الساكنة واصوات المد ، ثم زيادة الأصوات ، وحذفها ، وتخفيفها .

أمّا الفصل الثاني فقد تناول الباحث فيه الإدغام وأنواعه والإمالة نحو: إمالة الألف وحروف الاستعلاء وأحكام إمالة الراء ، ثم عقد موازنة بين الحروف والحركات وأصولها ، بعد ذلك درس المؤلف أنواع الحركات ونشوءها ومواقعها ومطلها والتداخل فيما بينها .

كانت دراسة المنصوري محصورةً في جهود أبي علي اللغوية والصوتية فقط ولم يتعرض لجهوده النحوية ولا الصرفية ، إذ عدّ المؤلف هذه الدراسة فريدة متميزة لم يسبق إليها ، فقال : ((نود أن نشير إلى أننا عقدنا له في هذا الكتاب دراسةً فريدةً متميزةً ، لم يسبق إليها من قبل ولم نتناولها من قبل في الدراسات التي كتبناها عنه ، فهي دراسة تنصب على الجانب (اللغوي والصوتي) الذي اغفلته الدراسات التي ظهرت قبل هذا البحث وبضمنها دراساتي السابقة من أجل ذلك رأيت أن أدرسه دراسةً جديدةً بعالم مثله تهدف إلى إبراز جهوده في (الميادين اللغوية والصوتية)) (أبو علي النحوي/٤)

ثالثاً: ((أبو علي النحوي صرفياً))

رسالة دكتوراه/مكتوبة على الحاسوب/من كلية تربية ابن رشد/جامعة بغداد، قدمتها بتول عباس نسيم الوائلي/باشرف الدكتور هاشم طه شلاش/٢٠٠١م.

تتكون الرسالة من تمهيد وأربعة فصول وكل فصل ينقسم على مباحث. في التمهيد تناولت الباحثة دراسة الصرف تاريخياً ونشأة وما اغفله الباحثون عن حياة أبي علي بشكل موجز. وفي الفصل الأول تحدثت الباحثة عن مصادر أبي علي الصرفية وطرق عرضه للمادة الصرفية ، وقسمت هذا الفصل على مبحثين ، الأول ، تناول المصادر الصرفية والثاني عرض المادة .

أما الفصل الثاني فكان يشمل أدلة الصناعة ، فقد تناولت الباحثة فيه مباحث السماع والقياس والتعليل عند أبي علي.

في حين اشتمل الفصل الثالث على الموضوعات الصرفية عند أبي علي وقسمته الباحثة على ثلاثة مباحث ، الأول : الميزان الصرفي ، والثاني : تصريف الأسماء ، والثالث : تصريف الأفعال.

أما الفصل الرابع فقد درست الباحثة فيه شخصية أبي علي العلمية، وقسمته على ثلاثة مباحث ، الأول : مذهبه الصرفي ، والثاني : تأثيره وتأثيره ، أي شيوحه وتلاميذه ، والثالث : ماله وما عليه ، أي محاسنه والمآخذ عليه والتي جاءت من معاصرة وتلاميذه والعلماء الذين أتوا من بعدهم والمحدثين أيضاً .

يبدو أن هذه الدراسة منسوبة على جهود أبي علي الصرفية في رأي الباحثة على الرغم من أنها تناولت جوانب آخر كأظهار الشخصية في التأثير والمآخذ عليه ، ولكنها دراسة في أغلب جوانبها صرفية بدليل قول الباحثة : ((كان هذا البحث محاولة متواضعة من الباحثة لتقديم صورة واضحة عن علم من أعلام العربية وعن جهوده في درس الصرفي واطهار شخصيته العلمية)) أبو علي النحوي صرفياً/٢

التمهيد

صورة أبي علي في نتاج ابن جني

أولاً: أسس العلاقة بينهما :

لابدَّ من أن أشير إلى جذور العلاقة بين الشيخ أبي علي - رحمه الله - وتلميذه ابن جني، وهي كما ذكر أبو البركات الاتباري علاقة علمية سببها مسألة صرفية هي (قلب الواو ألفاً) إذ قال أبو البركات : ((أخذ عن أبي علي الفارسي ، وصحبه أربعين سنة . وكان سبب صحبته إياه ، أن أبا علي الفارسي كان قد سافر إلى الموصل ، فدخل إلى الجامع فوجد أبا الفتح عثمان بن جني يُقري النحو وهو شاب ، وكان بين يديه متعلّم وهو يكلمه في قلب الواو ألفاً ، قام وقال ، فأعترض عليه أبو علي فوجده مقصراً ، فقال له أبو علي : ((زببتَ قبل أن تحصرم)) ، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جني ، وسأل عنه فقبيل له : هو أبو علي الفارسي النحوي ، فأخذ في طلبه، فوجده ينزل إلى السمرية يقصد بغداد ، فنزل معه في الحال ، ولزمه وصاحبه من حينئذ إلى أن مات أبو علي وخلفه ابن جني ، ودرس النحو ببغداد وأخذ عنه ، وكان تبحر ابن جني في علم التصريف ؛ لأنَّ السبب في صحبته أبا علي ، وتغربه عن وطنه، ومفارقة أهله مسألة تصريفية فحمله ذلك على التبحر والتدقيق فيه)) (١) يظهر من قول أبي البركات أن ابن جني لم يعرف أبا علي قبل لقائه في جامع الموصل ، لكن ابن خلكان يذكر أنه يعرفه سابقاً وتلمذ على يديه ثم ذهب إلى الموصل وقعد للإقراء ، إذ يقول : ((قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للإقراء بالموصل فاجتاز بها شيخه أبو علي فرآه في حلقة والناس حوله يشتغلون عليه فقال له : ((زببت وأنت حصرم)) فترك حلقة وتبعه ولازمه حتى تمهر.)) (٢) (ونبع بسبب صحبته إياه وبلغ من أمره ما بلغ ، وكان خطأه أمام أستاذه في مسألة قلب الواو ألفاً كان سبباً في عنايته بها وإكثاره من القول فيها) . (٣)

أقول : إنه التقى شيخه في سن مبكرة من حياته وتلمذ على يده استناداً إلى قول ابن خلكان ، فضلاً عن بقية المؤرخين الذين ذكروا انه عرف شيخه عند اجتيازه بالموصل . أما كيف أصبح ابن جني مستودع علم شيخه وموطن ثقته . فلقد توثقت الصلة بين الشيخ وتلميذه بأوثق الأسباب وامتن العرى ، فالتلميذ يتقبل رأي شيخه وينتفع به ويطري على علمه ويرجع فضل علمه إلى فضل شيخه

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء/ ٢٢٩

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان / ١١٧/٢ وينظر ابن جني النحوي/ ٣٥

(٣) مقدمة محقق كتاب الخصائص/ ١٧ وينظر الخصائص/ ١٤٥-١٥٣

ويفتخر بالانتساب إليه في أسباب علمه ، ويوثق آراءه في كتبه منسوبةً إلى أستاذه حصيلة ملازمة طويلة. بل ((لم يجد خيراً من ملازمة هذا الإمام الفذ متنقلاً معه في رحلاته شغوفاً بآرائه مبهوراً بفطنته ودقة أقيسته وتعليلاته ، ومن يقرأه في كتبه المطبوعة ولاسيما الخصائص يحس أن مادة علمه مستمدةً من أستاذه وكأنه كان قلماً في يده يسجل كل خواطره ولفطاته النحوية والصرفية ، وهي لفتاتٌ وخواطر اندفع ينميها ويضيف إليها من عقله الخصب النادر ما جعله يتقن ظواهر التصريف والنحو علماً وفقهاً وتأويلاً وتحليلاً ، بل ما جعله يرث إمامة أستاذه)). (١)

ولهذا دامت العلاقة عدة سنين ، فأقاما معاً في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب زمناً وفي بلاط عضد الدولة البويهية في شيراز زمناً آخر وهذه الصحبة الطويلة تدل على أن كلا منهما محتاج لآخر في شؤونه العلمية فضلاً عن الشؤون الحسية والمعنوية، فقيل: ((إن ابن جني كان في حاجة إلى العيش اللين الذي كان أبو علي يتمتع به في رحاب الملوك والأمراء وفي حاجة إلى علم شيخه الغزير وعلو قدره، وأبو علي في حاجة إلى خدمة تلميذه لتذليل متاعب الحياة وتوفير وقته الثمين في الدرس والبحث ، وإلى الاستئناس برأي ابن جني في ما يعرض له من عويص المسائل فقد كان ابن جني عنده كمخبر يمتحن به تجاربه)). (٢)

قال ابن جني : ((دخلت يوماً على أبي علي - رحمه الله - خالياً في آخر النهار ، فحين رأيته قال لي : أين أنت ؟ أنا أطلبك . قلت : وما ذلك ؟ قال : ما تقول فيما جاء عنهم من حوريت ؟ فحسنا معاً فيه ، فلم نحل بطائل منه ، فقال ، هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار ، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلتهم)). (٣)

فضلاً عن هذا كان يعدّه من العلماء الذين نظروا في اللغة الفارسية ولم يسووها بالعربية بقوله : ((إن العجم العلماء بلغة العرب وان لم يكونوا علماء بلغة العجم فإن قواهم في العربية تؤيد معرفتهم بالعجمية ، وتؤنسهم بها ، وتزيد في تنبيههم على أحوالها ؛ لاشتراك العلوم اللغوية واشتباكها وتراميتها إلى الغاية الجامعة لمعانيها . ولم نر أحداً من أشياخنا فيها - كأبي حاتم ، وبندار ، وأبي علي ، وفلان وفلان - يسوون بينهما ولا يُقربون بين حالتهما)). (٤)

إن أبا علي وابن جني كانا معتزليين كما ذكر السيوطي (٥) وأنهما سواء في الأخلاق والآراء فلم يذكر في علاقتهما شيءٌ عكراً صفاء العشرة بينهما ؛ لأن هذه العلاقة تسمو فوق المنافع الشخصية فضلاً عن تواضعهما تواضع العلماء وأسلوبهما الحوار العلمي الذي يجعل المتحاورين لا يمل أحدهما

(١) المدارس النحوية / شوقي ضيف / ٢٦٥ - ٢٦٦

(٢) مقدمة محققى سر صناعة الإعراب / ٣٣/١

(٣) الخصائص / ٣٨٧/١ - ٢٠٧/٣

(٤) المصدر نفسه / ٢٤٣/١

(٥) ينظر المزهر للسيوطي / ١٠/١

الآخر فكلاهما يريد أن ينهل من علم صاحبه ، فالعلاقة أساسها الاحترام المتبادل وحب غيرهم واعتزاز الشيخ بتلميذه ، فكلاهما يجلُّ صاحبه إجلالاً عظيماً . (١)

فابن جني كان يثني على أبي علي في موضوعات كثيرة من كتبه ، فنراه يصفه بالعلم والنباهة عند ارتضائه قصيدة أبي الطيب المتنبي الميمية ، بقوله : ((لأنَّ أبا علي مع جلالة قدره في العلم ونباهة محله واقتدائه بسنة أهل الفضل من قبله لم يكن ليطلق هذا القول عليه إلا وهو مستحق له عنده)) (٢)

ويعده الشيخ الفاضل والأستاذ المبجل بقوله : ((فهذه أحكام تصريف هذه اللفظة ، ولست أعرف أحداً من أصحابنا خاض فيها إلى ههنا ، ولا قارب هذا الموضوع أيضاً ، بل رأيت أبا علي وقد نشمَّ فيها شيئاً من القول يسيراً لم يستوفِ الحال فيه ، ولا طار بهذه الجهة ، وإن كان بحمد الله . والاعتراف له - الشيخ الفاضل والأستاذ المبجل . ولو لم يتضمن هذا الكتاب من الكلام على الدقيق أكثر من هذه المسألة لكانت - بحمد الله - جمالاً له ، ومحسنةً حاله .)) (٣)

وأما أبو علي فكان حبه واعتزازه لابن جني واضحاً (من استجداته كتبه كلها ومن حرصه على مصاحبته له في قصور الملوك والأمراء في الحل والترحال نحو أربعين سنة ولم يفترقا بعدها إلا بالموت) . (٤)

ويحترم رأي تلميذه ويدون بعضها ويعتز بها . قال ابن جني : ((وقلت مرة لأبي علي - رحمه الله - : قد حضرني شيء في علة الإتياع في (نقيذ) وإن عرى أن تكون عينه حلقية ، وهو قرب القاف من الخاء والغين ، فكما جاء عنهم النخير والرغيف ، كذلك جاء عنهم (النقيذ) فجاز أن تشبَّه القاف لقربها من حروف الحلق بها ، كما شبَّه من أخفى النون عند الخاء والغين إياهما بحروف الفم ، فالنقيذ في الإتياع كالمُنخُل والمنغِل فيمن أخفى النون ؛ فرضيه وتقبله . ثم رأيتَه وقد أثبتَه فيما بعد بخطه في تذكرته .)) (٥)

ومن أسس علاقتهما العلمية انهما ينحوان في ضوء المذهب البصري في النحو بل أنَّ مذهبهما المذهب البصري على الرغم من أنَّهما استوعبا آراء المذهب الكوفي ((وكانا على مذهب واحد في النحو ... وكلاهما لا يبالي أن يخالف صاحبه ، ولا أن ينزل عند رأيه أو رأي غيره ، سواء أكان بصرياً أم غير بصري ، وكلاهما كان متوسعاً في القياس إلى أقصى الحدود ، واسع الأفق في النظر والاستدلال .)) (٦)

(١) ينظر مقدمة محققي سر صناعة الإعراب / ٣٤

(٢) الفسر ٢٦/١

(٣) سر صناعة الإعراب ت ٠ د ٠ حسن هنداي / ٢٦٣/٢ - ٦٦٤

(٤) مقدمة محققي سر صناعة الإعراب / ٣٤

(٥) الخصائص / ١/ ٣٦٥-٣٦٦

(٦) مقدمة محققي سر صناعة الإعراب / ٣٤

الظاهر أنَّهما صنوان متلازمان ، واجتماعهما للعلم لم يختص بمكان معين بل في عدة أماكن في الشام وحلب وبغداد والموصل ، جاء في الخصائص: ((قال لي أبو علي - رحمه الله - (يحلب) سنة ست وأربعين ١٠٠)) (١) ((وقال لي أبو علي بالشام ١٠٠)) (٢) ((وأنشدني - رحمه الله - ونحن في دار الملك ١٠٠)) (٣) يعني دار ملك البويهيين ببغداد أو بشيراز.

إنَّ العلاقة بينهما علاقة علمية أساسها تبادل الآراء والمسائل وتوجيه الشيخ تلميذه وأخذ التلميذ عن شيخه وتدوينه ، فأغلب كتب ابن جني من إملاء أبي علي ، إذ إنَّ التلميذ يسأل والأستاذ يوجه وربما يأخذ برأي تلميذه ، (فكان أبو علي يعرض عليه قسماً من المسائل أو يذكر له تعليلاً أو يسأل عن تعليل وكان يطلبه إذا غاب ، وابن جني يوافقه ويدعم رأيه ببرهان أو يخالفه ويرى رأياً آخر ، ولم يكن أبو علي يضيق بهذه المخالفة بل كان ينزل على رأيه أحياناً ، وكانا متحابين كما يظهر جلياً في كتب ابن جني نفسه وابن جني كان يكتب له يسأله إذا لم يكن معه وعزَّ عليه الجواب) (٤) قال شوقي ضيف: ((ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إنَّ أكثر الأصول التي اعتمدها ابن جني في كتابه الخصائص إنما استمدها من إملاءات أبي علي أستاذه وملاحظاته)). (٥)

لقد أثر أبو علي في شخصية ابن جني العلمية أيما تأثير فحمله على أن يكون من الذين يذهبون مذهب أهل البصرة ، فكان يعرض جميع نتاجه عليه وشجعه في ذلك لتنمية شخصيته العلمية.

قال د. مهدي المخزومي : ((كان ابن جني يعرض ما يكتبه على أستاذه أبي علي فيقره عليه ، ويزداد إعجابه به ، ويشجعه على المضي في تمهيد هذه الطريق الوعرة التي تحامها كثير من الدارسين على مالهم من بعد الهمة وطول الباع في الدرس اللغوي والنحوي ، وإنَّ تلمذة أبي الفتح لأبي علي الفارسي حملته على أن يكون من الذين يذهبون مذهب أهل البصرة ، وهو بصري المذهب فعلاً ؛ ويعنى بالقياس والتعليقات والتخرجات والتأويلات وهو بالإضافة الى ذلك يعنى بالرواية عن أستاذه وعن شيوخ بصريين كثيرين ، وعن كثير من رواة الأدب واللغة)). (٦)

لقد سار ابن جني على خطى أستاذه في التأليف ؛ فألف كتاب المحتسب في ضوء كتاب الحجة. وكما ألف أبو علي في علل القراءات السبع ألف ابن جني في شواذ تلك القراءات ، أما كتاب اللمع فقد ألفه ابن جني في ضوء خطى أستاذه في تأليف (الإيضاح) ، وقرأ على أستاذه الفارسي كتاب التصريف للمازني وعمد إلى شرحه في كتابه المنصف . (٧)

(١) الخصائص / ٨٨/٢

(٢) المصدر نفسه / ١٢١/١

(٣) المصدر نفسه / ٢٧٠/٣

(٤) ابن جني النحوي / ٤١ - ٤٢

(٥) المدارس النحوية / ٢٥٩

(٦) أعلام في النحو العربي / الموسوعة الصغيرة / ٩٨

(٧) ينظر المدارس النحوية د. شوقي ضيف / ٢٦٦

ولقد أخذ تصريف المازني قراءة على أبي علي جاء في المنصف : ((قال أبو الفتح عثمان بن جني : أخبرني الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي قراءة مني عليه بحلب . عن أبي بكر محمد بن السريّ السراج ، عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ، عن أبي عثمان بكر بن محمد بن بَقِيَّة المازنيّ ، رحمهم الله أجمعين)) . (١)

فضلاً عن ذلك أنّه قرأ عليه كثيراً من الكتب مثل كتاب سيبويه ، وكتاب الهمز لأبي زيد ، وكتاب النوادر لأبي زيد أيضاً ، وأغلب روايته في كتبه من النوادر ، والقلب والإبدال ليعقوب وكتاب التصريف للاخفش . (٢)

أما روايته لهذه الكتب فكانت رواية النوادر عن طريق الرياشي (وقرأت عليه عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس عن أبي الفضل الرياشي في نوادر أبي زيد) . (٣)

وعن أبي سعيد السكري عن الرياشي (أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد السكري عن أبي الفضل الرياشي قال : انشد أبو زيد (٤) ، وعن طريق أبي عثمان المازني (أخبرنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد) (٥) وعن أبي سعيد السكري عن أبي زيد (أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد عن أبي زيد في كتاب النوادر) . (٦)

أما كتاب الهمز لأبي زيد فقد رواه عن طريق أبي العباس قراءة على أبي علي عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس عن أبي زيد في كتاب الهمز . (٧)

أما كتاب القلب والإبدال ليعقوب فقد قرأه أيضاً على أبي علي بقوله : ((وكذلك قرأت هذه اللفظة على أبي علي في كتاب القلب والإبدال عن يعقوب)) . (٨)

وأخيراً كتاب التصريف للاخفش فكانت قراءته على أبي علي بقوله : ((هذا الذي حكيتك لك عن أبي الحسن موجود في نسخ كتابه في التصريف وهكذا قرأته على أبي علي ، ووجدته أيضاً في نسخة أخرى مقروءة عليه وفي نسخة أخرى كان يستجدها ويصف صحتها)) . (٩)

وتظهر العلاقة بين التلميذ وشيخه أيضاً في استعماله الفاظاً طيبة تتم عن العلائق الوطيدة بينهما ، فالتلميذ يسأل والشيخ يجيب أو يرسل رسالة لكي يحصل على جواب لمسألة يطلبها أو يقول

(١) المنصف ٦/١

(٢) ينظر سر صناعة الإعراب د . حسن هنداوي/٥٤٦/٢ ، ٧٢/١-٧٧/١-٢٣٩/١ ، ٧٥١/٢-٧٥٢ والأرجوزة ٨٠/ والفسر ١٩٦/١

(٣) سر صناعة الإعراب د . حسن هنداوي ٢٧٨/١ والمنصف ١٧/٣

(٤) المنصف ٥٧/٣

(٥) الخصائص ١٤/٢

(٦) المنصف ١٠/٣

(٧) نفسه ١١/٣

(٨) سر صناعة الإعراب د . حسن هنداوي ٢٣٩/١

(٩) نفسه ٧٥٢-٧٥١/٢

أخبرنا أو أتشدنا أو قرأت تلك المسألة عليه أو قال لي أو أن الشيخ يسأل التلميذ أو يطلبه إلى أمثال ذلك من عبارات المداولات العلمية بين العلماء وفي كل هذا يترحم لشيخه أو يترضى عليه لمدى اعتزازه وحبه له ، فيقول : ((سألت غير مرة أبا علي - رضي الله عنه - عن ذلك)) (١) ((وسألني أبو علي - رحمه الله - عن ألف (يا))) (٢) ((وقلت مرّة لأبي علي - رحمه الله - قد حضرني شيء)) (٣) ((كذا عهد إليّ أبو علي)) (٤) و((حدثني أبو علي)) (٥) ، وأحياناً يخصص المكان الذي ذكرت فيه المسألة ، فيقول : ((قال لي أبو علي بالشام)) (٦) ((وقد كان أبو علي - رحمه الله - كتب إليّ من حلب وأنا بالموصل)) (٧) ((وسألت أبا علي عن هذا وقت القراءة بالشام والعراق)) (٨) ، وأحياناً يستعمل المفرد وأحياناً أخرى يستخدم الجمع ، فيقول : ((وقال لنا أبو علي يوماً)) (٩) ((ونبهنا أبو علي - رحمه الله -)) (١٠) ، وإذا وافقه أبو علي قال وافقنا بقوله : ((وافقنا أبو علي - رحمه الله - على هذا الموضع)) (١١) ويسأل والشيخ ينظر في المسألة ((فسألت عنه أبا علي ، فأخذ ينظر فيه ، فقلت له)) (١٢).

ويذكر المذاكرة إذا كانت هناك مذاكرة بينهما ، فيقول : ((وذاكرت به يوماً أبا علي - رحمه الله - فرأيتُه منكرًا له)) (١٣) ، أو أنه ينقل حكاية أبي علي بقوله : ((فيما حكيناها عن أبي علي)) (١٤).

وعباراته يغيرها في ضوء الاخبار والإجازة والحكاية والأخذ وما حصله عن أبي علي بقوله: ((أخبرني أبو علي قراءةً عليه)) (١٥) ((أجاز لنا أبو علي فيها الجر)) (١٦) ((وانتهت

(١) الخصائص/١/٢٤٣

(٢) المصدر نفسه /١/٢٧٦

(٣) المصدر نفسه /١/٣٦٥

(٤) المصدر نفسه /٢/٢٠

(٥) المصدر نفسه /٢/٥٠

(٦) المصدر نفسه/١/١٢١

(٧) المصدر نفسه/٣/٣٨

(٨) المنصف/١/٤٣

(٩) الخصائص/١/٢١٦

(١٠) المصدر نفسه /٢/١٦٨

(١١) المصدر نفسه/٢/٢٦٦

(١٢) المصدر نفسه/٣/٤٢

(١٣) المصدر نفسه/٣/٢٨٨

(١٤) المصدر نفسه/٣/٣٣١

(١٥) سر صناعة الإعراب د ٠ حسن هنداي /١/٢٧٩

(١٦) المصدر نفسه/١/٢٩٥

الحكاية عن أبي علي ((١)) (وهذا رأي أبي علي وعنه أخذته ((٢)) (وهكذا حصلت عن أبي علي وقت قراءة الكتاب عليه)) (٣) ((وأنا أذكر لك ما تحصل لي عن أبي علي بعد طول البحث معه)) (٤) واحياناً يذكر أنه على مذهب أبي علي فيقول : ((فقلت على مذهب أبي علي)) (٥) و ((ثبت أن الأمر فيها على ما ذهب إليه أبو علي)) (٦) وتخطر له أشياء فيحكيها إلى أبي علي أو أمور يرويها عنه أو أبيات شعرية ينشدها أبو علي له فيقول : ((أشياء كانت تخطر لي أو تنتهي الي فأحكيها له ، فتقع مواقعها المرضية عنده)) (٧) و ((روينا عن أبي علي)) (٨) و ((ويؤكد ذلك عندك ما أنشدناه أبو علي)) (٩) أو يعترض على أبي علي بقوله : ((فقلت لأبي علي معترضاً عليه)) (١٠) أو انه ينقل عن بعض أصحابه في ما ذهبوا عن أبي علي فيقول : ((وحكى بعض أصحابنا عن أبي علي ولم اسمعه منه)) (١١) ((ووجدت في بعض تعليقات أصحابنا عن أبي علي على أنه)) (١٢) أو أنه ينقل عن أبي علي ما أجازه بعضهم أمثال أبي عمر الجرمي. (١٣) أو ينقل بخط أبي علي عن الفراء (١٤) وتظهر العلاقة جلية باحترام التلميذ لشيخه ؛ لأن ابن جني لا يرد رداً مباشراً حتى لا يجرح مشاعره ، في حين يصور نفسه أنه ينتصر إلى بعض العلماء الذين يعارضون أبا علي ، يتم هذا ما يضمن التلميذ من طيب خاطر واعتزاز بشخصية أستاذه العلمية (١٥) واحياناً يذكر موضوعاً ويتحدث عنه ثم يستدرك ويقول : ((وزادنا أبو علي)) (١٦) أو عنده بيت شعر فيه نكتة لغوية وما أنشده أبو علي

(١) سر صناعة الاعراب/١/٣١٣ د. هنداوي

(٢) المصدر نفسه/١/٣٥٣

(٣) المصدر نفسه/٢/٥٤٥

(٤) المصدر نفسه/٢/٤٦٦

(٥) المصدر نفسه/٢/٧٩٧

(٦) المصدر نفسه/٢/٧٩١

(٧) المحتسب/١/٢٠٠

(٨) المصدر نفسه/٢/١٢٣

(٩) المصدر نفسه/٢/٣٣٠

(١٠) المنصف/٢/١٤٦

(١١) المصدر نفسه/٢/١٩٦

(١٢) المحتسب/٢/١٣٩

(١٣) ينظر المنصف/٢/٣٣١

(١٤) ينظر المصدر نفسه/٣/١٢

(١٥) ينظر المصدر نفسه/٢/٧١

(١٦) ينظر المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة/١٨

يمائله فيقول : ((ومثله عندي ما أنشده أبو علي)) (١) إنَّ قَرِيْبَهُ من أستاذِه يجعلُه ان يقول أنشدنا أو أنشدني إذا كان المنشد أبا علي في حين إذا كان المنشد غيره لم يضيف الفعل الى نفسه وإنما يكتبي بـ (أنشد فلان) (٢) ؛ لأنَّ أبا علي قريب منه ومن نفسه أما غيره فبعيد ولا يضيفه لنفسه .

الترحم والترضي أسلوب ظاهر على كتابات ابن جني ، ففي الخصائص وحدها كرر ما لا يقل عن تسعين مرةً مترحماً عليه ومترضياً عنه عدة مرات ، (٣) يدل هذا على العلاقة الحسنة وما خلفه أبو علي من طيب في نفس ابن جني ، ولو دققنا في كتبه الأخرى لوجدنا الكثير من هذا الأسلوب الطيب الذي يستعمله التلميذ البار الوفي لشيخه الذي قوِّم شخصيته بما أسداه له من علم ودراية وطريقة بحث ، حتى وقف على قدميه شامخاً يقارع أقرانه ؛ فذكرُ أبي علي لم يأتِ أعتباطاً وإنما جاء عن دراية لفضيلة علمه التي تفضل بها وأملها على تلميذه ، وفي ضوء هذا نجد أنَّ أبا علي بشخصيته العلمية يملأ المساحة الواسعة في مصنفات ابن جني العلمية ، ولهذا علينا أن نلم بهذه الشخصية عن طريق كتابات تلميذه الوفي الأمين على علم شيوخه .

(١) التمام في تفسير أشعار هذيل / ٦٦

(٢) ينظر ابن جني عالم العربية / ٥٣ - ٥٤

(٣) ينظر ابن جني النحوي / ٤٣

ثانياً : تقويم ابن جنيّ شيخه

التقويم العلمي سمة ظاهرة عند أهل الصنعة لأنهم ما انفكوا يقومون النتاج العلمي فيضعون أيديهم على الهفوات ويصحونها ويقومون تلك التي تحصل عند هذا وذاك .
والتقويم يحصل بين العلماء أنفسهم ولا سيما بين التلميذ وشيخه فكلاهما يقوم الآخر ، فالنتاج العلمي معرض للتقويم من بين أهل الصنعة لأنّ عمل ابن آدم يشوبه النقص ، وفي ضوء هذا أصبح التقويم أداة مطواعة بيد العلماء في الرضاء والسخط على هذا النتاج أو ذاك .
في ضوء هذا أقول : إنّ التلميذ ابن جني أصبح شيخاً مؤهلاً لتقويم نتاج شيخه بعد أن استوعب ما أملاه أبو علي وشغل فيه مؤلفاته بحيز كبير ، فتقويمه شيخه نجده مبنوثاً بين أثناء كتبه ، فهو تارة يثني عليه وأخرى يختلف معه أو أنّه يضيف من بناء أفكاره الى علم شيخه ، وانه وقد ينتقده في بعض الاحيان ، لكن في الاعم الاغلب يمدحه ويمدح طول باعه في علمه ؛ لأنّ أبا علي الشيخ العالم النحرير الذي استوعب علوم من سبقه في الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية والقراءات القرآنية و زاد عليها من عقليته العلمية التي افاضت بالعلم الزاخر والفيض العابق من نفس عالم متبحر في هذه العلوم .

وهو على دراية مما يدور من مسائل علمية يملي على طلابه وهم يسجلون فيض ذلك العلم الذي أخذ بجوانبه وتوصل إليه توصلًا يكاد يكون فيه فريد عصره وزمانه ؛ فلقد بسطت له الوسادة وأخذ بكل أطرافه واستوعب علوم عصره وأصبح الشيخ والأستاذ الذي يشار اليه بالبنان وتمثل هذا بقول ابن جني في حقه ((والله هو و عليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه ، وأشدُّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه . فكأنه إنما كان مخلوقاً له . وكيف كان لا يكون كذلك ، وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها ، وأعيان شيوخها ، سبعين سنة ، زائحةً عللة ، ساقطةً عنه كلفةً ، وجعله همّه وسدّمه ، لا يعتاقه عنه واد ، ولا يعارضه فيه متجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدم به رئيساً إلا بأخرة وقد حطّ من أنقاله ، وألقى عصا ترحاله .)) (١)

ويكشف عن شخصية شيخه العلمية وكيف أنّه يبجل علم من سبقه ويتواضع لهم وينحني تبجيلاً وتقديراً لهذا العلم الجليل ونلاحظ ذلك عند مذاكرته إيّاه في كتاب النوادر لأبي زيد بقوله : ((وذاكرت بنوادره ، شيخنا أبا علي ، فرايته غير راضٍ بها ، وكان يكاد يصلي بنوادر أبي زيد اعظاماً لها وقال لي وقت قراءتي إيّاها عليه : ((ليس فيها حرف إلا ولأبي زيد تحته عرض ما وهي كذلك لأنها محشوة بالنكت والأسرار)) (٢) وربما لا أجانب الصواب إذا قلت إنّ أغلب نتاج ابن جني هو علم أبي علي ولا سيما كتاب سر صناعة الإعراب الذي هو سر علم أبي علي ومستودع علمه أودع فيه ما أملاه عليه شيخه ونلاحظ ذلك في قوله على حروف المعجم وتسميته الكتاب : ((فلما استمر البيان في جميعها جازت تسميته بحروف المعجم . وهذا كلّ رأي أبي علي ، وعنه

(١)الخصائص ٢٧٦/١-٢٧٧

(٢)سر صناعة الإعراب /د/ حسن هنداوي ٣٣١/١

أخذته ، وقد أتيت في هذا الفصل من الاشتقاق وغيره بما هو معاني قوله ، وان خالفت لفظه ، وهو الصواب الذي لا يُذهب عنه الى غيره)) . (١)

وقال أيضاً : ((وهذا الذي ذهب إليه ، و أقمت الأدلة عليه أحد ما أخذته عن شيخنا أبي علي وهو معنى قوله وجمل مذهبه الذي حصله عن جلة أصحابه ، وقد أوردت ألفاظه فيه ، وفتقت كلامه وأوضحت معانيه ، فاعرفه)) . (٢)

وهذا لا يقتصر على كتاب سر صناعة الإعراب وإنما يحيط ببقية كتبه نحو الخصائص التي يذكر فيها ابن جني في موضوع تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني ، أن أبا علي كان يستحسن هذا الباب الذي يُعد من فصول العربية الكثير المنفعة ، ومن هذه الأسطر نحس أن ما ذهب إليه ابن جني كان يقره أبو علي ، جاء في الخصائص : ((وهذا مذهب في هذه اللغة طريف ، غريب لطيف ، وهو فقهها ، وجامع معانيها ، وضامٌ نشرها ، وقد هممت غير دفعة أن أنشئ في ذلك كتاباً اتقصي فيه أكثرها ، والوقت يضيق دونه ، ولعله لو خرج لما أقنعه ألف ورقة إلا على اختصار وإيماء ، وكان أبو علي - رحمه الله - يستحسن هذا الموضوع جداً ، وينبه عليه ، ويسرُّ بما يحضره خاطرُه منه)) . (٣) وفي باب الاشتقاق الأكبر يذكر أن أبا علي يقره دون غيره بقوله : ((هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ، غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به ويُخلد إليه ، مع اعواز الاشتقاق الاصغر . لكنّه مع هذا لم يسمه ، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ، ويسرُّوح إليه ، ويتعللُّ به)) . (٤)

إن اغلب علم ابن جني هو من فيض علم أبي علي وهذا يشهد به ابن جني نفسه ويعترف بفضلته ويقرُّ أخذه ويدون لفظه بقوله : ((وهو رأي أبي علي - رحمه الله - وعنه أخذته لفظاً ومراجعةً وبحثاً)) . (٥)

ويذكر أن جوابه على بعض المسائل العلمية يتفق وجواب أبي علي الفارسي عند سؤاله ، يدل هذا على العلائق العلمية بين الشيخ وتلميذه وقرار التلميذ بالعلمية لشيخه وهذا واضح بقوله : ((سألت غير مرة أبا علي - رضي الله عنه - عن ذلك فكان جوابه عنه نحواً مما حكيتُه)) . (٦) وبقوله أيضاً : ((وهذا أمر استقر بيني وبين أبي علي - رحمه الله - مع المباحثة)) . (٧)

(١) سر صناعة الإعراب د. حسن هنداوي / ٤٠/١

(٢) المصدر نفسه ٦٢٣/٢

(٣) الخصائص / ١٣٣/٢

(٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٥) الخصائص / ١٢٠/١

(٦) المصدر نفسه ٢٤٣/١

(٧) المصدر نفسه ٢٢٤/٣

كان يفضل أبا علي في علمه على أقرانه من العلماء سابقيه ومعاصريه فقد وازن بينه وبين صاحب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - في موضوع (ما هاتيت) ورجح ما ذهب إليه شيخه ؛ لأنه يأخذ المآخذ على كتاب العين في الهاء بدل من الهمزة ، في حين كان أبو علي يذهب إلى أنها من الهوته على وزن فعلت - وكلمة (هيت) اسم بلد فاصله هوتيت ، ثم ابدلت الواو التي هي عين فعلت فصارت (هاتيت) ، فصاحب العين إنما حملة على اعتقاد بدل الهاء من الهمزة انه اخذه من اتيت الشيء ، والذي ذهب إليه أبو علي في (هاتيت) غريب لطيف (١) .

فيعد كتاب العين كتاباً فيه خلل وفساد وأنّ أبا علي ينكر عمله ، جاء في الخصائص : ((وأما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر اتباع الخليل ، فضلاً عن نفسه ولا محالة أنّ هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره - رحمه الله - وإن كان للخليل فيه عمل فإنما هو أنه أوماً إلى عمل هذا الكتاب إيماء ، ولم يله بنفسه ، ولا قرّره ، ولا حرّره . وبدل على أنه قد كان نحا نحوه ، أنى أجد فيه معاني غامضة ، ونزوات للفكر لطيفة ، وصنعة في بعض الأحوال مستحكمة وذاكرت به يوماً أبا علي - رحمه الله - فرايته منكرًا له)) (٢)

ثم يذكر أن أبا علي أعلم من ابن دريد في كتابه الجماهرة بما نقله عنه قوله : ((لما هممت بقراءة رسالة هذا الكتاب على محمد بن الحسن قال لي : يا أبا علي : لا تقرأ هذا الموضوع عليّ ، فأنت أعلم به مني)) (٣)

ونعت أبا علي بالأمانة في روايته وعدّه مما يؤخذ عنه لصدقه وصلاح سيرته بقوله : ((وهذا أبو علي - رحمه الله - كأنه بعدد معنا ، ولم تبن به الحال عنّا ، كان من تحويبه وتأيّيه وتحرّجه كثير التوقف فيما يحكيه ، دائم الاستظهار لإيراد ما يرويه . فكان تارة يقول : أنشدت لجريير فيما أحسب ، وأخرى : قال لي أبو بكر فيما أظنّ ، وأخرى : في غالب ظنّي كذا ، وأرى أنّي قد سمعت كذا)) (٤)

ونلاحظ أنّه بقدر الملازمة لشيخه يفهم آراءه ويعرفها حتى لو لم يسمعها منه بل حكاها غيره ، فيقول : ((وحكى لي بعض أصحابنا - أراه عن أبي علي ولم اسمعه - أنّ الهمزة في قولك)) (ما جاءني من أحد)) غير مبدلة من واو وهي أصل (٥) ((

(١) ينظر الخصائص ٢٧٧/١ - ٢٧٨

(٢) الخصائص ٢٨٨/٣ وينظر سر صناعة الإعراب ٢/٥٦٨

(٣) ينظر المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٤) الخصائص ٣/٣١٣

(٥) المنصف ١/٢٣١

ونراه يلتبس العذر لأبي علي في موضوع تنوين (جوارٍ وغواشٍ) وهذا من الأدب العلمي فيقول : ((فإن انتصر منتصر لأبي اسحاق فقال :إلزام أبي علي إياه لا يلزمه ؛لأنّ له أن يقول : إن (جوارٍ) ونحوه اسم والتنوين بابه الأسماء ،(ويرمي ويغزو) فعلٌ،فلذلك لم يلزم أن يعوّض من حركة ياء (يرمي) ونحوها . قيل له : ومثال (مفاعل) أيضاً لا يدخله التنوين؛ فجرى مجرى الفعل)).(١)

ينتقد عمل شيخه في كتاب (الحجة) ويعتذر له بقوله : ((فإنّ أبا علي - رحمه الله - عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء)) .(٢)

ويُلاحظ أيضاً أنّه يصف نفسية شيخه وباع علمه ومدى إيمانه بالله العلي العظيم ، عندما كان ينسخ (التذكرة) وقد رأى موضوعاً أنّه ألمّ بطرف منه وقال لشيخه : ((قد كنتُ شارفت هذا الموضوع ، وتلوّح لي بعضه ولم أنته إلى آخره ، وأراك أنت قد جئت به واستوفيته وتمكّنت فيه ، فيتبسّم - رحمه الله - ، له ويتطلق إليه ؛ سروراً باستماعه ، ومعرفةً بقدرِ نعمةِ الله عنده فيه ، وفي أمثاله)) .(٣)

ويصف أبا علي بالنباوة وقدرة علم أمّام أبي بكر الرازي المعروف بالجصاص ،شيخ من شيوخ الحنفية ببغداد ، فلم ينكره لمعرفته بقدر علمية أبي علي ، جاء في الخصائص : ((وقلت مرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي - رحمه الله - وقد أفضنا في ذكر أبي علي ونُبل قدره ، ونباوة محلّه : أحسب أنّ أبا عليّ قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا ، فأصغى أبو بكر إليه ولم يتبسّع هذا القول عليه)) .(٤)

ويقول فيه أيضاً عند استدلاله في قلب ياء التثنية الفاء : ((وهذا استدلال من أبي علي في نهاية الحسن وصحة المذهب وسداد الطريقة)) .(٥)

يصفه أيضاً بطول الدرس والمداومة عليه وتكراره لطلابه عامتهم وخاصتهم لكي يفهموا ماذا يدور في ذهنه من المسائل النحوية واللغوية ولاسيما في مسألة تعدد الخبر ، نحو(هذا حلّوٌ حامض) وذلك لصعوبة فهم تلك المسائل وإدراكها فقال : ((وهذا الموضوع هو الذي بقى أبو علي ستين سنة يخاطب به خاصّة أصحابه وعمامة من كان يطيف به ، وما أظنّه فهمه عنه إلاّ واحد أو اثنان أو أكثر من ذلك)) .(٦)

(١) المنصف/٢/٧١

(٢)المحتسب /١/٣٤ وينظر /١/٢٣٦، ١٩٧

(٣)الخصائص /١/٢٠٧

(٤) المصدر نفسه /١/٢٠٨

(٥)سر صناعة الإعراب /٢/٧٠٦

(٦)التنبيه على شرح مشكلات الحماسة /١/٤٦٩ - ٤٧٠

يتضح من ذلك أنّ ابن جني يحاول أن يرصد الظواهر التي تجعل من أبي علي العالم الذي بزّ بعلمه أقرانه ومعاصريه وممن سبقه أمثال الخليل وغيره ، وهذا أمر له خاص به على الرغم من اعتذاره له ، لكن ما يميز الخليل أنه ابتدع علوماً في العربية لم يكن العرب يألّفونها ففي الصوت والصرف واللغة والموسيقى والعروض والقوافي لايدانيه أحد فضلاً عن أنه العالم الذي اعتمد عليه شيخ النحاة سيبويه في وضعه الكتاب .

ويعدّه أيضاً أميناً في النقل والرواية صادقاً بما يحكيه عن غيره ، ويصفه بالمتحرج فيما يرويّه لأنه دقيق في روايته كثير التأكيد مما ينقل وعمن ينقل ، فهو العالم المدقق المتأنّي في روايته ، وتجده يصف ميل أبي علي للموضوعات التي يقرأها وما يحب أن يقرأ ويعتاد على النظر فيه فقد جاء في باب تجاذب المعاني والإعراب انه قال : ((هذا موضع كان أبو علي - رحمه الله - يعتاده ، ويُلْمُ كثيراً به ، ويبعث على المراجعة له ، وإلّطاف النظر فيه)) .(١)

ويتعجب من علم شيخه أبي علي ومن صاحبه محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، عندما أوغلوا في باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية وقد خرجوا بأمر شريف فيما تعطيه العربية لصاحبها من قوة النفس ودربة الفكر ، فقال : ((وأنا اعجب من الشيخين أبوي علي - رحمهما الله - وقد دوّخا هذا الأمر ، وجوّلاه ، وامتخضاه وسقياه ، ولم يمر واحد منهما ولا من غيرهما - فيما علمته به - على مقربه وسهولة مأخذه)) .(٢)

ويعد مذهب أبي علي في بعض المسائل الصرفية هو (المذهب السديد) . (٣) واحياناً لم يقتنع بجواب أبي علي في بعض المسائل اللغوية ويعدّه غير مرضٍ في قوله ((كان أبو علي يقوي قول أبي الحسن في نحو قولهم إني لأمرُّ بالرجل مثلك : إن اللام زائدة ، حتى كأنه قال : إني لأمرُّ بـرجل مثلك ، لَمَّا لم يكن الرجل هنا مقصوداً معينا ، على قول الخليل : إنّه تراد اللام في المثل . . . أي أنّ اللام في قول أبي الحسن ملفوظ بها ، وهي في قول الخليل مرادة مقدّرة . واعلم ان هذا القول من أبي علي غير مرضي عندي)) .(٤)

ويرتاح لإجابة أبي علي عندما يسأله في مسألة نحوية أو لغوية فيحصل على الإجابة التي يطري عليها ويدافع عنها ؛ لأنّ جوابه سديد على الرغم من التحريف عليه والقول الذي ليس هو فيه ، فنراه يقول في حقه عندما سمع الإجابة من فيه : ((فحينئذٍ ثلجت النفس بقوله ، وبدا مكنونٌ غرضه وهذا مما يدلك على قوة مأخذه وعلوّ طريقتة . نعم ، وعلى كثرة التحريف عليه ونسب ما

(١) الخصائص / ٣ / ٢٥٥

(٢) المصدر نفسه

(٣) ينظر المنصف / ١ / ١١٠

(٤) الخصائص / ٣ / ٩٩ - ١٠٠

لا يضبط عنه إليه ، وأن كثيراً ممن علّق عنه واستكثر على طول المدة منه إنما كان يصافح ظاهر كلامه ، ويعزو إليه ما ليس من اعتقاده ، ويرى أنه قد حظي بمطاولته وملاً صحائفه من مخزون لطائفه ، وهذا شيء عرضي ((١)).

ويوضح طريقة شيخه في التعليم واللقاء الدروس والمحاضرات وأسلوب شرحه المادة العلمية ويقومه في ضوء الأداء والأسلوب ، لانه كان متأثراً به وبطريقته فضلاً عن اعتزازه بأسلوبه وعلميته ، فيقول : ((وقد كان أبو علي - رحمه الله - وإن لم يكن تطرّقه - يعتاد من الإلقاء نحواً منه ، فيتلو الآية ، وينشد البيت ، ثم يقول : ما في هذا مما يُسأل عنه ؟ من غير أن يبرز نفس حال المسؤول ؛ ولا يسمح بذكره من جهته ، ويكمله إلى استنباط المسؤل عنه حتى إذا وقع له غرض أبي عليّ فيه ، أخذ في الجواب عليه)) ((٢)).

ويذكر أنه يكرر المعنى بلفظ آخر إذا لم يفهم القارئ عليه معنى هذا اللفظ ، صرح بذلك ابن جني بقوله : ((كان أبو علي - رحمه الله - إذا عبر عن معنى بلفظ ما فلم يفهمه القارئ عليه ، و أعاد ذلك المعنى عينه بلفظ غيره ففهمه ، يقول : هذا إذا رأى ابنه في قميص أحمر عرفه ، فإن رآه في قميص كحليّ لم يعرفه)) ((٣)).

ويذكر أن لديه تعدد أقوال في المسألة الواحدة ، ولا يجد ضيراً أو حرجاً في ذلك ، ((فكان أبو علي - رحمه الله - يقول في هبهات : أنا أفتي مرة بكونها اسماً سمّي به الفعل ، كصنة ومه ، وأفتي مرة أخرى بكونها ظرفاً ، على قدر ما يحضرنني في الحال)) ((٤)).

ويذكر أيضاً من مميزات نفسية شيخه وشخصيته العلمية أنه إذا سمع شيئاً من كلام أبي الحسن يخالف قوله يقول: عكّر الشيخ (٥) وينقل عما يراه من شيخه في استحسان آراء الآخرين بقوله: ((ورأيت أبا علي - رحمه الله - يذهب الى استحسان مذهب الكسائي في قوله : (من الوافر) إذا رضيّت عليّ بنو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَيْ رِضَاهَا)) ((٦)).

وقال في تعليقه على هذه الحالة : ((وهذا ونحوه من خِلاج الخاطر ، وتعادي المناظر ، هو الذي دعا أقواماً إلى أن قالوا بتكافؤ الأدلة ، واحتملوا أثقال الصغار والذلة)) ((٧)). ويتحدث عن هذا الخاطر وكيف أن أبا علي يعجب منه عند حديثه لأبي عبد الله البصري قال : ((أنا أعجب من هذا الخاطر في حضوره تارة ، ومغيبه أخرى وهذا يدلُّ على أنه من عند الله)) ((٨)).

(١) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٢٣٥

(٢) الخصائص / ٣ / ٣٢٨

(٣) المصدر نفسه / ٢ / ٤٦٨

(٤) المصدر نفسه / ١ / ٢٠٦

(٥) ينظر المصدر نفسه والجزء الصفحة

(٦) المحتسب / ١ / ٥٢

(٧) الخصائص / ١ / ٢٠٦

(٨) المصدر نفسه / ١ / ٢٠٧

ويعلق على بعض تعليقاته لرأي سيبويه في التصغير بل انه كان يثني عليها بقوله : ((هذا معقد معناه ، وما أحسنه وأعلاه)) (١).

ويعد أبا علي فرد زمانه في الخوض ببعض المسائل اللغوية بقوله : ((هذا موضع لم أسمع فيه لأحد شيئاً إلا لأبي علي - رحمه الله -)) (٢) وأحياناً يذكر شيئاً لم يذكره أبو علي ويطري عليه في سعة بحثه ولطف مأخذه (٣).

فقد ذكر أكثر آراء أبي علي في كتبه ولا سيما الخصائص واستضاء بنور علمه في كثير من الأصول الكلية التي حررها في ذلك الكتاب (٤) ففي باب (السلب) يقول : ((نبهنا أبو علي - رحمه الله - من هذا الموضع على ما أذكره وأسطه ؛ لتتعب من حُسن الصنعة فيه)) (٥) وقد بنى باب محل حركات الإعراب من الحروف على كلام لأبي علي (٦) واكتفى في حديثه عن الحرف المبتدأ به (أيمن إن يكون ساكناً؟) على توجيه أستاذه (٧) ويقول في باب إضافة الاسم الى المسمى والمسمى الى الاسم : ((هذا موضع كان يعتاده أبو علي - رحمه الله - كثيراً ويألفه ويأثق له ويرتاح لاستعماله)) (٨) . ويعقد باباً للاكتفاء بالسبب من المسبب وبالمسبب من السبب قائلاً : ((هذا موضع من العربية شريف لطيف وواسع لمتأمله كثير ، وكان أبو علي - رحمه الله - يستحسنه ويعنى به)) (٩) ومن ذلك قوله في فاتحة باب نقض الأصول وإنشاء أصول غيرها : ((رأيت أبا علي - رحمه الله - معتمداً هذا الفصل من العربية ملماً به ، دائم التطرق له ، والفزع فيما يحدث إليه)) (١٠) ((ولعلنا لا نغفلوا إذا قلنا بعد ذلك إن أكثر الأصول التي اعتمدها ابن جني في كتابه الخصائص إنما استمدها من إملاءات أبي علي وملاحظاته)) (١١) . ويصف شيخه بالحسن واختيار الحسن والنفسية الطيبة والطبيعة الخيرة التي تجنح إلى الطيب والصنعة اللطيفة فيذكر المواضع التي يرتاح لها أستاذه ، ففي باب مشابهة معاني الإعراب معاني الشعر يقول : ((نبهنا أبو علي - رحمه الله - من هذا الموضوع على أغراض حسنة)) (١٢) ((وهذا الذي رآه أبو علي حسن جداً)) (١٣)

(١) الخصائص / ١ / ٣٥٤

(٢) المصدر نفسه / ١ / ٣٢١

(٣) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ١٠٥

(٤) ينظر المدارس النحوية د . شوقي ضيف / ٢٥٧

(٥) الخصائص / ٣ / ٧٥

(٦) ينظر المصدر نفسه / ٢ / ٣٢١ وما بعدها

(٧) ينظر المصدر نفسه / ٢ / ٣٢٩

(٨) المصدر نفسه / ٣ / ٢٤

(٩) المصدر نفسه / ٣ / ١٧٣

(١٠) المصدر نفسه / ٣ / ٢٢٧

(١١) المدارس النحوية د . شوقي ضيف / ٢٥٩

(١٢) الخصائص / ٢ / ١٦٨

(١٣) علل التنبيه / ٤٨

((وهذا استدلال ... وهو في نهاية الحسن وصحة المذهب وسداد الطريقة .)) (١) وقد يخالف شيخه ولكن لا يستغنى عن سؤاله لأنه دلو العلم وكنز المعرفة لديه ، بقوله : ((وسألت يوماً أبا علي -رحمه الله- عن تجفاف : أتأوه للإلحاق بباب قرطاس ؟ فقال : نعم ، ... ويبعد هذا عندي)) (٢) وقد يذكر أموراً علمية لشيخه فتقع عنده ، موقع الرضا بقوله : ((إذ ذاك وقع هذا الحرف إلي فأذكره له كأشياء كانت تخطر لي أو تنتهي إلي فأحكيتها له ، فتقع مواقعها المرضية عنده .)) (٣)

إنَّ صورة أبي علي عند ابن جني صورة عالم موثوق به يتحرى الدقة في الاخذ والعطاء العلمي ووضع يدي تلميذه على تحري الدقة في الرواية أيضاً فأخذ ينقل علم شيخه لفظاً ومعنى بقوله : ((كذا عهد إلي أبو علي - رحمه الله - في هذا وهذا لفظه لي فيه البتة)). (٤)

وإذا كانت حافظته تخونه فقد يأتي بالمعنى من كلام شيخه ويمدح به أسلوبه لأنه يعدّه هو الصواب لا غيره ، فيقول : ((وقد أتيت في هذا الفصل ... وغيره بما هو معاني قوله ، وإن خالفت لفظه ، وهو الصواب الذي لا يُذهب عنه إلى غيره)) (٥) بل إن صورته تظهر في إي حديث يحدثه الرواة يراه لأبي علي لأنه يفهم شخصيته وباع علمه واسلوبه ، لمدى تعلقه به وقربه منه .

رسم صورة أستاذه في ضوء مذكرته بنوادر أبي زيد صورة تكاد تنحني اجلالاً واكباراً لتلك النوادر وترفض غيرها ، يدلك على ذلك قوله : ((وذاكرت بنوادره شيخنا أبا علي ، فرأيت غير راض بها ، وكان يكاد يُصلي بنوادر أبي زيد إعظاماً لها ، وقال لي وقت قراءتي إياها عليه : (ليس فيها حرف إلا ولأبي زيد تحته غرض ما) وهي كذلك ، لأنها محشوة بالنكت والأسرار .)) (٦) ولم يقتصر على رسم الصورة في المذاكرة أو القراءة أو الرواية بل أنه ذكر أن أبا علي كان له باع في أصول اللغة ، فكان يميل إلى القياس ويفضله على السماع ويصرح بنفسه بقوله : ((أخطئ في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطئ في واحدة من القياس)) (٧)

فقد ذكر دقائق الامور في شخصية أستاذه حتى نسيانه عند ذكر فتحة اهل هيت بقوله : ((وأظنه قال لي : إنني لما بعدت عنهم أنسيتها)) (٨)

(١) علل التنبيه / ٤٥

(٢) الخصائص / ٢٣١/١

(٣) المحتسب / ٢٠٠/١

(٤) الخصائص / ٢٠/٢

(٥) سر صناعة الاعراب د. هندواي / ٤٠/١

(٦) المصدر نفسه / ٣٣١/١

(٧) الخصائص / ٨٨/٢

(٨) المصدر نفسه / ٩٢/١

في أغلب كتبه ينتصر له ويأخذ برأيه ويستند إليه في كثير من المسائل اللغوية ولكن أحياناً يرد عليه وينتصر لغيره فنراه ينتصر إلى أبي الحسن في موضوع الفاء واللام انهما واوان ، بقوله : ((فقد دخل أبو الحسن معي في أن اعترف بأن الفاء واللام واوان إذ لم يجد بدأً من الاعتراف بذلك ، كما لم أجده أنا)) (١).

ومن تقويمه لشيخه تأثره بما ألف فنحى منحي تأليفه الكتب ، فقد سار على خطاه ، فعندما ألف أبو علي كتابه (الايضاح) كتاباً تعليمياً ، ألف ابن جني في ضوء هذا كتاباً تعليمياً أيضاً سماه (اللمع في العربية) الذي هو بالحقيقة حصيلة علمية لما جمعه من دراسته وقراءته على يد شيوخه ولا سيما أبو علي ، فضلاً عن انه ألف (المحتسب) في القراءات الشاذة بعد أن ألف شيخه أبو علي كتابه (الحجة) في علل القراءات غير الشاذة . ولا بدّ لأبي علي الفارسي من أن يحتج للقراءات السبع فألف كتابه الحجة ، وفكر بعض الوقت أن يؤلف كتاباً مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة بل إنه فيما يقول ابن جني في مقدمة المحتسب : ((وَهَمَّ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ فِيهِ وَيَبْدَأُ بِهِ ، فَاعْتَرَضَتْ خَوَالِجُ هَذَا الدَّهْرِ دُونَهُ ، وَحَالَاتُ كِبَوَاتِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، هَذَا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ خَلْوِ سِرِّهِ ، وَسُرُوحِ فِكْرِهِ وَفِرْوَدِهِ بِنَفْسِهِ ، وَانْبِتَاتِ عِلَاقِ الْهَمُومِ عَنْ قَلْبِهِ . بِيْتِ وَقَوَاصِي نَظَرِهِ مَحْوُطَةٌ عَلَيْهِ . وَأَحْنَاءُ تَصَوُّرِهِ مَحْوُزَةٌ إِلَيْهِ . مُضْجَعَةٌ مَقَرِّ جَسْمِهِ وَمَجَالٌ هَمَّتْهُ وَمَعْدَاهُ وَمَرَاحُهُ مَقْصُورَانِ عَلَى حِفْظِ بِنْيَتِهِ)) (٢).

من أجل هذا تجرد ابن جني للقراءات الشاذة ينوب عن شيخه في الاحتجاج لها ، ويؤدي حقها عليه كما أدى شيخه حق القراءات غير الشاذة عليه . وهو في هذا القول يصف حال شيخه عندما اراد ان يؤلف كتاباً في الشواذ من القراءات وهذا يدل على ان ابن جني كان قريباً لأحاساسات شيخه وعوايق روحه وارهاسات فكره ، فهو بذلك يكشف لنا عن شخصيته ويقومها لنا تقويماً سديداً . أقول إن ابن جني وصف شيخه وصفاً رائعاً واستطاع أن يتوصل إلى كوامن نفسه وأخبر عنها وعن علو طريقته وقوة مأخذه ، وما اكتشفه عنه خلال مدة ملازمته له من خصال نفسية تخص خلجاته ومشاعره التي طالما يفصح فيها عن طريق بسط علمه لتلميذه ، والتلميذ يقرأ ما أقرّ في صدر شيخه .

(١) سر صناعة الاعراب د. هنداوي ٥٩٩/٢

(٢) المحتسب ٣٤/١

فضلاً عن هذا أنه يذكر ، رأي أبي علي في مذهب أبي الحسن الأخفش كيف أنه كثير المذاهب وأنّ أبا علي يوصي ابن جني في الزام ذلك بقوله : ((كنت إذا ألزمتُ عند أبي علي (رحمه الله) قولاً لأبي الحسن شيئاً لا بدّ للنظر من إزامه إياه يقول لي : مذاهب أبي الحسن كثيرة .)) (١)
إنّ علمه من علم شيخه وما قاله هو تلخيص أبي علي وقد صرح في هذا بقوله : ((وهذا تلخيص أبي علي وإنّما بسطت ما قبضه وفصلت ما أجمله)) . (٢)

(١) الخصائص / ١/ ٢٠٥-٢٠٦

(٢) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/ ٢٢٣

ثالثاً : أصول اللغة والنحو بين الشيخ وتلميذه :

القرآن الكريم وقراءاته

يعد القرآن الكريم سبباً لظهور علوم العربية ومصدرها لما فيه من اطمئنان الباحث اللغوي فيأخذ من معينه إذا لا تردد ولا خلاف في الاعتماد على نصه في تقعيد القاعدة النحوية أو اللغوية ، فالنحاة استقوا قواعدهم للفظه الفصح الصحيح وبذلك عظموه بأقوال تتم عن مدى اعتزازهم به واعتمادهم عليه ، فالفراء يقول : ((الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر))(١) . وابن خالويه يجمع على فصاحته بقوله : ((قد أجمع الناس جميعاً أنّ اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن ، لا خلاف في ذلك))(٢) وابن فارس يقول : ((كنا نعلم أنّ القرآن نزل بأفصح اللغات))(٣) والسيوطي يجيز الاحتجاج به متواتراً او شاذاً فقال : ((فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواتراً أم أحاداً أم شاذاً))(٤)

في ضوء هذه الأهمية اللغوية للقرآن الكريم ، أجد أن أبا علي قد اعتمد في دراسته النحوية واللغوية على الشاهد القرآني وقدمه على غيره ، بل ألف في دراسة لغة النص القرآني ، وما كتاب الحجة إلا دليل على دراسته واهتمامه بلغة القرآن الكريم ، وابن جني أيضاً روى ذلك عنه وسار عليه في درسه لعلمه أنّ القرآن هو الفيصل في دراسة اللغة ، فقد ذكر أن أبا علي يذهب إلى أن العائد على المبتدأ في قوله تعالى : ((كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ))(٥) هو من مجموع الكلمتين ((قردة خاسئين)) ، وليس الخبر باحدهما ، وهذا يدل على سير القاعدة النحوية في ضوء النص القرآني ، ومعناه في تعدد الخبر مثل قولنا : ((هذا الرمان حامض حلو)) أي (هذا الرمان مز) فالقردة

و(الخاسئين) تساوي الخبر ؛ لأنهما يساويان الحالة الوضعية التي يصل إليها الكفرة والمجرمون . جاء في الخصائص : ((ينبغي أن يكون (خاسئين) خبراً آخر لـ (كونوا) والأول (قردة) ، فهو كقولك : هذا حلو حامض ، وإن جعلته وصفاً لـ (قردة) صغر معناه ؛ ألا ترى أن القرد لذله وصغاره خاسئ أبداً ، فيكون إذا صفة غير مقيدة . وإذا جعلت (خاسئين) خبراً ثانياً حسناً وأفاد ولهذا كان عند أبي علي أن العائد على المبتدأ من مجموعهما ، لا من أحدهما ، لأنه ليس الخبر بأحدهما ، بل بمجموعهما))(٦)

(١) معاني القرآن للفراء ١٤/١

(٢) المزهر/١/٢١٣

(٣) الصاحبى في فقه اللغة ٥٥

(٤) الاقتراح في علم أصول النحو ٣٦

(٥) البقرة/٦٥

(٦) الخصائص/٢/١٥٨-١٥٩

وقد نقل ابن جني عن شيخه رأيه في جعل الجملة المركبة من المبتدأ والخبر في موقع الفعل المنصوب بـ (أَنْ) بقوله : ((قد جاء ذلك في التنزيل ، قال الله عز اسمه : ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)) (١) ألا ترى أن معناه ، ولأنَّ هذه أمتكم أمة واحدة ولاني ربكم فاعبدون ، فعطف الجملة من المبتدأ والخبر على (أَنْ) وفيها معنى اللام ، وهذا يزيل معنى الابتداء عنده ، ويصرف الكلام إلى معنى المصدر أي ولكوني ربكم فاعبدون ... قال أبو علي : فأوقع الجملة المركبة من المبتدأ والخبر موقع الفعل المنصوب بـ (أَنْ) والفعل إذا انتصب انصرف القول به والرأي فيه الى مذهب المصدر ، ومعلوم أنَّ المصدر أحد الآحاد ، ولا نسبة بينه وبين الجملة)) (٢).

هذا مما نقله ابن جني عن شيخه في ضوء الشاهد القرآني الذي يعد الركيزة الأولى للدراسات اللغوية والنحوية ، فالمذاكرة بينهما في ضوء القرآن متواصلة لاثبات القاعدة اللغوية . ويظهر هذا جلياً عند التعرض للمباحث اللغوية والنحوية والصرفية ، إن شاء الله تعالى .

أما القراءات القرآنية فتعد المعين لدراسة اللغة والنحو لما لها من أثر في كشف أسرار العربية في ضوء موافقتها أو مخالفتها لتقعيد القواعد أو الرسم القرآني ولهذا تعد مرجعاً مهماً من علوم العربية ، لكنَّ بعض اللغويين والنحاة وقفوا منها مواقف متباينة ، فينسب إلى البصريين أنفسهم منها موقف فيه نوع من الحذر والحيطه لانهم لا يأخذون إلا بما هو متواتر ومشهور ، في حين نرى الكوفيين يعتمدون عليها اعتماداً كبيراً في تقعيد القواعد اللغوية والنحوية . (٣) وليس هذا صحيحاً على اطلاقه . فالبصريون اجازوا ما جاء في القراءات المتواترة ولم يصدر عنهم طعن في قراءة أو تخطئة لقارئ إلا أنهم كانوا يخرجون بعض القراءات الشاذة عن أقيستهم في حين أنَّ أول تخطئة وطعن وجه إلى القراءات كانت صادرة عن الكسائي وتابعه تلميذه الفرّاء ومن اقتدى به كلمانزي والمبرد وابن جني .

سمع أبو علي عن شيوخه وأخذ ابن جني عنه اغلب القراءات ، ولا سيما ما توصل إليه ابن مجاهد في السبعة من القراء المشهورين .

ومن الجدير بالذكر أن أشير إلى طريقة تأليف أبي علي كتاب الحجة في القراءات السبعة المشهورة الذي اقتفى أثره ابن حني فألف في شواذ القراءات (المحتسب) تلك التي يمكن ان يؤخذ عنها الحكم اللغوي ويعتمد عليها في تنظير القاعدة اللغوية . وفي ضوء هذا نعرف حجة التأليف في قوليهما .

(١) الانبياء / ٩٢

(٢) التنبية على شرح مشكلات الحماسة / ١٠٤-١٠٥

(٣) ينظر أثر القرآن والقراءات في النحو العربي / ٣٢

قال أبو علي : ((إِنَّ هَذَا كِتَابٌ نَذَرَ فِيهِ وَجْوهَ قِراءاتِ القِراءِ الذينَ ثَبَتَتْ قِراءاتُهُم في كِتابِ أبي بكرِ أحمدَ بنِ موسى بنِ العباسِ بنِ مجاهدٍ - رحمه اللهُ - المترجمَ بِمَعْرِفَةِ قِراءاتِ أَهلِ الأَمصارِ بالحِجازِ والعِراقِ والشَّامِ ، بعدَ أنَ تَقَدَّمَ ذَكَرَ كُلَّ حَرْفٍ مِنَ ذَلِكَ عَلى حَسَبِ ما رَواهُ ، وأَخَذنا عَنه)) .(١)

وقال ابن جني : ((إِنَّ أبا عليٍّ - رحمه اللهُ - عَمِلَ كِتابَ الحِجَةِ في القِراءاتِ فَتَجاوزَ فِيهِ قَدْرَ حاجَةِ القِراءِ إلى ما يَجفُو عَنه كَثيرٌ مِنَ العُلَماءِ ٠٠٠ وأنا بِإِذْنِ اللهِ بِادئٍ بِكِتابِ أَذْكَرَ فِيهِ أَحوالِ ما شَدَّ عَنِ السَّبْعَةِ وَقائِلٌ في مَعنَاهِ ما يَمُنُّ بِهِ اللهُ (عَزَّ اسْمُهُ))) .(٢)

فالقِراءاتِ القِرائِيَّةُ شَاهدٌ مِنَ شِواهِدِ اللُّغَةِ اسْتَعانَ بِها أَبُو عَلِيٍّ وابْنُ جَنِيٍّ في تَثْبِيَتِ القِراءَةِ اللُّغَوِيَّةِ فَمثلاً قِراءَةُ (بِئِنَّكُمْ) بِالرَّفْعِ في قَوْلِهِ تَعالَى : ((لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)) (٣) أَي وَصَلَكُمْ ، في حَينِ قِراءَةِ النِّصْبِ (بِئِنَّكُمْ) دالَّةٌ عَلى الظَّرْفِيَّةِ . قالَ ابنُ جَنِيٍّ : ((كانَ شَيْخنا أَبُو عَلِيٍّ يَذهَبُ إلى أَنَّ أَصْلَ (بَيْنَ) أَنَّها مَصْدَرٌ بانَّ بَيْنَ بَيْنًا ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَتْ ظَرْفًا اتِّساعًا وَتَجوزًا ، كَمَقْدَمِ الحَاجِ ، وَخِلافَةِ فلانَ ، قالَ : ثُمَّ اسْتَعْمَلَتْ وَاصِلَةً بَينَ الشَّيئَيْنِ ، وَإِنْ كانَتْ في الأَصْلِ فَاصِلَةً . وَذلكَ لِأَنَّ جَهِتَيْها وَصَلتا ما يَجاوِرُها بِها . فَصارَتْ وَاصِلَةً بَينَ الشَّيئَيْنِ . هَذا مَعنى قَوْلِهِ ، وَجماعُ ما رَادهُ فِيهِ . وَعَليه قِراءَةُ مِنَ قِراءِ : ((لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)) بِالرَّفْعِ أَي وَصَلَكُمْ)) .(٤)

(١) الحجة للقراء السبعة ٢٩/١

(٢) المحتسب/١/٣٤

(٣) الانعام/٩٤

(٤) المحتسب/٢/١٩٠

الحديث النبوي الشريف :

يعد الحديث النبوي المصدر الثاني من مصادر اللغة ، لأنه صادر من أفصح العرب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي صدقه الباري عز وجل في قوله تعالى ((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى))(١) فإن كان خبراً فهو الخبر الصادق وإن كان حديثاً فهو الحديث الصحيح لغةً والفصيح نطقاً ، وإن كان أثراً فهو الأثر الواضح والطريقة السليمة التي سار عليها النبي المرسل بأمر الله ، تربي في بادية بني سعد فتغذى من فصاحتها وهو ابن سيد بطحاء مكة لغته لغة القرآن الكريم ، لغة قريش ، لغة العرب المشتركة وقد خلت من عيوب اللهجات العربية.

قال الجاحظ : ((لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى ، من كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا)).(٢)

ويعدده العلوى اليمنى في الطبقة العليا من كلام العرب وأعلى لفظاً من ألفاظ العربية بقوله : ((إن كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كان نازلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته في الطبقة العليا بحيث لا يدانيه كلام ولا يقاربه وإن انتظم أي انتظام)).(٣)

فالأحاديث النبوية الصحيحة المنقولة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نجد فيها مادة ذات شأن عظيم في العصر الأول للهجرة (عصر نضج اللغة) ، وتعد أهم مادة لغوية .(٤)

إن لغة الحديث النبوي الشريف لغة ارتفعت عن كلام الناس وتدنّت عن كلام الله عز وجل ، لأنها صادرة من لدن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ظهر الخطاب عنده وظهرت الحجة في لفظه وأبان المعنى من بين طيات كلامه ، ((فكان أفصح العرب لساناً وأوضحهم بياناً ، وأعذبهم نطقاً وأشدّهم لفظاً وأبينهم لهجة وأقومهم حجة وأعرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طريق الصواب تأييداً إلهياً ولطفاً سماوياً ، وعناية ربانية ، ورعاية روحانية)).(٥)

وكلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) ((هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزّه عن التكلف ... فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التعقيب ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن

(١) النجم/٣-٥

(٢) البيان والتبيين /١٧/٢-١٨

(٣) الطراز /١/١٦٠

(٤) ينظر تاريخ اللغات السامية/٢١٠-٢١١

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر/١/٤

الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة ، وشيّد بالتأييد ، ويُسر بالتوفيق)) (١) ((فكيف يكون كذلك وقد أتى جوامع الكلم وهي المقدرة على تأديّة المعاني الواسعة بألفاظ قليلة)) (٢)

فهو أفصح العرب بل هو أفصح الخلق على الإطلاق ، وهو القائل : ((أنا أفصح العرب)) أو ((أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أي من قريش)) ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى لما وضعه موضع البلاغ من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربها ، ومن الألسن أفصحها وأبينها ، ثم أمده بجوامع الكلم. (٣)

في ضوء هذا اتضح أنَّ الاحتجاج بالحديث الشريف من المسلمات التي يأخذ بها أهل اللغة ، لأنَّه يمثل لغة فصيحة عالية ، فضلاً عن أنَّه وصلنا أغلبه متواتراً في لفظه ونصّه . بيد أنَّ هناك مَنْ يشكك بدقّة هذا المصدر ومدى استعماله اللغة السليمة وأنَّه روي بمعناه وليس بلفظه .

أثيرت هذه القضية اللغوية على يد أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) وسبقه ابن الضائع الأندلسي لها وحجتها أنَّ الحديث روي بالمعنى لا باللفظ ، في حين لم يسمع من النحاة واللغويين الأوائل والمتأخرين صرف النظر عن الاحتجاج بالحديث الشريف . وإنَّ أوّل من توسع في الاستشهاد بالحديث النبوي هو السهيلي (ت ٥٨١هـ) وتبعه ابن مالك في التسهيل. (٤)

قال أبو الحسن بن الضائع في شرح الجمل : ((تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره ، الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولو لا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأوّل في إثبات فصيح اللغة كلامُ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ؛ لأنَّه أفصح العرب.)) (٥)

أمّا الذي خالفهما في هذا فجميع النحاة ومنهم ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) الذي جوّز الاحتجاج بالحديث والتوسع فيه ، حيث ألف كتاباً سماه (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح) ، كان بتحقيق الدكتور طه محسن عبد الرحمن الذي قال بحق مؤلفه: ((يعد ابن مالك في طليعة النحاة الذين استندوا إلى الحديث الشريف في تأييد القواعد النحوية ، بل هو أوّل من توسع في الاستشهاد به ، حتى صار من مميزات مذهبه النحوي، ومن ثم أقيم عليه النكير ، ورمي بالخروج عن سنن النحويين المتقدمين)) (٦)

لم يعد ابن مالك الأوّل في الاستشهاد بالحديث الشريف ، بل سبقه النحاة واللغويون القدامى نحو أبي علي الفارسي وابن جني وشيوخهما .

(١) البيان والتبيين / ١٦/٢ - ١٧

(٢) الشواهد والاستشهاد في النحو / ٢٩٨

(٣) ينظر المزمهر / ١/٢٠٩

(٤) ينظر الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية الحديثة / ٣٣٨

(٥) خزنة الادب / ١/١٠

(٦) مقدمة تحقيق كتاب شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح / ٢٣ - ٢٤

إنَّ أبا عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر الثقفي ، والخليل بن أحمد الفراهيدي قد كانوا يعدون من رواة الحديث ، وأنَّ سيبويه قد اشتغل بالحديث قبل دخوله ميادين العربية فتتلمذ على يد حماد بن سلمة المحدث الكبير وكان بينهما ما سبب طلبه للعربية . (١) والخليل كان عالماً بالسنة النبوية . (٢) أمَّا الفراء فقد ذكر في كتابه (معاني القرآن) الحديث النبوي الشريف مستشهداً به في عدة مواضع ، والكسائي ، كان أحد أئمة القراء السبعة . (٣) وهل من المعقول ألاَّ يهتم برواية الحديث والاستشهاد به ، فالذي يهتم برواية قراءة القرآن يهتم برواية الحديث النبوي الشريف وربما يستشهد به ، فضلاً عن أنه شافه الأعراب وأخذ عنهم اللغة ، ولمَّ لمَّ يأخذ الحديث النبوي ويحتج به مع علمه أنه صادر من أفصح العرب ، وهو يفتش عن الفصح في العربية لتقعيد القاعدة اللغوية والنحوية . وأنَّ أبا عبيدة في كتابه مجاز القرآن وأبا زيد الانصاري في كتابه النوادر وابن السكيت في كتابه تهذيب الالفاظ والمبرد في الكامل وثعلب في مجالسه ، وغيرهم ، كلُّ قد احتج بالحديث في توثيق نصوص اللغة وتثبيت ألفاظها ، ويتضح ذلك جلياً عند ابن دريد في كتابه الاشتقاق ، وابي القاسم الزجاجي في كتابه (اشتقاق أسماء الله) وأبو الطيب اللغوي في كتابه (الابدال) وابن خالويه في كتابه (اعراب ثلاثين سورة) وابي منصور الازهري في (تهذيب اللغة) وابي علي الفارسي في البغداديات وابي بكر الزبيدي في (لحن العامة) وابن جني في (الخصائص، وسر صناعة الاعراب، والمنصف) و أبي هلال العسكري في الفروق اللغوية وابن فارس في الصحابي ، والجوهري في الصحاح . (٤)

إنَّ الاحتجاج بالحديث الشريف هو واقع لدى جميع النحاة واللغويين الاوائل والمتأخرين عدا أبي حيان وابن الضائع وهذه الحقيقة العلمية هي مرادنا ومطلبنا ؛ لأنَّه نصُّ لغوي فصح روي عن طريق علماء عرب فصحاء أمناء في نقل حديث نبيهم ، لماله من القدسية عندهم .
فناخذ مثلاً يفرضه البحث أنَّ أبا علي قد استشهد بالحديث في دعم القاعدة اللغوية في كتابه (البغداديات) عندما تعرض لكلمة (دُرِّيَّاء) وبيان معناها وهمزتها فاستشهد بالحديث النبوي الشريف ((أدرؤا الحدود بالشبهات)) (٥) والقرآن الكريم أيضاً ، فقال : ((فاتهُ من الدرء الذي هو الدفع ، قال الله عزَّ وجلَّ : ((قُلْ فادرعوا عن أنفسكم الموت)) (٦) أي : أدفعوه ، ((فادراعتم فيها)) (٧) أي

(١) ينظر نزهة الألباء في طبقات الألباء/ ٣٨

(٢) ينظر المصدر نفسه/ ٣١

(٣) ينظر المصدر نفسه / ٤٢

(٤) ينظر الحديث النبوي الشريف واثره في الدراسات اللغوية والنحوية / ٣١٥-٣١٩

(٥) النهاية في غريب الحديث والاثر/ ١٠٩/٢

(٦) ال عمران / ١٦٨

(٧) البقرة/ ٧٢

: تدافعتُمْ ، و(أدرعُوا الحدود بالشبهات .)) (١) ، ادفعُوا .)) (٢)

أما ابن جنبي فقد استشهد بالحديث الشريف أيضاً تثبيتاً لمعاني اللغة وظواهرها فذكر ذلك في الخصائص في باب القول على الاعراب : هو الإبانة عن المعاني بالالفاظ ... وأصل هذا كله ((قولهم (العرب) وذلك لما يعزي إليها من الفصاحة والاعراب والبيان . ومنه قوله في الحديث ((الثيبُ تُعربُ عن نفسها .)) (٣)

جاء في النهاية : ((الثيبُ يُعربُ عنها لسانها)) ، هكذا يُروي بالتخفيف ، من أعرب . قال أبو عبيد : الصواب ((يُعرب)) يعني بالتشديد . يقال : عربتُ عن القوم إذا تكلمت عنهم . وقيل : إن أعرب بمعنى عرب . يقال : أعرب عنه لسانه وعرب . قال ابن قتيبة : الصواب ((يُعربُ عنها)) بالتخفيف . وإنما سُمي الإعراب إعراباً لتبينه وإيضاحه . وكلا القولين لغتان متساويتان ، بمعنى الإبانة والإيضاح .)) (٤)

فترك رواية الحديث وعدم الاستشهاد به في فهم اللغة ((من الادعاء على الواقع أن يستبعدوا ما ورد من أحاديث على لسان قوم من رجال العصر الأول ، شهد بحرصهم على الأحاديث التي يروونها ما أثر عنه في كتب الطبقات والتراجم ، من أقوال تتداعى عن أمامها ادعاءات النحاة ومخاوفهم المزعومة على مصير العربية ، إن اعتمدوا في تصحيحها على الاستشهاد بمروياتهم .)) (٥)

إن ما ضربته مثلاً عن استشهاد أبي علي وابن جنبي للحديث النبوي مما ورد وسجل في مصنفاتهما ؛ لأنهما يأخذان برواية الحديث ويعدانه مصدراً من مصادر اللغة العربية الفصحى ومادة لغوية لفهم اللغة وطريقة استعمالها .

(١)النهاية في غريب الحديث والاثر/٢/١٠٩

(٢)المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات/٤٩٧-٤٩٨

(٣)الخصائص /١/٣٥-٣٦

(٤)النهاية في غريب الحديث والاثر/٣/٢٠٠

(٥)مدرسة الكوفة /٥٩

كلام العرب (النثر والشعر)

يُعدّ كلام العرب المأخوذ من موارد الفصاحة التي قررها علماء العربية الأساس في تقعيد القواعد وتثبيتها ، لأنه الكلام الفصيح الذي أخذ عن العرب الفصحاء في بواديهم البعيدة عن العجمة ، أو الأعراب الرواة ومنهم : أبو خيرة وأبو سوار الغنوي وغيرهما ، وكان أبو علي الفارسي وابن جني من الذين نقلوا كلام العرب ودونوه في مصنفاتهم وثبتوا في ضوئه القاعدة اللغوية والنحوية على الرغم من إنقضاء عصر الفصاحة التي انتهت بإبراهيم بن هرمة سنة ١٥٠هـ في رواية الشعر أما كلام البدو الفصحاء فمستمر حتى أواخر القرن الرابع الهجري . فمثلاً روى أبو علي الفارسي في (التكملة) عن شيوخه عن أبي زيد الأنصاري كلام الاعرابيين منتجع وأبي خيرة ، في (كموء وكماء) أيهما المفرد وأيها الجمع . ثم جاء ابن جني وروى هذا في خصائصه ونقل ما قاله شيخه أبو علي وأضاف عليه .

قال أبو علي : ((قال أبو زيد : قال : مُتَجَجٌ : كموءٌ واحدٌ وكماءٌ للجميع ، وقال أبو خيرة : كماءٌ للواحد وكموءٌ للجميع ، فمرّ روبة بن العجاج فسألوه ، فقال : كموءٌ وكماءٌ ، كما قال مُتَجَجٌ)) (١) وأضاف ابن جني على ما قاله أبو علي كلام أبي زيد فقال : ((وقال أبو زيد : قد يقال : كماءٌ وكمٌ ، وكمءٌ ؛ كما قال أبو خيرة)) (٢)

يدلُّ هذا على المشاركة في أخذ الشيخ وتلميذه اللغة من مصادرها الأصلية ، فضلاً عن الأخذ فيما بينهما والإضافة من التلميذ على كلام شيخه .

إنَّ ابن جني ينقل عن شيخه أبي علي كلام العرب الفصحاء من أجل التذليل على ابدال الميم بباءٍ نحو باسمك؟ يريد ما اسمك؟ فقد نقل في كتابه سر صناعة الاعراب ما نصّه : ((أخبرنا أبو علي بإسناده إلى الاصمعي ، قال : (كان أبو سوار الغنوي يقول : باسمك؟ يريد : ما اسمك؟) . فهذه الباء بدل من الميم)) (٣) وأمثال هذا كثير لا نريد أن نطيل فيه حتى لا يُملُّ ، فالشاهد الواحد يدلُّ على غيره .

أمّا الشعر فكان أصلاً من أصول تقعيد اللغة ، فقد اهتم في روايته علماء اللغة والنحو وشافهوا الاعراب ونقلوه عنهم ، حتى عدّ من شواهد أوائل النحاة وامتألت به تصانيفهم وطغى على الشواهد اللغوية والنحوية في اغلب مصنفات اللغة والنحو ، وخير مثال على هذا كتاب سيبويه الذي يعد أول كتاب نحوي وصل مبوباً ، وقد ضمَّ شواهد كثيرة ، كان للشعر النصيب الأوفى ، فقد احتوى على ألف شاهد شعري وخمسين . عني علماء اللغة والنحو بالشاهد الشعري ، ولا سيما أبو علي الفارسي فيما نقل عنه تلميذه ابن جني في مصنفاته ، فقد سجل مواضع كثيرة في (سر صناعة الإعراب والمنصف والمحتسب والفسر والخصائص) فكان يقول أنشدنا وأنشدني إذا كان المنشد أبو علي ، أمّا إذا كان المنشد غيره فقد يذكر اسمه فيقول : أنشد فلان من غير أن يضيفه الى نفسه ، وهذا دليل على قربه من شيخه ، فكان يسمع عن شيخه فقط ، ويروى عن شيخه أبي علي وعن غيره .

(١) التكملة / ٣٥٩ - ٣٦٠

(٢) لخصائص / ٣٠٥/٣

(٣) سر صناعة الاعراب / ١١٩/١

الظاهر أنه في السماع أخذ من أبي علي فقط فخصه بكلمة أنشدني ، أما بالرواية فلم يذكر كلمة أنشدني بل إنه ذكر العلماء الآخرين الذين أخذ منهم ومعهم أبو علي ، فإن سماعه الشواهد الشعرية كان عن طريق أبي علي ، ولم يسمع منها عن غير طريق أبي علي إلا اليسير الذي لا يعتد به ، أما الشواهد التي ليس فيها كلمة أنشدني فقد أخذت بالرواية من العلماء ومن أبي علي ، فاذا اشترك في الأخذ مع غير أبي علي وكان الأخذ من الكتب قراءة على الشيخ وغيره ، تجنب كلمة أنشدني ، لأنها قراءة وليس انشاداً . (١)

فالشواهد الشعرية التي أخذها ابن جني عن شيخه كثيرة سنعرضها في فصول البحث ان شاء الله تعالى ، ولكن سأضرب امثلة عن هذا الاخذ .

فقد ذكر في باب (الاستخلاص من الاعلام ومعاني الاوصاف) ((من ذلك ما أنشدناه أبو علي - رحمه الله - من قول الشاعر : (من الرجز)

أنا أبو المنهال بعض الأحيان
ليسَ عليَّ حَسْبِي بضُولان
أنشدني - رحمه الله - ونحن في دار الملك ، وسألني عما يتعلق به الظرف الذي هو (بعض الأحيان) فخصنا فيه إلى ان برَدَ في اليد من جهته أنه يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون اراد..)) (٢)
وقد ذكر أيضاً انشاد أبي علي انشاد أحد شيوخه بقوله : ((أنشدنا أبو علي قال : أنشد أبو زيد : (من الرجز)

إذا العجوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقُ
ولا ترصّاهَا ولا تَمَلِّقُ)) (٣)
وذكر أيضاً قراءة الشاهد الشعري على أبي علي في كتاب النوادر لأبي زيد فقال : ((وقرأت على أبي علي في نوادر أبي زيد للبعيث : (من الطويل)

وايئةُ أمّ لا تكبُّ من ابنها
على شجبٍ أو لا يصادفها ثكلُ)) (٤)
ونقل أيضاً عن أبي علي في الحاق الباء مع (تعطى) اذا كانت بمعنى (تسمح) فقال : ((وفيه ما أنشدناه أبو علي : (من البسيط)

أم كيفَ ينفَعُ ما تعطى العلوْقُ به
رئمانَ أنفِ اذا ما ظنَّ باللبنِ)) (٥)
واستعمل ابن جني الرواية فيما سمعه عن أبي علي في استعمال القول معنى الظنّ بقوله : ((وروى لنا أبو علي بيت الحطياة : (من الطويل)

إذا قلتُ إنّي آيبٌ أهلُ بلدةٍ
حططتُ بها عنه الوليَّةُ بالهجرِ
بفتح الهمزة من أني)) (٦)

والأمثلة كثيرة عن إنشاد الشعر وروايته وسماعه عن الشيخ أبي علي ؛ لأنه المعين اللغوي الذي يمكن اعتماده في تثبيت القاعدة اللغوية والنحوية ، ولهذا عدّه من أصول اللغة .

(٤)الفسر /١/ ٢٢٧
(٥)المحتسب/١/ ٢٣٥
(٦)التبنيه على شرح مشكلات الحماسة /١٦٥

(١)ينظر ابن جني عالم العربية/٥٤
(٢)الخصائص /٣/ ٢٧٠
(٣)سر صناعة الاعراب /١/ ٧٨

السمع :

إنَّ السمع هو الأصل في أخذ اللغة عن نطق بها ، لأنَّ المعول عليه في استقراءها كلها ، فبه استطاع العلماء أن يلموا بكلَّ شاردة وواردة في اللغة فهو المصدر الأساسي والأصيل الذي يمكن الاعتماد عليه في معرفة الاستعمال اللغوي لدى العرب الفصحاء وغير الفصحاء ، وبه يعرف المستعمل من غيره والمطرّد والكثير والقليل والنادر ، ولهذا يمكن عدّه الأصل لا الفرع ، فالسمع أولاً ثم القياس ثانياً ، فإن لم يكن هناك سماع لم يكن هناك قياس ، فإذا سُمع عن العرب فيكون هو الأول ، لأنَّ اللغة أصلها سماعٌ ، فإن لم يكن فتؤخذ النظائر بالنظائر واستعمال الكلمة والجملة باستعمال نظيراتها ، وهذا ما يسمى بالقياس ، الذي يأتي بالمرحلة الثانية بعد السماع .

قال ابن جنّي : ((واعلم أنّك إذا أدّك القياس إلى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه ، فإن سمعت من آخر مثل ما أجزته فأنت فيه مُخيرٌ : تستعمل أيهما شئت .)) (١)

وذكر ابن جنّي أيضاً ما حدّثه أبو علي (رحمه الله) عن عدد من القرّاء الفصحاء ، أنّ السمع قد يكون أولى من القياس فيؤخذ به على الرغم من أنّ القياس أقوى منه ، يدلك هذا إلى استعمال اللغة سماعاً أفضل منها قياساً لأنَّ السمع هو الأول في الاستعمال اللغوي ، فقال : ((يدلك على أنّ الفصيح من العرب قد يتكلم باللغة غيرها أقوى في القياس عنده منها ما حدّثنا به أبو علي رحمه الله قال : عن أبي بكر عن أبي العباس أنّ عُمارة كان يقرأ ((ولا الليل سابق النهار)) (٢) بالنصب ، قال أبو العباس : فقلت له : ما أردت ؟ فقال : أردت (سابق النهار) قال : فقلت له : فهلا قلت له ؟ فقال : لو قلت له كان أوزن . فقوله : أوزن أي أقوى وأمكن في النفس . أفلا تراه كيف جنح إلى لغةٍ وغيرها أقوى في نفسه منها)) . (٣)

في ضوء هذا يتضح أنّ السمع هو ما كثر استعماله ، لأنه يؤخذ بالشيء حتى لو شدّ اعتماداً على كثرة الاستعمال .

قال ابن جنّي : ((وإن شدّ الشيء في الاستعمال وقوى في القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولى ، وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله . من ذلك اللغة التميمية في (ما) هي أقوى قياساً ، وإن كانت الحجازية أسير استعمالاً . وإنما كانت التميمية أقوى قياساً من حيث كانت عندهم كـ ((هل)) في دخولها على الكلام مباشرة كلّ واحد من صدري الجملتين : الفعل والمبتدأ ، كما أن (هل) كذلك . إلا أنّك إذا استعملت أنت شيئاً من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله ، وهو اللغة الحجازية ، ألا ترى أن القرآن بها نزل .)) (٤)

(١) الخصائص ١٢٥/١

(٢) يس / ٤٠

(٣) الخصائص ١٢٥/١

(٤) المصدر نفسه ١٢٤/١ - ١٢٥

فضلاً عن هذا أنّ السماع يتحقق بانشاد الشيخ الشاهد اللغوي تلميذه ، فيحقق به القاعدة اللغوية التي يكون فيها ذلك السماع مثبتاً للظنّ أو ربما يؤكده حتى يكون مقبولاً في القاعدة الصرفية بين (فَعَلٌ وَفَعَلٌ) عند شيوخهما ولا سيما الخليل الذي لم يقطع بأحدهما (فَعَلٌ وَفَعَلٌ).

قال ابن جني : ((فَإِنْ قُلْتَ : فَإِنْ فِي تَهَامَةِ أَلْفَا ، فَلِمَ ذَهَبْتَ إِلَى أَنَّ الْأَلْفَ فِي تَهَامٍ عَوْضٌ مِنْ إِحْدَى الْبِأَعْيُنِ لِلْإِضَافَةِ ؟ قِيلَ : قَالَ الْخَلِيلُ فِي هَذَا : إِنَّهُمْ كَأَنَّهُمْ نَسَبُوهُ إِلَى فَعَلٍ ، أَوْ فَعَلٍ ، وَكَأَنَّهُمْ فَكَّرُوا صَيْغَةَ تَهَامَةٍ فَأَصَارُوهَا إِلَى تَهَمٍ أَوْ تَهَمٍ ، ثُمَّ أَضَافُوا فَقَالُوا : تَهَامٌ . وَإِنَّمَا مِثْلُ الْخَلِيلِ بَيْنَ فَعَلٍ وَفَعَلٍ ، وَلَمْ يَقْطَعْ بِأَحَدِهِمَا ، لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ هَذَا الْعَمَلُ فِي هَذَيْنِ الْمَثَالَيْنِ جَمِيعًا ، وَهُمَا الشَّامُ وَالسِّيمَنُ . وَهَذَا التَّرْجِيمُ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَيْهِ الْخَلِيلُ ظَنًّا ، قَدْ جَاءَ بِهِ السَّمَاعُ نَصًّا ؛ أَنشَدَنَا أَبُو عَلِيٍّ ، قَالَ أَنَشِدْ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى : (مِنْ الرَّجْزِ)

أَرْقَنِي اللَّيْلَةَ بَرَقٌ بِالتَّهَمِ يَالِكَ بَرَقًا مَنْ يَشْقَهُ لَا يَنْمُ

فانظر الى قوّة تصوّر الخليل إلى أنّ هجم به الظنّ على اليقين ؛ فهو المعنى بقوله : (من المنسرح) الألمعي الذي يظن بك الـ

يبدو أنّ السماع أكثر ما استعمل في بداية جمع اللغة عندما ذهبت العلماء إلى البوادي وشافهت الاعراب ، أما في عصر أبي علي وتلميذه ابن جني فقد كان هناك إنشاد وقراءة واخبار ، فيستعمل ابن جني عبارة أخبرني وأنشدني وقرات على أبي علي ولم يقل سمعت وإنما السماع نلحظه يذكر عند الأصمعي وغيره من العلماء الذين أخذوا عن الاعراب ، وهذا ظاهر قول ابن جني : ((أخبرني أبو علي قراءة عليه يرفعه إلى الأصمعي ، قال : سمعت أبا تغلب ينشد بيت طفيل : (من الطويل)

فَنَحْنُ مِنْعَنَا يَوْمَ حَرَسِ نِسَاءَ كَمْ غَدَاةَ دَعَانَا عَامِرٌ غَيْرَ مُعْتَلِي

وقال : يريد : غير مؤتلي ؛ قال : وسمعت أبا الصقر ينشد : (من الطويل)

أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هُزْلًا لِأَنَّي أَرَى مَا تَرِينِ ، أَوْ بَخِيلًا مُخَلِّدًا

قال : يريد : لعنني . (((٢)

(١) الخصائص/٢/١١١-١١٢

(٢) سر صناعة الاعراب/١/٢٣٥-٢٣٦

القياس :

القياس : تقدير شيء على شيء يشترك معه في أمور ويشابهه في أمور ، أي تقدير غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه . (١) أو هو تقدير فرع على أصل أو حكم فرع على أصل بوجود علة مشتركة بينهما ، أي هناك مقيس ومقيس عليه وعلة وحكم مشترك بينهما ، نحو : حمل نائب الفاعل على الفاعل من حيث اعراب الرفع ، فالفاعل الاصل ونائبه الفرع ، والعلة هي الاسناد للفاعل ، والحكم هو اعرابه بالرفع . (٢)

ويعد القياس من الأدلة العلمية والأسس المنهجية في دراسة اللغة ونحوها ، لأن أغلب العلماء من كوفيين وبصريين اعتمدوا عليه في استنباط القواعد اللغوية ، لكن البصريين أكثر اعتماداً عليه من الكوفيين وأكثر ميلاً في اعتماده . (٣) ويُعدُّ أيضاً ((محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية وحمل كلامنا على كلامهم في صوغ أصول المادة ، وفروعها ، وضبط الحروف ، وترتيب الكلمات وما تبع ذلك)) . (٤)

إنَّ أول من عُني بالقياس وولع فيه هو عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي الذي قيل عنه ((أعلم أهل البصرة ، وأعتلهم ، وفرعَ بالنحو وقاسه)) . (٥) و ((وكان أول من بعج النحو ، ومدَّ القياس والعلل . . . وأشدُّ تجريداً للقياس)) . (٦)

وتابع النحاة من بعده الأخذ بالقياس . فكان عيسى بن عمر يعتمد عليه في تخريجاته النحوية . (٧) أمّا أبو عمرو بن العلاء فقد استعمل القياس بكثير من الظواهر اللغوية . (٨) ويونس البصري ، يأخذ بالقياس المقترن بالسمع ويقيس القليل الموثوق به . (٩)

أمّا الخليل وسيبويه فيقولان : ((ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم)) . (١٠) في حين أن الأخفش أبا الحسن يذهب الى جواز البناء ((على ما بنت العرب وعلى أي مثال سألته)) . (١١) أمّا أبو علي الفارسي فقد كان يهتم بالقياس ويفضله على السماع ويتوسع به إلى أقصى الحدود ، فقد صرح مرّة فيه : ((أخطئ في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطئ في واحدة من القياس)) . (١٢)

(١) ينظر الاقتراح / ٧٠

(٢) ينظر لمع الأدلة / ٩٣

(٣) ينظر الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري / ٣٤٣

(٤) اللغة والنحو / لعباس حسن / ٢٢

(٥) مراتب النحويين / ٣١

(٦) طبقات فحول الشعراء / ١ / ١٤٠

(٧) ينظر الكتاب / ١ / ٣٩٨ ، ٢ / ٢٠٣

(٨) ينظر الخصائص / ١ / ٢٤٩ و الدراسات اللغوية عند العرب / ٣٤٣ - ٣٤٤

(٩) ينظر يونس البصري . د . ٠ . احمد مكي الاتصاري / ٣٢٢

(١٠) المنصف / ١ / ١٨٠

(١١) المصدر نفسه / ١ / ١٨٠

(١٢) الخصائص / ٢ / ٨٨

، لكنه لا يحبذ البناء على غير أمثلة العرب ؛ لأنّ في ذلك ادخالاً ما ليس في كلامهم بقولهم — : ((والقياس ألا يجوز إلا أن تبنى على أمثلة العرب ؛ لأنّ في بنائك إياه ادخالاً له في كلام العرب و الدليل على ذلك أنك تقول : ((طاب الخشكان *)) فترفعه وإن كان أعجمياً ؛ لأنّ كلّ فاعلٍ عربيٍّ مرفوع ، فإنما تقيسُ على ما جاء وصحّ .)) (١) و القياس عنده أحسن من الرواية ؛ لأنّه لا يحتاج إلى ذكر الثقة . قال ابن جني : ((قال أبو علي : لأنّ العِللَ لا يُحتاجُ فيها إلى ذكر الثقة كما يُحتاجُ إلى ذلك في الرواية)) . (٢)

قال ابن جني في حق أبي علي في هذا الشأن : ((ما كان أقوى قياسه ، وأشدّ بهذا العلم الشريف أنسه ، فكأنه إنما كان مخلوقاً له .)) . (٣)

إنّ القياس عند الخليل وسيبويه قياسٌ فطري قائم على الحس اللغوي والملاحظة الفطرية ، ليس فيه أي أثر فلسفي يذكر ومنطقي أيضاً فكان يتمشى وطبيعة اللغة وفطرتها ، فغلبت العفوية فيه على صناعة المناطقة . (٤)

في حين أنّ أبا علي قد خطأ خطوات كثيرة فيه أبعده عن سنن من تقدمه من العلماء فقد نوعه وتوسع فيه وجعله عقلياً ، فكان يعبر عنه بالتوفيق أو الموافقة بين الاشباه ، ويطلق على تسميته بالأصل المستمر ويعده نوعاً من التشبيه ويعتمده على الثابت بالنقل والاثر عند الحكم عليه . (٥) ((حتى بلغ ما بلغه عنده . . . فلاحظ أنّ اللغة قد انجذب لها بسبب الاتساع في عدد من الألفاظ الدخيلة ودارت في محيطها وتلونت بألوانها وجرت على أسنة المتكلمين بها ، فهذه الألفاظ — كما يراها أبو علي — عربية بالقياس يجري عليها أحكام الاعراب .)) (٦) ((فحاول أن يجري مقاييس العربية على القراءة ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، فهو يجري وراء القياس إلى أبعد الحدود ، ولا يقول بالأثر المنقول إلا إذا لم يكن منه بدّ)) . (٧)

يبدو أنّ أبا علي كان من أوائل النحاة الذين نظروا بالقياس واتخذوه سبيلاً أصولياً في التقعيد والتعليل اللغوي و النحوي ، فضلاً عن أنه وظف فيه أساليب المناطقة والسليقة اللغوية ؛ والسبب يعود إلى تاثر النحو العربي بالمنطق الفلسفي ؛ لتاثر البحث العلمي العربي بالفلسفة والمنطق اليوناني بعد ترجمة كتب اليونان نحو : منطق أرسطو وما انتجته الفلسفة الكلامية الإسلامية من

(١) المنصف/١٨٠/١-١٨١

(٢) المصدر نفسه /١/٢٢٦

(٣) الخصائص/١/٢٧٧

(٤) ينظر ابو علي الفارسي . د . شلبي /٢١٩

(٥) ينظر الحجة للقراء السبعة /١/٧٥ و ابو علي الفارسي . د . شلبي /٢١٩-٢٢٠

(٦) رواية اللغة /٣٢١-٣٢٢

(٧) ابو علي الفارسي . د . شلبي /٢٢٦

* الخشكان : خالص دقيق الحنطة اذا عجن بشيرج وبسط وملئ بالسكر واللوز والفسق وماء الورد وجمع وخبز واهل الشام تسميه المكفن / ينظر المعرب للجواليق /١٣٤/ وينظر هامش الخصائص /١/٣٥٧

تنظير منطقي الذي أخذ طريقه إلى التأثير في الدراسات اللغوية والنحوية في عصره ، وبذلك تآثر أبو علي نفسه بذلك .

أما تلميذه ابن جني فقد تآثر بشيخه وسار على نهجه ؛ فافرد باباً خاصاً في خصائصه قال فيه : ((باب في أنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، هذا موضع شريف ، وأكثر الناس يَضْعَفُ عن احتماله ؛ لغموضه ولطفه ، والمنفعة به عامة ، والتساند اليه مُقَوِّمٌ مُجَدِّدٌ)) (١) وقد استند إلى نص أبي عثمان المازني وقول أبي علي في اسعاف مطلبه ، فقال : ((وقد نصّ أبو عثمان عليه فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ؛ ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول ، وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره . فإذا سمعت (قام زيد) أجزت ظرف بشرّ وكرم خالد . قال أبو علي : إذا قلت ((طاب الخشكان)) فهذا من كلام العرب ؛ لأنك باعرابك إياه قد أدخلته كلام العرب)) (٢)

فكلام العرب ضربان : أحدهما ما سمع عنهم فيحفظ على ما هو عليه فلا تنوب الأمثلة عن الاستغناء عنه والآخر ما يغتنى عن معرفته بأمثله تنوب عنه استناداً إلى القياس ، هذا ما صرح به ابن جني بقوله : ((القوم بحكمتهم وزنوا كلام العرب فوجدوه على ضربين : أحدهما ما لا بد من تقبله كهيئته ، لا بوصية فيه ، ولا تنبيه عليه ، نحو حجر ، ودار ، . . . ومنه ما وجدوه يُتدارك بالقياس وتخف الكلفة في عمله على الناس ، فقتنوه وفصلوه إذ قدروا على تداركه من هذا الوجه القريب ، المغنى عن المذهب الحزن البعيد . . . فلما رأى القوم كثيراً من اللغة مقيساً منقاداً وسموه بمواسمه ، وغنوا بذلك عن الاطالة والاسهاب فيما ينوب عنه الاختصار والايجاز . . . ومعاذ الله ندعى ان جميع اللغة تستدرك بالادلة قياساً ، لكن ما امكن ذلك فيه قلنا به ونبهنا عليه ؛ كما فعله من قبلنا ممن نحن له متبعون وعلى مثله واوضاعه حاذون .)) (٣)

في ضوء قول ابن جني اعتراف صريح بأنه يسير على خطى شيوخه ولا سيما أبي علي - في أصول اللغة - ولا سيما القياس ، اذ صرح ((نحن له متبعون وعلى مثله واوضاعه حاذون)) أي نحن انما علي ما سارت عليه العرب وسجله العلماء ولا سيما على نهج ابي علي الفارسي ؛ لان ابا علي اتخذ من القياس منهجاً - فضلاً عما يحفظ من اصول اللغة - مكثرأ فيه متعمقا به وعده اصلاً رئيساً من أصول اللغة والنحو ، هذا ما وجدته في اقواله وتطبيقاته ، فسار ابن جني في خصائصه ومنصفه وسر الصناعة وغيرها من كتبه ، في ضوء منهج أبي علي فنظر في القياس واجرى عدة تطبيقات تدل على أنّ القياس لديه أصل من أصول اللغة بل من أصولها المهمة ؛ لأنه اعتمد فيه الاقيسة العقلية والتعليلية ، واحياناً ينتصر إلى شيخه أبي علي في قياسه في ضوء الخلاف بين الاخفش وسيبويه على بناء أمثله على أمثله ليس من كلام العرب فالاخفش يقرها وسيبويه يرفضها

(١)الخصائص/٣٥٧/١ وينظر المنصف /١٨٠/١

(٢)المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٣)الخصائص/٤٢/٢ - ٤٣

في قوله : ((وهذا الخلاف الذي بين سيبويه والأخفش يدل على صحة ما ذهب إليه أبو علي من أنه يجوز أن تبنى من ضرب مثل (جعفر) فتجعله اسماً ، وفعلاً ، ووصفاً ، وغير ذلك ، فتقول : ((ضَرَبَ زيدٌ عمراً ، ومررتُ برجلٍ ضَرَبَ وجاعني ضَرَبٌ ، ورايتُ ضَرَبًا)) . (١)

وقال أيضاً في تاييده القياس واطراده : ((إن كان الشيء شاذاً في السماع مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك ، وجريت في نظيره على الواجب في امثاله)) . (٢)

إن القياس عند ابن جني لم يكن في ضوء استعمال العرب أو الشذوذ في كلامهم بل تعدى ذلك إلى قياس طريقة النظم في الشعر على وفق طريقة العرب حتى في الضرورة الشعرية هذا ما أخذه عن شيخه أبي علي في قياس النثر و الشعر على حد سواء في ضوء ما قالته العرب ، هذا ظاهر قوله : ((باب في هل يجوز لنا في الشعر في الضرورة ما جاز للعرب أو لا ؟ سألت أبا علي - رحمه الله - عن هذا فقال : كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم ، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ، فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا ، وما حظرته عليهم حظرته علينا)) . (٣)

في ضوء هذا أضرب مثلاً لتطبيقاته القياسية على وفق إنشاد أبي علي بقوله : ((ومن الاستحسان قولهم : رجل غديان ، ، وعشيان ؛ وقياسه : غدوان وعشوان ؛ لأنهما من غدوت وعشوت ؛ أنشدنا أبو علي : (من البسيط)

بات ابن أسماء يعشوه ويصبحه
من هجمة كأشاء النخل دُرَارِ)) (٤)
الشاهد في هذا يدل على أن القياس أولى من الاستحسان في (يعشو) ؛ لأنه من ذوات الواو وليس من الياء والاسم منه عشو وليس عشي والمثنى عشوان ؛ لأن فعله عشا يعشو عشوان .

الاستحسان :

هو في أصل اللغة عد الشيء حسناً إن كان ذلك الشيء ما يحس به أو يدرك إدراكاً معنوياً . قال السيد الشريف الجرجاني : ((الاستحسان في اللغة : هو عدُّ الشيء واعتقاده حسناً)) . (٥) وقد يطلق على ما يهواه الانسان ويميل إليه ، وإن كان مستقبلاً عند غيره فهو عنده مقبولٌ وحسنٌ فكلُّ طريقته الخاصة في النظر إلى الامور وتصوير الاشياء والحكم عليها ، بل إن ما يرضي الواحد قد يسوء الآخر .

أما في الإصطلاح فـ ((هو أسمٌ لدليل من الادلة الأربعة يعارض القياس الجلي ويعمل به إذا كان أقوى منه ، سموه بذلك ؛ لأنه في الأغلب يكون أقوى من القياس الجلي ، فيكون قياساً مستحسناً ،

(١) المنصف/١/١٨٢

(٢) الخصائص/١/٩٩

(٣) المصدر نفسه/١/٣٢٣

(٤) الخصائص/١/١٤٣

(٥) التعريفات/١٨ وينظر لسان العرب مادة حسن

قال الله تعالى : ((فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)) (١) . وهو ترك القياس والأخذ بما هو أرفق للناس ((٢).

والاستحسان أصل من أصول اللغة والنحو ، وأنه في ضوء تطبيقاته يأتي على عدة أنواع . فمنه ما يساعد على التوسع في استعمال اللغة على الرغم من أن علة ضعيفة ، ومثاله ترك الاخف والاخذ بالاثقل من غير علة ضرورية .

قال ابن جني : ((باب في الاستحسان وجماعه أن علة ضعيفة غير مستحكمة ؛ إلا أن فيه ضرباً من الاتساع والتصرف . من ذلك ترك الاخف إلى الاثقل من غير ضرورة ؛ نحو قولهم : الفتوى والبقوى ، والتقوى ، والشروى ، ونحو ذلك ؛ ألا ترى أنهم قلبوا الياء هنا واواً من غير استحكام علة أكثر من أنهم أرادوا الفرق بين الاسم والصفة . وهذه ليست علة معتدة ؛ ألا تعلم كيف يشارك الاسم الصفة في أشياء كثيرة لا يوجبون على أنفسهم الفرق بينهما فيها . من ذلك قولهم في تكسير حَسَن : حِسان ، فهذا كجبلٍ وجبال ... ولسنا ندفع أن يكون قد فصلوا بين الاسم والصفة في أشياء غير هذه ؛ إلا أن جميع ذلك إنما هو استحسان لا عن ضرورة علة ((٣).

((ومنه ما يخرج تنبيهاً على أصل بابه نحو : (استحوذ) و(اطولت الصدود) و(مطيبة للنفس) . ومنه ما يبقي الحكم فيه مع زوال علة كقول الشاعر: (من الطويل)

ولا نسأل الاقوامَ عقد الميثاق

فإن الشائع في جمع ميثاق موثق برد الواو إلى أصلها لزوال العلة الموجبة لقلبها ياءً وهي الكسرة ، لكن استحسان هذا الشاعر ومن تابعه إبقاء القلب وإن زالت العلة من حيث إن الجمع غالباً تابع لمفرده إعلالاً وتصحيحاً ؛ ... فقياس تحقيره على هذه اللغة أن يقال مُيْتِيق ((٤).

وقد اختلف العلماء في موضوع الأخذ به فمنهم من قال : إنه غير مأخوذ به ، ومنهم من ذهب إلى أنه مأخوذ به . ومن هؤلاء من قال : هو ترك قياس الأصول لدليل ، ومنهم من قال : إنه تخصيص العلة . فمثال القول الأول رفع الفعل المضارع لتجرده من الناصب والجازم ، أو أنه ارتفع بالزائد في أوله وهي حروف (أنيت) وهذا مخالف بقياس الأصول ؛ لأن الزائد جزء من الفعل المضارع ، وإذا كان الزائد جزءاً منه فالأصول توجب العامل أن يكون غير المعمول ، أو لا فيكون جزءاً منه . ومثال القول الثاني جمع (أرض) بالواو والنون (أرضون) وذلك تعويضاً عن حذف تاء التأنيث ؛ لأن الأصل (أرضة) ، فعند حذف التاء جمعت بالواو والنون عوضاً عن تلك التاء المحذوفة . وهناك من يقول : إن الاستحسان ما يستحسنه الانسان من غير دليل وهذا غير معول عليه (٥).

(١) الزمر/١٧-١٨

(٢) التعريفات/١٨

(٣) الخصائص/١١-١٣٣-١٣٤ وينظر الاقتراح في علم أصول النحو/١١٧

(٤) الاقتراح في علم أصول النحو/١١٧-١١٨

(٥) ينظر لمع الأدلة/١٣٣-١٣٤

الفصل الأول

المباحث الصوتية

في الصوامت

الإدغام

إدخال حرف ساكن في حرف متحرك حتى يصيرا في موضع واحد ، ويرتفع بهما اللسان رفعةً واحدةً ، ويكون في الحرفين المتجانسين والمتماثلين والمتقاربين . (١) فيقع الإدغام عند قلب الحرف الأول ليمائل الثاني . قال سيبويه : ((والإدغام يدخل فيه الأول في الآخر والآخر على حاله ، ويُقلبُ الأولُ فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد ، نحو قد تَرَكْتُكَ ، ويكُونُ الآخر على حاله)) (٢) وهذا من إدغام الدال في التاء وهما من كلمتين لا من كلمة واحدة .

وذكر أبو عثمان المازني أنه فضل من فضول العربية ، وأكثر من يسأل عنه قرأء القرآن ، فيجدون فيه صعوبةً؛ لأنه وضع صوتي ونطق في اللفظ يقع فيه الخلاف بينهم عند السؤال عنه ، فربما الرجل سأل بعض العلماء عن المسألة فكتب لفظه ، ولكن إذا أجابه غيره بمعناه وخالف لفظه أصبح عنده مخطئاً . (٣)

فالإدغام صوت لحرفين لفظهما واحد ، لا حركة تفصلهما ، لتماثلهما في المخرج والصفة ، فالأول ساكن والثاني متحرك ، فالأول مُدغمٌ في الثاني ، سواء أكان متحركاً أم ساكناً ، فالمتحرك الأول أسكن ، حتى يرفعَ عنهما اللسان رفعةً واحدةً لكي تحصل الخفة نطقاً .

قال المبرد : ((اعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحداً فسكن الأول منهما فهو مدغم في الثاني . . . لا حركة تفصل بينهما ، فإنما تعتمد لهما باللسان اعتماداً واحدةً ؛ لأن المخرج واحد ، ولا فصل . وذلك قولك : قطع ، وكسر . وكذلك محمد ومعبّد ولم يذهب بكر ، ولم يقم معك . . . فإذا التقى حرفان سواء في كلمة واحدة ، الثاني منهما متحركٌ ولم يكن الحرف ملحقاً . وقد جاوز الثلاثة أو كان منهما على غير (فعل) ، أو ما ليس على مثال من أمثله الفعل وجب الإدغام ، متحركاً كان الأول أو ساكناً ؛ لأن الساكن على ما وصفت لك والمتحرك إذا كان الحرف الذي بعده متحركاً أسكن ؛ ليرفع اللسان عنهما رفعةً واحدةً ؛ إذا كان ذلك أخف ، وكان غير ناقصٍ معنى ، ولا ملتبسٍ بلفظ)) (٤)

(١) ينظر الممتع في التصريف ٦٣١/٢

(٢) الكتاب/٤/١٠٤-١٠٥

(٣) ينظر المنصف ٣٤٠/٢

(٤) المقتضب/١/١٩٧

أما فائدته فطلب التخفيف ؛ لأنَّ التكريرَ ثقيلٌ على اللسان ؛ ولئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه مرة ثانية .

قال ابن يعيش : ((والغرض بذلك طلب التخفيف ؛ لأنَّه ثَقُلَ عليهم التكريرُ والعودُ إلى حرف بعد النطق به وصار ذلك ضيقاً في الكلام بمنزلة الضيق في الخطو على المقيد ؛ لأنَّه إذا منعه القيد من توسيع الخطو كأنَّه ، إنَّما يقيد قدمه إلى موضعها الذي نقلها منه فثقل ذلك عليه فلما كان تكرير الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفه بأنَّ يدغموا أحدهما في الآخر فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعةً واحدةً ويرفعونها بالحرفين رفعةً واحدةً لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه)) . (١)

في ضوء هذا أذكر ما نقله ابن جني عن شيخه أبي علي الفارسي الإدغام في ذوات الياء ، ولاسيما الذي يحدث في كلمة : (تَحِيَّة)

عند أبي علي الإدغامُ جائزٌ في (تَحِيَّة) والإظهار في كلمة (أَحْيِيَّة) على الرغم من أنها من ذوات الياء ؛ لأسباب ذكرها في قوله : ((إنَّما لم يجز إظهارُ)) (تَحِيَّة) ((كما جاز إظهار)) (أَحْيِيَّة)) ؛ لأنَّ ((تَحِيَّة)) موضع قد هربوا فيه من كثرة الياءات والكسرة ؛ لأنَّ أصله : ((تَحِيَّاء)) فلو أظهرتَ فقلت ((تَحِيَّة)) لكنت قد رجعت إلى ما هربت منه من إظهار الياءات ، فكهوا العودة إلى ما هربوا منه ، فأدغموا ليس غير)) . (٢)

وعند مراجعتي لكتاب التكملة لأبي علي الفارسي وجدت جوازَ هذا الإدغام في ((أَحْيِيَّة)) كما في ((تَحِيَّة)) ؛ لأنَّ حركتها لازمة وذلك بقوله : ((وإنَّما الإدغامُ في الموضع الذي تلزمُ فيه الحركة ، وعلى هذا قوله : حِيَاءٌ وأحْيِيَّة ، ورجلٌ عَيٌّ وقومٌ أعياءٌ ؛ لأنَّ الحركة هنا لازمة فهو بمنزلة الصحيح)) . (٣)

لكنه ذهب إلى الإدغام والإظهار في (أَحْيِيَّة) و (أَحْيِيَّة) ولكن في (تَحِيَّة) ولكن في تحية الإدغام دون الإظهار كراهية العودة إلى ما هربوا منه وهو إظهار الياءات .

يبدو أن إدغام (تَحِيَّة) أثاره أبو علي الفارسي ونقله ابن جني ، في حين لم نجد له إشارة عند سيبويه إلا قوله : ((فاما تَحِيَّة فبمنزلة أَحْيِيَّة ، وهي تفعلة)) . (٤)

فضلاً عن هذا فإن سيبويه ذكر الإدغام في بنات الياء المضاعفة ولا سيما في كلمة (حَيِّ) فمال إليه وجعله أكثر من غيره ، وقال في الإظهار : ((فلما ضاعفت صرتَ كأنك ضاعفت في غير بنات الياء حيث صحت اللام على الأصل وحدها . وذلك قولك : قد حَيَّ في هذا المكان وقد عَيَّ بأمره . وإنَّ شئت قلت : قد حَيَّ في هذا المكان وقد عَيَّ بأمره . والإدغام أكثر ، والأخرى عربية كثيرة)) . (٥)

(١) شرح المفصل لابن يعيش / ١٠/ ١٢١

(٢) المنصف / ٢/ ١٩٦

(٣) التكملة / ٦٠٦

(٤) الكتاب / ٤/ ٣٩٧

(٥) المصدر نفسه / ٤/ ٣٩٥

وذكر (أحيية) في التخفيف في ضوء ما سمعه عن بعض العرب ، وذهب إلى أن إدغامها أحسن بقوله : ((وسمعنا بعض العرب يقول ، أَعْيَاءٌ وَأَحْيِيَّةٌ ؛ فَيَبِينُ ، وأحسن ذلك أن تخفيها وتكون بمنزلتها متحركة .)) (١)

ثم ذكر (تحية) وقال : إنها بمنزلة (أحيية) ، ولم يعلق على الإدغام الذي حدث فيها مقابل الاظهار الذي حدث في (أحيية) ، لكنه تعرض للمضاعف من الياء ، وعده قليلاً ؛ بسبب ثقل الياء التي تكون أثقل إذا كان قبلها ياء أيضاً . (٢)

أما أبو عثمان المازني فقد ذهب إلى أن الاظهار في (تحية) جائز كما جاز في كلمة (أحيية) جمع (حياء) لكن الإدغام عنده أكثر من الاظهار . (٣)

في حين تابع المبرد سيبويه وتحدث عن كلمة (حيي) ولم يذكر (تحية و أحيية) بل ذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه في الإظهار والإدغام . (٤)

أما ابن جني فقد ضعف ما ذهب إليه المازني ، وذهب إلى أن الإدغام في (تحية) أولى من الإظهار ؛ لأنها مصدر والمصدر أصل لا فرع ، أما الإظهار في (أحيية) فلاتها جمع والجمع فرع على الواحد فإذا جئت بالواحد فقلت (حياء) زال ماكرهته من اجتماع الياءين ، أما في (تحية) فلا يمكنك هذا . (٥) لأن (تحية) أصل للفعل (حي) الذي يكون فيه الإدغام أولى من غيره ، وهو الأكثر عند سيبويه .

وأيد ابن جني أبا علي بقوله : ((هذا قول شديد)) (٦) لأن (تحية) أصلها (تحيياً) وهي مصدر والمصدر هو الأصل وليس هو ثانياً عن أول فكراهة لكثرة الياءات وتواليها ادغمت تلك الياءات لكي لا تكون هناك عودة إلى ما هرب منه ، فضلاً عن أن (أحيية) جمع والجمع فرع لأصل ومفرده (حياء) وليس فيه كثرة الياءات فتزال منه كراهة اجتماع الياءين ، فيمكن الإظهار فيها ، ويمكن الإظهار في (تحية) والأرجح الإدغام .

أما قراءة قوله تعالى : ((فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً)) (٧) فالإدغام في (يُصَلِّحَا) . (٨)

قال ابن جني : ((قرأت علي أبي علي ، عن أبي بكر ، عن أبي العباس ، عن أبي عثمان أن بعضهم قرأ ((أن يصلحاً)) ، وعلى هذا قالوا : اصَّبرَ في اصْطَبِرَ ، وازَّانَ في إزْدَانَ)) (٩)

(١) الكتاب/٤/٣٩٧

(٢) ينظر المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٣) ينظر المنصف /٢/ ١٩٥

(٤) ينظر المقتضب /١/ ١٨١

(٥) ينظر المنصف /٢/ ١٩٦

(٦) المنصف /٢/ ١٩٦

(٧) النساء /١٢٨

(٨) ينظر حجة القراءات لابي زرعة / ٢١٤

(٩) سر صناعة الإعراب /١/ ١٧٢

إِنَّ قِرَاءَةَ ((أَنْ يَصَلِّحَا)) بِالْإِدْغَامِ قِرَاءَةُ عَاصِمِ الْجَدْرِيِّ (١) قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: ((أَرَادَ (يَصَلِّحَا) ثُمَّ أَدْغَمَ)). (٢)

فِي التَّكْمَلَةِ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : ((وَفِي مُفْتَعَلٍ مِنَ الصَّبْرِ مُصْطَبِرٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُدْغَمَ الصَّادُ فِي الطَّاءِ كَمَا أُدْغِمَتِ الطَّاءُ وَالطَّاءُ فِيهَا حَيْثُ قُلْتِ: مُطَبٌّ وَمُظَلَّمٌ وَلَكِنْ مُصَبَّرٌ ، وَعَلَى قِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَ : ((أَنْ يَصَلِّحَا)) إِنَّمَا هُوَ يَفْتَعِلَانِ مِنَ الصَّلْحِ)). (٣)

فَقَدْ ذَكَرَ سَبِيوِيهِ هَذَا عِنْدَ إِدْغَامِهِمْ كَلِمَةَ (مُصَبِّرٍ) الَّتِي أَصْلُهَا (مُصْتَبِرٌ) ثُمَّ قَلِبْتَ التَّاءَ طَاءً ، فَصَارَتْ (مُصْطَبِرٌ) ، فَقَالَ : ((وَأَرَادَ بَعْضُهُمُ الْإِدْغَامَ حَيْثُ اجْتَمَعَتِ الصَّادُ وَالطَّاءُ ، فَلَمَّا امْتَنَعَتِ الصَّادُ أَنْ تَدْخُلَ فِي الطَّاءِ قَلِبُوا الطَّاءَ صَادًا فَقَالُوا : مُصَبَّرٌ)). (٤)

وَاسْتَشْهَدَ عَلَيَّ هَذَا قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ ((أَنْ يَصَلِّحَا)) بِقَوْلِهِ : ((وَحَدَّثَنَا هَارُونَ (٥) أَنَّ بَعْضَهُمْ قَرَأَ : ((فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَلِّحَا بَيْنَهُمَا صَلْحًا)). (٦)

يَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الطَّاءَ الَّتِي هِيَ تَاءٌ قَلِبْتَ صَادًا وَأَدْغَمْتَ الصَّادَ بِالصَّادِ ، وَيَذَكُرُ أَنَّ هَذِهِ الطَّاءُ أَصْلُهَا تَاءٌ قَلِبْتَ لِقَرَبِ الْمَخْرَجِ (٧) وَأَصْلُ الْكَلَامِ (يَصَلِّحَا) أَيَّ يَفْتَعِلًا . وَأَصْبَحَ (يَصَلِّحَا) بِالْإِدْغَامِ ، وَالْأَصْلُ الْأَوَّلُ كَانَ (يَصَلِّحَا) ، وَهَذَا قَلِبْتَ تَاءً (أَفْتَعِلًا) طَاءً وَقَلِبْتَ الطَّاءَ صَادًا وَأَدْغَمْتَ الصَّادَ بِالصَّادِ .

وَلِهَذِهِ الْقِرَاءَةُ ذَهَبَ ابْنُ جَنِيٍّ بِقَوْلِهِ : ((أَرَادَ يَصَلِّحَا أَيَّ يَفْتَعِلًا . فَآثَرَ الْإِدْغَامَ فَأَبْدَلَ الطَّاءَ صَادًا ، ثُمَّ أَدْغَمَ فِيهَا الصَّادَ الَّتِي هِيَ فَاءٌ ، فَصَارَتْ (يَصَلِّحَا) . وَلَمْ يَجْزَ أَنْ تُبَدَّلَ الصَّادُ طَاءً لَمَّا فِيهَا مِنْ امْتِدَادِ الصَّفِيرِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّاءِ وَأُخْتَيْهَا وَالطَّاءِ وَأُخْتَيْهَا يَدْغَمُ فِي الصَّادِ وَأُخْتَيْهَا وَلَا يَدْغَمُ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَجْزَ (أَلَا إِنْ يَطَّلِحَا) وَجَازَ (يَصَلِّحَا)). (٨)

فِي حِينٍ أَنَّ الْقِرَاءَةَ الْعَامَّةَ تَخْتَلِفُ عَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ جَنِيٍّ وَهِيَ قِرَاءَةٌ بِضَمِّ الْيَاءِ وَسُكُونِ الصَّادِ (أَنْ يُصَلِّحَا) وَفِيهَا رُدُّهُ عَلَيْهِ فِي ضَوْءِ مَجِيءِ الْمَصْدَرِ مِنْ لَفْظِ الْفِعْلِ وَمَجِيءِ كَلِمَةِ (بَيْنَهُمَا).

(١) ينظر المحتسب/٢٠١/١

(٢) مختصر في شواذ قراءات القرآن/٢٩

(٣) التكملة/٦٢١-٦٢٢

(٤) الكتاب/٤/٤٦٧

(٥) هارون بن موسى القارئ ت(١٧٠هـ) الاعور النحوي الأزدي ولأبى موسى ، وقيل أبو عبدالله البصري صاحب القرآن والعربية سميع بن طاؤس اليماني وثابت البناني ((بغية الوعاة/٣٢١/٢

(٦) الكتاب/٤/٤٦٧

(٧) ينظر الكتاب/٤/٤٦٧

(٨) المحتسب/٢٠١/١

في العربية بإمكان استعمال الاسم (الإصلاح) والفعل (أصلح) عند التنازع بين الناس . وهذا تخريج أبي علي بقوله : ((ومن قرأ : ((يُصْلِحًا)) فَإِنَّ الإِصْلَاحَ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَالتَّشَاجُرِ أَيْضًا قَدْ اسْتَعْمَلَ كَمَا اسْتَعْمَلَ تَصَالِحًا، قَالَ : ((فَمَنْ خَافَ مِنْ مُؤْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ)) (البقرة : ١٨٢) وقال : ((إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ)) (النساء : ١١٤) وليس الصلح على واحد من الفعلين ، فيجوز أن يكون اسماً مثل : العطاء والعطية من أعطى ، والكرامة من أكرم ، فمن قرأ : ((يُصْلِحًا)) كان تعدي الفعل إليه كتعديهِ الى الأسماء ، كقولك : أصلحت ثوباً)). (١)

وفي قراءة (أَنْ يَصْلِحَا) فيها يَصْلِحَا يَفْتَعِلًا و(أَنْ يَصَالِحَا) فيها تَصَالِحَا يَتَفَاعَلُ والاثنتان يجمعهما المعنى ، وهذا ما خرجه أبو علي بقوله : ((مَنْ قَالَ : ((فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَالِحَا))، فَوَجْهَهُ أَنْ الإِعْرَافَ فِي اسْتِعْمَالِ هَذَا النُّحُو : تَصَالِحَا. وَيَبِينُ ذَلِكَ أَنَّ سَبِيوِيَه زَعَمَ أَنَّ هَارُونَ حَدَّثَهُمْ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَرَأَ : ((فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا)) ، فَيَصْلِحَا : يَفْتَعِلًا ، وَافْتَعَلَ وَتَفَاعَلَ بِمَعْنَى ، وَلِذَلِكَ صَحَّتِ الوَاوُ : فِي اجْتَوَرُوا ، وَاعْتَوَرُوا وَاعْتَوَرُوا ، لَمَّا كَانَ بِمَعْنَى : تَجَاوَرُوا ، وَتَعَاوَنُوا وَتَعَاوَرُوا ، فَهَذِهِ حُجَّةٌ لِمَنْ قَرَأَ ((أَنْ يَصَالِحَا)). (٢)

الظاهر أن أبا علي جَوَّزَ قِرَاءَةَ (أَنْ يَصَالِحَا) و(أَنْ يَصْلِحَا) و(أَنْ يُصْلِحَا) وذلك فيما احتج لكل منها بحجة تكاد تكون مقنعة . فيجوز أن يؤخذ في جميع القراءات في ضوء الحجج اللغوية التي خرَّجها أبو علي (رحمه الله) .

(١) الحجة للقراء السبعة/٢/٩٤

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة

الإبدال

ظاهرة صوتية تحدث بين الحروف المتقاربة في المخرج والصفة ، فيوضع حرف مكان حرف في الكلمة لقضية صوتية ، أي ((إبدال صوت من كلمة بصوت آخر ، وهو كثير في اللغة أيضاً ، ويقع بين الأصوات المتقاربة في الحيز والمخرج وبين المتباعدة أيضاً والأول هو الأغلب)). (١)

فقد عدّه الخليل ظاهرةً صوتيةً لغويةً وربّما خلافاً لهجياً ، عندما ذهب إلى كونه لغة أو لثغة ، أو إبدالاً بين حرفين ، فقد روي عنه أنّه ذكر كلمتي (الزُعاق والزُعاف) وقال : سمعنا ذلك عن بعضهم وما ندري اللغة ام لثغة . (٢) ونقل ابن فارس عنه ، أنّه قال في قوله تعالى ((فَجَاسُوا)) (٣) إنّما أراد -عزّ وجلّ- فحاسوا ، فقامت الجيم مقام الحاء . (٤)

أمّا الاصمعي فقد أشار إلى هذه الظاهرة الصوتية في إبدال الميم والنون لمقاربتهما في كلمتي النغر والمغر ، فعنه ((أنّ الشاة والناقاة تبركّ على ندّى فيخرج اللبن كقطع الأوتار أحمر فيقال لذلك الداء النغرّ والمغرّ ، الميم بدل من النون)). (٥)

وقال أبو علي الفارسي في أصله : ((إنّ أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والتاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تداوت مخارجه ، فأما الحاء فبعيدة من التاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب احدهما إلى اختها)). (٦)

يفهم من هذا أنّ الإبدال يحدث لكثير من أصوات العربية ، لإقامة حرف مكان حرف آخر بقاء أحرف الكلمة الآخر ، وهذا الحرف المبدل قد يكون قريباً من المبدل منه في نشأته من جهاز النطق ، وقد يشتمل على بعض صفاته او خواصه أو قد يكون بعيداً منه . (٧)

ولأهمية هذه الظاهرة الصوتية فقد ألف العلماء في بابها ، فابن السكيت ألف كتابه (الإبدال) ، الذي أشار به إلى ثلثئة كلمة تحصل فيها هذه الظاهرة ، وعدّها ظاهرة لغوية فسرت على أنها من الإبدال حيناً ومن تباين اللهجات حيناً آخر ، جاءت نتيجة للتطور الصوتي (٨) فكل كلمة لها صورتان ، إحدهما أصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها وهذا التطور يحصل لعلاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه ولقرب في الصفة والمخرج . (٩)

(١) الدراسات اللغوية عند العرب / ٤١٧

(٢) المزهر / ٥٥٦/١

(٣) الاسراء / ٥

(٤) ينظر الصلحبي في فقه اللغة / ٢٠٤

(٥) النوار في اللغة / ٧٤

(٦) سر صناعة الإعراب / ١٨٠/١

(٧) ينظر التطور اللغوي التاريخي / ١١٠

(٨) ينظر الإبدال لابن السكيت / ٩٧ والصفحات / ٦٦-٦٧-١٢٦-١٣٧

(٩) ينظر من اسرار اللغة / ٧٥

إنَّ الإبدال سنة من سنن العربية حصيلته التطور الصوتي والتداخل اللغوي بين اللهجات العربية ، وهو كثير، ومؤلفاته مشهورة ، فقد احتوى كلام العرب على هذه الظاهرة ولا سيما القرآن الكريم . قال ابن فارس : ((ومن سنن العربية ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض ، فأما ما جاء في كتاب الله -جل ثناؤه- فقوله : ((فَاتَفَلَّقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ)) (١) فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب : (فلقُ الصُّبْحِ وفرقُهُ.)) (٢) وعده الثعالبي من سنن العربية بإقامة الحروف بعضها من بعض. (٣)

أما ابن جني فقد أشار إلى هذه الظاهرة في الحرفين اللذين يخرجان من مخرج واحد كما هو الحال في الدال والطاء ، واعتمد في هذا على رأي أبي علي الذي أشار فيه إلى هذه الظاهرة مشروطاً فيها تقارب المخارج وتدانيها. (٤)

الظاهر أن قرب المخرج ويُعده من شروط هذه الظاهرة ، وقد اختلف اللغويون في هذا الشرط ، فمنهم من رأى أن من الضروري أن يكون الحرفان متقاربين في المخرج والصفة نحو التاء والسين في (عتا وعسا). أو أن يكونا متدانيين في المخرج كالهيمزة والهاء ، لأنهما من حروف الحلق. (٥) ومثل هؤلاء الفراء والفارسي وابن جني ، فقد رأى الفراء : ((إذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات.)) (٦) في حين قال أبو علي الفارسي : ((أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها.)) (٧) إن اشتراطهم وجود علاقة صوتية بين الحرفين له ما يسوغه ، لأنهم أرادوا بهذا التقارب التخلص من تنافر الحروف وثقلها بتقريب مخارجها كي تكتسب الكلمة الانسجام والتآلف بين أصواتها فيجري النطق على وتيرة واحدة ، فقد قيل ((إذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً ، حدث بينهما شدٌ وجذب ، كل واحد منهما يحاول جذب الآخر ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو بعضها.)) (٨) في حين أن بعض اللغويين لا يشترط لحدوث الإبدال التقارب بين الأصوات بل يمكن حدوثه في المتباعدة ، مثل هؤلاء الخليل والكسائي والاصمعي وابن السكيت .

فالخليل -رحمه الله- نصَّ على الإبدال في (جاسوا وحاسوا) وقيام الجيم مقام الحاء ، وكلُّ منهما من مخرج يختص به ، فالجيم شجرية مجهورة ، والحاء حلقيّة مهموسة. (٩)

(١) الشعراء / ٦٣

(٢) الصاحبى في فقه اللغة / ٢٠٤

(٣) ينظر فقه اللغة للثعالبي / ٢٤٧

(٤) ينظر سر صناعة الإعراب / ١٨٠/١

(٥) ينظر المقتضب / ١٥٥/١

(٦) معاني القرآن / ٢٤١/٣

(٧) سر صناعة الإعراب / ١٨٠/١

(٨) التطور اللغوي / ٢٢

(٩) ينظر الصاحبى / ٢٠٤

وابن السكيت أورد في كتابه (الإبدال) عدداً من الكلمات المبدلة التي لم يكن بينها أية علاقة صوتية في المخرج أو الصفة ، كالإبدال بين الفاء والقاف في (الزحاليق والزحاليق) وغيرها. (١)
فلا علاقة بين الفاء التي هي حرف شفوي أسناني وبين القاف التي هي حرف لهوي من أقصى اللسان ، حتى يتبادلا . فماذا تفسر هذه الظاهرة الصوتية ؟

تفسر هذه الظاهرة على أنّ الصورة الأولى للكلمة لغة قبيلة والصورة الثانية لغة قبيلة أخرى ، فسبب ذلك اختلاف بين لغات القبائل العربية ، لأنّ كل قبيلة اختصت بلفظة دون أخرى بعد أن أصابها ما أصابها من تطور في أحد أصواتها وبقي المعنى واحداً ومثل هذا ما ذكره ابن السكيت نحو (حنك وحلك وهو السواد) . وعن الكسائي ((قلت لأعرابي : أتقول : مثل حلك الغراب أو حنكه . فقال : لا أقول حلكه))(٢) فالعربي يلتزم بلهجته لا يؤثر غيرها لأنها لغته التي جيل عليها .

في حين يؤكد بعض العلماء حدوث الإبدال في بيئة واحدة وعند قبيلة واحدة فمن الجائز أن يتكلم أبناء البيئة الواحدة بحرفين متبادلين ولهجتين مختلفتين ، قال ابن السكيت : ((قال أبو يوسف : و حضرني أعرابيان من بني كلاب فقال أحدهما إنْفَحَةً ، وقال الآخر : مَنْفَحَةً ، ثم افترقا على أن يسألا جماعة الأشياخ من بني كلاب ، فاتفق جماعة على قول ذا ، وجماعة على قول ذا وهما لغتان)).(٣)
وهذا يعني ان بعض العرب كان يؤثر صوتاً معيناً ، والبعض الآخر يؤثر غيره في الكلمة نفسها وهم من بيئة واحدة وقبيلة واحدة أيضاً .

ويفهم من هذا إن كان اللفظان في صورتيهما معنى مشتركاً او المعنى فيهما واحد فهذا إبدال أما إذا اختلفا في المعنى فلا إبدال فيهما ، وأنّ كل لفظ هو أصل بذاته .

ثمّ أنه لا يستغرب وقوع هذا الإبدال بين الحرفين أو اللهجتين في البيئة الواحدة بل امكانية حدوثه ، قال جرجي زيدان : ((والإبدال جارٍ في كل آن وزمان فكم من الأمم الذين لا يستطيعون لفظ الراء راءً كما نلفظونها نحن فيلفظونها قريبة جداً من الغين ٠٠٠ وأهالي بيروت ودمشق لا يلفظون القاف الا همزة مفخمة ، والمصريون اعرق في ذلك فيقولون ((آل)) في قال و(أميص) في قميص))(٤) فضلاً عن هذا أنّ الإبدال جارٍ على السنة العراقيين بين القاف والجيم والصاد والزاي ، فيقولون مثلاً (زغير) في صغير ، و (جدر) في (قدر) والمعنى واحد ؛ إذن لا يمنع من حدوث الإبدال في اللهجة الواحدة .

(١) ينظر الإبدال ١٤٣/

(٢) الإبدال/٦٧

(٣) إصلاح المنطق/١٧٥-١٧٦

(٤) الفلسفة اللغوية/٦٦

بقي معرفة الأصل والفرع إذا ثبت الإبدال بين الصوتين ، وإذا أردنا معرفة ذلك لابد من معرفة الأمور الآتية :

* التطور الصوتي : من قوانين هذا التطور الجنوح إلى الأسهل ، فيميل الإنسان مع مرور الزمن إلى تسهيل بعض الكلمات ، لذا يُرجح أن الهمزة في كلمة (جبرئيل) قد سهلت وأصبح للكلمة صورة أخرى هي (جبريل) .

* الآثار اللغوية القديمة : لأنَّ ورود أحد اللفظين في الآثار القديمة دون سواه يؤكد أصالته ، أمّا حين نفقد النص القديم ، فعلىنا تحري الأصالة عن طريق الشبوع وكثرة الاستعمال للأصل . وإن ورد اللفظان معاً في الآثار القديمة ، فكثرة الشواهد اللغوية بأحد اللفظين ترجح أصالته وفرعية صاحبه ، فمثلاً أنَّ كلمتي (رفل ورفن) مستعملتان في اللسان العربي لكن شواهد (رفل) أكثر من (رفن) ، فهذا يدل على أصالة (رفل) .

* التصرف والتداول : لأنَّ الحرف الأكثر تصرفاً وتداولاً في القبيلة الواحدة هو الأصل نحو : (جدف و جدث) فالعرب تستخدم (أحداث) أكثر من (أجداف) وأكثروا من (ثمّ) واقلّوا من (فمّ) ومن هذا الباب نعرف أنَّ الثاء هي الأصل لكثرة الاستعمال اللغوي وكثرة تداوله على الألسن . (١)

قال ابن جني : ((يقال : الثومُ والفومُ بمعنى واحد ، كقولهم : جدث وجدف ، وقام زيد ثم عمرو ويقال : أيضاً فمّ عمرو . فالفاء بدل فيهما جميعاً . ألا ترى إلى سعة تصرف الثاء في جدث لقولهم أحداث ولم يقولوا أجداف وإلى كثرة ثمّ وقلة فمّ)) (٢)

(١) ينظر من أسرار العربية / ٧٥-٨١

(٢) المحتسب / ٨٨/١

إبدال الهمزة هاء : (شاء ، شاة)

قال ابن جني : ((قال لي أبو علي ، وقت القراءة : ((شاء جمع شاة من غير لفظها)) ؛ لئلا يجتمع فيها قلب الواو ألفاً وقلب الهاء همزة ، وتكون الهمزة على هذا أصلاً)) . (١)

فرد ابن جني معترضاً عليه بقوله : ((ما تصنع بقولهم : ((شوي)) ألا تراه بغير همزة ولو كانت الهمزة في (شاء) أصلية لوجب ان يقول : ((شوي)) . (٢)

فاجاب أبو علي بقوله : ((قد يمكن أن يكون (شاء) من غير لفظ ((شوي)) أيضاً ، ويجوز أيضاً أن يكون التخفيف فيه مجتمعاً عليه ، يقول : اجعله مثل : ((النبي ، والبرية)) . (٣)

في تأصيل هذا عن سيبويه أراه ينقل عن العرب : الشاء يقال فيه : شوي ، والشاة يقال فيها : شويهة ، والشاء لامها من بنات الياء أو الواو ، والشاة عينها من بنات الواو ولامها هاء ، بقوله : ((وأما الشاء فان العرب تقول فيه : شوي ، وفي شاة : شويهة ، والقول فيه : أن شاء من بنات الياءات أو الواوات التي تكون لامات ، وشاة من بنات الواوات التي تكون عينات ولامها هاء ، كما كانت سواسية ليس من لفظ سي ، كما كانت شاء من بنات الياءات التي هي لامات وشاة من بنات الواوات التي هن عينات ، والدليل على ذلك هذا شوي ، وإنما ذا كأمراة ونسوة ؛ والنسوة ليست من لفظ امراة ؛ ومثله رجلٌ و نقرٌ)) . (٤)

فيتضح أن همزة (شاء) هي ليست هاء (شاة) وإنما بدلها ؛ لأن شاء جمع شاة من غير لفظها ، كما أن جمع نسوة هو من غير لفظ امرأة المفرد .

أما النسب الى (شاء) (شاوي) فهو دلالة على أن لام الكلمة ليست بهمزة أصلية وإذا سميت رجلاً تقول شائي أو شاوي ، فاللام في شاء هي ياء قلبت همزة أو واو وقلبتم همزة أيضاً وكان سيبويه لما رأى قولهم : (شاوي ، شوي) عدّ لام الكلمة ياء لا واواً ؛ لأن باب (طويت وشويت) أكثر من باب (جو و قو) . (٥)

قال سيبويه : ((كما قالوا : شاوي ، فجعلوا الواو مكان الهمزة)) . (٦)

يفهم من قول سيبويه أن الهمزة أبدلت واواً ؛ فالأحرى أن تبدل الهمزة هاء لقربها في المخرج . فضلاً عن هذا فقد أورد ابن جني عن العرب ابدالهم الهاء همزة والهمزة هاء بقوله : ((إلا أن العرب أبدلت الهاء همزة . كما أبدلت الهمزة هاء في قراءة من قرأ : ((هياك نعبد)) (٧) وكما قالوا : ((هرقت الماء)) في ((أرقت)) . فكما أبدلت الهمزة في المواضع هاءً

(١) المنصف/٢/١٤٥

(٢) المصدر نفسه/٢/١٤٦

(٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٤) الكتاب/٣/٤٦٠

(٥) ينظر المنصف/٢/١٤٦

(٦) الكتاب/٣/٣٥١

(٧) الفاتحة/٦/ قراءة أبي السوار الغنوي /ينظر البحر المحيط/١/٢٣

لأنَّهما من مخرج واحد ، وكذلك أبدلت الهاء في (شاة) همزة ، فصارت (شاء) كما ترى ؛ فجمعوا على الكلمة : قلب العين ألفاً وقلب اللام همزة ، وهذا مكروء ، وعلية أكثر الأقاويل)) .(١)

يفهم من قول ابن جني إنه يذهب إلى هذا الإبدال لأنه يقرر أن (شاء) هي جمع (شاة) كما أن (بقرأ جمع بقرة) ، فالهاء للتأنيث وألفها منقلبة عن واو ، واللام محذوفة التي هي الهاء ، ويستدل على هذا عند جمع شاة ، تحذف هاء التأنيث ويبقى الاسم من حرفين الشين والألف ، وخوفاً من ذهاب الألف في التنوين لأنها ساكنة ويبقى الاسم من حرف واحد ، فوجب ردُّ الهاء الأصلية التي هي لام الكلمة فيكون التقدير (شاة) مثل وزن (جاه) .(٢)

في هذا بيان إلى أن الإبدال حاصل بين الهاء والهمزة في (شاة ، شاء) ؛ لأنَّ الجمع تُرجع له لام الكلمة حفاظاً عليه من أن يصيرَ من حرف واحد وهذا محال في العربية .

وفي موضع آخر نقل ابن جني قراءة عن أبي علي ابدال الهمزة هاء في (هير ، وأير) بقوله : ((قرأت على أبي علي قال : قال الاصمعي : يقال للصبأ : هير وهير ، وأير وإير ، وذكر ابن السكيت هذه اللفظة في باب الإبدال ، ولم يقل أيهما الأصل وأيها الفرع)) .(٣)

أشار سيبويه إلى هذا الإبدال وعده في كلام العرب مطرداً بقوله : ((وأما الهاء ... وقد أبدلت من الهمزة في هرقت ، وهمرت ، وهرحتُ الفرس ، تريد أرحتُ ... ويقال : إياك وهيأك)) .(٤)

وذهب إلى هذا الإبدال الكسائي أيضاً بقوله : ((يقال : أرحتُ دابتي وهرحتها)) .(٥)

وقال ابن جني أيضاً : ((وقرأت على أبي علي أيضاً : (من الرجز) فانصرفت وهي حصانٌ مغضبه فانصرفت وهي حصانٌ مغضبه وَرَفَعَتْ بِصَوْتِهَا : هِيَ أَبَاهُ ... وَأَمَّا اِبْدَالُ الْهَاءِ مِنَ الْهَمْزَةِ الزَّائِدَةِ فَقَوْلُهُمْ فِي ((أَرَفْتُ)) : ((هَرَفْتُ)) . . . قَرَأْتُ ذَلِكَ عَلَى أَبِي عَلِي فِي كِتَابِ ابْنِ السَّكَيْتِ ، وَاخْبَرْنَا بِهِ أَيْضاً بِاسْنَادِهِ عَنِ قَطْرِبٍ وَعَنْهُ أَيْضاً قَالَ : يَقُولُونَ : (هَزِيدٌ مَنْطَلِقٌ) ؟ أَي : (أَزِيدٌ مَنْطَلِقٌ) ؟)) .(٦)

الظاهر أن الإبدال بين الهمزة والهاء مطرد في كلام العرب ؛ لقرب مخرجيهما ؛ ولأنَّهما من حروف الحلق ، ثم إنَّ هذا الإبدال لا يتضح فيه الأصل والفرع ، أهي الهاء أم الهمزة ، وإذا يتبين

(١) المنصف/٢/١٤٥

(٢) ينظر المصدر نفسه/٢/١٤٤

(٣) سر صناعة الإعراب /٢/٥٥٣

(٤) الكتاب/٤/٢٣٨

(٥) الإبدال لابن السكيت /٨٩

(٦) سر صناعة الإعراب /٢/٥٥٤ وينظر الإبدال لابن السكيت /٨٨/٨٩

ذلك اتضح الإبدال جلياً ٠ قال ابن جني : ((والقول في ذلك عندي أن يُقضى بكونهما أصليين غير مبدل أحدهما من الآخر حتى تقوم الدلالة على القلب)). (١)

ولاطراد هذا الإبدال في كلام العرب ذكر ابن السكيت قبل أبي علي وابن جني عدة كلمات حدث فيها هذا الإبدال نحو : هيا أبه ، يريد : أيا أبه ، ويقال : أرقت الماء وهرقته ، وإياك أن تفعل وهياك أن تفعل ، ويقال : إتمأل السنم واتمهل إذا انتصب ، وغيرها من الكلمات التي لا يسعها المقام ٠ (٢)

وذكر ابن جني أن هاء (هيت) بدلا من الهمزة في ضوء ما قاله الخليل بقوله : ((على أن صاحب العين قد قال : إنَّ الهاء فيه بدل من همزة ، كهرقت ونحوه)). (٣) ولما راجعت كتاب العين لم أجد ما يشير إلى ذلك . (٤) بل ذكر ابن منظور : ((قال الخليل : أصل هات من أتى يأتني ، فقلبت الألف هاء .)) (٥) ثم أكد ابن جني قول صاحب العين (الخليل) وبين أنه من أتيت بقوله : ((وكذلك صاحب العين إنما حملة على اعتقاد بدل الهاء من الهمزة أنه أخذ من أتيت الشيء ، والإتيان ضرب من الاتجذاب إلى الشيء)). (٦)

أما أبو علي فقد أخذ كلمة (هيت) من الهوتة أي: الأرض المنخفضة تجذب إلى نفسها بانخفاضها (٧)

وقال ابن جني : ((هات ، إنما هو استدعاءً منك للشيء واجتذابه إليك)) . (٨)

فالاجتذاب والانخفاض في معنى واحد ، والذي ذهب إليه أبو علي هو المعنى نفسه الذي ذهب إليه الخليل من قبل ، لأنَّ الإتيان ضرب من الاتجذاب ، فما ذهب إليه الخليل في إبدال الهمزة هاء في (هيت) من أتيت ، يدل عليه المعنى الواحد الذي تابع أبو علي الخليل فيه . فكأنَّ أبا علي أشار إلى هذا الإبدال ضمناً في المعنى الذي ذهب إليه في الكلمة وهو الاتجذاب .

وأشار ابن جني إلى هذا الإبدال في كلمة (ماء) أصله (موه) لقولهم في جمعها (أمواه) مستشهداً فيما أنشده أبو علي قول الشاعر : (من الرجز)

وبلدة قالصمة أمواؤها ماصحة راد الضحى أفيأؤها)) (٩)

فجوز في ضوء الشاهد أن تكون الهمزة بدلاً من الهاء التي في (أمواه) فكأنه لفظ بالهاء في الجمع ، ثم أبدلها همزة كما فعل في المفرد (ماء).

إنَّ هذا الإبدال مطرد عند اللغويين الذين سبقوا أبا علي وابن جني فقد ذكر أبو بكر بن السراج هذا بقوله : ((وأبدلوا الهمزة من الهاء في موضع اللام من ماء ، يدلُّ على ذلك تصغيرها (مؤية) وفي الجمع مياه وأمواه)) . (١٠)

(٦) الخصائص ٢٧٨/١

(٧) ينظر الخصائص ٢٧٨/١

(٨) المصنوع نفسه والجزء والصفحة

(٩) سر صناعة الإعراب ١٠٠/١

(١٠) الأصول في النحو ٢٤٦/٣

(١) سر صناعة الإعراب ٥٥٣/٢

(٢) ينظر الإبدال لابن السكيت ٨٩/٨٨

(٣) الخصائص ٢٧٨/١

(٤) ينظر العين ٨٠/٤-٨١

(٥) لسان العرب / مادة / هيت

إبدال الهمزة عيناً

هذا الإبدال يسمى العننة ، التي تتصف بها لهجة تميم ، فيقلبون همزة (أن) عيناً فتكون (عن) .

قال الخليل : ((أما تميم فإنهم يجعلون بدل الهمزة العين . قال شاعرهم : (من البسيط)
إِنَّ الْفَوَادَ عَلَى الذَّفَاءِ قَدْ كَمَدَا وَحُبُّهَا مُوشِكٌ عَن يَصَدَعِ الْكَبْدَا)) (١)
لم يقتصر هذا الإبدال عند تميم على جعل الهمزة (عيناً) في (أن) فقط وإنما يمكن أن يحدث في كلمات أخر ولا سيما في لغة تميم .

قال الخليل : ((الخَبْعُ : الخَبءُ في لغة تميم ، يجعلون بدل الهمزة عيناً)) . (٢)
أما ثعلب فقد خصَّ هذا الإبدال في همزة (أن) بقوله : ((فأما عننة تميم فإن تميماً تقول في موضع أن : عن . تقول : عن عبد الله قائم . قال : وسمعت ذا الرمة ينشد عبد الملك : (من البسيط)
أَعَنْ تَرَسَمْتَ مِنْ خَرَقَاءِ مَنْزِلَةً

قال : وسمعت ابن هرمة ينشد هارون ، وكان ابن هرمة ربي في ديار تميم : (من البسيط)
أَعَنْ تَغَنَّتْ عَلَى سَاقٍ مَطْوِقَةٌ وَرَقَاءٌ تَدْعُو هَدِيلاً فَوْقَ أَعْوَادِ)) (٣)
وتابعه في هذا ابن جني فضلاً عن اشتقاقها ، فقال : ((وقولهم ((عننة)) مشتق من قولهم ((عن ، عن ، عن)) في كثير من المواضع ، ومجيء النون في العننة يدل على أن إبدالهم إياها هو في همزة ((أن)) دون غيرها)) . (٤)
وقال : ((أنشدني أبو علي : (من الرجز)
تَعْرُضًا لَمْ تَأَلُ عَنْ قَتْلًا لِي

هكذا أنشدني : ((عَنْ قَتْلًا)) الذي أجازه أبو علي في قوله ((عَنْ قَتْلًا لِي)) أنه قال : يجوز أن يكون أراد ((أن قتلًا لِي)) أي : أن قتلنتي قتلاً ، فأبدل الهمزة عيناً . فهذا أيضاً من عننة تميم)) . (٥)

لم تقتصر رواية ابن جني على أبي علي في قلب الهمزة عيناً في (أن) فقط وإنما حكى عنه في مواضع أخر ، بقوله : ((أخبرني أبو علي قراءة عليه يرفعه إلى الأصمعي ، قال : سمعت أبا تغلب ينشد بيت طفيل : (من الطويل)
فَنَحْنُ مَنَعْنَا يَوْمَ حَرَسِ نِسَاءَكُمُ غَدَاةَ دَعَانَا عَامراً غَيْرَ مُعْتَلِي

(١) العين/١/٩١

(٢) المصدر نفسه /١/١٢٣

(٣) مجالس ثعلب /١/٨١

(٤) سر صناعة الاعراب /١/٢٣٣

(٥) المصدر نفسه /١/٢٣١-٢٣٣

وقال : يريد : غير مؤثلي ، قال : وسمعت أبا الصَّقرَ يُنشدُ : (من الطويل)
أريني جواداً مات هُزلاً لأنني
قال : يريد : لعنني ... وقرأتُ على أبي علي ، عن أبي بكر ، عن بعض أصحاب يعقوب ، عنه ،
قال : قال الأصمعي: يقال : آديته وأعديته ، على كذا وكذا ، أي : قوَّيته وأعنته ((١)).
أقول : إنَّ هذا القلب هو ظاهرة صوتية اختصت بها لهجة تميم وسميت (العنفة) وعدت من
عيوب اللهجات التي ترفعت عنها لهجة قريش ، وإنَّ اختصت بكلمة (أن) لكنها جاءت في كلمات أخر
- كما رأينا - لأنَّ الظاهرة الصوتية ربما تعم ولا تخصُّ ، لأنها نطقٌ وصوتٌ يتعود عليه أبناء
القبيلة ، وربما يطرأ على لسان القبائل الأخر ، وقد سمعت في لهجات العرب ولا سيما في الجزيرة
العربية والعراق ، فيقال : اسعلك سعال ، أي : أسألك سؤال ، وهياًة: هيعة ، ويقال : والقرعان ،
يريدون به القرآن الكريم ، وتبقى هذه الظاهرة الصوتية عيباً لهجياً في الماضي والحاضر.

إبدال الياء جيماً

قال ابن جني : ((قرأتُ على أبي علي ، عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب بن السكيت ،
عن يعقوب ، قال : قال الأصمعي : حدثني خلف قال : أنشدني رجل من أهل البادية ، وقرأتها عليه
في الكتاب : (من الرجز)
عمي عويّف وأبو عالج
وبالغداة فلق البرنج
يريد : أبو علي ، وبالعشي ، والبرني ، وبالصيصة ، وهي قرن البقرة . قال : وقال أبو عمرو
بن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فقيمج . قال : قلت : من أيهم ؟ قال :
مرج ، يريد : فقيمي ، ومرّي . وأنشد لهميان بن قحافة السعدي : (من الرجز)
يُطيرُ عنها الوبر الصُّهابجا

يريد : الصهابي / من الصُّهبة. وقال يعقوب : وبعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيماً ، وأنشد عن
ابن الاعرابي : (من الرجز)

كان في أذنايهنَّ الشُّوال
يريد : الإيل . قال : وأنشد الفراء : (من الرجز)

لاهمَّ إن كنتَ قبلتَ حجَّتج
فلا يزالُ شاحجٌ يأتيك بج
أفمرُّ نهاتٍ يُنزِّي وفرَّتج

ويروى : شامخ ، يعني بغيراً مستكبراً . انقضت الحكاية عن أبي علي ((٢)).

أراد : حجتي و وفرتي وأراد : بي

(١) سر صناعة الاعراب ١/ ٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٧٥-١٧٦ والشرح : اللهم إن قبلت حجتي استمرت بغلتي تأتي بي

الظاهر أن هذه اللغة هي لغة يمانية كما رويت بأبيات شعرية عن المفضل الصبي لشاعر من أهل اليمن ، رواها أبو زيد الانصاري بقوله : ((وقال المفضل ، وأنشدني أبو الغول هذه الأبيات لبعض أهل اليمن)) (١) وذكر (يارب إن كنت) الأبيات .

أمّا سيبويه فيعدُّ هذه الظاهرة اللغوية لبني سعد بقوله : ((وأما ناس من بني سعد فإنهم يُبدلون الجيم مكان الياء في الوقف ، لأنها خفيفة ، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف ، وذلك قولهم : هذا تميمج ، يريدون : تميمي ، وهذا علج ، يريدون علي . وسمعت بعضهم يقول : عربانج يريد : عرباني)) (٢)

يبدو أن هذا الإبدال بين الياء والجيم حصل لأتباع واحد . قال سيبويه : ((ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء)) (٣) فهما شجريان . وذهب إلى هذا ثعلب بقوله : ((أبدلت الياء الجيم في التشديد لقرب مخرجها ، ولا بأس أن تجيء في الياء المخففة مثل حجتي)) (٤)

إبدال الباء ميماً

قال ابن جنى : ((في الشذوذ ما قرأته على أبي علي بإسناده إلى الأصمعي ، وقال : ((يقال : بنات مخر ، وبنات بحر)) وأخبرنا أبو علي بإسناده إلى الأصمعي ، قال : وكان أبو سوار الغنوي يقول : بأسمك ؟ يريد : ما اسمك ؟ فهذه الباء بدل من الميم . قالوا : بعكوك وأصلها معكوك ، فالباء بدل من الميم ، لأنها من الشدة ، وهي من المعك . وقال أبو علي : كان أبو علي محمد بن السري يشتق هذه الأسماء من النجار فهذا يدل على ذلك من مذهب أبي بكر وأبي علي - لأنه تقبله عن أبي بكر ولم يدفعه - على أن الميم في مخر بدل من الباء في بحر ، أخبرنا أبو علي أيضاً يرفعه بإسناده إلى أبي عمرو الشيباني قال : ((يقال ما زلت راتماً على هذا وراتباً ، أي مقيماً ، وقرأت على أبي علي بإسناده إلى يعقوب ، قال : ((يقال : رأيت من كتب ومن كتم)) (٥)

لقد رأيت أغلب ما ذكره ابن جنى عن أبي علي موجوداً في كتاب الإبدال لابن السكيت ولكنّه يضيف إبدالاً آخر في بعض الألفاظ وربما يعدُّ غير إبدال عند بعض من نقل عنهم . هذا ظاهر قوله : ((ويقال للظلم : أرمد وأربد ، وهو لونٌ إلى الغبرة . قال بعضهم ليس هذا من الإبدال ومعنى أرمد نسبة إلى لون الرماد ، وأربد : أغبر : تربد وجهه وأربد)) (٦)

(١) النوار في اللغة / ١٦٤

(٢) الكتاب / ١٨٢/٤

(٣) المصدر نفسه / ٤٣٣/٤

(٤) مجالس ثعلب / ١١٧/١

(٥) سر صناعة الاعراب / ١١٩/١ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ وينظر الإبدال / ٧٠ - ٧٦

(٦) الإبدال / ٧٠

وذكر الخليل - رحمه الله - أنَّ الميم في (بنت مخر) أكثر من الباء (بنات بحر) بقوله :
((بنات مخر وبنات بحر : سحابات تنشأ بالبادية من قبل البحر ، بيض ، بعضها أكبر من
بعض ، والقطعة بنت مخر بالميم أكثر)) . (١)

أما ابن جني فيعد الميم في (مخر) هي أصل ؛ وحجته بذلك قوله تعالى : ((وترى الفلك فيه
مواخر)) (٢) فقال : ((ولو ذهب ذاهب إلى أن الميم في (مخر) أصل غير مبدلة على أن يجعله
من قوله عز اسمه : (وترى الفلك فيه مواخر)) وذلك أن السحاب كأنها تمخر البحر ؛ لأنها في
ما يذهب إليه عنه تنشأ ، ومنه نبدأ ، لكان عندي مصيباً غير مُبعد ، ألا ترى إلى قول أبي ذؤيب في
وصف السحاب : (من الطويل)

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ متى لَجَجِ خُضْرٍ لَهْنٍ نَيْجٍ (((٣)

وقال في (راتم) و(راتب) ، إنَّ الميم أصلٌ غير بدل ، صحته إنها لا تسمع في هذا المعنى رتم
مثل رتب ، والرتم كلمة أصلية من الرتيمة ، لأنها ((شيء كان أهل الجاهلية يرونه بينهم ، وذلك أن
الرجل منهم كان إذا أراد سفرا عمد إلى غصنين من شجرتين تقرب إحداهما من الأخرى فعد أحهما
بصاحبه فإذا عاد ورأى الغصنين معقودين بحالهما قال : إنَّ امرأته لم تخنه بعده ، وإن رأى الغصنين
قد انحلا قال : امرأته قد خانته)) . (٤)

إبدال النون ميماً

نقل ابن جني قراءة على شيخه أبي علي بإسناده إلى يعقوب ، قال : قال الأحمر : يقال : طانه الله
على خير ، وطامه ، أي : جبله ، وهو يطينه)) . (٥)

إنَّ الإبدال بين النون والميم قد ورد في كتاب الإبدال لابن السكيت بكثرة فقد قيل : الحزنُ والحزمُ
، وهو ما غلظ من الأرض ، وقيل : الندى والمدى : وهو الغاية ، وقيل : مخجت بالدلو ونخجت ،
إذا جذبت بها لتمتلي ، أما كلمتا قاتم وقاتن فقد قال بها أبو عمرو : يقال : أسودَّ قاتمٌ وقاتنٌ ، وهذا
يستخدم صفةً للسواد الشديد . (٦)

يبدو أنَّ هذا الإبدال سببه قرب مخرج النون من الميم ، فالنون مخرجها من فوق الثنايا والميم
شفوية . (٧) فالثنايا قريبة من الشفاه أو أن هذا الاستعمال لهجي فهذه الكلمة تستعملها لهجة
والأخرى لهجة غيرها ، أو أنه من باب التخفيف قال الأصمعي : ((يقال للحية أيمٌ وأينٌ والأصل أيمٌ
مخففة)) (٨) فكأن النون هي تخفيف للميم إلى جانب تخفيف الميم نفسها على رأي الأصمعي .

(١) العين/٤/٢٦٢

(٢) فاطر/١٢

(٣) سر صناعة الاعراب /١/٤٢٤

(٤) ينظر المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه/١/٤٢٥

(٦) ينظر الإبدال /٧٧-٨٣

(٧) ينظر الكتاب/٤/٤٣٣

(٨) الإبدال/٧٧

إبدال الحروف المضاعفة ياء

قال ابن جني : ((أخبرنا أبو علي أن أبا العباس أحمد بن يحيى حكى عنهم : لا وربك لا أفعل ، أراد لا وربك لأفعل ، فأبدل الباء الثانية ياء لأجل التضعيف . وقال بعضهم في لبيبت بالحج : إنما هو لبيبت : فَعَلْتُ : من قولهم : أَلَبَّ بِالْمَكَانِ أَي أَقَامَ بِهِ ، قرأت على أبي علي للمضرب بن كعب : (من الطويل)

حَرَامٌ ، وَإِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ لَبِيبٌ

فَقُلْتُ لَهَا : فِئِي إِلَيْكَ فَإِنِّي

أَي مُلَّبٍ بِالْحَجِّ)) . (١)

أشار الخليل إلى كلمة (لبيك) وعدّها من التلبيبة أي (لبيبت) ، وذهب إلى أنّها لو كانت من (لبيبتك) لأصبحت من (اللبي) واشتبه على السامع فقال : ((التلبيبة : الإجابة ، تقول : لبيك ، معناه : قرباً منك وطاعة ، لأنّ الإلباب القرب ، أدخلوا الياء كي لا يتغير المعنى ، لأنه لو قال : لبيبتك صار من اللبب ، واشتبه .. يقولون من التلبيبة : لبيبتُ بالمكان ، ولبيبت معناه : أقمت به ، ولبيبت أيضاً ، ثم قلبوا الباء الثانية إلى الياء استئقلاً للباءات ، كما قالوا : تَظَنِّيْتُ مِنَ الظَّنِّ وَأَصْلُهُ : تَظَنَّنْتُ)) . (٢)

يستشف من هذا أنّ الباء في (وربك) الثانية ، قد قلبت إلى (ياء) استئقلاً للباءات ، كما قال الخليل (رحمه الله) ؛ لأنّ هذه قضية صوتية حدثت تخفيفاً لارتياح النفس في (لا وربك) ؛ لأنّ الحرف الصائت يعطي راحة عند النطق به . استناداً إلى ذكره ، في تظنيت الذي أصله تظننت ولكنّ الياء تعلل على التثنية في لبيك مثل سعديك وحنانيك .

والذي أراه أنّ الباء في كلمة (وربك) مشددة مثل كلمة (اللب) والأفصح فيها (وربك) بالتشديد والكسر في القسم ، وهي أخف من (وربك) ، عند الموازنة في نطق العبارتين ، فلو كانت الياء مبدلة من الباء الثانية (المتحركة) لبقيت الباء الساكنة ، واسكانها يعني إيقاف الصوت ، إذ كيف يمكن الانتقال من الساكن إلى المتحرك ، ولو حركناها بالكسر لنطقنا بها مخففة ، والنطق بها مخففة (وربك) يخرج العبارة عن لفظها الصحيح ، ولو نطقت مشددة (وربك) ما حصل الإبدال ، بل حصلت زيادة ، ولو نطقت بالتخفيف والمد بالياء المكسورة غير المشددة لبقى الثقل الناجم من المد ، ولو نطقت بالتشديد والمد لآزداد الثقل بسبب التشديد والمد ولانفتى الإبدال ، لذا أرجح بأنها لهجة من اللهجات العربية والأفصح والأخف فيها هو التشديد من غير الإبدال ، لأنّ التشديد يكون أخف في كثير من الحالات ، فالتضعيف نحو (مدّ وعدّ) أخف من (مدد وعدد) ، وردد . ولهذا يجوز أن تكون لهجة من لهجات العرب ، فقد ذكر أبو علي أن أحمد بن يحيى عدّها لهجة عمانية بقوله : ((قال أحمد : وهي عمانية)) . (٣)

إنّ هذه الظاهرة موجودة في العربية ، سببها تكرار الحرف نحو : رديت ومرّيت وفكّيت في رددت ومررت وفككت ، فتبدل لام الكلمة ياءً لكراهية التضعيف ولكنّها غير مطّردة وتعد من باب الشذوذ .

(١) سر صناعة الاعراب ٧٤٣/٢/٧٤٤ وينظر المسائل العسكرية/١١٩

(٢) العين/٣٤١/٨

(٣) المسائل العسكرية/١١٩

قال سيبويه : ((هذا باب ما شذَّ فأبدلَ مكان اللام الياءَ لكراهية التضعيف ، وليس بمُطردٍ وذلك قولك : تَسَرَّيْتُ وَتَظَنَّيْتُ ، وَتَقَصَّيْتُ مِنَ الْقِصَّةِ ، وَأَمَلَيْتُ)) .(١)

قال ابن جنى : ((فأما قولهم ((تَسَرَّيْتُ)) فيكون أيضاً من باب إبدال الياء من الراء ، وأصلها على هذا ((تَسَرَّرْتُ)) ، لأنها من ((السَّرِيَّة)) و((السُّرِّيَّة)) ((فَعْلِيَّة)) من ((السَّرِّ)) .(٢)
وقال : ((أمليت الكتاب ، إنما أصله ((أملت)) فأبدلت اللام الآخرة ياء هرباً من التضعيف ، وقد جاء القرآن باللغتين جميعاً ، قال تعالى : ((فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا))(٣) قال عزَّ اسمه : ((وَلِيُمَلِّلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ)) ((٤)) .(٥)

وقال ((أخبرنا أبو علي باسناده عن يعقوب ، قال : قال اللحياني : قَصَّيْتُ أَظْفَارِي فِي مَعْنَى قَصَّصْتُهَا ، فهذا مثل ((تَظَنَّيْتُ)) أبدلت الصاد الثالثة ياء كراهية التضعيف ... وأخبرنا أبو علي ، قال : ((قال الأصمعي وأبو عبيدة في قول العجاج : (من الرجز)

تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ

هو ((تَفَعَّل)) من الانقضاض ، وأصله ((تَقَضُّض)) فأبدلت الضاد الآخرة ياء لما ذكرت لك
أخبرنا أبو علي باسناده عن يعقوب عن ابن الاعرابي أنه أنشد : (من الطويل)
نَزورُ امرءاً أَمَّا إِلَهه فَيَتَّقِي
وَأَمَّا بفعل الصالحين فيَأْتَمِي

قال ابن الاعرابي : أراد : يَأْتَمُّ ، فأبدل الميم الثانية ياء .(٦)

يفهم مما قيل : أنَّ هذا الإبدال للحرف المضعف ياءً جائز ويجوز أن يكون لغات أو لهجات عربية نطق بها ، أو تكون لها معاني ودلالات أخر فلا إبدال فيها نحو قَصَّيْتُ من أقاصي الشيء لا من القصي .

قال ابن جنى : ((وقد يجوز عندي أن يكون ((قَصَّيْتُ)) : ((فَعَلْتُ)) من أقاصي الشيء ؛ لأنَّ أقاصيه أطرافه ، والمأخوذ من الأظفار إنما هو أطرافها أو أقاصيها ، فلا يكون في هذا بدل)) .(٧)
فضلاً عن هذا أن القرآن جاء باللغتين (تُمَلَّى) و(لِيُمَلِّل) في (أمليت) و (أملت) في التضعيف والبدل من الياء ، فهذا دليل واضح على أنَّ الظاهرة لهجية أكثر مما تكون إبدال .

(١) الكتاب / ٤ / ٤٢٤

(٢) سر صناعة الاعراب / ٢ / ٧٥٥ / ٧٥٩

(٣) الفرقان / ٥

(٤) البقرة / ٢٨٢

(٥) سر صناعة الاعراب / ٢ / ٧٥٨ - ٧٥٩

(٦) المصدر نفسه / ٢ / ٧٦٠

(٧) المصدر نفسه / ٢ / ٧٥٩

وقال ابن جنى : ((أخبرنا أبو علي باسناده عن يعقوب ، قال : ((قال ابن الاعرابي : تَلَعَّيْتُ من اللُّعَاعَةِ)) واللُّعَاعَةُ : بقلة . وأصل ((تَلَعَّيْتُ)) ((تَلَعَّعْتُ)) فابدلوا من العين الآخرة ياء كما قالوا ((تَفَضَّيْتُ)) و ((تَطَنَّيْتُ)) .(١)

إنّ هذا الذي حكاه ابن جنى عن أبي عليّ أوردّه ابن السكيت في كتابه الإبدال تحت ((باب حروف المضاعفة التي تقلب إلى ياء . قال أبو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعفة إلى الياء ، فيقولون : تَطَنَّيْتُ ، وإنّما هو تَطَنَّيْتُ .)) (٢) ويشمل هذا قلب الباء المضاعفة إلى ياء في نحو (لا وربّك) الذي هو بالأصل (لا وربّك) في رأي وفي رأي آخر أنّها لهجة ، وهو الصحيح .

(١) سر صناعة الاعراب / ٧٦٣/٢

(٢) الإبدال / ١٣٣ وينظر الصفحتين ١٣٤-١٣٥

إبدال التاء والدال (أذكر - اذكر) تاء (افتعل)

روى ابن جنى قول أبي علي في هذا الإبدال بقوله : ((قال لي أبو علي : وأجاز بعضهم وهو أبو عمر الجرمي ((اذكر)) ، لأنَّ تاء (افتعل) لا يلزم أن يجيء قبلها ذالَّ أبداً ، فأشبهت (اقتتلوا) في البيان)) . (١)

بعد ان أورد أبو علي قول أبي عمر الجرمي فسراً قوله ومال إليه ، فيقول : ((كما أظهروا ((اقتتلوا)) مع تحرك التاءين - لأنه لا يلزم أن يكون بعد تاء (افتعل) تاء أبداً نحو : (احتلم واغتلم) ، كذلك قالوا : ((اذكر)) فقلبوا التاء دالاً للتقريب ، ولم يدغموا ، لأنه لا يلزم أن يكون قبل التاء ذالَّ نحو قولهم : ((استلم ، وابتسم)) . (٢)

يبدو أن أبا عمر الجرمي وأبا علي لم يذهبا في هذه المسألة كما ذهب سيبويه إلى صحة الإدغام على الرغم من أنَّهما وافقاه على إبدال تاء (افتعل) دالاً عند مقاربتها للذال ، قال سيبويه : ((وكذلك تبدل الذال من مكان التاء أشبه الحروف بها ؛ لأنَّهما إذا كانتا في حرف واحد لزم ان لا يُبينَا إذ كانا يُدغمان منفصلين ، فكرهوا هذا الإجحاف وليكون الإدغام في حرفٍ مثله في الجهر ، وذلك قولك مدكر كقولك مُطَّم ، ومن قال مُطَّعِن قال مُدَّكر ، وقد سمعناهم يقولون ذلك ، والآخرى في القرآن ، في قوله : ((فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)) . (٣) وإنَّما منعهم من أن يقولوا مُدَّكِرٌ كما قالوا مُزدانٌ أن كلَّ واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال ، فلم يجز في الحرف الواحد إلا الإدغام)) . (٤)

يفهم من كلام سيبويه أن تاء (افتعل) عندما تقارب الذال في (اذكر) تقلب دالاً فيكون (اذكر) وان الدال تقلب دالاً فادغم الذال بالذال فيكون (اذكر) أو بالعكس تقلب الذال دالاً وتدغم الدال بالذال فيكون اللفظ (اذكر) ، فيقال : مدكر و مدكر .
قال ابن جنى : ((وقوله : - يعني أبا عثمان - والأول أجود على ما أخبرتك)) يريد أن ((اذكر)) هو الوجه تبدل الاول للثاني)) . (٥)

(١) المنصف/٢/٣٣١

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٣) الكتاب/٤/٤٦٩-٤٧٠

(٤) القمر/٥٠،٤٠،٣٢،٢٢،١٧،١٥

(٥) المنصف/٢/٣٣١

إبدال الفاء ثاءً

قال ابن جنى : ((أخبرني أبو علي قراءة عليه بإسناده إلى يعقوب ، أنَّ العربَ تقول في العطف : (قامَ زيدٌ فمَّ عمرو)) ، وكذلك قولهم : ((جَدَفَ وَجَدَثَ)) .(١)

وقال : وقرأت على أبي علي بإسناده إلى يعقوب ، قال : يقال : وهي فُروغُ الدلو وثروغها ((فالثاء اذن بدل من الفاء ؛ لأنه من التفريغ)) .(٢)

لقد ذكر ابن السكيت كثيراً من هذا الإبدال فينقل عن الكسائي و الفراء فقال : ((سمعت الكسائي يقول : ((الفوم والثوم للحنطة)) ، وقال الفراء : ((اللثام على الفم ، واللثام على الأرتبة)) .(٣) وهذا دليل على أن هناك تبادلاً بين الفاء والثاء أو ربّما يكون أحدهما الأصل والآخر فرع عليه أو هو أصل كما لاحظنا من قول الفراء .

يبدو أن هذا الإبدال واضح بين كثير من الكلمات في العربية نحو ، ثوم ، وفوم ، وثناء الدار وثناء الدار ، ((قال أبو عمرو : يقال : هو الفناء والثناء في فناء الدار)) .(٤)

وقال ابن جنى : (. والوجه أن تكون الفاء بدلاً من الثاء ؛ ولأنهم قد أجمعوا في الجمع على أجدات ولم يقولوا : أجداف ، وأما قولهم : (فناء الدار وثناءها) فأصلان ، أما فناءها فمن (فني يفنى) لانها هناك تفنى ؛ لأنك إذا تناهيت إلى أقصى حدودها ففنت . وأما ثناءها فمن (ثني يثنى) ؛ لأنها هناك أيضاً تثني عن التبساط لمجيء آخرها وانقضاء حدودها ، فإن قلت : هلا جعلت اجماعهم على أفنية بالفاء دلالة على أن الثاء في ثناء بدل من الفاء في فناء ، كما زعمت أن فاء جدف بدل من ثاء جدث لاجتماعهم على أجدات بالثاء ، فالفرق بينهما وجودنا لـ (ثناء) في الاشتقاق ما وجدناه لـ (فناء) ، ألا ترى أن الفعل يتصرف منهما جميعاً ، ولسنا نعلم لحذف الفاء تصرف جدث ، فلذلك قضينا بان الفاء بدل من الثاء)) .(٥)

أما الفاء في كلمة (فومها) في قوله تعالى : ((فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها))(٦) فاختلف فيها ، أهي بدل من الثاء أم أصلية في الكلمة قال الكسائي : ((هو الثوم ابدل من الثاء فاء كما قالوا جدث وجدف))(٧) وقد ردّه الزجاج بقوله : ((هذا بعيد لانه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم ؛ لأن القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم و لا يطلبون الخبز .

(١) سر صناعة الاعراب / ٢٤٨/١ وينظر الإبدال / ١٢٥-١٢٧

(٢) المصدر نفسه / ١٧٣/١ وينظر الإبدال / ١٢٧

(٣) الإبدال / ١٢٦-١٢٧

(٤) المصدر نفسه / ١٢٥

(٥) سر صناعة الاعراب / ٢٤٨/١

(٦) البقرة / ٦١

(٧) مجمع البيان / ١٢٢/١

الذي هو الأصل ٠)) (١) في حين مال الطبرسي إلى رأي الكسائي بقوله : ((هذا ضعيف لأنه قد روى في الشواذ عن ابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهما - ((وثومها)) بالثاء)) . (٢) إنَّ الفاء أصلية والكلمة هي (الفوم) وليست (الثوم) يدعمه ما روى عن ابن عباس وقادة والسدي ٠ إنَّ (الفوم) هو (الحنطة) ٠ وأنشد ابن عباس قول أحيحة بن الجلاح : (من الكامل)
قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا
وَرَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومٍ ٠ (٣)
وقول الفراء : ((إنَّ القوم فيما ذكر لغة قديمة وهي الحنطة والخبز جميعاً قد ذُكرا ، قال بعضهم : سمعنا العرب من أهل هذه اللغة يقولون ، فوموا لنا بالتشديد لا غير ، يريدون اختيزوا)) . (٤)
وقول ابن منظور : (((الفوم) : الزرع أو الحنطة وأزد السُّراة يسمون السنبل فوما ، الواحدة فومة)) . (٥)

الظاهر أنَّ (الفوم) سنابل الحنطة أو الخبز ، استعمال لغوي قديم في لغة أزد السُّراة ، فالكلمة عربية لها أصل في الاستعمال اللغوي بهذا المعنى ، اذن تحقق في الاستعمال القرآني بمعنى الحنطة ولا إبدال بين الفاء والثناء ، فهي أصل في (فوم) بالفاء لا بالثناء ٠
قال ابن جني : ((إنَّ (الفوم) الحنطة وما يختبز من الحبوب ، يقال : فومت الخبز ، أي : خبزته ، وليست الفاء على هذا بدلاً من الثاء)) . (٦)

يتضح من هذه الآراء اللغوية أنَّ كلمة (فوم) تعني الحنطة أو سنابلها ؛ لأنها مستعملة في لهجات العرب القديمة فلا إبدال فيها بين الثاء والفاء ، وإنما وضعت أصلاً على الفاء ، واستعملها القرآن الكريم على أنها الحنطة أو الحبوب أو الخبز أو السنابل ٠ والله اعلم ٠

إبدال القاف كافاً

قال ابن جني : ((أخبرني أبو علي : قراءة عليه ، عن أبي بكر ، عن بعض أصحاب يعقوب ، عنه ، قال : قال الفراء : قريش تقول : كُشِطَتْ وقيس وتميم تقول : قُشِطَتْ بالقاف وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف ؛ لأنَّهما لغتان لأقوام مختلفين ٠ فأما ما حكاه الأصمعي من قولهم : امتكَّ الفصيل ، ما في ضرع أمه وامتقَّ ، وتمقَّق وتمكَّ : إذا شربه كلُّه ، فالأظهر فيه أنَّ تكون القاف بدلاً من الكاف ؛ لما ذهب إليه أبو علي ؛ لأنه قال : من هذا أخذ اسم مكة ، لأنَّها كالمجرى للماء ، فهو يجذب إليها ٠ قال : فأما موضع الطواف ، فهو بكَّة ، بالياء ، لأنه من الازدحام)) . (٧)

(١) ينظر معاني القرآن واعرابه للزجاج / ١٣٠/١ ، مجمع البيان / ١٢٢/١

(٢) مجمع البيان / ١٢٢/١

(٣) ينظر مجمع البيان / ١٢٢/١

(٤) معاني القرآن للفراء / ٤١/١

(٥) لسان العرب / مادة فوم

(٦) سر صناعة الاعراب / ٢٥١/١

(٧) المصدر نفسه / ٢٧٧/١ - ٢٧٨

لقد وردَ هذا في كتاب الإبدال لابن السكيت وغيره من إبدال بين القاف والكاف ولكن التكملة عنده في كَشَطَتْ وقَشَطَتْ ، : ((وفي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : (قَشَطَتْ) بِالْقَافِ)) .(١)

الظاهر أن سببَ هذا الإبدال تقاربُ الحرفين في المخرج ، قال سيبويه : ((ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه الحنك الأعلى مُخْرَجُ الكاف)) .(٢)

وقال الفراء في قوله تعالى : ((وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ)) (٣) : ((قراءة عبد الله : ((قَشِطَتْ)))) بالقاف ، وهما لغتان ، والعرب تقول : القافور والكافور ، والقف والكف - إذا تقاربَ الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات : كما يقال : جدف وجدث ، تعاقبت الفاء والثاء في كثير من الكلام)) .(٤)

يبدو أن الفراء لم يخص كلمة (كَشَطَتْ) بلغة قريش ولا (قَشَطَتْ) بلغة تميم وأسد ، في كتابه معاني القرآن ، وربما سمع عنه وسجله ابن السكيت ثم قراءة ابن جني على أبي علي ، عن أبي بكر عن أصحاب ابن السكيت . ومهما يكن من الأمر فإنَّ الإبدال بين القاف والكاف واردٌ في لغة العرب لتقارب مخرجيهما .

إبدال الظاء ذالاً

قال ابن جني : وقرأت على أبي علي ، عن أبي بكر ، عن بعض أصحاب يعقوب عنه ، قال : ((يقال : تركته وقيذاً ووقيظاً)) .(٥)

الظاهر أن الذال هي الأصل والظاء مبدلة منه بدليل قوله تعالى ((وَالْمَوْقُودَةُ)) (٦) وهي الشاة التي تضرب بخشبة حتى تموت ، فهذه محرم أكلها في ضوء آية التحريم الثالثة من سورة المائدة .

قال ابن جني : ((والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلاً من الذال لقوله عزَّ اسمه : ((وَالْمَوْقُودَةُ)) بالذال ولقولهم : وقذه يقذه ، ولم أسمع وقظه ، ولا موقوذة فالذال إذن أعمُّ تصرفاً ، فذلك قضينا بأنها هي الأصل)) .(٧)

فضلاً عن ذلك أن هذا الإبدال قليلٌ في العربية ، لم يذكره ابن السكيت بل ذكر الإبدال بين الذال والذال .(٨)

(١) الإبدال لابن السكيت ١١٣-١١٤

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣

(٣) التكوير ١١

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/٢٤١

(٥) سر صناعة الاعراب ١/٢٢٨ وينظر الإبدال ٤/١٤٤

(٦) المائدة ٣

(٧) سر صناعة الاعراب ١/٢٢٨

(٨) ينظر الإبدال ١٤٠/

إبدال الخاء حاءً

قال ابن جنبي : ((قرأت على أبي علي ، عن أبي بكر ، عن بعض أصحاب يعقوب ، عن يعقوب ، من أن أبا زيد قال : ((يقال : خصَّ الجرحُ يخصُّ حُموصاً ، وحمصٌ يحمصُ حُموصاً ، وانحمصُ انحصاصاً . قال أبو علي : وانحصص انحصاصاً .)) (١) إذا ذهبَ ورمهُ. (٢) لقد ذكر ابن السكيت هذا وغيره من الإبدال نحو : هو يتخوفُ مالي ويتخوفُهُ أي يتنقصه ، ويأخذ من أطرافه قال الله تعالى : ((أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ)) (٣) أي تنقص ، وقد قرئ ((إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)) (٤) و(سبخاً) ، وقرأها يحيى بن يعمر : سبخاً ((٥)) (٦) .
أمَّا الفراء فقد عدَّ مبنى (سبخا وسبخاً) واحداً في الاتساع ، وكذلك يتخوف ويتحوف في معنى واحد هو التنقص . بقوله : ((جاء التفسير بأنه التنقص . والعرب تقول : تحوفته بالحاء : تنقصته من حافته ، فهذا الذي سمعت . وقد أتى التفسير بالحاء وهو معنى . ومثله ممَّا قرئ بوجهين قوله ((إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)) و(سبخاً) بالحاء والحاء . والسبخ : السعة . وسمعت العرب تقول : سبخي صوفك وهو شبيه بالندف ، والسبخ نحو ذلك وكلُّ صواب بحمد الله .)) (٧) وفي مكان آخر من معانيه ورد : ((حضر أبو زياد الكلابي مجلس الفراء في هذا اليوم ، فسأله عن هذا الحرف فقال : أهل باديتنا يقولون : اللهم سبخ عنه للمريض والملسوع ونحوه)) (٨) .
يتضح مما أورده الفراء من أن هناك إبدالاً بين الخاء والحاء ؛ لأنهما من مخرج واحد وهو الحلق : قال سيبويه : ((ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء وأدناها مخرجاً من الفم : الغين والحاء)) (٩) فالتقارب بالصورة ولد هذا الإبدال وأن قول أبي زياد الكلابي دليل على أن العرب قد سُمع منهم (سبخ وسبخ) بل إن (سبخ) أكثر استعمالاً في باديتهم . ثم إن المعنى واحد هو التوسعة .
أمَّا في ضوء (انحصص وانحصص) إذا ذهب ورمه ، فإن أبا علي لا يعد فيها إبدالاً بين الحاء والحاء ، وكل حرف منهما أصلٌ بدليل معنيهما بقوله : ((انحصص انحصاصاً ... فلا يكون الحاء فيه بدلاً من الخاء ، ولا الخاء بدلاً من الحاء ، الا ترى أن كل واحد من المثالين يتصرف في الكلام تصرف صاحبه فليست لاحدهما مزية في التصرف والعموم في الاستعمال يكون بها أصلاً ليست لصاحبه . ومع هذا فأنك تجد لكل منهما وجهاً يحقق له حرفه ، وذلك أن خص بالحاء من الشيء

(١) سر صناعة الاعراب/١/١٨٣ وينظر الإبدال/٩٩

(٢) الإبدال/٩٩

(٣) النحل/٤٧

(٤) المزمّل/٦

(٥) ينظر مختصر في شواذ القراءات/١٦٤

(٦) الإبدال/١٠٠

(٧) معاني القرآن/١٠١/٢-١٠٢

(٨) المصدر نفسه/١٩٧/٣

(٩) الكتاب/٤/٤٣٣

الخميص : الضامر ، وهذا واضح ؛ لأنَّ الجرح إذا ذهب ورمه فهو فيه كخمص البطن ، وأمَّا انحصص بالحاء فهو من الحمص ؛ ألا ترى أنَّ الحمصة صغيرة مجتمعة ضامرة ، فهذا يشهد بأنَّ الحرفين أصلان ، وأنه ليس أحدهما أصلاً لصاحبه ، ولا بدلاً منه ((١)).

فالمعنى الذي يتصرف فيه (الحمص) بعيدٌ بعض الشيء من المعنى الذي يتصرف فيه الخمص هو الذي جعل أبا علي يذهب إلى أنَّهما أصلان ، أنَّ الضمور والصغر هما في المعنى متقاربان ففيهما اشتراك دلالي وليس ابدال .

إبدال اللام نوناً

قال ابن جني : ((أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب عن يعقوب قال : يقال : هتلت السماء تهتل تهتالاً ، وهتنت تهتن تهتاناً ، وسحائب هتل وهتن ، وهو تتابع المطر وعظم القطر ، وديمة هطلاع ، ولا يقال سحاب أهطل)) (٢).

يبدو أنَّ الإبدال في (هتل وهتن) الذي حصل بين اللام والنون إبدال مطرد كما أشار ابن السكيت فيما رواه أبو علي ، لكنَّ سيبويه يعدّه قليل في العربية بقوله : ((وقد أبدلوا اللام من النون ، وذلك قليلاً جداً ، قالوا : أُصَيِّلٌ ، وإنما هو أُصَيِّلان)) (٣).

وقد حصل هذا الإبدال لقرب المخرجين ؛ لأنَّ مخرج اللام قريب من مخرج النون . قال سيبويه : ((ومن مخرج النون غير أنه ادخل في ظهر اللسان قليلاً لانهرافه إلى اللام)) (٤).

إبدال الطاء تاءً

يفهم من كلام ابن السكيت الذي رواه أبو علي : ((سحائب هتل وهتن وهو تتابع المطر... وديمة هطلاع ، ولا يقال سحاب أهطل)) أنَّ هناك ابدالاً بين الطاء والتاء في (هتل وهتل) . وقد ذكر في كتابه (الإبدال) هذا اللفظ وغيره نحو : الاقطار والاقطار ، وطبن وتبن ، وما استطيع وما استتيع (٥).

يبدو أنَّ الإبدال بين الطاء والتاء جائز ؛ لأنَّهما من مخرج واحد فتقارب المخرج يؤدي إلى تقارب الصوت . قال سيبويه : ((ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرجُ الطاء ، والبدال ، والتاء)) (٦).

(١) سر صناعة الاعراب / ١٨٣/١ - ١٨٤

(٢) الفسر / ٢٩٦/١

(٣) الكتاب / ٤ / ٢٤٠

(٤) المصدر نفسه / ٤ / ٤٣٣

(٥) ينظر الإبدال / ١٢٩

(٦) الكتاب / ٤ / ٤٣٣

الإبدال بين الضاد والشين التقطت النوى واشتقته واضتقته

قال ابن جني فيما أخبره به أبو علي حكاية عن خلف الأحمر الراوية من قول بعضهم : ((التقطت النوى واشتقته واضتقته ، فقد يجوز أن تكون الضاد بدلاً من الشين في اشتقته .))(١) يبدو أن هذا جاء نتيجة لاشتراك الحرفين بصفة واحدة وهي الرخاوة ، لأن الشين والضاد من الحروف الرخوة ، قال سيبويه : ((ومنها (الرخوة) وهي : الهاء ، والحاء ، والغين ، والحاء ، والشين ، والصاد ، والضاد)).(٢)

وإن هذا الإبدال قليل في العربية ونادر لأن ابن السكيت لم يذكره في كتابه الإبدال ، بل ذكر الإبدال بين السين والشين ، لأنهما من الحروف المهموسة .(٣)

إبدال الشين سينا

قال ابن جني : ((وقرأت على أبي علي ، عن أبي بكر ، عن بعض أصحاب يعقوب ، عن يعقوب قال : قال الاصمعي : ((يقال : جُعشوش وجُعسوس ، وكل ذلك الى قماء وصغر وقلة ، ويقال : هم من جعاسيس الناس ، ولا يقال بالشين في هذا)).(٤)

لقد ذكر ابن السكيت هذه الالفاظ وغيرها في كتابه الإبدال ، وقال ابدالاً في ألفاظ أخر نحو ((عطس فلان فسمته وشمته ... ويقال : غَبَسٌ وَغَبَشٌ : للسواد ، ... ويقال : أتيتَه بِسُدْفَةٍ مِنَ اللَّيْلِ وَشُدْفَةٍ ... وَهُوَ السَّدْفُ وَالشَّدْفُ)).(٥)

يبدو أن هذا الإبدال بين هذين الحرفين جائز لاتفاقهما بصفة واحدة وهي الهمس ، لأنهما من الحروف المهموسة هذا جانب أما الجانب الآخر ، فربما يكون مردّه إلى اختلاف النطق في اللهجات العربية.

(١)الخصائص /٢/ ٣٤٩

(٢)الكتاب /٤/ ٤٣٤-٤٣٥

(٣)ينظر الكتاب /٤/ ٤٣٤ والإبدال /٩/ ١٠٩

(٤)سر صناعة الاعراب/١/ ٢٠٥

(٥)الإبدال/٩/ ١٠٩

الإشمام

هو إسكان الحرف مع حركة الشفتين وميلهما نحو الضم للعين رؤية لا للأذن سمعاً ، لأن البصير لا يرى تلك الحركة نحو (لايؤرقني) (هذا خالد) فاسكان القاف والدادال هو اشمام حركتها الى الضم ، لأنّ الإشمام لا يحدث إلا في المرفوع والمضموم .

قال سيبويه : ((وأما الإشمام ... إنما كان ذا في الرفع لأنّ الضمة من الواو ، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثمّ تضمّ شفتيك ، لأنّ ضمّك شفتيك كتحرريك بعض جسدك ، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن ألا ترى أنّك لو قلت (هذا معن) فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تُشمّم ، فأنت قد تقدر على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت ثمّ تضمّ شفتيك ، ولا تقدر على أن تفعل ذلك ثمّ تحرك موضع الألف والياء)). (١)

والإشمام هو إرادة التفريق بين ما يلزمه التحريك في الوصل وما يلزمه الإسكان في التحريك وغيره . وعلامته نقطة نحو قولك : هذا خالد. (٢)

وهو ظاهرة حركية لجهاز النطق تحدث عند وقف المرفوع والمضموم ، ولا تحدث عند الحرف الذي هو في موضع نصب أو جرّ وإنما عنده تروم الحركة وتضاعف ، والإشمام لا سبيل إليه . (٣)

قال أبو حيان : ((وهو مختص بالمضموم سواءً أكانت ضمة بناء أم غيرها ، وما روى عن الكسائي أنّه يعجبه أن يشمّ آخر الحرف الرفع والخفض في الوقف ، وعن أبي عمرو أنّه قرأ ((فأوقف)) بأشمام الجر ، وعن عاصم أنّه يشير إلى إعراب الحرف عند الوقف ينبغي أن يحمل ذلك الروم)). (٤)

أما سبب حدوث الإشمام مع الضم ، فقد علله ابن الباذش بعدم وجود إشارة لموضع الفتح والكسر . كما هو الحال في الضمّ ؛ لأنّ الفتحة من الحلق والكسرة من وسط الفم فلا نستطيع الإشارة لموضعها ، في حين الضمة من الشفتين ، فيمكن الإشارة لموضعها ، ولهذا فإنّ النصب والجرّ لا آلة لإشمامهما . (٥)

في أغلب الاحوال يكون الإشمام في الوقف ، ويحدث أيضاً في الوصل هذا ما ذهب إليه أبو عمرو الداني بقوله : ((وأما المشمّ من الحروف في حال الوصل أو الوقف فحقه أن يخلص سكون الحرف ثم يومي بالعضو ، وهما الشفتان ، إلى حركته ليبدل بذلك عليها من غير صوت خارج إلى اللفظ)). (٦)

(١) الكتاب ١٧١/٤ وينظر التحديد في الاتقان والتجديد ٩٨-٩٩

(٢) ينظر المصدر نفسه ١٦٨/٤-١٦٩

(٣) ينظر المصدر نفسه ١٦٨/٤-١٧١

(٤) ارتشاف الضرب من لسان العرب ٣٩٧/١

(٥) ينظر الاقتناع في القراءات السبع ٥٠٥/١

(٦) التحديد في الاتقان والتجويد ٩٨

فالاشمام يحدث عند الوقف أو الوصل ويختص بالضمة دون الفتحة والكسرة . أمّا في فعل نحو (قُول ، وخُوف ، بيع - وزين) فهي (قال ، وخاف ، باع ، وزان) وفي هذا ينحى بالفتحة والكسرة نحو الضمة كي يحدث هذا الاشمام حتى ترى حركة العضو للعين الناظرة . قال سيبويه : ((وأما من ضمَّ بإشمامٍ إذا قال : فَعَلَ فَإِنَّهُ يَقُولُ : قَدْ بَعْنَا وَقَدْ رُعِنَ وَقَدْ زُدْتُ . وكذلك جميع هذا يميلُ الفاءُ لِيُعْلَمَ أَنَّ الْيَاءَ قَدْ حَذَفَتْ فِيضَمُّ ، وَأَمَّا كَمَا ضُمُّوا وَبَعْدَهَا الْيَاءُ ، لِأَنَّهُ أُبَيِّنُ لِفَعْلٍ)) . (١)

وقال أبو عمرو الداني : ((فاما الاشمام في قوله : (قيل ، وسيء ، ونظائرهما) على مذهب من أشمَّ أوَّلَهُ الضَّمُّ دلالة على الأصل ، فحقه أن يُنحَى بكسرة فاء الفعل المنقولة من عينه نحو الضمة ، كما يُنحَى بالفتحة من قوله : (مِنْ النَّارِ) و (مِنْ نَهَارِ) وشبههما ، إذا أريدت الإمالئة المحضة نحو الكسرة ، فكَذَلِكَ يُنحَى بالكسرة إذا أريد الإشمامُ نحو الضمة ، لأنَّ ذلك كالممال سواء وهذا الذي لا يجوز غيره عند العلماء من القراء والنحويين)) . (٢)

إنَّ أصل هذه الالفاظ عند ابن جني (قُول ، خُوف ، بِيْع) على وزن فَعَلَ كما أشار ذلك سيبويه ، ولكنهم لما أعلوا العين قلبوها إلى ألف ، وكسرتها نقلوها إلى الفاء فانقلبت العين ياءً لا تكسار ما قبلها وبقيت العين بحالها ياء في (بيع) فصار ، خيف ، وبيع ، وقيل . (٣) وفي ضوء هذا يحدث الإشمام بالجمع بين الضمة والكسرة ، فتصبح حركة الفاء بين الضمة والكسرة .

قال ابن جني : ((وأما من أشمَّ فَإِنَّهُ أراد البيان . وقد كان في الفاء ضمة فأراد أن يَنْقُلَ إليها كسرة العين فلم يُمكنه أن يجمع في الفاء الكسرة والضمة ، فأشمَّ الكسرة ، فصارت الحركة في الفاء بين الضمة والكسرة بمنزلة الحركة في (كافرٍ ، وجابرٍ) لأنها بين الفتحة والكسرة)) . (٤) وقد سمع ابن جني عن شيخه أبي علي هذا الاشمام في (فَعَلَ) المضعف فقد قال : (وقال لي أبو علي : إنهم يُتشدون بيت الفرزدق على ثلاثة أوجه : (من الطويل)

وما حُلَّ من جهلٍ حُبى حُلْمائنا ولا قائلُ المعروفِ فينا يُعَنَّفُ
(حُلَّ ، وحِلَّ ، و حُلِّ) فمن قال : (حُلَّ) فَضَمَّ الحاء فهو في الكثرة بمنزلة مَنْ قال : (قيل) فَكَسَرَ
ومن كسر الحاء فقال : (حِلَّ) فهو بمنزلة من أخلَص الضمة فقال (بُوْعَ وقُول) ، ومن أشمَّ فقال (حُلَّ) فهو بمنزلة من اشمَّ ايضاً فقال (قِيل))) . (٥)

(١) الكتاب ٣٤٣/٤

(٢) التحديد في الاتقان والتجويد ٩٩

(٣) ينظر المنصف ٢٤٩/١

(٤) المصدر نفسه ٢٤٩/١

(٥) المصدر نفسه ٢٥٠/١

وقد أشار سيبويه إلى الفعل المضعف في مثل (رُدّ) وأنه قال فيه قوم إمالةً ، في حين أن الإشمام عنده في أُغْزِي . بقوله : ((وقد قال قوم : قد رُدّ ، فأمالوا الفاء ليعلموا أنّ بعد الرّاء كسرة قد ذهبت ، كما قالوا للمرأة أُغْزِي ، فاشمّوا الزاي ليعلموا أنّ هذه الزاي أصلها الضم ، وكذلك لم تدعِي . ولم يضمّوا فتقلب الياء واواً فيلتبس بجمع القوم ولم تكن لتضم والياء بعدها لكراهية الضمة وبعدها الياء ، اذ قدروا على أنّ يشمّوا الضم . فالياء تقلب الضمة كسرةً كما تقلب الواو في لية ونحوها . وإمّا قالوا قيل من قبل أنّ القاف ليس قبلها كلام فيشمّوا)) .(١)

وفي ضوء هذا يتبين أن أبا علي قد خالف سيبويه في اشمام (قيل) وعدها بمنزلة (حُلّ) أي إشمام المضعف ، في حين سيبويه عنده لا يشمّوا في قيل ؛ لأنّ القاف ليس قبلها كلام حتى يحدث إشمام فيها .

وفي قول الراجز ولا سيما في كلمة يُورَقْنِي إشمام القاف :

متى أنام لا يُورَقْنِي الكري
ليلاً ولا أسمع أجراس المطى
أشار سيبويه إلى أنه سمع ((من العرب من يُشِمُّه الرَفَع ، كأنه يقول : متى أنام غير مُورَق)) .(٢)

ويعلل ابن جني الحركة عند الإشمام ؛ لأنه يؤثر في وزن الرجز بقوله : ((ومعلوم أنّ هذا الإشمام إنّما هو للعين لا للأذن ، وليست هناك حركة البتة ، ولو كانت فيه حركة لكسرت الوزن ؛ ألا ترى أنّ الوزن من الرجز ، ولو اعتدت القاف متحركة لصار من الكامل)) .(٣)

فالإشمام حركة الشفتين نحو الضمّ من دون حسّ للأذن وإمّا حركة للعين فقط وقد أشير إليه في كتب النحو و اللغة وقرآء القرآن قبل أبي علي الفارسي . قال : ابن جني : ((وقرأ القراء : ((وسيق الذين كفروا))(٤) و ((غيض الماء))(٥) و ((وسيت وجوه))(٦) و نحو ذلك)) .(٧)

التقاء الساكنين

إذا تجاور حرفان أو كلمتان وكان الحرفان الأول والثاني ساكنين ، فيكسر أولهما ، هذا رأي جمهور النحويين للتخلص من التقاء الساكنين .(٨) ، وعلة ذلك ، ميل اللغة إلى تخفيف نقل الساكنين ، فالقضية صوتية محضة يراد بها تسهيل النطق بالحرفين اساكنين المتجاورين ؛ لأنّ السكون قطع

(١) الكتاب/٤/٢٣٤

(٢) المصدر نفسه /٣/٩٥

(٣) الخصائص /١/٧٣

(٤) الزمر/٧١

(٥) هود/٤٤

(٦) الملك/٢٧

(٧) المنصف /١/٢٥٠

(٨) ينظر التكملة /٤/١٦٤

للنطق ، فكيف إذا كرر فيزداد الصوت ثقلاً وقطعاً . (فراهم قد أجمعوا على أن الأصل الكثير الشيوخ في التخلص من التقاء الساكنين إنما يكون بالكسر، فإذا كان الساكن الأول ميماً أو واواً مالت إلى الضم ، وإذا كان نوناً يليها لام مالت إلى الفتح).(١)

قال سيبويه : ((وإنما حذفوا الف الوصل ها هنا بعد الساكن لأن من كلامهم أن يُحذف وهو بعد غير الساكن ، فلما كان ذلك من كلامهم حذفوها هنا وجعلوا التحرك للساكنة الأولى ، حيث لم يكن ليَلْتَقِيَ ساكنان . . . فجملة هذا الباب في التحرك أن يكون الساكن الأول مكسوراً ، وذلك قولك : اضْرِبْ ابْنَكَ ، وأَكْرِمِ الرَّجُلَ . . . وقال الله تبارك وتعالى : ((قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ))(٢) فضموا الساكن حيث حرّكوه كما ضموا الألف في الابتداء . وكرهوا الكسر هنا كما كرهوه في الألف . . . وقد كسر قومٌ فقالوا : ((قُلْ أَنْظَرُوا)) وأجرّوه على الباب الأول ولم يجعلوها كالألف ، ولكنهم جعلوها كآخر جَيْرٍ . . . والفتح في حرفين . واحدهما قوله عزّ وجلّ : ((أَلَمْ نَكُنْ مِنْ آيَاتِنَا نَارًا كَاتِبَةً))(٣) لما كان من كلامهم أن يفتحوا لالتقاء الساكنين فتحوا هذا . . . ونظير ذلك قولهم : مِنْ اللَّهِ ، وَمِنَ الرَّسُولِ ، وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَمَّا كَثُرَتْ فِي كَلَامِهِمْ وَلَمْ تَكُنْ فِعْلًا وَكَانَ الْفَتْحُ أَخْفَ عَلَيْهِمْ فَتَحُوا ، وَشَبَّهَهَا بِأَيِّنْ وَكَيْفَ))(٤).

في ضوء هذا يعرض ابن جني سؤالاً ويجب عنه بما حصله عن شيخه أبي علي وقت قراءة كتاب سيبويه عليه ، بقوله : ((فان سأل سائل ، فقال : من أين جاز أن تفتح الدال في لَدَنْ ، وانما هي لَدَنْ نحو قوله تعالى : ((مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ))(٥) و ((قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا))(٦) و ((مِنْ لَدُنْهُ))(٧) وغير ذلك مما يطول ذكره حتى لَمَّا اختلفت حركات الدال قبل النون اشبهت التثوين ، فنصب ما بعدها تشبيهاً بالمفعول ؟ فالجواب : أن الفتح في لَدَنْ إنما جاءت من قبل أنهم أسكنوا الدال في لَدَنْ استتقالاً للضمة فيها كما يسكن ضاد عَضُدٍ وياء سَبْعٍ ، فيقال : عَضُدٌ وَسَبْعٌ ، فلما سكنت الدال ، وكانت النون بعدها ساكنة التقى ساكنان . ففتحت الدال لالتقائهما ، وشبهت من طريق اللفظ بنحو قولك في الأمر والنهي : اضْرِبْ زَيْدًا ، ولا تضربن عمراً ، وهكذا حصلت عن أبي علي وقت قراءة الكتاب عليه))(٨).

(١) من اسرار اللغة / ٢٥٢

(٢) يونس / ١٠١

(٣) ال عمران / ١ ، ٢

(٤) الكتاب / ٤ / ١٥٢-١٥٣-١٥٤

(٥) النمل / ٦

(٦) الكهف / ٧٦

(٧) النساء / ٤٠

(٨) سر صناعة الاعراب / ٢ / ٥٤٥-٥٤٦

قال سيبويه : ((قال : لداً غدوةً كأنه أسكن الدال ثم فتحها . كما قال : اضربن زيدا ، ففتح الباء لما جاء بالنون الخفيفة)) .(١)

الظاهر أن سيبويه تطرق إلى هذا قبلهما وذهب إلى أن الحرف قبل النون الساكن أو التنوين يمال به إلى الفتح استئقلاً لالتقاء الساكنين .

أمّا أبو علي فقد ذهب إلى أنه يمتنع الإدغام في كلمة (لُدني) لحذف نون الضمير عند اتصالها بنون (لُدن) الساكنة ، والدال ساكنة أيضاً لالتقاء الحركة عنها ، وهذا الحذف لالتقاء الساكنين هما الدال الساكنة ، ونون (لُدن) ، فان ادغمت ولم تحذف لزمك أن تحرك الدال لئلا يلتقي ساكنان فتصبح (لُدني) لأنها عنده القياس ، بقوله : ((من قال : ((من لُدني) زاد النون التي تزداد مع علامة المضمر المجرور والمنصوب في نحو : (مني وعني ، وقطني ، وضربني) فادغم الأولى الساكنة في التي تزداد مع الضمير ، فصار (لُدني) وهذا هو القياس والذي عليه الاستعمال)) .(٢)

وبقوله : ((والنون التي تتبع علامة الضمير تحذف إذا سكنت الدال ؛ لأنّ الدال قد سكنت بإلقاء الحركة منها ، والنون من (لُدن) ساكنة ، فتحذف النون ؛ لأنّ إدغام الأولى منها لا يصلح لسكون ما قبلها من الدال فيصير (لُدني أو لُدني) فيحذف لالتقاء الساكنين ، أحدهما الدال المسكنة والآخر نون لُدن ، فإن ادغمت ولم تحذف لزمك أن تحرك الدال لئلا يلتقي ساكنان ، فيصير في الامتناع للإدغام بمنزلة امتناعه في قرم مالك ، في تحريك الساكن في المنفصل ، وهذا ممتنع ، فلما لم يسغ ذلك حذف لالتقاء الساكنين إذ قد حذفت لالتقائهما في نحو : لُد الصلاة ولُد الحائط)) .(٣)

يريد بذلك حذف النون ، فأصل الكلام (لُدني الصلاة ، ولُدني الحائط) فحذف النون من لُدن لالتقاء الساكنين و للتخفيف من التقاء الدال الساكنة في (لُدن) ، والنون ساكنة أيضاً عند الالتقاء مع النون التي تتبع علامة الضمير في (لُدني) فتصبح في التخفيف (لُد الصلاة) و (لُد الحائط) . والله اعلم .

وفي مسألة لغوية أخرى قرر أبو علي حذف واو الجمع لالتقاء الساكنين في قراءة قوله تعالى : ((إِلَّا مَنْ هُوَ صَالُ الْجَحِيمِ)) (٤) في قراءة الحسن .(٥)

(١)الكتاب/١/٢١٠

(٢)الحجة في القراءات السبعة /٣/٩٦ وينظر المسائل الشيرازيات /٨٥-٨٧

(٣)المصدر نفسه والجزء /٩٧

(٤)الصافات /١٦٣

(٥)ينظر المحتسب /١/١٩١

قال ابن جني : ((حدثنا بذلك أبو علي وذهب... إلى أنه يجوز أن يكون أراد (إلا من هو
صالون الجحيم) فحذف النون للإضافة ، وحذف الواو التي هي علم الجمع لفظاً لالتقاء الساكنين ،
واستعمل لفظ الجمع حملاً على المعنى دون اللفظ)).(١)

إن هذه الظاهرة الصوتية مستعملة عند العرب ، وقد أشار إليها سيبويه اعتماداً على زعم الخليل
— رحمه الله — بقوله : ((هذا باب ما يضم من السواكن إذا حذفت بعد ألف الوصل وذلك الحرف
الواو التي هي علامة الإضمار إذا كان ما قبلها مفتوحاً وذلك قوله عز وجل : ((ولا تنسوا الفضلَ
بيتكم) (٢) ورموا ابنك ، وأخشوا الله . فزعم الخليل أنهم جعلوا حركة الواو منها ليفصل بينها
وبين الواو التي من نفس الحرف ، نحو واو لو و أو ... ومثل هذه الواو واو مُصْطَفُونَ ؛ لأنها واو
زائدة لحقت للجمع كما لحقت واو أخشوا لعلاقة الجمع ، وحذفت من الاسم ما حذفت واو أخشوا ،
فهذه في الاسم كتلك في الفعل)).(٣)

(١)المحتسب/١/١٩١

(٢)البقرة /٢٣٧

(٣)الكتاب /٤/١٥٥-١٥٦

القلب المكاني

يرد لفظان في العربية فيهما تبادل بالاصوات في تقديم بعض الحروف الأصلية وتأخيرها مثل جذب و جذب ، وئس وأيس ، ويحدث هذا تسهيلاً للفظ أو في ضوء الفطرة اللغوية (فالظاهر أنه يحدث في الغالب اعتباطاً ، أي دون قاعدة محددة يسير عليها ، سوى الرغبة في تخفيف اللفظ ، فالناطق بفطرته يميل إلى السهولة في الكلام ، فيقدم بعض أصوات الكلمة ويؤخر أخرى)). (١)

وهو ظاهرة لهجية ؛ لأنه يحدث في لفظين حروفهما أصلية إلا أن أحد هذه الحروف يختلف موضعه فيهما ، وهذا يشير إلى أنه حدث فيه قلب مكاني . (٢) فعلينا أن نتحرى أيهما الأصل وأيها الفرع . قال سيبويه : ((وأما جَذَبْتُ وجَبَدْتُ ونحوه فليس فيه قلب ، وكل واحدٍ منهما على حدِّته ، لأنَّ ذلك يطرُدُ فيهما في كل معنَى ويتصرَّفُ الفعل فيه)) . (٣)

قال ابن جني : ((اعلم أن كلَّ لفظين وُجِدَ فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعاً أصليين ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره . وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ، ثم أريت أيهما الأصل ، وأيها الفرع)) . (٤)

ثم بين الوجوه التي يعرف بها اللفظ الأصل واللفظ الفرع فأول هذه الوجوه عنده (٥) (التركيبان الأصلان) و (التصرف الواحد) بقوله : ((فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم : جَذَبَ ، وجَبَدَ ؛ ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه . وذلك أنَّهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً ؛ نحو جذب يجذب جذباً فهو جاذب ، والمفعول مجذوب ، وجَبَدَ يجبُدُ جبْدًا فهو جابذ ، والمفعول مجبوذ . فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلاً لصاحبه فسد ذلك)) . (٦)

ثاني هذه الوجوه (أوسعهما تصرفاً يكون أصلاً لصاحبيه) . بقوله : ((فإن قصر أحدهما عن تصرف صاحبه ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفاً أصلاً لصاحبه . وذلك كقولهم أتى الشيء يأتى وأن يئى . فإن مقلوب عن أتى . والدليل على ذلك وجودك مصدر أتى يأتى وهو الإتى ، ولا تجد لأن مصدرًا)) . (٧)

أما الثالث فهو الصحة مع وجود الإعلال ، في نحو قولهم (أيستُ من كذا) مقلوب من (يئست) بقوله : ((فعندي أنه لو لم يكن مقلوباً لوجب إعلاله ؛ وأن يقول : إستُ آس ، كهبتُ أهاب . فظهوره

(١) الدراسات اللغوية عند العرب / ٤٠٦

(٢) ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني / ١٩٠

(٣) الكتاب / ٤ / ٣٨١

(٤) الخصائص / ٢ / ٦٩

(٥) ينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني / ١٩٠

(٦) الخصائص / ٢ / ٦٩ - ٧٠

(٧) المصدر نفسه والجزء / ٧٠

صحيحاً يدلُّ على أنه إنما صحَّ لآئه مقلوب عما تصحَّ عينه وهو (يئست) لتكون الصحة دليلاً على ذلك المعنى)) (١).

وفي ضوء هذا التحليل الوارد من ابن جني، فقد ذكر قول أبي علي في القلب بين لفظتي (أيست ويئست) في الوجه الثاني الذي هو (أوسعهما تصرفاً أصلاً لصاحبه) بقوله : ((ذكر أبو علي أحدهما ؛ وهو ما ذهب إليه من أن (أيست) لا مصدر له وإنما المصدر (ليئست) وهو اليأس واليأسه . قال : فأما قولهم في اسم الرجل (إياس) فليس مصدرًا لأيست ، ولا هو أيضاً من لفظه . وإنما هو مصدر (أست الرجل) أووسه إياسا ، سمّوه به كما سمّوه عطاء تفاقولاً بالعطية)) (٢).

وفي هذا تأكيد إلى أن (يئست) له مصدر فيقال (يئيس يئسُ يأساً ، وأيسَ يَأيسَ يأساً ، فـ (اليأسُ) وجد أنه مستعمل في الفعلين ولا يقال : (أيسا) وإنما يقال في المصدر (يأساً) ولهذا يُعدُّ (يئست) هو الأصل لكونه له مصدر وبهذا يحكم على ان (أيس) هو مقلوب من (يئس) ، وأن تسميه رجل ب (إياس) لا يدل على استعمال مصدر لـ (أيس) فهو مصدر لـ (أست) بمعنى أعطيت . (٣)

وفي مسألة لغوية صوتية في القلب بين (طأمنَ و اطمانَ) أخذها ابن جني من أبي علي ، في ضوء اتفاقه و سيبويه في أن (طأمنَ) هي الأصل و (اطمانَ) مقلوب .

قال ابن جني : ((اعلم أن أبا عمر الجرّمي خالف سيبويه في هذه اللفظة ، فذهب إلى أن (اطمانَ) غير مقلوب ، وأن (طأمنَ) هو المقلوب . كأن أصل هذا الفعل عنده أن يكون الميم قبل الهمزة ، وهو بخلاف مذهب سيبويه ؛ لأنه عند سيبويه أن (طأمنَ) هو الأصل ، و (اطمانَ) مقلوب منه . والصحيح ما ذهب إليه سيبويه ؛ لأن الفعل إذا لم تكن فيه زوائد فهو أجدر أن يكون على أصله . وإذا دخلته الزوائد تعرض للتغيير ؛ لأن دخول الزوائد فيه ضرب من التغيير لحقه ، والتغيير إلى التغيير أسبق ألا ترى أن أحداً لا يقول في (طأمنَ) الذي هو الأصل : (طمانَ) ؟ فهذا هو الصحيح ، وينبغي أن يُحتجَّ به لسيبويه وعن أبي علي أخذته)) (٤).

قال سيبويه معتمداً على قول الخليل : ((وكان أصل أشياء شيناء ، فكرهوا منها مع الهمزة مثل ماكره من الواو . . . ومثل هذا في القلب طأمنَ واطمانَ . فانما حمل هذه الأشياء على القلب حيث كان معناها معنى ما لا يطرد ذلك فيه ، وكان اللفظ فيه إذا أنت قلبته ذلك اللفظ ، فصار هذا بمنزلة ما يكون فيه الحرف من حروف الزوائد ثم يشتق من لفظه في معناه ما يذهب فيه الحرف الزائد)) (٥).

(١) الخصائص ٧١/٢-٧٢

(٢) المصدر نفسه والجزء ٧١-٧٠/٢

(٣) ينظر المنصف ١٠٥/٢

(٤) المنصف ١٠٤/٢

(٥) الكتاب ٣٨١/٤

يبدو أن الأصل (طَمَنَ)؛ لأنه ليس فيه حروف زائدة ، فضلاً عن أنه لا يقول أحد فيه (طَمَأَن)
فيرجح هو الأصل . كما ذهب إليه سيبويه وتابعه أبو علي وابن جنبي . فضلاً عن هذا إذا لحقت
الكلمة الزيادة لحقها الوهن والضعف هذه حجة سيبويه ، وإذا لحقها الضعف أسرع إليها ضعف آخر
، كحذف ياء حنيفة عند النسب إليها فيكون حنفي وذلك لحذف تائها . (١)

ومن القلب المكاني ما رواه ابن جنبي عن أبي علي . في كتابه التمام بقوله : من المقلوب ما
رويناه عن أبي علي يرفعه إلى يعقوب : (من الطويل)

لَقَدْ أَوْرَثْتَنِي يَوْمَ قَوْ حَزَاة
مكان الشَّجَا تجولُ تحتَ الترائقِ
أراد: التراقي جمع ترقوه ، إلا أنه هكذا روى الترائق بالهمز ((. (٢)

ومثل قوله أنشده يعقوب : (من الطويل)

هُم أوردوك الموت حين أثبتهم
وجاشت إليك النفس بين الترائقِ
إنما أراد بين التراقي فقلب ((. (٣)

يبدو أنه أراد (التراقي) جمع ترقوة كما رواه أبو علي عن يعقوب ، فعندما قلب جعل الياء
مكان القاف فاصبحت الكلمة ترائق ثم قلب الياء همزة ؛ لأن الياء الساكنة بعد ألف تقلب همزة
فقال ترائق . والله اعلم .

قال سيبويه ((وسألته عن واو عَجُوز وألف رسالة وياء صحيفة ، لأي شيء هُمَزَنَ في الجمع
... إذا قلت صحائف ورسائل وعجائز ؟ فقال ... هذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك وكانت
ميتة لا تدخلها الحركة على حال وقد وقعت بعد ألف ... فهمزت بعد الألف كما يهمز سقاءً وقضاءً
، وكما يهمز قائل وأصله التحريك)) . (٤)

ومن القلب المكاني أيضاً ما رواه عن شيخه هو (جاه مقلوب من الوجه) ، فقال : ((كان أبو
علي - رحمه الله - يرى أن الجاه مقلوب من الوجه .)) (٥) وبين سبب ذلك لتحريك عينه بقوله :
((ولما أعلوه بالقلب أعلوه أيضاً بتحريك عينه ونقله من فَعَلٍ إلى فَعَلٍ يريد أنه صار من وجه إلى
جَوْه ، ثم حُرِّكت عينه فصار إلى جَوْه ، ثم ابدلت عينه لتحركها وانفتاح ما قبلها ،
فصار (جاه)) . (٦)

(١) ينظر الخصائص ٢/٧٤-٧٥

(٢) التمام في تفسير اشعار هذيل ١٨٢/

(٣) لسان العرب / مادة (ترق)

(٤) الكتاب ٤/٣٥٦

(٥) الخصائص ٢/٧٦

(٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة

إنّ (جاه) مقلوّبة عن (الوجه) الذي هو الأصل ، يؤيد هذا ما رواه ابن جنّي عن الفرّاء أنّه قال : ((سمعت أعرابية من غطفان ، وزجرها ابنها ، فقال لها : رُدِّي عليه ، فقالت : أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا . قال : وهو من الوجه ، أرادت : يواجهنّي)) . (١)

لقد أصبح في هذه الكلمة إعلال بالقلب والتسكين والقلب مكاني ، فقد حرّكوا عينها إلى الفتح (فَعَلٍ) إلى (فَعَلٍ) ونقلوه من (فَعَلٍ) إلى (عَفَلٍ) ، ثم أبدلت عينها الفاء ؛ لأنّها متحركة وما قبلها مفتوح ، فأصبحت جاه . (٢) أي من (وجه) إلى (جوه) وإلى (جوه) ثم إلى (جاه) . ومما يقوي هذا القلب ما حكاه أبو زيد أنّه قيل ((وقد وجّه الرجل وجاهةً عند السلطان وهو وجيه ، ... لأنهم لم يقولوا (جويه))) . (٣)

وهناك دليل آخر على هذا القلب ولا سيما في الجمع ، فعندما تجمع كلمة وجه ، تكون وجوه ، ويمكن أن تقلب الواو همزة ، فنقول : أجوه ، ومن هذا يمكن أن نبدل مكان الواو جيماً ومكان الجيم واواً فنقول (جوه) عند التخفيف ثم تقلب الألف واواً فتصبح (جاه)

قال سيبويه : ((اعلم أنّ هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها ، وذلك نحو قولهم في ولدٍ : ألد وفي وجوه : أجوه)) . (٤) فضلاً عن هذا أنّ أشاوى التي أصلها (أشياء) ليست من لفظ (أشياء) وقد حقق ذلك ابن جنّي بقوله : ((أخبرني أبو علي أنّ بعضهم ذهب إلى أنّ ((أشاوى)) ليس بجمع ((أشياء)) من لفظها ، وأنه من لفظ قول الشاعر : (من البسيط)

يا حبّذا حين تمسي الرّيحُ باردةً
وادي أشيٍّ وفتيانٌ به هُضم
فـ(أشاوى) على هذا (فعالي) بمنزلة (عداري) ، لأنّ الهمزة في (أشيّ) فاء ، فينبغي أن تكون في (أشاوى) فاء ؛ كأنّ واحدها : (إشاوة) ، وتكون (إشاوة) كإداوة ، وتكون (أشاوى) : فعائل - في الأصل - كأداوي)) (٥) ووزن (أشاوى) على قول الخليل (لفاعي) لان الهمزة عنده لام مقدّمة . (٦) وقد ذهب أبو علي إلى أنّ أشاوى ليس من لفظ أشياء تأكيداً لما ذهب إليه الخليل .

قال ابن جنّي : ((فقلت لأبي عليّ : فهلاً كانت (أشياء) على هذا (فعلاء) من غير لفظ (شيء) وتكون الهمزة فيها : فاء ، دون أن تكون (لفاع) ؟ فقال : إنه إنما ذهب في (أشاوى) إلى أنّها من غير لفظ (أشياء) لأنّ في (أشياء) ياءً ، وفي (أشاوى) واواً ، فأما (أشياء) فلا إبدال فيها يسوّغ أن يقال فيها : إنّها من غير لفظ (شيء))) . (٧)

(١) الخصائص / ٧٦/٢

(٢) ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه / ١٢٢

(٣) الخصائص / ٧٦/٢

(٤) الكتاب / ٣٣١/٤

(٥) المنصف / ٩٩/٢

(٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٧) المصدر نفسه والجزء / ١٠٠

قال الخليل : ((أشياء : اسمٌ للجمع ، كأنَّ أصله : فعلاء شِيَاء ، فاستثقلتِ الهمزتان ، فنقلت الهمزة الأولى ، إلى أول الكلمة ، فجعلت : فعاء)) .(١)

يبدو أنَّ أبا علي ذهب كما ذهب الخليل وسيبويه إلى أنَّ أشياء هي مقلوبة عن شِيَاء وأنَّ بناءها على (فَعَاء) وليس على (فعلاء) لأنها من لفظ (شيء) وهي تختلف عن (أشأوي) لأنَّ فيها ياء و(أشأوي) فيها واو ، ولو كانت من غير لفظ (شيء) لما أصبح فيها قلب ، لكنَّها من لفظ (شيء) جمعه شِيَاء ، ثم حولت الهمزة إلى بداية الكلمة ولاستثقال همزتين ، فهزمتها ليست فاء الكلمة وإنما هي لام الكلمة أصبحت نتيجة القلب في بداية الكلمة ، في حين أنَّ (أشأوي) هي جمع (أشي) فهزمتها فاء في نظر بعضهم أو في قول بعض العرب ، لكنَّ (أشأوي) أصلها (أشأيا) كما قال سيبويه وجمعه من إشاوة وأصل (إشاوة) شِيَاء ولكنهم قلبوا الهمزة في بداية الكلمة ، ومن هذا يفهم أنَّ أشأوي هي أصل من شيء وهي على بناء (لفاعي) كما قال الخليل وليس على بناء (فعالي) كما قال غيره ، لأنه في بنائه على (فعالي) ، يجعل أشياء على وزن فعلاء وهي من غير لفظ شيء وهذا لا يقره النطق العربي وقاعدة اللسان في جمع شيء على شِيَاء أو أشياء .

الحذف :

قد يُحذف في الكلمة العربية أحدُ حروفها لقضية صوتية عند النطق بها ولا سيما بالمدغم ، أو لامتناع المدغم لسكون الحرف المدغم فيه .

قال أبو علي : ((فأما الحذفُ فهو على وجهين : أحدهما أن يُحذف الحرفُ مع جواز الإدغام وإمكانه نحو قولهم : بَخٍ في بَخٍّ . والآخرُ أن يُحذفَ ، لامتناع الإدغام لسكون الحرف المدغم فيه ، ولزوم ذلك له كقولهم علماء بنو فلان ، وبلحرت أولما يلزم من تحريك حرفٍ غير مدغم فيه يلزمه السكونُ كقولهم :يسطيع ، وحذفهم التاء لما كان يلزم من تحريك السين في (استفعال) لو أدغمت في مقاربة، وقولهم : استحيت ، مما حُذِفَ لامتناع جواز الحركة في المدغم فيه)) .(١)

قال سيبويه : ((ومن الشاذ قولهم في بني العنبر وبني الحارث : بَلْعَنَبِرٍ وِبَلْحَارِثٍ بحذف النون ... ومثل هذا قول بعضهم : ((علماء بنو فلان)) فحذف اللام ، يريد : على الماء بنو فلان . وهي عربية)) .(٢)

ومن الحذف الذي أنشد به أبو علي شعراً لتلميذه ابن جني هو حذف فاء الفعل : ((من قولهم : تَقَى يَتَقَى ، وأصله : اتقى يتقى ، كما حذف التاء الأولى التي هي فاء الفعل أنشدنا أبو علي لخداش ابن زهير : (من الوافر)

رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ غَلَبَ الْجُدُودَا

تَقَوُّهُ أَيُّهَا الْفَتِيَانُ إِنِّي

أَرَادَ : اتَّقَوْهُ)) .(٣)

فقد ذكر سيبويه هذا الحذف وعده من الشاذ بقوله : ((ومن الشاذ قولهم : تَقَيْتُ وهو يتقى ، وَيَتَسَّعُ ، لَمَّا كَانَتَا مِمَّا كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ وَكَانَتَا تَائِيْنِ ، حَذَفُوا كَمَا حَذَفُوا الْعَيْنَ مِنَ الْمُضَاعَفِ نَحْوَ أَحَسَّتْ وَمَسَّتْ ، وَكَانُوا عَلَى هَذَا أَجْرًا ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ حَذْفٍ وَبَدَلٍ . وَالْمَحذُوفَةُ : الَّتِي هِيَ مَكَانُ الْفَاءِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الَّتِي تَبْقَى مَتَحَرِّكَةً)) .(٤)

ومعنى ذلك أن التاء الأولى من يتقى ويتسع أحق بالحذف من سين أحسست ومسست الأولى المتحركة ؛ لأن تاء يتقى أصلها واو وهي فاء الكلمة ؛ لأنها من وقى ووسع ، ويقع فيها حذف وبدل ، فالحذف في المستقبل نحو قولك : يتقى ويتسع ، والبدل إنها تبدل تاء في افتعل نحو قولك اتقى واتسع كقولك : اتزن واتعد .(٥)

وذكر ابن جني أن أبا علي أنشده بيتاً من الشعر حذف فيه الحرف المضعف وهذا الحرف هو الراء الذي هو لام الكلمة فقال : ((وأنشدنا أبو علي : (من الرجز)

كُنْتُ أَمْرًا مِنْ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ

حَتَّى إِذَا مَا لَمْ أَجِدْ غَيْرَ الشَّرِّ

(١) البغداديات / ٢٢٨-٢٢٩

(٢) الكتاب / ٤ / ٤٨٤-٤٨٥

(٣) سر صناعة الاعراب / ١ / ١٩٨

(٤) الكتاب / ٤ / ٤٨٣

(٥) ينظر النكت في تفسير كتاب سيبويه / ٢ / ١٢٧٦

أراد : غير الشرِّ ، فحذف الراء الثانية . وإذا كانوا قد حذفوا بعض الكلمة من غير تضعيف فحذف ذلك مع التضعيف أحرى)). (١)

وقد ذكر مثل هذا الحذف سيبويه (رحمه الله) وعده من الشاذ كراهة التضعيف نحو ظلتُ . (٢)

الحذف للضرورة

وهناك حذف للضرورة اتفق عليه أبو علي وتلميذه ابن جني وهو حذف النون من تبيتين، فتكون تبيتي قال ابن جني : ((سألت أبا علي -رحمه الله- عن قوله: (من الرجز)

أبيتُ أسري وتبيتي تدليكي
وجَهَّكَ بالعنبرِ والمسكِ الذكي
فخضنا فيه ، واستقر الأمر فيه على أنه حذف النون من (تبيتين) ، كما حذف الحركة للضرورة في قوله :
* فالْيَوْمَ أَشْرَبَ غيرَ مُسْتَحَبِّ *
كذا وجهته معه)) . (٣)

الحركة حذفت من الفعل (أشرب) أي حركة الباء للضرورة الشعرية وبهذا يكون فيه اشمام ودلالته النقطة على الباء .

قال سيبويه : ((وقد يُسكن بعضهم في الشعر ويشمُ وذلك قول الشاعر امرئ القيس : (من السريع)

إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغْلٍ
فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غيرَ مُسْتَحَبِّ
وجعلت النقطة علامة الإشمام)) . (٤)

بين الحذف والإتمام:

الواو من (يوطؤُ ، ويوضؤُ) لا تحذف حتى لو كان وقوعها بين ياء وضمة كما حذفت الواو في (وعذ) (يعد) لوقوعها بين ياء وكسره ، هذا ما سأل أبو الفتح شيخه أبي علي بقوله : ((سألت أبا علي وقت القراءة عن هذا ، فقلت : هَلَّا حُذِفَتِ الواو من ((يَوطُؤُ ، وَيَوْضُؤُ)) لوقوعها بين ياء وضمة كما حذفت في (يعد) لوقوعها بين ياء وكسرة على أن الضمة أثقل من الكسرة ؟ فقال : إنما جاء هذا تاماً ولم يُحذف واوه ، لأنَّ باب (فَعْلٌ) لا يأتي مضارعُهُ إلا على بناءٍ واحد وهو (يَفْعَلُ) نحو : ((ظَرْفٌ يَظْرَفُ ، وَشَرْفٌ يَشْرَفُ)) . (٥)

أشار سيبويه إلى إتمام المضارع من (فَعْلٌ) (يَفْعَلُ) لأنه لا يكون له تصريف إلى (فَعَلَ يَفْعَلُ) فكره الحذف فيه . فقال : ((وقالوا : وَضُؤٌ يَوْضُؤُ ، وَوَضُوعٌ يَوْضُوعٌ ، فَأَتَمَّوْا ما كان على (فَعْلٌ) كما أتموا ما كان على فَعْلٍ ، لأنَّهم لم يجدوا في فَعْلٍ مَصْرُفًا إلى (يَفْعَلُ) كما وجدوه في باب فَعْلٍ نحو ضَرَبَ

(١) المحتسب/٢/٧٧

(٢) ينظر الكتاب/٤/٤٨٢/٤٨٣

(٣) الخصائص/١/٣٨٨-٣٨٩

(٤) الكتاب/٤/٢٠٤ وينظر الخصائص/١/٧٤

(٥) المنصف/١/٢٠٩

وَقَتَلَ وَحَسِبَ ، فلما لم يكن يدخله هذه الأشياء وجرى على مثال واحد ، سَلَّمُوهُ وَكَرَهُوا الحَذْفَ ،
لئلا يدخل في باب ما يختلف يَفْعَلُ منه ، فألزموه التسليم لذلك)) . (١)
يتضح أنّ ما ذهب إليه أبو علي قد تابع فيه سيبويه من أنّ (فَعَلَ) يجري على بناء واحد أو جرى
على مثال واحد .

أما الفراء فقد علل حذف الواو من (يَعِدُ) لكونه فعلاً متعدياً ، في حين لم تحذف من (وَجَلَّ يُوَجِّلُ)
لكونه غير متعد . (٢)

وأما ابن جني فقد علل حذف هذه الواو ، لئلا يأتي المضارع مرّة بالواو ومرّة بغير الواو في نحو
(أَوْعِدُ وَيَعِدُ) ، حتى يطرد حكم الشيء على نظيره . فقال : ((حذفوه في قولهم ((أَعِدُ ، وَنَعِدُ ،
وَتَعِدُ)) وإن لم تكن هناك ياء ، لأنهم لو قالوا : ((أنا أُوْعِدُ ، وهو يَعِدُ)) لاختلف المضارع فيكون
مرّة بواو وأخرى بلا واو . فَحُمِلَ ما لا علة فيه على ما فيه علة . فهذا مَذْهَبٌ مُطَّرِدٌ في كلامهم
ولغاتهم ، فاش في محاوراتهم ومخاطباتهم أن يحملوا الشيء على حكم نظيره ، لقرب ما بينهما ،
وإن لم يكن في أحدهما ما في الآخر ممّا أوجب له الحكم)) . (٣)

إن حجة ابن جني في الحذف واردة ؛ لكي يأتي الفعل بلا واو في الحالتين لإطراده في الكلام
على الرغم من أنّ حجة أبي علي في الإتمام واردة أيضاً ؛ لأنها حجة سبقه إليها سيبويه في الفعل
الذي يأتي على بناء واحد لا تحذف واوه .

(١) الكتاب/٤/٥٣-٥٤

(٢) ينظر المنصف/١/١٨٨

(٣) المنصف/١/١٩١

التخفيف:

ظاهرة صوتية يميل إليها المتكلم كتخفيفه الحرف المشدد للضرورة . فالعملية صوتية بحتة يميل إليها الناطق للسهولة واليسر . فقد روى ابن جني أنه قرئ قوله تعالى : ((ما ودَعَكَ)) (١) خفيفة مروية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعروة بن الزبير ، وذكر أنها قليلة الاستعمال ، ولكنه استشهد بما أستشهد به أبو علي قول أبي الأسود : (من الرمل)

ليت شِعْرِي عن خَلِيلِي ما الذِي غَالَهُ في الحُبِّ حتَّى ودَعَهُ . (٢)

إنّ هذا التخفيف في الفعل (ودع) لم يستعمل عند العرب بكثرة على الرغم من أنه شاذ في القياس ولم يستعمل فيمتنع الاستعمال عنه الفعل (ترك) أي مرادفة .

قال سيبويه : ((وقالوا : ليسَ ولم يقولوا لاس ، ولم يجئ على أفعلت ، فجاء على ما لم يُستعمل كما أن يدعُ ويذرُ على ودَعْتُ و وذرْتُ وإن لم يستعمل . وفعلوا هذا بهذا لكثرتة في كلامهم)) . (٣)

تدل عبارة سيبويه أنهم ((استغنوا عن وذرَ و ودعَ بقولهم ترك)) (٤) لكن اضطرار الشاعر العربي ألجأه إلى غير المستعمل كما هو الحال في قول أبي الأسود .
وقد نقل ابن خالويه في شواذه أيضاً القراءة بالتخفيف بقوله : ((ما ودَعَكَ ربُّك))
بالتخفيف)) . (٥)

ذكر ابن جني هذا التخفيف في (ودع) أنه . لم يُسمع من العرب لأنهم لم يستعملوه بقوله : ((من ذلك امتناعك من : وذرَ ، وودعَ ؛ لأنهم لم يقولوها ، ولاخرو عليك أن تستعمل نظيرهما ، نحو وِرْن وودَعْد لولم تسمعهما ، فأما قول أبي الاسود : (من الرمل)

غَالَهُ في الحُبِّ حتَّى ودَعَهُ

فشاذ . وكذلك قراءة بعضهم (ما ودَعَكَ ربُّك وما قلى)) . فأما قولهم : ودع الشيء يدع - اذا سكن - فأتدع ، فمسموع مُتَّبِع)) . (٦)

أما أبو علي فقد ذهب إلى أن (يدع) شاذ عن الاستعمال مطرد في القياس ؛ لأنه لاماضي له فهذا يمنع من القياس ، وأنه لا يعرف ماضياً لـ (يدع ويذر) وحتى اسم فاعل استعمالاً في كلام العرب ، وهذا يناقض ما أورد له ابن جني في انشاده له مما تقدم .

جاء في المسائل العسكرية : ((فأما الشاذ عن الاستعمال المطرد في القياس ، فكما في (يدع) و(يذر) ، فماضي هذا لا يمنع منه القياس ، ألا ترى أنه لا تجد في كلامهم مضارعاً لا يستعمل فيه

(١) الضحي/٣

(٢) ينظر المحتسب/٣٦٤/٢

(٣) الكتاب/١٠٩/٤

(٤) المحتسب /٣٦٤/٢

(٥) مختصر شواذ القراءات/١٧٥

(٦) الخصائص/٩٩/١

الماضي، سوى هذا ، فلهذا شدَّ عن قياس نظائره ، فصار قول الذي يقول: (ودَع) شاذاً عن الاستعمال . وقد حكى أبو العباس أن بعضهم قرأ ((ما ودَعَكَ رَبُّكَ وما قلى)) . ومثل هذا لا تستحب قراءته للشذوذ ، ولرفضهم ذلك واستغنائهم عنه بتركه . وكما رفض مثال الماضي منه ، فكذلك رفض المصدرُ واسمُ الفاعل . فإنَّ بعضَ البغداديين أنشد: (من الطويل)

حزينٌ على تركِ الذي أنا وادعُ

وهذا في القلة كما تقدم ، ومثلُ (يدعُ) ، (ويذرُ) غيرُ أنِّي لا أعرف ماضيهُ ، واسم فاعله استعمالاً في موضع ((١)).

التخفيف بالتسكين للضرورة الشعرية

قال ابن جني ((أنشدنا أبو علي لجريز : (من البسيط)
سيروا بني العمّ فالأهوازُ منزلُكم
ونهرُ تيرى فما تعرّفكمُ العربُ
يريد : تعرّفكمُ)) . (١)

هذا جائز في الشعر للضرورة واسكان الحرف كما يسكن عَضُدٌ وفَخْدٌ .
قال سيبويه : ((وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور في الشعر ، شبهوا ذلك
بكسرة فَخْدٍ حيث حذفوا فقالوا : فَخْدٌ ، وبضمة عَضُدٍ حيث حذفوا فقالوا عَضُدٌ ؛ لأنَّ الرفعة ضمة
والجرة كسرة)) . (٢)

وقال السيرافي تعليقا على قول سيبويه وتنمة له : ((شبهوا لهذه الضمات والكسرات المحذوفة
بالضمة من عَضُدٍ ، والكسرة من فَخْدٍ حين قالوا : (عَضُدٌ ، وَفَخْدٌ) غير أن حذفها من عَضُدٍ وفَخْدٍ
حسنٌ مطردٌ في الشعر والكلام جميعاً من قبل أنه لا يُزيلُ معنى ، ولا يُغيّرُ اعراباً ، وفيما ذكرناه
يُزولُ الإعراب الذي به تنعقد المعاني إلا أنه شبه اللفظ باللفظ . وكان أبو العباس محمد بن يزيد
والزجاج يتكرران هذا ويأبيان جوازه ، وينشدان بعض ما أنشدنا على خلاف الرواية التي
ذكرنا)) . (٣)

وقال ابن جني أيضاً : ((وأما (رَفَضَات) فاسكان عينها وهي اسم لا وصف ضرورة : أنشدنا
أبو علي لذي الرمة : (من الطويل)
أبتُ ذَكَرٌ عَوْدُنَ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ
خَفُوقًا وَرَفَضَاتُ الْهُوَى فِي الْمَفَاصِلِ)) . (٤)
ونحو هذا : ((استاصل الله عِرْقَاتِهِمْ ، وَعِرْقَاتِهِمْ)) كانك قلت : عِرْقٌ وَعِرْقَانِ ، وَعِرْقَاتٌ
، سمع هذا عن العرب . (٥)
إنَّ (رَفَضَات) صفة فهي على وزن (فَعْلَةٌ) تبقى عينها ساكنة في الجمع فإن كانت اسماً تحركت
نحو (جَفْنَةٌ جَفْنَات) .

قال ابن عصفور : ((فحكم (رَفَضَات) ، وهو اسم ، بحكم الصفة ، ألا ترى أن (رَفَضَات) جمع
(رَفِضَةٌ) اسم . والاسم إذا كان على وزن (فَعْلَةٌ) . وكان صحيح العين فإنه إذا جمع بالألف والتاء لم
يكن بدءاً من تحريك عينه ، اتباعاً لحركة فائه ، نحو : جَفْنَةٌ وَجَفْنَات ، وَقَصْعَةٌ وَقَصْعَات ، وإن كان
صفة بقيت العين على سكونها ، نحو : ضَخْمَةٌ وَضَخْمَات ، وَصَعْبَةٌ وَصَعْبَات . وإنما فعلوا ذلك ،

(١) المحتسب/١٠٩/١-١١٠

(٢) الكتاب /٤/ ٢٠٣

(٣) ما يحتمل الشعر من الضرورة /١٤٢/

(٤) التمام في تفسير اشعار هذيل /١٨٠/

(٥) ينظر الكتاب /٣/ ٢٩٢

فرقاً بين الاسم والصفة ، وكان الاسم أولى بالتحريك لخفته ، فاحتل لذلك ثقل الحركة . وأيضاً فإنّ الصفة تشبه الفعل ، لأنها ثانية عن الاسم غير الصفة ، كما أنّ الفعل ثانٍ عن الاسم . فكما أنّ الفعل إذا لحقته علامة جمع ، نحو : ضربوا ، ويضربون ، لم يغيّر ، فذلك لم يغيّر الصفة إذا لحقتها علامتا الجمع ، وهما الألف والتاء . فكان ينبغي - على هذا - أن يقول : ((رَفَضَات)) ، إلا أنّه لما اضطر إلى التسكين حكم لها بحكم الصفة فسكن العين)). (١)

قال ابن جني : ((وأنا أرى أنّ اسكان عين فَعَلَاتٍ مما جاء في الشعر من الاسماء نحو قول ذي الرمة : (من الطويل)

أَبَتْ ذِكْرٌ عَوْدَنْ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ خُفُوقًا وَرَفَضَاتُ الْهُوَى فِي الْمَفَاصِلِ
ليس العذر فيه كالعذر في قولهم : ظَبِيَّةٌ وَظَبِيَّاتٌ ، وَغُلُوةٌ وَغُلُواتٌ ، وذلك أنّه إذا فتح العين ، وأجراها على الواجب في ذلك من نحو : جَفَنَاتٌ ، وَثَمَرَاتٌ ، وَشَفَرَاتٌ ، لم يلزمه ما يحوج إلى الاعتذار من تصحيح اللام - وهي حرف علة فَحَرَكٌ وقبله فتحه - كما يحتاج إلى الاعتذار من ذلك في نحو : النَّزْوَانُ ، وَالكَرْوَانُ ، وَالنَّفْيَانُ وَالصَّمْيَانُ)). (٢)

فابن جني يعدّ تسكين عين فَعَلَةٌ فَعَلَاتٌ نحو رَفَضَةٌ رَفَضَاتٌ في حين لم تسكن في ظبية ظَبِيَّاتٌ ، لأنّ لام رَفَضَاتٌ حرفٌ صحيحٌ ولام ظَبِيَّاتٌ حرفٌ علةٌ محرّكٌ وقبله فتح ، ولهذا فتحت العين في (ظَبِيَّاتٌ) وسكنت في (رَفَضَاتٌ).

لكن أقول : إنّ عين (بِيضَةٌ) و(جَوْزَةٌ) وجمعها على (بِيضَاتٌ) و (جَوْزَاتٌ) فقد سكنت على الرغم من أنّها حرف علةٌ ، (الواو والياء) ، وقد ورد تحركهما بالفتح على لغة هذيل فقالوا : بِيضَاتٌ وَجَوْزَاتٌ وهو شاذ . (٣) ، فكون اللام حرف علةٌ ليس بمسوغ لتحريك العين ، فربّما تحرك العين أو تُسكّن على لغتين ، وإنما المسوغ لتحريك عين (ظَبِيَّاتٌ) بالفتح هو كون اللام شبه صحيح على الرغم من كونه حرف علةٌ ، لأنّه ياء ، لكنّه يقبل التحريك والتنوين فيقال ظَبِيٌّ وَظَبِيَّاً وَظَبِيٌّ ، والمسوغ بقوله التحريك كون عينه ساكنةً فحركت لامه لالتقاء الساكنين فعومل معاملة الصحيح كما يقال في جمع (فَعَلَةٌ) صحيحة العين واللام مثل ضَرْبَةٌ ضَرْبَاتٌ ، وقالوا في جمع ظَبِيَّةٌ ظَبِيَّاتٌ .

أما ما حكاه أبو زيد في : شَرْبَةٌ وَشَرْبَاتٌ ، فجاءت من دون ضرورة لأنها وردت في النثر لا في الشعر . (٤)

(١) ضرائر الشعر / ٨٥

(٢) المحتسب / ١٧١/٢ - ١٧٢

(٣) ينظر الكتاب / ٦٠٠/٣

(٤) ينظر المحتسب / ١٧٢/٢

وذكر ابن جنى ما أنشده له شيخه أبو علي في تخفيف الحرف المشدد للضرورة بيت الفرزدق :
(من الطويل)

تنظرتُ نصرًا والسَّمَاكِينِ أَيُّهُمَا
عليّ من الغيثِ استهلتُ مواطرُهُ
أراد : أَيُّهُمَا . (١)

قال ابن جنى معلقاً : ((فاضطر إلى تخفيف الحروف فحذف الياء الثانية وكان ينبغي أن يردَّ الياء الأولى إلى واو ، لأنَّ أصلها الواو ، وأن يكون قياساً واشتقاقاً جميعها أولى . ولم يقل : أو هما فيرد الواو الاصلية ، لأنه لم يبين الكلمة على حذف الياء البتة ، فيرد الواو : فيقول : أوهما ، لأنه إنما اضطر إلى التخفيف هناك وهو ينوي الحرف المحذوف كما ينوي الملفوظ به)) . (٢)

ويبدو أنَّ الشاعر أراد التخفيف فقط ، لأجل استقامه الوزن ؛ لأنه لو لم يكن هذا قلبَ الياء الثانية إلى واو ، ولأنَّ أصلها واو، لكنَّه نوى وجود الحرف ، ولو لم يكن على نية إبقاء الحرف المحذوف .

وهذا التخفيف مطردٌ في الحرف المشدد ، وقد أنشد أبو علي كثيراً منه وسمعه انشاداً وقرأه عنه ابن جنى فقال : ((فمنه قوله أنشدناه أبو علي وقرأته أيضاً عليه .)) (٣) وهو قول ابن قيس الرقيات : (٤) (من الكامل)

بِغَيِّ بَعِينِكَ وَكَفَ الْقَطْرِ
ابن الحواري العالِي الذِّكْرِ
يريد ابن الحواري ((٥)) ، فخفف الحرف المشدد وهو الياء .

قال السيرافي : ((ومن ذلك تخفيف المُشَدَّدِ وتسكينه مع حذفِ حَرْفٍ بعده كقولهم في (مُعَلَّى : مُعَلٌّ) وفي (عَتَى : عَنٌّ) قال الأعشى : (٦) (من المتقارب)

لِعَمْرِكَ مَا طُولُ هَذَا الزَّمَنِ
على المرءِ الإعنَاءُ مُعَنَّ
أراد مُعَنَّيَّ فحذف الياء واحدى النونين . وقال أيضاً في هذه القصيدة : (من المتقارب)
وعهدُ الشَّبَابِ وتاراتُهُ
يريد عَتَى ، وقال لبيد : (من الرمل)

وقبيلُ من لُكَيْزٍ حَاضِرُ
رهطُ مَرَجُومٍ ورهطُ ابنِ المُعَلِّ
أراد : المُعَلَّى ، وأول هذه القصيدة : (من الرمل)

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَقَلُ
وبإذنِ اللهِ رَبِّي وَعَجَلُ
فإذا كان ما ذكرناه من الحذف جائزاً ، فحذفهم ياء المتكلم وتسكين ما قبلها أجوز كما قال لبيد في البيت الذي أنشدناه ((ريثي وعجل)) (أراد : عَجَلِي .)) (٧) فالحذف هنا لا يقتصر على الحرف بل شمل اسقاط حركة ولا سيما في عَجَلِي .

(١) ينظر المحتسب ١٠٨/١

(٢) المحتسب ١٠٨/١

(٣) التمام في تفسير اشعار هذيل ٢١٨

(٤) ضرائر الشعر ١٣٦

(٦) الديوان ٦٥

(٧) ما يحتمل الشعر من الضرورة ٩٠-٩٢

(٥) التمام في تفسير اشعار هذيل ١٢٨

ومثله ما أشده أبو علي لابن جني : (وقال الآخر :

سَرَحْتَنِي فَكَأْتَنِي مَهْدًا أَجْعَلُ الْعَيْنَ عَلَى الرَّفِّ أَثْرًا
(مهداً) من قولهم: أهدأت الصبي في المهد إذا سكنته وهو كثير في الشعر ، وخفف (الياء) أيضاً ؛
لأنَّ الحروف المشددة إذا وقعن حروف رَوِّي مُقَيَّدٌ خُفِّفْنَ . وأنشد سيبويه : (من الرجز)
مَتَى أَنَامُ لَا يُورِّقُنِي الْكَرِي لَيْلًا وَلَا أَسْمَعُ أَجْرَاسَ الْمَطِيِّ
يريد (الكري) . (١)

هذا الحذف جائز في الشعر ، وقد يجوز في الكلام مع حروف اللين ، الياءات والواوات ، فقد
(حذفت الف المعلّى في الوقف ضرورة تشبيهاً بما حذف من الياءات في الاسماء المنقوصة نحو
(قاص وغاز) (٢) ، وقد صرح بهذا سيبويه وأكدته كونه ضرورة شعرية ، بقوله : ((إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ
شَاعِرٌ فَيَحْذِفُ كَمَا يَحْذِفُ الْفُ مَعْلَى وَكَمَا حَذَفَ فَقَالَ : (٣) (من الوافر)

وَطَرْتُ بِمُنْصُلِي فِي يَغَمَلَاتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا
وهذه أجدراً أن تحذف في الشعر ؛ لأنها قد تحذف في مواضع من الكلام ، وهي المواضع التي
ذكرت لك في حروف اللين نحو : عليه وإليه ، والساكن نحو : منه . ولو أثبتوا لكان أصلاً وكلاماً
حسناً من كلامهم فإذا حذفوها على هذه الحال كانت في الشعر في تلك المواضع أجدراً أن تُحذف إذا
حُذِفَتْ مِمَّا لَا يُحْذَفُ مِنْهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَالٍ)) . (٤)

(١)الفسر/١/٢٣٢

(٢)ينظر هامش محقق كتاب ما يحتمل الشعر من الضرورة /٩٢

(٣)الأيد أراد الأيدي فحذف الياء تخفيفاً

(٤)الكتاب/٤/١٩٠-١٩١

تخفيف الهمزة :

قال ابن جنّي : ((سألتُ أبا عليّ عن تخفيف (سيّال) مصدر (فاعلت) على التمام ، فقال : (سيّال) ، فألقى فتحة الهمزة على الياء من (فيعال) ولم يدغم فيقول : (سيّال) كما يقول في تخفيف (خطيئة : خطيّة) ، فكذلك يقول في مثل (طومار) من (سألت : سُوءال) ، فإن خففت حرّكت الواو فقلت : (سُوءال) ، فهذه أيضاً واو ساكنة زائدة قبلها ضمة وليست للمدّ ، فكيف بالواو إذا كان أصلها الهمزة هي من أن تجرى مجرى الواو الزائدة للمدّ أبعد)). (١)

فقد قرر سيبويه أن هذه الهمزة التي تأتي بعد الياء والواو الساكنين ، قد تحذف أو تبدل ، فكره العرب الحذف حتى لا تصيرا بمنزلة ما هو من نفس الحرف أو بمنزلة الزائد ، نحو خطيئة خطيّة ، ومقروء ، مقروء . هذا واضح بقوله : ((إذا كانت الهمزة المتحركة بعد واو أو ياء زائدة ساكنة لم تلحق لتلحق ببناءً ببناءً ، وكانت مدّة في الاسم والحركة التي قبلها منها بمنزلة الالف ، أبدل مكانها واو إن كانت بعد واو ، وياء إن كانت بعد ياء ، ولا تحذف فتحرّك هذه الواو والياء فتصير بمنزلة ما هو من نفس الحرف ، أو بمنزلة الزوائد التي مثل ما هو من نفس الحرف من الياءات والواوات . وكرهوا أن يجعلوا الهمزة بين بين بعد هذه الياءات والواوات إذا كانت الياء والواو الساكنة قد تحذف بعدها الهمزة المتحركة وتحرك ، فلم يكن بدّ من الحذف أو البدل ، وكرهوا الحذف لئلا تصير هذه الياءات والواوات بمنزلة ما ذكرنا . وذلك قولك في خطيئة خطيّة ، وفي النسيء النسيء يا فتى ، وفي مقروء ، ومقروءة : هذا مقروء ، وهذه مقروءة .)) (٢)

يفهم من كلام سيبويه (رحمه الله) أن الياء أو الواو لا تحذفان كراهةً لئلا تصيرا زائدتين أو بمنزلة ما هو من الحرف نفسه .

ويتضح من هذا أن أبا عليّ عندما قرّر الحذف في (سيّال) على الكراهية خلافاً لما قرره سيبويه ، عن قول العرب الذين كرهوا الحذف وأقروا البدل ، لأنّ الهمزة المسبوقة بياء ساكنة أو واو ساكنة لا تحذف بل تبدل ياءً إن كانت مسبوقة بياء ، أو واواً إن كانت مسبوقة بواو ، وتدغم الياء بالياء والواو بالواو .

(١)المنصف ١٥١/٣/

(٢)الكتاب ٥٤٧/٣/

همزة بين بين ، تخفيف للهمزة :

قال ابن جنّي : ((فإن قال قائل : فهلاً قالوا : ((مؤسّ وميّل)) فأدغموا كما قالوا : مَقْرُوءٌ ، وَخَطِيئَةٌ)) ؟ فقد قال أبو عليّ : لأنّ الياء في (ميّتل) والواو في (مؤسّ) قد جرتا مجرى واو (فوعِل) وواو (فوعِل) لا تُدغمُ أبداً ، كما لا تُدغمُ ألف (فاعل) فلم يبقَ إلا أن تكون بين بين ، فهذا قول الخليل)) .(١)

همزة بين بين : هو أن تجعل الحركة بين مُخرَجِ الهمزة ومُخرَجِ الحرف الذي يليها ولا سيما حركة الحرف الذي بعدها ، فإذا كانت الحركة فتحة جعلتها بين الهمزة والألف وإذا كانت كسرة بين الهمزة والياء وإذا كانت ضمة فتجعلها بين الواو والهمزة .

قال سيبويه : ((اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققةً ، غير أنك تضعف الصوت ولا تتمّه وتخفي ، لأنك تقربها من هذه الألف . وذلك قولك : سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقّق كما يحقّق بنو تميم ، وقد قرأ قبل ، (بين بين) . وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة . ألا ترى أنك لا تتمّ الصوت هنا وتضعفه لأنك تقربها من الساكن ، ولولا ذلك لم يدخل الحرف وهنّ ، وذلك قولك : يئسّ وسئم ، (وإذ قال إبراهيم) وكذلك أشباه هذا . وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة)) .(٢)

وتوضيح هذا قال أبو سعيد السيرافي في بيان معنى (بين بين) : (ومعنى قولنا : (بين بين) في هذا الموضع وكل موضع يرد بعده من الهمز أن تجعلها من مخرج الهمزة ومخرج الحرف الذي منه حركة الهمزة فإذا كانت مفتوحة جعلناها متوسطة في إخراجها بين الهمزة وبين الألف؛ لأنّ الفتحة من الألف وإذا كانت مضمومة فجعلناها بين بين أخرجناها متوسطة بين الهمزة والواو وإن كانت مكسورة جعلناها بين الياء وبين الهمزة)) .(٣)

أما المسألة التي أشار إليها أبو علي وابن جنّي ، (همزة بين بين) فقد ذكرها سيبويه في ضوء قول العرب هذا درهم أختك ومن عند أمك . فقال : ((إذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها ضمة أو

(١) المنصف / ٣٩/٢

(٢) الكتاب / ٥٤١/٣ - ٥٤٢

(٣) الكتاب / بولاق / الحاشية / ١٦٣/٢

كسرة فانك تصيرها بينَ بينَ ؛ وذلك قولك : هذا درهمُ أُخْتِكَ ، ومن عندِ أمك . وهو قول العرب
وقول الخليل ((١)).

لقد ذهب أبو علي في الهمزة المكسورة قبلها ضمة كما ذهب الخليل وسيبويه بأن تجعلَ همزة
بينَ بينَ بقوله : ((و كذلك إن كانت مكسورةً قبلها ضمةً نحو (سئل) و (هذا عبدُ إيلك)) ، فإن
كانت مضمومةً قبلها كسرة جعلتها بينَ بينَ في قول سيبويه قال : ((وهو قول العرب
والخليل)) (٢).

فهزمة (مؤس) مكسورة قبلها ضمة مثل همزة (سئل) فيمكن جعلها همزة بينَ بينَ كما قال
الخليل عن العرب .

وإن الياء في (ميئل) أصلها واو ، والواو في (مؤس) أصلها الياء لانهما من : (يئست ،
ووألت)) فعند انقلابهما جرى فيهما كما جرى في واو (فوعل) المنقلبة عن ألف فاعل وبذلك
تستطيع أن تجريها همزة بينَ بينَ كما همزة هباءة (بينَ بينَ) مع الألف : هذا ما بينه ابن جني في
ضوء رأي الخليل وما قالته العرب ، لأنَّ الخليل يجري في مذهبه ألا يفصل بين الزائد والأصل اذا
جعلَ مَدًا (٣).

ومن هذا ذهب أبو علي إلى أن جعل همزة (ميئل) وهمزة (مؤس) بينَ بينَ لأنَّ عنده الواو في
(مؤس) أصلها ياء ، والياء في (ميئل) أصلها واو فهما منقلبتان ، فعاملهما معاملة واو (فوعل)
المنقلبة عن ألف فاعل ، والتي لا تدغم ، لأنَّ الف (فاعل) لا تدغم فكذلك الياء والواو في (ميئل)
و(مؤس) لا تدغمان أيضاً كما في (مقروّة ، وخطيّة) ، فأجرى المنقلب كما أجرى المنقلب الآخر في
ضمن مبدأ المقلوب لا يدغم ، كما في واو فوعل .

لكن غير الخليل من النحويين ((يجرون على أصلهم في ألا يجروا الأصلي مجرى الزائد ، بل
تحتل عندهم الحركة ، فإذا حرّكوا الواو في (مؤس) والياء في (ميئل) بحركة الهمزة بعدها قويتا
بالحركة ، فرجعتا إلى أصولهما ، ولم تقوَ الحركة قبلهما على قلبهما ، لأنهما قد قويتا بالحركة التي
انتقلت من الهمزة إليهما)) (٤).

يفهم من هذا أن الهمزة في (ميئل ومؤس) هي همزة (بينَ بينَ) أي تخفيفها ولا يمكن قلبها
إلى ياء أو واو ؛ لأنها منقلبة كما واو فوعل منقلبة عن الف (فاعل) وهذه لا تدغم فلا نقول (ميئل ،
ومؤس) وإنما نقول ميئل ومؤس (فوعل) ، وذلك بتخفيف الهمزة لا قلبها .

(١) الكتاب ٥٤٢/٣

(٢) التكملة ٢١٨

(٣) ينظر المنصف ٣٨/٢

(٤) المنصف ٣٩/٢

أما همزة (أكرم) فإنها تحذف في المضارع للتخفيف ، لأن اجتماع همزتين في الكلمة يثقل النطق بها ، فالأصل (أكرم) ثم حذفت الثانية وأثبتت الأولى فصارت (أكرم).

في حين أن أبا علي يرى أنهم لما حذفوها من يُكرم ، أثبتوها في (إكرام) وهذا من باب التعويض بقوله : ((ألا ترى أنهم لما حذفوا الهمزة من (يكرم) اثبتوها في (إكرام) فكان ذلك كالتعويض من حذفها ، لأنها إذا ثبتت في بعض هذه الأمثلة كانت لذلك كالثابتة في الباقي)) .(١)

أما سيبويه فقد ذكر أن الخليل زعم أنه القياس اثبات الهمزة ، ولكنها حذفت كراهية الثقل عليهم ، بقوله : ((وزعم الخليل أنه كان القياس أن تثبت الهمزة في (يُفعلُ ويُفعلُ) وأخواتهما كما ثبتت التاء في تَفَعَّلْتُ وتفاعلت في كل حال ، ولكنهم حذفوا الهمزة في باب أفعل من هذا الموضع فاطرد الحذف فيه ؛ لأن الهمزة تثقل عليهم كما وصفت لك ، وكثر هذا في كلامهم فحذفوه واجتمعوا على حذفه ، كما اجتمعوا على حذف كل وترى)) .(٢)

يبدو أن سيبويه نقل رأي الخليل الذي علل فيه حذف همزة (أفعل) في المضارع للتخفيف فعلى سبيل المثال نقول في : أكرم يُكرم والأصل يُؤكرم ، فحذفت همزته تخفيفاً .

وتابع ابن جني الخليل وسيبويه في تعليل الحذف كراهة ثقل الهمزة بقوله : ((قولهم (أنا أكرم) فحذفوا الهمزة التي كانت في (أكرم) لنلا يلتقي همزتان ؛ لأنه كان يلزم : (أنا أوكرم) فحذفوا الثانية كراهة اجتماع همزتين)) .(٣)

يبدو أن أبا علي زاد على ما قاله سيبويه عن حذف همزة (أفعل) في الفعل واسم الفاعل والمفعول ، (المصدر) وعلل بقاء الهمزة فيه دلالة على ثبوتها ، فقد قال سيبويه : ((فأما فعل منه فأفعل ، وذلك نحو : أخرج . وأما يُفعلُ وتُفعلُ فيها فبمنزلة من فعل ، وذلك نحو يُخرجُ وتُخرجُ ... أما الاسم فيكون على مثال أفعل إذا كان هو الفاعل ، إلا أن موضع الألف ميم وإن كان مفعولاً فهو على مثال يُفعل ، فأما مثال مَضْرُوب فإنه لا يكون إلا لما لا زيادة فيه من بنات الثلاثة)) .(٤)

فالذي ذكره أبو علي هو المصدر (إكرام) الذي علل فيه بقاء الهمزة في (أفعل) ثانية ، فهي كالعوض من الحذف ، حتى تثبت بقية الأمثلة إذا ثبتت في بعضها ، فهو لا يميل إلى حذف الحرف ؛ لأنه اختصار للحرف والحرف مختصر عن معنى آخر ، فحذف الحرف ليس بقياس وذلك ؛ لأن الحرف إنما دخل الكلام لضرب من الاختصار ، وأن الحرف نائب عن الفعل وفاعله ، ألا ترى أنك إذا قلت : ما قام زيد ، فقد نابت (ما) عن (النفي) ، كما نابت الهمزة وهل عن استفهم ، فلو ذهب تحذف الحرف لكان ذلك اختصاراً ، واختصار المختصر اجحاف به .(٥)

(١) المنصف/١/٦٥

(٢) الكتاب/٤/٢٧٩

(٣) المنصف/١/١٩٢

(٤) الكتاب/٤/٢٧٩-٢٨٠

(٥) ينظر الخصائص/٢/٢٧٣/٢٧٤

أقول : ولو كان هذا دلالةً على حذف حروف المعاني واختصارها ، لكنني اتخذت هذا تعليلاً لما في الموضوع من اشتراك في القرائن ؛ لأنّ تلك حروف وهذه حروف فتلك لها دلالة على معنى الجملة وهذه لها دلالة على معنى الكلمة ، فمعنى الكلمة يدخل في معنى الجملة .
ويبدو أنّ حذف همزة (أكرم ، يُكرم) هو حذف قياسي في صيغة (أفعل) وكذا بقية الصيغ كاسم الفاعل واسم المفعول ، فيقال : مُكْرِمٌ ومُكْرَمٌ ، ولكنها تثبت في المصدر كما أشار أبو علي في كلمة (أكرام) ، وأنّ هذا الحذف مقتصرٌ على كون زيادة الهمزة في بداية الكلمة ، أي صورتها في البداية ، فإنّ أبدلت هاءً مثل هراق ، وعيناً مثل عنهل ، بقيت تلك الزيادة في سائر تصاريف الكلمة . (١)

تخفيف (إنّا)

أمّا التخفيف في حذف النون من (إنّا) فقد أشار إليه ابن جني بقوله : ((قد أجاز أبو علي في نحو قول الله سبحانه : ((إنا كلّ شيء خلقناه بقدر)) (٢) أن يكون حذف النون الثالثة في (إنّا)). (٣)
وعلق عليه متعجباً بقوله : ((وهذا كما تراه عجيب في معناه)) . (٤)
يبدو أنّ أبا علي أراد أن يبين أنّ (إنّا) أصلها (إنّا) أي (إنّ) حرف مشبه بالفعل و(نا) اسمها ، فحذفت إحدى النونات للتخفيف .

(١) ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية / ٢٠١

(٢) القمر / ٤٩

(٣) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٢٠٧-٢٠٨

(٤) المصدر نفسه والصفحة

الصوائت

الصوائت الطويلة والقصيرة :

الصائت : هو الحرف الهاوي في هواء الجوف ؛ لأنه لا يخرج من حيز في جهاز الصوت إلا الجوف ، ويمثل هذا الصائت في العربية الحروف الثلاثة الألف والواو والياء ، وهذه الحروف تسمى الحروف المدية أو حروف اللين .

إنَّ أولَ مَنْ أشار إليها وسماها بالحروف الجوفية أو الهوائية هو الخليل (رحمه الله) عند كلامه على الحروف العربية وتوزيعها بحسب مخرجها ونسبة كلِّ حرف إلى مخرجه وحيزه كالحلق واللهاة واللسان والشفاه ، لكنّه استثنى هذه الحروف (الألف والياء والواو والهمزة) من هذه المخرج ولم ينسب واحداً منها إلى أيِّ مخرج وإتّما نسبها إلى الهواء وسمى الألف باللينّة . (١) بقوله : ((في العربية تسعة وعشرون حرفاً : منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياءٌ ومدارج ، وأربعة أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة . والهمزة ، وسمّيت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة ، وإتّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيزٌ تنسب إليه إلا الجوف . وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء)) . (٢)

أمّا سيبويه فبيّنها حرفاً غير مهموسة أو حروف المد واللين ، ومخرجها متسع لهواء الصوت ، فهو بهذا تابع شيخه الخليل لكنه لم يعد الهمزة منها كما عدّها الخليل . فقال : ((الواو والياء والألف هذه الحروف غير مهموسات ، وهي حروف لين ومدّ ، ومخارجُها متسعة لهواء الصوت ، وليس شيء من الحروف أوسع مخرج منها ، ولا أمدّ للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تضمّها بشفة ولا لسان ولا حلق كضمّ غيرها ، فيهوى الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة . وإذا تفتنت وجدت مسّاً ذلك . وذلك قولك : ظلموا ورموا ، وعمي وحبلي)) . (٣)

ثم إنَّ سيبويه صرح أنّها الحروف الصائتة أو أنّها حركات طويلة ؛ لأنها ساكنة فإن تحركت خرجت من كونها حروف لين أو مدّ ، فقد ذهب إلى أنّ الياء إذا تحركت خرجت من أن تكون حرف لين بقوله : ((وإذا حرّكت فقلت : ((رأيت قاضيه قبل)) لم تكسر ، لأنها إذا تحركت لم تكن حرف لين ، فبعد شبهها من الألف ، لأنّ الألف لا تحرك أبداً)) . (٤) ، ولأنّ الياء والواو غير المديتين تقبلان الحركة كما تقبلان السكون وتسميان حرفي لين مثل ياء (بين) وياء (طيور) وواو (وطن) وموطن .

(١) ينظر علم اللغة العام (الصوائت) ٧٧/

(٢) العين ٥٧/١

(٣) الكتاب ١٧٦/٤

(٤) المصدر نفسه ١٩٧/٤

وذهب ابن جنى إلى ما ذهب إليه سيبويه من أن الألف والياء والواو حروف هوائية متسعة المخرج وألینها الألف ولكن صوتها يخالف صوت الياء والواو ، والياء يخالف صوتها صوت الألف والواو أيضاً بقوله : ((فان اتسع مخرج الحرف حتى لا يقطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً حتى ينفد ، فيفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة ، فينقطع بالضرورة عندها ، إذا لم يجد منقطعاً فيما فوقها ، والحروف التي اتسعت مخرجها ثلاثة : الألف ، ثم الياء ، ثم الواو ، ووسعها والينها الالف ، الا ان الصوت الذي يجري في الالف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو ، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو)) .(١)

يبدو أن النطق بهذه الاحرف الثلاثة ، الألف والياء والواو ، من حيز الجوف وأن حال الهواء معها في خلال مجراه ويستمر في الجوف ؛ لأنه لا يقطعه أي مانع وعارض ولا ينتهي الهواء حتى ينتهي الصوت على الرغم من أن الخليل وسيبويه وابن جنى اتفقوا على انتهاء الصوت الى مخرج الهمزة ؛ لأن مخرجها من أسفل الحلق (البلعوم) ، لكن علم الصوت الحديث يقرر ان الهواء يتسع عند النطق في هذه الأصوات الثلاثة وينتهي بنهاية الصوت .

قال . د كمال بشر : ((إنَّ الهواء حال النطق بحروف المد الثلاثة (وهي الحركات الطويلة الثلاث) يمتد خلال مجراه ويستمر في الامتداد . لا يقطعه شيء ولا يمنع استمراره أي عارض ولا ينتهي هذا الهواء إلا بانتهاء نطق الصوت نفسه)) .(٢)

يفهم من هذا أن الصوائت هي حركات طويلة هوائية فإن أردنا قصر استمرار صوتها حدثت الحركات القصيرة (الفتحة والكسرة و الضمة) فالألف هي فتحة طويلة والياء هي كسرة طويلة والواو هي ضمة طويلة ومن هذا قيل إنَّ الحركات هي أبعاض الحروف ، أي الحروف الثلاثة الالف والياء والواو ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو .

قال ابن جنى : ((اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الالف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الالف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يُسمون الفتحة الالف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ، ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توائم كوامل ، وقد تجدهن في بعض الاحوال اطول واتم منهن في بعض ، وذلك قولك : يخاف وينام ، ويسير ويطير ، ويقوم ويسوم ، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما ، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً ، وذلك نحو : يشاء ويداء ، ويسوء ويهوء ، ويجيء ويفيء ، ويقول مع الادغام : شابة ، ودابة ، ويطيب بكر ، ويسير راشد وتمود الثوب ، وقد قوَّص زيد بما عليه ، أفلا ترى إلى زيادة الامتداد

(١) سر صناعة الاعراب/١/٧-٨

(٢) علم اللغة العام الأصوات/٨٠

فيهنّ بوقوع الهمزة والمدغم بعدهنّ ، وهنّ في كلا موضعيهنّ يُسمينَ حروفاً كوامل ، فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفاً صغراً بأبعد في القياس منه)) .(١)

في هذا يقرر ابن جنّي أنّ الحركات هي بعض حروف المدّ ، أو كأنها حروف صغيرة لها أصوات كأصوات حروف المدّ الثلاث (الألف والواو والياء) ولكنها أقصرُ منها ، فقصرها لا ينكر عليها أنّ تكون حروفاً أو حركات كما أنّ حروف المدّ تقصر عند مجيء الهمزة بعدها أو السكون فيضطرّ القارئ إلى مدّها وتقويتها ، وكذلك أنّ الحركات عند مجيء الهمز أو السكون بعدها يضطرّ القارئ لمدّها وتسمي عند التلاوة القرآنية (مدُّ الصلّة الكبرى أو الصغرى) كما في قوله تعالى في سورة الهمزة : ((يحسبُ أنّ ماله أُخْذَه))(٢) فضمة الهاء عند التلاوة تمدّ فتصبح واواً (مالهوا)، ومن هذا يستنتج أنّ الضمة هي الواو الصغيرة كما أشار النحاة من قبل .

إنّ الذي ذهب إليه ابن جنّي واردٌ عند النحاة واللغويين الذين سبقوه ، لكنّ رأي الخليل أنّ هذه الحركات هي زوائد تلحق بالحروف حتى يتوصل الكلام بها والأصل هو الساكن .

قال سيبويه : ((وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى المتكلم به . والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه . فالفتحة من الألف والكسرة من الياء ، والضمة من الواو ، فكل واحدة شيء مما ذكرت لك)) .(٣)

أمّا السيرافي فقد عدّ تلك الحركات زوائد على الحروف الصامتة مع أنّهنّ من مخارج حروف المدّ (الألف والواو والياء) فهي أجزاء أو أبعاض منهنّ وهو بهذا قد سبق ابن جنّي في متابعة سيبويه بتعليقه على قوله : ((فالفتحة من الألف الخ)) بقوله : ((يعني أنّ الفتحة تزداد على الحرف ، ومخرجها من مُخْرَج الألف وكذلك الكسرة من مُخْرَج الياء والضمة من مُخْرَج الواو ، وقال بعضهم الفتحة جزء من الألف وهكذا بدليل أنا متى اشبعنا الضمة مثلاً صارت واواً في مثل قولنا زيدو ، وبدليل أنّ سيبويه لما ذكر الألف والواو والياء قال لأنّ الكلام لا يخلو منهنّ أو من بعضهنّ)) .(٤)

أراد بذلك قول سيبويه ((فأمّا الأحرف الثلاثة فإنهنّ يكثرن في كلّ موضع ، ولا يخلو منهنّ حرف أو من بعضهنّ)) .(٥)

في حين أنّ ابا علي يعدهنّ حروفاً لكنّ صوتهنّ أقلّ من صوت حروف المدّ وهذا لا يخرجهنّ من كونهنّ حروفاً ، بقوله : ((وهذا الذي يُسميه أهل العربية حركةً حقيقيةً إنّهُ حرفٌ فالفتحة كالالف والضمة كالواو ، والكسرة كالياء في أنّهنّ حروفٌ ، كما أنّهنّ حروفٌ إلاّ أنّ الصوت بهنّ أقلّ من الصوت بالألف وأختيها ، وقلة الصوت بهنّ ليس يُخرجهنّ عن أنّ يكنّ حروفاً ؛ لأنّ من الحروف

(١) سر صناعة الاعراب/١٧/١-١٨

(٢) الهمزة/٣

(٣) الكتاب /٤١/٢٤٢/٢

(٤) حاشية الكتاب طبعة بولاق/٢/٣١٥

(٥) الكتاب/٤/٣١٨

ما هو أكثر صوتاً من حروف كـ(الصاد) و(النون الساكنة)، فكما أن النون عندنا حرفٌ وإن كان أقلَّ صوتاً من الصاد كذلك يجب ان تكون هذه عندنا حروفاً وإن كان الصوتُ بهنَّ أقلَّ من الصوت بما هنَّ منه)).(١)

ثم إنه يعدُّ الحركات والاحرف واحداً في الحقيقة لأنَّ كلَّ واحد منهما يقوم مقام صاحبه فقال : ((فالمسمى حركةً والحرف الذي معهُ ، هما في الحقيقة حركتان للناطق ، وكلُّ واحد منهما حرفٌ ، ويدلُّك على ما ذكرناه من هذا قيام كلِّ واحد من الحرفِ والمسمى حركةً مقام صاحبه))(٢) هذه إشارة إلى أنَّ ابن جني أخذ رأيه من أنَّ الحركات أبعاض الحروف من كلام شيخه أبي علي هذا الذي دلَّ عليه فيهِ على أنَّ الحركات والحروف الصائتة (حروف المد) إن قام احدهما مكان صاحبه أنَّه منه أو هو بعضه .

وفي ضوء ما قاله علماء اللغة إنها أبعاض الحروف أو إنها جزء منها أو صوتها أقلُّ من صوت الحروف الصائتة وإنَّ مخارجها مخارج الحروف نفسها وصف د. كمال بشر ذلك بقوله : ((قرر العلماء أن الحركة صوت يتميز بأنه الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق أن يمر الهواء حرّاً طليقاً خلال الحلق والقم دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً)).(٣)

لماذا سميت هذه الأصوات بالحركات ؟ الظاهر أنها سميت بذلك لأنها تحرك الحرف وتجذبه نحو الحروف فالضمة مثلاً تجذبه نحو الواو والفتحة نحو الالف والكسرة نحو الياء ، هذا ما قرره ابن جني بقوله : ((وإنما سميت هذه الاصوات الناقصة حركات ، ولأنها تقلق الحرف الذي تقترب به ، وتجذبها نحو الحروف التي هي أبعاضها ، فالفتحة تجذب الحرف نحو الالف ، والكسرة تجذبها نحو الياء ، والضمة تجذبها نحو الواو ، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها ، فإن بلغ بها مداها ، تكملت له الحركات حروفاً اعني ألفاً وياء وواو)).(٤)

مكان الطويلة من القصيرة :

اختلف فيه فذهب قوم إلى أنها تحدث مع الحرف وآخرون إلى أنها تحدث قبله ، ومنهم من ذهب إلى أنها تحدث بعده. وعزا أبو علي ذلك إلى غموض الأمر وشدة القرب .(٥) ولبيان ذلك الاختلاف : فقد ذهب أبو علي إلى أنها تحدث مع الحرف ، واستدل على ذلك ، ((بأنَّ النون الساكنة إذا تحركت زالت عن الخياشم إلى الفم ، وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة فدلَّ ذلك عنده على أنَّ الحركة تحدث مع الحرف ، وهو لعمرى استدلال قوي)).(٦)

(١)البغداديات/٤٨٧-٤٨٨

(٢)المصدر نفسه/٤٨٨

(٣)علم اللغة العام الأصوات/٧٤

(٤)سر صناعة الاعراب /٢٦-٢٧

(٥)ينظر الخصائص/٢/١١٠

(٦)سر صناعة الاعراب /١/٣٢-٣٣

يبدو أن ابا علي في رأيه هذا قد خالف كثيراً من العلماء المتقدمين عليه أو المعاصرين له أو الذين جاؤوا بعده . (١) قال ابن جني : ((أما مذهب سيبويه فإنَّ الحركة تحدث بعد الحرف)). (٢) ، ومهما يكن من الأمر فإنَّه يميل إلى أنها معه بقوله : ((يقوِّي قول من قال : إنَّ الحركة تحدث مع الحرف أن النون الساكنة مخرجة مع حروف الفم من الأنف ، والمتحركة مخرجة من الفم ، فلو كانت حركة الحرف تحدث من بعده لوجب أن تكون النون المتحركة من الأنف أيضاً . ذلك أنَّ الحركة إنما تحدث بعدها ، فكان ينبغي ألا تغنى عنها شيئاً ؛ لسبقها هي لحركتها)). (٣) في حين ان ابن جني اسقط هذا في ضوء رأي سيبويه على الرغم من انه يقول : (رأيته معنياً بهذا الدليل)(٤) فقد مال إلى رأي سيبويه وخالف شيخه أبا علي وذهب إلى أنَّ الحركة تحدث بعد الحرف ، فجعل حدوثها محالاً قبله وذلك بقوله : ((محال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف ، وذلك أنَّ الحرف كالمحل للحركة ، وهي كالعوض فيه ، فهي لذلك محتاجة إليه ، فلا يجوز وجودها قبل وجوده)). (٥)

ثم إنَّه صرح بدلالة الحركة بعد الحرف في المرتبة بقوله : ((فالذي يدلُّ على أنَّ حركة الحرف في المرتبة بعده ، أنك تجدها فاصلة بين المثليين أو المتقاربيين إذا كان الأول منهما متحركاً ، فالمثلان نحو قولك : قَصَصَ ، وَمَضَّضَ ، وَطَلَّلَ وَسُرَّرَ ، وَحَضَّضَ وَمِرَّرَ وَقِدَّدَ ، فلولا أنَّ حركة الحرف الأول من هذين المثليين بعده لما فصلت بينه وبين الذي هو مثله بعده ، ولو لم تفصل لوجب الإدغام ، لأنَّه لا حاجز بين المثليين ، فإن ظهر هذان المثلان ولم يدغم الأول منهما في الآخر فظهورهما دلالة على فصل واقع بينهما ، وليس ههنا فصل البتة غير حركة الحرف الأول)). (٦) يبدو من هذا الاستدلال أن ابن جني يؤكد أن الحركة تلي الحرف رتبةً فهي التي تمنع من إدغام الحرفين المثليين المتكررين في الكلمة الواحدة . نحو قَصَصَ ، فلا تكون (قصّ) و(طلل) و(طلّ) لأنَّ حركة الحرف الأول منعت ذلك لأنها كانت بعده وأصبحت بين الأول والثاني فكانت مانعاً من إدغامهما .

ثم إنَّه جاء بدلالة أخرى وهي إشباع الحركة ، فالإشباع لا يتم إلا أن تكون الحركة بعد الحرف ، وهذا ظاهر قوله : ((ودلالة أخرى تدلُّ على أنَّ حركة الحرف بعده ، وهي أنك إذا أشبعت الحركة تمتتها حرف مدّ ، كما تقدم من قولنا في نحو ضَرَبَ وَقَتَلَ ، إذا أشبعت حركة الضاد والقاف قلت ضارب وقاتل . وضرب وقُتِلَ إذا أشبعت قلت ضُورِبَ وقوتل . وكذلك ضَرَابَ وَقِتَال ، إذا أشبعت قلت ضِيرَابَ وقِيَتَال ، فكما أن الألف والواو والياء بعد الضاد والقاف ، فكذلك الفتحة والضمّة والكسرة ،

(١) ينظر ابو علي النحوي/٢٣٩

(٢) الخصائص/٢/٣٢١

(٣) المصدر نفسه/٢/٣٢٤

(٤) المصدر نفسه/٢/٣٢٤

(٥) سر صناعة الاعراب/١/٢٨

(٦) المصدر نفسه/١/٢٨-٢٩

في الرتبة بعد الضاد والقاف ، لأنَّ الحركة إذا كانت بعضاً للحرف ، فالحرف كلُّ لها ، وحكم البعض في هذا تابع لحكم الكلِّ ، فكما أنَّ التي نشأت عن إشباع الحركات بعد الحروف المتحركة بها ، فكذلك الحركات التي هي أبعاضها وأوائل لها وأجزاء منها ، في الرتبة بعد الحروف المتحركة ، وهذا واضح مفهوم لمتأمله ((١).

إنَّ ابن جني في هذا يؤكد رأي سيبويه الذي يذهب إلى أنَّ الحركة تحدث بعد الحرف بقوله : ((فما يشهد لسيبويه بأنَّ الحركة حادثة بعد الحرف وجودنا إيَّها فاصلة بين المثليين مانعة من إدغام الأول في الآخر نحو : الممل والصف والممش ؛ كما تفصل الألف بعدها بينهما ، نحو الملال والصفاف والمشاش)) (٢).

ثم إنه بعد أن أثنى على مذهب أبي علي - كما أشرنا - لكنَّه في الخصائص يبطل مذهب شيخه باعتماده على أنَّ الحركة بعض الحرف بقوله : ((وقد كنا قلنا فيه قديماً قولاً آخر مستقيماً ، وهو أنَّ الحركة قد ثبت أنها بعض حرف . فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء ، والضممة بعض الواو ، فكما أنَّ الحرف لا يجمع حرفاً آخر فينشآن معاً في وقت واحد ، فكذلك بعض الحرف لا يجوز أن ينشأ مع حرف آخر في وقت واحد ؛ لأنَّ حكم البعض في هذا جار مجرى حكم الكلِّ هذا يفسد قول من قال : إنَّ الحركة تحدث مع حرفها المتحرك بها أو قبله ايضاً)) (٣).

ويعدّ إجماع النحاة في حذف واو (يزن) دليلاً على حدوث الحركة قبل الحرف وهذا مما دلت به ابن جني بقوله : ((ومما يقوي عندي قول من قال : إنَّ الحركة تحدث قبل الحرف إجماع النحويين على قولهم إنَّ الواو في (يعد) و (يزن) ونحو ذلك إنما حذف لوقوعها بين ياء وكسرة . يعنون : في يوعد ويوزن ونحوه لو خرج على أصله . فقولهم : بين ياء وكسرة يدلُّ على أن الحركة عندهم قبل حرفها المحرك بها)) (٤).

ومهما يكن من الأمر فإنَّ ابن جني عندما يرجح هذا الرأي ويبني على هذا ويفسد ذلك . ويميل إلى غيره إنما هو من باب المناقشة والمداولة في الآراء حتى يشبع الدرس بحثاً ومناقشة وهذا من لطف الأمر وغموض الحال كما قال أبو علي : ((وسبب هذا الخلاف لطف الأمر وغموض الحال ، فإذا كان هذا أمراً يعرض للمحسوس الذي إليه تتحاكم النفوس فحسبك به لطفاً ، وبالتوقف فيه لئسا)) (٥).

(١)سر صناعة الاعراب/١/٣٠-٣١

(٢)الخصائص/٢/٣٢٢

(٣)الخصائص/٢/٣٢٧

(٤)نفسه/٢/٣٢٥

(٥)نفسه/٢/٣٢١

الابتداء

النطق بالحرف من أول الاسم والفعل والحرف ابتداءً ، بشرط أن يكون ذلك الحرف متحركاً لاساكناً ولا بما قرُب من الساكن ، لأنهم لا يبتدون بساكن ولا يقفون على متحرك للعلّة الرابطة بين الابتداء والوقف ، (فكما لا يبتدأ بساكن لا يوقف على متحرك) (١) ، والدليل على أنهم لا يعملون هذا في نطقهم ، فإن نطقوا ذلك ، خففوا الهمزة إذا كانت حرفاً يبتدأ به ، وهذا يؤدي إلى تضعيف الصوت وتقريب للساكن .

قال أبو علي : ((كل حَرْفٍ في أول كلمة تَبْتَدِيُّ بها من اسمٍ أو فعلٍ أو حرفٍ فهو مُتَحَرِّكٌ ، ولا يُبْتَدَأُ بحرفٍ ساكنٍ في اللُّغة العربية . والدليل على أنهم لا يبتدون بالساكن أنهم لم يُخَفِّفُوا الهمزة إذا كانت في أول كلمة يُبْتَدَأُ بها ... لأنَّ في تخفيفها تضعيفاً للصوت ، وتقريباً للساكن . فلما لم يبتدئوا بالساكن لم يبتدئوا بما قرُب منه)) . (٢)

ومن أدلته على عدم الابتداء بالساكن هو ((أنهم لم يخرموا (متفاعِلُن) كما خرموا (فَعُولُن) ونحوه ، لأنَّ (متفاعِلُن) يُسَكَّنُ ثانيه فلو خُرِمَ لأدَّى ذلك إلى لزوم الابتداء بالساكن . فإذا رفضوا ما يؤدي إليه ، فإن يرفضوه نفسهُ أولى . (٣)

هذا الدليل الذي استطاع أبو علي عن طريقه أن يجيبَ عن سؤال سائل خرم (متفاعِلُن) إذ أجاب عنه عن طريق عدم الابتداء بالساكن لأنَّ أبا علي في الموضوع الصرفي والصوتي له اليد الطولي والفضلى أفضل من موضوع العروض الشعري وأوزانه ، فقد ذكر ابن جني أن أبا علي عدل به إلى طريق الاعراب ، بقوله : ((فعدلت به إلى طريق الاعراب ، فقلت : لا يجوز ، فقال لم لا يجوز ؟ فقلت : لأن التاء التي بعد الميم قد يدركها السكون في بعض الأحوال ، فيُكْرَهُ الابتداء بحرف قد يكون في بعض أحواله ساكناً في ذلك المثال بعينه ، كما كرهت العرب الابتداء بالهمزة المخففة لأنها قد قربت من الساكن ، أفلا ترى إلى تناسب هذا العلم واشتراك أجزائه ، حتى إنه ليُجاب عن بعضه بجواب غيره)) . (٤)

لقد ذكر أبو علي عدم الابتداء بما قرُب من الساكن يعني بذلك همزة (بَيْنَ بَيْنَ) حتى ولو كان في كلام العجم فضلاً عن كلام العرب ، نقل هذا ابن جني بقوله : ((رأيتُ مع هذا أبا علي - رحمه الله - كغير المستوحش من الابتداء بالساكن في كلام العجم . ولعمري إنه لم يصرِّح بإجازته ، لكنَّه لم يتشدّد فيه تشدده في إفساد إجازة ابتداء العرب بالساكن . قال : وذلك أنَّ العرب قد امتنعت من

(١) الاتقان في علوم القرآن/١/٨٩

(٢) التكملة/١٨١-١٨٢

(٣) المصدر نفسه/١٨٢

(٤) سر صناعة الاعراب/١/٤٩

الابتداء بما يقارب حال الساكن ، وإن كان في الحقيقة متحركاً ، يعنى همزة بين بين . قال : فإذا كان بعض المتحرك لمضارعه الساكن لا يمكن الابتداء به ، فما الظن بالساكن نفسه قال : وإنما خفى حال هذا في اللغة العجمية لما فيها من الزمزمة ، يريد أنها لما كثر ذلك فيها ضعفت حركاتها وخفيت ((١)).

يبدو أن أبا علي لا يجوز الابتداء بالساكن ولا الذي يقارب الساكن في الكلام العربي أما في العجمية فلهذه احساس صوتي بكثرة الابتداء بالساكن لما فيها من الزمزمة لأن حركاتها ضعيفة فخفيت ، وهذا نابع من درجة ذكائه في اللغات وإتقانها صوتياً ، فهو يتقن الفارسية فضلاً عن العربية .

ثم إن ابن جني عند تعرضه لباب الساكن والمتحرك ، وتصريحه بأنه لا يُبتدأ إلا بمتحرك بقوله : ((أما إمام ذلك فإن أول الكلمة لا يكون إلا متحركاً)) (٢). لكنه ((لأبي علي - رحمه الله - مسألتان : طويلة قديمة وقصيرة حديثة ، كلتاها في الكلام على المبتدأ ، أيمن ان يكون ساكناً أم لا)) (٣) في حين أنه لم يُبين هاتين المسألتين واستغنى عنهما بما شرحه في معناهما .

أقول إن المقصود بهاتين المسألتين هما الحروف التي يُبتدأ بها والتي تكون متحركة وربما تُسكن لعل صوتية أو لشذوذ أو لدخول حرف آخر عليها . وقد أشار إليها أبو علي في كتابه التكملة باختصار بقوله : ((والحروف التي يُبتدأ بها ، إذا كانت متحركة فاتصلت بشيء قبلها ، لم تحذف ، ولم تُغير ، إلا أن تكون همزة وصل نحو يازيد اذهب ، فإنك تحذفها من اللفظ في الوصل ، أو همزة قطع ما قبلها ساكن ، فإن هذه يحذفها أهل التخفيف ، ويلقون حركتها على الساكن الذي قبلها . كما أن همزة الوصل يحذفها كل العرب ، إذا اتصلت بشيء قبلها في الأمر العام وذلك نحو : (كم بلُك) ، أو تكون لام الأمر أو قولهم ((هو)) و ((هي)) فإن ذلك إذا اتصل بالواو أو الفاء ، أو بلام الابتداء ، فمنهم من يُسكن فيقول (فهي كالحجارة) (٤) و (هو خير لكم) (٥) ولهُوَ قائمٌ . وكذلك لام الأمر نحو : (فليُنظر) (٦) ومنهم من يدع ذلك على حركته ((٧)).

(١) الخصائص/١/٩١

(٢) المصدر نفسه/٢/٣٢٨

(٣) المصدر نفسه/٢/٣٢٩

(٤) البقرة/٧٤

(٥) البقرة/٢١٦

(٦) الطارق/٨٦

(٧) التكملة/١٨٢

الوقف

الوقف : معناه ، الحبسُ في اللغة ، أما في القراءة ، فمعناه القطع أي قطع الكلمة عمّا بعدها . (١)

قال أبو حيان : ((الوقف قطع النطق عند إخراج اللفظة وهو اختياري ... وغالباً تلزمه تغييرات إما في الحركة بحذف وهو السكون أو بروم أو اشمام ، وإما في الكلمة بزيادة عليها إما بتضعيف وإما بهاء السكت ، أو ينقص بحذف حرف العلة أو بقلب آخر الكلمة إلى حرف علة ، وبإبدال حرف صحيح منه)) . (٢)

والحرف الذي يوقف عليه من شروطه أن يكون ساكناً ، لأن الوقف سكوت ينقطع فيه عمل اللسان ويسكن ، قياساً إلى الحرف الذي يُبتدأ به أن يكون متحركاً ، لأنَّ العرب تبتدئ بمتحرك وتقف على ساكن ، فأجروا الأول على الحركة والأخير على السكون . (٣)

أما طريقة العرب في الوقف على الحرف الساكن فكانت تنطق بالتأني على أواخر الكلمات واعطائها كلَّ حقها الصوتي دون اسقاط من أحرف الكلمة ولا ينتقص من أواخرها شيئاً ، بل يظلّ مستمراً إلى نهاية الكلام ، وهذا وقف بما يشبه الوصل ، وهذه الطريقة لا يتعجل بنطق الحرف فيها، وعرف عن قبيلة الأزدي (أزدشنوة) أنهم إذا وقفوا على المرفوع نطقوا بضمة أطالوها إلى الواو وإن وقفوا على كسرة أطالوها فكأنها ياء نحو (جاء خالدو) (ومررت بخالدي) ، أما بنو تميم فكانوا يقفون على الحرف بالتضعيف نحو (خالذ)، هذا فريق ، وفريق آخر من العرب يسرعون بالنطق ولا يهتمون بسقوط الحرف أو بعض أجزاء الكلمة ، فهم يتعجلون إلى نهاية الكلمة ، ويمثل هذا الفريق (ربيعة) التي تقف على الاسم المنون أيأ كانت حركته ، ولخم ، تقف على ضمير الغائبة بحذف ألفه فيقولون (به) وهم يريدون (بها) أما طيئ فتقف على حذف تاء جمع المؤنث السالم نحو (دفن البناه من المكرماه) . (٤) يريدون : دفن البنات من المكرمات .

ومن هذه الامثلة مارواه ابن جني عن أبي علي في الوقف من التشديد : بقوله : ((مما أجرى في الوصل مجراه في الوقف من التشديد ، ما أنشدناه أبو علي : (من الرجز) بيازل وجناء أو عيهلّ كأن مهواها على الكلكل يريد العيهل والكلكل)) . (٥) من دون تشديد لكن شدد عند الوقف وقال أيضاً : وكبيت الكتاب : (من الرجز)

* ضخما يُحب الخلق الأضحماً *

(١) ينظر التعريفات/١٣٨

(٢) ارتشاف الضرب /٣٩٢

(٣) ينظر الاقناع/٥٠٤

(٤) ينظر من أسرار اللغة/٢٢٣-٢٢٦

(٥) المحتسب/١٠٢/١٣٧/١

فمن فتح الهمزة ، يريد الأضخم فنقل ثم أطلق . وفي هذا ... التثقيب في الوقف ((١)).
وعلل أبو علي هذا التشديد ((إيداناً بأن آخر الحرف محرك في الوصل إذ لا يجتمع ساكنان في الإدراج هكذا ، فكان يجب إذا أطلق في الوصل أن يحذف التشديد لزوال الحاجة إليه بالإطلاق ، ... فتركه الحرف المزيد في الوقف للتثقيب مع استغنائه عنه بإطلاق الحرف)) (٢). ((وعلى هذا قالوا : (خالدٌ ، وهو يجعلُ) : فإذا وصلوا قالوا : (خالدٌ يافتى) فكان سبيله إذا أطلق الميم في (الأضخم) بالنصب أن يُزيل التثقيب ، إلا أنه أجراه في الوصل ، مجراه في الوقف للضرورة)) (٣).
يبدو أن ابا علي ذهب إلى هذا كما ذهب سيبويه إلى أن الكلم في الشعر يثقلونه في الوصل والوقف بقوله : ((ومن العرب من يثقل الكلمة إذا وقف عليها ولا يثقلها في الوصل ، فإذا كان في الشعر فهم يُجرونه في الوصل على حاله في الوقف نحو : (سبباً وكللاً) ، لأنهم قد يثقلونه في الوقف ، فأثبتوه في الوصل كما أثبتوا الحذف في قوله لنفسه مقنعاً)) (٤) ، يعني قول ((مالك بن خريم : (من الطويل)

فإن يك غثاً أو سميناً فإنني
سأجعل عينيه لنفسه مقنعاً (٥)
(وإنما حذفه في الوقف)) (٦).

فالوقف أحياناً يتلزم والوصل ، ففي الشعر يجرون الشيء في الوصل وفي الوقف هذا ما صرح به أبو علي راداً على يونس في أن لبيك مفرد كإليك وعليك .
قال أبو علي : يمكن ليونس أن يقول : إنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، فكما تقول في الوقف : عصى وفتى كذلك قال : قلبى ، ثم وصل على ذلك)) (٧).
ورأى يونس ذكره سيبويه بقوله : ((وزعم يونس أن لبيك اسمٌ واحدٌ ولكنه جاء على هذا اللفظ في الإضافة ، كقولك : عليك)) (٨).

فإجراء الوصل مجرى الوقف أسقط قول سيبويه عن يونس ، وعلل ذلك ابن جني في قول الشاعر: (من المتقارب)

دعوت لِمَا نابني مسوراً
فلبى فلبى فلبى يدي مسوراً
في ثبات الياء مع المظهر ؛ يدل ذلك على أنه لم يقلب في لبيك على حد ما قلب في إليك وعليك . (٩).
أي في حالة الإضافة إلى الاسم الظاهر بقيت الياء كما هي مع الإضافة الى المضمرة (الكاف).

(١)المحتسب/١٠٢/١

(٢)المصدر نفسه/٢٣٩/٢

(٣)المنصف/١٠/١

(٤)، (٥)، (٦) الكتاب/١/٢٨-٢٩

(٧)المحتسب/٧٩/١

(٨)الكتاب/١/٣٥١

(٩)ينظر المحتسب/١/٧٨-٧٩

إنّ العرب تقف على الحرف فتسكنه ، وهذا التسكين غالباً ما يحدث في المرفوع والمجرور ، لكن ابن جنى ذكر من العرب من يقف على المنصوب المنون بلاألف ، فيقول : ضربتُ زيدٌ وكلمتُ محمداً ، فحذفت التثنية عنه لأنه اسم منصوب على تنوين الفتح ، فبالأصل يكون الكلام ضربتُ زيداً ، وكلمتُ محمداً ، وتقف على هذا كما تقف على المرفوع بلا ضمة وعلى المجرور بلا كسرة ، فنقول : هذا جعفرٌ ومررت بجعفرٍ . وقد ذكر ابن جنى هذا في ضوء ما حدثه شيخه أبو علي بقوله :

((حدثنا أبو علي أنّ أبا عبيدة حكى عنهم : ضربت فرجاً ، وأنشد للأعشى : (من المتقارب)

إلى المرءِ قيسٍ أطيلُ السرى
وأخذ من كل حَيٍّ عَصْمٌ
ولم يقل : عَصْمًا)) (١) ((لما كانت القافية مقيدة)). (٢) ((فحذف البدل من التنوين ، كما يحذفه من المجرور والمنصوب)). (٣)

لقد أشار سيبويه إلى هذا في (باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك) وذكر أن هذا يحدث في حالة الرفع والجر ولم يحدث في حالة النصب ، لأنه في موضع التنوين ، بقوله : ((وذلك قول بعض العرب : هذا بكرٌ ، ومن بكرٍ . ولم يقولوا : رأيتُ البكرَ ، لأنه في موضع التنوين ، وقد يلحق ما يبيّن حركته . والمجرور والمرفوع لا يلحقهما ذلك في كلامهم . ومن ثمّ قال الراجز - بعض السعديين : (من الرجز)

*أنا ابنُ ماويّة إذ جدّ النقرُ

... ولا يقال في الكلام إلا النقرُ ، في الرفع وغيره)). (٤)

لقد خالف أبو عبيدة وأبو علي وابن جنى سيبويه ، فيما نقلوه عن العرب في الوقف على المنصوب المنون ، فذهبوا إلى جوازه في نحو (ضربت فرجاً) واستشهد أبو علي بقول الأعشى ، أمّا سيبويه فقد جوّزه في حالتي الرفع والجر ولم يجوّزه في حالة النصب لأنه منون وربما يلحقه ما يبيّن حركته .

(١) سر صناعة الاعراب / ٤٧٧/٢ وينظر الفسر / ٢٣٢/١

(٢) شرح أرجوزة أبي نواس / ٨٣

(٣) المسائل العسكرية / ١٣٢

(٤) الكتاب / ١٧٣/٤

الإمالة

ظاهرة صوتية ينحو بها اللسان العربي من الفتحة نحو الكسرة والألف التي بعدها كسرة نحو الياء ؛ وسببها تجانس الصوت بين الكسرة والياء . (١) وهي متأثرة في طبيعتها بالزمان والمكان . والإمالة هي علمُ طريقة الخوض في العلاقة بين الحركات والحروف . (٢) وقيل : إنها لغة بني تميم ولغة أهل الحجاز الفتح ، في مثل شاء وخاف ، وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يميلون إلى الكسر من ذوات الياء ويفتحون بذوات الواو . (٣)

وقد عني بها علماء النحو المتقدمون مثل الخليل وسيبويه والأخفش وأبي علي الفارسي وابن جنّي ، فقد خصّ سيبويه مبحثاً لها في كتابه فقال فيه : ((هذا باب ما تمال فيه الألفان فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور . وذلك قولك : عابِدٌ ، وعالِمٌ ، ومساجِد ، ومفاتيحُ ، وعذافر ، وهابيلُ . وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي في صدرَ ، فجعلوها بين الزاي والصاد ،... فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد ، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك . فالألف قد تشبه الياء ، فأرادوا أن يقربوها منها)) . (٤)

وتابع أبو علي ما ذهب إليه سيبويه في إمالة الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة ؛ وعلل ذلك للتلاؤم بين الحرفين وللتقارب الصوتي بينهما . (٥) ثم وضح الأسباب التي توجب تلك الإمالة بقوله : ((وللإمالة أسباب توجبها ، فمن ذلك وقوعُ الياء أو الكسرة قبل الألف فالياء قولهم شيبان وعيلان - وكذلك إذا انفتحت الياء نحو الضيَّاح للبنِّ المخلوط بالماء ، والكَيْال . وأما الإمالة للكسرة قبلها فنحو عمادٍ وكتابٍ وشمَلالٍ وسرِبالٍ ودرهمان ، وكذلك إن كانت الكسرة أو الياء بعد الألف نحو (عابد) وعالمٍ ومسافرٍ ومبايعٍ)) . (٦) فالحرف بين الكسرة والألف في (عمادٍ) لا يؤثر في الألف كما أن الحرفين اللذين بين الالف والكسرة لا يؤثران في الإمالة .

قال سيبويه : ((إذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرف متحرك ، والأول مكسور نحو (عمادٍ) أملت الألف ؛ لأنه لا يتفاوت ما بينهما بحرف : ألا تراهم قالوا : صَبَقْتُ ، فجعلوها صاداً لمكان القاف ، كما قالوا : صُقْتُ . وكذلك إن كان بينه وبين الالف حرفان الأول ساكن ؛ لأنَّ الساكن ليس بحاجز قوي ، وإنما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعه واحدة كما رفعه في الأول ، فلم

(١) ينظر سر صناعة الاعراب/١/٥٢

(٢) لينظر أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية/٢١٥

(٣) ينظر شرح المفصل لابن يعيش /٩/٥٤

(٤) الكتاب/٤/١١٧

(٥) ينظر التكملة/٥٢٨

(٦) المصدر نفسه/٥٢٨

يتفاوت لهذا كما لم يتفاوت الحرفان حيث قلت صَوِيْقٌ . وذلك قولهم : سِرِيَالٌ ، وَشِمَالٌ ، وَعِمَادٌ
وَكَلَابٌ)). (١)

هذه الإمالة الواجبة التي بيّنها أبو علي في كون الحرف بعد الألف مكسوراً أمّا إذا كان الحرف
مضموماً أو مفتوحاً لا تحدث الإمالة أي تكون ممتنعة نحو : تَابِلٌ وَأَجْرٌ ، لأنّ الإمالة هي إمالة الالف
نحو الكسرة . (٢)

قال سيبيويه : ((فإذا كان ما بعد الألف مضموماً أو مفتوحاً لم تكن فيه إمالة ، وذلك نحو أَجْرٍ
وتَابِلٍ ، وَخَاتِمٍ . لأنّ الفتح من الالف ، فهو ألزم لها من الكسرة . ولا تتبع الواو ؛ لأنها لا تشبهها .
ألا ترى أنّك لو أردت التقريب من الواو انقلبت فلم تكن ألفاً)). (٣)

أمّا إذا كان الحرف قبل الألف مضموماً أو مفتوحاً فلا تمال الألف أيضاً نحو رِيَابٍ وَجِمَادٍ ،
وَالْجُمَاعِ ، وَالْخُطَافِ . (٤)

يبدو أنّ أغلب الحروف العربية المكسورة التي قبل الألف أو بعدها تمال معها الألف لكنّ هناك
حروفاً سبعة إذا وقعت قبلها لا تمال معها الألف ، وهذه السبعة هي الصاد ، والضاد ، والطاء ،
والظاء ، والغين ، والقاف ، والخاء ، والتي تسمى بحروف الاستعلاء والسبب يعود لأنّها تستعلى
إلى الحنك الأعلى ، والالف تستعلى فلا تكون فيها إمالة نحو الكسرة والياء .

قال سيبيويه : ((وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنّها حروفٌ مستعلية إلى الحنك الأعلى والألف
إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى ، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت
عليها ، كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها . فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الالف
تستعلى ، وقربت من الألف ، كان العمل من وجه واحد أخفّ عليهم ، كما أنّ الحرفين إذا تقارب
موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخفّ عليهم فيدغمونه)). (٥)

وتحصل الإمالة في الأفعال نحو رمى ، وسعى ، وغزا ، ودعا وفي الأسماء نحو ناب ؛ لأنّ جمعها
أنياب ورحى ، ونوى ، وفي الأدوات والحروف نحو (كلا) و(بلا) ، وفي أسماء الحروف نحو ، با ،
تا ، نا ، وهذا ما ذكره ابن جني من إمالة في تلك للدلالة على القياس الذي ذهب إليه أبو علي ، فقال:
(وأنا أذكر وجه الإمالة في هذه الحروف ، وأدل على صحة القياس الذي ذهب إليه أبو علي . أمّا
إمالتهم إياها وهي حروف تهجّ فليس ذلك لأنها منقلبة عن ياء ولا غيرها ، وذلك أنّها حينئذ أصوات
غير مشتقة ولا متصرفة ، ولا انقلاب في شيء منها لجمودها ، ولكن الإمالة فيها حينئذ إنّما دخلتها
من حيث دخلت (بلى) ، وذلك أنّها شابهت بتمام الكلام واستقلاله بها وعناها عما بعدها الأسماء
المستقلة بأنفسها . فمن حيث جازت إمالة الأسماء كذلك أيضاً جازت إمالة (بلى) لكونها جواباً

(١) الكتاب/٤/١١٧

(٢) ينظر التكملة/٥٢٩

(٣) الكتاب/٤/١١٨

(٤) ينظر الكتاب/٤/١١٨

(٥) المصدر نفسه/٤/١٢٩

مستقلاً إلى شيء بعدها فلما قامت بنفسها ، وقويت ، لحقت في القوّة بالأسماء في جواز إمالتها كما أميل نحو (أنى ومتى) وكذلك أيضاً إذا قلت : (با، تا، ثا) قامت هذه الحروف بنفسها ، ولم تحتج إلى شيء يقويها ، ولا إلى شيء من اللفظ تتصل به ، فتضعف وتلطف لذلك الإتصال عن الإمالة المؤذنة بقوة الكلمة وتصريفها ((١).

إنّ القياس واضح عند أبي علي فيما ذهب إليه في إمالة ألف حروف المعجم ، با وتا ؛ لأنّها أسماء ما يُلفظ بها ، وليست كقد ؛ لأنّه حرف والحرف لا يصلح فيه الإمالة (٢) .
لقد ذكر ذلك سيبويه وأكد إمالة ألف هذه الحروف ؛ لأنّها أسماء وجاءت كسائر الأسماء وليس لمعنى آخر (٣) . وأضاف المبرد ، أنّها مرفوعة (فلو ألزمت النصب لألبست بالحروف ؛ لأنّ الحروف لا تصلح فيها الإمالة ((٤).

أما كلمة (ماء) ففي إمالتها وأصل ألفها خلاف بين ابن جنبي وشيخه أبي علي الفارسي فهي عنده من الياء وعند أبي علي من الواو في ضوء قياسه بأنّها واو في الأصل لأنّها عينٌ والهمزة لامٌ بدلٌ من ياء ليكون من باب (طويت) (٥).

قال ابن جنبي : ((فأما (ماء) فلو سمّيت به رجلاً ، لقضيت بأنّ ألفه من الياء ، لأجل الإمالة فيه . وقياس قول أبي علي أنّ تكون من الواو ((٦).

إنّ الذي ذهب إليه أبو علي كون الألف في (ماء) من الواو ، يدل على أنّ الفتح أولى في هذه الكلمة وهي لغة أهل الحجاز ، أما الذي ذهب إليه ابن جنبي ، يدل على الإمالة أولى من الفتح وهي لغة أهل نجد من تميم وقيس واسد .

جاء في شرح المفصل لابن يعيش : ((فالإمالة لغة بني تميم والفتح لغة أهل الحجاز . قال الفراء : أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل : شاء ، وخاف ، وجاء ، وكان ، وما كان من ذوات الياء والواو قال : وعامة أهل نجد من تميم واسد وقيس يسرون الى الكسر من ذوات الياء في هذه الاشياء ويفتحون في ذوات الواو مثل : قال وجال ((٧).

يبدو أنّ (ماء) يقارب (شاء) في أنّ ألفهما أصلها ياء فيكون فيها إمالة كما ذهب إليه ابن جنبي ، فإن كانت واواً كما ذهب إليها أبو علي الفارسي ، فيكون فيها الفتح لا الإمالة . فضلاً عن أنّ الخليل ذهب إلى أنّ الحرف لو سمينا به رجلاً أميلت الفه نحو حتى وأما وإلا . (٨) فإن (ماء) لو سمينا به رجلاً وهو اسم بالأصل فإمالاته أولى من الفعل في ضوء القرائن ، أما الإمالة في كلمة ((إمالا)) فقد

(١) سر صناعة الاعراب/٢/٧٩٤

(٢) ينظر التكملة /٥٣٨/

(٣) ينظر الكتاب/١/١٣٥

(٤) المقتضب/٣/٥٢

(٥) ينظر المنصف/١/١٢٥

(٦) المصدر نفسه/١/١٢٦

(٧) شرح المفصل لابن يعيش/٩/٥٤

(٨) ينظر الكتاب/٤/١٣٥

أشار إليها أبو علي بقوله : ((وكذلك قولهم ((إِفْعَلُ كَذَا وَكَذَا إِمَا لَ)) فإمالتهم (لا) من ((إِمَالَا))
إنما هو لأنَّ معناه : إِفْعَلُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كُنْتَ لَا تَفْعَلُ غَيْرَهُ . فَلَمَّا حُذِفَ الْفِعْلُ وَأُقِيمَت (لا) مُقَامَهُ
وَأُغْنَتْ عَنْهُ ، أُمِيلَتْ لِمَشَابَهَتِهَا الْفِعْلَ . وَكَذَلِكَ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِمْ : ((يَازِيدُ)) إِنَّهَا أُمِيلَتْ لِأَنَّهَا قَامَتْ
مَقَامَ ((أَدْعُو ، وَأُنَادِي)) وَلِأَجْلِ الْيَاءِ أَيْضًا)) . (١)

يبدو أنَّ الحرف عندما يشبه الفعل أو الاسم فإنَّ ألفه تمال عند أهل الدراية اللغوية ، (فقالوا :
يَازِيدُ ، فَأَمَالُوا لِمَشَابَهَتِهَا الْفِعْلَ .) ذكر ذلك أبو علي وذهب إليه في إمالة الحرف . (٢) فكما أنَّ
تكون (يا) تشبه الفعل وهي حرف فكذلك (لا) في (إِمَالَا) اقيمت في مكان الفعل وأُغْنَتْ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ
تشبهه في المعنى فأُمِيلَتْ أَلْفُهَا . وقد ذكر سيبويه هذا من قبلُ في إمالة (يا النداء) ، لمكان
الياء . (٣) وهذا يدلُّ على أنَّ أبا علي قد ذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه في تلك الإمالة لأقامتهما مقام
الفعل .

(١) المنصف/١/١٢٣

(٢) التكملة/٥٣٩

(٣) ينظر الكتاب/١/١٣٥

الإعلال

حالة تغيير في أحرف العلة (ا.و.ي) لدواعي التخفيف ، فهو مباينة كلية ؛ لأنه تغيير في حرف العلة . (١) ، وهذا التغيير يحدث في صورة الحرف حتى تكون على نقيض الصورة السابقة ، أي الحرف نفسه انقلب الى صورة أخرى مثل (قال) أصلها (قول) ، فالواو قلبت ألفاً . (٢) قال ابن سيده : ((فكأن الحرف نفسه انقلب من صورة الى صورة إذا قلت : قام ، والأصل قَوْمَ ، فكأنه لم يؤت بغيره بدلاً منه ، ولم يخرج عنه ؛ لأنَّ شدة المقاربة للنفس بمنزلة النفس)) . (٣) والاعلال لا يختص بحروف العلة فقط وإنما يشمل الهمزة أيضاً لمقاربتها إياها وكثرة تغييرها في (راس وفاس) أصلها (رأس وفأس) . (٤) يبدو أنَّ الإعلال هو تسهيل وتيسير النطق بالحرف ؛ لأنَّ الحروف الصعبة نطقاً تسهل نحو الحروف السهلة نطقاً ، فالهمزة تسهل نطقاً نحو الألف أو الواو أو الياء ، فيعد التيسير في النطق باللغة ، فهو نظرية تميل إليها اللغة من أجل التخلص من الأصوات العسيرة حتى تستبدل أصواتاً لا تتطلب جهداً كبيراً عند النطق بها ؛ ولهذا تتفادى التعقيدات اللغوية . (٥) الظاهر أنَّ الإعلال غالباً ما يحدث بين حروف العلة ، على الرغم من شمول الهمزة معها ؛ لأنها أحق من غيرها وذلك ((نطلب الخفه ، والكثرة ، والمناسبة بين بعضها وبعض من جهة أنه يُتَمَكَّن بها أو ببعضها من إخراج الحروف ، ومن جهة ما فيها من المدِّ واللين ، ومن جهة ما تمكن بها في الشعر من التلحين ، ومن جهة اتساع مخرجها على اشتراكها في ذلك أجمع)) . (٦) ويتنوع الإعلال بما تتعرض له أصوات العلة من تغييرات ، إلى أضرب ، احدها الإعلال بالقلب ، الذي يعني حلول حروف العلة بعضها محل البعض ، وثانيها ؛ الإعلال بالحذف ، الذي يعني سقوط أصوات العلة بكاملها ، نحو (يعد) مضارع وعد ، وثالثها ؛ الإعلال بالنقل الذي يعني سقوط بعض عناصر صوت العلة نحو (يقول) أصلها : يَقُولُ ، فالثاني والثالث يختص بحروف العلة في حين الأول يحدث بالتناوب بين الهمزة وحروف العلة نحو (عجائز) والأصل عجاوز . (٧) ويمكن القول : إنَّ الإعلال نوعٌ من التغيير يعرض للكلمة العربية في حروفها أو هو التحول في بنية الكلمة بسبب التغيير الحاصل بين أصوات العلة أو أصوات الهمزة في داخلها .

(١) ينظر التعريفات/٢٤

(٢) ينظر أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية/١٣٤

(٣) المخصص/٤/١٧٩ السفر الثالث عشر

(٤) ينظر شرح المفصل/٧/١٠ وشرح الملوكي في التصريف/٢١٤-٢١٥

(٥) ينظر أبو علي النحوي / ١٣٤

(٦) المخصص/ ٤ / ١٨٠ السفر الثالث عشر

(٧) ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية /١٦٧

في ضوء هذا يفهم أن الاعلال يحدث فيما بين الصوائت أي حروف العلة (الواو والياء والالف)
وإذا كان حادثاً بين الهمزة وبين حروف العلة فيسمى اعلالاً أيضاً ، ومن هذا المنطلق نستطيع ان
نذكر ما نقله ابن جني عن شيخه أبي علي الفارسي في ضوء هذا المفهوم .

قلب الواو ألفاً في (يا) إذا خلط حرف الجر (اللام) معها :

قال ابن جني : ((وسألني أبو علي - رحمه الله - عن الف (يا) من قوله - فيما انشده ابو
زيد : (١) (من الوافر)

فَخَيْرٌ نَحْنُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْكُمْ إذا الدَّاعِي المَثُوبُ قَالَ يَإِلَا
فقال : أمقلبة هي ؟ قلت : لا ، لأنها في حرف أعني (يا) فقال : بل هي منقلبة . فاستدلته على ذلك
، فاعتصم بأنها قد خلطت باللام بعدها ووقف عليها ، فصارت اللام كأنها جزء منها ، فصارت
(يال) بمنزلة (قال) ، والألف في موضع العين وهي مجهولة ، فينبغي أن يحكم عليها بالانقلاب عن
الواو ((٢)) . ((وقوله : يا لا ، أراد (يال بني فلان) فحكى صوت الصارخ المستغيث)) . (٣) (على
أن (اللام) خلطت بـ(يا) أراد أنه خلطت لام الاستغاثة الجارة بيا حرف النداء وجعلتا كالكلمة الواحدة
، وحكيما كما تحكى الأصوات)) . (٤)

وقلبها أيضاً في (علا) . أي أن أصل الألف في علا هي الواو وقلبت ألفاً ، لأنها من علوت نقلاً
عن أبي علي ، ((وقد كان أبو علي يقول في قول الراجز :

فهي تنوش الحوض نوشاً من علا
نوشاً به تقطع أجواز الفلا

إن الألف في (علا) منقلبة عن الواو ، لأنه من علوت ، وإن الكلمة في موضع مبني على الضم نحو
: ((قبل ، وبعده)) ، لأنه يريد : نوشاً من أعلاه . فلما اقتطع المضاف من المضاف اليه ، وجب
بناء الكلمة على الضم نحو : ((قبل ، وبعده)) فلما وقعت الواو مضمومة وقبلها فتحة قلبت
ألفاً)) . (٥) ؛ لأن الفتحة تقارب الألف في الصوت والألف تقاربها أيضاً ، وقد استحسّن ابن جني هذا
الرأي بقوله : ((وهذا مذهب حسن)) . (٦)

ونقل أيضاً في سؤاله لشيخه عن ألف (باء وتاء) أهي منقلبة؟ فقال أبو علي: ((نعم ، أحكم عليها
بأنها واو في الأصل ؛ لأنها عين والهمزة لام بدل من ياء ليكون من باب (طويت) . فقلت له : كيف

(١) البيت لزهير بن مسعود الضبي/النوادر في اللغة/٢١

(٢) الخصائص/٢٧٦/١

(٣) النوادر في اللغة/٢١

(٤) خزانة الادب/٦/٢

(٥) المنصف/١٢٤/١ - ١٢٥

(٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة

تَجِيزُ ذَلِكَ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَ إِنَّمَا هِيَ الْأَلْفُ الْمَجْهُولَةُ فِي ((بَا، وَتَا)) قَبْلَ الْمَدِّ ؟ فَقَالَ : لَمَّا صَارَتْ اسْمًا قَضِينَا لَهَا بِأَحْكَامِ الْأَسْمَاءِ . أَأَلْتَرَى أَنَا لَوْ سَمِينَا بِـ(ضَرْبٍ) لِأَعْرَبِنَاهُ فَقَلْنَا : ((جَاءَنِي (ضَرْبٌ)) فَنَعْرِبُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلَ التَّسْمِيَةِ غَيْرَ مَعْرَبٍ ، فَكَذَلِكَ ((بَا، تَا)) إِذَا مَدَّتْ قُضِيَ عَلَيْهَا بِمَا يُقْضَى عَلَى الْأَسْمَاءِ . فَقِيلَ لَهُ فِي الْوَقْتِ : أَفْتَجَمَعُ عَلَى الْكَلِمَةِ إِعْلَالِينَ : إِعْلَالُ الْعَيْنِ . وَإِعْلَالُ اللَّامِ ؟ فَقَالَ : قَدْ جَاءَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ صَالِحٌ نَحْوُ : (مَاءٌ ، وَشَاءٌ) . ((١))

إِنَّ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ هُوَ قِيَاسُ سَبِيئِيهِ فِي أَنَّ أَوَّلَ هَذِهِ الْأَلْفِ وَآوُ وَقَدْ خَالَفَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَى أَنَّهَا مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ ، لَكِنَّ الرَّأْيَ الَّذِي قَالَهُ سَبِيئِيهِ اسْتَنْدَ بِهِ إِلَى أَنَّ الْأَلْفَ إِذَا جَاءَتْ فِي مَوْضِعِ الْعَيْنِ مِنَ الْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَكَثِيرًا مَا تَكُونُ مَنقَلِبَةً عَنِ الْوَآوِ . ((٢)) فَالْأَلْفُ تَكُونُ بَدَلًا مِنَ الْوَآوِ إِذَا كَانَتْ عَيْنًا فِي مَاءٍ . ((٣)) فَالظَّاهِرُ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ هُوَ أَجْرَى عَلَى الْقِيَاسِ . ((٤)) لِأَنَّ أَبَا عَلِيٍّ يَعْتَدُّ بِالْقِيَاسِ كَثِيرًا .

وَفِي ضَوْءِ هَذَا نَرَى ابْنَ جَنِيٍّ يُوَيِّدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ وَيَعِدُّهُ الصَّحِيحَ فِي ضَوْءِ اسْتِقْرَاءِ كَلِمَاتِ اللُّغَةِ الَّتِي عَيْنُهَا الْفَاءُ ، فَيَعِدُّهَا مَنقَلِبَةً عَنِ الْوَآوِ ، بِقَوْلِهِ : ((وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ ؛ لِأَنَّكَ إِذَا اسْتَقْرَيْتَ اللُّغَةَ وَجَدْتَهَا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ هَكَذَا ، أَلَا تَرَى إِلَى ((بَابٍ ، وَدَارٍ ، وَسَاقٍ ، وَنَارٍ ، وَتَاجٍ ، وَصَاعٍ)) فَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْوَآوِ . وَالْيَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَلِيلَةٌ)) . ((٥))

وَاسْتَدَلَّ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي عَلِيٍّ فِي هَذَا فِي اسْتِقْرَافِهِمْ أَفْعَالًا مِنْ أَسْمَاءِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَفِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ تَكُونُ الْوَآوُ وَاضِحَةً بَدَلًا مِنَ الْأَلْفِ ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ الْأَلْفِ وَآوُ ، بِقَوْلِهِ : ((وَيَدُلُّ صَحَّةَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ : أَنَّ الْأَلْفَ فِي : (قَافٍ وَكَافٍ وَدَالٍ) وَنَحْوَهَا لَا يَعْلَمُ لَهَا أَوَّلَ فِي الْيَاءِ وَلَا فِي الْوَآوِ ، لِأَنَّهَا غَيْرُ مَتَصَرِّفَةٍ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمَّا أَعْرَبُوهَا وَعَطَفُوهَا فَقَالُوا : ((قَافٍ ، وَكَافٍ ، وَدَالٍ)) اسْتَقْفُوا مِنْهَا أَفْعَالًا كَمَا يَشْتَقُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ الصَّرِيحَةِ فَقَالُوا : ((قَوِّفْتُ قَافًا ، وَكَوِّفْتُ كَافًا ، وَدَوِّفْتُ دَالًا)) ، وَقَالُوا : ((لَوَيْتُ لَاءً حَسَنَةً)) فَجَعَلُوهَا مِنَ الْوَآوِ لِأَنَّ الْإِمَالَةَ لَمْ تَسْمَعْ فِيهَا)) . ((٦))

وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ هُوَ رَأْيُ سَبِيئِيهِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ : ((إِنَّكَ لَوْ سَمَيْتَ رَجُلًا بـ(عَلَى) وَثَنِيَّتِهِ فَقَلْتِ (عَلَوَانَ) لِأَنَّ أَوَّلَ الْأَلْفِ فِيهَا وَآوُ أَيَّ أَنَّهَا مَنقَلِبَةٌ عَنِ الْوَآوِ ، لِأَنَّهَا مِنْ عَلَوْتُ (٧) قَالَ سَبِيئِيهِ : ((وَلَوْ جَعَلْتِ (عَلَى) اسْمًا ثُمَّ ثَنَيْتِ لَقَلْتِ : عَلَوَانَ ، لِأَنَّهَا مِنْ عَلَوْتُ ، وَلِأَنَّ أَلْفَهَا لِأَزْمَةِ لِلانْتِصَابِ)) . ((٨))

(١) المنصف/١/١٢٥-١٢٦

(٢) ينظر المنصف/١/١٢٦

(٣) ينظر الكتاب/٤/٢٣٨

(٤) ينظر المنصف/١/١٢٦

(٥) المنصف/١/١٢٦

(٦) المنصف/١/١٢٧

(٧) ينظر المنصف/١/١٢٧

(٨) الكتاب/٣/٣٨٧

قلب الألف ياء ، وهذا يحدث في (يابشري) (١) في قراءة بعضهم من غير القرآء السبعة . (٢)

روى ابن جنى عن أبي علي سبب قلب ألف (بشري) ياءً وإدغامها في ياء الإضافة ؛ لأنَّ الاسم الذي يضاف إلى الياء يكون مكسوراً وبهذا لم تتحمل الألف الكسر فقلبت ياء .

قال ابن جنى : ((قال لي أبو علي : إنَّ قلب هذه الالف لوقوع الياء بعدها ياء كأنه عوض مما كان يجب فيها من كسرهما لياء الإضافة بعدها ، ككسرة ميم (غلامي) وباء (صاحبى) ونحو ذلك . ومن قلب هذه الالف لوقوع هذه الياء بعدها ياء لم يفعل ذلك في ألف التثنية ، نحو غلامي وصاحباي ، كراهة التباس المرفوع بالمنصوب والمجرور)) . (٣)

وبعد الرجوع إلى كتاب الحجة لأبي علي الفارسي وجدت الكلام هو بعينه يعلل به أبو علي سبب هذه القراءة وقلب الف (بشري) ياء بقوله : ((وقد قرأ ناسٌ من غير القرآء السبعة هذا النحو بقلب الألف ياءً ، وإدغامها في ياء الإضافة ، فقالوا : (هُدْيٌ) و(بُشْرِي) ، والقول في ذلك أن ما يضاف إلى الياء يحرك بالكسر إذا كان الحرف صحيحاً نحو : غلامي وداري . فلما لم تتحمل الألف الكسرة ، قُرِبَت الألف من الياء بقلبها إليها ، كما كان الحرف يكون مكسوراً والألف قريبة من الياء ، فكذلك أُبدِلَ كل واحدٍ منهما من الآخر في حاري وضاري)) . (٤)

ولو رجعت الى كتب القراءات الأخرى لوجدت أن قراءة كلمة (بشري) يمكن أن تضاف إلى (ياء) المتكلم فتقلب ألفها ياء وتدغم الياء بالياء .

قال ابن خالويه : ((قوله تعالى : ((يابشراي)) يُقرأ باثبات الألف وفتح الياء ، وبطرحها واسكان الياء ، فالحجة لمن أثبتها : أنه أراد : الإضافة إلى نفسه كقوله : (ياحسرتي وياويلتي) والحجة لمن طرح : أنه جعله اسم غلام مأخوذ من البشارة ، مبنى على وزن (فُعْلَى) . فأما الإمالة فيه فلمكان الراء ، وحققتها على الياء ، فأشار بالكسر إلى الراء ، ليقرَّبَ من لفظ الياء)) . (٥)

فعند الإضافة إلى ياء المتكلم يمكن أن تحرك الألف نحو الكسر وبذلك يمكن ان تقلب ياءً وتدغم الياء بالياء فتقرأ (بشري) كما هو الحال في كسر ميم غلامي .

قال أبو علي الفارسي : ((من قال : (يابشراي هذا) فأضاف إلى الياء التي للمتكلم كان للألف التي هي حرف الإعراب عنده موضعان ... الآخر : أن تكون في موضع كسر من حيث كانت بمنزلة حرف الإعراب في : (غلامي))) . (٦)

(١) يوسف/١٩ (قال يابشري هذا))

(٢) الحجة للقرآء السبعة/٤٤١/٢

(٣) المحتسب/٣٣٦/١

(٤) الحجة للقرآء السبعة/٤٤١/٢

(٥) الحجة في القراءات السبع/١٩٤ وينظر الحجة للقرآء السبعة/٤٣٨/٢-٤٣٩

(٦) الحجة للقرآء السبعة/٤٣٩/٢

يبدو أن قلب الألف ياءً قد أشار إليه النحاة قبل أبي علي ومنهم شيخ النحاة سيبويه بقوله :
((وكذلك : حاحيتُ ، عاعيتُ ، وهاهيتُ . ولكنهم أبدلوا الألف لشبهها بالياء فصارت كأنها هي .
يدلُّك على أنها ليست فاعلتُ قولهم : الحِجَاءُ والعِيعَاءُ ، كما قالوا : السَّرْهَافُ والفَرِشَاطُ ، والحاحاةُ
والهاهاةُ ، فأجري مجرى دَعَدَعْتُ إذْ كُنَّ للتصويت ، كما أن دَهَدَيْتُ هي فيما زعم الخليل
دَهَدَهَتْ)) .(١)

وقال في مكان آخر : ((قول بعض العرب في أفعي : هذه أفعي ، وفي حُبلي : هذه حُبلي ، وفي
مُنِّي : هذا مُنِّي . فإذا وصلت صيرتها ألفاً . وكذلك كلُّ ألف في آخر الاسم . حدثنا الخليل وابو
الخطاب أنها لغة لفزارة وناس من قيس ، وهي قليلة . فأما الأكثر الأعراف فإن تدع الألف في الوقف
على حالها ولا تبدلها ياءً . وإذا وصلت استوت اللغتان ؛ لأنه إذا كان بعدها كلام كان أبين لها منها
إذا سكَّت عندها ، فإذا استعملت الصوت كان أبين . وأما طيئ فزعموا أنهم يدعونها في الوصل على
حالتها في الوقف ؛ لأنها خفية لا تحرك ، قريبة من الهمزة)) .(٢)

أما أبو بكر بن السراج فأشار إلى هذا القلب والإبدال أيضاً بقوله : ((وتبدل الياء من الألف في
قولك : هذان رجلان ثم تقول : رأيتُ رجلين ، ومررتُ برجلين ، وتبدل من الألف في (قرطاس) إذا
صغرت أو جمعت قلت : قرطيس ، وقرطيس ، وتبدل في لغة بعض العرب طيئ وغيرهم ، يقولون
: أفعي وحُبلي)) .(٣)

الظاهر أن هذا الإعلال والقلب للألف ياءً الذي أثاره أبو علي في قوله تعالى (يا بشرى) والذي
قال عنه سيبويه في كلمة (أفعي) وتحدث عنه أبو بكر بن السراج هو قليل في لغة العرب أو
هو لغة خاصة عند بعض العرب والملاحظ أن القراءة المشهورة هي بالالف .

قال أبو علي : ((اختلفوا في فتح الياء وإثبات الألف وإسقاط الألف من قوله عز وجل :
(قال يا بشرى هذا)) (يوسف) ١٩

فقراً ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (يا بشرى) بفتح الياء وإثبات الألف . وروى ورش
عن نافع : ((يا بشرى)) ... بسكون الياء . الباقر عن نافع : بتحريك الياء ... ورأيت أصحاب
ورش لا يعرفون هذا ويروون عنه بفتح الياء ... وقرأ عاصم وحمزة والكسائي : (يا بشرى) بألف
بغير ياء . وعاصم بفتح الراء وحمزة والكسائي بميلانها)) .(٤)

فضلاً عن هذا أنه ذكر أن القراءة (بشرى) بقلب الألف ياءً وادغامها في ياء الإضافة قرأ فيها
من غير القراء السبعة ، وهذا يؤكد قلة ورود المسألة في لغة العرب ، وفضلاً عن هذا وهو الفيصل

(١) الكتاب/٤/٣٩٣ وينظر المسائل العسكرية في النحو/١١٦ ابدال الألف من الياء في حاحيت وعاعيت لازالة التضعيف

(٢) المصدر نفسه/٤/١٨١

(٣) الاصول في النحو/٣/٢٦١

(٤) الحجة للقراء السبعة/٢/٤٣٩

في المسألة أنّ الرسم القرآني جاء بالألف غير مقلوبة إلى ياء ، قال تعالى : ((قال يبشـرى هذا غلـم)) .(١)

قلب الياء الفاء : ينقل ابن جني إنكار أبي علي الفارسي لأبي الحسن الاخفش عن ألف كلمة (واو) التي كان يعدها منقلبة عن واو في حين يعدها أبو علي منقلبة عن ياء وذلك بقوله : ((ورأيتُ أبا علي ينكر هذا القول ، ويذهب إلى أنّ الألف فيها منقلبة عن ياء واعتمد في ذلك على أنّه إذا جعلها من الواو كانت الفاء والعين واللام كلها لفظاً واحداً ، قال : وهذا غير موجود ، فعدل عنه إلى القضاء بأنّها من ياء)) .(٢)

إنّ الذي ذهب إليه أبو علي قد أشار إليه سيبويه ، وكانت الإشارة تؤكد رأي أبي علي ؛ لأنّ سيبويه يذهب إلى التأكيد من عين الكلمة إذا كانت ألفاً فتحمّل على أنّها منقلبة عن واو ، ثم التدقيق بها حتى يتبين أنّها منقلبة عن ياء ، وأنّ أبا علي أشار إلى ذلك بأنّ ألف كلمة (واو) هي منقلبة عن ياء ؛ لكي لا تكون الكلمة من ثلاث واوات . وبهذا يأخذ بنظر الإعتبار التدقيق والتبين الذي أشار إليه سيبويه بقوله : ((وإن جاء اسمٌ نحو النَّاب لا تدري أم من الياء هو أم من الواو فاحمله على الواو حتى يتبين لك أنّها من الياء ، لأنها مُبدلة من الواو أكثر ، فاحمله على الأكثر حتى يتبين لك ، ومن العرب من يقول في ناب : نُويبٌ فيجيء بالواو ؛ لأنّ هذه الألف مبدلة من الواو أكثر ، وهو غلطٌ منهم)) .(٣)

وأما أبو الحسن الاخفش فقد ذهب إلى أنّ ألف كلمة (واو) من واو مستدلاً بذلك على تفخيم العرب إيّاها ، ولم يسمع منهم الإمالة فيها ، (٤) فالأصل عنده (وَوَو) قلبت الواو الوسطى ألفاً لتحريكها وانفتاح ما قبلها .

وقد قلل ابن جني من أهمية إنكار أبي علي رأي الاخفش ولم يجد فيه بأساً ، لأنّه لا توجد كلمة في العربية فاؤها واو ولامها واو غير كلمة (واو) فقضاء الاخفش بأن عينها واو لا انكار فيه ، بقوله : ((ولستُ أرى بما انكره أبو علي على أبي الحسن بأساً ، وذلك أنّ أبا علي إن كان كره ذلك لنلا تصوير حروف الكلمة كلها واوات فإنه إذا قُضي بأنّ الألف منقلبة من ياء لتختلف الحروف فقد حصل معه بعد ذلك لفظ لا نظير له ، ألا ترى أنّه ليس في الكلام حرف فاؤه واو ولامه واو إلا قولنا (واو) فإذا كان قضاؤه بأنّ الألف من الياء لا يخرجها من أن يكون الحرف يكون فاؤه ولامه واوين فذا لا نظير له ، فقضاؤه بأنّ العين واو أيضاً ليس بمنكر)) .(٥)

إنّ رأي أبي علي أصوب يسنده الموجود وفيه واقعٌ للكلمة وواقع لتركيبها وتكرار الواو في فاء

(١) القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بخط عثمان طه ، دمشق /مؤسسة الرسالة يوسف/١٩

(٢) سر صناعة الاعراب/٥٩٨/٢

(٣) الكتاب/٤٦٢/٣

(٤) ينظر سر صناعة الاعراب/٥٩٨/٢

(٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة

وعين ولام الكلمة يبعدها من لطافتها على السمع . أمّا من ناحية حركة جهاز النطق فرأي الاخفش أوفق ؛ لأنّ ثلاث واوات من موضع واحد (نصف مديات) أسهل في النطق من واوين بينهما ياء مفتوحة يحتاج إلى جهد عضلي يميل باللسان والحنك الاسفل إلى الانخفاض ثم الإرتفاع لصوت الفتحة ثم العودة إلى قطع اللسان ليناسب الضم . وإنّ (ويوّ) أحسن في قياس العربية من (ووّو) لتكرار ثلاث واوات ؛ لأنّ تكرار الأمثال تجانبه العربية .

والمسألة الثانية في هذا الباب هي ألف (أرطي) التي هي منقلبة عن ياء في رأي أبي الحسن الأخفش لقولهم (مرطي) كرمي من رميت .

قال ابن جنّي : ((حدثنا أبو علي أنّ أبا الحسن حكى : (أديم مرطي) فأرطيّ على هذا (أفعل) والألف في آخره منقلبة عن ياء لقولهم (مرطي) كرمي من رميت)). (١) وفي ضوء هذه الحكاية أنّ الهمزة في (أرطي) زائدة والألف رابعة أصلية وهي منقلبة عن ياء وليست عن واو ، فلو كانت عن واو لقالوا : مرطو .

قال ابن جنّي : ((ومن قال : مرطيّ : فأرطيّ عنده بمنزلة أفعيّ ، وينبغي أن تكون الألف في آخر أرطي فيمن قال : مرطيّ منقلبة عن ياء ، لأنّه لو كان من الواو لقالوا : مرطو كما قالوا : مغزو . وإنما مرطيّ كرمي)). (٢)

وهذا هو رأي الأخفش في زيادة الهمزة وانقلاب الألف عن ياء . في حين أن سيبويه يختلف معه ويرى أنّ الهمزة أصلية والألف زائدة للإلحاق على وزن (فعلّ) بقوله : ((وتلحق رابعة لا زيادة في الحرف غيرها لغير التأنيث ، فيكون على (فعلّ) نحو ... أرطي)) (٣) وحجته على ذلك قولهم (أديم مأروط) ، فقال : ((وكذلك الأرطي ، لأنك تقول : أديم مأروط . فلو كانت الألف زائدة نقلت مرطيّ)). (٤)

فقولهم : (مأروط) يدل على أنّ همزته فاء أي فاء الكلمة وهي أصلية لا زائدة . (٥) وفضلاً عن هذا أنّ جمعه (أرطاة) والجمع يتبين فيه أصلية الهمزة . قال ابن دريد : ((فالأرطاة : واحد الأرطي)). (٦)

أمّا أبو علي الفارسي فكان يميل الى رأي سيبويه وقد رجح أنّ تكون (أرطي) على وزن (فعلّ) كما قال سيبويه ، وحجته في ذلك الاستعمال اللغوي للكلمة ، (فالمأروط) أكثر استعمالاً في اللغة من

(١)سر صناعة الاعراب /٢/ ٦٩١

(٢)المنصف/١/ ١١٨

(٣)الكتاب/٤/ ٢٥٥

(٤)المصدر نفسه/٤/ ٣٠٨

(٥)ينظر المنصف/١/ ١١٧-١١٨ وينظر أبو علي النحوي صرفياً/١٦٨

(٦)الاشتقاق لابن دريد/١/ ١١٦

(مرطي). (١) وأكد أصالة الهمزة عند حديثه عن (أروى) ((عندما يكون أريد به اللاحق كـ(أرطي) فقد تكون على هذا همزته أصلية كما أنه في (أرطي) أصل)) (٢).

جاء في المسائل الشيرازيات : ((ووجه ما حكاه أبو زيد أن يكون على قول من قال : (أديمّ مأروط) ، والألف فيه للإحاق ولا يكون على قول من قال : ... (أديمّ مرطيّ) ولكن على قول من قال: (أرط ومأروط) ، فيجعل الهمزة فاء الفعل ، لأنه إن جعلته من قول من قال : (مرطيّ) فقد ألحق زيادة الألف ما ألفه منقلبة مما هو من نفس الكلمة ، وإذا لم يقله أحد . وهذا مما يقوي قول سيبويه فيما ذهب إليه : من أن الهمزة في الأرطي فاء الفعل والألف هي التي للإحاق)) (٣).

قلب الياء واواً: ذهب أبو علي في هذه المسألة في كلمة (جبببت، جباوة) على أن الواو بدل من الياء نقل ابن جنّي حكاية أبي الحسن عن أبي علي في (إنو وإني) وقوله في (جبببت وجباوة) بقوله : ((قال: وحكى أبو الحسن : إنو في إنّي . قال أبو علي : وهذا كقولم : (جبببت الخراج جباوة) ، أبدلت الواو من الياء ، ومثله الحيوان في قول الخليل ، لأن أصله عنده الحبيان ، وكأنهم إنما استجازوا قلب الياء وغلبتها عليها ، وليختلف الحرفان فيخفاً)) (٤).

عند الرجوع إلى رأي الخليل في مصدر الفعل جبي وجدته (جباية) لا (جباوة) فقال جبيب الخراج جبايةً . (٥)

ويجوز أن تكون جباوة عند أبي علي في ضوء قلب الياء واواً كما قلبت في كلمة (الحيوان) كراهة للياءات في حبيبت .

أمّا إستدلال أبي علي على أن المصدر من جبيب (جباوة) قول الخليل في كلمة (الحيوان) وعنده الحبيان يؤكد أنه من الممكن قلب الياء واواً حتى يختلف الحرفان فيخفاً ويؤكد قول سيبويه في (حيوان) أن أصل الواو ياء فقلبوها كراهة للياءات وللاختلاف بقوله : ((وأمّا قولهم : حيوان فإتهم كرهوا أن تكون الياء الأولى ساكنة ، ولم يكونوا ليلزموها الحركة ههنا والأخرى غير معتلة من موضعها ، فأبدلوا الواو ليختلف الحرفان كما أبدلوا في رحوي حيث كرهوا الياءات ، فصارت الأولى الأصل ، كما صارت اللام الأولى في ممل ونحوه على الأصل ، حين أبدلت الياء من آخره)) (٦).

(١) ينظر المنصف/١/١١٨

(٢) المسائل البغداديات/١٢٩

(٣) المسائل الشيرازيات/٥١

(٤) سر صناعة الاعراب/١/٢١١

(٥) ينظر العين/٦/١٩٢

(٦) الكتاب/٤/٤٠٩

ولهذه المسألة علاقة بما حكاه أبو علي عن أبي الحسن فيما أخبره أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي :

قال ابن جني : ((أخبرنا أبو علي عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : يقال : إني وإنسى ، وحسي وحسي ، ومعني ومعني . قال : وحكى أبو الحسن إنوفي إني)). (١) وقال في موضع آخر : ((ومما قلبت فيه الياء واواً مما حكاه أبو علي أن أبا الحسن حكاه من قولهم : ((مضى إنو من الليل)) أي : إني . وأخبرنا قال : قال أحمد بن يحيى : قال ابن الأعرابي : يقال : ((إني)) و((إنسى)) و((معني)) و((معني)) و((حسي)) و((حسي)) قال الهذلي : (٢) (من البسيط) حلو ومُرُّ كعطف القِدْحِ مرَّتُهُ بكلِّ إني حذاء الليل ينتعل)) (٣) لقد ذكر أبو الحسن الأَخْفَشُ في كتابه معاني القرآن في قوله تعالى : ((آتَاءَ اللَّيْلِ)) (٤) هذا ما حكاه أبو علي بقوله : ((وواحد الإثناء مقصور ((إني)) فاعلم . وقال بعضهم : إني ، كما ترى ، و (إنو) وهو ساعات الليل . (٥)

قلب الواو ياءً في (إوزة)

أشار ابن جني إلى هذا القلب في قولهم : (إوزة) تصبح (إيززة) ؛ وذلك لانكسار ما قبل الواو فتقلب ياء لمجانسة الكسرة ، بقوله : ((ومن ذلك قولهم (إوزة) : أصل وضعها (إوززة) ، فهناك الان عملان ، أحدهما قلب الواو ياء لانكسار ما قبلها ساكنة ؛ والآخر وجوب الإدغام ، فإن قدرت أن الصنعة وقعت في الأول من العمليين ، فلا محالة أنك أبدلت من الواو ياء ، فصارت (إيززة) ، ثم اخذت في حديث الإدغام فاسكنت الزاي الأولى ونقلت فتحتها إلى الياء قبلها ، فلما تحركت قويت بالحركة فرجعت إلى أصلها - وهو الواو - ثم أدخمت الزاي الأولى في الثانية فصارت : إوزة كما ترى ، فقد عرفت الآن على هذا أن الواو في إوزة إنما هي بدل من الياء في إيززة ، وتلك الياء المقدره بدل من واو (إوززة) التي هي واو وز)) . (٧)

(١) سر صناعة الاعراب ٢١١/١

(٢) ديوان الهندليين ٣٥/٢

(٣) المصدر نفسه ٥٩٢/٢

(٤) ال عمران ٨٢/

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢١٣/١

(٦) ينظر الكتاب ٣٦٤/٤ هذا باب ما قلب فيه الياء واواً وينظر الأصول في النحو ٢٦٦/٣-٢٦٧

(٧) الخصائص ٦/٣

في حين يرفض أبو علي قلب واو (إوزة) الى (ياء) حتى عند مراجعة ابن جني له مراراً فلم يذهب الى قلبها وانما هي واو اصلية ، وهذا ما صرح به ابن جني نفسه بقوله : ((وكان أبو علي - رحمه الله - يذهب إلى أنها لم تصر إلى ايززة . قال : لأنها لو كانت كذلك لكنت إذا القيت الحركة على الياء بقيت بحالها ياء ، فكنت تقول : ايززة ، فادرتة عن ذلك وراجعتة فيه مراراً فأقام عليه)) .(١)

وكان أبو علي يحتج ((بأن الحركة منقولة إليها فلم تقو بها)) .(٢) ولكن ابن جني عد رأي أبي علي ضعيفاً واحتج عليه بعين (طي) عندما تحركها فانها تقوى وترجع واواً في طووي وإن كانت الحركة أضعف من تلك لأنها مجتلبة زائدة وليست منقولة من موضع قد كانت فيه قووية معتدة .(٣)

يبدو أن ابن جني قد ذهب إلى قلب الواو ياءً اعتماداً على قول سيبويه ((هذا باب ما تقلب فيه الواو ياء وذلك إذا سكتت وقبلها كسرة))(٤) فكلمة (إوزة) يطبق عليها قول سيبويه فقبلها كسر وهي ساكنة ، فمن حيث القاعدة الصرفية تقلب ياءً فيقال فيها (إيززة) ، ولكن السماع عند العرب والمروى عنهم انها (إوزة) . فقد ذكر الخليل في معجمه العين ذلك بقوله : ((الإوز : من طير الماء والواحدة بالهاء . . . لا يحذف ألفها وإوزة على فعلة)) .(٥)

فأبو علي جعل حركة الواو منقولة إليها وضعيفة فلا تكون قوية بها فضلاً عن أنها سمعت عن العرب بالواو وليست بالياء ، فضلاً عن هذا وذلك أن ابن جني يذهب في رأيه الأخير إلى أن هذه الواو أصلية ولم تبدل بالياء (٦) فيوافق رأي أبي علي .

فُعَلَاتُ بِنَاءِ مَرْتَجِلٍ : تُونَاتٌ ، وَفِعَلَاتٌ : تِينَاتٌ

قال ابن جني : ((سألت أبا علي (رحمه الله) فقلت : لو أردنا (فُعَلَات) مما عينه ياء لا نريد بها أن تكون جارية على (فِعَلَة) كَتِينَة وتِينَات ؟ فقال : أقول : على هذا الشرط : تُونَات ، وأجراها لبعدها عن الطرف مجرى واو (عُوط))) .(٧)

أجاب أبو علي مفترضاً تُونَات : فُعَلَات قياساً على (واو) عُوْط ، لبعدها عن طرف الكلمة ، ويجرى في : أيقن يوقن وأوقن ، وكذلك من قول العرب : تَعَيَّطت الناقة ، وتعوطت .

(١) الخصائص/٦/٣

(٢) المصدر نفسه ٧/٣

(٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٤) الكتاب ٣٣٥/٤

(٥) العين/٣٩٨/٧

(٦) ينظر الخصائص/٦/٣

(٧) الخصائص/١٠٧/٢

قال سيبويه : ((هكذا جرى فعله في (فعل) مجرى بوطر من البيطرة ، وأيقن يوقن وأوقن ، والاسم يجرى مجرى موقن . سمعنا من العرب من يقول : تعيَّطت الناقة . وقال : (من الطويل)

مُظَاهِرَةً نِيًّا عَتِيقًا وَعُوطَظًا فقد أَحْكَمًا خَلَقًا لَهَا مُتْبَايِنًا)) . (١)

قال الأعمى الشنتمري : ((الشاهد فيه قلب الياء واواً في (العوطط) لسكونها وانضمام ما قبلها (فعل) كما انقلبت في موقن وأصله من اليقين)) . (٢)

قال ابن جني : ((وكانت في الأصل : (عيططاً) ... ولم نرهم قالوا : (عيططاً) ، ففتحوا العين لتصحَّ الياء)) . (٣)

الظاهر في ضوء جواب أبي علي يجوز أن يقال (تونات) في (تينات) ، قياساً على قول العرب (ياءً أو واواً) في تعيَّطت ، وتعوطت ، فضلاً عن بعدها عن الطرف ، فأجريت مجرى انقلاب الياء واواً في (عوطط) ، لأنها ساكنة وما قبلها مضموم . أما ابن جني فلا يصح عنده فتح العين في (عيططاً) حين تصح الياء في قول العرب ، لأنها في الأصل مضمومة ، واثرت في قلب الياء واواً .

أُتْفِيَّةٌ : أْفَعُولَةٌ : لَامِهَا وَاوُ

قال ابن جني : ((فقد كان أبو علي (رحمه الله) يراها ويأخذ بها ، ألا تراه غلب كون لام أُتْفِيَّة - فيمن جعلها أفعولة - واواً ، على كونها ياء ، وإن كانوا قد قالوا : ((جاء يثفوه ويثفيه)) ، بقولهم : ((جاء يثفه)) قال : (فيثفه) لا يكون إلا من الواو ، ولم يحفل بالحرف الشاذ من هذا ، وهو قولهم : ((بيس)) مثل يعس ، لقلته . فلما وجد فاء (وثف) واواً قوى عنده في (أُتْفِيَّة) كون لامها واواً ، فنأسس للام بموضع الفاء ، على بعد بينهما)) . (٤)

ذكر الخليل أنها على وزن (أفعولة) من تُفَيْت ، وهي حجارة تُنصب عليها القدور . (٥) ويقال : الأُتْفِيَّةُ للقدر ، وتقديرها (أفعولة) والجمع الأُتْفِيَّ والمثناة المرأة التي لزوجها امرأتان غيرها ، وتُفَيْتُ القدر تُتْفِيَّةً أي وضعتها على الأُتْفِيَّ ، وأُتْفَيْتُ لها أي جعلت لها أُتْفِيَّ . (٦) وتقديرها عند الخليل من ((أُتْفَتُ ، أُتْفِيَّةٌ : فُعْلِيَّةٌ وفعلها الثلاثي : أُنْفَ)) ومن ((تُفَيْتُ : فَعَلْتُ ، أُتْفِيَّةٌ : أْفَعُولَةٌ ، وفعلها الثلاثي : تُفِي .

(١) الكتاب/٤/٣٧٥-٣٧٦

(٢) تحصيل عين الذهب/٥٨٣

(٣) المنصف/١٢/٢

(٤) الخصائص/١١/١

(٥) ينظر العين/٨/٢٤٥

(٦) ينظر تاج العروس مادة /تُفِي

هذا ما نقله سيبويه عنه عندما سأله بقوله : ((وسألته عن ((أَثْفِيَّةٌ)) فقال : هي (فُعْلِيَّةٌ) فيمن قال : أَثْفَتُ ، وَأَفْعُولُهُ فيمن قال : ثَفَيْتُ)) .(١)

فسيبويه ينقل الاشتقاقين عن الخليل . أما ابن جني فحديثه عن عويص ما يقدره أبو علي في ياء (ثفي) بقوله : ((فهذه الطرائق التي نحن فيها حَزْنَةُ المذاهب ، والتورّد لها وعر المسالك ولا يجب مع ذلك أن تستنكر ولا تستبعد)) .(٢)

الظاهر أن لهذه الكلمة اشتقاقين في ضوء ما قيل : فالأول من (أثف) والثاني من (ثفي) (جاء يثفوه ويثفيه) (وجاء يثفه) (٣) ولكنّ أبا علي ذهب إلى أنّ لامها واو في ضوء تقلباتها (وثف) (ثوف) (فثو) (فوث) (وفث) (ثفو) فيجعل لامها واواً قياساً لكلمة (وثف) عند تقلبها تكون (ثفو) ، فتأنس للام بموضع الفاء . قال ابن جني : ((وشاهدته غير مرّة ، إذا أشكل عليه الحرف : الفاء أو العين أو اللام ، استعان على علمه ومعرفته بتقلب أصول المثال الذي ذلك الحرف فيه)) .(٤)

قلب الواو والياء ألفاً

قال ابن جني : ((وسألته أبا علي فقلت له : فإذا كان الأمر كذلك فهل قلبوا الياء والواو في : ((النهاية والإداوة)) ألفاً لوقوع الألف قبلها ، كما قلبوهما ألفين في : ((العلاة ، ومناة)) إذ الألف عندك أشدّ إيجاباً للقلب من الفتحة ، لأنها أكثر منها ؟)) .(٥)

فأجابه أبو علي بقوله : ((إنما المعنى أنّ الألف مثل الفتحة إذا وقع حرف اللين بعد الألف طرفاً حرف إعراب)) .(٦)

فكانت الإجابة عند ابن جني غير مرضية لقلبيهما الياء والواو في (حصاة وقناة) لأجل الفتحة ، وإن لم يكونا حرفي إعراب ، وكانت الهاء بعدها ، فكان قلب الياء والواو في ((نهاية ، وإداوة)) لوقوع الألف التي هي أكثر من الفتحة همزة أولى .(٧)

لقد تطرق سيبويه إلى هذا القلب فقال (إن كان الساكن الذي قبل الياء والواو ألفاً زائدة همزت ، وذلك نحو : القضاء ، والنماء ، والشفاء .) ((٨)) وأشار إلى هذا في ((باب ما كانت الياء والواو فيه لامات)) ((٩)) ولكنه أخرج (الإداوة والنهاية) عن الأصل وجعل الياء والواو فيها غير حرفي إعراب ،

(١) الكتاب/٤/٣٩٥

(٢) الخصائص/١/١١

(٣) ينظر المنصف/٢/١٨٥

(٤) الخصائص/١/١٢

(٥) المنصف/٢/١٣٨

(٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٧) المصدر نفسه

(٨) الكتاب/٤/٣٨٥

(٩) الكتاب/٤/٣٨١

وبذلك لم تقلبا الى ألف ثم الى همزة كما في (قفاء ونماء) وذلك بقوله : ((هذا باب ما يخرج على الاصل إذا لم يكن حرف إعراب وذلك قولك : الشقاوة ، والإداوة ، والإتاوة ، والنقاوة ، والثفاية والنهائية . قويت حيث لم تكن حرف إعراب كما قويت الواو في (قَمَحْدُوَّة)) .(١)

أما (العلاة والمناة والقناة) فليست عند سيبويه بمنزلة (قَمَحْدُوَّة) قويت فيها الألف كما قويت الواو في (قَمَحْدُوَّة) وبذلك قلبت إلى الالف . وهذا واضح بقوله : ((وإذا كان قبل الياء والواو حرف مفتوح وكانت الهاء لازمة لم تكن إلا بمنزلتها لو لم تكن هاءً ، وذلك نحو : العلاة ، وهناة وقناة . وليس هذا بمنزلة قَمَحْدُوَّة لأنها حيث فتحت وقبلها الضمة كانت بمنزلتها منصوبة في الفعل . وذلك نحو : سَرُو ، ويريدُ أن يَغزُوك)) .(٢)

وفي مكان آخر ينقل ابن جني عن بعض أصحابه عن أبي علي أنه يعد (القناة والحصاة) بمنزلة الفعل (غزا ورمى) وأما (النهاية والأداة) فهما ليستا بمنزلة الفعل وهذا الفرق بينهما . قال ابن جني : ((ووجدت في بعض تعليقات أصحابنا عن أبي علي أنه إنما قلبت الواو والياء في (قناة وحصاة) لوقوع الفتحة قبلهما وتحركهما ، وأن الكلمة التي هي فيهما على مثال الفعل نحو : (غزا ورمى) ، فأما (النهاية والأداة) فليستا على مثال الفعل ، فهذا الفرق بينهما)) .(٣)

وفي هذا يتفق أبو علي بعض الشيء وما قاله سيبويه في أن (قناة وحصاة والعلاة) بمنزلة الفعل في تحرك واوه ويائه عند النصب (وأن يغزو) (وأن يرمي) أما النهاية والأداة فهما ليستا بمنزلة الفعل في التحريك ، فتقلبان في (قناة وحصاة) ألفا ولا تقلبان في (النهاية والأداة) ، لأنهما لم يكونا بمنزلة الفعل .

ولا يوافق ابن جني رأي أبي علي في هذه المسألة ولم يرض به إذ يقول : ((وهذا عندي أشبه من الأول)) .(٤)

وفي مكان آخر نقل عنه أن ألف ثاية هي مقلوبة عن واو بقوله : ((حدثني أبو علي ، قال : حكى أبو زيد أن (الثاية) حجارة تكون للراعي حول الغنم تأوي إليها ، قال : أبوعلي فالألف في (الثاية) على هذا من الواو ، لأنها من (ثويت)) .(٥)

ولما رجعت إلى نوادر أبي زيد وجدت كما نقل عنه أبو علي ((الثاية غير مهموزة حجارة ترفع تكون علماً بالليل للراعي إذا رجع إليها . والثوية المنزل الذي تنزله سُميت به الثوية لأنهم كانوا يثوون بها ثوى فلان)) .(٦)

(١) الكتاب/٤/٣٨٧

(٢) المصدر نفسه/٤/٣٨٧-٣٨٨

(٣) المنصف/٢/١٣٩

(٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٥) المصدر نفسه /٣/١٤١

(٦) النوادر/١٩٥

فالظاهر أن (الثاية) و(الثوية) في المعنى وفي الاشتقاق هي من الفعل ثوى ، فالألف في (الثاية) هي مقلوبة من الواو . وهذا بدليل قول ابن جني : ((وحكى أبو زيد أيضاً : أن هذه الحجاره يقال لها: ((الثوية)) فهذه دلالة قاطعة على كون العين واواً ، لظهورها في (الثوية)). (١)

ولا تقلب الواو والياء ألفاً في حوآبه وجيال إذا خفف فلا يقال: حابة وجال ، هذا في نظر أبي علي ، فلا يقال : حَوْبَةٌ وَجَيْلٌ ، لأنَّ الألفَ بَعْدَ عَنهما ، وقوة شبه الواو بالياء لأنَّ الواو كأنها هي الياء نفسها ولا سيما رياء ، ورويا ، تخفيف رؤيا .

قال ابن جني : ((وسألت أبا علي (رحمه الله) ... كيف قياس قوله إذا خَفَّفْتَ نحو حَوَابَةٌ وَجَيْالٌ؟ يُقَلَّبُ فيقول : حابه ، أم يقيم على التصحيح فيقول : حَوْبَةٌ وَجَيْلٌ ؟ فقال : القلبُ هنا لا سبيل إليه . وأوماً إلى أنه أَعْلَظُ من الإِدْغَامِ ، فلا يقدم عليه)) . (٢)

يبدو أن ما ذهب إليه أبو علي هو الذي ذهب إليه سيبويه من قبل ، أي لا سبيل للقلب ؛ لأنَّ العرب لم يقلبوا الواو ، كما في (رُويَةٌ ورُويا)

قال سيبويه : ((ومثل ذلك قولهم : روية ورُويا ونُويٌ ، لم يقلبوها ياءً حيث تركوا الهمزة ؛ لأنَّ الأصل ليس بالواو ، فهي في سُويَرٍ أَجْدَرُ أن يدعوها ؛ لأنَّ الواو تفارقها إذا تُرِكَتْ فُوعِلَ ، وهي في هذه الاشياء لا تفارق إذا تركت الهمزة . وقال بعضهم : رياء ورِيَّةٌ ، فجعلها بمنزلة الواو التي ليست ببديل من شيء ، ولا يكون في سُويَرٍ وَتُبُوعٍ ؛ لأنَّ الواو بدل من الألف)) . (٣)

ويعلل ابن جني ما ذهب إليه شيخه إلى هذا القلب في رياء مخففة رؤيا ؛ لأنَّ الواو هي شبه الياء . والألف بعيدة عنهما بقوله : ((فقد قلبت العرب الحرف للتخفيف ، وذلك قول بعضهم رياء ورِيَّةٌ في تخفيف رؤيا ورُوية ، وهذا واضح ، قيل : الفرق أنك ، لما صرت الى لفظ (رُويا ورُوية) ثم قلبت الواو إلى الياء فصار رياء ورِيَّةٌ ، إنما قلبت حرفاً إلى آخر كأنه هو ، ألا ترى إلى قوَّة شبه الواو بالياء ، وبعدها عن الألف ، فكأنك لما قلبت مقيم على الحرف نفسه ، ولم تقلبه ؛ لأنَّ الواو كأنها هي الياء نفسها ، وليست كذلك الألف ، لبعدها عنهما بالأحكام الكثيرة التي قد احطنا بها علماً)) . (٤)

أما همزة (مأزورات) فهي عند أبي علي واو قلبت الى ألف . روى ابن جني هذا عنه بقوله : ((وقالوا : ((ارجعنَ مأزورات غيرَ مأجورات)) فهمزوا ((مأزورات)) وهو من (الوزر) إتباعاً لهمزة ((مأجورات)) وقياسه ((موزورات)) ويجوز أن يكون ((مازورات)) قلبت واوه ألفاً ، كما قالوا في

(١) المنصف/٢/١٤١

(٢) الخصائص ٩٢/٣ وينظر المحتسب/١/٦٨

(٣) الكتاب/٤/٣٦٨

(٤) الخصائص/٣/٩٣

((دَوِيَّة : داوِيَّة)) ، وكما قالوا في ((يُوَجَلُّ:ياجَلُّ)) فيكون غير مهموز . إلى هذا رأيتُ أبا علي يذهبُ)).(١)

إنَّ الذي ذهب إليه أبو علي ذهب إليه سيبويه قبله ولا سيما في كلمة (يُوَجَلُّ) بقوله : ((وقال بعضهم : ياجَلُّ فأبدلوا مكانها ألفاً كراهية الواوِ مع الياء ، كما يُبدلونها من الهمزة الساكنة)).(٢) وذهب أبو بكر بن الاتباري إلى أنَّ هذا من الازدواج بقوله : كما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للنساء : ((ارجعنَ مازورات غيرَ مأجورات)) (٣) أراد : موزورات ، لانه من الوزر فهمزه ليزدوج مع مأجورات)).(٤)

أما ابن المؤدب فقد ذهب إلى مجارة حرف بحرف وعدّه من الشواذ بقوله : ((إنما هو : موزورات من الوزر وإنما قال (مازورات) لأنَّ العرب اذا وزنت حرفاً بحرف أو قابلته به أجرته على بنيته)).(٥)

هات لاهاتيت : فعليت

قال ابن جني : ((ومن طريف ما ألقاه رضى الله عنه - على أنه سألتني يوماً عن قولهم : هات لا هاتيت ، فقال : (ما هاتيت) ؟ فقلت : فاعلت ، فهات من هاتيت ، كعاطٍ من عاطيت ، فقال : أشيء آخر ؟ فلم يحضر إذ ذاك ، فقال أنا أرى فيه غير هذا ، فسألته عنه ، فقال : يكون فعليت ، قلت : ممّه ؟ قال من الهوتة وهي المنخفض من الارض)).(٦)

إنَّ الذي ذهب إليه أبو علي أيده ابن جني بقوله : ((هذا لطيفٌ حسن)) (٧) ، وفضلاً عن هذا تحليله للمادة اللغوية ودلالاتها وتخريجها لها من الهوتة وهي الأرض المنخفضة التي تجذب إلى نفسها بانخفاضها ، وهذا المعنى له علاقةٌ بمعنى (هات) إنما هو استدعاء منك للشيء وانجذابه اليك .(٨)

قال الخليل : ((هات ٠٠٠ ويقال : بل الهاء في موضع قطع الألف من أتى يُؤاتي ، ولكنَّ العرب أماتوا كلَّ شيءٍ من فعلها إلا (هات) في الأمر)).(٩)

(١)المنصف/٢/٣٢٦

(٢)الكتاب/٤/١١١-١١٢

(٣)النهاية في غريب الحديث والاثر /٥/١٧٩

(٤)الزاهر/١/١٥٧ وينظر النهاية/٥/١٧٩

(٥)دقائق التصريف/٣٦١

(٦)الخصائص /١/٢٧٧-٢٧٨

(٧)المصدر نفسه/١/٢٧٨

(٨)ينظر الخصائص/١/٢٧٨

(٩)العين/٤/٨٠

ويقال : هوت : الهوتة الأرض المنخفضة ، وهوت تهويتاً : صاح ، لغة في هيئت ، يهوت : ينادي : يهيهت الإيل : قلت لها : ياه ياه ، والعرب تقول للكلب اذا أغروه بالصيد : هيته . . . هيته ، هيته وهوت : صوت وصاح ، التهيت : الصوت بالناس . . . يقول : يا هياة ، الاصل حكاية الصوت كأنهم حكوا في (هوت) هوت هيته . . . قال الخليل : اصل هات : آت ، فأبدلت الالف هاء . قال رؤبة :

والحوت في هيته إذا هاهيت . (١)

في ضوء هذا يتحقق اشتقاق (هاتيت) من الهوتة عند جمعها مع التصويت والصياع في معنى واحد هو الانجذاب والاستدعاء ، فتبين من هذا أن ابن جني يؤيد أبا علي بما ذهب إليه في هاتيت ، فعليت لا فاعلت ؛ لأن (هاتيت) إذا كانت على (فاعلت) خالفت تسلسل أحرف الكلمة ، فالياء تأخرت عن التاء وأصبحت (فاعلت) ، في حين أن (هوتيت) هو (فعليت) ولكن قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها كما في (هوهيت) تصبح (هاهيت) .

الاعلال والقلب بين الالف والهمزة :

قال ابن جني حملاً على قول الراجز : (من الراجز)

((من أيّ يوميّ من الموتِ أفرّ
أيومَ لم يُقَدِّرَ أمْ يومَ قُدِّرَ

وعلى هذا حمل أبو علي قول عبد يغوث : (من الطويل)

وتضحكُ مني شَيْخَةً عَبْشَمِيَّةً
كأنْ لم تَرَ قبلي أسيراً يمانياً

قال : جاء به على أن تقدّره محققاً ((كأنْ لم تَرَ)) ثم إنَّ الراء لما جاورت -وهي ساكنة- الهمزة متحركة ، صارت الحركة كأنها في التقدير قبل الهمزة واللفظ بها : كأن لم تَرَ ثم ابدل الهمزة الفأ لسكونها وانفتاح ما قبلها فصارت (ترا) فالألف على هذا التقدير بدل من الهمزة التي هي عين الفعل ، واللام محذوفة للجزم على مذهب التحقيق وقول من قال : رأى يَرأى ((١)).

وقال أبو علي : ((قوله : (كأنْ لم ترى) . وبعض البغداديين يذهب في ذلك على ما حكى لي أنه

حذفُ لام الفعل للجزم)). (٢)

في حين أن أبا علي يؤكد ((أنَّ هذه الألف هي المبدلة من الهمزة ، وليس هذا بالواسع)). (٣) وهذا الذي ذهب إليه أبو علي قد أشار إليه سيبويه من قبل في موضوع تخفيف الهمزة وقلبها إلى ألف ، لأنَّ كلَّ همزة متحركة وقلبها حرف ساكن حذفها ووضعت حركتها على الحرف الذي قبلها نحو (المرأة ، والكمأة).

قال سيبويه : ((واعلم أنَّ كلَّ همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخففَ حذفها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها. وذلك قولك : مَنْ بُوِكَ وَمَنْ مُكَّ وَكَمْ بُلُكَّ ، إذا أردت أن تخفف الهمزة في الاب والأم والإيل . ومثل ذلك قولك أَلْحَمْرُ إذا أردت أن تخفف ألف الأحمر . ومثله قولك في المرأة : المرّة ، والكمأة : الكمّة . وقد قالوا الكمأة والمرأة ومثله قليل)). (٤)

أما قول الراجز الذي حمل عليه أبو علي قول عبد يغوث ، فقد ذكره أبو زيد في نوادره من دون أن ينسبه وأراد به النون الخفيفة فحذفها في فتح راءٍ يقدر ، بقوله : (من الراجز)

((من أيّ يوميّ من الموتِ أفرّ
أيومَ لم يُقَدِّرَ أمْ يومَ قُدِّرَ

فتح راءٍ (يُقَدِّرُ) يريدُ النُّونَ الخفيفةَ فحذفها وبقي ما قبلها مفتوحاً ، أنشدناه أبو عبّيدة والأصمعي)). (٥)

وجاء في اعراب القرآن ما نصه : ((والقول فيه أراد : أيوم لم يقدر أم يوم قُدر ، ثم

خفف همزة (أم) فحذفها . وألقى فتحها على (لم يقدر) فصار تقديره : أيوم لم يقدر ، ثم

(١) سر صناعة الاعراب/١/٧٥-٧٦

(٢) المسائل العسكرية في النحو/١٦٥

(٣) المصدر نفسه والصفحة

(٤) الكتاب/٣/٥٤٥

(٥) النوادر/١٣

أشبع فتحة الراء فصار تقديره : لم يقدرَ ام ، فحرك الألف لإلتقاء الساكنين فانقلبت همزة فصار :
يقدرَ أم ، واختار الفتحة إتباعاً لفتحة الراء ((١).

وهذا الرأي قد ذهب إليه أبو علي الفارسي وابن جني وخالفاً فيه رأي أبي زيد ووافقا رأي
سيبويه في تخفيف الهمزة في (المرأة والكمة). ((٢)

قال ابن جني : ((وكنت ذاكرت الشيخ أبا علي -رحمه الله- بهذا منذ بضع عشرة سنة فقال : هذا
إنما يجوز في المتصل)). ((٣)

وأميل إلى رأي أبي علي ، لأنه يعضده رأي سيبويه في تخفيف الهمزة نحو(المرأة والكمة) ثم
إن تخفيف الهمزة لغة أهل الحجاز ، فتحذف لتخفيفها وتلقى حركتها على الحرف الذي قبلها .

قال سيبويه : ((أقريَ باك السلام بلغة أهل الحجاز ، لأنهم يخففونها . فإنما قلت : أقري ثم جئت
بالأب فحذفت الهمزة وألقيت الحركة على الياء)). ((٤)

فضلاً عن هذا أنه ((لا يجوز مثل هذا في سعة الكلام إلا شاذاً ، نحو قراءة أبي جعفر
المنصور)). ((٥) ((ألم نشرح لك صدرك)) ((٦) بفتح الحاء)). ((٧) وابن مجاهد يعد مثل هذه القراءة
غير جائزة أصلاً)). ((٨) وأن تقدير النون الخفيفة وحذفها غير جائز عند ابن جني (٩) ؛ لأن النون
للتوكيد ، ونعلم أن التوكيد أشبه شيء به الاسهاب والاطناب ، لا الايجاز والاختصار ؛ لأن الحذف
ايجاز واختصار يؤيد ذلك ما ذهب إليه أبو علي وابن جني في تخفيف الهمزة وحذفها ونقل حركتها
إلى ما قبلها .

وفي مسألة اخرى يروى ابن جني عن أبي علي الفارسي أنه لا يذهب الى قلب همزة صحراء
إلى ياء أو واو ، لأنها في الأصل ألف للتأنيث فقلبتها إلى الألف أولى وذلك بقوله : ((وإذا ثبت أنها
منقلبة في (صحراء) ، فيجب أن يكون انقلابها عن الألف التي في مثل (حُبلى) . ولا يجوز أن تكون
منقلبة عن ياء ولا واو ، لأننا نعلم الياء والواو جاءتا علامتي تأنيث في الأسماء . فأما الياء في
تقومين ، وتقعدين ، فعلامه الضمير المؤنث ، وليست من جنس علامات التأنيث في الأسماء
المتمكنة فتأمل ما ذكرته ، فإنه لا يجوز في القياس غيره . وهو رأى أبي علي . وعليه قول أشياخنا
المتقدمين)). ((١٠)

(١) اعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج/٣/٨٣٢

(٢) ينظر الخصائص/٣/٩٥

(٣) المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٤) الكتاب/٣/٥٥٠

(٥) المحتسب/٢/٣٦٦

(٦) الانشراح/١

(٧) ضرائر الشعر لابن عصفور/١١٣

(٨) ينظر المحتسب/٢/٣٦٦

(٩) ينظر المصدر نفسه والجزء والصفحة

(١٠) المنصف/١/١٥٦-١٥٧

بعد الرجوع إلى رأي أبي علي في كتبه وجدت أنه يؤكد أن همزة صحراء هي للتأنيث ومنقلبة عن ألف . بقوله : ((علم أن أبنية الأسماء التي تلحقها هذه العلامة على ضروب : فمنها فعلاء ، وهي لا تكون أبداً إلا للتأنيث ، ولا تكون همزتها إلا منقلبة عن ألفه ، فهي في هذا الباب مثل (فُعلى) في باب الألف المقصورة ، وفُعلى وفُعلى ، وتكون اسماً وصفةً . فإذا كان اسماً ، كان على ثلاثة أضرب : اسمٌ غيرُ مصدرٍ ... قولهم : الصحراءُ والبيداءُ ، وسيناءُ)). (١)

وأما سيبويه فقد عدَّ همزة صحراء الفاء أو هي بمنزلة ما في آخره ألفٌ وإذا كسرتها فإنك تحذف ألف التأنيث نحو صحارى صحارٍ ، بقوله : ((وذلك قولك صحراءٌ وصحارى ، وعذراءٌ وعذارى . وقد قالوا : صحارٍ وعذارٍ ، وحذفوا الألف التي قبل علامة التأنيث ، ليكون آخره كآخر ما فيه علامة التأنيث ... وألزموا هذا ما كان فيه علامة التأنيث إذا كانوا يحذفونه من غيره وذلك : مهريّة ومهارة ... جعلوا صحراء بمنزلة ما في آخره ألفٌ إذ كان أو آخرهما علامتا التأنيث ، مع كراهيتهم الياءات حتى قالوا مدارى ومهارى)). (٢)

وقد روى عن شيخه قلب الهمزة المفتوحة والتي قبلها فتحةً ألفاً أيضاً على غير قياس وإتما يحفظ حفظاً ، فقال : ((أنشدنا أبو علي : (من البسيط)

بتنا وبتات سقيط الطلّ يضربنا
إذا ملأ بطنه ألبانها حلباً
يريد إذا ملأ بطنه فأبدل الهمزة ألفاً)). (٣)

أشار إلى هذا سيبويه في ضوء بيت الفرزدق الذي يقول فيه : (من الكامل)

راحت بمسلمة البغال عشيةً
فارعى فزارةً لا هناك المرتعُ
فأبدل الألف مكانها ، ولو جعلها بين بين لانكسر البيت . (٤) فأراد هناك ولكن قلب الهمزة ألفاً وهذا من باب التخفيف للهمزة أو أنها ظاهرة لهجية لإحدى لهجات عرب الحجاز أو قضية صوتية مال إليها الطبع العربي .

(١) النكلمة/٣٢٠

(٢) الكتاب/٦٠٩/٣ وانظر الاصول في النحو/٩/٣

(٣) سر صناعة الاعراب/٢/٦٦٦

(٤) الكتاب/٣/٥٥٤

الاعلال والقلب بين الهمزة والواو:

في كلمة (مصائب) ((ذهب أبو اسحق بقولهم : مصائب بالهمز إلى أن أصلها مصابوب فهمزت لاتكسارها كما همزت في إسادة وإعاء)). (١)

ولقد انكر أبو علي على الزجاج قوله : إن همزة (مصائب) هي بدل من الواو في (مصابوب). وحجته أن الواو لا تقلب همزة وسطاً إذا كانت مكسورة. (٢)

وسابقاً انكر سيبويه على العرب أنهم قالوا مصائب وغلطهم بذلك بقوله : ((فأما قولهم مصائب فإنه غلط منهم ، وذلك أنهم توهموا أن مُصِيبَةً فِعِيلَةٌ وإنما هي مُفْعَلَةٌ وقد قالوا مَصَابِيبٌ)). (٣)

في هذا يوضح سيبويه أن مُصِيبَةً ليست فِعِيلَةٌ حتى تكون في الجمع مصائب وإنما هي مُفْعَلَةٌ (مُصَوِّبَةٌ) فتجمع على مصابوب ، وبهذا يذهب أبو علي كما ذهب سيبويه ؛ لأنَّ العرب قد قالوا مصابوب وفي هذه الحالة أن الواو أصلية غير منقلبة عن همزة.

في حين أن الخليل يعد هذه الحروف (الواو والألف والياء) إذا جاءت بعد ألف في الجمع تقلب همزة كما يهمز سِقَاءً وقِضَاءً وكما يهزم (قائل) وأصله التحريك.

قال سيبويه : ((وسألته -يعني الخليل- عن واو عَجُوزٍ وألف رسالة وياء صَحِيفَةٍ ، لأي شيء هُمَزْنَ في الجمع ، ولم يكن بمنزلة (مَعَاوِنَ ومَعَايِشَ) ، إذا قلت صحائف ورسائل وعجائز ؟ فقال لأنِّي إذا جمعت معاون ونحوها ، فإنما أجمع ما أصله الحركة ، فهو بمنزلة ما حركت كجَدُولٍ . وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك وكانت ميّنة لا تدخلها الحركة على حال ، وقد وقعت بعد ألف ، لم تكن أقوى حالاً مما أصله متحرك وقد تدخله الحركة في مواضع كثيرة ، وذلك نحو قولك : قال وباع ، ويغزؤ ويرمي ، فهمزت بعد الألف كما يهزم سِقَاءً وقِضَاءً ، وكما يهزم قائل وأصله التحريك ، فهذه الأحرف الميّنة التي ليس أصلها الحركة أجدراً أن تغير إذا همزت ما أصله الحركة ، فمن ثم خالفت ما حرك وما أصله الحركة في الجمع كجَدُولٍ ومَقَامٍ . فهذه الأسماء بمنزلة ما اعتل على فعله نحو يقول ويبيع ، ويغزؤ ويرمي ، إذا وقعت هذا السواكن بعد ألف . وقالوا : مُصِيبَةٌ وَمَصَابِيبٌ فهمزوها ، وشبهوها ، حيث سكنت بصحيفة وصحائف)). (٤)

أما أبو الحسن الأخفش فقد خرج هذا القلب إلى همزة اعتلت بالواحد فقلبت الواو ياء ؛ لأنَّ أصلها (مصوبية) فوهنت عينها وأصبحت كالزائدة ؛ لأنها بدل لا أصل فقلبت همزة.

قال ابن جني : ((وذكر أبو الحسن أن الذي شجعهم على أن شبهوا ((مصيبة)) بـ(صحيفة) حتى همزوها في الجمع ، أنها قد اعتلت في الواحد بأن قلبت الواو ياء فتوهنت العين بالقلب فأشبهت الياء الزائدة ؛ لأنها في الحقيقة ليست من الأصل وإنما هي بدل من العين ، فلما لم تكن الأصل بعينه

(١)المحتسب/١/٣٢٠

(٢)ينظر المنصف/١/٣٠٩

(٣)الكتاب/٤/٣٥٦

(٤)المصدر نفسه والجزء والصفحة

(٥)المنصف /١/٣٠٩-٣١٠

أشبهت الزائدة فقلبت في الجمع همزة ((١)).

يتضح من قول أبي الحسن الأخفش أنّ الهمزة في مصائب أصلها واو قلبت ياء ، أي: دهاها الاعلال فاشبهت الزائد. فالإبدال حدث بين الهمزة والياء ، وهذا يدعم قول أبي علي: أنّ الواو لا تقلب همزة وسطاً إذا كانت مكسورة ، رداً على قول أبي اسحاق الزجاج الذي عدّ الهمزة بدلاً من الواو المقدرّة في مصابو ، وبهذا خالف النحويين أجمعين بجعله (مصائب) من الشاذ. (٢) بقوله : ((ليس كما ذهبوا إليه ، بل الهمزة في (مصائب) بدل من الواو في (مصابو)). (٣)

وقال أبو علي منكرًا على أبي اسحاق : ((إنّ الواو المكسورة لم تهمز غير أول في غير هذا الموضوع فيحمل هذا عليه ، وإذا كان همزها وهي أول غير مطرد فهمزها حشواً خطأ)). (٤) أمّا ابن جني فقد أبد ما ذهب إليه أبو علي بقوله : ((والقول عندي كما ذهب إليه أبو علي)). (٥)

مدللاً على هذا بسؤاله لشيخه وقت القراءة عن (اشاح، ووشاح) ورد أبي علي من أنّ الواو أصلية؛ لأنّ إجماعهم على (موشح) بلا همز بقوله : ((وسألت أبا علي وقت القراءة ، فقلت : هلاًّ أجزت أنّ يكون قولهم ((اشاح، ووشاح)) لغتين ؛ لأنّ الهمزة بدل الواو وكما تقول ((أكّدتُ العهد ووكّدت))؟ فقال : ((إجماعهم على (موشح) بلا همز دلالة على أنّ الواو هي الأصل ولم نرهم اجتمعوا في موضع من (وكّدت) على الواو فنحكم بأن الهمزة فيها بدل من الواو)). (٦) فهذا يؤكد أنّ الواو في (مصابو) أصلية وهي مصابو كما قال سيبويه .

أما همزة (حائض) فهي عند أبي علي أنّ الكلمة على صورة فاعل ، والذي يأتي على هذه الصورة وعينه معتلة لا يأتي إلاّ مهموزاً ، فهي من الفعل حاض، يحيض، حائض فقلبت الياء حاض، يحيض، حايض فقلبت الياء همزة لأنها ساكنة بعد ألف فعلها معتل العين كما ذهب إلى ذلك أبو علي. قال ابن جني : ((وسألت أبا علي رحمه الله - فقلت : قولهم حائض بالهمزة يحكم بأنّه جارٍ على حاض ؛ لا اعتلال عين فعلت ، فقال : هذا لا يدلُّ . وذلك أنّ صورة فاعل مما عينه معتلة لا يجيء إلاّ مهموزاً ، جرى على الفعل أو لم يجر ؛ لأنّ بابه أنّ يجري عليه فحملوا ما ليس جارياً عليه ، على حكم الجاري عليه ، لغلبته إيّاه فيه)). (٧)

الظاهر أنّ أبا علي لا يعول مجيء الهمزة في (حائض) على اعتلال عين الفعل وإنّما صورة

(١) المنصف ٣٠٩/١ - ٣١٠

(٢) ينظر المنصف ٢٣٠/١

(٣) المنصف ٢٣٠/١

(٤) المصدر نفسه ٢٣٠/١

(٥) المصدر نفسه ٢٣٠/١

(٦) المصدر نفسه ٢٣٠/١

(٧) الخصائص ٣٨٥/١

فاعل من الفعل المعتل العين تأتي مهموزة ، وهذا حصل من باب جريان الحكم للغلبة ؛ لأنَّ الباب الذي فيه يجرى عليه هذا الحكم ، وهو قلب الياء همزة في اسم الفاعل الذي اشتق من الفعل المعتل العين . قال ابن جنى : ((وذاكرت أبا علي هذا الموضع ... فجنح حينئذٍ إلى أن فاعلاً - مما عينه أحد حرفي العلة - لا يأتي إلا مهموزاً ، وإن لم يجر على الفعل اعتياداً للهمز هنا)). (١)

أما سيبويه فإنه يرى أن الياء التي بعد الألف قلبت همزة لأنها ساكنة بعد ألف كما هو الحال في همزة قائل ، لأنه يعد حروف الالف والياء والواو حروفاً مبيته لا تدخلها الحركة ووقعت بعد الف فتهمز . (٢)

مما يؤكد مذهب سيبويه هذا هو اعلالهم عين حائض كما اعلوها في بائع وسائر ، فهذا يؤكد أنها جارية على الفعل جريان قائم وغيرها من الصفات . (٣)

قلب همزة (رأى) في (فعلت)

قال ابن جنى : ((سألت أبا علي ، فقلت له : من قال : ((من را مثل معدان بن يحيى)) كيف ينبغي أن يكون (فعلت) منه ؟ فقال : (رَيْبْتُ) ويجعله من باب (حَيْبْتُ) و(عَيْبْتُ) قال : لأنَّ الهمزة في مثل هذا الموضع إذا أبدلت فإلى الياء تقلب ، يريد (سأيلتُه) ونحوه . وذهب أبو علي في بعض مسائله إلى أنه أراد (رَأَى) وحذف الهمزة كما حذفها من (أرَيْت) ونحوه . وكيف كان الأمر فقد حذف الهمزة وقلب الياء ألفاً ، وهذان اعلانان تواليا في العين واللام)). (٤)

وفي هذه المسألة قضيتان إحداهما : قلب الألف ياء لأنها ثانية ساكنة في كلمة (را) وجعله من باب (عَيْبْتُ) و(حَيْبْتُ) . والأخرى : حذف الهمزة من (رَأَى) فاصبحت (را) ثم قلبها إلى ياء .

إن أصل هذه الألف ياء ؛ لأنَّ همزة (رَأَى) أبدلت بها نحو (سأعلت) فاصبحت (سأيلت) .

قال ابن جنى : ((فأصل هذا (رَأَى) فأبدل الهمزة ياء كما يقال في (سأعلت) (سأيلت) وفي (قرأت) (قرَيْت) وفي (أخطأت) : أخطَيْتُ ، فلما أبدل الهمزة التي هي عين ياء أبدل الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم حذف الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل لسكونها وسكون الألف التي هي عين الفعل)). (٥)

فعند بناء (فعلت) من (رَأَى) تقلب ألفها إلى ياء ؛ لأنَّ الألف تقلب إلى ياء أو واو إذا كانت متحركة .

(١)التتبيه على شرح مشكلات الحماسة/٤٢٩

(٢)ينظر الكتاب/٤/٣٥٦

(٣)ينظر التتبيه على شرح مشكلات الحماسة/٤٢٨

(٤)سر صناعة الاعراب/٢/٧٩١-٧٩٢

(٥)المصدر نفسه والجزء والصفحة/٧٩١

قال السيرافي : ((لو حولنا الألف حرفاً آخر ، وألقينا عليه حركة الهمزة ما كانت تحول إلا إلى ياء أو واو ، لأن الألف لا تنقلب إلا إليهما ، ولو فعلت ذلك لوجب قلب الواو ألفاً لتحريكها وانفتاح ما قبلها ؛ لأن ذلك حكم الواو والياء المتحركين . المفتوح ما قبلهما .)). (١).

قلب الهمزة واواً ، وإبدال الواو نوناً

قال أبو الفتح : ((فأما قولهم في النسب إلى صنّعاء وبهراء : صنعاني وبهراني ، فقد ذهبوا فيه إلى أن النون بدل من الهمزة . قال أبو علي : وليس كذلك : إنما قدره بدياً : صنعاي ، وبهراوي ، ثم أبدل النون من الواو المُبدلة من الهمزة . قال : لأننا لم نر النون أبدلت من الهمزة في غير هذا الموضع ، قال : وقد رأيناهم أبدلوا الواو من النون في قولهم : ((مواقد)) وهم يريدون : ((من واقد)) فلما رأيناهم أبدلوا الواو من النون قلنا : إن النون في بهراني وصنعاني ، بدل من الواو . ولم نرهم أبدلوا الهمزة من النون ولا النون من الهمزة)). (٢).

المسألة تتعلق بقلب الهمزة في (صنعاء وبهراء) عند النسب واواً ، لأنه اسم ممدود وهمزته للتأنيث نحو زهراء وصحراء وبيداء فعند الإضافة إلى ياء النسب تقلب واواً ، ثم تبدل هذه الواو نونا ، قياساً إلى إدغام النون الساكنة عند ملاقاتها للواو في (من واقد) تصبح (مواقد) فكأن النون أبدلت واواً وأدغمت الواو بالواو ، فلما حصل هذا الإبدال ، فبالإمكان حصول إبدال الواو نونا ، لأنه لا إبدال بين الهمزة والنون عند أهل العربية . إلا في هذا الموضع (صنعاني وبهراني) .

قال سيبويه : ((وقالوا في صنّعاء : صنعاني ... وفي بهراء قبيلة من قضاة : بهراني ، وفي دستواء : دستواني مثل بحراني ... وقالوا : رَوَّحاني في الرَوَّحاء ، ومنهم يقول رَوَّحاي كما قال بعضهم بهراوي ، حدثنا بذلك يونس ورَوَّحاي أكثر من بهراوي)). (٣).

يؤكد كلام سيبويه قلب الهمزة واواً في (بهراني) و(روحاء روحاي) ثم إبدال الواو نوناً في (بهراني) ، فوافق أبو علي سيبويه في هذا القلب .

أما قياس أبي علي هذه المسألة على (مواقد) ، فقد كان الصواب بعينه ؛ لأن (من واقد) أصبحت (مواقد) عملية إدغام النون الساكنة بالواو حتى تصبح مثلها في المخرج وغيره .

(١) حاشية السيرافي/الكتاب/بولاقي/١٦٦/٢

(٢) المنصف/١/١٥٨

(٣) الكتاب/٣/٣٣٦-٣٣٧

قال سيبويه في كلامه عن إدغام النون : ((وهي مع الراء واللام والياء والواو إذا أدغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشم ، ولكن صوت الفم أشرب غنة . ولو كان مخرجها من الخياشم لما جاز أن تدغمها في الواو والياء والراء واللام ، حتى تصير مثلهن في كل شيء)) . (١)

الإعلال بالقلب في (شاك ولاث) أصلهما (شائك ولاث)

ذكر ابن جنّي أنّ أبا علي يذهب إلى ما ذهب إليه الخليل في إعلال شاك ولاث على أنه إعلال في القلب . ويُعلّل ذلك بعدم الجمع على الكلمة إعلايين بل هو إعلال واحد في تقديم اللام وتأخير العين . (٢)

((وقال : ومن قال : إنه ليس بمقلوب ، فقد جمع على الكلمة إعلايين ، قلب العين همزة وقلب اللام ياء ... وإذا كانوا قد قلبوا في : ((شاك ، ولاث)) مع انه ليس فيه اجتماع همزتين ، ومع أنهم لو لم يقلبوا لما جمعوا على الكلمة إعلايين ، فهم بأن يقلبوا فيما لو لم يقلبوه للزمهم إعلالان - وهو باب (ساء ، وشاء ، وجاء) - أولى . وإنما (شاك) فاعل من الشوكة من الواو ، يراد به السلاح ، و(لاث) من (لاث يلوث) إذا جمع ولف ، وأصلهما : ((لاث ، وشائك)) فقلبوا العين إلى موضع اللام ، فزالت الهمزة التي إنّما وجبت لمصاحبة العين ألف فاعل)) . (٣)

لقد ذهب الخليل إلى قلب اللام في تقديمها على العين في كلمة (شاك ولاث) كما قلبوها في جاء وشاء .

قال سيبويه : ((وأما الخليل فكان يزعم أنّ قولك جاء وشاء ونحوهما اللام فيهنّ مقلوبة وقال : ألزموا ذلك هذا واطرد فيه ، إذ كانوا يقلبون كراهية الهمزة الواحدة . وذلك نحو قولهم ، للعجاج : (من الرجز)

* لاث بها الأشاء والعبري *

وقال ، (لطريف بن تميم العبري) (من الكامل)

فَتَعَرَّفُونِي أَنِّي أَنَا ذَاكُمُ
شاكٍ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُعَلِّمُ . (٤)

أما سيبويه فقد تابع الخليل في هذا القلب فقال : ((إنّما أراد لاث ، ولكنه آخر الواو وقدم الثاء ... وإنما يريد الشائك فقلب)) . (٥)

في حين أنّ أكثر العرب يقول : لاث وشاك سلاحه ، فقد حذفوا الهمزة . (٦) أمّا بعض النحويين امثال أبي عثمان المازني فلا يرى القلب وارداً في (شاك ولاث) ، فضلاً عن أنه ((إذا لم يقلب

(١) الكتاب/٤/٥٥٤

(٢) ينظر المنصف/٢/٥٣

(٣) المصدر نفسه/٢/٦٣

(٤) الكتب/٤/٣٧٧-٣٧٨

(٥) المصدر نفسه/٣/٤٦٦

(٦) ينظر المصدر نفسه/٤/٣٧٨

فليس يلزمه اجتماع اعلالين ؛ لأنَّ وزنَ (جاء) عنده (فاعل) فليس فيه إعلال قلب ، في حين عند الخليل وزنه (فاعل) أي أنَّ هناك إعلالاً بالقلب بين العين واللام .(١)

أما ابن جني فقد عرض رأياً في (شاء وجاء) قد قدّم اللام وقلب العين ياءً فأصبح في الكلمة إعلالان ، ولكنّه لم يلزم هذا أبا علي وبعض النحويين ، بقوله : ((ويقال لأبي علي : إنَّ الذي قال : (شاء) قد قدّم اللام ، وقلب العين ياءً وأصله : (شائو) فهذان أيضاً اعلالان . والقولان متقاربان إلا أنَّ هذا لا يلزم أبا علي في (جئت) ونحوه من ذوات الياء . وفي قول النحويين غير الخليل على كل حال قد حصل في الكلمة اعلالان)) .(٢)

ومهما يكن من الامر فإنَّ أبا علي وقبله الخليل وسيبويه قد ذهبوا إلى أنَّ شاكٍ ولاثٍ فيهما إعلال بالقلب وذلك في تقديم اللام وتأخير العين ، لأنَّ أصلهما (لاثث وشائك) فسقطت الهمزة لقرب العين من ألف فاعل ، وهذا هو الصواب ؛ لأنَّه إذا لم يكن فيها قلب فقد يحدث فيها إعلالان ، والأصل عدم اجتماع إعلالين في الكلمة .

وأما ما ذهب إليه بعض النحويين غير الخليل من أنَّ وزنَ (جاء وشاء) فاعل ، فقد توج ذلك بقولهم (شاكٍ ولاث) بحذف عين الكلمة ، لانهم عندما قالوا في الماضي (شاكٍ ولاث) وسكنوا عين الكلمة وقلبوها ألفاً وجاءت ألف فاعل فحذفوا الثانية حذفاً ولم يقلبوها همزة ، فلم يقولوا شائكٍ ولاثث كما قالوا قائم وبائع وهذا التوجه يوحي إلى أنَّه لم يحدث في الكلمة أيُّ قلب ، وفيه بعض التحمل ؛ لأنَّهم لم يعدوا وجوداً للهمزة ولم يقلبوا الألف همزة لتحركها ، في حين أنَّ الأصل في الكلمة من لاث يلوث ، وتكون لاثث ثم هناك قلب بين اللام والعين . في تقديم اللام وتأخير العين .

الاعلال بالقلب في (خطايا)

سأل ابن جني أبا علي في ضوء ما يراه الخليل في قلب لام (خطايا) التي هي همزة في موضع ياء (فعيلة) فكانها تقديرًا (خطائي) ثم قلبت الهمزة في موضع الياء فصارت (خطائي) فأبدلت الكسرة فتحة تخفيفاً فصارت (خطائي) فتحركت الياء وأبدلت ألفاً فصارت (خطاء) وأبدلت الهمزة ياء فصارت (خطايا) لأنَّها بين ألفين .(٣)

فسأله عن الهمزة بقوله : ((هلا أقرَّ الهمزة بحالها فقال : (خطاء) ؛ لأنَّها لامٌ ، وهي من الأصل ، وليست عارضةً في جمعٍ ، كما يقول في جمع (جائية : جواء) لأنَّها ليست عارضةً في جمع ؟)) .(٤)

(١) ينظر المنصف/٥٤/٢

(٢) المصدر نفسه/٥٤/٥٣/٢

(٣) ينظر المنصف/٥٦/٢ والاعلال في كتاب سيبويه/١٣٣

(٤) المنصف/٥٦/٢

فقال : يعني أبا علي ، ((إنَّ اللامَ لما قُدِّمَتْ فَجُعِلَتْ في موضعِ الهمزةِ العارضةِ في الجمعِ شَبَّهَتْها فجرى عليها حكمها ، فغيَّرت كما تغير العارضة في الجمع كما تقول في جمع (قوس : قسي) وأصله : (قووس) ثم تُقدِّم السين ، وتؤخر الواو ، فكان يجب أن تُصَحَّح ؛ لأنَّها عين الفعل ، فيقال : (قسوو) ولكنهم لما أُخروا العين إلى موضع اللامِ أعلت كما تُعلُّ اللام ؟ ، فجرت (قسي) مجرى (عصي) فهذا هنا كذاك ثمة)) . (١)

إنَّ الذي ذهب إليه أبو علي في ضوء الاعلال بالقلب الذي حدث في خطايا ، قد أشار إليه سيبويه في تقديم الهمزة وتأخير الياء وأبدلت ألفا والهمزة ياء ، بقوله : ((وَأَمَّا خَطَايَا فَكَأَنَّهم قَلَبُوا يَاءَ أَبَدَلتْ من آخر خطايا ألفاً ؛ لأنَّ ما قبل آخرها مكسور ، كما أبدلوا ياء مطايا ونحوها ألفاً . وأبدلوا مكان الهمزة التي قبل الآخر ياءً ، وفتحت للألف ، كما فتحو أراء مَدَارِي ، ... فلما أبدلوا من الحرف الآخر ألفا استثقلوا همزةً بينَ ألفين ، لقرب الألفين من الهمزة)) . (٢) ثم قال في موضع آخر ((هذا باب ما إذا التقت فيه الهمزة والياء قلبت الهمزة ياءً والياء ألفاً ، وذلك قولك : مطيئةً ومطايا ... وإنما دعاهم إلى ذلك أنَّ الياء قد تقلب إذا كانت وحدها في مثل مفاعل فتبدل ألفاً . وذلك نحو : مَدَارِي وصَحَارِي . والهمزة قد تقلب وحدها ويلزمها الاعتلال ، فلما التقى حرفان معتلان في أثقل أبنية الأسماء ، ألزموا الياء بدل الألف ، إذا كانت تبدل ولا معتلَّ قبلها ، وأرادوا ألا تكون الهمزة على الأصل في مطايا ، إذا كان ما بعدها معتلاً وكانت من حروف الاعتلال ... وإن شئت قلت صارت الهمزة مع الألفين حيث اكتتفتها بمنزلة همزتين ، لقرب الألف منهما فأبدلت)) . (٣)

إنَّ هذا الإعلال قد حدث بقلب الهمزة ياءً والياء ألفاً فكلمة (خطيئة) هي (فعية) جمعها (خطايئ) ، فأبدلت الياء همزة على حد (صحيفة وصحائف) فصار (خطايئ) ، فتلقى همزتان طرفاً في الكلمة فقلبت الثانية منهما ياءً ، فصار (خطايئ) ، ثم تقلب كسرة الهمزة فتحة تخفيفاً ، في ضوء الصحيح (مدري ومداري) فصار (خطايئ) فتحررت الياء لسبقها بالفتحة ، وأبدلوا من الحرف الآخر الفاصار : (خطاء) فاصبحت الهمزة بين الألفين وهي بمنزلة فتحة فاجتمع ثلاثة أمثال ، فأبدلت الهمزة ياءً ، فصار : (خطايا) ، ومن هذا نفهم أنَّ التغيير في كلمة (خطايا) تكون في خمس خطوات . (٤) على النحو التالي : أبدلت الياء همزةً ، فصارت خطايئُ ، ثم وقعت الهمزة المتطرفة بعد همزة فأبدلت ياءً فصارت : خطايئ ، فاستثقلت الكسرة على الهمزة لان بعدها ياءً ، فأبدلت فتحة فاصبحت خطايئ . ثم تحركت الياء وانفتح ما قبلها ، فقلبت الفاء فصارت : خطاء . وعندما وقعت الهمزة بين الفين وهي شبيهة بهما ، فاجتمعت ثلاثة أمثال ، فقلبت الهمزة ياءً فصارت خطايا . (٦)

(١) المنصف/٢/٥٦-٥٧

(٢) الكتاب/٣/٥٥٣

(٣) المصدر نفسه/٤/٣٩٠

(٤) ينظر الاعلال في كتاب سيبويه/١٣٣

(٥) ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية/١٨٠

فما ذهب إليه أبو علي هو الذي ذهب إليه سيبويه في موضع القلب بين الياء والهمزة والابدال بين الكسر والفتح ، واجتماع ثلاثة أمثال ، ومرور الكلمة بخطوات خمس حتى أصبحت (خطايا).

الإعلال بالقلب والحذف تقى أصله اتقى ، تجهنا أصله اتجهنا

قال ابن جني : ((ألا ترى إلى قولهم : ((اتقى)) وأصله ((اتقى)) فلما أعلت الفاء بقلبها تاء أعلت بالحذف فيما أشدناه أبو علي وقرأته عليه في النوادر عن أبي زيد : (من الوافر) **تَقَوُّهُ أَيُّهَا الْفَتِيَانُ إِنِّي** وأيضاً عنه : (من الوافر) **وَمَا ضَاقَتْ لَهُ الْقَبِيلَةُ إِذْ تَجَهَّنَا** وأصل هذين : ((اتقوه ، واتجهنا)).

قال أبو علي : ولكنه لما أعل الفاء بالقلب ، أعلها بالحذف ((١)).
الظاهر أن الواو قلبت تاء ثم حذفت هذه التاء من الفعل للتخفيف و(اتقى) (أصله أوتقى) وخفف الفعل وأصبح (اتقى) وهذا من باب الشواذ في رأي سيبويه فقد ذكره في باب (ماكان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد) بقوله : ((ومن الشاذ قولهم : تَقَيْتُ وَهُوَ يَتَّقِي ... لَمَّا كَانَتْ مِمَّا كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ وَكَانَتْ تَائِعِينَ ، حَذَفُوا كَمَا حَذَفُوا الْعَيْنَ مِنَ الْمُضَاعَفِ نَحْوَ أَحَسْتُ وَمَسْتُ . وَكَانُوا عَلَى هَذَا أَجْرًا لِأَنَّهُ مَوْضِعُ حَذْفٍ وَبَدَلٍ . وَالْمَحذُوفَةُ : الَّتِي هِيَ مَكَانُ الْفَاءِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الَّتِي تَبْقَى مَتَحَرِّكَةً)). (٢)

الإعلال بالحذف: الاختلاف في حذف عين (استحي)

هناك اختلاف بين النحاة في حذف عين الفعل (استحي) أو (استحيت) فقد ذهب الخليل إلى أنها حذفت لالتقاء الساكنين.

قال أبو الفتح : ((الذي يقول : إن عين (استحي) حذفت لالتقاء الساكنين الخليل ، وذلك أنهم لما جاءوا بالفعل على اعتلال (آية) سكنت ، واللام بعدها ساكنة ، فحذفت العين لسكونها وسكون اللام)). (٣)

(١) المنصف/١/٢٩٠

(٢) الكتاب/٤/٤٨٣

(٣) المنصف/٢/٢٠٥

هذا ما اكده سيبويه بقوله : ((وكذلك استَحِيَتْ أُسْكِنُوا الياءَ الأولى منها كما سُكِنَتْ فِي بَعْتٍ ، وسُكِنَتْ الثانيةُ ؛ لِأَنَّهَا لَامُ الْفِعْلِ ، فَحُذِفَتِ الْأُولَى لئَلَّا يَلْتَقِيَ سَاكِنَانِ وَإِنَّمَا فَعَلُوا هَذَا حَيْثُ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ)). (١)

أما أبو عثمان المازني فقد خالف ما ذهب إليه الخليل وسيبويه وذهب إلى أن عين الفعل حُذِفَتْ وأُلْقِيَتْ حركتها على الحاء ، وأنها لم تحذف لالتقاء الساكنين ؛ لأنه لو حذفت به لردّها وقال : هو يستحيُّ. (٢)

في حين أن أبا علي قد ذهب إلى حذف العين مقابلاً لدخول حروف الزيادة في استحي ، فضلاً عن قوله أن الياء من الحروف التي تضارع الحركات وهي تحذف بسبب الجزم وغيره ولهذا لا يصح اجتماعهما. (٣)

الظاهر أن ما ذهب إليه أبو عثمان المازني قد ذكره سيبويه بقوله ((وقال غيره - يعني الخليل - لما كثرت في كلامهم وكانت ياءين فحذفوها وألقوا حركتها على الحاء ، كما ألزموا يري الحذف ، وكما قالوا : لم يكُ ولا ادِر)). (٤)

لكن أبا علي قد خالف أبا عثمان المازني في دخول الضمة على الياء عند حذفها لالتقاء الساكنين ولا سيما عند تحريك اللام بالضمة وزوال سكونها ، فقال : وأما حركة النصب ، فغير معتد بها ، لأنها غير لازمة ، فمن هنا لم يجز أن يقال : ((يستحيُّ)). (٥) أي أن أبا علي قد جعل حركة الضم غير لازمة كما أن النصب غير لازمة ولم يعتد بها فهذا ينسحب على الضم ولم يعتد به أيضاً.

(١) الكتاب/٤/٣٩٩

(٢) ينظر المنصف/٢/٢٠٤

(٣) ينظر المصدر نفسه/٢/٢٠٥

(٤) الكتاب/٤/٣٩٩

(٥) المنصف/٢/٢٠٥

الإشباع :

ظاهرة صوتية تحدث عند إشباع أو مطل الحركات لكي تكون حروفاً فالفتحة تشبع فتكون ألفاً والكسرة تكون ياء والضممة تكون واواً نحو : ((ينبع ينباع ، فانظر، فانظور . وهذه الظاهرة قليلة في العربية لكنها مظهر من مظاهر اللهجات العربية مما خالفت فيه اللغة الأدبية المثالية . (١)

فالظاهرة تخص الحركات وحروف العلة (الألف والواو والياء) في قصر الصوت واطالته . قال ابن جني : ((هذه الأحرف أنهنّ توابع للحركات ومنتشئة عنها ، وأنّ الحركات أوائل لها وأجزاء منها ، وأنّ الألف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة . يؤكد ذلك عندك أيضاً أنّ العرب ربّما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ الحرف ، فتشبع الفتحة ، فيتولد بعدها ألف ، وتشبع الكسرة ، فتتولد بعدها ياء ، وتشبع الضمة فتتولد بعدها واو)) . (٢)

يبدو أنّ هذه الظاهرة الصوتية تخص أشعار العرب في إقامة الوزن وحركة الدخيل في القوافي أو حركة الحرف الذي بين التأسيس والروي المطلق .

قال ابن منظور : ((والإشباع في القوافي : حركة الدخيل ، وهي الحرف الذي بعد التأسيس ككسرة الصاد من قوله : (من الطويل)

((كليني لهمّ ، يا أميمة ، ناصب))

وقيل : إنّما ذلك إذا كان الروي ساكناً ككسرة الجيم من قوله : (من مجزوء الكامل)

كنعاج وجبرة ساقهنّ ن إلى ظلال الصيف فاجر

وقيل : الإشباع اختلاف الحركة إذا كان الروي مقيداً كقول الحطيئة في هذه القصيدة : (من الكامل)

الواهب المائة الصفا يا ، فوقها وبرّ مظاهر

بفتح الهاء ، وقال الأخفش : الإشباع حركة الحرف الذي بين التأسيس والروي المطلق نحو قوله : (من الطويل)

يزيد يغض الطرف دؤبي ، كأنما زوى بين عينيه عليّ المحاجم

كسرة الجيم هي الإشباع ، وقد أكثر منها العرب في كثير من أشعارها)) . (٣)

قال ابن جني في باب مطل الحركات : ((وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من

جنسها . فتنشئ بعد الفتحة الألف ، وبعد الكسرة الياء ، وبعد الضمة الواو ، فالألف المنشأة عن

إشباع الفتحة ما أنشدناه أبو علي لابن هرمة يرثي ابنه : من قوله : (من الوافر)

فأنت من الغوائل حين ترمى ومن دمّ الرجال بمنزاح

(١) ينظر الدراسات واللهجية والصوتية عند ابن جني/ ٢٣٤

(٢) سر صناعة الاعراب/ ٢٣/١

(٣) لسان العرب/ مادة شبع

اراد : بمنترج : مفتعل من النازح . وأنشدنا أيضاً لعنترة : (من الرجز)

(ينباع من ذفرى غصوب جصرة)

وقال : اراد ينبع ، فأشبع الفتحة ؟ ، فأنشأ عنها ألفاً)) . (١) ((ولعمري إن هذا مما تختص به ضرورة الشعر وقلما يجيء في النثر)) . (٢) ((واعلم أن العرب قد تشبع الضمة ، فتحدث بعدها واو ، أنشدنا أبو علي : (من البسيط)

وانني حوث ما يشري الهوى بصري

من حوث ما سلكوا أدنو قانظور

يريد : ((فانظر)) فاشبع ضمة الظاء فتولد بعدها واو)) . (٣)

وقال أيضاً : ((حدثنا أبو علي أن أحمد بن يحيى حكى : خذه من حيث وليس ، قال : وهو اشباع

ليس . وذهب إلى مثل ذلك في قولهم أمين ، وقال : هو اشباع فتحة الهمزة من أمين)) . (٤)

لقد أشار سيبويه الى ظاهرة الاشباع وسماها (مط الحركة) ، (الواو والياء) . فقال ((فأما الذين

يُشْبَعُونَ فَيُمِطُّونَ ، وعلامتها واو وياء ، وهذا تحكمه لك المشافهة)) . (٥)

وسماها في موضع آخر بالمد أي جعل الكسرة ياء عند مدّها واشباعها ، فقال : ((وربما مدّوا

مثل مساجد ومناير ، فيقولون : مساجيد ومناير ، شبهوه بما جمع على غير واحدة في الكلام ، كما

قال الفرزدق : (من البسيط)

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة

نفي الدنانير تنقاد الصياريف)) . (٦)

قال الأعم : ((فزاد الياء في الصيارف وواحدهم صيرف)) . (٧)

وقال ابن جني : ((اراد الصيارف) فاشبع الكسرة ، فتولدت عنها ياء)) . (٨)

الظاهر أن الاشباع يكون في الضمة والفتحة ، فتشبعان وتنشأ من اشباعهما الواو والالف أما

في الكسرة فيكون إنشاء الياء منها ، إشباعاً أيضاً . فقد ذكر ابن عصفور ذلك وقال : ومن إشباع

الواو عن الضمة في انظور ويريد انظر ومن انشاء الألف عن الفتحة في بمنترج ويريد منترج ومن

إنشاء الياء عن الكسرة في صياريف ويريد الصيارف . (٩)

ويعد الاشباع من الشاذ الذي لا يقاس عليه وإنما هو سنة من سنن العرب في لغتهم فما

استعملوه يمكن استعماله وأما أن يقاس عليه فلا ، هذا ما صرح به ابن حني بقوله : ((ما زادت

العرب في اشباعه فحدثت منه ياءاً أو واواً أو ألفاً وأراد رجل استعماله ، فكما استعملوه جاز لهم

ذلك لاشباعه إياهم ومالم يرد عنهم فليس لأحد أن يستعمله قياساً ؛ لأنّ الشاذ لا يقاس عليه وليس

لأحد أن يحدثه)) . (١٠)

(١) الخصائص ١٢١/٣-١٢٢ وينظر الفسر ٣٦٣/١ والمحتسب ٣٤٠/١ وسر صناعة الاعراب ٣٣٨/١

(٢) المحتسب ٣٤٠/١

(٣) سر صناعة الاعراب ٢/٦٣٠

(٤) الخصائص ١٢٣/٣

(٥) الكتاب ٤/٢٠٢

(٦) المصدر نفسه ١/٢٨

(٧) النكت في تفسير كتاب سيبويه ١/١٥٧

(٨) سر صناعة الاعراب ١/٢٥ وينظر الانصاف ١/٢٨

(٩) انظر ضرائر الشعر ٣٢-٣٧

(١٠) الفسر ١/٣٦٤

الفصل الثاني

المباحث الصرفية

الابنية المجردة

أبنية الاسماء

الاسم المجرد في العربية هو ما كانت حروفه أصلية أي لا زيادة فيها . فبناء الكلمة في العربية يتكون من ثلاثة أحرف ، وهذا ما يسمى بالجذر اللغوي لكلمة العربية ولو تصفحنا ابنية الاسماء المجردة لوجدناها ، ثلاثية نحو : فَعَلُ : جَبَلٌ ورباعية فَعَلَلُ : جَعْفَرٌ وخماسية فَعَلَّلُ : فَرَزْدَقٌ . أما الكلمات التي تتكون من حرفين مثل _ دَمٌ ، وَفَمٌ (فإتھا جاءت محذوفة اللام من الاصل الثلاثي ، فعندما تصغر أو تُثنى هذه الاسماء يرجع الحرف الثالث - فنقول : (دُمِيٌّ) و (فموان) .

إنَّ أقلَّ الأصول لبناء الاسم في العربية هو البناء الثلاثي أما الأسماء التي تأتي على حرفين فإنَّ معناها وتامهاً على ثلاثة أحرف ، لقد صرح بهذا الخليل رحمه الله بقوله : (الاسم لا يكون أقلَّ من ثلاثة أحرف ، حرفٌ مبتدأً به وحرفٌ يُحشى به الكلمة وحرفٌ يوقف عليه ، فهذه ثلاثة أحرف مثل (سَعَدٌ وَعُمَرُ) ونحوهما من الأسماء ، بُدئ بالعين وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الراء ... وقد تجيء أسماءٌ لفظها على حرفين وتامها ومعناها على ثلاثة أحرف مثل يدٍ ودمٍ وفَمٍ ، وإنما ذهب الثالث لعلَّة أنَّها جاءت سواكن وخلقَّتْها السكون مثل ياء يدٍ وياء دَمِيٍّ في آخر الكلمة فلما جاء التنوين ساكناً اجتمع ساكنان فثبت التنوين لأته إعراب وذهب الحرفُ الساكن ، فإذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير كقولهم أيديهم في الجمع ويُدِيَّة في التصغير ، فإذا ثنيت الفم قلت : فموان ، كانت تلك الذاهبة من الفم الواو))^١ .

وذهب إلى هذا سيبويه وقرر أيضاً ثلاثية البناء في الاسم ، أما الثنائية فأصلها ثلاثية والحرف المحذوف يحصل عليه في الجمع والتصغير بقوله : ((ليس في الدنيا اسمٌ

أقلُّ عدداً من اسم على ثلاثة أحرف ولكنهم قد يحذفون مما كان على ثلاثة أحرف وهو في الأصل له ، ويردونه في التحقير والجمع ، وذلك قولهم في دمٍ : دُمِي ، وفي حرٍ : حُرِيحٌ ، وفي شَفَةٍ : شَفِيهَةٌ ، وفي عِدَةٍ وَعِيدَةٍ))^١ .

وقد أشار أيضاً إلى أن ما جاء من الأسماء على ثلاثة أحرف هو أكثر في الكلام العربي ثم يليه الرباعي المجرد في الكثرة ، أما الخماسي المجرد فيكون أقل من النوعين السابقين ، وأن الأسماء المجردة تأتي على ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة لا زيادة فيها ولانقسان ، فما جاء على ثلاثة أحرف فمحذوف منه ، وما زاد على الخمسة فمزيد فيه^٢ .

قال سيبويه : ((أما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كل شيء من الأسماء ... مزيداً فيه وغير مزيد فيه ، وذلك لأنه كأنه هو الأول ، فمن ثم تمكن في الكلام ، ثم ما كان على أربعة أحرف بعده ، ثم بنات الخمسة ؛ وهي أقل .. لا يكسر بتمامه للجمع ؛ لأنها الغاية في الكثرة فاستثقل ذلك فيها . فالخمسة أقصى الغاية في الكثرة . فالكلام على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف ، وخمسة لا زيادة فيها ولا نقصان ، والخمسة أقل الثلاثة في الكلام))^٣ .

يبدو أن الأسماء المتمكنة من حيث عدد أحرفها وبنائها ثلاثية في أقل أصولها ، وأما ما جاء على حرفين فهو في الأصل على ثلاثة أحرف لكن في حروفه لين فحذفت عينه ولامه ، نحو (فَم) لأنه في الأصل (فوه) على وزن (فَعْل) فعينه واو ، ولامه هاء ، فحذفت هذه الهاء ، لأنها تشبه الياء والواو في الإخفاء عند النطق ، فهما يحذفان إذا كانتا لامين ، كذلك تحذف الهاء لتلك المشابهة في موضع حذفها فيه^٤ .

وقد ذهب أبو علي إلى أنه لا توجد أسماء متمكنة على حرف وعلى حرفين أحدهما حرف لين بقوله : ((لا يوجد في الكلام اسم متمكن على حرف واحد ولا اسم متمكن على حرفين أحدهما حرف لين ، لأنه يلزم متى كان على حرفين أحدهما حرف لين أن يصير على حرف واحد على ما رسمناه في (فَم) ، فإذا زيد على الاسم الذي على حرفين لم يمتنع أن يوجد اسم أحد حرفيه الأصليين حرف لين وذلك قولهم : شاة ، فوك ، في الإضافة ، وفو

١ الكتاب / ٣ / ٣٢٢

٢ ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه / ١٣٥ .

٣ الكتاب / ٤ / ٢٢٩-٢٣٠ .

٤ ينظر : البغداديات / ١٤٩-١٥٠ .

زيد . ولذلك قال النحويون في ترخيم (شِبِيَّة) اسمُ رجلٍ و غيره على قول من قال : يا حارُ يا وشيُّ أو يواوشي ، فردّوا ما حذف من الكلمة ، لأنهم لم يجدوا في العربية اسماً على حرفين أحدهما حرفُ لين ، فيقولون بغير ردِّ الأصل إليه فلما كان (فَم) بعد حذف اللام منه تجري على ما ذكرناه ، ويلزم فيه ذلك أبداً من الواو التي هي عينُ الميم ، لأنها توافقها في المخرج))^١ .

وقد أشار أبو علي أيضاً إلى أبنية الأسماء المجردة الثلاثية مع تكسيرها وضرب لنا الأمثلة من مسميات العربية التي ذكرها سيبويه^٢ وقد اعتمد في تصديقها على حركة عين الكلمة في الفتح والضم والسكون وفاء الكلمة أيضاً ، فذكر باب (فَعَل) نحو كَتَفَ وَفَخَذَ و (فَعِل) نحو : عَنَبَ ، وَضَلَعَ ، و (فُعِل) نحو : عُنُقَ ، و (فَعُل) نحو : رَجُلٌ ، و (فُعِل) نحو : صُرِدَّ ، و (فَعِل) نحو : إِبِلٌ . و (فَعِل) نحو : حَمِلٌ وَعَدِلٌ ، و (فُعِل) نحو : جُنِدٌ ، وَقُرْطٌ ، و (فَعَل) نحو : بَطَلٌ .^٣

وقد ذكر أيضاً أبنية الأسماء المجردة الرباعية والخماسية وأكد أن الثلاثية والرباعية والخماسية المجردة هي أصول بنية الكلمات العربية ، بقوله : ((الأسماء تكون على ثلاثة أصناف : ثلاثية ورباعية وخماسية بحروف كلها أصولٌ . فأما أبنية ماكان على ثلاثة فقد ذكرت .. وأما ابنية الرباعية فعلى خمسة أضرب : فَعَلُّ نحو جَعْفَرٍ وَسَلْهَبٍ ، وَفِعْلٌ نحو زَبْرَجٍ وَخِمَخِمٍ ، وَفُعْلٌ نحو ثُرْتُمٍ وَبِرْتُنٍ ، وَفِعْلٌ نحو دِرْهَمٍ وَهَجْرَعٍ ، وَفِعْلٌ نحو دِمَقْنَسٍ وَحَنْجَرٍ وَزَادِ الْأَخْفَشِ : فُعْلٌ نحو بُرْقَعٍ : وأما بنات الخمسة فعلى أربعة أضرب : على فَعْلَلٍ نحو فَرَزْدَقٍ وَشَمْرَدَلٍ وعلى فُعْلَلٍ نحو قُدْعَمِلٍ وَخُبَيْثِنٍ وعلى فِعْلَلٍ نحو قَرْطَعِبٍ وَجَرْدَحَلٍ وعلى فِعْلَلِلٍ نحو جَحْمَرِشٍ وَصَهْصَلِقٍ ... وأضاف ابن السراج هُنْدَلِيعٍ))^٤ .

فِعْلٌ : وَفِعْلٌ

استدل أبو علي في ضوء هذا البناء على كلمة كِسِرَاتٍ في اتباع الكسر ((أنها مبنية على الألف والتاء اطرأً اتباع الكسر للكسر في سِدْرَاتٍ وَكِسِرَاتٍ مع عزة فِعْلٍ في الواحد ،

١ البغداديات / ١٥٤ - ١٥٥ .

٢ ينظر الكتاب / ٤ / ٢٤٢ - ٢٤٤ .

٣ ينظر التكملة / ٤٠٧ - ٤١٢ .

٤ المصدر نفسه / ٥٣٩ - ٥٤١ .

وإنما حكى سيبويه منه : إبل لا غير ، وهو ما ذكر ، إلا أنَّ مما يؤنس بكون حركة العين غير ملازمة ما رويناها عن قطرب فيما حكاها عن يونس : من قوله في جرّوة : إذا قلت جرّوات فصحة الواو وهي لام بعد الكسرة تدلك على قلة الاعتداد بها وعلى ذلك أن يقال : إنَّ هذا شاذٌّ))^١ .

يفهم من هذا أنّ بناء فعلٍ يجري فيه باطراد اتباع الكسر الكسرَ أما في بناء فعلٍ ، فلا يكون فيه هذا الاتباع للكسر الا شاذّاً ، لأنه بناء ساكن العين وعند كسرها تقلب الواو ياء فيقال جريات لمجانسة الياء للكسرة ولكن صحّة الواو دلالة على الشواذ . أما بناء فعلٍ . فلم يذكر منه سيبويه غير بناء إبلٍ فقط بقوله : ((ويكون فعلاً في الاسم نحو : إبلٍ . وهو قليل ، لا نعلم في الاسماء والصفات غيره .))^٢ وذكر ذلك أبو علي بقوله : ((وجاء اسمٌ على فعلٍ وذلك إبلٌ .))^٣ .

وأضاف ابن خالويه سبعة أسماء أخر على هذا البناء (فعلٍ) بقوله : ((ليس في كلام العرب اسم على فعلٍ إلا ثمانية أسماء : إبلٍ ، وإطلٍ ، وبأسنانه حبر : أي صفرة ، ولعب الصبيان جَلخ جَلِبٌ ، ووتد عن ابي عمرو ومنه لا أفعل ذاك أبد الإبد : حكاها ابن دريد ، وامرأة بلز ضخمة والبليص طائر ، ويقال له البليص .. ولم يحك سيبويه إلا حرفاً واحداً لأنه بلا خلاف ، والبقية يُختلف فيهن ، فيقال : إطلٌ وأيطلٌ ... وقد قيل مسكٍ وسلمٍ ، والحجل ، يريد الخخال .. وخطبٍ . نكح))^٤ .

(فَعْلٌ) ثلاثي - (وَفَعْلَةٌ) رباعي

الهيئة : صفة على بناء (فَعْلٌ) تدل على المرقّع من الناس المرذول الذي يقال له في إبعاده : هيّه ، وهي بالأصل صوت - فسمى بها . ° وهيّهات أو هيهاه . اسم رباعي على بناء

١ المحتسب / ١ / ٥٨

٢ الكتاب / ٤ / ٢٤٤ .

٣ التكملة / ٤٠٨ - ٤٠٩ .

٤ ليس في كلام العرب / ٧٧ - ٧٨ .

٥ ينظر المحتسب / ٢ / ٩٤ ولسان العرب مادة / رثع .

(فعللة) ، فالهَيْئَةُ ثلاثي ، وهيئات رباعي ، والمعنى واحد ، لأن الاول (هَيْئَةٌ) كلمة زجر و (هيئات) اسم فعل بمعنى بَعْدَ .^١

وقال أبو الفتح ((وقريب من لفظه ومعناه يقصد هيئات - ما أشدناه أبو علي من قول بعضهم : (من الكامل)

* فَارْفَعُ الْجَفْنََةَ بِالْهَيْئَةِ الرَّثْعِ *))^٢

أشار سيبويه الى أن هيئات اسم فعل بمنزلة صه وهو صوت فقال : ((وزعم الخليل : أن الذين قالوا : صه ذاك أرادوا النكرة ، كأنهم قالوا : سكوتاً . وكذلك هيئات وهو بمنزلة ما ذكرنا عنده ، وهو صوت))^٣ .

يفهم من هذا أن (هَيْئَةٌ) و (هيئات) من حيث البناء أخوان والمعنيان متقاربان ومثلهما مثل (سلس) و (سلسل) في تضعيف العين ، لأن (هيئات) أصلها (هيهية) ، فانقلبت (اللام ألفاً) فصارت (هيهاة) ، فضلاً عن أن الوقوف عليها بالهاء ايضاً وأن الاثنين يدلان على الصوت في الزجر ومن معنى (بَعْدَ) .^٤

فَعْلٌ

قال أبو الفتح : ((فأما (العَشِقُ) فقال لي أبو علي وقت القراءة : كان قياسه إذا اضْطُرَّ إلى حركة العين في (عَشِقِ) ، أن يكسرهما إتباعاً لحركة الفاء فيقول : (عَشِقِ) . قال : ولكنه شبهه بغيره من الأسماء نحو : بَدَلٍ وَبَدَلٍ وَمَثَلٍ وَمَثَلٍ ، وَشَبِهٍ وَشَبِهٍ))^٥ . إن الذي ذهب إليه أبو علي اعتمد فيه على القياس ، لأنه يفضل على السماع ، هذا معروف عنه ، لكن سُمِعَ عن العرب أن عين (العَشِقِ) تحركت للفتح وفاؤها ايضاً فقد ذكر الخليل ذلك فقال (عَشِقَهَا عَشَقًا)^٦ فالمصدر مفتوح الفاء والعين .

وهذا واردٌ عن العرب ومسموع عنهم فقد ذكر ابن السكيت ذلك في باب ما يفتح أوله وثانيه نحو شَرَعٌ وَشَرَعٌ ، فقال : ((وتقول : هو الشَّمْعُ الَّذِي يُصْطَبِحُ بِهِ ، بتحريك الشين

١ ينظر الخصائص / ٣ / ٤١ و المحتسب / ٢ / ٩٤ .

٢ المحتسب / ٢ / ٩٣ .

٣ الكتاب / ٣ / ٣٠٢ .

٤ ينظر الخصائص / ٣ / ٤١ و المحتسب / ٢ / ٩٤ .

٥ المنصف / ٢ / ٣٠٨ .

٦ العين / ١ / ١٢٤ .

والميم ، وَرَبِّمَا خُفِّفَ كَمَا يُخَفِّفُ الشَّعْرَ وَالنَّهْرَ ، وَهُوَ الصَّخْرُ وَالصَّخْرُ . وَهُوَ الْقَرَعُ وَالْفَهْمُ ،
وَقَدْ يُقَالُ الْفَهْمُ .))^١ .

أَمَّا ابْنُ جَنِيٍّ فَيَعْدُ كَسْرَ الْعَيْنِ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ اتِّبَاعًا لِلْفَاءِ ضَرُورَةً وَفِي ضَوْءِ هَذَا ذِكْرِ
الشَّاعِرِ الْجَدِّ فِي قَوْلِهِ : (مَنْ الْبَسِيطُ)

* ضَرْبًا أَلِيمًا بِسَبَبِ يَلْعَجُ الْجَدِّدَا *

يَشْبَهُ قِيَاسَ أَبِي عَلِيٍّ فِي أَنْ يَتَّبِعَ فَيَقُولُ (عَشِقَ) ^٢ .

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ جَنِيٍّ ذَهَبَ إِلَى صِحَّةِ مَجِيءِ (العَشِقَ) مَفْتُوحِ الْعَيْنِ ؛ لِأَنَّ مَصْدَرَ فَعَلْتُ
فِي أَغْلَبِ أَحْوَالِهِ (فَعَلٌ) نَحْوَ حَذَرَ حَذْرًا وَبَطَرَ بَطْرًا ، فَكَأَنَّهُ انْتَصَرَ لِأَبِي عَثْمَانَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ
يَحْمِلْهُ عَلَى الضَّرُورَةِ ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ جَاءَ عَلَى (فَعَلٌ) فَحَمَلَهُ عَلَى
الضَّرُورَةِ لِذَلِكَ ^٣ .

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْأَمْرِ أَنَّ عَشِقًا وَعَشِقًا فِي سَكُونِ الْعَيْنِ وَفَتْحِهَا قَدْ نَطَقَتْ بِهِ الْعَرَبُ
وَذَكَرُوهُ فِي شِعْرِهِمْ فَهَذَا مَا سَمِعَ عَنْهُمْ ، لَكِنَّ أَبَا عَلِيٍّ ذَهَبَ فِي الْكَلِمَةِ عَنْ طَرِيقِ الْقِيَاسِ
فِي كَسْرِ الْعَيْنِ اتِّبَاعًا لِحَرَكَةِ الْفَاءِ ، فَهَلَّا نَسَوَخَ فَتَحَهَا تَمَاشِيًا مَعَ فَتْحَةِ الْفَاءِ ، أَوْ فَتَحَهُمَا ؛ لِأَنَّ
مَصْدَرَ فَعَلٌ أَغْلَبَهُ يَأْتِي عَلَى بِنَاءِ (فَعَلٌ) كَمَا ذَكَرَ ابْنُ جَنِيٍّ ، فَضَلَّ عَنْ هَذَا أَنْ فَعَلٌ يَأْتِي فِي
كَثِيرٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ عَلَى بِنَاءِ فَعَلٌ^٤ .

فَعَلَّلُ

فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ اللَّغَوِيَّةِ سَأَلَ ابْنَ جَنِيٍّ شَيْخَهُ أَبَا عَلِيٍّ ، وَبَعْدَ أَنْ أَنْعَمَ النَّظْرَ فِيهَا أَجَابَ
ابْنَ جَنِيٍّ عَنْ تِلْكَ الْمَادَّةِ ، فَقَدْ ذَهَبَ بِهَا إِلَى أَنَّ شَوْشُوَ الْوَارِدَةَ فِي بَيْتِ أَبِي الْإِسْوَدِ بَنِيَتْ مِنْ
لَفْظِ شَوْشَاةٍ مِثَالِ جَحْمَرِشٍ فَقَالَ : (مَنْ الطَّوِيلُ)

عَلَى ذَاتِ لَوْتٍ أَوْ بِأَهْوَجِ شَوْشَوِ صَنِيعِ نَبِيلٍ يَمَلُّ الرَّحْلَ كَاهِلُهُ

١ اصلاح المنطق / ١٧٢

٢ ينظر المنصف / ٢ / ٣٠٨

٣ ينظر المصدر نفسه / ٢ / ٣٠٩ .

٤ ينظر ادب الكاتب / ١٢٧

فقال : ((سألت عنه أبا علي ، فأخذ ينظر فيه . فقلت له : ينبغي أن يكون بني من لفظ الشوشاة مثال جَمَرَشِ ، فعاد الى شَوْشَوِ ، فأبدل اللام الثالثة ياء لأنكسار ما قبلها ، فعاد : شَوْشَوِ ، فتقول على هذا في نصبه : رأيت شَوْشَوِيَا ، فقبل بذلك ورضيه))^١ .
والظاهر أنَّ شَوْشَوَ هي شَوْشَوَوِ على وزن (فَعَلَّل) نحو (جَمَرَشِ) ولكن اللام الثالثة ابدلت ياءً لتصير شو شويًا .

فَعَلَ (هناه) الهاء اللاحقة فيها أصلية أم زائدة ؟

قال أبو علي : ((وقد ذهب بعض علمائنا في (هناه) إلى أنَّ الهاء لحقت لبيان الألف ، ثم شبَّهت بالهاء الأصلية ، فألحقت الضمة . قال : وليس ذلك بشيء ؛ لأنَّ هذه الهاء إنّما تلحق في الوقف ، فإذا أوصلت سقطت ، فجرى لذلك مجرى همزة الوصل التي إذا اتصل ما قبلها بما بعدها سقطت))^٢ .
إنَّ الهاءَ مُلحقةً بالكلمة للوقف لا بدل من الواو في هَنَوٍ ، وهنوات ، وإنَّما الألف هي بدل من الواو ، فالهاء تحذف عند الجمع والتثنية وترد الألف الى أصلها فتقول هنوان وهنوات .

قال سيبويه : ((ويقول : هَنَوَان فيجره مجرى الأب ، فمن فعل ذا قال : هَنَوَات ، يردُّه في التثنية والجمع بالتاء ، ... وسمعا من العرب من يقول في جمع هَنَتِ هنوات . قال الشاعر : (من الطويل)

أرى ابنَ نزارٍ قد جفاني وملني
على هنواتٍ كلها متتابعٍ
فهي بمنزلة : أخت))^٣ .

وقد أكد أبو علي : حذف هذه الهاء لقلتها في الكلمات التي يكثر فيها التضعيف فمن الأولى أن تحذف من الكلمات التي يقل فيها التضعيف ، ثم إنه يرفض أن تكون الهاء أصلاً في هناه كما هي في شفاه بقوله : ((وإذا كانت الهاء قد قلَّت في الموضع الذي يكثر فيه التضعيف فينبغي أن يرفض في الموضع الذي يقل فيه التضعيف . والموضع الذي يكثر فيه التضعيف باب (رددت) . ألا ترى أن الذي جاء فيه شيء نزر هو : ((مَهَةٌ وفَهَةٌ)) ، وما يقلُّ إنَّ

١ الخصائص / ٣ / ٤٢ .

٢ المنصف / ٣ / ١٤٢ .

٣ الكتاب / ٣ / ٣٦٠ - ٣٦١ .

جاء غير هذا ، وباب رددت أكثر من باب (قلق وسلِس) فينبغي أن تُرْفَضَ الهاء فيه لقلتها في باب (رَدَدَتْ) ، ولو جعلت الهاء في (هناه) أصلاً كالتي في (شفاه) لحملته على باب (قَلِقَ وَسَلِسَ) .^١

الظاهر أن هاء (هناه) ألحقت للوقف وتسقط عند الوصل ، كهزمة الوصل وهذا ما قال به أبو زيد وتابعه أبو علي وأيده ابن جني بقوله : ((وهذا القول قول أبي زيد . والذي رآه أبو علي هو الوجه)) .^٢

عَلَّةٌ وَعَلَّةٌ (فَعْلَةٌ وَفَعْلَةٌ)

أما (ضَعَّةٌ) فحذفت أو ابدلت فيها الواو أيضاً كما في هناه وهنت ، فهي تحذف في (ضِعَّةٌ) قياساً على حذفها في الفعل فتقول في (أَضَعُ تَضَعُ يَضَعُ نَضَعُ) ، وهذه مضارع للماضي (وضع) فحذفت الواو من الفعل والاسم أصبح (ضِعَّةٌ) وكذلك حذفت في (ضَعَّةٌ) .

قال سيبويه : ((وقالوا : وضع ضِعَّةٌ وهو وضِعٌ . والضِعَّةٌ مثل الكثرة ، والضِعَّةٌ مثل الرفع)) .^٣

قال ابن جني : ((كما أن الواو لما حذفت في (ضِعَّةٌ) حذفت أيضاً في (ضَعَّةٌ) ، ومن قال : إن أصل (ضِعَّةٌ : فَعْلَةٌ) بكسر الفاء ، ثم حذفت لأجل العين خلافاً لسيبويه فقله ليس بشيء)) .^٤

في حين أن أبا علي قال : ((ولكنها لما حذفت في (ضِعَّةٌ) و (أَضَعُ وتضع ونضع ويضع) حذفت في (ضِعَّةٌ) ، وإنما يفتح الحرف لأجل حرف الحلق في الفعل لا في الاسم)) .^٥

الضِعَّةٌ والضِعَّةٌ من فَعْلَةٌ وفَعْلَةٌ ومثالها بالفتح كثرة وبالكسر رِفْعَةٌ وقد حذف واو (ضِعَّةٌ) مثل (زِنَةٌ) من (وزن) و (عِدَةٌ) من (وعد) وهذا حذف قياسي . والضِعَّةٌ بالكسر أو الفتح والأصل (وضِعَّةٌ : فَعْلَةٌ) وزال كسر فاء الكلمة فقالوا : الضِعَّةٌ ، لأنها فتحت لأجل الحرف الحلقى العين .^٦

١ المنصف / ٣ / ١٤٠ .

٢ المصدر نفسه / ٣ / ١٤٢ .

٣ الكتاب / ٤ / ٣٣ .

٤ المنصف / ٣ / ١٤٠-١٤١ .

٥ المصدر نفسه / ٣ / ١٤١ .

٦ ينظر المقتضب / ١ / ٨٨-٨٩ .

فَعَلَّلٌ : إنْقَحَلٌ

قال ابن جنى ((إنَّ إنْقَحَلَ في معنى قَحَلَ ، وليس من لفظه ، وأنه لا زيادة في أوله .
كذا حكى أبو علي عن بعضهم))^١ .

يبدو أن هذا البناء مستعمل في العربية وهو اسم خماسي وزنه فَعَلَّلٌ غير مزيد يدل
على اليبس في معنى قَحَلَ قال ابن السكيت : ((هذا شيخٌ إنْقَحَلٌ .. للمُسْنِ جَدًّا))^٢ قال
الجوهري : وشيخٌ قَحَلٌ بالتسكين ، وإنْقَحَلٌ أيضاً بكسر الهمزة ، أي مُسْنٌ جَدًّا^٣ والذي جَفَّ
جلدُهُ ولصق بعظمه المُسْنُ الهرم^٤ . ولم يحك سيبويه من هذا الوزن إلا إنْقَحَلَ في الوصف
لا غير على وزن (إنْفَعَلَ) ، وعدَّ ابن جنى همزته للإلحاق بما اقترن بها من النون من باب
جَرَدَحَلٌ أي فَعَلَّلٌ^٥ . وبهذا خالف ابن جنى شيخه أبا علي الذي أيد عدم الزيادة .

قال ابن جنى ((انما تلحق الزوائد في بنات الأربعة أصلاً ، لأنه ليس لها تصرف
ذوات الثلاثة وكثرتها . ولما كانت ذوات الثلاثة مع تصرفها لم يجئ فيها ما اجتمع في أوله
زائدان الا حرفان وهما (إنْقَحَلٌ ، وانزهو) لأنَّ أول الكلمة لا تتمكن فيه الزيادة الا ما كان
جارياً على فعل))^٦ .

فالهزمة عند سيبويه في (إنْقَحَلٌ) زائدة وعند أبي علي غير زائدة أما ابن جنى
فعنده للإلحاق فهي زائدة ، وبهذا اتفق مع سيبويه في الزيادة وخالف شيخه أبا علي .

أبنية الأفعال

الأفعال المجردة تكون أبنيتها ثلاثية ورباعية فقط ولا تكون خماسية إلا مزيدة ؛ لأنَّ
الفعل ينقصُ مزيداً وغير مزيد عن بناء الاسم حرفاً ، ولأنَّ الاسم أقوى من الفعل لاستغناء
الاسم عن الفعل ، واحتياج الفعل إليه ، هذا عند البصريين ، أمَّا الكوفيون فأنهم يرون أن
المجرد في الأفعال الثلاثية فقط و الأبنية الباقية هي زائدة عنه ، فالرباعي مزيدٌ والخماسي
أيضاً^٧ .

١ المنصف / ١ / ٣٠٠

٢ اصلاح المنطق / ٤٢٢ .

٣ الصحاح / مادة / قحل .

٤ ينظر لسان العرب / مادة قحل

٥ ينظر الكتاب/٤/٢٤٧ وينظر الخصائص/١/٢٢٩

٦ المنصف / ١ / ١٤٤

٧ ينظر ابنية الصرف في كتاب سيبويه / ٣٧٧ - ٣٧٨

قال سيبويه : ((ثمّ بنات الخمسة وهي أقلّ لا تكون في الفعل البتّة))^١.
وقال أبو علي : ((فأما الافعال فأبنيتهما بغير الزيادة على ضربين : ثلاثية
ورباعية وليس في الافعال ما يكون على خمسة أحرف أصول، إنّما يكون ذلك في الأسماء
خاصة))^٢.

قال السيوطي : ((وحكم الكوفية بزيادة غير الثلاثة)^٣.
فالفعل الثلاثي المجرد له ستة أبنية هي : فَعَلَ يَفْعُلُ نحو : نصرَ يَنصُرُ ، وفَعَلَ يَفْعَلُ
نحو ضَرَبَ يَضْرِبُ ، وفَعَلَ يَفْعَلُ نحو : فَتَحَ يَفْتَحُ ، وفَعَلَ يَفْعَلُ نحو كَرَّمَ يَكْرُمُ وفَعَلَ يَفْعَلُ
نحو : شَرِبَ يَشْرِبُ - وفَعَلَ يَفْعَلُ - نحو حَسِبَ يَحْسِبُ ، ونَعِمَ يَنْعِمُ . وهي تستعمل للمتعدّي
واللازم .

وهذه الأبنية أربعة عند سيبويه ثلاثة تستعمل للمتعدّي واللازم والرابع للازم فقط
قال : ((اعلم أنّه يكون كلُّ ما تعدّك إلى غيرك على ثلاثة أبنية : على فَعَلَ يَفْعَلُ وفَعَلَ يَفْعَلُ
وفَعَلَ يَفْعَلُ وذلك نحو ضَرَبَ يَضْرِبُ ، وقَتَلَ يَقْتُلُ ، ولَقِمَ يَلْقَمُ ، وهذه الأضرب تكون فيما
يتعدّك ، وذلك نحو جَلَسَ يَجْلِسُ ، وقَعَدَ يَقْعُدُ ، وركنَ يَرْكُنُ . ولما لا يتعدّك ضربٌ رابعٌ لا
يشركه فيه ما يتعدّك ، وذلك فَعَلَ يَفْعَلُ نحو كَرَّمَ يَكْرُمُ . وليس في الكلام فَعَلْتَهُ مُتَعَدِّياً .
فضروب الأفعال أربعة يجتمع في ثلاثة ما يتعدّك وما لا يتعدّك ويبيّن بالرابع ما لا يتعدّي ،
وهو فَعَلَ يَفْعَلُ))^٤.

أمّا ابنية الافعال الرباعية فهي على نوعين الأول يكون مضعفاً لأن فاءه ولامه
الاولى من نوع واحد وعينه ولامه الثانية من نوع واحد نحو زلزل ، وقلقل فهو بناء فعلل ،
والثاني غير مضعف نحو دحرج وحرجم ، وهو على البناء نفسه . أي فعلل . وبعض الافعال
تأتي نتيجة النحت لبعض العبارات اللغوية مثل بسمَلْ أي بسم الله الرحمن الرحيم وهَلْ أي
قال لا اله الا الله^٥ .

١ الكتاب / ٤ / ٢٣٠ .

٢ التكملة / ٥٤١ .

٣ مع الهوامع / ٢١٣ .

٤ الكتاب / ٤ / ٣٨ وينظر التكملة / ٥٠٨ - ٥١٤ .

٥ ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه / ٣٨٩ .

قال سيبويه : ((هذا باب تمثيل الفعل من بنات الاربعة مزيداً أو غير مزيد ، فإذا كان غير مزيد فإنه لا يكون إلا على مثال فَعَلَّ ، ويكون يَفْعَلُ منه على يُفَعِّلُ ، ويُفَعَّلُ على مثال يُفَعَّلُ ... وذلك نحو : دَحْرَحَ يُدَحِّرُ))^١ .

إنَّ أبنية الأفعال الثلاثية الماضية لا يختصر في تصريفها للمضارع على بناء واحد في ضوء حركة عين الفعل وإنما يتعدد التصريف نحو (ضَرَبَ يَضْرِبُ ، وَقَتَلَ يَقْتُلُ) .
قال أبو علي: إنَّ الأفعال الماضية التي على مثال (فَعَلَ) قد يأتي مضارعها (يَفْعَلُ) كما يأتي على (يَفْعَلُ) وذلك نحو (ضَرَبَ يَضْرِبُ) و (قَتَلَ يَقْتُلُ) وقد يأتي على (يَفْعَلُ) يفتح العين إذا كانت اللام أو العين حرفاً حلقياً نحو : يقرأ ويسأل وقال : فاقتصارهم بما كان ماضيه بوزن (فَعَلَ) وفاؤه واو على (يَفْعَلُ) ضَرَبَ من الإعلال لحقه ؛لأنَّ مَنْعَهُ ما يجوز في غيره عِلَّةٌ لِحِقْتِهِ))^٢ .

ولقد فصل سيبويه في موضوع (فَعَلَ يَفْعَلُ) بفتح العين إذا كانت لامه وعينه حرفاً حلقياً نحو الهمزة والهاء والعين والحاء والغين؛ وحجته في ذلك أن هذه الحروف سفلت في الحلق فلا تجعل حركتها من نوع حركة ما ارتفع من الحروف التي قبلها واستثني من هذا موضع حرفي الواو والياء ؛لأنَّهما حروف مرتفعة ويختار لهما حركة من مرتفع بقوله : ((هذا باب ما يكون يَفْعَلُ من فَعَلَ فيه مفتوحاً وذلك إذا كانت الهمزة أو الهاء والعين أو الحاء أو الغين أو الخاء لاماً أو عيناً . وذلك قولك قرأ يقرأ وبدأ يبداً .. هذا ما كانت هذه الحروف فيه لامات . وأما ما كانت فيه عينات فهو كقولك : سأل يسأل ... وذهب يذهب ... وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق ، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف ، وإنما الحركات من الألف والياء والواو وكذلك حركوهن إذ كنَّ عينات ، ولم يفعل هذا بما هو من موضع الواو والياء ؛ لأنَّهما من الحروف التي ارتفعت ، والحروف المرتفعة حيز على حدة ، فانما تتناول للمرتفع حركة من مرتفع ، وكره ان يتناول للذي قد سفل حركة من هذا الحيز))^٣

^١ الكتاب / ٤ / ٢٩٩ .

^٢ المنصف / ١ / ١٨٥ .

^٣ الكتاب / ٤ / ١٠١ .

أما ضمُّ العين في المضارع فقد عدّه سيبويه على الأصل ، وهو في الهمزة أقلّ لأنها من أقصى الحلق والهاء أقرب إليها ثم العين أقرب إلى الهمزة من الحاء ، ثم الخاء والغين لأنهما أشدُّ ارتفاعاً من غيرهما ، بقوله : ((وقد جاؤا بأشياء من هذا الباب على الأصل ، قالوا براً يبرؤ كما قالوا : قَتَلَ يَقْتُلُ ، وهنأ يهنئ ، كما قالوا : ضَرَبَ يَضْرِبُ : وهذا في الهمزة أقل ؛ لأنَّ الهمزة أقصى الحروف وأشدّها سفولاً ، وكذلك الهاء ؛ لأنّه ليس في الستة الأحرف أقرب إلى الهمزة منها ، وإنما الألف بينهما وقالوا : نَزَعَ يَنْزِعُ ، وَرَجَعَ يَرْجِعُ ، كما قالوا : ضَرَبَ يَضْرِبُ . وقالوا نَضَحَ يَنْضِحُ ... ، وقالوا جَنَحَ يَجْنَحُ كما قالوا : ضَمُرُ يَضْمُرُ ، وصار الأصل في العين أقلّ ؛ لأنَّ العين أقرب إلى الهمزة من الحاء ... وقالوا : فرغ يفرغ ... كما قالوا قعد يقعد ، وقالوا نَفَخَ يَنْفُخُ ... ، والأصل في هذين الحرفين أجدر أن يكون ، يعني الخاء والغين ، لأنهما أشدَّ الستة ارتفاعاً))^١ .

يفهم من كلام سيبويه أنّ الضم في (يَفْعَلُ) يتدرج في ضوء الحلق فكلمة بعدت عن أسفله تلك الحروف كثر فيها الضم وكلمة قربت قلّ وكان الفتح أكثر ، وأنَّ حركة العين أخذت من الألف لا من الواو والياء لأنهما حروف مرتفعة ، فضلاً عن هذا أنّ الحركات أبعاض الحروف فالضمة من الواو والكسرة من الياء والفتحة من الألف ، فلم يُضَمَّ الفعل سأل وقرأ في (يَفْعَلُ) لأنَّ فيهما صوت الألف مع الهمزة فحتى تبقى الهمزة على الألف فتحت .

علة عدم حذف الواو من الفعل يُوَطُّو (يَفْعَلُ)

قال أبو الفتح : سألتُ أبا علي وقت القراءة عن هذا ، فقلت : هلا حذفت الواو من (يُوَطُّو ويوضُّو) لوقوعها بين ياء وضمة كما حذفت في (يَعدُّ) لوقوعها بين ياء وكسرة على أنّ الضمة أثقل من الكسرة ؟

قال : إنّما جاء هذا تماماً ولم يحذف واوه ، لأنَّ باب (فَعَلَ) لا يأتي مضارعهُ إلا على بناءٍ واحد وهو (يَفْعَلُ) نحو (ظَرَفَ يَظْرِفُ) و (شَرَفَ يَشْرِفُ) وما كان على (فَعَلَ) فإن مضارعه يختلف نحو (ضَرَبَ يَضْرِبُ وقتل يَقْتُلُ) ، وسألَ يسألُ))^٢ .

أشار سيبويه من قبل إلى أنّ بناء فَعَلَ لا يأتي إلا على بناء واحد في المضارع وهو يَفْعَلُ خلافاً لـ فَعَلَ فإنه يأتي على ثلاثة أبنية هي يَفْعَلُ ويفْعَلُ ويفْعَلُ ، وذلك بقوله : ((كما

١ الكتاب ١٠٢/٤ .

٢ المنصف ٢٠٩/١ .

أَنَّ فَعَلَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَصَارَ هَذَا فِي فَعَلَ لِأَنَّ مَا كَانَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ قَدْ يُبْنَى عَلَى فَعَلَ وَفَعِلَ وَفَعُلَ ، وَهَذِهِ الْأَبْنِيَّةُ كُلُّ بِنَاءٍ مِنْهَا إِذَا قَلَّتْ فِيهِ فَعَلَ لَزِمَ بِنَاءً وَاحِدًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كُلِّهَا . وَتَقُولُ : صَبَحَ يَصْبُحُ ؛ لِأَنَّ يَفْعُلُ مِنْ فَعَلْتُ لِأَنَّ لَزِمَ لَهُ الضَّمُّ لَا يَصْرِفُ إِلَى غَيْرِهِ فَذَلِكَ لَمْ يَفْتَحْ هَذَا . أَلَا تَرَاهُمْ قَالُوا فِي جَمِيعِ هَذَا هَكَذَا ، قَالُوا : قُبِحَ يَقْبُحُ وَضَخِمَ يَضْخُمُ ، وَقَالُوا : مَلُؤَ يَمْلُؤُ ، وَقَمُؤُ يَقْمُؤُ ، وَضَعْفُ يَضْعَفُ ، وَقَالُوا : رَعْفُ يَرْعَفُ ، وَسَعَلَ يَسْعَلُ كَمَا قَالُوا : شَعَرَ يَشْعُرُ . وَقَالُوا : مَلُؤُ فَلَمْ يَفْتَحُوهَا ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْرُجُوا فَعَلَ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَأَرَادُوا أَنْ تَكُونَ الْأَبْنِيَّةُ الثَّلَاثَةُ فَعَلَ وَفَعِلَ وَفَعُلَ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَلَوْ فَتَحُوا لِانْتَبَسَ فَخَرَجَ فَعَلَ مِنْ هَذَا الْبَابِ))^١.

وقال السيرافي: ((كَأَنَّ سَائِلًا سَأَلَ : لِمَ لَمْ يَنْقَلِ فَعَلَ إِلَى فَعَلَ مِنْ أَجْلِ حَرَكَةِ الْحَرْفِ فَيُقَالُ مَلَأَ مَكَانَ مَلُؤَ .. الخ فَأَجَابَ عَنْهُ بِجَوَابَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَا لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لِأَخْرَجْنَا فَعَلَ مِنْ بَابِ حُرُوفِ الْحَلْقِ وَاسْقَطْنَا فِكْرَهُوَ إِخْرَاجَهُ مِنْ ذَلِكَ لِاشْتِرَاكِ هَذِهِ الْأَبْنِيَّةِ ، وَالْجَوَابُ الْآخِرُ : إِنَّا لَوْ فَتَحْنَا لَمْ نَعْلَمْ هَلْ أَصْلُهُ فَعَلَ أَوْ فَعِلَ . وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يَفْتَحَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ؛ لِأَنَّ فَعَلَ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ يَقَعُلُ أَوْ يَقَعُلُ كَمَا يُوجِبُهُ الْقِيَاسُ ، وَأَنَّ الْمَفْتُوحَ أَصْلُهُ يَقَعُلُ أَوْ يَقَعُلُ))^٢ من هذا يفهم أَنَّ (يُؤْطُو) لَا تَحْذِفُ (وَآوَه) عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا وَقَعَتْ بَيْنَ يَاءِ وَضَمِّهِ ؛ لِأَنَّ الْبِنَاءَ مَضْمُومَ الْعَيْنِ فِي الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ وَفِي بِنَاءِ وَاحِدٍ وَهُوَ فَعَلَ يَقَعُلُ فِي حِينٍ أَنَّ وَعَدَ يَعُدُّ أَي فَعَلَ يَقَعُلُ فَلَا تَكُونُ يُوْعَدُ ؛ لِأَنَّ وَآوَهَا تَسْقُطُ لَوْقَوْعِهَا بَيْنَ يَاءِ وَكُسْرَةٍ ، لِأَنَّ الْوَاوَ تَجَانِسُ الضَّمَّةَ وَالْكَسْرَةَ تَجَانِسُ الْيَاءَ صَوْتًا ، فَالْوَاوُ تَسْقُطُ بَيْنَهُمَا .

مَسْأَلَةٌ فِي (بَعَتُ أَبِيعُ) : (فَعَلْتُ أَفْعَلُ)

قال ابن جنِّي : ((سَأَلْتُ أَبَا عَلِيٍّ وَقَدْ قَرَأْتَ فَقُلْتَ لَهُ : مَا تَنْكُرُ أَنْ يَكُونَ (بَعَتُ أَبِيعُ) : فَعَلْتُ أَفْعَلُ) بِمَنْزِلَةِ حَسِبَ يَحْسِبُ ، فِي الصَّحِيحِ . فَقَالَ : جَمِيعٌ مَا جَاءَ مِنْ (فَعَلَ يَقَعُلُ) قَدْ جَاءَ فِيهِ الْأَمْرَانِ (يَقَعُلُ وَيَفْعَلُ) نَحْوِ (حَسِبَ يَحْسِبُ وَيَحْسَبُ وَيَبْسُ وَيَبْسُ وَيَبْسُ وَيَبْسُ وَنَعِمَ يَنْعَمُ وَيَنْعَمُ ، وَيَسُّ وَيَبْسُ وَيَبْسُ . قَالَ فَاقْتَصَرَهُمْ بِمُضَارِعِ (بَعَتُ عَلَى أَبِيعُ) دَلَالَةً عَلَى أَنَّ أَصْلَهُ (فَعَلَ) دُونَ (فَعِلَ))^٣.

١ الكتاب / ١٠٣/٤ - ١٠٤

٢ حاشية الكتاب طبعة بولاق / ٢٥٣/٢ وهارون / ١٠٤/٤ .

٣ المنصف / ٢٤٣/١ .

او كان (بعث) معتل العين من (باع) أي أنه من (فَعَلْتُ) لكنه حوّل إلى باب (فَعِلَ)
يفعلُ) وذلك بأنْ نُقِلَتْ حركة العين إلى الفاء كما حوِّلتُ في (قُلْتُ) فصار كما في غير
المعتل نحو حَسِبَ يحسبُ .

قال سيبويه : ((وإذا قلتَ يفعلُ من بعث قلتَ يبيعُ ، أزموه يفعلُ حين كان محوِّلاً من
فعلتُ ، ليجري مجرى ما حوّل إلى فعلتُ ، وصار يفعلُ لهذا لازماً ، إذا كان في كلامهم فَعِلَ
يفعلُ في غير المعتلِّ ، فكما وافقه في تغيير الفاء كذلك وافقه في يفعلُ))^١.

وقال أيضاً : ((وأما بعثُ فإنها معتلة من فعلتُ تفعلُ ، ولو لم يحوّلها إلى فعلتُ
لكان حال الفاء كحال قُلْتُ ، وجعلوا فعلتُ أولى بها كما أن يفعلُ من رميتُ حيث كانت حركة
العين محوِّلة من يفعلُ ويفعلُ إلى أحدهما كان الذي من الياء أولى بها))^٢.

وقال أبو علي : ((وتقولُ بعثُ وهبتُ فتنقلُ حركة العين إلى الفاء ، إلا أن هبتُ
ليس منقولاً من بناء إلى بناء ، وكذلك خفتُ وظلّتُ كما كان قلتُ وبعثُ منقولين من فعلٍ إلى
فَعِلَ وفَعِلَ))^٣. ((فباع فعلٌ ، نُقِلَ إلى فعلتُ كما نقل (قال) إلى (فَعِلَ) يدلُّ على ذلك بعثُ
وتحريك الفاء بالكسرة))^٤.

وفي ضوء هذا يتضح أن أبا علي ذهب كما ذهب سيبويه في أن (بعثُ) في يفعلُ
(يبيعُ) أن أصله (فعلتُ) فهو محوّل منه إلى فعلتُ ، فلو كان أصله فعلتُ لصار يفعلُ فيه
ويفعلُ أيضاً فيقال في مضارع يبيعُ يباع ولكن جاء مضارعه على يفعلُ فقط ، فهو من فعلتُ
وليس من فعلتُ . لأنه معتل فألزم مجيؤه على فعلٍ يفعلُ حتى يمكن أن يكون في المضارع
تجانس بين الياء والكسرة ويكون أصلاً على بناء واحد هو (فعل) .

قال ابن جني : ((يريد - يعني أبا علي - أنه لو كان (بعثُ : فعلتُ) لجاز في
مضارعه (يبيعُ ، ويباع) جميعاً كما جاء (يحسبُ ويحسبُ) فمن هنا ثبت أنه (فَعِلَ) لا
غير))^٥.

١ الكتاب ٣٤١/٤ .

٢ المصدر نفسه / ٤ / ٣٤٠ .

٣ التكملة/٥٧٧ .

٤ المصدر نفسه / ٥٧٦ .

٥ المنصف / ٢٤٣/١ .

مسألة في قَلْتَهُ أَقِيلُهُ : فَعَلْتَهُ أَفَعَلُهُ

قال ابن جنى : ((فقلت (أنا) لـ (أبي علي) : ماتنكر أن يكون : قَلْتَهُ أَقِيلُهُ من الواو ، إلا أنه جاء على فَعَلٍ يَفْعَلُ ، ونظيره من الصحيح ، وحسب يحسب ، ويكون كما قال الخليل في : طَحْتُ أَطِيحُ ، وَتَهْتُ أَتِيهُ : إنه فَعَلٌ يَفْعَلُ من الواو . فقال : ليس ذلك بالكثير . وَقَدْ حكى أيضاً : طِيحٌ وَتِيَةٌ ، فهذا مما يدلُّ أنه من الياء بمنزلة باعٍ يَبِيعُ))^١ .

ذكر سيبويه ما زعمه الخليل في طاح وتاه وجعلهما من الواو في ضوء طوحت وتوّهت ، بقوله : ((وأما طاح يطيح وتاه يتيه ، فزعم الخليل أنهما فَعَلٌ يَفْعَلُ بمنزلة حسب يحسب ، وهي من الواو ، ويدلُّك على ذلك ، طوحت وتوّهت ، وهو أطوح منه وأتوه منه ، فإنما هي فَعَلٌ يَفْعَلُ من الواو كما كانت منه فَعَلٌ يَفْعَلُ . ومن فَعَلٌ يَفْعَلُ أَعْتَلَّتَا . وَمَنْ قَالَ : طِيحْتُ وَتِيَهُتُ فَقَدْ جَاءَ بِهَا عَلَى باعٍ يَبِيعُ مستقيمة))^٢ .

وقال : ((إنما دعاهم إلى هذا الاعتلال ما ذكرت لك من كثرة هذين الحرفين ، فلو لم يفعلوا ذلك وجاء على الأصل أَدَخِلْتُ الضَّمَّةَ على الياء والواو والكسرة عليهما في فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ ، ففروا من أن يكثر هذا في كلامهم مع كثرة الياء والواو ، فكان الحذف والاسكان أخفَّ عليهم))^٣ .

وأن ما قاله أبو علي (ليس ذلك بالكثير) يعني ان الكلم الذي يأتي على هذا البناء المعتل قليل في الكلام العربي .. وهذا ما لاحظته في طاح وتاه اللذين يأتيان على بناء حسب يحسب . فضلاً عن هذا يذهب الى أن قَلْتَهُ من الياء كما طيح وتيه .

ويؤكد أبو علي أنه من الياء لمجيء مضارعه على بناء (أقيله) . ولا يكون على بناء (فَعَلٌ يَفْعَلُ) من الواو ، فالصحيح لأنه من تَقِيلُ فلانُ أباه . يفهم هذا من قوله : ((ويفسد هذا ما حكوه في مضارعه من قولهم : أَقِيلُهُ ، فهذا دليل الياء . ولا ينبغي أن يحمل على أنه فَعَلٌ يَفْعَلُ من الواو .. لكنه من قولهم : تَقِيلُ فلانُ أباه : إذا رَجَعْتُ اليه أشباه منه ، فمعنى أَقَلْتُهُ على هذا : أُنِي رَجَعْتُ له عما كنت عقدت معه ، ورجع هو أيضاً ، فقد ثبت بذلك أن عين استقال من الياء))^٤ .

١ تفسير إرجوزة أبي نواس / ٢٥

٢ الكتاب / ٤ / ٣٤٤

٣ المصدر نفسه / ٤ / ٣٤٤-٣٤٥ .

٤ المحتسب / ١ / ٨٣ .

ثم أنه صرح أنّ الفعل من ذوات الياء برده على بعض الناس الذين ذهبوا الى أن معنى (أقلته في البيع) مأخوذ من القول، فلو كان الفعل من القول لقلنا قلته أقوله، وهذا خلاف ما يكون الفعل (قلته أقيله). نحو بعته أبيعه. بقوله: (قيل: أقلته في البيع، معناه رجعت عليه ما أخذت منه، وردّ عليّ ما أخذ مني... وقد قال بعضُ الناس: إن معنى (أقلته في البيع) مأخوذ من القول، أي: قلت له: ردّ عليّ حتى أردّ عليك، وهذا خطأ، لأنّ (أبا زيد) قال: يُقال: قلتُ: وأقلتهُ جميعاً، فقولهم: قلتُ أقيله: يدل على أنّ الفعل من ذوات الياء، وأنه مثل: بعته أبيعه. ولو كان من القول، لقلتُ: قلتُ، أقوله)).^١

مسألة: وَعَوْتُ:

يعدُّ أبو علي لام الفعل (وَعَوْتُ) ياءً؛ لأنّه لا تكون فاؤه ولامه واوين، هذا ما نقله ابن جني عنه بقوله: ((رأيت أبا عليّ يذهب إلى أنها من الياء، ويعتمد في ذلك على أنه لا ينبغي أن يكون من الواو، لئلا تجعل حروف الكلمة كلها من موضع واحد)).^٢

خالف أبو علي في هذه المسألة، سيبويه والمبرد؛ لأنهما ذهبا إلى أنها البناء الوحيد الذي جاءت فيه الفاء واللام واواً.

قال سيبويه: ((واعلم أنّ الفاء لا تكون واواً واللام واواً في حرف واحد. ألا ترى أنّه ليس مثل وَعَوْتُ في الكلام))^٣.

قال المبرد: ((اعلم أنّه لا يكون فعل، ولا اسم موضع فائه واو، ولامه واو. لا يكون في الأفعال مثل وَعَوْتُ)).^٤

فالمخالفة في استثناء (وَعَوْتُ) عند سيبويه والمبرد إذ ليس لها شبيه في حين يحذف أبو علي هذا الاستثناء فيذهب إلى عدم جواز الجمع بين الواوين في (وَعَوْتُ) وغيرها.

١ تفسير ارجوزة ابي نواس / ٢٤-٢٥.

٢ المنصف / ٢ / ٢١٤

٣ الكتاب / ٤ / ٤٠١

٤ المقتضب / ١ / ١٥٠.

دَنَا ، دُنُوٌ : فَعَلَ فَعُلُ

((قال أبو الفتح : ((أخبرنا أبو علي عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس محمد بن يزيد عن الرياشي عن أبي زيد قال : تقول : دُنُوَ الرَّجُلُ يَدْنُوُ دِنَاةً ، وقد دَنَا يَدْنَانُ إذا كان دنيئاً لا خيراً فيه ، غير أن القراءة بترك الهمز : (أدنى) . وينبغي أن يكون من دَنَا يَدْنُوُ ، أي : قريب))^١ .

هذه إشارة من أبي علي إلى أن هذا الفعل يأتي على بناء فَعَلَ وَفَعُلَ وهو في الحالتين معناه فيه دِنَاةٌ أي مجنة وعتوه في الخلق . في حين أن الخليل يعده بالواو المهموزة والألف غير المهموزة ومعناه في الحالتين قريب من اللؤم . بقوله : ((دُنُوٌ يَدْنُوُ دِنَاةً فهو دِنِيٌّ ، أي حَقِيرٌ قَرِيبٌ مِنَ اللُّؤْمِ ، والدُّنُوُّ ، غير مهموز ، دَنَا فهو دَانٌ وَدِنِيٌّ ، وسميت الدنيا لأنها دَنَتْ وَتَأَخَّرَتْ الآخِرَةُ ، وكذلك السَّمَاءُ الدُّنْيَا هي القُرْبَى إِلَيْنَا))^٢ .

أما ابن السكيت فيعه بالألف غير المهموزة بمعنى القرب وهذه الألف تكون واواً في المضارع والمصدر نحو دَنَا يَدْنُو دِنَاوَةً ، ويعده بالألف المهموزة بمعنى آخر وهو اللؤم والمجن . بقوله : ((ويقال : قد دنوتُ من فلان أدنو منه دُنُوًّا ، وما كنت يا فلان دِنِيًّا ، ولقد دنوتَ غير مهموز ، تدنو دِنَاوَةً ، ويقال : ما تزدادُ منَّا إلا قُرْبًا ودِنَاوَةً . ويقال : ما كُنْتُ دَانًا ولقد دَنَاتَ تَدْنًا ، أي مَجْنَتٌ))^٣ .

وأشار ابن جني إلى قراءة زهير الفرقي في قوله تعالى ((الذي هو أدنأ))^٤ بالهمز وعدها قراءة شاذة وابن خالويه في مختصر شواذ القراءات أيضاً ، ولكن ابن جني يعد القراءة المعول عليها هي بترك الهمزة أي (أدنى) من دَنَا يَدْنُو إذا قرب^٥ .

أنَّ الفعل في ترك الهمز وبالألف يكون في معنى الدنو أي القرب ، أما إذا كان في تحقيق الهمزة وبالألف أو الواو فهو يعطي معنى الدنو من اللؤم فيشم منه رائحة القرب . وهذا ما أشار إليه الخليل (رحمه الله) ، في حين أن ابن السكيت يفرق بين معنى الفعل في

١ المحتسب / ١٨٨-٨٩

٢ العين / ٧٥/٨ .

٣ اصلاح المنطق / ١٨٧

٤ البقرة / ٦١

٥ ينظر المحتسب / ٨٩/١ . ومختصر في شواذ القراءات / ٦

حالة الهمز وغير الهمز ، لكنه يؤكد رواية البناء بفتح العين دون ضمها ، أما القراءة في (أدناً) بالهمز فهذه لا تتفق والرسم القرآني ، لأنه جاء بالالف من دون همز .

فَعَّلَ : حَتَّحَتْ

قال ابن جني ((سألت أبا علي عن ((حَتَّحَتْ)) هل يجوز أن يكون أصلها (حَتَّتْ) فقال : ذلك لا يجوز ؛ لأنَّ الحاءَ التَّانِيَةَ لا تخلو من أن تكونَ فاءً مُكرَّرةً أو بدلاً من النَّاءِ ؛ فلا يجوز أن تكونَ فاءً ؛ لأنَّ الفاءَ لم تكررْ إلا شاذَّةً))^١.

وقال : ((فأما قول من قال في قول تأبط شراً^٢ : (من البسيط)

كأَنَّمَا حَتَّحُوا حُصًّا قِوَادِمُهُ أو أُمَّ خَشَفَ بَدِي شَتَّ وَطَبَّاق

أنه أراد حَتَّحُوا ، فأبدلَ من النَّاءِ الوسطى حاءً ، فمردود عندنا ، وإنما ذهب الى هذا البغداديون ، وأبو بكر أيضاً معهم ، وسألت أبا علي عن فساده فقال العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف ، إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء والذال والظاء والنَّاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه . فأما الحاء فبعيدة من النَّاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب أحدهما إلى أختها .

قال : وإنما حَتَّحَتْ أصلٌ رباعي ، وحَتَّتْ أصلٌ ثلاثي ، وليس واحد منهما من لفظ صاحبه ، إلا أنَّ حَتَّحَتْ من مضاعف الأربعة ، وحَتَّتْ من مضاعف الثلاثة ، فلما تضارعا بالتضعيف الذي فيهما ، اشتبه على بعض الناس أمرهما ، وهذا هو حقيقة مذهبنا))^٣ .

إنَّ الفعل رباعي مجرد من الزيادة غير ملحق ، فبناؤه أصلي ، كما هو الحال في الفعل زلزل ، قال سيبويه : ((هذا باب نظير ما ذكرناه من بنات الأربعة ، فتقول : دحرجته (درجة واحدة))^٤ .

وقال : ((هذا باب مصادر بنات الأربعة ، فاللزم لها الذي لا ينكسر عليه أن يجيء على مثال فعلة ... وذلك نحو دحرجته دحرجةً ، وزلزلته زلزلةً))^٥ .

في حين أنَّ أبا بكر بن السراج والبغداديين قرروا أن أصل (حَتَّحَتْ) هو (حَتَّتْ) ، وبذلك خالفهم أبو علي ، وهو عين الصواب ، لأن ما ذهبوا إليه محال عند أهل التصريف^٦ .

^١ المنصف / ٢٠٠ / ٢

^٢ شعر تأبط شراً / ١٠٦ / ١ .

^٣ سر صناعة الاعراب / ١٨٠ / ١ - ١٨١ .

^٤ الكتاب / ٤ / ٨٧ .

^٥ المصدر نفسه / ٤ / ٨٥ .

^٦ ينظر المنصف / ٢٠٠ / ٢

فبناء (حَثَّ) ، مثل بناء زَنْزَلَةً وأنه لا تقارب مع الفعل (حَثَّ) والسبب يعود إلى أن (حَثَّ) على وزن (فَعَّلَ) وبنائه الرباعي ، في حين أن (حَثَّ) في بناء مضاعف الثلاثي ، فضلاً عن أن فاء الفعل (الحاء) لم تكرر إلا شاذة ، والتكرار يكون في لام الكلمة ، والحاء لا تبدل من الثاء لأنهما غير متقاربين ، لأن أصل الإبدال يكون في الحروف المتقاربة كالذال والظاء والطاء ، كما ذكر أبو علي (رحمه الله) ، فهذا لا يكون أصلاً من ذلك .

زُكِمَ فُعِلَ

قال ابن جني ((قولهم : أحببته وحبَّ ، وأزكمه الله وزكِمَ ، وأضأده الله وضئِدَ وأملاه الله ومئى . قال أبو علي : ((فهذا يدل على تمكُنِ المفعول عندهم ، وتقدم حاله في أنفسهم إذا أفردوه بأن صاغوا الفعل له صيغة مخالفة لصيغته وهو الفاعل))^١ .

أن البناء للمجهول أو المفعول يأتي عن طريق صورتين أحدهما : تغيير البناء المسند إلى المفعول عن صورته المسند بها إلى الفاعل والعدة واحدة نحو ضَرَبَ ، يصبح ضَرِبَ وذلك بضم الاول وكسر ما قبل الآخر في الماضي وفتح في المضارع ، فالتغيير تجاوز إلى عدة الحروف مع ضم أوله في الصورة إلى أخرى نحو قولهم أزكمه الله وزكِمَ ، وهذا نوع من التدرج في اللغة لأنهم تدرجوا عن تغير الصيغة والعدة إلى تغيير الصيغة من دون العدة ، ففي ضَرَبَ وضرب غيروا الصيغة والعدة في آن معاً ، أما في زُكِمَ فأنهم غيروا الصيغة مع نقصان العدة^٢ .

قال سيبويه : ((هذا باب ما جاء فُعِلَ منه على غير فَعَلْتُهُ وذلك نحو : جُنَّ ، وُسِّلَ ، وزُكِمَ ، ووُرِدَ . وعلى ذا قالوا : مجنونٌ ومسلولٌ ، ومزكومٌ ، ومحمومٌ ، ومورودٌ ، وإنما جاءت هذه الحروف على جَنَنْتُهُ وسَلَلْتُهُ وإن لم يستعمل في الكلام ، كما أن يدعُ على ودَعْتُ ، ويدِرُّ على ودَرْتُ وإن لم يستعمل استغنى عنهما بتركتُ ، وأستغنى عن قطع . وكذلك استغنى عن جَنَنْتُ ونحوها بأفعلتُ . فاذا قالوا جُنَّ وسَلَّ فإِنما يقولون جعل فيه الجنون والسَّلُّ كما قالوا : حَزَنَ وفَسَلَ ، ورُدَلَ . واذا قالوا : جُنَنْتَ فكأنهم قالوا : جعل فيك جنونٌ ، كما أنه إذا قال أقبرته فإِنما يقول : وهبتُ له قبراً ، وجعلتُ له قبراً . وكذلك أَحزنتُهُ وأحببتُهُ . فإذا قلت محزونٌ ومحبوبٌ جاء على غير أحببتُ . وقد قال بعضهم : حببتُ ، فجاء على غير القياس))^٣ .

^١ الخصائص / ٢١٨/٢

^٢ ينظر الخصائص / ٢١٨/٢

^٣ الكتاب / ٦٧/٤ .

الزيادة

زيادة حرف أو أكثر على أصلِ حروفِ الكلمةِ العربيةِ سواء أكان اسماً أم فعلاً نحو
أَفْعَلٌ : أَكْرَمَ ، وَاَنْفَعَلٌ مثل : اَنْكَسَرَ ، وَفَوَعَلَ ، نحو كَوَثَرَ .

وتعرف الحروف الأصلية للكلمة العربية هي (فَعَلَ) أي فاء الكلمة وعينها ولامها
هذا بالنسبة الى الكلمة الثلاثية ، أما الرباعية والخماسية فلها أبنية أخذت من بناء (فَعَلَ)
وهي معروفة لأهل الصنعة . فَضْلاً عن أَنَّ الحرف الزائد يمكن اسقاطه عن الأصل كسقوط
الواو في (كَوَثَرَ) من (الكثرة) ، والألف في (ناصر) من (النصر) ، والياء في كريم
من (الكرم) ، أو معرفة حروف المفرد في ضوء بناء جمعه نحو سقوط ألف (كتاب) من
جمعه (كُتِبَ) ، أو معرفة بعض الكلمات التي تأتي ببنائين ولكنهما في معنى واحداً نحو
(إِيْطَلُّ) من (الإِطْلُ) في حين معناهما الخاصة ، فضلاً عن حمل الجامد على المشتق في
بنائه ، فمثلاً أَنَّ النون في (حَبْنَطِي) زائدة لأن أصله (حبط) فَإِنْ وقعت في اسم جامد تلك
النون عدت زائدة أيضاً نحو نون (عَقَنْقَلُ) ، إذا علمنا زيادة الهمزة في الاسم المشتق من
الحمد والحسن نحو (أحمد ، أحسن) فتحمل هذه الزيادة في كلمة (أَرْنَبُ) الجامدة أما إذا
كانت هذه الهمزة في ضوء الاشتقاق أصلاً ، فلا تعدُّ زائدة نحو (أَوْلِقُ) من (أَلِقُ)
والأرطى من قولهم (أديم مأروط) . أما تغيير هيكل بناء الكلمة وذهاب بعض حروفها في
البناء الجديد كذهاب حروف المضارعة ، فهذا دليل على أَنَّ الحرف المضاف في مكان
الحرف المحذوف هو الحرف الزائد نحو : (مَنَعَمُ) و (مَسْكَنُ) بناء (مَفْعَلُ) وبناء
(مَفْعُولُ) نحو : (مشكور) وبناء (مَفْعَلُ) نحو (مَسْجِدُ) .^١

قال أبو علي : ((حروفُ الأسماءِ والأفعالِ على ضربين : أصلٌ وزيادةٌ . فالذي
يُعرفُ به الزيادةُ من الأصل هو أن تَشْتَقَّ من الكلمة ما يَسْقُطُ فيه بعضُ حروفها فما سَقَطَ
في الاشتقاق كان زائداً ، وما لزمها فلم يَسْقُطْ منها كان أصلاً . مثال قولنا : استخرج
الهمزة والسين والتاء زوائد ، لأنك تقول : الخرجُ ، فتشتق من الكلمة ما يَسْقُطُ فيه معهُ .
وكذلك النون في انْفَطَرَ ، والتاء في ارْتَمَى ، لأنك تقول رمَى وفَطَرَ فَتَسْقُطُ التاء والنونُ
وكذلك الهمزة في أَحْمَرَ وفي أَلْدَدُ لأنك تقول : الحمرةُ واللَّدُ فَتَشْتَقُّ من هذا البناء ما تَسْقُطُ
الهمزة والنونُ فيه)) .^٢

^١ ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه / ٩٦ - ٩٨

^٢ التكملة / ٥٤٢ - ٥٤٣

قال سيبويه : ((وكلُّ حرفٍ من حروف الزوائد . كان في حرفٍ فذهب في اشتقاقٍ في ذلك المعنى من ذلك اللفظ فاجعلها زائدة . وكذلك ما هو بمنزلة الاشتقاق فإن لم تفعل هذا لم تجعل نون سرحان وهمزة جرائض وميم سْتُهُم زائدة . فعلى هذا النحو ما تزيده بثبت . فإن لم تفعل ذلك صرت لا تزيد شيئاً منهنَّ . ومثل ذلك : شمال وشأملُ تقول شَمَلْتُ وشمالُ))^١.

من هذا يفهم أنَّ الاشتقاق من الوسائل في معرفة الزائد من الاصل في حروف الكلم العربي ؛ لأن السرحان فيه النون زائدة ؛ لأنك تقول السراح ، وجرائض فيه الهمزة زائدة لأنك تقول جرواض في مفرداها ، وكلمة سْتُهُم الميم لأنهم يريدون الاستة . وكلمة زُرُقُم يريدون الأزرق .^٢

وتعرف الزيادة في حروف الكلم العربي فتكون بتكرير احد حروف البناء الفاء او العين او اللام ، فتكرير العين يكون بغير فاصل بين الحرفين المكررين نحو (سَلَّم) (فَعَلَّ) و (قَطَعَ) : (فَعَلَّ) ، او بالفصل بين الحرفين بزائد نحو (فَعَّلَّعَلَّ) (سَجَّجَلَّ) و (افْعُوعَلَّ) : (اعشوشب) . وتكرير اللام بغير فاصل بين الحرفين نحو (فَعَلَّ) : (خَدَبَّ) و (فَعَّلَّ) مثل (جَلَّبَب) أو بفاصل نحو (فَنَعْلُولُ) : (حَنَدُقُوقُ) . وتكرير اللام والعين ايضاً نحو (فَعَّلَّعَلَّ) : (عَرَمَرَم) او تكرير الفاء والعين نحو (مَرَمَرِيس) (فَعْفَعِيل) . وتكرير الفاء نحو (فُعْفُلَّ) : (قُرُقُفَّ) و (سُنْدُس)^٣.

او زيادة حرف ليس من جنس حروف الكلم نحو زيادة الالف في اسم الفاعل نحو (ضارب) وزيادة الواو في (فوعل) نحو (كوثر) والياء في (بيطر) والميم و الواو في (مضروب) والهمزة في (أحسن) والألف في (قاتل) والألف والنون في (انفعل) نحو (انطلق) وغيرها من انواع الزيادة وهذه تتم في حروف الزيادة التي تجمعها كلمة (سألتمونيها) او كلمة (أمان وتسهيل) أو (هويت السمان) .^٤

والزيادة في الابنية الثلاثية أكثر مما في الابنية الرباعية لأنَّ الثلاثية أكثر تصرفاً لكثرتها في الكلام ، قال أبو علي: ((الزيادة بذات الثلاثة أحقُّ منها بدواتِ الاربعة لتصرف بنات الثلاثة وكثرتها في الكلام، فهذا من طرق القياس)).^٥

^١ الكتاب / ٤ / ٣٢٥ - ٣٢٦

^٢ المصدر نفسه / ٤ / ٣٢٥ .

^٣ ينظر ابنية الصرف في كتاب سيبويه / ٩٤ - ٩٥ .

^٤ ينظر المنصف / ٩٨/١ وأبنية الصرف في كتاب سيبويه / ٩٥ .

^٥ المنصف / ١٦٥/١ .

أنواعها

الزيادة في الكلم العربي تفيد ما يأتي :

زيادة لمعنى نحو الألف في عالم وزيادة للإلحاق نحو واو كوثر ألحق ببناء جعفر ،
وزيادة البناء نحو ألف حمار .

قال أبو بكر بن السراج : ((والزيادة تكون على ثلاثة أضرب : زيادة لمعنى ،
وزيادة لإلحاق بناء ببناء ، وزيادة فقط لا يراد بها شيء مما تقدم ، فأما ما زيد لمعنى ،
فألف (فاعل) إذا قلت : ضاربٌ وعالمٌ ، ونحو حروف المضارعة في الفعل ، نحو الالف في
أذهبُ ، والياء في يذهبُ ، والتاء في تذهبُ ، والنون في نذهبُ ، وأما زيادة الإلحاق فنحو :
الواو في كوثر ألحقته ببناء جعفر ، وأما زيادة البناء فنحو : ألف حمار ، وواو عجوز ،
وياء صحيفة))^١ .

الزيادة لمعنى :

للكلمة المجردة من الزيادة معنى خاص بها ، في حين عند زيادة حرف أو أكثر على
تلك الكلمة المجردة تفيد هذه الزيادة بناءً جديداً يفيد معنى جديداً نحو زيادة الألف في
(ضارب) فالزيادة تفيد الوصف في اسم الفاعل ، وزيادة الميم في كلمة (مشكور) تفيد
الوصف في اسم المفعول ، وزيادة أحرف المضارعة (أنبت) على الفعل تفيد معنى
المخاطب والمتكلم والغائب في (تفعل ونفعل وأفعل ويفعل) ، ونحو زيادة الالف والنون في
(انفعل) التي تفيد المطاوعة نحو (اتكسر) أي مطاوعته للكسر ، ونحو زيادة الألف والتاء
في (تشارك) (تفاعل) التي تفيد المشاركة ، وزيادة الالف والسين والتاء في (استغفر)
التي تفيد طلب الغفران ، والتاء والتضعيف التي تفيد التكلف نحو (تجلّدت وتصبرّت)
وغيرها من الزيادات . وأنَّ كلَّ زيادة من هذه الزيادات تدلُّ على معنى خاص بها أو معنى
عام ، فلو حذفنا هذه الزيادة لذهب ذلك المعنى الدالة عليه^٢ .

أ- أبنية الأسماء المزيدة

أرونان : أفعال

قال ابن جنى : ((ذهب ابن الاعرابي في قولهم : يوم أرونان إلى أنه من الرنة .
وذلك أنها تكون مع البلاء والشدة . وقال أبو علي - رحمه الله - : ليس هذا من غلط أهل

^١ الاصول في النحو / ٢٣١/٣ .

^٢ ينظر أبنية الصرف في كتاب سيبويه / ١٠٨ .

الصناعة ، لأنه ليس في الكلام أفعوال ، وأصحابنا يذهبون إلى أنه أفعالان من الرونة ، وهي الشدة في الأمر))^١.

ما ذهب إليه أبو علي هو مذهب أهل البصرة ، ولاسيما الخليل الذي عدَّ أروناناً من (رون) بقوله : ((رون : يومٌ أرونانٌ ، وليلةٌ أرونانةٌ ، أي : شديدٌ صعبٌ ، وأرونانيٌّ وأرونانيةٌ أيضاً . قال : (من الوافر)

فَظَلَّ لِنِسْوَةِ النُّعْمَانِ مَنَا عَلَى سَفَوَانِ يَوْمِ أَرُونَانَ))^٢

أما ابن فارس فيدل عنده على الصوت فضلاً عن شدة الحر بقوله ((رون : الرء والواو والنون يدل على شدة حرٍّ أو صوت ، يقولون : يومٌ أرونانٌ وليلةٌ أرونانةٌ ، أي شديدة الحرِّ والغم ، قال القتيبي : والأرونان : الصوت الشديد ، قال الكميت : (من الطويل)

بها حاضرٌ من غير جنِّ يروعه ولا أنسٌ ذو أرونانٍ وذو زجلٍ))^٣

وقال سيبويه : ((ويكون على (أفعالان) وهو قليل ، ولا نعلمه جاء إلا أتجان ، وهو صفة ... وأرونانٌ ، وهو وصف))^٤.

ويبدو أن أبا علي أنكر على ابن الاعرابي ذهابه إلى أن (أرونان) مشتق من (رَن) وإنما مشتق من (رون) فهو على وزن (أفعالان) لا (أفعوال) على الرغم من أن هذا ليس من غلط أهل الصناعة ، وإنما من اجتهاد ابن الاعرابي الذي رفضه الخليل وسيبويه وأبو علي وابن فارس .

الطَّلَاءُ : فُعْلَاءٌ - الطَّلَاءُ : فَعَالٌ

قال ابن جني : ((قال أبو علي : ومنه قولهم : الطَّلَاءُ فيمن جعله فعلاء كقوباء وخشاء . وأخذه أبو علي من الطلل وهو الجسد . قال : وقد يكون الطَّلَاءُ فعلاً لأن الدَّم ما يطلى به فيكون لام الطَّلَاءِ على هذا القول الثاني ياءً . وهو في القول الأول فعلاء من الطلل أي الجسد))^٥.

١ الخصائص /٣/ ٢٨٤ .

٢ العين /٨/ ٢٧٥ .

٣ معجم مقاييس اللغة / مادة : رون

٤ الكتاب /٤/ ٢٤٨ .

٥ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة /٢٨٣ .

قال الخليل : ((الطَّلَاءُ من القطران ، ممدود : ضربٌ منه ، شبه به خائرُ المنصَّف .
والطَّلَاءُ اسمٌ من أسماء الشراب . وكلُّ شيءٍ طلي به شيءٌ فهو طلاءٌ))^١ .
ويذكر أن الخليل عدَّ مادة (طلي) هي المادة اللغوية لكلمة الطلاء وقال (والطلَّى :
جماعةٌ الطلية ، وهي صفحة العنق ، وبعضُ يقول : طلوةٌ وطلَّى))^٢ .
قال سيبويه : ((ولا يكون على (فُعلاء) في الكلام إلا وآخره علامة التانيث وقد
يكون على (فُعلاء) في الكلام وهو قليل ، نحو قُوباء ، وهو اسم))^٣ .
وقال أيضاً : ((ويكون على (فَعَّال) في الاسم والصفة . فالاسم نحو : الكلاء ،
والقذاف ، والجبان ، والصفة نحو : شرَّابٌ ولبَّاسٌ وركَّابٌ))^٤ .
قال ابن فارس : ((قال الشيباني : الطَّلَا : الشخص ، يقال إنه لجميل الطَّلَا
فهذا ان صحَّ فهو عندي من الإبدال ، كأنه أراد الطَّلَل ثم أبدل إحدى اللامين حرفاً معتلاً .
وهو من باب : ((تقضى البازي)) وليس ببعيد . ومنه أيضاً الطُّيَّة والجمع الطُّلَّى :
الاعناق . وانما سميت كذا لأنها شاخصة ، محمولة على الطَّلَا الذي هو الشخص))^٥ .
يتضح من آراء اهل اللغة والنحو أنه يجوز أن يكون الطَّلَاءُ على بناء فعلاء مأخوذ
من الطلل وهو الجسد أو الطلَّاء وهو الشخص ويجوز أن يكون فَعَّالاً ، مأخوذ من الطَّلَاءُ ،
يقال طُلَّ دمه فهو مطلول إذا أُهدر والمبالغة منه طَّلَاءٌ أي أكثر هدراً لدمه . ولامه ياء ؛
لأنه اشتق من مادة (طلَّى) كما أشار الخليل وابن فارس ، وهو يشبه اشتقاق كلاء من
الكلاء . وأنَّ فعلاء يفيد في بناء الاسماء المحدودة مثل قوباء أما بناء فَعَّال فهو مبالغة
الشيء ضمن عمله في الطَّلَاءُ .

رُوءاء / رِوءاء : فُعَال ، فِعَال

قال ابن جنى : ((قال أبو علي لنا منذ أربعين سنة : يحتمل (الرواء) أمرين :
أحدهما : أن يكون فُعَالاً من رأيت لأنه مما يدركه الناظر ، غير أنَّه اجتمع على تخفيفه .
والآخر أن يكون فَعَّالاً من الري . قال : وذلك لأن للريان نضارةً وحُسناً))^٦ .

١ العين ٤٥٣/٧ .

٢ ينظر المصدر نفسه ٤٥٢/٧ .

٣ الكتاب ٢٥٧/٤ .

٤ المصدر نفسه والجزء والصفحة ٢٥٧/٤ .

٥ معجم مقاييس اللغة / مادة / طلى

٦ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٦١٨ .

قال الخليل : ((رأيتُ بعيني رؤيةً ... ومن العرب من يُليِّنُ الهمزة فيقول : رُويا ... والرِّيَّ : ما رأت العينُ من حالِ حسنةٍ من المتاعِ واللِّباسِ .. وبعضُ العربِ تقول : ريتُ بمعنى رأيتُ .. والرِّيَّ : ما أريتُ القومَ من حسنِ الشارةِ والهيئةِ ... روي : الرواء ، حسنُ المنظرِ في البهاءِ والجمالِ ، ويقال : امرأةٌ لها رُواءٌ وشارةٌ حسنةٌ))^١ .

وقال سيبويه : ((ومثل ذلك قولهم رؤيةً ورُويا .. ، ولم يقبلوها ياءً حيث تركوا الهمزة ؛ لأنَّ الأصلَ ليس بالواو ... وقال بعضهم : رِيًّا ورِيَّةً ، فجعلها بمنزلةِ الواو التي ليست ببدلٍ من شيءٍ .))^٢ وقال أيضاً : ((قولهم : رِيًّا ورِيَّةً ، حيث قبلوا الواو المبدلة من الهمزة فجعلوها كواو شويت))^٣ .

يبدو أنَّ بناءَ رُواءِ فُعالٍ يمكن أن يشتق من رُويا ، أي : من الفعل رأيت ولكن يخفف ، ويمكن أن يشتق من الرِّيِّ ، الذي هو رؤية القوم حُسنِ البشارة والهيئة ، لأنَّ الرواء هو حسن المنظر والجمال ، هذا ما ذهب إليه الخليل بن احمد الفراهيدي (رحمه الله) ، فضلاً عن ذلك تُعدُّ همزتها مخففة في ضوء نطق بعض العرب ، وهذا ما ذهب إليه سيبويه في تخفيف رؤية ورويا ، وأنَّ هذه الواو هي مبدلة من الياء ، فكأنها اشتقت من الرِّيِّ ، والريان والذي هو النضارة أيضاً ، فالعرب اختلفوا في تحقيق همزته وتخفيفها أو أنَّه مهموز أو غير مهموز والعلماء اتفقوا على اشتقاقه من رأى وروى وأنَّ واوه مبدلة .

قال ابن جني : ((فقوله ، يعني أبا علي اجتمع على تخفيفه ، يدلك على أنه غير مهموز العين ، ومنهم من يهمزه .))^٤ وما ذُكر من اشتقاقه قد حققه الخليل (رحمه الله) وأنَّ بناءه على فُعالٍ من الرُويا ، وعلى فُعالٍ من الرِّيِّ ، فأعرفه . في ضوء ما ذكر .

مُرُوءة : فُعوَلة

قال ابن جني : ((قال أبو علي : في المرُوءة قولان : يجوز أن تكون فُعوَلة ، من قولهم أمرأني الطعام . قال : وذلك أنَّ صاحبها يهضمُ نفسه وينال منها في حقوق الناس . والآخر : أن تكون فُعوَلة من المرءِ أي الانسان ، فهو حينئذ كقولهم : فيه انسانية وكلاهما حسن جميل))^٥ .

^١ العين ٣٠٧/٨ - ٣١١ .

^٢ الكتاب ٣٦٨/٤ .

^٣ المصدر نفسه والجرء / ٤٠٤ .

^٤ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٦١٨ .

^٥ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٧٣٨ .

قال الخليل : المروءة : ((كمال الرجولة ، وقد مرؤ الرجل ، وتمراً إذا تكلف المروءة وهو مري بين المروءة . ومرؤ الطعام ، وهو مريء بين المراءة . ويقال : ما كان الطعام مريئاً ، وقد مرؤ مراءةً ، واستمراً ، وهذا الشيء يُمرئني الطعام))^١ .
قال ابن السكيت : ((وقد هنأني الطعام ومرأني ، فإذا أفردوها قالوا : أمرأني الطعام))^٢ . وقال أيضاً : ((هذا رجل مريء ، إذا كان ذا مروءة . وتقول فلانٌ يتمراً بنا ، أي : يطلب المروءة بنقصنا وعيينا))^٣ .
قال الفراء : ((مرؤ الرجل مروءة ومرؤ الطعام مراءةً ، وليس بينهما فرق إلا اختلاف المصدرين))^٤ .

يبدو من هذين الاشتقاقين أن بناء مروءة فعولة إذا كان من مرؤ الرجل وتمراً إذا تكلف المروءة أما إذا كان من (مرؤ) الطعام وهو مريء بين المراءة فهي على وزن فعالة .

حواء ، حية : فعّال : فعلة (العين: من حواء وحية)

قال ابن جنبي : ((فإن قلت : فهلا كانت (الحية) مما عينه واو استدلالاً بقولهم ((رجل حواء)) لظهور الواو عيناً في (حواء)؟ الجواب : أن أبا علي ذهب إلى أن (حية) و (حواء) كـ (سبط) و (سبطر) و (لؤلؤ) و (لآل) و (دمثر) و (دلاص) و (دلامص) في قول أبي عثمان وأن هذه ألفاظ اقتربت أصولها واتفقت معانيها ، وكل واحد لفظه غير لفظ صاحبه ، فكذلك (حية) مما عينه ولامه ياءان ، و (حواء) مما عينه واو ولامه ياء ، كما أن (لؤلؤا) رباعي و (لآل) ثلاثي ، ولفظاهما مقتربان ، ومعناهما متفقان))^٥ .

في هذه المسألة قضيتان ، الأولى تتعلق في عين ولام (حواء) و (حية) والثانية علاقة التشابه بين هذه وبعض الكلمات التي فيها حروف زائدة نحو (دلاص) و (دلامص) و (سبط) و (سبطر) و (دمت) و (دمثر) ، والرباعي والثلاثي نحو (لؤلؤ) و (لآل) في اقتراب الالفاظ واتفق المعاني .

١ العين ٢٩٩/٨

٢ اصلاح المنطق / ١٤٩-١٥١

٣ المصدر نفسه/ ١٥١ .

٤ تاج العروس / مادة / مرأ

٥ سر صناعة الاعراب / ٢/ ٧٣٠ .

قال الخليل : ((الحية اشتقاقها من الحياة ، ويقال : هي في أصل البناء : حيوة . ولكنّ الياء والواو اذا التقتا وسكنت الأولى منهما جعلتا ياءً شديدة ومن قال لصاحب الحيات : حاي فهو (فاعل) من هذا البناء . صارت الواو كسرة كواو الغازي .. ومن قال : حواء على فعال فإنه يقول : اشتقاق الحية من حويت ، لأنها تتحوى في التوائها وكذلك تقول العرب))^١.

إنّ لفظ (حواء) غير مأخوذ من لفظ (حية) بل إنه من (حويت) هذا ما صرح به أبو علي مضيفاً لقول الخليل بقوله : ((فأما قوله : الحواء ، فالذي نقول فيه : إنه غير مأخوذ من الحية ، ولكنه من (حويت) فجمع الحواء لها في حويتها وغيرها ، فكما أنّ (لآل) في بائع اللؤلؤ ليس من لفظ (لؤلؤ) كذلك الحواء ليس من الحية ، ولكن من (حويت) الذي هو بمعنى جمعت ، ويدلُّ أيضاً على أنّ العين ياء قولهم : حيوة ، فظهرت العين ياء))^٢.

يفهم من قول الخليل - رحمه الله - أن (حية) من (حويت) ، لأنها تتحوى فتتلوى . ومن قول أبي علي يفهم أنّ (حواء) من (حويت) أيضاً ، ولكن بمعنى الجمع فأصلهما واحد هو (حويت) ، أما اللفظ فالأول غير الثاني ، لأنّ العين واللام في (حية) ياءان ، وهي في الأصل (حيوة) كما يقول الخليل ، فقلبت الواو ياءً لسكونها والتقاءها الياء ، وأدغمت الياء بالياء ، في حين أنّ العين في (حواء) واو واللام ياء ؛ لأنها في الأصل من الفعل (حوي) (حويت) ، ولكثرة الاستعمال فقد جعلت عينها واواً ولامها ياءً على الرغم من أنّ تكون مما عينه ولامه واوان كما في (حية) ، والعين واللام ياءان^٣ .
أما الاتفاق في الأصل والمعنى والاقتراب باللفظ فقد نجده في (لآل) الثلاثي و (لؤلؤ) الرباعي ، وأن لفظ الاول ليس من الثاني كما ذكر أبو علي ، تشبيهاً لهذا بما في (حواء) و (حية) ، و (دلامص) الميم زائدة عن (الدلاص) والمعنى واحد هو اللين البراق^٤ . فاللفظان متقاربان ومعناهما متفقان .

لام طغوى : فعوى

قال ابن جنّي : ((وألقى علينا أبو علي بحلب سنة ست وأربعين الكلام في طغيان ، واعتزم في اللام الياء ، فقال له فتى كان هناك من أهل منبج : فقد قالوا الطغوى : فقال

١ العين ٣/٣١٧ .

٢ البغداديات ٢٣٢٢ .

٣ ينظر سر صناعة الاعراب ٢/٧٣١ .

٤ ينظر النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢/١١٥٩ والصاح /مادة / دلص .

أبو علي خذ الآن إليك هذا تصريفي ، ينكر عليه احتجابه بذلك ، أي : ألا تعلم أن طغوى اسم ، وأن فعلى إذا كانت اسماً وكانت لامها ياءً فإنها تقلب إلى الواو نحو : التقوى البقوى والفتوى والرعى والتوى والعوى . وبعد ، فإن كانت طغوى من طغوت فواوها أصلية كواو العدوى والدعوى ، وإن كانت من طغيت فإنها بدل من الواو كالفتوى وبابها ^١ .
قال الخليل ((الطغيان : الواو لغةً فيه ، وقد طغوت وطغيت . والاسم الطغوى)) ^٢
أي يجوز ان يقال الطغيان والطغوان ؛ لأنَّ الفعل منه طغوت وطغيت .
يبدو أنَّ أبا علي لما ذهب إلى أنَّ لام طغيان هي الياء فإنه قد جعل فعلها طغيتُ ، أمَّا الطغوى فهي الاسم . مثل (التقوى) التي أبدلت واوها من الياء لأنَّ فعلها تقيتُ ، وحَدَّث هذا الإبدال للتفريق بين الاسم والصفة ، فضلاً عن أنَّ كلَّ اسم على فعلى يتبدل ياءه واواً أي تقلب لاهه إلى الواو ، فالأصل في الياء الاسم والأصل في الواو الصفة ، فتبين في ضوء هذا أنَّ الطغوى اسم والصفة منه طغياً ، قال الطوسي : ((ولو قيل : كيف يُبنى (فعلى) من قصيت ؟ قلت : قصوى في الاسم وقصيًّا في الصفة)) ^٣ .

فِيَاد : فَعَال

قال ابن جني : ((وأما الفياد لذكر البوم ، فحملة أبو علي أنه فعَّال من الأسماء ، وذلك أنه من فاد يفيد إذا تبختر)) ^٤ .
هذا البناء من صيغ المبالغة ، يأتي من فَعَلَ يَفْعُلُ فَعَلًا ، فعَّال فاد يفيد ، فيداً ، وأصله (فيعال) فزوعفت عينه (الياء) ثم ادغمت الياء بالياء ، فصارت (فيياد) فأصلها : فيياد فيعال فأدغمت الياء بالياء فصارت فيياد لأنَّه : (فاد يفيد) ولحقته الزوائد على (فَعَلَ) وهي الالف والياء .
قال ابن السكيت : ((يقال : فاد يفيدُ فيداً ، إذا تبختر)) ^٥ وقال ابن فارس : ((الفَيْد : التبختر في المشي . يقال : رجلٌ فيياد . . . والفِيَاد : ذكر البوم)) ^٦ .
قال سيبويه : ((هذا باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل يكون على (فعَّال) في الاسم والصفة نحو : شرَّاب ، ولبَّاس ، وركَّاب)) ^٧ .

١ المحتسب ١٣٣/١ .

٢ العين ٤٣٥/٤ .

٣ التبيان في تفسير القرآن ٢٩٩/٥ .

٤ المحتسب ١٥١/١ .

٥ اصلاح المنطق ٢٦٥ .

٦ معجم مقاييس اللغة / مادة / فيد

٧ الكتاب ٢٥٧/٤

ضهياً : فعيلٌ

ضهياً : فعلاً لا فعلاً

قال أبو علي : ((فالهمزة زائدة دون الياء لقولهم ضهياً في معناها ، وضحياً فعلاً مثل حمراء))^١.

تزداد الهمزة في أول الكلمة أما في غير الأول فلا تزداد إلا بشرط ودليل . قال سيبويه : ((الهمزة لا تزداد غير أولى إلا بثبت . فمما ثبت أنها زائدة قولهم : ضهياً ، لأنك تقول ضهياً كما تقول عمياً))^٢.

الهمزة زائدة لأنها اشتقت من (ضاهيت) أي شابهت ، لأن معنى (ضهياً) أو (ضهياً) المرأة التي لا تحيض أو التي لا ثدي لها ، فكأنها شابهت الرجال ، وكما في قوله تعالى : ((يَضَاهِنُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ))^٣ الهمزة زائدة ، وقيل : إن الهمزة أصلية غير زائدة ، لأنها مشتقة من ضاهات ، أي ، شابهت ، وهو الأولى ، لأن أصل الهمزة غير أول أكثر من زيادتها . وبذلك يكون : ضهياً الممدود من ضاهيت ، وضحياً المقصور من ضاهات ، وكلاهما بمعنى شابهت^٤ .

قال الخليل : ((الضهياً من النساء : التي لم تحض قط . وقد ضهيت تضحى ضهياً والمضاهاة : مُشَاكَلَةُ الشَّيْءِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ((يَضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا)) وربما همزوا : ((يَضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا)) أي : يقولون مثل قولهم وفي الحديث : ((أشدُّ النَّاسِ عَذَابًا الَّذِينَ يَضَاهُونَ خَلْقَ اللَّهِ))^٥.

وزعم الزجاج أنه يجوز أن تكون همزة (ضهياً) أيضاً أصلية ويأوه زائدة ويكون مشتقاً من (ضاهات) أي : شابهت وقوله هذا يعدها على بناء (فعيل) فالهمزة أصلية والياء زائدة^٦ ، وبذلك خالفه أبو علي في جعل الهمزة زائدة واتفق وما ذهب إليه سيبويه في زيادتها ، وما ذكره الخليل من جذر للكلمة ، وحروفها الأصلية الضاد والهاء والياء ، في (ضهياً تضحى) ، وبذلك تحقق الهمزة في ضهياً وضحياً .

١ المنصف ١١٠/١

٢ الكتاب ٣٢٥/٤

٣ التوبة ٣٠

٤ ينظر الممتع في التصريف ٢٢٨/١

٥ العين ٧٠/٤ وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠٦/٣

٦ ينظر معاني القرآن وعرابه للزجاج ٣٥٨/٢ والممتع في التصريف ٢٢٨/١ وأبنية الصرف في كتاب سيبويه ١٥٣

أصل الهمزة في الأءة ، أشاءة ، أباءة : فعالة

قال ابن جنى : ((أخبرني أبو علي أن محمد بن حبيب حكى في : اسم علم مخصوص (أتأة) . وذهب سيبويه في قولهم : (الأءة) و (أشاءة) إلى أنهما (فعالة) مما لامه همزة . فأما (أباءة) فذهب أبو بكر محمد بن السري فيما حدثني به أبو علي عنه^١ إلى أنها من ذوات الياء من (أبيت) فأصلها عنده (أباية) ثم عُمِلَ فيها ما عُمِلَ في عباية وصلاية وعظاية حتى صرِنَ عباءة ، وصلائة ، وعظاءة ، في قول من همز ، ومن لم يهمز أخرجهن عن اصولهن^٢ ، وهو القياس القوي))^٢.

إنَّ همزة (الأءة) و (أشاءة) أصلية غير مبدلة من ياء كما هو الحال في (عباءة) عباية و (صلائة) صلاية وحتى (أباءة) أباية كما ذهب أبو بكر بن السراج ، هذا ما صرح به سيبويه وهو قول العرب ، فقال : ((وأما الأءة وأشاءة فأليئة وأشبيئة ؛ لأنَّ هذه الهمزة ليست مبدلة . ولو كانت كذلك لكان الحرف خليقاً أن تكون فيه (أليئة) كما كانت في عباءة عباية ، وصلائة صلاية ، وسحائة سحاية ، فليس له شاهدٌ من الياء والواو فإذا لم يكن كذلك فهو عندهم مهموز ولا تُخرجها إلا بأمر واضح ، وكذلك قول العرب ويونس))^٣.

يبدو أنَّ (أباءة) همزتها منقلبة عن الياء كما هو الحال في (عباءة ، وصلائة) لأنَّ أصلها (عباية ، وصلاية) أما (الأءة وأشاءة) فهمزتها أصلية كما صرح بذلك سيبويه ، وما ذهب إليه أبو بكر من أن (أباءة) هي (أباية) ومن الفعل (أبيت) هو عين الصواب ، لأن معنى الإباء والترك موجود في الفعل (أبيت) .

قال ابن جنى : ((وإنما حمل ابا بكر على هذا الاعتقاد في (أباءة) أنها من الياء وأنَّ أصلها (أباية) المعنى الذي وجدته في (أباءة) من (أبيت) وذلك أنَّ الإباءة هي الأجمة وقيل : القصبية ، والجمع بينها وبين أبيت : أنَّ الأجمة متنعة بما يُنبِت فيها من القصب وغيره من السلوك والتصرف ، وخالفت بذلك حكم البراح والبراز النقي من الارض ، فكأنها أبت وامتنعت عن سالكها ، فمن هنا حملها عندي علي معنى أبيت))^٤.

١ ينظر الأصول في النحو/٣/٢٩٩

٢ سر صناعة الاعراب /١/٧٠ .

٣ الكتاب /٣/٤٥٩ .

٤ سر صناعة الاعراب /١/٧٠ .

أولق : فوعل لا افعل

((قال أبو علي : سأل مروان بن سعيد المهلب الكسائي في حلقه يونس عن أولق ؟ فقال الكسائي : أفعَل ؛ فقال له مروان : استحبيبت لك يا شيخ))^١.

يبدو أن مروان بن سعيد يذهب إلى أن البناء على وزن فوعل والزيادة فيه السواو كما ذهب إلى ذلك سيبويه بقوله : ((وإن أولقاً إنما الزيادة فيه الواو ؛ يدلُّك على ذلك قد ألقَ الرجلُ فهو مألوقٌ . ولو لم يتبين أمرُ أولقٍ لكان عندنا أفعَل ؛ لأنَّ أفعَل من هذا الضرب أكثرُ من فوعَل))^٢.

وأكد سيبويه في مكان آخر أن البناء (فوعَل) بقوله : ((وأما أولقُ فالألف من نفس الحرف ، يدلُّك على ذلك قولهم : ألقَ الرجلُ ، وإنما أولقُ فوعَل ، ولولا هذا الثبَتُ لحملَ على الأكثر))^٣.

أما الفراء فعنده يحتمل هذا البناء ضربين الولق والألق بقوله : ((الولقُ في السير والولقُ في الكذب بمنزلته إذا استمر في السير والكذب فقد ولق . وقال الشاعر : (من الرجز)

إنَّ الجليدَ زلقٌ وزملقٌ جاءت به عَسٌّ من الشام تَلِقُ

مجوعَ البطنِ كلابي الخلقُ

ويقال في الولق من الكذب : هو الألقُ والإلقُ ؛ وفعلت منه : ألفتُ وأنتم تألقونهُ . وأنشدني بعضهم : (من الرجز)

من لي بالمزررِ اليلامق صاحب إدهانٍ وألقِ آلقِ))^٤.

في حين أن أبا إسحق الزجاج كان يذهب إلى أن ألقَ (أفعَل) أي : من ولقَ يلقُ .^٥ يبدو أن ما نقله أبو علي في هذه المسألة يكشف عن ضربين من التصريف في هذا البناء فالأول بناء (فوعَل) من الفعل (ألقَ) ، فالواو زائدة فيه ، والثاني بناء (أفعَل) من الفعل (ولقَ) فالهمزة زائدة فيه .

قال أبو علي : ((أما أولقُ فيحتمل ضربين من الوزن ، أحدهما : أن يكون فوعلاً من (ألقَ) فالهمزة فاءً ، ولو سميت به رجلاً على هذا الوصف لا تصرف . ويجوز أن يكون

^١ المنصف ١/١١٦ .

^٢ الكتاب ٣/١٩٥ .

^٣ المصدر نفسه ٤/٣٠٨ .

^٤ معاني القرآن للفراء ٢/٢٤٨ .

^٥ ينظر معاني القرآن وعرابه ٤/٣١ .

(أَفْعَل) من وَلَقَ يَلِقُ ، اذا أسرع ومنه قوله تعالى : ((إِذْ تَلَقُونَهُ بِالْأَسْنَتِكُمْ))^١... فهو على هذا أَفْعَلُ ، الهمزة زائدة ، والواو فاء ، فإن سَمِيَ به رجلٌ على هذا لم يُصْرَفْ))^٢.
أما جمهور النحاة فيذهب إلى أن البناء على وزن (فَوَعَل) وهو من الفعل أَلِقَ وأوَلِقَ البرقُ إذا أَخْفَقَ ، وابن جني يעדّه على بناء (فَوَعَل) من أَوَلِقَ فأصله وَوَلِقَ ، وقلبت الواو الاولى همزة فصار (أَوَلِقَ) . فقال : ((يمكن أن يكون الاولق فَوَعلاً من هذا اللفظ ، وأن يكون أيضاً أفعل منه . فإذا كان أفعل فأمره ظاهر ، وإن سميت به لم تُصْرَفْ معرفة ، وإن كان فَوَعلاً فأصله وَوَلِقَ ، فلما التقت الواوان في أول الكلمة أبدلت الأولى همزة لأستتقالهما أولاً ... ولو سميت بأوَلِقَ على هذا لَصْرَفْتَهُ ، والذي حملته الجماعة عليه أنه فَوَعَل من تألق البرق ، اذا خفق وذلك لأن الخفوق مما يصحبه الانزعاج والاضطراب .. والوجه فيه ما عليه الكافة : من كونه فوعلاً من (أَلِقَ) وهو قولهم ((أَلِقَ الرجلُ فهو مَأْلُوقٌ))^٣.

قرواش درواس : فعوال

قال ابن جني : ((فأما قرواش فمرتجل وليس بمنقول وهو من لفظ القرش ومثله في الوزن جلواح وقرواح ودرواس ، وأنشدنا أبو علي : قال أنشدنا أبو زيد : (من البسيط)
بِتْنَا وَبَاتَ سَقِيطُ الطَّلِّ يَضْرِبُنَا عِنْدَ النَّدْوْلِ قِرَانًا نَبِحِ درواسِ
إِذَا مَلَ بَطْنَهُ أَلْبَانُهَا حَلْبًا بَاتَتْ تُغْنِيهِ وَضَرَى ذَاتُ أَجْرَاسِ
الندول : اسم رجل ، ودرواس كلب كان له))^٤.
أشار إلى هذا البناء سيبويه في باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات بقوله : ((ويكون على (فعوال) في الصفة نحو : جِلْوَاخٍ ، وَقِرْوَاخٍ وَدِرْوَاسٍ . ويكون اسما نحو : عِصْوَادٍ ، وَقِرْوَاشٍ))^٥.

الظاهر أن قرواش اسم ودرواس صفة - على الرغم من أنهما سمى بهما اسم كلب - على وزن (فعوال) وهو وزن ليس مشهور في كلامهم وإنما من باب النادر الذي ربما استعملته العرب فيما بنته من الأسماء والصفات والأفعال.

١ النور / ١٥

٢ التكملة / ٥٤٥-٥٤٦

٣ الخصائص / ٩/١

٤ المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة / ٨٢

٥ الكتاب / ٤/ ٢٦٠

رَهِيَاً : فَعِيلٌ

قال ابن جنبي : ((وسألت ابا علي عن مثال : رَهِيَاً ؟ فقال : (فَعِيلٌ) لأنَّ الهمزة ليست بزائدة ، وموضع الياء هو موضع زيادة الياء والواو ، في حذيمٍ وجدولٍ))^١ .
يبدو أنَّ هذا البناء ليس في أبنية الأسماء والأفعال وإنما حملة أبو علي على (فَعِيلٌ) ،
لأنَّه رأى الياء فيه مثل موضع الواو من جهور وسرول ، فضلاً عن أنَّ أبا علي أشار إلى
زيادة الياء فيه هروباً من زيادة الهمزة غير أول .^٢

هَنَا : فَعَلٌ

قال ابن جنبي : ((قولهم : (هَنَا) في معنى ها هُنا ، وذهب أبو علي إلى أنَّ مثالها
فَعَلَى ، وقال لي قديماً أنَّ (هَنَا) ليس من لفظ هنا ، قال : لأنه يكون (فَعَلٌ) ، وهذا للفعل
خاصة . فقلت له ، فهلاً جعلته من لفظه وجعلته (فعلا) ، فقال : هذا مثال يختص
بالصفة نحو عنسل وعنيس))^٣ .

وقال أيضاً : ((قال أبو علي لي يوماً : (هَنَا) ليس من لفظ (هُنا) . قال : لئلا
تجعله (فَعَلٌ) وذلك مفقود في الاسماء . قال : وهو فَعَلٌ من (ه ن ن) . وأصله هَنَنْ ،
فكثرت النونات ، فابدلت الثالثة ، كتظنَّيت وتسريَّيت ، قلت له : فلم لا يكون من لفظه على
أن تجعله فعلا ؟ فقال لي : إن هذا مثال يختص بالصفات نحو عنبس وعنسل) .^٤
إنَّ (هَنَا) ظرفٌ يفيد البعد في المكان أمَّا هُنا يفيد للقرب .

قال الخليل : ((هُنا وهُنَاك : للمكان . وهُنَاك أبعد من هُنا . وهُهْنَا : تقريب وهُنَا : تبعيد في
معنى (ثمَّ) قال : ° (من الخفيف)
لَاتَ هُنَا نَكْرَى جُبَيْرَةَ أَوْ مَن
جاء منها بطائف الاحوال))^٥

^١ المنصف ١٠٧/١

^٢ ينظر المصدر نفسه ١٠٧/١ .

^٣ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ٥٣٨

^٤ المصدر نفسه ٧٤٩ .

^٥ ديوان الاعشى ٣٥

^٦ العين ، ٩٣/٤ - ٩٤ .

أبنية الأفعال المزيدة

أَخْفَى : **أَفْعَلَ** : قال تعالى ((أخفيها))^١ و (أخفيها) بالفتح قراءة سعيد بن جبير^٢ .
قال أبو علي : ((الغرضُ فيه أزيل عنها خفاءها ، وهي ما تُلَفُّ فيه القربة ونحوها : من كساء ، وما يجري مجراه ، قال : وعليه قول الشاعر : (من الطويل)

لَقَدْ عَلِمَ الأَيْقَاطُ أَخْفِيَةَ الكَرَى
تَرَجَّجَهَا من حالكِ واكتحالها

قال : أراد الأيقاظ عيوننا ، فجعل العين كالخفاء للنوم ، لأنها تستره ، قال : من الفاظ السلب : فأخفيته : سلبتُ عنه خفاءه ، وإذا زال عنه ساتره ظهر لا محالة ، ومثله من السلب : أشكيتُ الرجل : إذا أزلتَ عنه ما يشكوه))^٣ .

من معاني هذا البناء (أفعل) هو السلب أي أن معنى أخفيته أخرجتُ عنه الخفاء أي أظهرته ، وأن هذا الفعل من باب الاضداد اللغوية ، فأخفى يأتي بمعنى الستر ومعنى الاظهار ، قال الأصمعي : ((أخفيتُ الشيء كتمته وأخفيته أظهرته وفي القرآن : ((إنَّ الساعةَ آتيةٌ أكادُ أخفيها)) أي أظهرها))^٤ .

وقال ابن جنى : ((أكادُ أظهرها . وتلخيص حال هذه اللفظة : أي أكادُ أزيلُ عنها خفاءها ، وخفاء كل شيء : غطاؤه))^٥ .
من هذا يفهم أن (أخفى) يدلُّ على الستر وإزالته ، وبهذا يؤدي معنى اللفظة الى سلب الإخفاء والدلالة على الإظهار .

أَخْطَأَ ، خَطَأَ : أَفْعَلَ ، فَعَلَ

قال ابن جنى : ((قرأتُ على أبي علي في (كتاب الهمز) عن أبي زيد خطيبتُ من الخطيئة أخطأ خطأً والاسم الخطأ ، وأخطأتُ أخطأً والاسم الخطأ غير ممدود ، يقال أخطأ في الحساب وخطئ في الدين))^٦ .

قال الخليل : ((خطئَ الرجلُ خطئاً فهو خاطئٌ . والخطيئة أرضٌ يُخطئُها المَطْرُ ويُصيبُ غيرها . وأخطأ إذا لم يصب الصواب))^٧ .

١ طه / ١٥ ((إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى))

٢ المحتسب / ٤٧/٢ .

٣ المصدر نفسه والجزء الصفحة

٤ ثلاثة كتب في الاضداد / ٢١ وينظر الاضداد لأبي بكر محمد بن قاسم الانباري / ٩٥ .

٥ سر صناعة الاعراب / ٣٨/١ .

٦ الفسر / ١ / ١٩٧ وينظر كتاب الهمز / ١٩ خطبت لا خطبت

٧ العين / ٢٩٢/٤

قال الفراء : (خَطِيءُ السَّهْمِ وَخَطَأٌ)^١.

قال ابن السكيت : ((ويقال : لَأَنْ تُخَطِيءَ فِي الْعِلْمِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ تُخَطَأَ فِي الدِّينِ . يقال قد خَطَبْتُ . إذا أَثْمَتَ فَأَنَا أَخْطَأُ خَطْنًا ، وأنا خَاطِيءٌ ، قال الله عز وجل : ((إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خَطِيئًا كَبِيرًا)) ... وقال أبو عبيدة : يقال أَخْطَأَ وَخَطِيءٌ ، لُغْتَانِ))^٢.

يبدو أَنَّ هَذَيْنِ الْبِنَائَيْنِ وَارِدَانِ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْمَصْدَرُ يَأْتِي عَلَى الْخَطَأِ إِذَا كَانَ الْفِعْلُ خَطِيءً ، مَكْسُورِ الْعَيْنِ ، أَمَّا إِذَا كَانَ مَفْتُوحِ الْعَيْنِ أَخْطَأَ وَخَطَأً فَالْمَصْدَرُ الْخَطَأُ وَالْخِطْءُ ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ يَأْتِي عَلَى أَخْطَأَ وَخَطِيءٌ وَهِيَ لُغْتَانِ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالفَرَّاءُ ، وَمَا قَرَأَهُ ابْنُ جَنِيٍّ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ فِي أَنَّهُ يُقَالُ أَخْطَأَ فِي الْحِسَابِ وَخَطِيءٌ فِي الدِّينِ ، هَذَا صَحِيحٌ يُؤَيِّدُهُ التَّنْزِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ((إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خَطِيئًا كَبِيرًا))^٣ لِأَنَّهُ مِنْ خَطِيءٍ يَخْطَأُ فِي الدِّينِ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ السَّكَيْتِ ، فَهُوَ خَاطِيءٌ ، أَمَّا مِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ مُخْطِئٌ فِي الْعِلْمِ وَالْحِسَابِ .

أَيْدٍ : فَعَلَّ

قال ابن جني ((قال أبو علي : إِنَّمَا كَثُرَ فِيهِ أَيْدَتَكَ فَعَلَّتْكَ ، لَمَّا يَعْضُ فِي أَيْدَتِكَ مِنْ تَصْحِيحِ الْعَيْنِ مَخَافَةَ تَوَالِي أَعْلَالَيْنِ فِي أَيْدَتِكَ ، وَأَنْشَدْنَا قَوْلَهُ : (مَنْ السَّرِيعِ)

يُنْبِي تَجَالِيدِي وَأَقْتَادَهَا تَاوِ كَرَأْسِ الْفَدَنِ الْمُؤَيِّدِ))^٤.

أشار الخليل إلى هذا البناء على فعل بقوله : ((الأيْدُ : الْقُوَّةُ ، وَبَلْغَةُ تَمِيمِ الْآدِ .. وَالتَّأْيِيدُ : مَصْدَرُ أَيْدَتِهِ أَيْ قُوَّتِهِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ))^٥ أَيْ بِقُوَّةٍ))^٦ .

وقال ابن السكيت : إِنَّ الْبِنَاءَ عَلَى فَعَلَّ بِقَوْلِهِ : ((الْأَيْدُ وَالْآدُ لِلْقُوَّةِ))^٧

وصرح ابن فارس أَنَّ الْبِنَاءَ عَلَى فَعَلَّ بِقَوْلِهِ : ((وَيُقَالُ أَيْدَهُ اللَّهُ أَيْ قَوَاهُ اللَّهُ))^٨

^١ اصلاح المنطق / ٢١٣

^٢ المصدر نفسه / ٢٩٣ وينظر مجاز القرآن / ٣٧٦/١

^٣ الاسراء / ٣١

^٤ المحتسب / ٩٥/١

^٥ الذاريات / ٤٧

^٦ العين / ٩٧/٨

^٧ اصلاح المنطق / ٩٤

^٨ معجم مقاييس اللغة / مادة / أيد

قال ابن جنى في ضوء بيت الشعر الوارد آنفاً بقوله : ((فهذا (مُفْعَلٌ) من الأيد وهو القوة ولم يقل المواد .. وقالوا : (أَيْدُتُهُ) في (أَفْعَلْتُهُ) من الأيد و (أَيْدَتُهُ) فَعَلْتُهُ . و (أَيْدُتُهُ) قليلةٌ مكروهة ، لأنك إن صححت فهو ثقيلٌ ، وإن أعلت جمعت بين إعلالين .))^١ ثم قال : ((ولو كان آيدتك كما ظن ابن مجاهد فاعلتك - لكان اسم المفعول منه مؤايد كمقاتل ومضارب))^٢.

حكم بناء انفعال وافتعل : انحطم واشتال

((قال أبو علي : حكم أَفْعَلٌ ، وانفَعَلٌ أَلَّا يُبْنَى إِلَّا مِمَّا كَانَ فَعَلٌ مِنْهُ مُتَعَدِّياً ، هذا في الأمر العام .))^٣

قال ابن جنى : ((يريد أن اقتطع من قَطَعَ وكذلك (حَوَيْتُ وَاِحْتَوَيْتُ) وقد جاء في الشعر ، قال الراجز : (من الراجز)

حتى إذا اشتال سهيلٌ في السحر

كشعلة القابس ترمي بالشرر

فهذا من شال يشول ، وهو غير مُتَعَدِّ بِدَلَالَةِ قَوْلِ رَاجِزٍ : (من الراجز)

تراه تحت الفنن الوريق

يشول بالمحجن كالمحروق

ولو كان متعدياً لقال ((يشول المحجن))^٤

يفهم من هذا أن في الحكم يبني (انفعال وافتعل) من المتعدي ، ولكنهما يبنيان من المطاوع ولا يشترط فيه التعدي . قال أبو علي : ((فما كان من ذلك على انفعال فهو مطاوع فعل ، ولا يكون متعدياً إلى المفعول به أبداً ، وذلك نحو كسرتُهُ فانكسر ، وحطمتُهُ فانحطم .. ، وما كان على افتعل فقد يكون بمنزلة انفعال ، وذلك قولهم غمته فاغتم ، وقالوا : انغم وقالوا : شويته فاشتوى وانشوى . وقد يكون افتعل متعدياً ، وليس في ذلك كاتفعل ، وقالوا : اشتوى القوم إذا اتخذوا شواءً .))^٥

^١ المنصف ٢٦٩/١

^٢ المحتسب ٩٦/١

^٣ المنصف ٧٥/١

^٤ المصدر نفسه ٧٥/١

^٥ التكملة ٥١٨-٥١٩

ذهب أبو علي في هذا الحكم في ضوء ما ذهب سيبويه في حكم انفعل أنه يُبنى من المطاوع بقوله : ((هذا باب ما طاوع الذي فعله على فعل وهو يكون على انفعل وافتعل وذلك قولك كسرتُه فاتكسر ، وحطمتُه فأنحطم ، وحسرتُه فاتحسر ، وشويتُه فانشوى وبعضهم يقول : فاشتوى ، وغممتُه فاغتم وأنعمَ عربية .. وصرفته فانصرف ، وقطعته فانقطع .))^١

في ضوء هذا يفهم أن بناء انفعل وافتعل يجوز أن يُبنى من المتعدي وغير المتعدي ويصبح مطاوعاً غير متعدي أو متعدي ولكن في الأعم الأغلب بناءهما يكون من الفعل المتعدي أما من غير المتعدي فقد جاء بالشعر كما ذكر ذلك ابن جني في الفعل (شال ، اشتال) .

التقطت النوى : افتعل

قال ابن جني : ((حدثنا أبو علي (رحمه الله) فيما حكاه - أظنه - عن خلف الأحمر . قال : يقال : التقطت النوى ، واشتقطته ، واضتقتته . فصَحَّ تاء افتعل وفأؤه ضاد ، ونظائره - مما يمكن النطق به إلا أنه رُفض استثقلاً له - كثيرة))^٢.
هذا البناء (استقطته ، اضتقتته) قليل في العربية للثقل الذي فيه على اللسان عند تقارب صوت الشين والتاء والضاد والتاء ، لأنَّ التاء شديدة والضاد مطبقة ورخوة والشين رخوة أيضاً ، فضلاً عن ذلك أن هذه الأبنية في إبدال الفاء ضاداً أو شيناً عوضاً عن اللام هي لغات في كلمة (التقطت) .

ويعلق ابن جني على هذا البناء ولغاته ويعدده من باب ابدال الضاد من الشين كما تبدل اللام من الضاد ، بقوله : ((ينبغي أن تكون الضاد في اشتقطت بدلاً من شين اشتقطت ، فلذلك ظهرت كما تصحَّ التاء مع الشين . ونظيره قوله : (من الرجز

* مال إلى أرطاة حقف فالتجع *

اللام بدل من الضاد ، فلذلك أقرت الطاء بدلاً من التاء ، وجعل ذلك دليلاً على البديل .))^٣

^١ الكتاب ٦٥/٤ .

^٢ الخصائص ٢٦٢/١

^٣ الخصائص ٢٦٢/١ - ٢٦٣

إِقْوُولٌ مِنْ قَالَ : أَفْعَوْعَلٌ

((قال أبو عليّ : ولسيبويه أن يقول : إنّ الواو الوُسْطَى زائدة ، وليست من الكلمة ، فلم يعتد بها ، وهذا يجب معه أو يجوز ألاّ يهْمَزَ ((فَوَعْلٌ)) من (وَعَدَ) ونحوه ، وأن (وَوَعَدَ) يقال : ((وَوَعَدَ)) لأنّ الواو الثانية زائدة ، ليست من الكلمة وهذا لا يجيزه أحد)).^١ ابن جنى في ضوء ذكره لسيبويه أنه قال : إنّ الأصل في افعوعل من قال إقوول وذلك في اجتماع ثلاث واوات .

إنّ ما ذكره ابن جنى أشار إليه سيبويه بقوله : ((وتقول في افعوعلت من سرتُ : اسبّيرتُ ، تقلب الواو ياءً لأنها ساكنة بعدها ياء : فاذا قلتُ فَعَلْتُ - أي بنيت هذا للمفعول - قلتُ : اسبّويرتُ ؛ لأنّ هذا الواو قد تقع وليست بعدها ياء))^٢. ثم قال سيبويه ، بصدد (قلت) قوله : ((وأما افعوعلتُ من قلت فبمنزلة افعوعلتُ من سرتُ في فَعَلٌ ، وأتمت افعوعلتُ منها كما يتم فاعلتُ وتفاعلتُ .. وذلك قولك في افعوعلتُ : افوولتُ))^٣.

ومن هذا يفهم أنّ سيبويه عنده في بناء افعوعلتُ من قلتُ ثلاث واوات اجتمعت لإتمامه أما أبو بكر السراج فقد يجعل واو افعوعل زائدة عندما تكرر العين فتكون بينهما زائدة ، ثم أنه ذهب إلى ما ذهب إليه أبو الحسن الأخفش في قلب الواو الأخيرة ياءً والتي تليها أيضاً فتكون ياءً مشددة بقوله : ((تقول في مثل : أَعْدَدَنَ من قلت : اقوول ، تكرر العين وهي واوٌ ، وتجعل واو افعوعل الزائدة بينهما وهي ساكنة فتدغمها في الواو التي بعدها ، وكان أبو الحسن الأخفش ، يقول : اقوول فيقلب الواو الآخرة ياءً ، ثم يقلب لها الواو التي تليها ؛ لأنها ساكنة وبعدها ياءً متحركة ، ويقول : أكره الجمع بين ثلاث واوات ، وإذا قلتُ : (فَعَلٌ) من هذا قلتُ : ((أُبْيُوعٌ وأقوول)) فلم تدغم ، لأنّ الواو مدّة فهي بمنزلة الألف ، ويقول أبو الحسن : أقوول فلا يقلب ، ويقول : صارت الوسطى مدّةً بمنزلة الألف فلا يلزمه من تغيير ذلك ، ويشبه ذلك (بفوعل) من وعدَ ، إذا قال فيها (ووعد) فلا يلزمه الهمزُ ، كما يلزمه الهمزُ إذا اجتمعت واوان في أول كلمة لأنّ الثانية مدّة))^٤.

الظاهر أنّ أبا عليّ يذهب في هذه المسألة كما ذهب أبو بكر بن السراج في جعل واو افعوعل التي بين العين والعين زائدة ، لأنها ليست من الكلمة ، فلا يعتد بها فكأنه يوضح ما

^١ المنصف ٢/٢٤٤

^٢ الكتاب ٤/٣٧٣ .

^٣ الكتاب ٤/٣٧٤-٣٧٥

^٤ الاصول في النحو / ٣ / ٣٦٦ - ٣٦٧

ذهب إليه سيبويه في (أَقْوَوَّل) . ويضيف إليه زيادتها وسكونها وأنها تدغم مع ما بعدها كما قال ابن السراج ، وهذه اضافة لطيفة من أبي علي على ما ذكره وذهب إليه سيبويه .
أما ابن جنّي فقد ذهب إلى صحة مذهب الاخفش وكما ذهب ابن السراج ويعد الظاهر من المذهبين قوله في قلب الواو الآخرة لضعفها ياءً ، وقلب الواو التي قبلها لسكونها قبل ياء وادغام الياء بالياء فيكون البناء (أَقْوَيْل) ، ولا يميل إلى قول سيبويه في جعل الواو الوسط من البناء وادغامها مع ما بعدها فيكون هذا البناء (أَقْوَوَّل)^١ .

الزيادة للإلحاق

هي الزيادة التي تلحق ببناء معين لكي تلحقه ببناء آخر نحو زيادة تكرار الحرف الاخير في (ضَرَبَ) الثلاثي فيكون (ضَرَبَبَ) لكي يلحق بالرباعي نحو (دَحْرَجَ) وهذه الزيادة تكون في اللفظ دون المعنى ، فزيادة الواو في (كَوَثَرَ) الذي جذره (ك ث ر) والذي يدل على الكثرة لا تأتي بشيء جديد من حيث المعنى فـ (كَوَثَرَ) يدل على الكثرة كما دلت كلمة (كَثُرَ) على الكثرة أيضاً ، وإنما زيد في البناء (الواو) فقط فألحق في بناء الرباعي نحو (بَعَثَرَ) ، فضلاً عن هذا أن مصادر هذه الأفعال الملحقة تأتي في أبنية مصادر الافعال الملحق بها فتقول في (جَلَبَبَ) (جَلْبَبَ) (جَلْبَبَةٌ) كما نقول في دَحْرَجَ (دَحْرَجَةٌ) ونقول (تجلبباً) و (تشيطناً) كما نقول (تدرجاً) ونقول (اقعنساساً) كما نقول (احرنجاماً) .
ومضارعها أيضاً كمضارع الملحق به نحو يجلبب مثل يدحرج .

قال أبو علي : ((فما ألحق منها ، ما كان مصدره كمصدر بنات الأربعة ، وذلك نحو شَمَلَّتْ وَجَلْبَبَتْ ، والمصدر شَمَلَّةٌ وَجَلْبَبَةٌ . ومثل ذلك مما لحقته الواو أو الياء ، ثانية ، فيعلت نحو بيطرت بيطرةً وشيطنت شيطنةً ، وهينم هينمةً ، والواو نحو حوقل حوقلةً وصومع صومعةً ، وهروول هروولةً ، وجوهر كلامه جوهره ، وسلقيته سلقاةً وقلسيته قلساةً . فهذه ملحقة ببنات الأربعة ، ومصادرهما كمصادرهما ، وكذلك مضارعها تقول : جَلْبَبَ يُجَلْبَبُ جَلْبَبَةً ، وَحَوَّقَلُ يُحَوَّقَلُ حَوَّقَلَةً ، كما تقول : دَحْرَجُ يُدَحْرَجُ دَحْرَجَةً وتقول جَلْبَبْتُ فَتَجَلْبَبُ كما تقول : دَحْرَجْتُهُ فَتَدَحْرَجُ))^٢ .

((فالإلحاق هو أن يراد في الاسم أو في الفعل حرف أو حرفان ، حتى يصير بناؤه اللفظي مطابقاً لبناء آخر في عدد الأحرف ، وحركاتها ، وسكناتها ، .. والزيادة لا تطرد في

¹ ينظر المنصف ٢/٢٤٤

² التكملة / ٥١٤ - ٥١٥ وينظر الممتع في التصريف ١/ ١٦٨ - ١٦٩

إفادته المعنى ... والملحق يجب أن يجاري الملحق به في تصاريفه جميعاً ، فإن كان فعلاً يتبعه في الماضي والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول ، وإن كان اسماً يتبعه في التصغير وفي جمع التكسير))^١.

فالفعل أشير إليه في قول أبي علي ، وأما الاسم فنحو ضَرَبَ ملحقٌ بـ جعفر ، فتجمعه على ضرابب مثل جعافر ، ونقول في تصغيره ضُرَيْبٍ نحو جُعَيْفِرٍ^٢.

والإلحاق ضربان ، الأول : يكون بتكرار الحرف نحو ضرب ، ضرب وجلبب وهذا قياسي ، والثاني : بزيادة حروف الزيادة نحو حَوَقَلَ وشَيْطَنَ وكُوَثَرَ ، وهذا سماعي .

قال ابن يعيش : ((الملحق ، وهو قسمان : أحدهما إلحاق بتكرير حرف من الفعل ، نحو (جَلْبَبَ وشَمَلَل) .. وهذا القبيل من الإلحاق مطردٌ مقيس ، حتى لو اضطر شاعر أو ساجع إلى مثل (ضَرَبَ) و (خَرَجَ) لجاز له الاستعمال ، وإن لم يسمعه من العرب ، لكثرة ما جاء عنهم من ذلك .. والقسم الثاني من الإلحاق ، ما كان بزيادة الواو في (حَوَقَلَ) والياء في (شَيْطَنَ) ... وهذا القبيل مقصور على السماع لقلته))^٣.

الإلحاق في أبنية الاسماء

إلحاق (تجفاف) بـ (قرطاس)

قال ابن جنى : ((سألت يوماً أبا علي - رحمه الله - عن تجفاف : أتأوه للألحاق بباب قرطاس ؟ فقال : نعم ، واحتج في ذلك بما انضاف إليها من زيادة الألف معها))^٤.

قد ذهب أبو علي إلى إلحاق التاء بهذا البناء وزيادة الألف كما ذهب سيبويه إلى إلحاقهما في باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل ، فقال : ((وتلحق رابعة - أي الألف - وفي الحروف زائدة غيرها ... ويكون على (تفعال) في الاسم نحو : تَجْفَافٌ وتمثال - وتلقاء ، وتبيين ، ولانعلمه جاء وصفاً))^٥.

في قول سيبويه (وفي الحروف زائدة غيرها) دلالة على أن التاء زائدة للاحاق أيضاً ؛ لأن أصل البناء ، هو فَعَلٌ أي جَفَفٌ ، فزيدت عليه التاء في أوله والالف رابعة فأصبح ملحقاً بـ (قِرطَاس)

^١ الصرف / ٦٦

^٢ ينظر المصدر نفسه / ٦٨

^٣ شرح الملوكي في التصريف / ٦٤ .

^٤ الخصائص / ٢٣١/١

^٥ الكتاب / ٢٥٦/٤

قال أبو علي في باب زيادة التاء : ((التاء تكثر زيادتها ... في تجفاف))^١.

الإلحاق في أبنية الأفعال

البناء من (باع) على وزن (فِعْلٌ ، فَوَعَلْ ، فَعُولٌ ، فَعَلٌ)

قال ابن جنبي : ((فسألت أبا علي عن هذا ، فقلت : ألا ترى أنا لو بنينا من باع (فِعْلًا ، أو فَوَعَلًا ، أو فَعُولًا ، أو فَعَلٌ) لقلنا (بِيعَ) ، فهلاً لم يجر أن تبني مثل هذا لئلا يلتبس مثلاً بمثال كما امتنعنا أن نقول في مثل عَسَل من ضرب ((ضَرَبٌ)) مخافة الالتباس ؟ . فقال : إن للياء والواو من التصرف وانقلاب أحدهما إلى الأخرى ما ليس للنون ، فاحتمل ذلك لذلك ، والقول عندي كما ذكر))^٢.

ما ذكره أبو علي هو المعول عليه ، لأن الواو في فوعل تقلب ياء في بيع ، كما أنها تقلب في فعول ياء أيضاً لسكونها وقربها من الياء هذا ما ذكره سيبويه بقوله : ((وفوعل من بعث بيع (بييع) ، تقلب الواو كما قلبتها وهي عين في فيعل ، وفيعل من قلت . وكذلك فيعل من بعث وفعول ، تقول بيع وبييع . وعلى هذه الطريقة فأجر هذا النحو))^٣.

بناء فَعَلٌ من ضَرَبَ : ضَرَبٌ : قياس مطرد

قال ابن جنبي : ((سألت أبا علي عن هذا الموضع في وقت القراءة بالشام والعراق ، جميعاً وأنا أثبت ما تحصل من قوله فيه فقال : لو اضطرر شاعر الان ، لجاز أن يبني من ضَرَبَ اسماً وفِعلاً وصفة وما شاء من ذلك ، فيقول : ((ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، ومررتُ برجلٍ ضَرَبٍ ، وضَرَبٌ أَفْضَلُ مِنْ خَرَجٍ)) ؛ لأنه الإلحاق مطرد ، وكذلك كلُّ مطرد من الإلحاق نحو هذا ((رَجُلٌ ضَرَبِيٌّ)) ؛ لأنَّ هذا الإلحاق مطرد ، وليس لك أن تقول : هذا رجل (ضَرَبٌ ، ولا : ضَوْرِبٌ) ؛ لأنَّ هذا لم يطرد في الإلحاق))^٤.

^١ التكملة / ٥٥٩

^٢ المنصف / ٧٤/١

^٣ الكتاب / ٣٦٨/٤

^٤ المنصف / ٤٣/١-٤٤

إنَّ هذا الإلحاق هو تكرارُ الحرف من موضع لام الكلمة ، وهو استعمالٌ مطرَّدٌ عند العرب في إلحاق الثلاثي للرباعي واستعماله في الفعل والاسم والصفة ، نحو ضَرَبَ ، وجَلَبَ وخرَجَ فنقول هذا رجلٌ ضَرَبٌ وخرَجٌ ، وضَرَبٌ أفضلٌ من خَرَجٍ .
أما الإلحاق الذي يتمُّ في زيادة حروف الزيادة ، فهذا استعمالٌ غير مطرَّد ، فلا يمكن أن نشقَّ منه أسماً وصفةً فلا يقال هذا رجلٌ ضَرَبٌ أو ضَوْرَبٌ ؛ لأنَّه مقصورٌ على السماع لقلته .

تَحَيَّرْتُ : تَفَيَّعْتُ

أنشد أبو علي ابن جني قول الهذلي : (من الطويل)

فلما جلاها بالأيام تَحَيَّرْتُ ثبات عليها ذلها واكتئابها

تَحَيَّرْتُ : (تَفَيَّعْتُ) من حاز يحوزُ ، وأصلها (تَحَيَّوَرْتُ) قلب الواو ياءً لوقوع الياء الساكنة قبلها))^١.

هذا البناء أشار إليه سيبويه وجعل مثاله فَيَعَلَ لكن عين الفعل واو فقلبت ياءً وادغمت الياء بالياء ؛ لأنها متحركة والياء ساكنة وجعله تحت باب ما تقلب الواو فيه ياءً إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة ، أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة ، فقال : ((وأما تَحَيَّرْتُ فَتَفَيَّعْتُ من حُرْتُ ، والتَّحَيَّرْتُ تَفَيَّعْتُ))^٢.

إنَّ بناء : حاز حَيَّرَ تحيَّوَرَّ : تحيَّيَّرَ : تحيَّوَرَّ (تَفَوَّعَلَ : تحيَّوَرَّ) وحوزَ (يحوز) (فوعَلَ) : حَوَّوَرَّ : تحوَّوَرَّ : تحوَّوَرَّ ، وقلبت الواو ياءً وادغمت الياء بالياء فصار حَيَّيَّرَ : حَيَّرَ

أَقْعَسَسَ : أَفْعَلَّلَ

نقل ابن جني عن أبي علي في معرض حديثه عن الزائد من المثاليين قوله الحاق أقعسس بـ (احرنجم) ما نصه : ((اِحْرَنْجَمَ وَاِحْرَنْطَمَ . وَأَقْعَسَسَ مَلْحَقٌ بِذَلِكَ .))^٣
قال أبو علي : ((وَأَقْعَسَسَ لَمْ يُدْغَمِ الْأَوَّلُ مِنَ الْمُثَلِّينِ فِي الثَّانِي ؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ الْإِلْحَاقُ بِأِحْرَنْجَمَ كَمَا لَمْ يُدْغَمِ جَلَبَبٌ ، لَمَّا أُرِيدَ بِهِ الْإِلْحَاقُ بِدَحْرَجَ))^٤.

^١ المنصف / ١/ ٢٦٢

^٢ الكتاب / ٤/ ٣٦٧

^٣ الخصائص / ٢/ ٦٢

^٤ التكملة / ٥٢١- ٥٢٢

لقد عدَّ سيبويه هذا البناء ملحقاً بـ (اخرجم واخرنطم) من قبل في ضوء زيادة النون الثالثة من موضع اللام بقوله : ((وقد تلحق النون الثالثة من هذا ما كانت زيادته من موضع اللام ، وما كانت زيادته آخرة ، ويسكن أول حرف فتلزمه ألف الوصل في الابتداء ، ويكون الحرف على افعللت وافعليت ، ويجري على مثال استفعلت في جميع ما صرقت فيه استفعل . فافعللت نحو اقعسس واعفنجج . وافعليت نحو : اسلنقت واخرنبي . فكما لحقتا بنات الأربعة وليس فيهما إلا زيادة واحدة كذلك نزيد فيهما ما يزداد في بنات الأربعة ، وذلك نحو : اخرجم واخرنطم))^١.

يبدو أن هذا البناء ملحق بالرباعي المزيد بالنون والهمزة ، ويكون مثاله على افعلل ، فزيدت النون الثالثة وجيء بهمزة الوصل أولاً للنطق بالسكن . ولم يدغم المثالان لأنه ملحق بـ (اخرجم) كما يلحق جلبب بدحرج .

شوراز : فوعال

قال ابن جني : ((فأما واو (شوراز) المقدره قبل القلب فهي على كل حال ثانية ساكنة في موضع الواو من (كوتر) و (حوقل) و (توراب) و (طومار) و (قوصرة) و (خوزلي) و (حوقزان) و (تورور) لأنه (فوعول) من الترة ، كذا قال أبو علي . وهو الصواب .))^٢.

يبدو أن هذا البناء (فوعال) قليل في العربية ، لأن فيه زيادة الألف رابعة وزيادة حرف آخر وهو الواو ، هذا ما أشار إليه سيبويه بقوله : ((وتلحق رابعة - يعني الالف - وفي الحروف زائدة غيرها - يعني الواو ... ويكون على (فوعال) وهو قليل ، قالوا : توراب : وهو اسم للتراب))^٣.

إنَّ هذا البناء (فوعال) هو من الابنية الملحقة بالرباعي (فوعل) نحو (كوتر) فهو من الملحق بالرباعي والمزيد بالألف فيكون خماسياً مزيداً ، وهو من الاسماء التي بنتها العرب ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه .

^١ الكتاب / ٤ / ٢٨٦ - ٢٨٧

^٢ سر صناعة الاعراب / ٢ / ٧٥٣

^٣ الكتاب / ٤ / ٢٥٦ - ٢٦٠

زيادة البناء :

نحو ألف حمار واو عجوز وياء صحيفة وتسمى الزيادة للمد ، لأنها لم تزد الا امتداداً للصوت والتكثير به للين في الصوت ، ليكون المد عوضاً عن شيء قد حذف وذلك في الضرب الثالث من البحر الطويل . ١

قال ابن جني : ((ألا ترى أن الضربَ الثالث من الطويل قد ألزم حَرْفَ المدِّ نحو قول الشاعر : (من الطويل)

أَقِيمُوا بَنِي النِّعْمَانِ عَنَّا صَدُورِكُمْ وَإِلَّا تَقِيمُوا صَاغِرِينَ الرَّؤُوسَا
ونحو قول الآخر - أنشدناه أبو علي لقطري بن الفجاءة : (من الطويل)

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ
ونحو قول الآخر - قرأته على أبي علي في نوادر أبي زيد : - (من الطويل)

جَزَوْنِي بِمَا رَبَّيْتُهُمْ وَحَمَلْتُهُمْ كَذَلِكَ مَا إِنَّ الْخُطُوبَ دَوَالٌ

فهذه الألف في (دَوَالٌ) والياء في (حَكِيمٍ) والواو في (الرَّؤُوسِ) تسمى الرِّدْفُ . وإنما لزمَ هذا الضرب لتكون عوضاً من لام مقاعيلن ، .. فلهذا أو نحوه ما زيدت هذه المدات ، وللحاجة إلى الاتساع في كلامهم ، لأنهم قد يُعَبِّرون عن المعنى الواحد بالالفاظ الكثيرة ، وهذا يضطرُّ إلى الاتساع ، فمن هنا احتج إلى الزوائد المُكثِّرة للكلام .)) ٢

زيادة الحرف في ضوء ترتيبه في الكلمة

زيادة الهمزة :

تزداد الهمزة أولاً في أغلب مواضعها ، أما إذا جاءت في وسط الكلمة ، فلم نحكم على زيادتها إلا أن يدل عليها دليل . فمثلاً كلمة (أفكل) نستدل على زيادة الهمزة فيها ؛ لأنها جاءت فيها أولاً . أما في كلمة (الننلان) فنعدها زائدة بواسطة الدليل وهو مجيؤها عند العرب بقولهم النيدلان .

النينلان : فنعلان

قال ابن جني ((حكى لنا أبو علي في النيدلان : النينلان بالكسر ، ومثاله فنعلان)) ٣

¹ ينظر المنصف / ١ / ١٤

² المنصف / ١٤/١ - ١٥ .

³ الخصائص / ٣ / ١٤٦ .

وقال أيضاً : ((وزادوها - يعني الهمزة - أيضاً في (النندلان) - وهو النيدلان ، حدّثني

بذلك أبو علي : والنيدلان هو الذي يسمى الكابوس . وأنشدوا : (من الرجز)

نَفْرِجَةُ الهمِّ قَلِيلُ النَّيْلِ يُلْقَى عَلَيْهِ النَّيْدَانُ بِاللَّيْلِ)) ١.

إنّ الهمزة في النندلان زائدة ، لأنه دلّ دليل على زيادتها بقولهم النيدلان ؛ ولأنّ الهمزة إذا كانت غير أولى حكم عليها من الحروف الأصلية حتى يقوم عليها دليل بزيادتها والدليل هنا قائم وذلك بقوله النيدلان ، وفي ضوء ما وصل إلينا من استعمال الكلمة من دون الهمزة ولاسيما في الشعر العربي الذي يعد من الأدلة المعتمدة في رواية اللغة واستعمالها .

قال أبو علي : ((وإنما يُحَكَّمُ بزيادة الهمزة حتى يقوم دليل على أنها أصل ، إذا كانت أولاً ، فإذا كانت غير أولٍ حَكَمْتَ بأنها أصلٌ حتى تقوم الدلالة على أنها زائدة ، وبالعكس ممّا تقدّم فما قامت الدلالة على زيادتها غير أولٍ النندل ، لأنهم قالوا النيدلان)) ٢.

زيادتها في كلمة (مَروط) : أو أرطى - فعلى

قال ابن جني : ((قال لي أبو علي : إنّ أبا الحسن . حكى عن بعضهم أديم مرطى .

فالهمزة عند هؤلاء زائدة)) ٣.

وقال أيضاً : ((وحدّثني أبو علي : أنّ أبا الحسن حكى عنهم ((أديم مرطى)) وليس في كثرة مَروط ، فينبغي أن يكون أرطى على هذا القول أفعلاً وتثوّن ؛ لأنها نكرة بمنزلة (أفكّل) و(أيدع) وتكون أرطاة على هذا أفعلةً مثل أرملة وإن لم تكن وصفاً ، حكى بعضهم أديم مؤرطى ، فهذا يحتمل عندي أمرين ، أجودهما أن يكون مفعلي بمنزلة مُسَلَّقَى ومُجَعَّبَى ، ويحتمل أيضاً أن يكون مؤفعلاً بمنزلة قول الراجز : (من الرجز)

* فَإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنَّ يُؤَكْرَمَا *

وإنما كان الوجه الأول أقيس ؛ لأنك تجعل الهمزة فيه فاءً وذلك أقيس ، لأنّ مَروطاً

أفشى في اللغة من مرطى وكلاهما جائز والأول الاختيار)) ٤.

يبدو أنّ أبا الحسن الأخفش يذهب إلى أنّ الهمزة زائدة في كلمة (مرطى) وحجته فيما نقل عن بعض العرب قولهم (أديم مرطى) ، لكنه في الاستعمال اللغوي أقل من استعمال (أديم مَروط) أي جلدٌ مدبوغ .

¹ سر صناعة الاعراب ١١١/١

² التكملة / ٥٤٦ - ٥٤٧ .

³ المنصف ١١٧/١ - ١١٨

⁴ المصدر نفسه / ١ / ٣٧ - ٣٨ .

في حين أن سيبويه يعدُّ الهمزة أصليةً والألف هي الزائدة للاحاق التأنيث بقوله :
(وتلحق رابعة لا زيادة في الحرف غيرها لغير التأنيث، فيكون على فعلى نحو.. أرطى)). ١.
أما أبو علي فقد ذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه في أصلية الهمزة ، وحجته ؛ لأنَّ
مأروطاً أفشى في اللغة من مرطى ، والهمزة فاء فذلك أقيس ، وأكد ذلك في معرض كلامه
على ألف أروى وهمزتها ، بقوله : ((أن يكون أريد به اللاحق كـ (أرطى) فقد تكون
على هذا الهمزة أصلاً كما أنه في (أرطى) أصل)) ٢.
وأميل إلى أصلية الهمزة في (أرطى) لكثرة الاستعمال اللغوي فضلاً عن أن جمعها
أرطى وأرطاة والجمع يساعد على معرفة الحروف الاصلية في الكلمة ويكشفها ، قال ابن
دريد : ((وأرطاة : واحد الأرطى ، وهو ضربٌ من الشجر يُدبغ به . يقال أديم مأروط ، أي
مدبوغ بالأرطى)) ٣ وقال أيضاً : ((والأرطى ، ضربٌ من النَّبت والجمع أرطى)) ٤

زيادتها في ((شمأل وشأمل)) بناؤهما فعلاً وفاعلاً

قال ابن جنى : ((سألت ابا علي عن ((شمأل وشأمل)) فقلت : ما تنكر أن تكون
الهمزة فيها غير زائدة وان كانت من معنى شملت ، كما تقول في (دمت ودمثر ، وسبط
وسبطر)) إنَّ أحدهما بمعنى الآخر وليس من أصله ، لأنَّ دَمًا ثلاثي ودمثراً رباعي فقلَّ
كذلك في شمأل وشأمل ؟ . فقال : إنَّ الهمزة قد زيدت غير أولٍ في جرائض وندلان بمعنى
نيدلان وأحرف غير هذه)) ٥

الظاهر من جواب أبي علي أنَّ الهمزة زائدة في وسط الكلمة نحو (شمأل وشأمل) كما
زيدت في جرائض وندلان وغيرها . وهو في هذا ذهب كما ذهب سيبويه إلى زيادتها
(بنبت ، بقوله : ((وكذلك الهمزة لا تزداد غير أولى ألا بنبت ومثل ذلك : شمأل وشأمل ،
تقول شملت وشمال.)) ٦ . ((ويدلك على زيادتها قولك : شملت الرياح فهي تشمل
شمولاً)) ٧.

¹ الكتاب / ٤ / ٢٥٥ .

² المسائل البغداديات / ١٢٩

³ الاشتقاق / ١١٦

⁴ المصدر نفسه / ٤٠٤

⁵ المنصف / ١ / ١٠٥ - ١٠٦

⁶ الكتاب / ٤ / ٣٢٥ - ٣٢٦ وينظر الاصول في النحو ٣ / ١٨٧

⁷ المقتضب / ١ / ٥٨

يفهم من هذا أن زيادة الهمزة في هذه اللفظة تحقق بوجود الثبت للكلمة ؛ لأنَّ أصلَ شمأل هي الفعل شَمَلَ شَمَالًا وشَأْمَل ، فكلمتا شمأل وشَأْمَل مستعملتان في لغة العرب فلما قالوا شَمَالًا وشَأْمَلًا أزدوا الهمزة ، وهذا قليل .

قال ابن جني : ((وقد زيدت حشواً وذلك قليل ، قالوا شَمَالًا وشَأْمَلًا ومثالهما فَعَالٌ وفَاعِلٌ ، فالهمزة زائدة لقولهم شَمَلْتُ الرِّيحَ)) .^١

قال ابن العيش : ((وقد زيدت في أحرفٍ يسيرة حشواً . قالوا : شَأْمَلٌ وشَمَالٌ . ومثالهما : فاعِلٌ ، وفَعَالٌ . قال : (من الطويل))) .

* لَمَّا نَسَجْتَهَا ، مِنْ جَنُوبٍ ، وَشَمَالٍ *

فالهمزة في هذين المثالين زائدة ، لقولهم : شَمَلْتُ الرِّيحَ ، إِذَا هَبَّتْ مِنَ الشَّمَالِ وهذا ثبتٌ ، ألا ترى أَنَّهَا ساقطة في (شَمَلْتُ)) . ووزنهما لذلك ، فاعِلٌ ، وفَعَالٌ)) .^٢

زيادة الألف :

لا تزداد الألف في بداية الكلمة ؛ لأنها ساكنة والساكن لا يبتدأ به في الكلم العربي ، بل تزداد ثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، وسادسة ، نحو ضارب وكتاب .
قال أبو علي : ((الألف لا تزداد أولاً لسكونها ، ألا ترى أن أوائل الكلم التي يبتدأ بها لا تكون إلا متحركة)) .^٣

زيادتها في كلمة سخاخين

قال ابن جني : ((وزيادتها ثالثة - يعني الألف - نحو (كتاب) و (حساب) و (غُراب) و (جراب) و (حَبَاب) و (سَرَاب) و (سُخَاخِين) بمعنى سُخْن ، انشدنا أبو علي : (من الرجز))) .

أُحِبُّ أُمَّ خَالِدٍ وَخَالِدًا حُبًّا سُخَاخِينًا وَحُبًّا بَارِدًا))^٤

قال سيبويه : ((وتلحق ثالثة - يعني الألف - فيكون الحرف على (فَعَال) في الاسم والصفة فالاسم نحو : قَدَالٍ . وَغَزَالٍ ، وَزَمَانٍ . والصفة نحو : جَمَادٍ وَجَبَانٍ وَصَنَاعٍ .

^١ التصريف الملوكي / ١٦-١٧

^٢ شرح الملوكي في التصريف / ١٤٦

^٣ التكملة / ٥٤٨

^٤ سر صناعة الاعراب / ٢ / ٦٨٨

ويكون على (فعّال) فيهما . فالأسماءُ نحو حِمَارٍ ، وإِكافٍ ، وِرْكَابٍ ، والصفةُ : كِنَازٍ ،
وَضَنَاكٌ ودَلَاتٌ ويكون على (فُعّال) فيهما . فالأسماءُ نحو : غُرَابٍ ، وِغْلَامٍ ، وِقْرَادٍ ،
وَفُؤَادٍ . والصفةُ نحو شُجَاعٍ ، وطُوالٍ ، وِخُفَافٍ)) ١ .

يبدو أنّ الألفَ تزدادُ ثالثةً في هذه الألفاظِ ولاسيما في (غُرَابٍ) الذي ذكره ابن جني
أما (سخاخين) فألفها زائدة لأنها من (سَخُنَ) وتكون على وزن فَعَاعِيلٍ
قال سيبويه : ((وأما ما لحقتهُ من ذلك ثالثة ... ويكون على فَعَاعِيلٍ) فيهما
فالأسماءُ نحو : السَّلَليمِ ، والبَلَالِيطِ ، والبَلَالِيقِ ، والصفةُ نحو العَوَاوِيرِ ، والجَبَابِيرِ .)) ٢
فالبناءُ فَعَاعِيلٍ ، جاء في تكرارِ عينِ الكلمةِ وزيادةِ الالفِ ثالثةً والياءُ خامسةً ومثاله
(سخاخين) من سَخُنَ تكررت الخاءُ التي هي عينِ الكلمةِ وزيدتِ الالفِ ثالثةً والياءُ خامسةً ،
ومثلهُ : قَرَارِيطٍ ودَنانِيرٍ ودَوَاوِينِ .

زيادة الميم

تزدادُ الميمُ أولاً إذا كانت الكلمةُ أكثرَ من ثلاثةِ أحرفٍ نحو مَجْلِسٍ ، مَلْعَبٍ ولاسيما
في المصادرِ وأسماءِ المكانِ والزمانِ نحو مَضْرِبٍ ومَقْتَلٍ ومَنْتَجٍ ، ولاتزدادُ في الوسطِ إلاّ
بثبتِ نحو دَلامِصٍ ، لأنّ الكلمةَ من الدلصِ .

قال أبو علي : ((باب زيادة الميم . وهي تُزدادُ أولاً في المصادرِ وأسماءِ المكانِ
والزَمَانِ ، فالمصدرُ نحو ضَرَبْتُهُ مَضْرَبًا وَقَتَلْتُهُ مَقْتَلًا ، والمكانُ كقولنا هذا مَضْرِبُنَا والزمانُ
نحو أتتِ الناقةُ على مَنْتَجِها وعلى مَضْرِبِها يردُ زمانُ نَتاجِها . وقالوا أرضٌ مَأْسَدَةٌ التي
تكثرُ بها الأسودُ . وتزدادُ في أوّلِ مَفْعُولٍ ومَفْعَلٍ ومَفْعَالٍ وهي في مَنبِجٍ لاسمِ هذا البلدِ
زيادةً لكثرةِ زيادتها أولاً ، ولا تزدادُ الميمُ وَسَطًا إلاّ بثبتِ ، كما لا تُزدادُ الهمزةُ غيرَ أوّلِ إلاّ
بثبتِ .)) ٣

زيادتها في دُمالِصٍ وقُمارِصٍ وهَرَماسٍ

قال ابن جني : ((ونظير دُمالِصٍ ما حدثنا به أبو علي قال : يقال : لَبِنٌ قُمارِصٍ ،
يعني القارِصِ ، فالميمُ إذن هنا زائدةٌ ، ومثاله فُماعِلٍ . وحدثنا أبو علي أيضاً ، قال : قال
الأصمعي : قالوا للأسدِ هَرَماسٍ وهو من الهَرَسِ ، فمثاله على هذا فَعَمالٍ .)) ٤ .

¹ الكتاب / ٤ / ٢٤٩

² المصدر نفسه / ٤ / ٢٥٠ - ٢٥١ .

³ التكملة / ٥٥٢ - ٥٥٤

⁴ سر صناعة الاعراب / ١ / ٤٢٩ وينظر الخصائص ٥٠/٢

قال أبو علي : ((وزعم الخليل أن ميم دلامص زائدة ويُسْتَدَلُّ على زيادتها بالمعنى وأنه من الدليص . وقالوا درع دلاص اي سابع للبراقة ، وامرأة دليصة ملساء براقة ، ويُقَوَّى ذلك أنهم قد قالوا : لَبِنٌ قمارص أي قارص . وقال الأصمعي في قولهم في صفة الأسد همراس إنما هو من الهرس)) . ١

في ضوء قول أبي علي يتضح أن الميم زائدة على الرغم من أنها وقعت غير أول لوجود دليل يدل على ذلك ، لأن دمالص أو دلامص من الدليص أو التدليص وهو البراقة واللمعان وكذلك قمارص من القارص أما همراس فهو من هرس هارس هراس ، والميم زائدة فيه . قال سيبويه : ((فأما الميم فإذا جاءت ليست في أول الكلام فإنها لا تزداد إلا بثبت لقلتها وهي غير أولى زائدة . وأما ما هي ثبت فيه فدلامص ، لأنه من التدليص)) . ٢
وقال أيضاً : ((وتلحق رابعة - يعني الميم - ... ويكون على (فُعامل) وهو قليل، قالوا : (الدلامص))) . ٣

في ضوء هذا يعدُّ الخليل وسيبويه أن الميم زائدة والبناء مثاله (فُعامل) وتابعهم بذلك أبو علي الفارسي وابن جني ، في حين أن أبا عثمان المازني خالفهم في ذلك وعدَّ البناء رباعياً قريباً من لفظ دلاص كما أن لؤلؤاً قريب من لآل وهو منسوب له وليس منه ، وسبطر يعني السبَط ويختلف عنه .

((قال أبو عثمان : وزعم الخليل أن ((دلامصاً)) الميم فيه زائدة ، وهو (فُعامل) والدليل على ذلك قولهم ((دلاص ، ودليص)) في معنى ((دلامص)) ولو قال قائل : إن دلامصاً من الأربعة ، معناه ((دليص)) وليس بمشتق من الثلاثة . قال قولاً قوياً ، كما أن (لآلاً) منسوب إلى اللؤلؤ وليس منه . وكما أن (سبَطراً) معناه من السبَط وليس منه)) . ٤
يبدو من هذا أن الخليل يعدُّ الميم زائدة في حين أن أبا عثمان يعدُّها أصلاً ، فقول الخليل هو الأرجح ؛ لأنه أقيس لغة وقول أبي عثمان لا يأخذ به من قبل الصرفيين لغموضه؛ لأنَّ هناك ألفاظاً ثلاثيةً بمعنى الألفاظ الرباعية وليس بينهما إلا زيادة الحرف كما في سبَطر .

قال ابن جني : ((مذهبُ الخليل في هذا أكشف وأوجهُ من مذهب أبي عثمان وذلك أنه لما رأى ((دلامصاً)) بمعنى دليص ووجد الميم قد زيدت غير أول في زُرقم ، وستهم،

¹ التكملة / ٥٥٤ - ٥٥٥

² الكتاب / ٤ / ٣٢٥

³ المصدر نفسه / ٤ / ٢٧٣-٢٧٤

⁴ المنصف / ١ / ١٥١-١٥٢

وبإيهما ذهب إلى زيادة الميم في دُلامص . فهذا قول واضح كما تراه ، والذي ذهب إليه أبو عثمان أغمض من هذا . وذلك أنه لما لم ير الميم قد كثرت زيادتها غير أولٍ ووجد في كلامهم ألفاظاً ثلاثيةً بمعنى ألفاظ رباعية ، وليس بين هذه وهذه إلا زيادة الحرف الذي كمل أربعة حمل دُلامصاً عليه هرباً من القضاء بزيادة الميم غير أولٍ . ألا ترى أن ((لآلاً)) ثلاثي ولؤلؤاً رباعي والمعنى واحد واللفظ قريب بعضه من بعض . وكذلك ((سببٌ وسببٌ)) وكلا القولين مذهب . وقول الخليل أقيس وأجرى على الأصول)) . ١ .
أقول : إن مناقشة الخلاف بين الخليل وأبي عثمان وترجيح رأي الخليل هو ترجيح رأي أبي علي ، لأنه ذهب في هذه المسألة كما ذهب الخليل وسيبويه .

زيادتها في معلق ، ومعلق

قال ابن جنى : ((قال أبو علي : إنما قلنا : معلقاً : مفعول ، لأنهم قد قالوا في معناه : معلق ، فمعلق مفعول ليس غير . قال : وأما مغرود فحملة على فعل أولي ؛ لأن فُعُولاً أكثر من مفعول)) . ٢ .

يبدو أن الميم في مفعول زائدة في بداية الكلام ؛ لأنها تشبه الهمزة في زيادتها ابتداء .

قال سيبويه : ((وقد جاء في الكلام (مفعول) وهو غريب شاذ ، كأنهم جعلوا الميم بمنزلة الهمزة إذا كانت أولاً فقالوا : مفعول كما قالوا أفعل ، فكأنهم جمعوا بينهما في هذا كما جاء مفعول على مثال أفعال ، ومفعول على مثال وزن إفعال . ولم نجعله بمنزلة يسروع ؛ لأنه لم يلزمه إلا الضم ولم يتغير تغيره وذلك قولهم : معلق للمعلق)) . ٣ .

وأما حملة مغرود على فُعُول ؛ لأن الواو زائدة وهي رابعة في كلتا الكلمتين فضلاً عن أن البناءين خماسيان ، واستخدام فُعُول أكثر من مفعول .

قال سيبويه : ((أما الواو فتزاد ... رابعة في بهلول وقرنوة .)) ٤ وقال : ((ويكون على (فُعُول) فيها ، فالاسم نحو : طُخْرور ، والهُدُول ، والشُّبُوب . والصفة نحو : بهلول ، وحُكوك ، وحُلبوب)) . ٥ .

¹ المنصف ١٥٢/١ وينظر الخصائص ٥١/٢

² المنصف ١٠٨/١ .

³ الكتاب ٢٧٣/٤

⁴ المصدر نفسه ٢٣٧/٤

⁵ المصدر نفسه ٢٧٥/٤

الميم في (معد) أصلية خلافاً لـ (مسكين ومدرعة)

((قال أبو الفتح اعلم أنه إنما كان (معدّ) من معنى (تمعدّد) ؛ لأنّ (تمعدّد) تكلم بكلام معدّ : أي كبروخطب . وهكذا كان أبو عليّ يقول .))^١ ((فأما الميم في (معدّ) فأصل لقولهم (تمعدّد) .))^٢

إن الميم في (معدّ) أصلية ؛ لأنه من (تمعدّد) خلافاً لقولهم تمسكن ، وتمدرع فالميم زائدة لأنّ الفعل تسكن وتدرع . فهو من التسكن والتدرع .

قال سيبويه : ((فأما المعزى فالميم من نفس الحرف ، لأنك تقول معز ، ولو كانت زائدة لقلت عزاء ، ... ومعدّ مثله للتمعدّد ، لقلة تمفعّل . وأما مسكين فمن تسكن . وقالوا : تمسكن مثل تدرع في المدرعة))^٣

الظاهر أنّ (تمسكن وتدرع) قليلة في كلام العرب والمعروف في الاستعمال اللغوي هو تدرع وتسكن فضلاً عن أنّ ميمها ليست فاء الكلمة ، في حين أنّ ميم معد هي فاؤها .

قال أحمد بن يحيى : ((تمعدّدوا)) : أي كونوا على خلق معدّ . فإذا كانت الميم في تمعدّد فاء فهي في (معدّ) فاء . قال : ولا تنظر الى (تمسكن) ، (وتمدرع) فتقول : أحمل (تمعدّد) على أنه تمفعّل بمنزلة (تدرع) ، وأجعل (معدّ) مفعلاً ؛ لأنّ (تدرع) قليلة . والجيدة (تدرع ، وتسكن) .))^٤

زيادة النون :

تزداد النون زيادةً مطردة في الأسماء الخماسية نحو عقنقل وسجنجل وفي عرندس أيضاً ، وتزداد في صيغة (انفعّل) ، وأيضاً بعد ألف التثنية ويائها نحو الرجلان والرجلين وبعد واو الجمع أو يائه مثل (الطالبون) ، و (الطالبين) ، وفي توكيد الفعل نحو (تالله لأكيدن أصنامكم))^٥ وفي الأمثال الخمسة ، يلعبان وتلعبان ويلعبون وتلعبون وتلعبين ، وفي بعض الصفات نحو سكران وعطشان وغضبان ، وتلحق بالأسماء نحو عثمان وسلمان وعدنان ،

^١ المنصف ١٢٩/١

^٢ التكملة ٥٥٣/

^٣ الكتاب ٣٠٨/٤ .

^٤ المنصف ١٢٩/١-١٣٠

^٥ الانبياء ٥٧/

كما تزداد في بداية الافعال المضارعة نحو نكتب ، وتزداد أيضاً من دون اطراد ، وتعرف زيادتها عن طريق الاشتقاق نحو عَنَس ، فالكلمة مشتقة من العبس أو العبوس . ١

زيادة النون في (جُنْدُب) :

عرضت هذه المسألة في موضع ردّ أبي علي أبا الحسن في قوله : إنها زائدة غير ملحقة خلافاً لأبي الحسن في زيادتها للألحاق قال أبو علي : ((إنَّ قياس قوله أن تكون النون في (جندب) وبابه من الأصل حتى تقوم دلالة على زيادتها ؛ لأنَّه قد حكى عنهم (جُنْدُب) بفتح الدال ... قال : ولا حجة له في قولهم (جوْدِر) لأنَّه أعجمي ، فإن كان الجندُب من الجذب - لأنَّه مما يُصحبُه - فالنون فيه زائدة غير ملحقة على مذهب سيبويه ، وهي زائدة ملحقة على مذهب أبي الحسن)) . ٢

ذهب أبو علي في زيادة نون جندب كما ذهب سيبويه الى ذلك وحجته إنه اشتق من الجذب أو من الفعل جَدْبَ جَدْبًا وبذلك تكون النون زائدة في هذا البناء كما زيدت في اِحرنجم .

قال سيبويه : ((وأما (جُنْدُب) فالنون فيه زائدة ، لأنك تقولُ جَدْبُ ، فكان هذا بمنزلة اشتقاقك منه ما لا نون فيه . وإنما جعلت جُنْدُبًا وعُنْصَلًا وخُنْفَسًا نوناتهنَّ زوائد لأن هذا المثال يلزمه حرف الزيادة ، فكما جعلت النونات فيما كان على مثال اِحرنجم زائدة لأنَّه لا يكون إلا بحرف الزيادة ، كذلك جعلت النون في هذا زائدة)) . ٣

ويقوي رأي أبي علي في زيادة النون قوله : في قنبرٍ وجُنْدُب لا توجد أصول رباعية كما في جعفر فضلاً عن قولهم قُبْرٌ وعُرْنُدٌ ، وليس لهنَّ أصول مثل جعفر أيضاً . ٤
قال سيبويه : ((والنون من جُنْدُبٍ وعُنْصَلٍ وعُنْظَبٍ زائدة ؛ لأنه لا يجيء على مثال فُعْلَلٍ شيءٌ إلا وحرف الزيادة لازم له ، وأكثر ذلك النون ثابتةً فيه)) . ٥

أقول : إنَّ الذي ذهب إليه أبو علي أقوى حجةً من الذي ذهب إليه أبو الحسن ؛ لأنَّ زيادة النون في جُنْدُب ليست للألحاق كما قال الأخفش وإنما زائدة بدليل اشتقاقها من الجذب، التي تقترن به وتكثر في أيامه ، فضلاً عن أنها جاءت على مثال جعفر لكن نونها

¹ ينظر الصرف / ٨٢ / ٨٣

² المنصف / ١٣٨ / ١

³ الكتاب / ٣٢١ / ٤

⁴ ينظر التكملة / ٥٥٨

⁵ الكتاب / ٣٢٠ / ٤

زائدة لأنها لا تقابل عينه ، وأنّ مثالها لم يأت عند العرب في أمثلة اللاحق — (جعفر) الرباعي ، لأنه يأتي على وزن فُعَلًا وهذا بناء غير موجود في كلامهم .
قال ابن عصفور : ((وأما (جُنْدَب) و (عُنْصَر) و (قُنْبِر) فيدل على زيادة النون فيها أنك لو جعلتها أصلية لكان وزن الكلمة (فُعَلًا) وهو بناء غير موجود في كلامهم)) . ١

نون دهقان غير زائدة عند أبي علي

قال ابن جني : ((فأما ما قامت عليه دلالة : ف (دهقان) نونه لام ، لأنهم قد قالوا : (تدهقن) (وشيطان))) لأنهم قد قالوا : ((تشيطن) وليس في كلامهم (تفعّلن) فالنون فيه لام . فأما (تدهق ، وتشيط) فليس في قوة (تدهقن) (وتشيطن) هكذا قال أبو علي . وإنما دفعه من طريق الرواية ، فيسلم له)) . ٢
ما ذهب إليه أبو علي في هذه المسألة أشار إليها سيبويه بقوله : (فأما الدهقان والشيطان فلا تجعلهما زائدين فيما يعني الألف والنون ، لأنهما ليس عليهما ثبت . ألا ترى أنك تقول : تشيطن وتدهقن ، وتصرفهما)) . ٣
فقد وافق أبو علي سيبويه في عدم الزيادة في ضوء الاشتقاق من تشيطن وتدهقن ؛ لأنّ نونهما لام فيهما أصلاً ، فلا تكونان زائدين .

أبنية المصادر

المصدر : هو الحدث الذي لا يقترن بزمان ولا مكان ، وهو أصل للفعل عند البصريين خلافاً للكوفيين الذي يعدونه مشتقاً من الفعل ، فالأصل الفعل وهو فرع عليه ، أما البصريون فيعدونه أصلاً والفعل عليه ويعللون بذلك في ضوء أمور أشار إليها أبو علي الفارسي بقوله : ((اعلم أنّ أمثلة الأفعال مشتقة من المصادر ، كما أنّ أسماء الفاعلين والمفعولين مشتقة منها ولو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لجرّت على سنن في القياس ولم تختلف كما لم تختلف أسماء الفاعلين والمفعولين . فلما اختلفت المصادر اختلفت سائر أسماء الأجناس دل ذلك على أنّ الأفعال مشتقة منها ، وأنّها غير مشتقة من الأفعال . وأيضاً فلو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لدلت على ما في الأفعال من الحدث والزمن ، وعلى معنى

¹ الممتع في التصريف ٢٦٨/١

² المنصف ١٣٥/١

³ الكتاب / ٣٢١

ثالث كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل والمفعول به . وكذلك سائر المشتقات ، فلما لم تكن المصادر كذلك علم أنها ليست مشتقة من الأفعال . فأما اعتلالها باعتلال الأفعال فلا يدل على أنها مشتقة منها ، كما أن اعتلال بعض أمثلة الفعل لبعض لا يدل على أن بعض الأفعال مشتق من بعض)) . ١ .

والمصادر قياسية وسماعية ، فالقياسي هو الذي يقاس عليه مصادر الأفعال التي وردت في لغة العرب ، لأنه الأصل الذي تطرد عليه مصادر الأبواب . أما السماعي ، فهو الخارج عن البناء القياسي ، ولا يكون مطرداً ، أي لا يقاس عليه الأفعال التي لم نسمع مصادرهما . وأحياناً يكون للفعل مصدرين قياسي وسماعي ولكن يرجح السماعي لو تعارضا . ٢ .

قال ابن جني : ((إذا أدك القياس إلى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه . فإن سمعت من آخر ما أجرته فأنت فيه مخير تستعمل أيهما شئت ، فإن صح عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنت كنت على ما أجمعوا عليه البتة ، وأعددت ما كان قياسك أدك إليه لشاعر مولد ، أو لساجع ، أو لضرورة ؛ لأنه على قياس كلامهم)) . ٣ .

المصادر الثلاثية :

تعجب أبو علي - رحمه الله - من قول أبي عثمان المازني ، الذي أثار موضوع الخلاف في المصادر الثلاثية بينه وبين الخليل ، ((فقال أبو عثمان : قال الخليل في مصدر بنات الثلاثة التي تعدى : إن أصلها (فعل) نحو (ضرب ضرباً ، وقتل قتلاً) وجعل ما خالفه ليس بأصل لاختلافه)) . ٤ .

نقل هذا التعجب ابن جني بقوله : ((قال أبو علي : (وهذا التشبيه من أبي عثمان عجب من العجب)) . ٥ .

¹ التكملة / ٥٠٧ - ٥٠٨

² ينظر ابنية الصرف في كتاب سيبويه / ٢٠٨

³ الخصائص / ١٢٥/١ - ١٢٦

⁴ المنصف / ١٧٩/١

⁵ المصدر نفسه والجزء والصفحة .

هذا الذي أشار إليه أبو عثمان وعلق عليه أبو علي عالجه الخليل وسيبويه في ضوء إرادة مصدر المرّة الواحدة من الفعل على بناء فَعَلَّةَ ، لِإِنَّ الْأَصْلَ فِي الْبِنَاءِ هُوَ فَعَلَّ نَحْوَ تَمَرٌ وَتَمْرَةٌ .

قال سيبويه : ((وإذا أردت المرّة الواحدة من الفعل جئت به أبداً على فَعَلَّةَ على الأصل ، لِأَنَّ الْأَصْلَ (فَعَلَّ) ، فَإِذَا قُلْتَ الْجُلُوسَ وَالذَّهَابَ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَقَدْ أَحَقَّتْ زِيَادَةُ لَيْسَتْ مِنَ الْأَصْلِ وَلَمْ تَكُنْ فِي الْفِعْلِ . وَلَيْسَ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْمَصَادِرِ لِأَنَّ زِيَادَةَ لِبَابِ (فَعَلَّ) كَلْزُومُ الْإِفْعَالِ وَالِاسْتِفْعَالِ وَنَحْوَهُمَا لِأَفْعَالِهِمَا . فَكَانَ مَا جَاءَ عَلَى (فَعَلَّ) أَصْلَهُ عِنْدَهُمْ (الْفَعْلُ) فِي الْمَصْدَرِ ، فَإِذَا جَاءُوا بِالْمَرَّةِ جَاءُوا بِهَا عَلَى (فَعَلَّةَ) كَمَا جَاءُوا بِتَمْرَةٍ عَلَى تَمْرٍ . وَذَلِكَ : قَعَدْتُ قَعْدَةً وَأَتَيْتُ أَتِيَةً))^١ .

الظاهر أنَّ مصادر الأفعال التي تدل على الجنس تأتي على بناء (فَعَلَّةَ) في المفرد وفي الجمع تأتي على بناء (فَعَلَّ) وهذا نظير مصدر الفعل الثلاثي المتعدي نحو (ضَرَبَ) و(ضربة) ، لِأَنَّهَا مَطْرَدَةٌ .

قال ابن جنبي : ((إِنَّمَا كَانَ الْأَصْلُ فِي مَصَادِرِ بَنَاتِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَعَدِّيَةِ عِنْدَ الْخَلِيلِ (فَعَلَّ) بَعْدَ كَثْرَتِهِ فِي السَّمَاعِ لِأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ ثَلَاثِيٍّ ، فَالْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُ (فَعَلَّةَ) نَحْوَ (ضَرِبَتْهُ ضَرْبَةً ، وَقَتَلَتْهُ قَتْلَةً . وَشَتَمَتْهُ شَتْمَةً)) فَكَانَ قَوْلُكَ الْمَصْدَرِ (شَتَمْتُ ، وَقَتَلْتُ ، وَضَرَبْتُ) إِنَّمَا هُوَ جَمْعُ فَعَلَّةَ ، نَحْوَ (تَمْرَةٍ وَتَمْرٍ وَنَخْلَةٍ وَنَخْلٍ) ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ يَدُلُّ عَلَى الْجِنْسِ ، كَمَا أَنَّ التَّمْرَ وَالنَّخْلَ يَدْلَانِ عَلَى الْجِنْسِ (فَضَرْبَةٍ) نَظِيرَةٌ (تَمْرَةٍ) وَ(ضَرْبٍ) نَظِيرٌ (تَمْرٍ)))^٢ .

فضلاً عن هذه المصادر نحو الرُّكُوبِ وَالْجُلُوسِ وَالذَّهَابِ فَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَصْلٍ وَإِنَّمَا أَحَقَّتْ بِالضَّرْبِ وَغَيْرِهِ لِأَنَّهَا غَيْرُ مَطْرَدَةٍ أَطْرَادِ الْقَتْلِ وَالضَّرْبِ ، لِأَنَّ بِنَاءَ (فَعَلَّ) لَا يَمْتَنِعُ عَنْهَا جَمِيعاً فَهِيَ مَلْحَقَةٌ بِمَا هُوَ الْأَصْلُ وَالْمَطْرَدُ فِي السَّمَاعِ . فَيُقَاسُ عَلَى مَا فِيهِ كَثْرَةُ السَّمَاعِ .^٣

لَا مَصْدَرَ لِلْفِعْلِ (أَيَسْتُ)

أشار ابن جنبي إلى أَنَّ الْفِعْلَ (أَيَسُ) لَا مَصْدَرَ لَهُ لِأَنَّهُ مَقْلُوبٌ عَنِ الْفِعْلِ (يَيْسُ) . بِقَوْلِهِ : ((أَلَا تَرَى أَنَّ (أَيَسُ) لَمَّا كَانَ لَا مَصْدَرَ لَهُ ، حُكِمَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَقْلُوبٌ عَنِ (يَيْسُ) ؟

^١ الكتاب ٤٥/٤

^٢ المنصف ١٧٩/١

^٣ ينظر المنصف ١٧٩/١

وذلك لأنه يقال : (يئس يئس يئساً ، وأيس يئس يئساً) . فـ (اليأس) مستعمل في الفعلين جميعاً ، ولا يقول أحد : ((أيساً))^١ .

إن الذي أشار إليه ابن جني هو رأي أبي علي ، هذا ما صرح به ابن جني نفسه بقوله : ((والذي ذهب إليه من أنه لا مصدر (لأيست) وهو رأي أبي علي . قال ، ونظير هذا في أنه مقلوب قولهم : ((أن يئس)) إنما هو مقلوب عن (أنى يئس) لأنه لا مصدر (لأن يئس) إنما المصدر لـ (أنى) يقال : ((أنى يئس إنى وإنياً))^٢ .

في هذا يرد أبو علي وابن جني أبا سعيد السكري بما ذهب إليه من أن (لأيس) مصدرًا وهو (إياس) ويعده ابن جني وهماً منه ، وحجته بذلك أنه لو كان له مصدر لما قال النحويون إنه مقلوب عن (يئس) وسبب ذلك صحة الياء فيه ، ولو لم يكن مقلوباً لوجب أن يقال (إست أو اس) . نظير قولهم (هبت أهاب)^٣ .

يؤيده ما ذهب إليه ابن السكيت بقوله : ((وقد يئس من الأمر إياس منه يئساً ، وأيست لغة ، آيس أفعل))^٤ ((وآيست ليس له مصدر))^٥ .

يستشف من هذا أن ما ذهب إليه أبو علي من أن (أيست) مقلوب عن (يئس) هو نظير (أن يئس) مقلوب أنى يئس ، وكلاهما لمصدر واحد ، هو دليل على أن ما ذهب إليه السكري فيه نوع من التمثل في الاشتقاق اللغوي للمصدر من هذا البناء ، يظهر هذا مما صرح به ابن جني نقلاً عن أبي علي : في قولهم للرجل إياس هو من مصدر للفعل (أست) : ((ومثل ذلك في القلب قولهم (أيست من كذا) فهو مقلوب من (يئس) لأمرين ، ذكر أبو علي أحدهما ، وهو ما ذهب إليه من أن (أيست) لا مصدر له وإنما المصدر (ليئس) وهو اليأس واليأس . قال : فأما قولهم في اسم الرجل (إياس) فليس مصدرًا لأيست ، ولا هو أيضاً من لفظه ، وإنما هو مصدر (أست الرجل) أووسه إياسا ، سموه به كما سموه عطاء تفاؤلاً بالعطية))^٦ .

^١ المنصف / ١٠٥/٢

^٢ المصدر نفسه والجزء / ١٠٦

^٣ ينظر المصدر نفسه والجزء والصفحة .

^٤ اصلاح المنطق / ١٥١

^٥ تهذيب اصلاح المنطق / ٣٨٠/١

^٦ الخصائص / ٧١-٧٠/٢

كلمة (حيوان) مصدر له فعلٌ خلافاً لأبي عثمان

ذهب أبو عثمان المازني الى أنّ المصدر (الحيوان) ليس له فعل ، لأنه ليس في كلامهم (حيوتٌ) في ضوء ما نقله عن سيبويه ، وأنّ واو حيوان أصلية وغير مبدلة عن ياء . بقوله : ((وأما قولهم : (حيوانٌ) فإنه جاء على ما لا يستعمل . ليس في الكلام فعل مستعمل موضع عينه ياء ولامه واو ، فلذلك لم يشتقوا منه فعلاً ، وعلى ذلك جاء (حيوة) اسم رجل فافهمه ، وكان الخليل يقول : (حيوان) قلبوا فيه الياء واواً لنلا يجتمع ياءان استئقلاً للحرفين من جنس واحد يلتقيان ، ولا أرى هذا شيئاً ولكن هذا كقولهم (فاظ) الميِّت يفيظ فيظاً وفوظاً ، فلا يشتقون من فوظ فعلًا))^١.

إنّ الذي ذهب إليه أبو عثمان قد عدّه أبو علي غير صحيح وبهذا ذهب إلى أنّ للمصدر (حيوان) فعلاً ، لأنّ واوه مبدلة عن ياء ، فوافق مذهب الخليل وسيبويه وخالف أبا عثمان في ذهابه إلى أنّ واو حيوان أصلية غير مبدلة عن ياء .

قال ابن جني : ((قال لي أبو علي وقت قراءتي كتاب ابي عثمان عليه هذا الذي أجازه أبو عثمان فاسد من قبل أنه لا يمتنع أن يكون في الكلام مصدر عينه واو وفاؤه ولامه صحيحتان مثل (فَوْظٌ) و (صَوْغٌ) و (قَوْلٌ) و (مَوْتٌ) واشباه ذلك ، فأما أن يوجد في الكلام كلمة عينها ياء ولامها واو فلا ، فحمله (الحيوان) على (فَوْظٌ) خطأ ، لأنه شبه ما لا يوجد في الكلام بما هو موجود مطرد . وبهذا علمنا أن (حيوة) أصلها (حية) وأن اللام إنما قلبت واواً لضرب من التوسع وكرهية لتضعيف الياء ، ولأنّ الكلمة أيضاً علمٌ والأعلام قد يعوض فيها ما لا يوجد في غيرها نحو (مَوْهَبٌ) و (مَوْرِقٌ) و (مَوْظَبٌ) و (مَعْدِي كَرِبٌ) و (تَهْلَلٌ) و (مَزِيدٌ) و (مَكْوَرَةٌ) وغير ذلك مما يطول تعدادها))^٢

في ضوء هذا ذهب أبو علي إلى ما ذهب إليه الخليل وسيبويه ، في قلب الواو في (حيوان) عن ياء وأنّ حيوة كأنه من حيوتٌ كما نقل سيبويه عن قولهم : ((حيوةٌ كأنه من حيوتٌ وإن لم يُقَلْ ؛ لأنهم قد كرهوا الواو ساكنة وقبلها الياء فيما لا تكون الياء فيه لازمة في تصرف الفعل ، نحو يَوجَلُ حتى قالوا ييجلُ)^٣.

وقال سيبويه أيضاً نقلاً عن الخليل : ((وأما قولهم : حيوانٌ فإنهم كرهوا أن تكون الياء الأولى ساكنة ، ولم يكونوا ليلزموها الحركة ههنا والأخرى غير معتلة من موضعها ،

^١ المنصف / ٢٨٤-٢٨٥

^٢ سر صناعة الاعراب / ٢ / ٥٩٠-٥٩١

^٣ الكتاب / ٤ / ٣٩٩-٤٠٠

فأبدلوا الواو ليختلف الحرفان كما أبدلوا في رَحَوِيٍّ حيث كرهوا الياءات ، فصارت الأولى على الأصل ، كما صارت اللام الأولى في مُلِّ ونحوه على الأصل ، حين أبدلت الياء من آخره .))^١ فضلاً عن هذا يؤكد أبو علي أنّ (حَيَوَة) فيها كما في (حَيَوَان) في انقلاب الأول عن ياء كراهية اجتماع المثليين ولا يعدّان أصليين ، وفي هذه الحالة يكون للمصدر حيوان فعلاً ، ولكلمة (حيوة) أيضاً فعلاً وهما حييت ، وأن أصل (حَيَوَة) من حَيَة وأصل حيوان (حَيَّان) ، وأنه لا يعرف في الكلام كلمة عينها ياءً ولامها واو .

قال أبو علي: ((والقول عندي في (حَيَوَة) كالقول في (حَيَوَان) في أنّ الواو فيه مُنْقَلِبَةٌ عن الياء ، لأنّه اسمٌ مختصٌّ ليس باسم نوع وقد وجدنا هذه الاسماء المختصّة تُعَيَّرُ عمّا يكون عليه الأسماء الأول كقولهم : تَهَلَّلْ وموهَّب ، ومورد ، وحكمٌ تَهَلَّلْ والادغام وحكمُ الآخرين كسرُ العين ، فكذا (حَيَوَة) غُيِّرَ بابدال اللام منه كما غُيِّرَتْ هذه الأسماء الأخرى ، ويقوَّى هذه عِرَّةٌ ما عينه ياءٌ ولامه واوٌ ، وأنه لا يعرف في الكلام شيءٌ منه .))^٢

يبدو أنّ الذي ذهب إليه أبو علي هو الذي ذهب إليه الخليل وسيبويه بل نفسه الذي ذهب في هذه المسألة وهو الصواب ؛ لأنّه لا بدّ للمصدر من فعل ، فالخلاف والاستغراب في (حَيَو) أي الواو من (حَيِي) والقضية وجوب قلب الواو ياء إن وجدت فكيف حصل العكس ؟ فلو لم يسمع (حَيَوَة) اسماً لوجب القلب والادغام أي قلب الواو ياء وادغام الياءين .

المصدر على بناء فعول من اللازم .

قال ابن جني : ((أنشدنا أبو علي للأخطل : (من البسيط)

لَمَّا أَتَوْهَا بِمَصْبَاحٍ وَمَبْرَ لِهِمْ سَارَتْ إِلَيْهِمْ سُؤورُ الْأَبْجَلِ الضَّارِي^٣

لقد ورد مصدر بنات الواو على بناء الفعول نحو سرتة سُؤوراً وغرت غُؤوراً

قال سيبويه : ((وقالوا : سُرْتُهُ فَأَنَا سُورُهُ سُؤوراً ، وهو سائرٌ ، وقالوا : غُرْتُ فَأَنَا أَعُورُ غُؤوراً وهو غائرٌ ، كما قالوا : جَمَدٌ جُمُوداً وهو جامدٌ ، وقعد قُعوداً وهو قاعدٌ وسقط سقطاً وهو ساقطٌ ، وقالوا : غُرْتُ فِي الشَّيْءِ غُؤوراً وَغِيَاراً ، إِذَا دَخَلَتْ فِيهِ ، كَقَوْلِهِمْ يَغُورُ فِي الْغُورِ ... وقالوا : غَابَتِ الشَّمْسُ غُيُوباً ، وَبَادَتْ تَبِيدُ بِيُوداً ، كَمَا قَالُوا : جَلَسَ

^١ الكتاب / ٤ / ٤٠٩

^٢ البغداديات المسائل المشكلة / ٢٣٣

^٣ الأرجوزة / ١١٦

يَجْلِسُ جُلُوسًا ، ونَفَرَ يَنْفِرُ نَفُورًا . وقالوا : قام يَقومُ قِيَامًا ، وصَامَ يَصُومُ صِيَامًا ، كراهية للفعول))^١.

إنَّ المصدر (سَوَّور) جاء على الفعول وهو من فعل غير متعد (لازم) لأنه من الفعل (سار) وهو لازم ؛ لأنَّ مصدر اللّازم سَوَّورٌ وَسُوَّورٌ وَسُوَّرٌ فبناءً ((مصدر سار يسور على سَوَّور ، على ما يوجبُه القياس ، لأنَّه غيرُ متعدٍّ فجرى على الأصل . وهمزُه استتقالاً للضمة على الواو . أما المتعدي نحو سَوَّوتُه سُوءًا ، وَقَتُّه قُوتًا ، فإنَّ مصدره يكون على الفعل .))^٢

(وَجِهَةٌ) مصدر أم اسم

((قال أبو الفتح : قال لي أبو علي : الناسُ في (وَجِهَةٌ) على ضربين : فمنهم من يقول إنها مصدرٌ شَدَّ ، كما ذهب إليه أبو عثمان . ومنهم من يقول إنها اسمٌ لا مصدرٌ بمنزلة (وِلْدَةٌ ، وإِدَّةٌ))^٣

إنَّ كلمة (وَجِهَةٌ) فيها خلاف صرفي بين كونها مصدرًا شاذًّا عن القياس وكونها اسمًا جاء على أصله ، هذا الذي ذكره أبو علي وقد مال إلى كونها اسمًا جاء على أصله خلافًا لأبي عثمان الذي ذهب إلى أنه مصدر جاء به على الأصل ، في ضوء قوله تعالى : ((ولكلِّ وَجِهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا))^٤

قال أبو علي : (فأما قوله : ((وَجِهَةٌ)) فقد اختلف أهل العربية فيها ، فمنهم من يذهب إلى أنه مصدرٌ شَدَّ عن القياس فجاء مصححًا ، ومنهم من يقول : إنه اسمٌ ليس بمصدر جاء على أصله ، وأنه لو كان مصدرًا جاء مصححًا ، للزم أن يجيء فعله أيضًا مصححًا ، ألا ترى أن هذا المصدر إنما اعتلَّ على الفعل حيث كان عاملاً عمله ؛ وكان على حركاته وسكونه ؟ فلو صحَّ لصحَّ الفعل ؛ لأنَّ هذه الأفعال المعتلات ، إذا صحَّت في موضع تبعها باقي ذلك ، وفي أن لم يجئ شيءٌ من هذه الأفعال مصححًا دلالة على أن (وَجِهَةٌ) إنما صحَّ من حيث كان اسمًا للمتوجَّه ، لا كما رآه أبو عثمان من أنه مصدر جاء على

^١ الكتاب / ٥٠/٤ - ٥١

^٢ الكتاب / ٤ / ٥٠-٥١ هامش المحقق هارون .

^٣ المنصف / ٢٠٠/١

^٤ البقرة : ١٤٨

الأصل ، وما شَبَّهَهُ به من ((ضِيُونٌ وَحَيَوَةٌ وَبِنَاتِ أَلْبِيهِ)) لا يشبهه هذا ؛ لأن ذلك ليس شيءً منه جارياً على فَعْلٍ كالمصدر))^١.

يبدو أن الذي ذهب إلى أن (وَجْهَةٌ) مصدر جاء على الأصل ، جاء بحجته التي سوغها ، بـ (أنه خَرَجَ مخرج اسم موضوع نحو قولهم : (ضِيُونٌ) ، ورجاء بن حَيَوَةٌ ، ولا قياس في الأسماء الموضوعة وإنما يتبع فيها السماع لا غير))^٢.

أما الذي ذهب إلى أنه اسم فحجته فيها الواو وهي تثبت في الأسماء والهاء أيضاً التي لا تجعله من ضمن المصادر .

قال الجوهري : ((والاسم (الوَجْهَةُ والوَجْهَةُ) بكسر الواو وضمها . والواو تثبت في الاسماء كما قالوا وِلْدَةٌ وإنما لا تجتمع مع الهاء في المصادر))^٣.

قال الطوسي : ((وإنما أتم لأنه اسم لم يجئ على الفعل))^٤ أي أنه (وَجْهَةٌ) وليس (جِهَةٌ) .

الظاهر أن (وَجْهَةٌ) هي اسم جاء على أصله واتبع فيه السماع ؛ لأنه اسم موضوع هكذا قالت فيه العرب لأنه اسمٌ للتوجه عندهم ، فضلاً عن أنه لم يأت مصححاً ؛ لأنه لو كان مصححاً لجاء فعله مصححاً ، في حين أن فعله جاء معتلاً ، فوجه اسم للتوجه والجهة المصدر . ((قالوا : وَجَّهَ الحجر جهةً ماله يريدون هنا المصدر))^٥.

قال أبو حيان : ((وَجْهَةٌ اسم للمكان المتوجه إليه عند بعضهم فثبوت الواو ليس بشاذٌّ وكلام سيبويه يقتضي أنه مصدرٌ ثبوت الواو فيه شاذٌّ))^٦. لأن الأصل عنده وَعَدَّ : عِدَّةٌ ، وَصَلَ : صِلَةٌ ، وَزَنَ : زِنَةٌ ، وَجَّهَ : جِهَةٌ .

^١ الحجة للقراء السبعة / ٣٩٣/١

^٢ دقائق التصريف / ٢٤٠

^٣ الصحاح / مادة وجه

^٤ التبيين في تفسير القرآن / ٢٤/٢

^٥ مجمع البيان في تفسير القرآن / ٢٣٠/١

^٦ البحر المحيط / النهر الماد من البحر / ١ / ٤٣٧

المشتقات

اسم الفاعل وصيغ المبالغة

التفاوت في الاستعمال اللغوي بين اسم الفاعل وصيغ المبالغة :

(قال الشاعر : (من الطويل)

فما أنا من رزءٍ - وإنْ جَلَّ - جازعٌ
ولا بسرورٍ بعد موتك فارحٌ!! (١)

هذا الاستعمال يكون في الفعل الماضي غير المتعدي على وزن (فعل) نحو بطرَ بطراً وسلَسَ سَلْساً ، فإنْ كانَ متعدياً فبابه فاعل نوع لَقَمَ لاقِمَ ، ولحسَ لاحسَ . ولكنْ في بعض الأحيان يتداخل النوعان فيما بينهما في الاستعمال . (٢)

قال ابن جني : ((وقد يتداخل القبيلان ، قالوا حذرَ فهو حذرٌ . ومنه بيت الكتاب : (من الكامل)

حذرٌ أموراً لا تخافُ وآمنٌ
ما ليسَ مُنجيةً من الأقدارِ

وكانَ مجيء هذا على فعلٍ إنما جاز فيه لمجيئه متعدياً في بعض الأحوال بحرف جر نحو حذرتُ منه كفرقت منه . وقالوا ألمَ فهو آلمَ ، وسلَمَ فهو سالِمٌ وسلَسَ فهو سالسٌ . فَرِيٌّ على أبي علي وأنا اسمع : (من الرجز)

مكورةٌ غرَّتِي الوشاحِ السالسِ
تضحكُ عن ذي أشرٍ غضارسِ

وقال آخر : (من الرجز)

ليسَ بمنهُوكٍ ولا بمرضِ

وعليه جاء في البيت : جازع ، جزع ، أقيس ، كما قال الشنفرى (من الطويل) وقرأته على أبي علي .

فلا جَزَعٌ لخلّةٍ متكشفٍ
ولاسرْحٌ تحتَ الغنى أتخيلُ

فقوله في قافية البيت . فارح من باب سالس وسالم . وقد مر بي من القبيلين جميعاً شيء ما ذكرته كثير . (٣)

وهذا التداخل بين اسم الفاعل وصيغ المبالغة في الاستعمال أشار إليها سيبويه إذا أرادوا أن يبالغوا بالأمر أجروا اسم الفاعل مجراه إذا كان على بناء فاعل ، في حين إذا أرادوا المبالغة تحدثوا عنها ولاسيما في معنى فَعَلَ وفَعِيلَ ولكن من دون كثرة . فقال : ((وقد جاء في فَعَلَ وليس في كثرة ذلك ، قال ، وهو عمرو بن احمر (٤) : (من الكامل)

أو مسحلٌ شنجٌ عضادة سَمحجٍ
بسرّاته ندبٌ لها وكُومٌ

١- التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٤٣٥

٢- ينظر المصدر نفسه / ٤٣٥

٣- المصدر نفسه / ٤٣٦- ٤٣٧

٤- البيت للبيد / شرح ديوان لبيد / ١٢٥ ، وفيه (سنق) وليس (شنج) .

..... وَفَعِلَ أَقْلٌ مِنْ فَعِيلٍ بكَثِيرٍ . وَأَجْرُوهُ حِينَ بَنَوْهُ لِلجَمْعِ كَمَا أُجْرَى فِي الْوَاحِدِ لِيَكُونَ كِفْوَاعِلٌ حِينَ أُجْرَى مِثْلَ فَاعِلٍ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ طَرَفِهِ : (مِنْ الرَّمْلِ)

ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ

وَمَا جَاءَ عَلَى فَعَلٍ قَوْلُهُ : (مِنْ الْكَامِلِ)

مَا لَيْسَ مُنْجِيَةً مِنَ الْأَقْدَارِ)) . (١)

حَذَرَ أُمُورًا لَا تُخَافُ وَأَمِنٌ

يَبْدُو أَنَّ إِعْمَالَ فَعَلٍ وَفَعِيلٍ هُوَ مَذْهَبُ سَبِيئِيهِ ؛ لِأَنَّهُمَا مَعْدُولَانِ عَنِ (فَاعِلٍ) الْمُتَعَدِّي لِارْتِدَادِ الْمُبَالَغَةِ ، فَهَمَا يَعْمَلَانِ عَمَلَهُ قِيَاسًا عَلَى فَعُولٍ وَفَعَالٍ . أَيُّ كَمَا يَعْمَلُ فَعُولٌ وَفَعَالٌ يَأْخُذَانِ مَفْعُولًا بِهِ ؛ لِأَنَّهُمَا مِنَ الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّيِ كَذَلِكَ فَعَلٍ وَفَعِيلٍ يَأْخُذَانِ مَفْعُولًا بِهِ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ وَصِيغَتِي الْمُبَالَغَةِ فَعُولٌ وَفَعَالٌ . (٢)

اسم الفاعل من اللفيف المقرون نحو هوى منهوي غير متعد :

قال ابن جنى ((أنشدني أبو علي عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش - أراه قال قرأته عليه : (من الطويل)

بأجرامه من قلة النيق منهوي

وكم منزل لولاي طحت كما هوى

وإنما هو مطاوع هوى : إذا سقط ، وهوى غير متعد كما ترى ، وقد جاء في هذه القصيدة منهوي ، قال أبو علي : إنما بنى من هوى وهوى مُفْعَلًا لِضَرُورَةِ الشَّعْرِ ، وَعَلَى هَذَا قَالُوا ((شَوَيْتُ اللَّحْمَ فَانَشَوَى)) وَقَدْ قَالُوا ((اشْتَوَى)) وَلَيْسَ فِي كَثْرَةِ انْشَوَى)) . (٣)

يَبْدُو أَنَّ الضَّرُورَةَ الشَّعْرِيَّةَ هِيَ الَّتِي جَعَلَتْ الشَّاعِرَ يَشْتَقُّ مِنَ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْلَفِيفِ الْمَقْرُونِ عَلَى بِنَاءٍ فِيهِ إِضَافَةُ الْمِيمِ الزَّائِدَةِ وَكَسْرُ مَا قَبْلَ الْآخِرِ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْفِعْلَ الثَّلَاثِيَّ يَكُونُ اشْتِقَاقَ اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْهُ عَلَى وَزْنِ فَاعِلٍ وَلَكِنْ أَجَازَ ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ الصَّرْفِيِّينَ يُجَوِّزُونَ الْبِنَاءَيْنِ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْمُؤَدَّبُ : ((وَسُمِّيَ لَفِيفًا لِأَنَّهُ التَّفَتُّ فِيهِ حَرْفَانِ مَعْتَلَانِ بِحَرْفٍ تَقَدَّمَهُمَا صَحِيحٌ .. وَهُوَ يَدُورُ عَلَى وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : هَوَى يَهْوَى هَوَى ، فَهُوَ هَاوٍ ، وَذَلِكَ مَهْوِي ... وَالْوَجْهَ الثَّانِيَّ عَوَى يَعْوَى عَوَاءً ، فَهُوَ عَاوٍ إِذَا صَاحَ الذَّنْبُ)) . (٤)

اسم المفعول :

اسم يشتق من المصدر للدلالة على صفة من وقع عليه الحدث ، وبنائه يكون من الثلاثي المبني

١ - الكتاب ١١٢/١ - ١١٣

٢ - ينظر هامش هارون الكتاب ١١٣/١ .

٣ - المنصف ٧٢/١ - ٧٣

٤ - دقائق التصريف ٣٣٥/

للمجهول على وزن (مفعول) قياساً، نحو (قُتِلَ) (مَقْتُولٌ) ، أما من غير الثلاثي (المجرد والمزيد) فيكون بزيادة ميم مضمومة وفتح ما قبل الآخر ، نحو أخرجَ مُخْرَجٌ - جُرِّبَ مُجْرَبٌ ، قوتلَ مُقَاتِلٌ . فهو على وزن اسم الفاعل المشتق من غير الثلاثي بإضافة ميم مضمومة زائدة ، لكنه يفترق عنه بفتح ما قبل الآخر ، فاسم الفاعل كسر ما قبل الآخر ، نحو دحرج مدحرج واسم الفاعل مدحرج . (١)

قال سيبويه : ((وليس بين الفاعل والمفعول في جميع الأفعال التي لحقتها الزوائد إلا الكسرة التي قبل آخر حرفٍ والفتحة ، وليس اسم منها إلا والميم لاحقة أو لا مضمومة ، فلما قُتِلَ مُقَاتِلٌ ومُقاتِلٌ فجرى على مثال يُقاتِلُ ويُقاتِلُ ، كذلك جاءَ على مثال يتغافل ويتغافل ، إلا أنك ضمنت الميم وفتحت العين في يتغافل ؛ لأنهم لم يخافوا التباس يتغافل بها . فالأسماء من الأفعال المزيدة على يفعل ويفعل)) . (٢)

اسم المفعول (مشوب) . يكون (مشيب) :

قال ابن جني : ((فأما الخليل فيقوى مذهبه في أن المحذوف أو مفعول فيما ذكره أبو علي قول الشاعر : (من الطويل)

سيكفيك ضرب القوم لحمٍ معرضٌ وماءٌ قدور في القصاص مشيبٌ

فقال : قوله (مشيب) أصله (مشوب) ؛ لأنه من (شبت الشيء أشوبه) إذا خلطته بغيره ؛ فلو كانت الواو في (مشوب) واو (مفعول) لما جاز أن تقول فيها (مشيب) ؛ لأن واو (مفعول) لا يجوز قلبها إلا أن تكون لام الفعل معتلة نحو قولهم : (رُمي فهو رمي ، وقضي فهو مقضي) ولكن الواو في (مشوب) عين الفعل فقلبها ياء ، كما قلبها الآخر في قوله : (من الرجز)

أزمان عيناء سرور المسرور

عيناء حوراء من العين (الحير)

وأصله (الحور) لأنه جمع حوراء ، فالواو في (مشوب) عين الفعل بمنزلتها في (الحور) ، ألا ترى أنه قلبها في (مشوب) كما قلبها في (الحور) . وقد جاء مثل (مشيب) مما قلبت فيه عين الفعل وهو قولهم ((أرض مميت عليها)) يريدون : مموت عليها . و(غار منيل) وهو من الواو وأصله (منول) . قال أبو علي : معناه ينال ما فيه)) . (٣)

إن الذي ذكره أبو علي في ضوء قول الشاعر (مشيب) قد أشار إليه الخليل وسيبويه ، وما ذكره أبو علي إلا تأكيداً لما أشار إليه ، فقال سيبويه : ((وتقول في الياء : مبيع ومهيب ، أسكنت العين

١- ينظر ابنية الصرف في كتاب سيبويه/٢٨٠

٢- الكتاب/٤/٢٨٢

٣- المنصف /١/٢٨٨-٢٨٩

وأُذهِبَتْ واو مَفْعُول ، لِأَنَّهُ لَا يَلْتَقِي سَاكِنَانِ ، وَجُعِلَتْ الْفَاءُ تَابِعَةً لِلْيَاءِ حِينَ أُسْكِنْتَهَا كَمَا جَعَلْتَهَا تَابِعَةً فِي بَيْضٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ أَخْفَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَاوِ وَالضَّمَّةُ فَلَمْ يَجْعَلُوهَا تَابِعَةً لِلضَّمَّةِ ، فَصَارَ هَذَا الْوَجْهَ عِنْدَهُمْ ، إِذْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ أَنْ يَقْلِبُوا الْوَاوَ يَاءً وَلَا يَتَّبِعُوهَا الضَّمَّةُ فِرَارًا مِنَ الضَّمَّةِ وَالْوَاوِ ، إِلَى الْيَاءِ لِشَبْهِهَا بِالْأَلْفِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: مَشُوبٌ وَمَشِيْبٌ . وَغَارٌ مَنُولٌ مَنِيْلٌ ، وَمَلُومٌ وَمَلِيْمٌ ، وَفِي حُورٍ : ((حير))^١ . فِي حِينَ أَنْ أَبَا الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ قَدْ خَالَفَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ وَسَيَّبُوهُ وَأَكَّدَهُ أَبُو عَلِيٍّ ؛ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ الْمَحذُوفَ هُوَ عَيْنُ الْفِعْلِ لَا وَاوُ (مَفْعُول) ^٢ .

فَقَالَ : ((إِنْهُمْ لَمَّا اسْكَنُوا يَاءَ (مَبْيُوعٍ) وَالْقَوَا حَرَكَتَهَا عَلَى الْبَاءِ انضَمَّتِ الْبَاءُ ، وَصَارَتْ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ ، فَأُبْدِلَتْ مَكَانَ الضَّمَّةِ كَسْرَةً لِلْيَاءِ الَّتِي بَعْدَهَا ، ثُمَّ حَذَفَتْ الْيَاءُ بَعْدَ أَنْ أُلْزِمَتْ الْبَاءُ كَسْرَةً لِلْيَاءِ الَّتِي حَذَفْتُهَا ، فَوَافَقَتْ وَاوُ (مَفْعُولِ) الْبَاءَ مَكْسُورَةً ، فَانْقَلَبَتْ يَاءً لِلْكَسْرِ الَّتِي قَبْلَهَا ، كَمَا انْقَلَبَتْ وَاوُ (مِيزَانٍ ، وَمِيعَادٍ) يَاءً لِلْكَسْرِ الَّتِي قَبْلَهَا))^٣ .

أَمَّا أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِي فِيمِيلُ إِلَى رَأْيِ الْأَخْفَشِ وَيَعِدُّهُ الْأَقْيَسُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ يَعِدُّ كِلَا الْوَجْهَيْنِ حَسَنًا وَجَمِيلًا ^٤ .

وَذَهَبَ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ جَنِيٍّ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَثْمَانَ فِي تَرْجِيحِ رَأْيِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ عَلَى رَأْيِ الْخَلِيلِ وَسَيَّبُوهُ ؛ وَحِجَّتْهُ أَنْ وَاوُ (مَفْعُولٍ) جَاءَتْ لِمَعْنَى وَهُوَ الْمَدُّ ، وَالْعَيْنُ لَمْ تَأْتِ لِمَعْنَى ، وَحَذَفُ الَّتِي لَمْ تَأْتِ لِمَعْنَى أَوْلَى مِنَ الَّتِي تَأْتِي لِمَعْنَى ؛ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ كَمَا حَذَفَتْ يَاءُ (قَاضِي) فِي قَوْلِهِ (مَرَرْتُ بِقَاضٍ) ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَأْتِ لِمَعْنَى وَبَقِيَ التَّنْوِينُ ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ لِمَعْنَى الصَّرْفِ ، فَضْلًا عَنْ هَذَا أَنْ هَذِهِ الْعَيْنُ اعْتَلَتْ فِي ، بَاعَ وَبَيْعَ وَفِي أَصْلِ (مَبْيَعٍ) أُعْلَتْ بِالْإِسْكَانِ وَالْقَلْبِ كَذَا أُعْلَتْ بِالْحَذْفِ ، وَوَاوُ (مَفْعُولٍ) أَيْضًا لَمْ تَنْقَلِبْ وَتَعْتَلَّ فِي الْفِعْلِ فَتَرَكُّهَا وَحَذْفِ الْمَعْتَلِّ أَوْلَى وَوَجِبَ ^٥ .

يَبْدُو أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ هُوَ الْأَرْجَحُ وَالْأَسْهَلُ ، تَمْشِيًا مَعَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْتَقِي سَاكِنَانِ عِنْدَ إِسْكَانِ الْعَيْنِ وَوَاوُ مَفْعُولِ سَاكِنَةٍ ؛ لِأَنَّكَ أَلْقَيْتَ حَرَكَةَ الْيَاءِ عَلَى الْيَاءِ فَاءَ الْكَلِمَةِ وَأُسْكِنْتَ الْيَاءَ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْكَلِمَةِ فَالْتَقَى سَاكِنَانِ فَحَذَفْتَ وَاوُ (مَفْعُولٍ) ؛ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ وَكَانَ حَذْفُهَا أَوْلَى ثُمَّ إِنَّهُمْ مَالُوا إِلَى الْيَاءِ لِأَنَّهَا أَخْفُ مِنَ الْوَاوِ وَفِرَارًا مِنَ الضَّمَّةِ وَالْوَاوِ إِلَى الْيَاءِ وَالْكَسْرَةَ لَخَفْتُهَا ، فَضْلًا عَنْ أَنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ مِنْ نَقْلِ الْحَرَكَةِ وَالْحَذْفِ أَقْصَرُ فِي الْعَمَلِيَّةِ الصَّرْفِيَّةِ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَخْفَشُ فِي نَقْلِ الْحَرَكَةِ وَقَلْبِ الْوَاوِ وَالْإِزَامِ الْبَاءَ بِالْكَسْرِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْقَوَانِينِ الصَّرْفِيَّةِ الَّتِي قَدْ تَجَعَّلَ الْمُتَعَلِّمُ لِفَنِّ الصَّرْفِ يَعْرِضُ عَمَّا يَتَعَلَّمُهُ ، فَالْتَيْسِيرُ أَوْلَى مِنَ التَّعْقِيدِ فِي فَهْمِ الْقَوَاعِدِ الصَّرْفِيَّةِ . وَيُؤَكِّدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ مَا نَقَلَهُ أَبُو عَلِيٍّ عَنِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَنِ أَبِي عَثْمَانَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ : بَنُو تَمِيمٍ يَتَمَوَّنُونَ

^١ الكتاب/٤/٣٤٨

^٢ ينظر المنصف /١/ ٢٨٧ .

^٣ المصدر نفسه والجزء والصفحة .

^٤ المصدر نفسه /١/ ٢٨٨ .

^٥ ينظر المنصف /١/ ٢٨٩-٢٩٠ .

مفعولا من الياء فيقولون ثوبٌ مخيوطٌ وبرٌ مكيولٌ)) وهذا دليل على أن القبائل الأخرى لاتتم (مفعول) وانما تقلب واو المفعول ياء فتقول مَخِيطٌ مَكِيلٌ ، فالقلب يكون في واو (مفعول) لافي عين الكلمة .

صيغة مفعول من أفعال :

قال ابن جني في (باب في نقص العادة : ((ماجاء عنهم من افعلته فهو مفعول ، وذلك نحو : أحببته فهو محبوب ، وأجنه الله فهو مجنون ، وأزكمه فهو مَرَكوم ، وأكزه فهو مكروز واقره فهو مقرر ، وآرضه الله فهو ماروض ، وأملاه الله فهو مملوء ، وأضاده الله فهو مضئود ، وأحمه الله - من الحمى - فهو محموم ، وأهمه - من الهم - فهو مهموم ، وازعقته فهو مزعوق أي مذعور ، ومثله ما أنشدناه أبو علي من قوله: (من الطويل)

إذا ما استحمت أرضه من سمائه جرى وهو مودوعٌ وواعدٌ مصدقٌ

وهو من أودعته . وينبغي ان يكون جاء على ودع))^٢ .

هذا الذي أشار إليه ابن جني في ضوء ما أنشده أبو علي ذهب إليه سيبويه وعده من باب ماجاء فعل منه على غير فعلته ، بقوله : ((وكذلك أحرزته وأحببته . فاذا قلت محزونٌ ومحبوبٌ جاء على غير أحببت . وقد قال بعضهم : حببت ، فجاء به على القياس))^٣ .

الظاهر أن سيبويه أشار إلى أن اسم المفعول يشتق من الفعل المبني للمجهول لا الفعل المبني للمعلوم ولأسيما من الفعل المتعدي على الرغم من أن الفعل اللازم بينى للمجهول ويشق منه اسم المفعول ، ولكن المتعدي أولى ؛ لأنه يأخذ مفعولاً به ، أما أبو علي وابن جني فقد أشارا فيما زعما من رأي إلى أن المتعدي نحو أحببته كأنه على محبوب من باب ايراد الشيء على خلاف العاده ، أي أن الهاء في أحببته أو أودعته كأنها تكافيء المفعول من حيث المعنى لامن حيث البناء واللفظ . فضلا عن هذا أن سيبويه أخذ اسم المفعول من الفعل الثلاثي المزيد على بناء مفعول نحو احببته فهو محبوب على غير قياسه ، كما أن أبا علي وابن جني قد جعلاً أخذ اسم المفعول من الثلاثي المزيد أيضاً على مفعول فكان الفعل أصلاً أنه مبني للمجهول كما في زكِمَ مَرَكوم ، وهذا يدل على تمكن المفعول عندهم ؛ لأنهم يهمانه ويعنيان به^٤ .

قال أبو علي : ((فهذا يدل على تمكن المفعول عندهم ، وتقدم حاله في أنفسهم ؛ إذ أفردوه بأن صاغوا له صيغة مخالفة لصيغته وهو للفاعل))^٥ .

^١ ينظر المقتضب من كلام العرب لابن جني / ٨ .

^٢ الخصائص / ٢١٦/٢ .

^٣ الكتاب / ٦٧/٤ .

^٤ ينظر الكتاب / ٣٤/١ و الخصائص / ٢١٨/٢ .

^٥ الخصائص / ٢١٨/٢ .

قال ابن جنى : ((حتى تجاوزوه إلى أن غيروا عدة الحروف مع ضمّ أوله ، كما غيروا في الاول الصورة والصيغة وحدها . وذلك نحو قولهم : أَحَبَبْتُهُ وَحُبَّ ، وَزَكَمَهُ اللهُ وَزَكِمَ ، وَأَضَادَهُ اللهُ وَضُئِدَ ، وَأَمْلَأَهُ اللهُ وَمَلِئَ))^١ .

الاسم المقصور

دِمَا

قال ابن جنى : ((إنه اسم مقصور ألفه في آخره لام فعله ، كقولك : يقوم الفتى وقد جاء بذلك الشعر أنشدنا أبو علي ، (من الرمل) :

كَأَطُومٍ فَفَقَدْتُ بُرْغَزَهَا أَعَقَبَتَهَا الْغُبْسُ مِنْهُ عَدَمَا
غَفَلْتُ ثُمَّ أَتَتْ تَرْقِبَهُ فَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَدِمَا^٢ .

الظاهر ان (دِمَا) عند أبي علي وابن جنى اسم مقصور ، في حين أنه في رواية الأصمعي اسم ممدود (دماء) ثم قصر الممدود وأصبح (دِما) .^٣
اما أبو العباس ثعلب فيعده من الأسماء التي نقص منها لامها ، وحجته أصله دَمَى ؛ لأنَّ عند تثنيته يكون دميان والفعل دميت والجمع دماء .^٤

إنَّ الذي قال به أبو العباس ثعلب هو رأي سيبويه الذي قال : ((هذا باب ما ذهبت لامه فمن ذلك دَمٌ . تقول : دُمِي ، يدلُّك دِمَاءٌ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْبِاءِ أَوْ مِنَ الْوَاوِ وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً يَدٌ ، تقول : يُدِيَّةٌ ، يدلُّك أَيْدٍ عَلَى أَنَّهُ مِنْ بِنَاتِ الْبِاءِ أَوْ الْوَاوِ . ودماءٌ وأيدٍ دليلان على أن ما ذهب منهما لام))^٥ .

مَقْتَى

قال ابن جنى : ((ونظير هذا من الجمع الذي على حدِّ التثنية ؛ مما لم ينطق له بواحد : قول عمرو بن كلثوم : (من الوافر)

تَهَدَّدْنَا وَأَوْعَدْنَا رُؤَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأُمَّكَ مَقْتَوِيْنَا

^١ الخصائص/٢/٢١٨ .

^٢ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/١٨٩ .

^٣ ينظر مجالس العلماء/٢٥٠ .

^٤ ينظر المصدر نفسه ٢٥١ .

^٥ الكتاب/٣/٤٥١ .

ف (مَقْتَوِين) مثاله (مَفْعَلِين) ، ولولا أَنَّهُ بناه على الجمع في أول أحواله لوجب أن يقول : ((مَقْتَوِين)) ، كما تجمع (مَغْرَى) اسم رجل في الجر والنصب : (مَغْرِين) لآته بمنزله (مُصْطَفِين) وواحد (مَقْتَوِين) في القياس : (مَقْتَى) ؛ (مَفْعَلٌ) من (القَتْو) وهو الخدمة ، فكما لا يجوز أن تقول في جمع (مَغْرَى : مَغْرَوِين) فتصحح الواو لتحركها وانفتاح ما قبلها ، (وإنما يقال : مَغْرِين) فكذلك كان يجب ان تقول : (مَقْتَوِين) فتحذف اللام لسكونها وسكون حرف الإعراب بعدها ؛ ولكنه لما بناه على الجمع صحت الواو كما صحت في (مِذْرَوَان)))^١ .

إنّ هذا البناء تصحّ فيه الواو في نظر الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - لآته بمثابة النسب عنده نحو الأشعري والأشعريين .

قال سيبويه : ((وسألوا الخليل عن مَقْتَوِيٍّ ومَقْتَوِينِ ، فقال : هذا بمنزلة الأشعري والأشعريين))^٢ أما سيبويه : الواو جاءت على الأصل كما في مَقَاتِوَة ، او بمنزلة مِذْرَوِينِ بقوله : ((فإن قلت : لم لم يقولوا مَقْتَوُونٌ ؟ فإن شئت قلت : جاءوا به على الأصل كما قالوا : مَقَاتِوَة . حدثنا بذلك أبو الخطاب عن العرب . وليس كل العرب يعرف هذه الكلمة . وإن شئت قلت : هو بمنزلة مِذْرَوِينِ ، حيث لم يكن له واحد يُفْرَد))^٣ .

ويعدّ أبو سعيد السيرافي هذا البناء (مَقْتَوِين) شاذّاً ؛ لأنّ في جمعه وجهين أمّا على النسبة فيصبح مَقْتَوِيٍّ فيجمع مَقْتَوِيُون أو على حذف ياء النسب فيقال : مَقْتَوُون ، وفي الوجهين تثبت الواو وتصح على الأصل . وهذا بقوله : ((اعلم أنّ مَقْتَوِيٍّ شاذٌّ من وجهين وذلك ان الواحد مَقْتَوِيٍّ منسوب الى مَقْتَى وهو مَفْعَلٌ من القَتْو وهو الخدمة والمَقْتَوِيٍّ الخادم ونُسب إلى مَقْتَى مَقْتَوِيٍّ ، كما يقال في ملهى ملهوي ، فإذا جمع على لفظه وجب أن يقال مَقْتَوِيُون كما يقال في تميمي تميميون ، وإذا جمع على حذف ياء النسبة بقي مَقْتَو وتقلب الواو ألفا كما يقال في مُصْطَفَى مُصْطَفَوْن ، فأحد وجهي شذوذه إثبات الواو فيه قبل ياء الجمع ، والآخر حذف ياء النسبة وإثبات الواو فيه ؛ أنهم جعلوها صحيحة غير معتلة فجاءوا بها على الاصل كما قالوا : مَقَاتِوَة ، وكان حق هذا ان يقال مَقَاتِوَة ولم تجئ واو طرفا قبلها كسرة وان كان بعدها هاء التانيث إلا هذا الحرف))^٤ .

أمّا أبو علي فذهب كما ذهب الخليل في صحة الواو لإرادة النسب ، بقوله : ((ويحتمل عندي وجهاً ثالثاً ، وهو أن يكون صحّح الواو ليكون ذلك أمارة لإرادة النسب كما صحت الواو في (عَوْر) ليكون ذلك أمارة لإرادة : (اعوْر)))^٥ .

^١ المصنف / ١٣٣/٢ .

^٢ الكتاب / ٤١٠/٣ .

^٣ المصدر نفسه والجزء والصفحة .

^٤ هامش هارون (الكتاب) / ٤١٠/٣ .

^٥ المصنف / ١٣٣/٢ .

الاسم المنقوص

ياؤه تحذف عند الوقف والوصل :

قال ابن جنى : ((ومن العرب مَنْ يشبّه الياء بالألف لقربها منها فيقول : (لَنْ يَرْمِيَ) بإسكان الياء ، ويقول على هذا : (رأيت قاضٍ) فيجعل الاسم في الأحوال الثلاث على صورة واحدة ، كما تقول : ((هذه عصاً ، رأيت عصاً ، ومررت بعصاً)) بلفظ واحد . قال الشاعر أنشدنا أبو علي : (من الطويل)
أَكْأَشِرُ أَقْوَامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى
صَدُورَهُمْ بَادٍ عَلِيٍّ مَرِاضُهَا
يريد : باديا))^١ .

يفهم من كلام أهل اللغة والنحو أَنَّ الاسم المنقوص تحذف ياءه إذا كان نكرة أي ليس فيه ألف ولام ، أما إذا كان معرفة فلا تحذف ، وبعض العرب مَنْ يحذفها مع أنها معرفة بالألف واللام ، وعند الحذف يجعل الاسم في حالات الإعراب الثلاث على صورة واحدة نحو (هذا قاضٍ) (ورأيت قاضٍ) ، (ومررت بقاضٍ) وبعض العرب من يثبت الياء في النصب فيقول (رأيت قاضياً) . وبعضهم مَنْ يثبتها عند نكرتها .

قال سيبويه : ((هذا باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات وذلك قولك : هذا قاضٍ ، وهذا غازٍ . وهذا عمٌ ، تريد العمي . أذهبوها في الوقف كما ذهبت في الوصل ، ولم يريدوا أَنْ تظهر في الوقف كما يظهر ما يثبت في الوصل . فهذا الكلام الجيد الأكثر . وحدثنا أبو الخطاب ويونس أَنَّ بعضَ مَنْ يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا رامي وغازي ، وعمي ، أظهروا في الوقف حيث صارت في موضع غير التنوين ؛ لأنهم لم يُضطَرُّوا ههنا إلى مثل ما اضطَرُّوا إليه في الوصل من الاستئصال . فإذا لم يكن في موضع تنوين فإنَّ البيان أجود في الوقف . وذلك قولك : هذا القاضي ، هذا العمي . لأنها ثابتة في الوصل . ومن العرب من يحذف هذا في الوقف ، شبّهوه بما ليس فيه ألف ولام ، إذا كانت تذهب الياء في الوصل في التنوين لو لم تكن الألف واللام))^٢ .

وهذا الذي ذهب إليه سيبويه ومارواه من غيره قد أكده أبو علي في كتابه المسائل الشيرازيات مستندا إلى كلام سيبويه بقوله : ((أما القاضي والغازي والرامي والداعي ونحو ذلك من الأسماء التي أواخرها ياء قبلها كسرة ، فليس يخلو من أَنْ يكون فيه الألف واللام أو أَنْ لا يكونا فيه ، فإذا لم يكونا فيه ، لحق التنوين ، وحذفت الياء لالتقاءهما ساكنة مع التنوين الساكن ، وذلك نحو : هذا قاضٍ يحكم . وهذا غازٍ يركض . وصورة الجر كصورة الرفع . كما يحذف من سائر الأسماء الموقوف عليها في الرفع والجر ، واسكن في الوقف ما كان في الوصل متحركا . وحكى سيبويه عن يونس وأبي الخطاب أَنَّ ناسا من العرب ، يقولون : هذا قاضي إذا وقفوا ، فردوا في الوقف الياء التي كانوا حذفوها في الوصل لالتقاء الساكنين . كما أمّنوا من أجل الوقف لحاق الساكن الثاني الذي كانت الياء

^١ المنصف ١١٤/٢ .

^٢ الكتاب ١٨٣/٤ .

حذفت لالتقائهما معه وهو التنوين . فإذا ألحق الاسم الالف واللام لم تحذف نحو هذا القاضي ، وذلك الراعي ، يثبت الياء في الوقف ، لانها كانت ثابتة في الوصل قال سيبويه : ومن العرب من يحذف هذا في الوقف فيقول : هذا القاض وهذا الغاز ، شبهوها بما ليس فيه ألف ولام . وكأنهم جعلوا الألف واللام بمنزلة التنوين ، فحذفوا الياء معها كما حذفوها مع التنوين لما كان كل واحد يعاقب الآخر ، واثبات الياء في هذا أقيس وأكثر))^١ .

يبدو أن ياء الاسم المنقوص تحذف عند الوقف والوصل معاً ولاسيما إذا كان الاسم نكرة ومنوناً أما إذا كان غير منون وفيه الالف واللام فلا تحذف ، ومن العرب الموثوق بهم يحذفونها فيقولون هذا القاض . ومنهم من يثبتونها حتى إذا كان نكرة نحو (هذا قاضي) ولكن اثباتها مع الالف واللام هو الأجود عند سيبويه والأقيس والأكثر عند أبي علي ، نحو : هذا القاضي ، ولا سيما عند الوقف لانها ثابتة عند الوصل .

ما يحذف لامه عند الحاقه بجمع المذكر السالم

ظبة ظبون

قال ابن جني : ((قال أبو علي : إنما يُجمع من هذا المعتلّ بالواو والنون ما كان محذوف اللام نحو : بُرّة وبرُونٍ وظُبةٍ وظُبونٍ . وكُباً : ليس بمحذوف اللام ، فإمّا أن يكون حذف اللام للضرورة ثم جمع بالواو والنون بعد الحذف . وإمّا أن يكون جمع واحدٍ محذوف اللام لم ينطقوا به واستغنوا عنه بهذا التام))^٢ .

لقد ذهب ابن جني في (كُبا) بالواو والنون لانها رويت عن العرب وهي مجموعة جمع مذكر سالم وذلك في قول كميت : (من الوافر)

وبالعَدَوَاتِ مَنبِتًا نُضَارٌ وَنَبْعٌ لَأَفْصَافِصُ^٣ فِي كُبِينَا

يريد جمع الكُبا وهو كُساحة البيت مثل الزُبالة^٤ وجمع كُبة كُبون وهو كُبِين ، والكُبا بالكسر ، والمضموم جمع كُبة وهو البعر أو فضلات الحيوانات^٥ .

إنَّ بُرّةً وظُبةً هي من بنات الحرفين التي فيها هاء التانيث وهذه جمعت عند العرب جمعاً بالتاء وبالواو والنون أي جمع مؤنث سالم وجمع مذكر سالم ، ففي المؤنث السالم لاتغير في البناء أمّا في المذكر السالم فيكون تغيير في الكلمة هذا ما ذكره سيبويه بقوله : ((وأمّا ماكان من بنات الحرفين وفيه الهاء للتانيث فإنك إذا أردت الجمع لم تكسره على بناء يرُدُّ ماذهب منه ، وذلك لأنها فُعِلَ بها مالم يُفَعَلَ بما فيه الهاء ممّا لم يُحذف منه شيءٌ ، وذلك أنهم يجمعونها بالتاء والواو والنون كما

^١ المسائل الشيرازيات / ١٧ .

^٢ المنصف / ٢٣/١ .

^٣ نضار : الارض الطيبة / فصاص : الارض الطيبة .

^٤ ينظر المنصف / ٢٢/١-٢٣ .

^٥ ينظر لسان العرب / مادة كبا .

يجمعون المذكر نحو :مُسَلِّمِينَ ؛فَكَأَنَّهُ عَوْضٌ ،فَإِذَا جَمَعْتَ بِالتَّاءِ لَمْ تَغَيِّرِ البِنَاءَ .وذلك قولك : هَنَاءٌ وَهَنَاتٌ ، وَفِنَاءٌ وَفِنَاتٌ ، وَشِيَاءٌ وَشِيَاتٌ وَثَبَاتٌ وَثَبَاتٌ وَقَلَاتٌ .وَرُبَّمَا رَدُّهَا إِلَى الْأَصْلِ إِذَا جَمَعُوها بِالتَّاءِ ،وذلك قولهم سَنَوَاتٌ وَعِضَوَاتٌ . فَإِذَا جَمَعُوا بِالوَاوِ وَالنُّونِ كَسَرُوا الحَرْفَ الْأَوَّلَ وَغَيَّرُوا الاسمَ .وذلك قولهم : سِنُونٌ وَقَلُونٌ وَثَبُونٌ وَمِئُونٌ ، فَإِنَّمَا غَيَّرُوا أَوَّلَ هَذَا لِإِنَّهُمْ الحَقُّوا آخِرَهُ شَيْئًا لَيْسَ هُوَ فِي الْأَصْلِ لِلْمَوْنِثِ وَلَا يَلْحَقُ شَيْئًا فِيهِ الهَاءُ لَيْسَ عَلَى حَرْفَيْنِ . فَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ غَيَّرُوا أَوَّلَ الحَرْفِ كِرَاهِيَةً أَنْ يَكُونَ بِمَنْزِلَةِ مَا الْوَاوِ وَالنُّونِ لَهُ فِي الْأَصْلِ نَحْوَ قَوْلِهِمْ :هُنُونٌ وَمِئُونٌ وَبِنُونٌ)) .^١

إن جمع هذه الكلمات من بنات الحرفين جمع مذكر سالم أي بالواو والنون ، هو الأقيس عند أبي علي ؛ لأنّ الواو هي عوض عن المحذوف ،فضلا عن أن يغيّر الاسم عما كان عليه قبل الجمع ، واحتج بقول يونس ((إِنْهُمْ يَقُولُونَ حَرَّةً وَإِحْرُونَ))^٢ فقد زادوا حرفا في أول الكلمة وذلك تأكيدا منهم على التغيير^٣ .

قال ابن جنى : ((فَإِنْ قُلْتَ : فما تقول في قولهم في جمع (ثَبَّة) و(ظُبَّة) و(مئة) و(رئة) و(سنة): (ثَبُون) و(ظَبُون) و(مِئُون) و(رِئُون) و(سِنُون) . أنشد أبو زيد وأنشدناه أبو علي : (من الطويل)
فَعِظْنَاهُمْ حَتَّى أَتَى الغَيْظُ مِنْهُمْ قُلُوبًا وَأَكْبَادًا لَهُمْ وَرِئِينَا
وكل واحد من هذه الاسماء مؤنث ،وليس واقعا على ذي عقل .وكذلك (بُرَّة) و(بُرُون) و(عِضَّة) و(عِضُون) و(قُلَّة) و(قُلُون) فكيف جاز جمع هذا بالواو ؟ فالجواب : أن هذه أسماء مجهودة منتقصة وذلك ان لاماتها قد حذفت))^٤ .

أما في (كُبا) فمخالفة القياس الذي حدده النحاة ؛ لأنّه غير محذوف اللام ، كما في سَنَة وَثَبَة وَظُبَة والتي تلحق بجمع المذكر السالم ، وهذا لا يكون في (كُبا) ؛ لأنّ الكُبا :مقصورة ، قالوا في تثنيته كُبوان ؛ لِإِنَّ أَلْفَهُ وَاوٌ ، وَأَمَّا إِمَالَتُهُمْ إِيَّاهَا فَلَيْسَ لَكُنْ أَلْفُهَا مِنَ الْيَاءِ ، وَإِنَّمَا عَلَى التَّثْنِيَةِ بِمَا يَمَالُ مِنَ الْأَفْعَالِ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ نَحْوَ (غَزَا) ، فَضَلًّا عَنْ هَذَا أَنَّهَا لِاتِّجَاعِ جَمْعِ مَذْكَرِ سَالِمٍ بَلْ تَجْمَعُ جَمْعَ تَكْسِيرِ نَحْوِ (أَكْبَاء) مِثْلَ مَعَى أَمْعَاءِ ، وَالْكُبَّةُ مِثْلُهُ وَالْجَمْعُ كُبِينٌ^٥ .

قال ابن جنى : ((قال : - يعني أبا علي - فحذف لام(الكُبا) ثم جمعه بالواو والنون عوضا مما حذف ولا يجوز أن يكون جمعه هكذا من غير حذف لأنّه إذا كان تاما لم يتدارك بهذا الجمع ولم يعوضه من التوهين اللاحق له))^٦ .

^١ الكتاب ٥٩٨/٣ وينظر التكملة /٤٣٠-٤٣١ .

^٢ ينظر الكتاب /٦٠٠/٣ .

^٣ ينظر التكملة /٤٢٨ .

^٤ سر صناعة الاعراب /٦٠١/٢ وينظر النوادر في اللغة /٢٤ .

^٥ ينظر لسان العرب /مادة كبا .

^٦ التنبية على شرح مشكلات الحماسة /٣٥٠ .

من فعلة فعلات

سكون العين في المفرد وكسرها في الجمع

قال ابن جنى : ((قال أبو علي : وقولهم : ((سدرات ، وكسرات) ، واطراد الكسرتين مع قلة ذلك في الآحاد ، إنما جاز ؛ لأنّ للبناء على التأنيث نحواً ليس لغيره))^١ .

المعروف أنّ جمع المؤنث السالم يحصلُ بادخال على مفرده ألف وتاء ويعطي بذلك معنى القلة في الجمع ، ويحدث فيه تغيير في حركة عينه ولاسيما في بناء (فعلة) فإنّها تُحرّك نحو الكسر (سدرّة سدرات) ، وهذا ما أشار إليه سيبويه بقوله : ((وما كان (فعلة) فإنّك إذا كسرتّه على بناء أدنى العدد أدخلت التاء وحركت العين بكسرة ، وذلك قولك : قريبات وسدرات ، وكسرات . ومن العرب من يفتح العين كما فُتحت عينُ فعلة ، وذلك قولك : قريبات وسدرات ، وكسرات ، ... ومن قال غُرَفَاتُ فَخَفَّافٌ قال : كسرات))^٢ .

إنّ أبا علي استنقى معلوماته من قول سيبويه ؛ لأنّه كررَ ماقاله ولاسيما حركة العين الى الكسر في ضوء الامثلة التي ذكرها سيبويه ، فقال أبو علي : ((وما كان على فعلة أدخلت فيه الألف والتاء وكسرت العين وذلك قريبة وقريبات ، سدرّة وسدرات ومن قال غُرَفَاتُ قال سدرات))^٣ .

إنّ كسر العين في فعلة هو القياس ، ولكن ابقاء عينها ساكنة سببه الهروب من استئصال الكسرتين . قال ابن جنى : ((إنّما كان الإسكان أكثر ؛ لأنّهم قد قالوا في جمع (سدرّة : سدرات) فاسكنوا الدال هرباً من اجتماع كسرتين ، والقياس كسرها ، ولو لم يسكنوها لما وجب انقلاب شيء))^٤ . ويتضح من هذا أنّ أبا علي أجاز الكسر واطراد الكسرتين ؛ لأنّ الكسر القياس وهو يهتم بالقياس ويفضله غالباً على السماع .

هنة هنت : هنوات وهنات

قال ابن جنى : ((يقال في جمع هنت : هنات وهنوات ، أنشدنا أبو علي (من الطويل)

نريد هنات من هنين فتلتوى
علينا ونأبي من هنين هنات

وأنشدنا أيضاً (من الطويل) :

أرى ابن نزار قد جفاني ورأبني
على هنوات شأنها متتابع

فمن قال هنات فقياسه إذا نسب إلى هنت أي يجيز في هني وإن شاء قال : هنوي . ومن قال

هنوات فقياسه هنوي لاغير . ووزن هنت فعله وأصلها هنوة ، فابدلت اللام تاء))^٥ .

^١ المصنف / ٢٩٤/٢ .

^٢ الكتاب / ٣/ ٥٨٠-٥٨١ .

^٣ التكملة / ٤١٨ .

^٤ المصنف / ٢٩٣-٢٩٤ .

^٥ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٢٦٣/٢٦٤ .

اعتمد ابن جنى على كلام أبي علي في ضوء جمع (هنة) في ردّ المحذوف أو عدم ردّه فقال أبو علي : ((وأما ما ردّوه في الجمع بالألف والتاء إلى الأصل ، فنحو سنّواتٍ وعِصّواتٍ وقالوا :هنّاتٌ وهنّواتٌ ، فردّوا ولم يرُدّوا ، قال : (من الطويل)

* على هنّواتٍ شأنها متتابعٌ *

وقال : (من الطويل)

وقالت لي النفسُ : اشعب الصدعَ واهتبلُ لإحدى الهنّاتِ المعضلاتِ اهتبالها))^١
عند الجمع في التاء جائز أن يرُدّ ما حذِف من الكلمة وهو لامها فيقال هنّواتٌ أو لم يرُد فيقال هنّاتٌ ، وهذا وارد عند العرب كما ذكر سيبويه بقوله : ((واعلم ان من العرب من يقول : هذا هنّوكُ ورأيتُ هنّاكُ ومررتُ بهنّيكُ ، ويقول : هنّوانٌ فيجرّيه مجرى الأب . فمن فعل ذا قال :هنّواتٌ ، يرُدّه في التثنية والجمع بالتاء ، وسنةً وسنّواتٍ))^٢.

وصرح سيبويه بجمع هنة بالتاء ولا تجمع غير هذا الجمع بقوله : ((وأما هنةٌ ومنةٌ فلا تُجمعان إلا بالتاء ؛ لانهما قد ذُكرتا))^٣.

^١ التكملة / ٤٢٩-٤٣٠ .

^٢ الكتاب / ٣ / ٣٦٠ .

^٣ المصدر نفسه / ٣ / ٥٩٨ .

جموع التكسير

جموع التكسير نوعان : هما جموع قلة وجموع كثرة ، ولكل منهما أبنية خاصة به

جموع القلة

بناء أفعل : نحو (أشد)

قال ابن جني : ((يتفق العلماء في مثال الجمع ، وتراهم مختلفين في الواحد ، ألا ترى الى قوله عز اسمه : ((حتى إذا بلغ أشده))^١ فمذهب سيبويه فيه أنه جمع ((شدة)) قال : ومثاله نعمة وأنعم)). وحدثننا أبو علي أن أبا عبيدة ذهب إلى أنه جمع (أشد) على حذف الزيادة . قال : وقال أبو عبيدة : وربما استكروها في الشعر على حذف الزيادة وأنشد لعنترة : (من الكامل)
عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا
خَضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعَظِيمِ))^٢ .

في ضوء مذهب سيبويه يكون هذا البناء قليلا وعريزا في غير الأصل هذا ظاهر قوله : ((وقد كُسرَت فِعْلَةٌ عَلَى (أَفْعَلٍ) وذلك قليل عزيز ليس بالأصل . قالوا : نِعْمَةٌ وَأَنْعَمٌ وَشِدَّةٌ وَأَشَدُّ))^٣ .
أما أبو عبيدة فقد ذهب إلى الجمع من غير زيادة فقال : إنه جمع (أشد) أو أنه لا واحد له من لفظه بقوله : ((ولا واحد له منه ، فإن أكرهوا على ذلك قالوا : أشد ، بمنزلة ضب والجميع أضب))^٤ وقال أيضا : ((وموضع أشده موضع جميع ، ولا واحد له من لفظه . قال الفراء والكسائي : واحد الأشد : شد على فَعْلٍ وَأَفْعَلٍ مثل بحر وأبجر ، أشده مضعف مشدد))^٥ .
يفهم من قول أبي علي الذي أورد فيه رأي أبي عبيدة أنه يذهب مذهب أبي عبيدة في جمع المضعف دون زيادة على بناء (أفعل) . بقوله : ((وأبنية الجمع القليل أفعل .. وذلك نحو كعب وأكعب ... ومن المضاعف صك وأصك وبت وأبت ، وضب وأضب))^٦ .

بناء أفعال إما من قري أو قرو أي : أقراء

عند أبي علي جمع قري ؛ لانه يوافق يعقوب ابن السكيت فيما ذهب إليه
قال ابن جني : ((قال يعقوب : واحد الأقرء : قري ، وهو مسيل الماء الى الرياض .^٧ وقال أبو جعفر الرستمي : الأقرء : جمع القرو ، وهو الذي يتخذ من أصول النخل ينبذ فيه . قال أبو علي :

^١ الاحقاف / ١٥ .

^٢ سر صناعة الاعراب / ٦٠٨/٢ - ٦٠٩ .

^٣ الكتاب / ٥٨١/٣ - ٥٨٢ .

^٤ مجاز القرآن / ٣٧٨/١ .

^٥ المصدر نفسه / ٩٩/٢ .

^٦ النكلمة / ٣٩٩ .

^٧ الابدال / ٩٠ .

القول ما قاله يعقوب ، وليس ما أنكره عليه أبو جعفر بمنكر . قال : ونظير ما ذهب إليه يعقوب في أنه وصفه بالتعرب ولزوم الأماكن الموحشة المقفرة^١ .

يبدو أن أبا علي قد أيد قول يعقوب ؛ لأنه فسر معنى الأقرء في ضوء معنى اطعام الضيف ، فالقري معناه الضيف أو إكرامه ، فضلاً عن أن قريت الماء في الحوض أي أوصلته له ، فهو في هذا المعنى يفهم أن الأقرء : من القري ، لا من القرو .

قال ابن فارس : ((قرى : القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع وأجتمع . ومن ذلك القرية ، سُميت قرية لاجتماع الناس فيها . ويقولون : قريت الماء في المقرة : جمعه ، وذلك الماء المجموع قري . وجمع القرية قري ، جاءت على كسوة وكسى . والمقرة : الجفنة ، سُميت لاجتماع الضيف عليها ، لما جمع فيها من طعام . ومن الباب القرو ، وهو كالمعصرة ... والقرو حوض معروف ممدود عند الحوض العظيم ، ترده الإبل . ومن الباب القرو ، وهو كل شيء على طريقة واحدة))^٢ .

يفهم من كلام ابن فارس أن ما ذهب إليه يعقوب ابن السكيت وأيده أبو علي هو الأرجح في واحد الأقرء : قري لأن جذر الكلمة دال على التجمع ، ومسيل الماء يؤدي إلى التجمع أيضاً .

بناء أفعال من باز ، أي : أبواز

قال أبو الفتح : ((أخبرني أبو علي ، أنه يقال : باز وجمعه بواز وبزاة وبأز ، وثلاثة أبواز ، فإذا كثرت فهي البيزان))^٣ .

إذا كان جمع قلة فيأتي على أفعال ، فباز جمعه أبواز وإذا كان جمع كثرة فيأتي على بناء فعلان أي بيزان ، ويأتي أيضاً على بناء فعلة نحو بزاة ، أصلها بزوة ، مثل غزاة التي أصلها غزوة . أما همزة باز فجاءت نتيجة الفتحة قبل الألف لما جاورتها قلبت الألف إلى همزة نحو (الضالين) و(جان) ، وفي هذا جمع جمع كثرة نحو بيزان ، فعلان مثل رأل وريلان ، فهو باز : باز كما همزوا ضالين : ضالين .

قال ابن جني : ((فان قلب : فقد حكي جمعه بيزان بالهمز ، فصارت لذلك كرال وريلان ، فما أنكرت أن يكون ذلك لغة في الباز لاعلى البدل الذي رُمته ؟ قيل هذا وجه يذهب إلى مثله ، لكننا لم نسمع الهمز في هذا الحرف أصلاً إلا في هذه الحكاية ، والواو فيه هي الشائعة المستفيضة . حدثنا أبو علي قال : قال أبو سعيد الحسن بن الحسين - يعني السكري - يقال : باز ، وثلاثة أبواز فاذا كثرت فهي بيزان . وقالوا : باز وبواز وبزاة ، فباز وبزاة كغاز وغزاة : وهو مقلوب الأصل الأول ،

^١ سر صناعة الاعراب / ٢ / ٦١٠-٦١١ .

^٢ معجم مقاييس اللغة / مادة قري .

^٣ المذكر والمؤنث لابن جني / ٥٨ .

وأنشدنا لذي الرمة : (من الطويل)

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهِ كُلِّ سُدْفَةٍ
صِيَاحَ الْبُوزِي مِنْ صَرِيْفِ اللَّوَانِكِ))^١

أعيان جمع عين

قال ابن جني : ((الأعيان) جمع (عين) أنشدني أبو علي لرومي بن شريك الضبي (من البسيط) :

أَمَا تَرَى شَمَطًا فِي الرَّأْسِ لَاحَ بِهِ
مَنْ بَعْدَ أَسْوَدَ دَاجِي اللَّوْنِ فِينَانِ ؟

فَقَدْ أَرُوغُ قُلُوبَ الْغَانِيَاتِ بِهِ
حَتَّى يَمْلَنَ بِأَجْيَادٍ وَأَعْيَانِ))^٢

إنّ هذا الجمع مطرد عند اللغويين والنحاة ، فقد ذكر أبو زيد الأنصاري أنّ الشاعر جمع عيناً على

أعيان .^٣ ويجمع أيضا على بناء أفعال (أعين) وهو الأكثر في الكلام .^٤

قال سيبويه : ((وقد بنوه على (أفعل) على الأصل ، قالوا : أعين . قال الراجز :

أَنْعَتُ أَعْيَارًا رَعَيْنَ الْخَنْزَرَا
أَنْعَتَهُنَّ أَيَّرَا وَكَمَرَا

وقال آخر : (من البسيط)

يَا أَضْبُعًا أَكَلْتُ أَيَّارَ أَحْمِرَةَ
فَفِي الْبُطُونِ وَقَدْ رَاحَتْ قَرَاقِيرُ

بناه على أفعال . قالوا أعيان . قال الشاعر : (من الطويل)

وَلَكِنِّي أَغْدُو عَلَى مَفَاضَةٍ
دِلَاصٌ كَأَعْيَانِ الْجَرَادِ الْمُنْظَمِ))^٥

فبني جمع أير على أَفْعَلْ وأفعال مثل أير و آيار وبني جمع عين على أعيان .

ومن بناء أَفْعَلْ أيضا يأتي جمع (نصل) (أَنْصَلُ) ويجمع أيضا على أناصل (أفاعل) ، أناصيل

(أفاعيل) ، فأنشد أبو علي ابن جني قول الاخطل (من البسيط) :

كَأَنَّهُ وَاضِحُ الْأَقْرَابِ فِي لَقْحٍ
أَسْمَى بِهِنَّ وَعَزَّتَهُ الْأَنْصِيلُ^٦

بناء جمع قلة ويراد به الكثرة نحو جفئات :

في هذا علاقة بين جمع المؤنث السالم وجمع التكسير فجمع المؤنث السالم جمع قلة وكثرة فإذا

أريد به الكثرة جُمِعَ جَمَعِ تَكْسِيرٍ .

قال ابن جني : ((وقد كثر عنهم مجيء لفظ جمع القلة والمعني به جمع الكثرة ، ألا ترى إلى

قول حسّان : (من الطويل)

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى
وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وكان أبو علي يطعن في الحكاية المحفوظة هنا منسوبة الى النابغة في قوله لحسان : لقد قلت

^١ المحتسب / ٤٨/١ .

^٢ الفسر / ١٥٨/٢ .

^٣ ينظر النوادر في اللغة / ٢٣/٢٢ .

^٤ ينظر الفسر / ١١٧/١ .

^٥ الكتاب / ٥٨٨/٣ - ٥٨٩ .

^٦ ينظر الفسر / ٣٢١/١ .

جفانك وأسيافك . قال : ((الأتري إلى قول الله سبحانه : ((وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ))^١ وغرف الجنة أكثر مما يُظنُّ ، وقال الله تعالى : ((هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ))^٢ ورتب الناس في علم الله أكثر من العشر لأمحالة))^٣ .

يبدو أن أبا علي ذهب إلى هذا في ضوء ما ذهب إليه سيبويه في أنهم يجمعون جمع قلة ويريدون به الكثرة ، قال سيبويه : ((وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير قال الشاعر وهو قول حسان بن ثابت : ... فلم يُردِ أدنى العدد))^٤ .

إن جمع (فَعْلَةٌ) بالتاء (فَعَلَات) إذا أردت أدنى العدد نحو قَصْعَةٌ قَصَعَاتٍ وَجَفْنَةٌ جَفَنَات ، فإذا جاوزت أدنى العدد جمعتها على (فِعَال) وذلك قَصْعَةٌ وَقَصَاعٌ وَجَفْنَةٌ وَجَفَانٌ ، أي جمعتها جمع كثرة^٥ . فضلاً عن هذا أن الذي احتج به أبو علي في ضوء قوله تعالى (في الغرفات) و(درجات) هو احتجاج جيد ؛ لأنَّ الغرفات عند رحمة الله في جنته كثيرة وأكثر مما تتصور وكذلك رُتِبَ الناس لديه أكثر .

جموع الكثرة

بناء فعل نحو أفوه فوه

قال ابن جني : ((وقالوا في جمع أفوه - وهو كبير الفم - فُوهٌ - قرأت على أبي علي للشنفرى : (من الطويل)

مُهْرَتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَهَا

شُقُوقُ الْعِصِيِّ كَالْحَاتِّ وَبَسَلٌ))^٦

هذا البناء أشار إليه سيبويه وعده في بناء الصفة المزيدة ؛ لأنها من الثلاثة المزيدة بالهمزة ، وأكثر ما يستعمل هذا البناء في الشعر - بقوله : ((وأما (أفعل) إذا كان صفة فإنه يكسر على (فعل) كما كسروا فَعُولًا على فَعُلٍ ؛ لأنَّ أَفْعَلَ من الثلاثة وفيه زائدة ، كما أنَّ فَعُولًا فيه زائدة وعدة حروفه كعدة حروف فَعُولًا ، إلاَّ أَنَّهُمْ لَا يَثْقُلُونَ فِي أَفْعَلَ فِي الْجَمْعِ الْعَيْنِ إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ شَاعِرٌ ؛ وَذَلِكَ أَحْمَرٌ وَحُمْرٌ وَأَخْضَرٌ وَخَضْرٌ ، وَأَبْيَضٌ وَبَيْضٌ ، وَأَسْوَدٌ وَسَوْدٌ))^٧ .

وفي ضوء كلام سيبويه يعد أفوه - كبير الفم - صفة على وزن أفعل تجمع جمع تكسير الكثرة على وزن فعل : فُوهٌ .

^١ سيا/٣٧ .

^٢ آل عمران / ١٦٣ .

^٣ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٤١٦-٤١٧ وينظر التكملة / ٤١٤ .

^٤ الكتاب / ٥٧٨/٣ وينظر التكملة / ٤١٤ .

^٥ ينظر الكتاب / ٥٧٨/٣ .

^٦ سر صناعة الاعراب / ٤١٦/١ .

^٧ الكتاب / ٦٤٤/٣ .

بناء فُعَالَة مؤنث فُعَال : نحو نُقَاوَة

قال ابن جنى : ((أنتُ بالهاء في قولهم : النُقَاوَة . قال أبو علي : وهو جمع نقوة . وأنتُ كما أنتُ فِعَال في نحو : حِجَارَة وَذِكَارَة وَعِبَارَة))^١ .
فقد ذكر الخليل وسيبويه إلحاق هاء التانيث لبناء (فُعَالَة) وعداه القياس في تكسيره . قال سيبويه : ((وقد يكسر على (... فُعَالَة) ، فيلحقون هاء التانيث البناء وهو القياس أن يكسر عليه . وزعم الخليل أنهم إنما أرادوا أن يحققوا التانيث وذلك نحو الفحالة))^٢ وقال أيضا : ((وقد يلحقون (الفِعَال) الهاء كما الحقوا الفعَال التي في الفَعْل . وذلك قولهم في جَمَلٍ : جِمَالَة ، وَحَجَرٍ حِجَارَة ، وَذَكَرَ : وَذِكَارَة وذلك قليل))^٣ .

فُعُولٌ : أموسٌ : جمع أمس إذا أردنا الكثرة

قال ابن جنى : ((ماروبناه عن أبي علي من قوله : (من الرجز)
مَرَّتْ بِنَا أَوَّلَ مِنْ أَمُوسٍ
تَمِيْسُ فِينَا مِشِيَةَ العُرُوسِ
فَسُمِّيَ كُلُّ جِزءٍ مِنْ أَمِسٍ أَمَسًا ، ثُمَّ جُمِعَ عَلَيْهِ))^٤ .
إنَّ جَمع (أمس) : (فَعْلٌ) هو (أَمُوس) (أفعل) إذا أراد به جمع القلة أما إذا أراد به الكثرة فيجمع على (أموس) مثل (فلس و أفلس) بالقلة (وفلوس) بالكثرة .
قال سيبويه : ((أما ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف وكان (فَعْلًا) فَإِنَّكَ إذا ثلثته إلى أنْ تَعَشَّرَهُ فَإِنَّ تَكْسِيرَهُ (أفعلٌ) . وذلك قولك : كَلْبٌ وَأَكْلَبٌ وَكَعْبٌ وَأُكْعَبٌ ، وَفَرُخٌ وَأَفْرُخٌ ، وَنَسْرٌ وَأَنْسُرٌ . فإذا جاوز هذا فإن البناء قد يجيء على (فِعَال) وعلى (فُعُول) . وذلك قولك : كِلَابٌ وَكِبَاشٌ وَبِغَالٌ . وأما الفعول فنُسُورٌ وَبُطُونٌ))^٥ .
وقال الزجاج : ((إذا جمعت أمس على أدنى العدد قلت : ثلاثة أمس ، مثل فلس وأفلس ، وثلاثة آماس ، مثل فرخ وأفرخ ، فإذا كثرت فهي الأموس ، مثل فلس وفلوس))^٦ .
يتضح مما قيل ان جمع (أمس) من الجموع التي تشارك فيه جموع الكثرة جمع القلة . فيكون على بناء (أفعل) و(فُعُول) .

^١ المختص ٧٣/٢ .

^٢ الكتاب ٥٦٨/٣ .

^٣ المصدر نفسه ٥٧١/٣ .

^٤ المختص ٢٢٤/٢ .

^٥ الكتاب ٥٦٧/٣ .

^٦ تاج العروس / مادة (أمس) ٤٠٨/١٥ .

جمع أَسَدٍ على أُسْدٍ بوزن فُعَلٍ معدول عن أُسُودٍ

قال ابن جنى : ((قال أبو علي - رحمه الله - وقد أوماً سيبويه في باب (أَسَدٍ) إلى أنه مقصورٌ من (فُعُولٍ) كأنه (أُسُودٌ) ثم حُذِفَ الواوُ فبقي (أُسْدٌ) ثم أُسْكِنَ السَّيْنُ كما يُسْكِنُونَ المضموم في غير هذا الموضع))^١.

يبدو أن بناء (فُعَلٍ) هو فرار من بناء (فُعُولٍ) لخفة الكلام ، وأن إيماء سيبويه الذي أشار إليه أبو علي تحقق في (أُسْدٍ) جمع (أَسَدٍ) المعدول من (أُسُودٍ) والمناظر للمعتل المعدول للخفة نحو (دار) (دور) ويجوز (دُور) و(ساق) (سُوق) ويجوز (سُوق) فهمز كراهية اجتماع الواوين والضمة .

قال سيبويه : ((فإذا أردت بناء أكثر العدد قلت في الدار : دُورٌ وفي الساق : سُوقٌ ، وبنوهما على فُعَلٍ فراراً من فُعُولٍ ، كأنهم أرادوا أن يكسروهما على فُعُولٍ كما كسروهما على أَفْعَلٍ . وقد قال بعضهم : سُوقٌ فهَمَزَ ، كراهية الواوين والضمة في الواو ... ولهنَّ مع ذا نظائر من غير المعتل : أُسْدٌ وأُسْدٌ))^٢.

بناء فاعلةً فاعلات وفواعل : طالقةً طالقات وطوالق

قال ابن جنى : ((باب في تلاقي اللغة : هذا موضع لم أسمع فيه لأحد شيئاً إلا لأبي علي - رحمه الله - . قال : ومثله ليلة طلقة وليالٍ طوالق ، قال : فليس طوالق تكسير طَلَّقة ، لأن فَعَلَّةً لا تكسر على فَواعِلٍ ، وأما طوالق جمع طالقة ، وقعت موقع جمع طَلَّقة))^٣.

إنَّ هذا ما أكده سيبويه في قوله : ((وما كان من الاسماء على (فاعلٍ أو فاعِلٍ) فإنه يكسر على بناء (فَواعِلٍ) وذلك : تابلٍ وتوابِلٍ ، وطابقٍ وطوابِقٍ ، وحاجزٍ وحواجزٍ وحائِطٍ وحوائِطٍ))^٤.

أما جمع طَلَّقة فهو طَلَّقات نحو جَفَنَة وجَفَنَات إذا أردت أدنى العدد أي جمع قَلَّة قال سيبويه : ((وأما ماكان على (فَعَلَّةٍ) فإنك إذا أردت أدنى العدد جمعتها بالتاء وفتحت العين ، وذلك قولك : قَصْعَةٌ وقَصَعَات ، وصَحْفَةٌ وصَحْفَات ، وجَفَنَةٌ وجَفَنَات وشَقْرَةٌ وشَقْرَات ، وجَمْرَةٌ وجَمْرَات))^٥.

وقال ابن دريد : ((سميت الليلة القمراء طلقة))^٦ ((وقيل الليلة طلقة و(طالقة) أي : ساكنة مضيئة ، وليال (طوالق) : طيبة لآخر فيها ولا برد))^٧.

الظاهر أن المعنى اللغوي هو الذي جعل تلاقي اللغة في (طَلَّقة) و(طوالق) على الرغم من أن جمع طَلَّقة طَلَّقات لا طوالق .

^١ المنصف ٣٤٧/١ .

^٢ الكتاب ٥٩١/٣ .

^٣ الخصائص ٣٢١/١ .

^٤ الكتاب ٦١٤/٣ .

^٥ المصدر نفسه ٥٧٨/٣ .

^٦ جمهرة اللغة ١١٢/٣ .

^٧ تاج العروس /مادة طلق /٩١/٢٦ .

فعال جمع فَعِيل وفعالان : ملاء جمع ملىء وملائن

قال ابن جنى : ((أنشدني أبو علي أو قرأته عليه : (من الوافر)

إلى رُدح من الشَّيزى ملاء ^١ لُبَابَ البُرِّ يَلْبِكُ بالشَّهاد ((.

إنَّ بناء (فعال) هو جمع تكسير لفعيل وفعالان في الصفات ، وهذا من الأبنية المشتركة التي تجمع بناءين في المفرد ، فيجوز في (فعيل) نحو (ملىء) أن يجمع على (فعال) نحو (ملاء) ويجوز في (فعالان) نحو (ملائن) أن يجمع على (فعال) أيضاً .

قال سيبويه : ((وأما ما جاء على فعال ، فنحو : ظريف وظراف ، وكريم وكِرام ولئام ، وبراء)) .^٢

فـ(براء) على وزن (فعال) جمع (بريء) على وزن (فعيل) وهذا يشبه (ملىء) و(ملاء) .

وقال سيبويه أيضاً : ((وأما (فعالان) إذا كان صفة وكانت له فعلى فإنه يُكسَّر على (فعال) بحذف الزيادة التي في آخره ، كما حذفت الف إناث وألف رباب . وذلك : عَجَلانٌ وَعَجَالٌ ، وَعَطشانٌ وَعِطاشٌ ، وَعَرثانٌ وَعِرْثانٌ . وكذلك مؤنثه وافقه كما وافق فعيل فعيلة في فعال)) .^٣

جمع فعلة فعائل - نحو كنة كنائن

قال ابن جنى : ((أما الكنائن فجمع كنة ، أنشدنا أبو علي (من الوافر) :

وإنَّ كَنائني لَنساءِ صِدْقٍ ^٤ وما ألى بَنى ولا أساؤا)) .

إنَّ الذي ذكره ابن جنى واستشهد بما أنشده أبو علي من قول الشاعر في كنائن جمع كنة ، هو نوع من التجوز عما قالته العرب ، لانهم يجمعون (فعالة) على (فعائل) لافعلة . هذا ما ذكره سيبويه بقوله : ((وأما (فعالة) ... فإذا كسرتة على (فعائل) قلت : جنائز ، رسائل ، وكنائن ، وعمائم . والواحدة جنازة وكنانة وعمامة ورسالة)) .^٥

التصغير أو التحقير

المقصود بالتصغير هو وصف الاسم بالصغر أي دلالةً عليه في اللفظ أنه صغير ، ويكون في الأسماء العربية ، وذلك بضم أولها وفتح ثانيها ولحاقها ياء ساكنة ، وهو على أبنية ثلاث : فُعيل ، فُعَيْل ، وفُعَيْعيل ، نحو دُرَيْهم وفُلَيْس ودُنَيْنير .^٦

وبناء فعيل يكون مع الاسماء العربية الثلاثية ، وفعيل مع الاسماء الرباعية أمّا فُعَيْعيل فمع الأسماء الخماسية .

^١ الفسر / ٩٩/١ .

^٢ الكتاب / ٦٣٤/٣ .

^٣ المصدر نفسه / ٦٤٥/٣ .

^٤ التمام في تفسير اشعار هذيل / ١١٩ وينظر الفسر / ٣٢٢/١ .

^٥ الكتاب / ٦١١/٣ .

^٦ ينظر التكملة / ٤٨٦-٤٨٧ .

قال سيبويه : ((اعلم أن التصغير إنما هو في الكلام على ثلاثة أمثلة : على فُعَيْل ، وفُعَيْعِل ، وفُعَيْعِيل . فأما فُعَيْل فلما كان عدة حروفه ثلاثة أحرف ، وهو أدنى التصغير لا يكون مُصَغَّرَ على أقل من فُعَيْل ، وذلك نحو قُبَيْس ، وجُمَيْل ، وجُبَيْل . وكذلك جميع ما كان على ثلاثة أحرف . وأما فُعَيْعِل فلما كان على أربعة أحرف وهو المثال الثاني ، وذلك نحو جُعَيْفِرٍ ومُطَيْرِفٍ ، وقولك في سَبَطِرٍ سُبَيْطِرٍ ، وغلَامٍ غُلَيْمٍ وغلَبِطٍ وغلَيْبِطٍ ... وأما فُعَيْعِيل فلما كان على خمسة أحرف ، وكان الرابع منه واوا أو ألفا أو ياء . وذلك نحو قولك في مصْبَاحٍ ، مُصْبِيحٍ ، وفي قنْدِيلٍ قُنْدِيلٍ ؛ وفي كُرْدُوسٍ : كُرَيْدِيسٍ ... لاتبالي كثرة الحركات ولاقلتها ولا أختلافها))^١

ولو سألت : ماعلة ضم فاء الكلمة في التصغير ؟ لقلت إن التصغير تغيير في الكلمة فلا بد أن يجعل لهذا التغيير علامة تدل عليه ، كما جعلت الفتحة دلالة للجمع نحو مساجد وقناديل ، ولم يختاروا الكسرة لأن في التصغير ياء قبلها حرف مكسور وبذلك يكون الجمع بين كسرتين وياء من باب الثقل في النطق ، فجانبوا الكسرة الى الضمة حتى لا يكون هناك ثقل في النطق .^٢

فضلا عن هذا استدرك السيرافي بناء رابعاً على أبنية سيبويه في التصغير وهو بناء أفعِعال ، بقوله : ((لو ضم إلى هذا وجها رابعاً لكان يشتمل على التصغير كله وذلك أفعِعال ، نحو قولنا : أجمال أجيمال ، وأنعام وأنيعام ، وسائر ما كان على أفعال من الجمع))^٣ .

لغة التصغير أو لغة الصغر هي لغة التحقير

((قال أبو علي : ألا ترى أن فائدة قولك : مررت بدويرة هو فائدة قولك : مررت بدار صغيرة))^٤ . يفهم من هذا أن التصغير أو التحقير هو ضرب من الوصف يعرض للاسم ويدل دلالة لغوية عن صغره .

قال ابن السراح : ((التصغير شيء اجتزئ به عن وصف الاسم بالصغر))^٥ . وقال أبو علي في باب التصغير : ((تصغير الاسم بمنزلة وصفه بالصغر : فقولنا : حَجِرٌ صغيرٌ . ويدل على ذلك أن مَنْ أعمل اسم الفاعل نحو : هذا ضاربٌ زيداً ، إذا صُغِرَ فقال : ضُوبِرِبَ ، لم يستحسن أعماله في المفعول به ، كما لا يستحسن إذا وصفه فقال : هذا ضاربٌ ظريفٌ زيداً))^٦ .

فالتصغير هو دلالة الاسم على الصغر أي أن الاسم أصلاً ، يدل على الكبر فعند تصغيره أصبح دالاً على الصغر ، وإذا دل على الصغر ضعف عمله في المفعول به إذا كان اسم فاعلٍ عاملاً في

^١ الكتاب / ٤١٥/٣ - ٤١٦ .

^٢ ينظر هامش السيرافي / الكتاب / ٤١٥/٣ .

^٣ المصدر نفسه / ٤١٥/٣ .

^٤ التمام في تفسير اشعار هذيل / ٥٩ .

^٥ الاصول في النحو / ٣٦/٣ .

^٦ التكملة / ٤٨٦ .

المفعول به لأنه إذا صُغِرَ لم يعمل في مفعوله ، وهذا كما قال أبو علي ، ويراد بذلك أن الفائدة تتم في المعنى والعمل للاسم المصغر .

تصغير دابة :دويبة : ويجوز :دوابة

قال ابن جنى : ((وأخبرنا أبو علي قال : ((قرأت على أبي بكر في بعض كتب أبي زيد : سمعت أبا عمرو الهذلي يقول في تصغير دابة :دوابة . قال أبو علي : أراد : دويبة فقلبت الياء ألفاً))^١.
إن ما ذكره ابن جنى في تصغير دابة ، ذكره أبو علي في كتابه المسائل البغداديات نصاً مضافاً إليه علة قلب الياء ألفاً بقوله : ((فجعل الياء ألفاً ، لأنَّ الياء سكنت وانفتح ما قبلها فجعلها ألفاً))^٢.
يفهم من هذا أن دابة تصغيرها دويبة ولكنها أصبحت دوابة ؛ لأنَّ ياء التصغير الساكنة انفتح ما قبلها فقلبت ألفاً .

تصغير اسم الجمع دهاده

قال أبو علي : ((وحسن أيضاً جمعه بالواو والنون أنه قد حذفت ألف (دهاده) في التحقير ، ولو جاء على أصله لقليل (دهيديه) بوزن (صلصال) و(صلصيل) (فواحد (دهيدينا) إنما هو (دهيده) وقد حذفت الألف من مكبره ، فكان ذلك أيضاً سهلاً للواو والنون ، داعياً إلى التعويض بهما))^٣.
إن الذي ذهب إليه أبو علي قد ذهب إليه سيبويه وأشار إليه بان التصغير جعل الاسم يقبل بالواو والنون كما الحال في رجلٍ رجيل فيجمع في ضوء تحقيره رجيلون ورجيلين ، وكما في أرضين وسنين .

قال سيبويه : ((وقال : (من الرجز)

قَدْ شَرِبْتُ إِلَّا دُهَيْدِينَا قَلِيصَاتِ وَأُبَيْكِرِينَا

... فكأنه حقرَّ دهاده فردّه الى الواحد وهو دَهْدَاهُ ، وأدخل الياء والنون كما تدخل في أرضين وسنين ، وذلك حيث اضطر في الكلام إلى أن يدخل ياء التصغير))^٤.

في ضوء هذا يتضح أن اسم الجمع (دهاده) عند تصغيره رُدَّ الى الواحد (دهاده) ثم أدخل الياء والنون كما في أرضين وسنين فاصبح (دهيده) مصغراً ثم دهيدين مضافاً إليه الياء والنون .

^١ سر صناعة الاعراب / ٣٠٨/١ .

^٢ المسائل البغداديات/ ٣٩٥

^٣ سر صناعة الاعراب / ٦٢٢/٢

^٤ الكتاب / ٤٩٤/٣ / ٤٩٥ .

سفرجل : بين التصغير والتكبير

قال ابن جنى : ((سألت أبا علي فقلت له : هلا حَقَرُوا سَفْرَجَلًا وكَسَّرُوهُ ولم يحذفوا من آخره شيئاً ؟ فقال : لم يَجْزِ ذلك ؛ لأن التحقير والتكسير ضَرْبٌ من التصرُّف ، وأصل التصرُّف للأفعال ؛ لأنها بالزوائد أحقُّ فلما لم يَكُنْ لهم فعلٌ خماسيٌّ لم يُكسَّرْ نحو سَفْرَجَل ، ولأحقر ألا يحذف حرف ليصيرَ إلى باب دَحْرَج فيمكن فيه التصريف ، فهذا قول حسن سديد))^١.

يبدوا أن (سفرجل) عند تصغيره وتكسيه يحذف حرف منه حتى يمكن تصريفه .

قال سيبويه في باب تحقير بنات الخمسة : ((زعم الخليل : أنه يقول في سَفْرَجَل : سُفْرِج حتى يصيرَ على مثال فُعَيْل ، وأن شئت قلت سُفْرِيج . وإنما تحذف آخر الاسم لأنَّ التحقير يَسْلَمُ حتى يُنتهي إليه ويكون على مثال مايحقرن من الأربعة))^٢.

وقد فسر السيرافي قول الخليل وسيبويه في جعل البناء رباعياً او ملحقاً به كي يصغر أو يكسر في ضوء ترتيب ذلك التصغير ، بقوله : ((لأنَّ ترتيب التصغير يسلم فيها إلى أن ينقص أربعة أحرف ، والترتيب هو ضم اوله وفتح ثانيه ودخول ياء التصغير ثالثة وكسر الحرف الذي بعد ياء التصغير ، ودخول الاعراب على الحرف الذي بعده ، فيصير كقولك : جُعِيفر ومُرِجل وما أشبه ذلك . وفي الجمع نحو ذلك : جعافر ومراجل ، فأخذوا من هذه الخمسة الأحرف الأصلية الأربعة الأول منها فقالوا في جردحل : جريدح ، وفي شمردل : شميرد وفي سفرجل : سفيرج))^٣. أما تصغير سفيرجل فليس من كلام العرب رغم انه عند الخليل أقرب فقال ((لو كُنْتَ مُحَقَّرًا هذه الاسماء لا أحذف منها شيئاً كما قال بعض النحويين ، لقلت سفيرجل ، كما ترى حتى يصير بزنة دُنَيْبِير ، فهذا أقرب وإن لم يَكُنْ من كلام العرب))^٤.

بين التصغير والجمع في البناء

قال ابن جنى : ((البناء من الشيء أنْ تَعَمَدَ لأصوله ، فنصوغ منها وتطرح زوائده فلا تحفل بها ، وليس كذلك التحقير . وذلك أن صورة المحقَّر معك ، ومعنى التكبير والتحقير في أن كل واحدٍ منهما واحد واحد ، وإنما بينهما أن أحدهما كبيرٌ والآخر صغيرٌ ، فأما الإفراد والتوحيد فيهما كليهما فلا نظر فيه . قال ابو علي -رحمه الله - في صحة الواو في نحو أسبود ، وجدْيول : مما أعان على ذلك وسوَّغَه أنه في معنى جَدول صغير ، فكما تصحُّ الواو في جدول صغير فكذلك أنس بصحة الواو في جُدْيول . وليس كذلك الجمع ؛ لأنه رتبة غير رتبة الآحاد ، فهو شيء آخر ، فلذلك سقطت في

^١ المنصف ٣٣/١ .

^٢ الكتاب ٤٤٨/٣ .

^٣ الكتاب /طبقه بولاق/ ١٢١/٢ وهارون ٤٤٨/٣ .

^٤ الكتاب ٤١٨/٣ .

الجمع حُرْمَةُ الواحد ، ألا تراك تقول في تكسير قائم : قَوَامٌ وَقَوْمٌ ؛ فتطرح الهمزة وتراجع لفظ الأصل ، ولا تقول : قَوَامٌ ، ولا قَوْمٌ ؛ كما قلت في التحقير : قويمٌ ، بالهمز))^١

يفهم من هذا أنّ الجمع والتصغير يعيدان الأسماء إلى أصولها ، لكن معاملة المصغر كمعاملة المفرد نحو قائم ، قويمٌ ، وجدول ، جديول ، أي ثبات الهمزة والواو الزائدتين ، أما الجمع في منزلة غير منزلة المفرد ، نحو قائم ، قوامٌ وقومٌ فتسقط الهمزة وربما ظل على ما هو عليه في جدول ، جداول ، فتثبت الواو .

في حين يرى سيبويه أنّ الواو والهمزة الزائدتين يثبتان عند الجمع والتصغير ؛ لأنّهما من واحد^٢ وأنّ الواو في جديول وأسيود تثبت في جداول وأساود فقال : ((واعلم أنّ اشياء تكون الواو فيها ثلاثة وتكون زيادة ، فيجوز فيها ماجاز في أسود . وذلك نحو جدولٍ وقسورٍ ، تقول : جديولٍ وقسيورٍ كما قلت أسيودٍ ... ؛ وذلك لأنّ هذه الواو حية ، وإنما ألحقت الثلاثة بالاربعة ، ألا ترى أنّك إذا كسرت هذا النحو للجمع ثبتت الواو كما تثبت في أسود حين قالوا : أسودٌ ، وفي مرودٍ حين قالوا : مرودٌ . وكذلك جداولٍ وقساورٍ))^٣

وقال أيضا : ((هذا باب تحقير الاسماء التي تثبت الأبدال فيها وتلزمها وذلك إذا كانت أبدالا من الواوات والبيئات التي هي عينات فمن ذلك قائل وقائم وبائع تقول : قويمٌ وبويئعٌ .. إذا كسرت هذه الأسماء للجمع تثبتت فيه الهمزة ، تقول قوائمٌ وبوائعٌ ، وكذلك تثبت في التصغير))^٤

الخلافا في حمل التصغير على التفسير

قال ابن جنى : ((سألت مرة ابا علي - رحمه الله - عن ردّ سيبويه كثيرا من أحكام التحقير إلى أحكام التفسير وحمله إياها عليها ؛ ألا تراه قال : تقول : سريحين لقولك : سراحين ولا تقول : عثيمين ؛ لأنك لا تقول : عثمانين ، ونحو ذلك . فقال : إنّما حمل التحقير في هذا على التفسير من حيث كان التفسير بعيدا عن رتبة الأحاد . فأعتدّ ما يعرض فيه لاعتداده بمعناه ، والمحقر هو المكبر ، والتحقير فيه جار مجرى الصفة ؛ فكأن لم يحدث بالتحقير أمرٌ يحمل عليه غيره ، كما حدث بالتفسير حكمٌ يحمله عليه الأفراد : هذا معقد معناه ، وما أحسنه وأعلاه !!))^٥

إنّ سيبويه يذهب إلى أنّ كل اسم آخره ألف ونون زائدتان مثاله فَعْلَانُ تحقيره وتكسييره سيان ، لأنهما على وزن واحد هو مفاعيل فنقول في سرحان سريحين تحقيرا وسراحين تكسييرا . هذا ظاهر قوله : ((واعلم أنّ كل اسم آخره الف ونون زائدتان وعدة حروفه كعدة حروف فَعْلَانُ كُسِرَ للجمع على مثال مفاعيل ، فإنّ تحقيره كتحقير سربالٍ شبهوه به حيث كُسِرَ للجمع كما يُكسِرُ سربالٌ ، وفعل

^١ الخصائص / ١ / ٣٥٤ .

^٢ ينظر الكتاب / ٣ / ٤١٧ .

^٣ المصدر نفسه / ٣ / ٤٦٩ .

^٤ المصدر نفسه / ٣ / ٤٦٢ - ٤٦٣ .

^٥ الخصائص / ١ / ٣٥٤ .

به ما ليس لبابه في الأصل فلما كُسِرَ للجمع هذا التفسير حُقِرَ هذا التحقير . وذلك قولك :سُرِّحِينِ فِي سَرَحَانٍ ، لِأَنَّكَ تَقُولُ :سَرَاحِينِ ، وَضَبْعَانِ ضَبِيعِينَ لِأَنَّكَ تَقُولُ ضَبَاعِينَ ..(الخ)).^١
وَقَالَ أَيْضًا : ((وَأَمَّا عُثْمَانُ وَنَحْوُهُ فَلَا يَجُوزُ فِيهِ أَنْ تُكْسَرَ ، لِأَنَّكَ تَوْجِبُ فِي تَحْقِيرِهِ عُثْمِينَ ، فَلَا تَقُولُ :عُثَامِينَ ، فِيمَا يَجِبُ لَهُ عُثِيمَانٌ وَلَكِنْ عُثْمَانُونَ . كَمَا يَجِبُ لَهُ عُثِيمَانٌ ، لِأَنَّ أَسْلَ هَذَا أَنْ يَكُونَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ بَابَ غَضْبَانٍ ، إِلَّا أَنْ تَكْسَرَ الْعَرَبُ شَيْئًا مِنْهُ عَلَى مِثَالِ فَعَاعِيلَ فَيَجِيءُ التَّحْقِيرُ عَلَيْهِ)) .^٢

يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ سَبْيُوِيهِ أَنَّ عُثْمَانَ لَا يَجْمَعُ جَمَعَ تَكْسِيرٍ ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ عَلَمٌ مَذْكَرٌ عَاقِلٌ فَيَجْمَعُ جَمْعَ مَذْكَرٍ سَالِمٍ .

إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ أَوَّلَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سَبْيُوِيهِ فِي حَمْلِ التَّحْقِيرِ عَلَى التَّكْسِيرِ ؛ لِأَنَّ التَّكْسِيرَ جَمْعٌ بَعِيدٌ عَنِ الْوَاحِدِ وَهُوَ بِمِثَابَةِ تَعْرِيفٍ وَوَصْفٍ لِلِاسْمِ ، وَالتَّحْقِيرُ ضَرْبٌ مِنَ الْوَصْفِ وَالتَّعْرِيفِ لِلِاسْمِ . فَضَلَّ عَنِ أَنَّ التَّحْقِيرَ لَا يَحْدُثُ فِيهِ مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ لَكِنَّ التَّكْسِيرَ يَحْدُثُ أَمْرٌ فِيهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْمَفْرَدُ . فَالَّذِي يَحْمِلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ يُوْخَذُ مَتَكًّا فِي الْأَحْكَامِ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ .

تحقير اسم الجنس الجمعي نحو رجل وركب

قال ابن جني : ((أخبرنا أبو علي أن أبا عثمان أنشد : (من الرجز)

بَنِيْتُهُ بِعَصْبَةٍ مِنْ مَالِيَا
أَخْشَى رُكْبِيًّا أَوْ رُجَيْلًا عَادِيَا

فهذا تحقير : ((رُكْبٌ ، وَرَجُلٌ) وَهُمَا اسْمَانِ لِلْجَمْعِ بِمَنْزِلَةِ : (رُكَّابٌ وَرَجَالَةٌ))) .^٣

يَبْدُو أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَبُو عَلِيٍّ هُوَ مَذْهَبُ سَبْيُوِيهِ ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ (رَجُلٌ) عَدَاهَا سَبْيُوِيهِ اسْمًا يَقَعُ عَلَى الْجَمِيعِ وَيَحْقِرُ كَتَحْقِيرِ الْمَفْرَدِ ؛ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَتِهِ ، ((تَحْقِيرُهُ كَتَحْقِيرِ الْاسْمِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ الْجَمِيعَ ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي قَوْمٍ :قَوْمٌ ، وَفِي رَجُلٍ : رُجَيْلٌ . وَكَذَلِكَ النِّفْرُ ، وَالرَّهْطُ ، وَالنِّسْوَةُ ، وَإِنْ عُنِيَ بِهِنَّ أَدْنَى الْعَدَدِ)) .^٤

فِي حِينِ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْأَخْفَشَ عِنْدَهُ (رَجُلٌ وَرُكْبٌ) جَمْعُ كَسْرٍ عَلَيْهِ رَاكِبٌ وَرَاكِبٌ فَيَحْقِرُ رُكْبًا - رُؤْيُكِبُونَ ° وَهَذَا خِلَافَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سَبْيُوِيهِ فِي تَحْقِيرِ (رَجُلٌ رُجَيْلٌ ، وَرُكْبٌ رُكْبِيٌّ) وَأَنَّ مَذْهَبَ سَبْيُوِيهِ يَعِدُ الْأَصُوبَ ؛ لِأَنَّ (رُكْبٌ ، وَرَجُلٌ ، وَقَوْمٌ) هُوَ جَمْعٌ لَمْ يَكْسُرْ عَلَيْهِ الْوَاحِدُ ، وَهُوَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ لَكِنَّهُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ وَيَدُلُّ عَلَى الْجَمِيعِ فَتَكْسِيرُهُ تَكْسِيرُ مَفْرَدٍ .

^١ الكتاب / ٤٢١/٣ - ٤٢٢ .

^٢ المصدر نفسه ٤٠٦/٣ .

^٣ المنصف / ١٠١/٢ .

^٤ الكتاب / ٤٩٤/٣ .

^٥ ينظر المنصف / ١٠١/٢ .

النسب

إضافة ياعي الإضافة الى الاسم أو البلد أو الصناعة التي تريد أن تنسب إليها ، فإذا أردت نسبة رجل إلى أبيه أو بلده أو حرفته زدت ياعين مدغمتين الأولى في الثانية وكسرت آخر الاسم نحو قولك: هاشمي وتميمي وبصري . ويصبح هذا صفة للاسم المنسوب .^١ ويسمى باب الإضافة .

قال سيبويه : ((هذا باب الإضافة ، وهو باب النسبة . اعلم أنك إذا اضفت رجلاً الى رجل فجعلته من آل ذلك الرجل ، الحقت ياعي الإضافة ، فإن اضفته الى بلد فجعلته من أهله ألحقت ياعي الإضافة؛ وكذلك أن اضفت سائر الأسماء إلى البلاد ، أو إلى حيٍّ أو قبيلة . واعلم أن ياعي الإضافة إذا لحقت الأسماء فإنهم مما يغيرونه عن حاله قبل أن نلحق ياعي الإضافة . وإنما حملهم على ذلك تغييرهم آخر الاسم ومنتهاه ، فشجعهم على تغييره إذا أحدثوا فيه مالم يكن))^٢ .

ردُّ اللام المحذوفة عند النسب ، نحو : يد يدوي

قال ابن جنى : ((قالوا في النسب إلى يد يدوي ، فتركوا عين الفعل محركةً بعد الردِّ ؛ لأنهم لو حذفوا الحركة عند ردِّ الكلام لكانت اللام كأنها لم تردِّ ؛ لأنها قد عاقبت الحركة ، فإذا حذفت الحركة بعد الردِّ كنت لحذفك إياها كمن لم يردِّ ، وصار ردُّك كلاً ردِّ . وهذا قول أبي علي فيما أخذته عنه وهو يشهد بصحة ماذهب إليه سيبويه في تبقية الحركة التي حدثت بعد الحذف إذا ردُّ إلى الكلمة ما حذف منها))^٣ .

إنَّ مذهب سيبويه في نسب ما حذفت لامه هو ردُّها وإبقاء حركة عين الكلمة على حالها . هذا ظاهر قوله : ((وإنما صار تغيير بنات الحرفين الردِّ ؛ لأنها أسماء مجهودة ، لا يكون اسم على أقل من حرفين ، فقويت الإضافة على ردِّ اللامات كما قويت على حذف ما هو من نفس الحرف حين كثر العدد وذلك قولك : مرامي . فمن ذلك قولهم في دم : دمي ، وفي يد : يدي ، وإن شئت قلت دمويّ ويدويّ ، كما قالت العرب في غد : غدويّ . كل ذلك عربي ، فان قال : فهلا قالوا : غدويّ ، وإنما يدّ وغدّ كلُّ واحد منهما فعلٌ يُستدلُّ على ذلك بقول ناس من العرب : آتيك غدواً ، يريدون غداً ... وقولهم : أيد ، وإنما هي أفعلٌ جماع فعلٌ ؟ لأنهم ألحقوا ما ألحقوا وهم لا يريدون أن يخرجوا من حرف الإعراب التحريك الذي فيه ؛ لأنهم أرادوا أن يزيدوا ، لجهد الاسم ما حذفوا منه ، فلم يريدوا أن يخرجوا منه شيئاً كان فيه قبل أن يضيفوا . كما أنهم لم يكونوا ليحذفوا حرفاً من الحروف من ذا الباب ، فتركوا الحروف على حالها ، لأنه ليس موضع حذف))^٤ .

^١ ينظر الكلمة / ٢٣٨ .

^٢ الكتاب / ٣ / ٣٣٥ .

^٣ المنصف / ٦٣ / ١ .

^٤ الكتاب / ٣ / ٣٥٨ .

أما أبو الحسن الأخفش فقد خالف ما ذهب إليه سيبويه ، وقال بحذف ما أوجب الحذف والنسب عنده إلى يد يديي وغد غدوي^١ .

ورجح أبو علي مذهب سيبويه على مذهب الأخفش في هذه المسألة في سؤال وجواب ومحاججة . فقال : ((فان قيل : فما تصنع بقول الراجز :

لَاتَقْلُواْ اَهَا وَاذَلُواْ اَهَا دَلُواْ
ويقول الآخر : (من الطويل)

وما الناسُ إلا كالديارِ وأهلها
بها يوم حلوها وغدواً بلاقع
ألا ترى أنه قد رد اللام في غد وحذف حركة العين ؟ فهذا يشهد بصحة قول الأخفش . فالجواب : أن الذي قال (غدواً) ليس من لغته أن يقول (غد) فيحذف ، بل الذي يقول (غد) غير الذي يقول (غدواً) .))^٢ .

أقول : الأرجح في هذا ما ذهب إليه سيبويه وقال أبو علي ؛ لأنه ورد عن العرب ولاسيما في اشعارهم بقاء الاسم الذي ترجع إليه لأمه عند النسب كما هو لاحذف فيه .

قال ابن جني : ((والقول قول سيبويه ، ألا ترى أن الشاعر لما ردَّ الحرف المحذوف بقى الحركة التي أحدثها الحذف بحالها قبل الرد في قوله : (من الكامل)

يَدِيَانِ بِيضَاوَانٍ عِنْدَ مُحَلِّمٍ
قَدْ يَمْنَعَانِكَ أَنْ تُضَامَ وَتُضَهَّداً
فتحريكه الدال بعد رد الياء دلالة على صحة ما ذهب إليه سيبويه من تبقية الحركة بعد الرد))^٣ .

بناء تَقْلَى لِأَيَاتِي الْإِمْعِ النَّسْبِ - نَحْوِ : تَحِيَّةٍ تَحْوِيَّ وَقَلْبِ يَأْنِهِ وَاوَا

قال ابن جني : ((قال أبو علي : وقد يأتي مع ياءٍ الإضافية من الأمثلة ما لا يأتي مع غيرها ألا ترى أنهم قالوا في الإضافة إلى تحية : تحوي ؟ قال فتحوي وزنه تَقْلَى . وهذا مثال لا يقع إلا مع ياءٍ الإضافية من الأمثلة))^٤ .

إن هذه الإضافة واردة عند الخليل وسيبويه ، فما يحدث في عدي من حذف في الياء وقلب الياء واوا كذلك يحدث في تحية عند الإضافة فتحذف إحدى الياءات والأخرى تقلب واوا ويكون النسب تحوي ، وفي هذا تحذف عين الكلمة .

قال سيبويه : ((وسألته - يعني الخليل - عن الإضافة إلى تحية فقال : تحوي ، وتحذف أشبه مافيه بالمحذوف من عدي وهو الياء الأولى ، وكذلك كل شيء كان آخره هكذا))^٥ .

^١ ينظر المنصف ٦٣/١ - ٦٤ .

^٢ المنصف ٦٤/١ وينظر التكملة ٢٤٩ - ٢٥٠ .

^٣ المصدر نفسه ٦٤/١ .

^٤ المصدر نفسه ١٦٣/١ .

^٥ الكتاب ٣٤٦/٣ .

إنَّ ما يَحذف في تحيَّة يشبه ما يَحذف من عَدِيٍّ وَمَنْ ذلك يفهم ماذا يَحْدثُ في كلمة عَدِيٍّ من حذف وتغيير : قال سيبويه : ((قولك في عَدِيٍّ ، عَدَوِيٍّ ، وفي غَنِيٍّ : غَنَوِيٍّ ، وفي قَصِيٍّ : قَصَوِيٍّ وفي أُمِيَّة : أُمَوِيٍّ . وذلك أَنَّهُم كرهوا أن توالي في الاسم أربع ياءات ، فحذفوا الياء الزائدة التي حذفوها من سُلَيْمٍ وثَقِيفٍ حيث استثقلوا هذه الياءات ، فأبدلوا الواو من الياء التي تكون منقوصة ، لأنَّك إذا حذفْتَ الزائدة فإنما تبقى التي تصير ألفاً))^١.

أقول : إذا حذفْتَ الياء الأولى من تحيَّة ، فقد حذفْتَ عين الكلمة وبذلك أصبحَ وزنها تَفْلِيٍّ بعد إضافة ياء النسب ، هذا ما قاله أبو علي ذاهباً في المسألة كما ذهب الخليل وسيبويه - فتحيَّة : تَفْعَلَةٌ لأنه مصدر حياة وأصلها : تحيَّة فحذفوا كسرة الياء الأولى وأدغموا فصارت كلفظ فَعِيْلَةٌ ؛ لأنَّ ثالثها ياء ساكنة قبلها كسرة ، فنسبوا فَعِيْلَةٌ بحذف الياء فقالوا : تحَوِيٍّ . لذلك صار وزنها تَفْلِيٍّ لحذف الياء الأولى عين الكلمة ، كذلك عَدِيٍّ عند إضافة النسب إليه تكون فيه ثلاثة ياءات فتقلب الياء الأولى الثالثة في الكلمة واواً ، لتكرار الياء ثلاث مرَّات . كما قلبت في تحيَّة تحَوِيٍّ عند الإضافة .

الاختلاف في (داوية) عند الحاق ياء النسب

قال ابن جني : ((فقال - يعني بعض البغداديين - في قولهم أرض داوية)) أنه أراد (دويَّة) فأبدل من الواو الأولى الساكنة التي هي عين (دو) ألفاً قال ذو الرمة : (من البسيط)
دَوِيَّةٌ ودُجَى ليل كأنهما
يَمُ تَرَاطُنُ فِي حَافَاتِهِ الرُّومِ
قال أبو علي : هذه دعوى من قائلها لا دلالة عليها ، وذلك أنه يجوز أن يكون بني من (الدو) فاعلة ، فصارت (داوية) بوزن (زاوية) ثم إنه ألحق الكلمة ياء النسب ، وحذف اللام ، كما تقول في الإضافة الى (ناجية) : (ناجي) والى (قاضية) : (قاضي)))^٢.

الظاهر أنَّ البغداديين قد ذهب في مسألة (داوية) إلى إبدال واو (دويَّة) الأولى ساكنة التي هي عين الكلمة ألفاً ، في حين أنَّ أبا علي يعترض على هذا التخريج ويقلب المسألة ، فيجعل القلب بالواو الثانية التي هي لام الكلمة ، ثم يلحق ياء النسب ، أي أنه بنى من (الدو) (فاعلة) فصارت تقديرًا (داووة) ثم قلبت الواو الآخرة (لام الكلام) ياءً لانكسار ما قبلها وتطرفها فأصبحت (داويَّة) ^٣ .

وأضاف ابن جني تخريجاً آخرًا بقوله : ((اراد (الداوية) المحذوفة اللام كالحانية ، إلا أنه خفف ياء الإضافة كما خفف الآخر فيما أنشده أبو زيد ، وأنشدنا أبو علي : (من المنسرح)

بكيَّ بعينيك واكف القطر
ابن الحواري العالِي الذِّكْرُ

يريد : ابن الحواري))^٤ .

^١ الكتاب/٣/٣٤٤

^٢ سر صناعة الاعراب /٢/٦٧٠ ويظن الحجة للقراء السبعة /١/٧٣ .

^٣ ينظر سر صناعة الاعراب /٢/٦٧١ .

^٤ المصدر نفسه /٢/٦٧١-٦٧٢ .

الفصل الثالث

المباحث النحوية

البناء و الإعراب : المقصود بالإعراب هو اختلاف أواخر الكلم تبعاً للعامل أما البناء فهو عدم اختلاف تلك الأواخر باختلاف العامل .

قال أبو علي ((الإعرابُ أنْ تختلفَ أواخرُ الكلمِ لاختلافِ العاملِ ، مثال ذلك (هذا رجلٌ - ورأيتُ رجلاً ، ومررتُ برجلٍ) فالآخر من هذا الاسمِ قدْ اختلفَ باعتقَابِ الحركاتِ عليه واعتقَابِ هذه الحركاتِ المختلفةِ على الأواخرِ إنّما هو لاختلافِ العواملِ التي هي هذا ورأيتُ والباءُ في مررتُ برجلٍ . فهذه عوامل كل واحد منها غيرُ الآخر))^١.

وقال أيضاً : ((البناءُ خلافُ الإعرابِ ، وهو أنْ لا يختلفَ الآخرُ باختلافِ العاملِ ولا يخلو البناءُ من أنْ يكونَ على سكونٍ أو على حركةٍ . فالبناءُ على السكونِ يكونُ في الاسمِ والفعلِ والحرفِ ، فالبناءُ على السكونِ في الاسمِ نحو: كمَ ومنَ وإذْ ، تقول : بكمَ رجلاً مررتُ ؟ وكمَ رجلاً جاءك ؟ وكمَ رجلاً ضربتُ ؟ فتختلفُ العواملُ ولا يختلفُ الآخرُ كما اختلفَ آخرُ المُعربِ حيثُ اختلفَ العاملُ))^٢.

المبني والمعرب من الأسماء والافعال

تسمية رجل بـ(ضرب).

قال ابن جني : ((وقال لي مرة - رحمه الله - ... كما جاز إذا سميتَ بـ(ضرب) أنْ تُخرجهُ من البناءِ إلى الإعرابِ ، كذلك يجوزُ أيضاً أنْ تُخرجهُ من جنسِ إلى جنسٍ إذا أنتَ نقلتهُ من موضعهِ إلى غيره))^(٣).

إنّ انتقالك بـ(ضرب) من الفعلية إلى الاسمية ، هو انتقالها من حالة إلى أخرى في ضوء المعنى والإعراب ، فهي في الفعلية تدل على حدث أما في الاسمية فتدل على مُسمى ، وبهذا يحصل تغير في الكلمة من البناء إلى الإعراب ؛ لأنّ الإعراب أصلٌ في الأسماء والبناء أصلٌ في الأفعال .

وبذلك تصبح حالتها حالة الاسم المرفوع والمنصوب والمجرور ، نحو (ضارب) ، وهذا ما ذهب إليه أبو عمرو والخليل وما زعمه يونس البصري .

^١ . المقتصد في شرح الإيضاح / ٩٧/١ و ١٢٥/١

^٢ . المصدر نفسه / ١٢٥/١

^٣ . الخصائص / ٢٧٧/١ وينظر سر صناعة الاعراب / ٥٧٧/٢

قال سيبويه : ((هذا باب ما ينصرف من الأفعال إذا سميت به رجلاً . زعم يونس : أنك إذا سميت رجلاً بـ(ضارب) من قولك : ضارب . وأنت تأمر ، فهو مصروف . وكذلك إن سميته ضارباً وكذلك ضَرَبَ وهو قول أبي عمرو والخليل ؛ وذلك لأنها حيث صارت اسماً وصارت في موضع الاسم المجرور والمنصوب والمرفوع ، ولم تجئ في أوائلها الزوائد التي ليس في الأصل عندهم أن تكون في أوائل الأسماء إذا كانت على بناء الفعل غلبت الأسماء عليها إذا أشبهتها في البناء ، وصارت أوائلها الأوائل التي هي في الأصل للاسماء فصارت بمنزلة ضارب الذي هو اسم ، وبمنزلة حَجَرَ وتابل كما أن يزيد وتغلب يصيران بمنزلة تنضب ويعمل إذا صارت اسماً))^١ .

بناء (الآن) و(أمس)

قال ابن جني : ((وقد دلت الدلالة على أن (الآن) ليس معرفةً باللام الظاهرة فيه ؛ لأنه لو كان معرفةً بها لجاز سقوطها منه فلزوم هذه اللام (الآن) دلالة على أنها ليست للتعريف . وإذا كان معرفةً باللام لامحاله ، واستحال أن يكون التي فيه هي التي عرفته ، وجب أن يكون معرفةً بلام أخرى محذوفة غير هذه الظاهرة التي فيه ، بمنزلة أمس في أنه تعرف بلام مرادة ، والقول فيهما واحد ، ولذلك بنيا لتضمنهما معنى حرف التعريف ، وهذا رأي أبي علي ، وعنه أخذته ، وهو الصواب الذي لا بد من القول به))^٢ .

لو رجعنا إلى سيبويه نجده أشار إلى بناء (الآن) لأنها جاءت كما جاءت (أي) الموصولة عند حذف صدر صلتها ، فبنيت لمخالفتها أخواتها ، وهذا ظاهر قوله : ((وأرى قولهم : اضرب أيهم أفضل على أنهم جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة في خمسة عشر ، وبمنزلة الفتحة في الآن حين قالوا من الآن إلى غد ، ففعلوا ذلك بأيهم حين جاء مجيئاً لم تجئ أخواته عليه إلا قليلاً))^٣ .

وأشار أيضاً إلى أن الألف واللام والإضافة مع خمسة عشر تجعلها في حالة واحدة كما في (أي) الموصولة و(الآن) فقال : ((واعلم أن العرب تدع خمسة عشر في الإضافة والألف واللام على حال واحدة كما تقول : اضرب أيهم أفضل ، وكالآن وذلك لكثرتها في الكلام وأنها نكرة فلا تغير))^٤ .

أما بناء كلمة (أمس) فقد حذف منها الجار والألف واللام تخفيفاً في قولك : لقيته بالأمس ، هذا ما زعمه الخليل . قال سيبويه : ((وزعم الخليل أن قولهم : لاه أبوك ولقيته أمس ، إنما هو على : لله أبوك ولقيته بالأمس ، ولكنهم حذفوا الجار والألف واللام تخفيفاً على اللسان))^٥ .

يفهم من هذا أن (أمس) في نظر الخليل هي معرفة باللام وبحرف الجر ، في حين أن سيبويه يخالف ما ذهب إليه الخليل ، ويعدها اسماً مبنيّاً على الكسر لو دخل عليها الفعل فتكون فاعلاً مبنيّاً

١ . الكتاب / ٢٠٦/٣

٢ . سر صناعة الأعراب / ٣٥٢-٣٥٣

٣ . الكتاب / ٤٠٠/٢

٤ . المصدر نفسه / ٢٩٨-٢٩٩

٥ . المصدر نفسه / ١٦٢/٢

على الكسر في محل رفع ، هذا ظاهر قوله : ((ولا يَقْوَى قولُ الخليل في أَمْسٍ ؛ لأنَّك تقول : ذهبَ أَمْسٌ بما فيه))^١ فهي مجردة من الألف واللام ومبنيّة أيضاً .
 في ضوء ما قيل يفهم أنّ (أَمْسٍ) مبنيّة على الكسر ، كما قال سيبويه وأنها معرفةٌ بلام مرادة كما ذهب إلى ذلك الخليل وتابعه أبو علي ، فضلاً عن ذلك أنها وردت في القرآن بأربع آيات وهي معرفةٌ باللام وقبلها حرف الجر (الباء)^٢ .
 هذا ما يؤكد تجانسها مع اللام كما تجانست الآن لكنها تتخلى عن اللام ولا تتخلى الآن ، وهذا التجانس يؤكد تضمنها معنى حرف التعريف ، والتضمين أيضاً دلالة على البناء ، لأنّ الحروف مبنيّة .

قال عبد القاهر الجرجاني ((وأما أَمْسٍ، فسببُ بنائه أنه قُدِّرَ فيه الألفُ واللامُ نحوَ الأَمْسِ ، يدلك على ذلك أنهم وصفوه بالمعرفة فقالوا : لقيتهُ أَمْسٍ الأحدثِ ، فلما تَصَمَّنَ معنى الحرفية صارَ بمنزلة مَنْ وَكَمَ في أَنَّهُمَا لَمَّا ضُمْنَا معنى حرفِ الاستفهامِ بُنِيَ ، يدلك على ذلك أنّ تقديرَ الألفِ واللامِ إذا زال زالَ البناءُ ، وذلك قولك : (إنَّ أَمْسَكَ قد مَضَى) ، لأنك لما أَضَفْتَهُ لم تُقَدِّرْ على نيّةِ الألفِ واللامِ إذ الإضافةُ والألفُ واللامُ لا يجتمعان في هذا النحو ، ألا ترى أنّك لاتقولُ ، فَعَلْتُ بِالْأَمْسِكِ ، ولا جاعني الغلامُك ، وكذا إذا أُبرِزَ الألفُ واللامُ أُعْرِبَ كقولك : فعلت ذلكَ الأَمْسَ ، ومضى الأَمْسُ بما فيه ، فعوُدُ الإعرابِ إليه عند ظهور الألفِ واللامِ إلى لفظة أو زوالِ معناه عنه بالإضافة يدلك على أنّ بناءه كان لتضمنه معناه))^٣ .

الظرف المقطوع عن الإضافة

قال ابن جني في ضوء قول المتنبي : (من الطويل)

((فأضحتَ كأنَّ السورَ من فوقِ بدوهُ إلى الأرضِ قد شقَّ الكواكبَ والتريا

ضم (فوق) لأنها معرفة هنا ، فصارت غاية بمنزلة (قبل) و (بعد) . أراد: من فوقه أي من اعلاه ، فلما حذف المضاف إليه بناه . قال أبو النجم (من الرجز) : ((أقبُ من تحتُ عريضٍ من عِلِّ)) ... وقرأت على أبي علي للشنفرى (من الطويل) :

إذا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُهَا ثُمَّ إِنَّهَا تَتُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تَحِيْتُ وَمِنْ عِلِّ))^٤ .

يبدو أنّ الذي ذهب إليه ابن جني فيما قرأه على أبي علي في قول الشنفرى وغيره هو بناء الظرف المقطوع عن الإضافة ، والمعروف أنّ الظروف (قبل وبعد وتحت وفوق) وغيرها منصوبة

١ . الكتاب / ٢ / ١٦٤

٢ . يونس / ٢٤ ((فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس))

القصص / ٢٨ ((فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه))

القصص / ٢٨ ((قال يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس))

القصص / ٢٨ ((واصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء))

٣ . المقتصد في شرح الإيضاح / ١ / ١٤١

٤ . الفسر / ١ / ١٧٤

على الظرفية عند إضافتها لغيرها من الأسماء نحو (الكتابُ فوقَ المنضدةِ) أو (تحتَ المنضدةِ) أو (حدثَ قبلَ الهجرة) أو (بعدَ الهجرة) وغيرها ، لكن هذه الظروفُ تُبنى على الضمِّ عندما تقطع عن الإضافة نحو قوله تعالى ((للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)) 'فـ(قَبْلُ) و (بعْدُ) ظرفان مبنيان على الضم في محل جر ، وهذا مذهب الخليل وسيبويه .

قال سيبويه ((وسألت الخليل عن (مِنْ عَلٍ) ، هَلَا جُرِمَتِ اللَّامُ ؟ فقال : لِأَنَّهُمْ قَالُوا : مِنْ عَلٍ ، فَجَعَلُوهَا بِمَنْزِلَةِ الْمُتَمَكِّنِ ، فَأَشْبَهَهُ عِنْدَهُمْ (مِنْ مُعَالٍ) ، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يُجْعَلَ بِمَنْزِلَةِ قَبْلُ وَبَعْدُ حُرُوكَهُ كَمَا حَرَكُوا أَوَّلَ فَقَالُوا : اِبْدَأْ بِهَذَا أَوَّلُ ، وَكَمَا قَالُوا : يَا حَكَمُ أَقْبَلُ فِي النِّدَاءِ ؛ لِأَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ أَسْمَاءً مُتَمَكِّنَةً كَرِهُوا أَنْ يُجْعَلَ بِمَنْزِلَةِ غَيْرِ الْمُتَمَكِّنَةِ ، فَلِهَذَا الْأَسْمَاءُ مِنَ التَّمَكِّنِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهَا ، فَلَمَّ يُجْعَلُوهَا فِي الْإِسْكَانِ بِمَنْزِلَةِ غَيْرِهَا وَكَرِهُوا أَنْ يُخْلَوْا بِهَا))^٢ .

وقال أيضاً ((وسألته عن قوله : مِنْ دُونَ ، وَمِنْ فَوْقٍ ، وَمِنْ تَحْتٍ ، وَمِنْ قَبْلٍ ، وَمِنْ بَعْدٍ ، وَمِنْ دُبُرٍ ؟ وَمِنْ خَلْفٍ ؟ فقال : أَجْرُوا هَذِهِ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ الْمُتَمَكِّنَةِ ؛ لِأَنَّهَا تَضَافُ وَتُسْتَعْمَلُ غَيْرَ ظَرْفٍ . وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ : مِنْ فَوْقٍ وَمِنْ تَحْتٍ ، يَشْبِهُهُ بِقَبْلُ وَبَعْدُ . وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ : * أَقْبُ مِنْ تَحْتٍ عَرِيضٌ مِنْ عَلٍ *)^٣ .

نون المثني في أسماء الإشارة والأسماء الموصولة

قال ابن جنى ((فأما النون في هذان . وتان . واللذان . واللتان فالقول فيها : إنها ليست عوضاً من حركة ولا تنوين ولا من حرف محذوف كما يظن قوم ولا حكم هذان واللذان في أنهما اسمان مثنيان حكم الزيدان والعمران ، وأنا اذكر لك ما تحصل لي عن أبي علي بعد طول البحث معه عن ذلك))^٤ .

يفهم من هذا أن أسماء الإشارة في حالة التنبيه هذان ، اللذان ، واللتان ، ليست كحال الزيدان في حال التنبيه ؛ لأنَّ النون في الزيدان عوضاً من الحركة والتنوين أما في اسم الإشارة كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين أي ليست عوضاً عنها وهذا ظاهر قول سيبويه: ((واعلم أنك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان : الأولى منها حرف مد واللين وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون ... وتكون الزيادة الثانية نونا كأنها عوضٌ لما منع من الحركة والتنوين ، وهي النون وحركتها الكسر ، وذلك قولك : هما الرجلان ، ورأيت الرجلين ، ومررت بالرجلين))^٥ .

١ . الروم / ٤
٢ . الكتاب / ٢٨٧/٣
٣ . المصدر نفسه والجزء / ٢٨٩
٤ . سر صناعة الاعراب / ٢ / ٤٦٥-٤٦٦
٥ . الكتاب / ١٧/١-١٨

في ضوء هذا يتضح أنّ نون المثني في الأسماء المتمكنة غير المبهمة تأتي عوضاً من الحركة والتنوين أما في اسم الإشارة فلا ، فضلاً عن أنّ أسماء الإشارة تحذف منها بعض الحروف حتى تضع الزيادتان ، في حين أنّ الأسماء المتمكنة لا يحذف منها شيء فبذلك يختلف الحكم بينهما في التثنية . قال سيبويه : ((هذا باب تثنية الأسماء المبهمة التي أواخرها معتلة . وتلك الأسماء . ذا ، وتا ، والذي والتي ، فإذا تثبتت ذا قلت : ذان ، وإن تثبتت تا قلت : تان ، وإن تثبتت الذي قلت اللذان ، ... وإنما حذفت الياء والألف لتفرق بينهما وبين ما سواهما من الأسماء المتمكنة غير المبهمة)).^١

فتح نون المثني :

قال ابن جنى : ((وفتحها بعضهم في موضع الرفع ، قرأت على أبي علي في نوادر أبي زيد :

(من الرجز)

أَعْرِفُ مِنْهَا الْأَنْفَ وَالْعَيْنَانَا وَمَنْخَرَيْنِ أَشْبَهَا ظَبْيَانَا))^٢ .

المعروف أنّ نون المثني مكسورة في حين أنّ نون جمع المذكر السالم مفتوحة ، لكن بعض العرب ينطقون بنون المثني وهي مفتوحة ولا سيما في موضع الرفع ، وهذا الشاهد من باب الشاذ والنادر في ضوء القاعدة اللغوية ، فقد عدّه ابن عقيل مصنوعاً فلا يحتج به .^٣ لكنّ هذا لا يقتنع أهل اللغة ؛ لأنّ الذي رواه أبو علي وقُرئ في كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري يُطمأن لصحته ؛ لأنّ أبا زيد ثقة ، وسيبويه يذكر مرات (حدثني الثقة) أو (أخبرني الثقة) والمقصود به أبو زيد ثم إنّ رواية أبي زيد (ومنخران) بالكسر مبيّنة بقوله : ((وأتشدني المفضل لرجل من بني ضبّة هلك منذ أكثر من مئة سنة : (من الرجز)

إِنَّ لِسُعْدِي عِنْدَنَا دِيْنَانَا
كَانَتْ عَجُوزًا عَمِرَتْ زَمَانًا
أَعْرِفُ مِنْهَا الْأَنْفَ وَالْعَيْنَانَا
ظَبْيَانُ اسْمُ رَجُلٍ أَرَادَ مَنْخَرِي ظَبْيَانُ))^٤ .

يُخْرِي فُلَانًا وَابْنَهُ فُلَانًا
وَهِيَ تَرَى سَيِّئَهَا إِحْسَانًا
وَمَنْخَرَانِ أَشْبَهَا ظَبْيَانَا

علة وجود الواو في جمع المذكر السالم والألف في المثني

((قال أبو علي : ((لما كان الجمع أقوى من التثنية لأنه يقع على أعداد مختلفة ، وكان لذلك أعمّ تصرفاً من التثنية التي تقع لضرب واحد من العدد لا تتجاوزهُ ، وهو اثنان جعلوا الواو التي هي أقوى من الألف في الجمع الذي هو أقوى من التثنية))^٥ .

١ . الكتاب ٤١١/٣

٢ . سر صناعة الاعراب ٤٨٩/٢

٣ . ينظر شرح ابن عقيل ٧٢/١

٤ . النوادر في اللغة ١٥/

٥ . سر صناعة الاعراب ٧١٨/٢

يفهم من قول أبي علي أن المثنى يقع في الأسماء التي لها واحدٌ من لفظها وما عداها فهي ملحقة بالمثنى ، وأما الجمع بالواو فلا يشمل الأسماء كلها بل يشمل علم وصفة المذكر العاقل ، فهناك جمع تكسير لما لا يعقل وجمع مؤنث سالم للاسم المؤنث . ولما كانت التثنية أوسع من جمع المذكر جعلوا الألف الخفيفة فيها وجعلوا الواو الثقيلة في ذلك الجمع لقلّة ما يستقلون^١ .

الألف والياء في التثنية حرفا إعراب والاختلاف فيهما

قال ابن جني : ((اختلف الناس من الفريقين في هذه الألف ما هي من الكلمة ، فقال سيبويه : هي حرف الإعراب ، وليست فيها نية إعراب ، وأنّ الياء في حال الجر والنصب في قولك : مررت بالزيدين ، وضربتُ العمرين حرف إعراب أيضاً ، ولا تقدير إعراب فيها ، وهو قول أبي اسحاق ، وابن كيسان وأبي بكر وأبي علي . وقال أبو الحسن : إنّ الألف في التثنية ليست حرف اعراب ولا هي أيضاً إعراب ولكنها دليلُ الإعراب ، فإذا رأيت الألف علمت أنّ الاسم مرفوع ، وإذا رأيت الياء علمت أنّ الاسم مجرورٌ أو منصوبٌ . وإليه ذهب أبو العباس المبرد . وقال أبو عمر الجرمي صالح بن اسحاق : الألف حرف إعراب كما قال سيبويه ثم إنه كان يزعم أنّ انقلابها هو الإعراب . وقال الفراء وأبو اسحاق الزيادي : الألف هي الإعراب وكذلك الياء))^٢ .

في ضوء هذا الاختلاف لابدّ أن نتعرف نصوص اقوال النحاة في هذه المسألة ، كي نوازن بينها فسيبويه عنده الالف والياء حرفا اعراب . بقوله ((واعلم أنّك إذا تَنَيْت الواحد لحقّة زيادتان : الأولى منها حرف المد واللين وهو حرف الإعراب غير متحرّك ولا منون ، يكون في الرفع ألفاً ، ولم يكن واواً ليفصل بين التثنية والجمع الذي على حدّ التثنية ويكون في الجرّ ياءً مفتوحاً ما قبلها ولم يكسّر ليفصل بين التثنية والجمع الذي على حدّ التثنية . ويكون في النصب كذلك))^٣ .

أما الأخفش فعنده الألف والياء دليلان إعراب بقوله : ((وجعلت الياء للنصب والجرّ ، نحو العالمين ، والمتقين ، فنصبهما وجرّهما سواء ، كما جعلت نصب الاثنين وجرّهما سواء ، ولكن كسّر ما قبل ياء الجميع ، وفتح ما قبل ياء الاثنين ، ليفرق ما بين الاثنين والجمع وجعل الرفع بالواو ليكون علامة الرفع ، وجعل رفع الاثنين بالألف))^٤ .

وتابع الأخفش في رأيه المبرّد بقوله : ((وقولنا دليل على الإعراب ، إنّما هو أنّك تعلم أنّ الموضع موضع رفع إذا رأيت الألف و موضع خفض ونصب إذا رأيت الياء . وكذلك الجمع بالواو والنون إذا قلت : مسلمون ومسلمين . وكذلك ما كان المفهوم لموضعه حرفاً نحو قولك اخوك واخاك وأخيك . وأبوك وأباك وأبيك))^٥ .

١ . ينظر سر صناعة الاعراب / ٢ / ٧١٨

٢ . سر صناعة الاعراب / ٢ / ٦٩٥-٦٩٦ وينظر علل التثنية / ٤١

٣ . الكتاب / ١ / ١٧

٤ . معاني القرآن / ١ / ١٣-١٤

٥ . المقتضب / ٢ / ١٥٣-١٥٤

فضلاً عن هذا أنه يختار رأي الأخفش بقوله: ((والقول الذي نختاره ونزعم أنه لا يجوز غيره -قول أبي الحسن الأخفش- وذلك أنه يزعم أن الألف إن كانت حرف إعراب فينبغي أن يكون فيها إعرابٌ هو غيرها، كما كان في الدال من زيد ، ونحوها ،ولكنها دليل على الإعراب ؛ لأنه لا يكون حرف إعراب ولا إعراب فيه ،ولا يكون إعرابٌ إلا في حرف))^١.

يردُّ المبردُّ أيضاً على أبي عمر الجرمي في زعمه أن الألف حرف إعراب وانقلابها هو الإعراب نفسه .بأنه يلزمه في ذلك شيان أحدهما : في نظرك أن الإعراب معنى وليس لفظاً ، فهذا خلاف ما جعلته في الألف لأنها لفظ ، والشيء الآخر في نظرك أن بداية احوال الاسم الرفع ، فبداية وقوع التثنية وقعت الألف ، بذلك لا يكون موضع الرفع إعراب ، لأنه ليس بانقلاب معها^٢.

أما أبو علي - رحمه الله - فكان يرجح رأي سيبويه ويدلّك على صحته قوله: ((ويدل على صحة ما قال سيبويه من أنه ليس في حرف الإعراب من التثنية تقدير حركة في المعنى كما ان ذلك ليس موجوداً فيها في اللفظ صحة الياء في الجر والنصب في نحو : مررت برجلين وضربت رجلين ولو كان في الياء منهما تقدير حركه وجب أن تقلب ألفاً كرحى وفتى ، ألا ترى أن الياء إذا انفتح ما قبلها وكانت في تقدير حركة وجب ان تقلب ألفاً))^٣.

ويستحسن ابن جني رأي أبي علي هذا ويعده سديداً بقوله : ((وهذا استدلال من أبي علي في نهايه الحسن ، وصحة المذهب ، وسداد الطريقة))^٤.

ويدلل أبو علي على صحة مذهب سيبويه أن الألف في التثنية حرف اعراب صحة الواو في (مذروان) ويدحض رأي الاخفش والمبرد في هذا زعمهم أنها دليل إعراب لا حرف إعراب بقوله : ((ألا ترى أنه لو كانت الألف إعراباً أو دليل إعراب ، وليست مصوغة في جملة بناء الكلمة متصلة بها اتصال حرف الاعراب بما قبله لوجب ان تقلب الواو ياء ، فيقال (مذريان) لأنها كانت تكون على هذا القول طرفاً كلام (معزى) و(مدعى) و(ملهى) فصحة الواو في (مذروان) دلالة على أن الألف من جملة الكلمة وأنها ليست في تقدير الانفصال الذي يكون فيه اعراب . قال : فجرت الالف في (مذروان) مجرى الألف في (عنفوان) وإن اختلفت النونان))^٥.

ويوازن أبو علي بين رأي سيبويه ورأي الأخفش في ضوء دلالة الالف على الرفع ، ويرجح رأي سيبويه في ضوء وجود حروف إعراب تقوم مقام الاعراب ، ويعد رأي سيبويه هو القياس ؛ لأنه يهتم بالقياس في أغلب المسائل اللغوية . فقال : ((ولا تمتنع الألف على قياس قول سيبويه أنها حرف إعراب أن تدل على الرفع كما دلت عليه عند أبي الحسن لوجدنا حروف إعراب تقوم مقام

١ . المصدر نفسه/٢/١٥٤

٢ . ينظر المقتضب /٢/١٥٣-١٥٤

٣ . سر صناعة الاعراب /٢/٧٠٦ وينظر علل التثنية /٤٥

٤ . المصدر نفسه والجزء والصفحة وينظر المصدر نفسه والصفحة

٥ . سر صناعة الاعراب /٢/٧٠٩ وينظر علل التثنية /٤٥-٤٦

الإعراب في نحو هذا أبوك ورأيت أباك ومررت بأبيك واخواته كلاهما وكليهما . ولكن وجه الاختلاف بينهما أن سيويوه قد زعم أنها حرف إعراب لاتدل على الإعراب))^١ .

أما قول الفراء وأبي اسحاق الزياي ، الألف هي الاعراب ، فيردّه أبو علي من حيث المعنى في المفرد والمثنى فإذا حذف الألف حذف الاعراب لا المعنى فالاسم (زيد) يبقى في المعنى نفسه إذا كان فيه الألف (زيدان) وهذا خلاف معنى التثنية والمفرد ، لأن لكل منهما معنى قائم بنفسه .

قال أبو علي : ((يلزم من قال إن الألف هي الاعراب أن يكون الاسم متى حذفته منه الألف دالاً من معنى التثنية على ما كان يدل عليه والألف فيه ؛ لأنك لم تعرض لصيغة الاسم ، وإنما حذفته إعرابه ، فسبيل معناه أن يكون قبل الحذف وبعده واحداً كما ان (زيداً) ونحوه متى حذفته إعرابه فمعناه الذي كان يدل عليه معرباً باقٍ فيه بعد سلب إعرابه))^٢ .

أما ابن جني فقد تابع شيخه أبا علي الفارسي في ترجيح رأي سيويوه ، واعطاء الدليل على ترجيحه في ضوء احتياج الاسم المثنى إلى حرف إعراب ، لأنه اسم معرب متمكن . ودحض رأي الأخفش بحجة : أن الدال في (الزيدان) حرف إعراب ؛ لأن الاسم انتقل إلى حالة أخرى كما انتقل المذكر (قائم) إلى المؤنث (قائمة) فاصبحت الهاء في قائمة حرف إعراب بدلاً من الميم في قائم . وبالنظر لهذا لا يكون آخر المفرد حرف إعراب في المثنى^٣ .

إن أرجح الأراء واصوبها هو أن الاسم عند التثنية معرب بالحرف وهذا الحرف هو الألف في الرفع والياء في الجر والنصب ؛ كما أن الاسم المفرد يحتاج إلى حرف إعراب وأن بعض الأسماء تقوم فيها الحروف مقام حركات الإعراب نحو الواو في (أبوك) والألف في (أباك) والياء في (أبيك) .

علة الواو في (ذو) و(فو) حرف إعراب

قال أبو علي : لو لم تكن الواو في ذو وفو حرف إعراب لبقى الاسم الواحد على حرف واحد وهو الذال))^٤ .

إن (ذو) أصله ذوا على وزن فعل بدليل قوله تعالى (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ)^٥ ، قال سيويوه : ((ولو سميت رجلاً ذوً نقلت: هذا ذواً ، لأن أصله فَعَلٌ . ألا ترى أنك تقول هاتان ذواتا مالٍ . فهذا دليل على أن ذو فَعَلٌ ، كما أن أبوان دليل على أن أبا فَعَلٌ))^٦ .

وأشار المبرد إلى أنه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين كما هو الحال في ذو و فو ؛ لأن التنوين يذهب به فيبقى بحرف واحد . بقوله : ((ولو سمينا رجلاً (ذو) لقلنا : هذا ذوا قد جاء ، لأنه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين ؛ لأن التنوين يذهب به فيبقى على حرف ، وإنما رددت ما

١ . علل التنبيه/٤٧

٢ . سر صناعة الاعراب/٢/٧١٦

٣ . ينظر علل التنبيه /٤٢-٤٣ و سر صناعة الاعراب/٢/٦٩٦-٦٩٧

٤ . علل التنبيه / ٤٤ و سر صناعة الاعراب/٢/٧٠٠

٥ . الرحمن /٤٨

٦ . الكتاب/٣/٢٦٢-٢٦٣

ذهب ، وأصله (فعل) ، يدلك على ذلك (ذواتا افنان) و (ذَوَاتِي أَكُلِ خَمَطٍ) ^١ وإنما قلت هذا ذو مال فجننت به على حرفين ؛ لأنّ الإضافة لازمة له ، وممانعة من التنوين . كما تقول هذا فو زيد ورأيت فإزيد ، فإذا افردت قلت : هذا فمّ فاعلم ؛ لأنّ الاسم قد يكون على حرفين إذا لم يكن أحدهما حرف لين كما تقدم ، من نحو : يد ودم ، وما أشبه ذلك)) ^٢ .

واعلم ان (ذو)،(فو) لا يأتي إامضافاً إلى اسم ؛ لأنّ الإضافة تمنعه من التنوين كحركة اعراب ، فيكون إعرابه الواو ؛ لأنّه عندما لا يضاف إلى اسم ينون فإذا نونَ حذفت الواو ، وفي هذه الحالة يصبح من حرف واحد وهذا لا يكون ، وبذلك يعملون مع (فو) فيضيفون له الميم ، فيكون (فم) . وفي ضوء هذا يفهم أنّ الواو في (ذو ، فو) حرف اعراب ، وإضافته إلى اسم ظاهر هو الذي جعلها حرف إعراب ، وأنّ لامه حذفت عند الإضافة ؛ لأنّ بناءه ،(فَعَلٌ) (ذَوًا) و(فَوًا) . والدليل على ذلك قولنا : (ذواتا مال) ، كما أشار سيبويه .

التنوين عوضاً عن الياء في (جوار، غواش)

قال ابن جني: فأما ((جوار و غواش) ونحوهما ، فللسائل أن يقول : لم صُرفَ هذا الوزن وبعد ألفه حرفان : الراء والياء والشين والياء؟ وقد قال أبو اسحاق في هذا ما أذكره لك : وهو أنّه ذهب إلى أنّ التنوين إنّما دخل في هذا الوزن ؛ لأنّه عوضٌ من زهاب حركة الياء)) ^٣ . وقال أيضاً : ((وانكر أبو علي هذا القول على أبي اسحاق ، وقال : ليس التنوين عوضاً من حركة الياء ، وقال : لأنّه لو كان كذلك لوجب أن يُعوض التنوين من حركة الياء في (يرمي) ألا ترى أنّ أصله : (يرمي) بوزن يضرب ، فلما لم نرهم عوضوا من حركة هذه الياء ، كذلك لا يجوز التنوين في (جوار) عوضاً من زهاب حركة الياء)) ^٤ .

إنّ الذي ذهب إليه أبو علي هو رأي سيبويه نقله عن الخليل بعد أن سألته عن (جوار) بقوله : ((قلت : فإن جعلته اسم امرأة ؟ قال اصرفها ؛ لأنّ هذا التنوين جعل عوضاً ، فثبت إذا كان عوضاً كما ثبتت التنوينة في أذرعات إذ صارت كنون مسلمين)) ^٥ .

أما المبرد فقد ذهب إلى انصراف جوارى انقصت من باب ضوارب ، ولو سميت بالمنقوص مثل : قاض اسم امرأة تصرف في الرفع والخفض ؛ لأنّ التنوين يدخل عوضاً مما حذف منه ^٦ . في حين أنّ السيرافي يذكر أنّ المبرد يخالف سيبويه في حذف الاسم المنقوص نحو: (جوارى) ؛ لأنّ التنوين عوضاً عن حركة لا عوضاً عن الياء المحذوفة .

١ . سبأ/١٦

٢ . المقتضب/١/٢٣٤

٣ . المنصف/٢/٧٠

٤ . المنصف/٢/٧٠-٧١

٥ . الكتاب/٣/٣١٠

٦ . ينظر المقتضب/١/١٤٣

قال السيرافي ملخصاً : ((مذهب المبرّد في هذا التنوين أنه عوضٌ من الحركة ؛ لأن الأصل عنده تقدم الحذف على الإعلال ، وأما قول سيبويه ، فالذي ظهر من كلامه أنهم جعلوا التنوين عوضاً من الياء ، فإن قال قائل : وكيف يجعل التنوين عوضاً من الياء ولا طريق إلى حذف الياء قبل دخول التنوين؟ قيل له : تقدير هذا إن أصل غواش غواشي ويكون التنوين لما يستحقه الاسم من الصرف في الأصل ثم تحذف ضمة الياء مثلاً استثقلاً فيجتمع الساكنان فتحذف الياء ثم تحذف التنوين لمنع الصرف ؛ لأن الياء منوية ثم يعوض من الياء المحذوفة تنوين غير تنوين الصرف))^١ . يفهم من هذا أن سيبويه ذهب إلى أن التنوين أدخل عوضاً عن الياء ، أما المبرّد فقد ذهب إلى أنه يدخل عوضاً عن الحركة ؛ لأنّ (جوارِي) في الأصل (جوارِي) فحذفت الحركة لثقلها على الياء ثم حذفت الياء ؛ لأنّها ساكنة والتنوين ساكن ، وبهذا جاء التنوين عوضاً عن حركة الياء لا عن الياء نفسها.^٢

والذي ذهب إليه المبرّد أبده أبو اسحاق الزجاج وذهب إليه وقال : بأن التنوين عوضٌ عن الحركة التي على الياء ، هذا ما ذكره ابن جني بقوله : ((وهو أنه ذهب إلى أن التنوين إنّما دخل في هذا الوزن ؛ لأنه عوض من زهاب حركة الياء ، فلما جاء التنوين وهو ساكن والياء قبله ساكنة التقى ساكنان فحذفت الياء فقيّل : ((هؤلاءِ جوارِ)) كما قيل : ((هذا قاضٍ)) ، (ومررت بقاضٍ) يريد أنّ أصله : هؤلاءِ جوارِي ، ثم اسكنت الياء استثقلاً للضمة فبقيت (جوارِي) ثم عوض من حركة تنوين . فالتقى ساكنان فوجب حذف الياء كما ذكرنا قبل))^٣ .

وذهب ابن جني أيضاً إلى ما ذهب إليه المبرّد وأبو اسحاق الزجاج إلى أن التنوين عوضٌ عن الحركة بقوله : ((ألا ترى أنّ الحركة لما ثبتت في موضع النصب في قولك : (رأيتُ حواري) لم يُجأ بالتنوين ؛ لأنه إنّما كان يجيء عوضاً من الحركة ، فإذا كانت الحركة ثابتة لم يلزم أن يُعوض منها شيء))^٤ .

فضلاً عن هذا نرى ابن جني ينتصر لرأي أبي اسحاق الزجاج ويردُّ على شيخه أبي علي بقوله : ((فإن انتصر منتصرٌ لأبي اسحاق فقال : إلزام أبي عليّ إياه لا يلزمه ؛ لأنّ له أن يقول : إنّ (جوارِ) ونحوه اسم والتنوين بابهُ الأسماء ، و(يرمي ويغزو) فعلٌ ، والتنوين لامدخل له في الفعل ، فلذلك لم يلزم أن يعوض من حركة ياء (يرمي) ونحوها))^٥ .

إنّ بعض أنواع التنوين سمي تنوين العوض عن حرف أو عن اسم أو عن جملة فتتوين جوارِ وغواشٍ هو تنوين عوض عن حرف . قال ابن عقيل : ((وتنوين العوض، وهو على ثلاثة

١ . حاشية الكتاب بولاق/٥٧/٢

٢ . ينظر هامش الكتاب / هارون/٣١٠/٣

٣ . المنصف /٧٠/٢

٤ . المنصف/٧٠/٢

٥ . المصدر نفسه /٧١/٢

اقسام ... وقسم يكون عوضاً عن حرف وهو اللاحق لـ (جوار ، وغواشٍ .) ونحوهما رفعاً وجراً ، نحو : (هؤلاء جوارٍ) فحذفت الياء وأتى بالتنوين عوضاً عنها^١.

فهذا الدليل الناصع على أنّ الذي ذهب إليه سيبويه وتابعه أبو علي هو الصواب أمّا احتجاج أبي علي على الزجاج في ضوء الفعل المعتل فهو احتجاج ضعيف وقد ردّه ابن جني وضعفه . فالتنوين عوضاً عن الحرف وحركته ؛ لأنّ الحركة هي تابع للحرف المحذوف فلما حذفت الحركة استثقلاً وحذف الحرف جيء بالتنوين ليعوض عنهما جميعاً.

هيهات بين النكرة والمعرفة . والإفراد والجمع .

قال ابن جني : ((فأما مَنْ قال هيهات هيهات ففتح ، فحكمه أن يقف بالهاء لأنها بمنزلة علقاة وأرطاة وهيهات على هذا اسم واحد كما أنّ علقاة وأرطاة اسم واحد ، فمنّ نون ، فقال هيهات فأنه نوى النكرة ، فكأنه قال بعداً بعداً ، ومنّ لم ينون فإنه نوى المعرفة ، فكأنه قال : البعد البعد ، فأما إذا صرت إلى الجماعة فإنّ نظير قول من فتح الهاء في الواحد ، فقال : هيهات ، أن يقول في الجماعة هيهات ، فيكسر التاء في الجماعة بغير تنوين ، كما فتح الهاء في الواحد بغير تنوين ، ومن كان يقول في الواحد هيهات ، فينون ، ويعتقد التنكير ، فنظيره في الجماعة أن يقول هيهات ، فيكسر التاء ، وينون إرادةً للتنكير ، كما أنّه لما أراد التعريف لم ينون ، فقال هيهات ، وذلك أن بأزاء فتح تاء الواحد كسرتاء الجماعة ، والتنوين على هذا في هيهات هو علم التنكير بمنزلة تنوين صه ومه وإيه ، وتكون هيهات وهيهات في هذا القول مبنية بمنزلة بناء صه ومه ومن كانت هيهات وهيهات عنده معربة منصوبة على الظرف فإنّ التنوين في هيهات عنده بمنزلة تنوين مسلمات لا فرق بينهما ، فيجوز في هيهات على هذا أن تكون نكرة . وقد أجاز أبو العباس فيها أيضاً أن تكون مع التنوين معرفة بمنزلة مسلمات معرفة ، أخبرنا بذلك أبو علي في مسائله المصلحة من كتاب أبي اسحاق رحمه الله^٢.

إنّ هذا الذي ذكره ابن جني في ضوء ما أخبره أبو علي ، هو مذهب الخليل وسيبويه في (هيهات) ولاسيما في سكون الهاء وكسر التاء وفي إفرادها وجمعها قال سيبويه ((وسألته عن هيهات اسم رجل وهيهات ؟ فقال : أمّا من قال : هيهات فهي عنده بمنزلة علقاة . والدليل على ذلك أنّهم يقولون : في السكون هيهاه . ومن قال : هيهات فهي عنده كبيضات . ونظير الفتحة في الهاء الكسرة في التاء ، فأذا لم يكن هيهات ولا هيهات علماً لشيء . فهما على حالهما لا يغيران عن الفتح الكسر ؛ لأنّهما بمنزلة ما ذكرنا ممّا لم يتمكّن^٣ .

١ . شرح ابن عقيل ١٧/١-١٨

٢ . سر صناعة الاعراب ٢/٤٩٩-٥٠٠

٣ . الكتاب ٣/٢٩١-٢٩٢

يبدو أنَّ (هيهات) بالتاء الطويلة تقابل وتعامل معاملة جمع المؤنث السالم ، و(هيهاة) بالتاء المربوطة تعامل معاملة التكسير نحو: (عرقاة وعرقات) هذا ما أشار إليه سيبويه بقوله : ((ونظير هيهات وهيهاة في اختلاف اللغتين ، قولُ العرب : استأصلَ اللهُ عِرْقَاتِهِمْ ، واستأصلَ اللهُ عِرْقَاتَهُمْ بعضهم يجعله بمنزلة علقاة وبعضهم . يجعله بمنزلة عُرْسٍ وعُرُسَاتٍ ، كَأَنَّكَ قَلْتِ : عِرْقٌ وَعِرْقَانٌ وَعِرْقَاتٌ . وكُلَّا سَمِعْنَا مِنَ الْعَرَبِ))^١ .

ونظير مذهب الخليل وسيبويه مذهب أبي العباس المبرِّد الذي أشار إليه أبو علي واستشهد به ، وهذا المذهب ، بعد ان عالج الواحد والجمع والبناء والاعراب ، علل حجة التنوين ، ووضع (هيهات) بين النكرة والمعرفة ، فقال : ((فأما (هيهات) فتأويلها البُعد وهي ظَرْفٌ غيرُ مُتَمَكِّن ، لأبهامها ، ولأنَّها بمنزلة الأصوات . فمنهم من يجعلها واحداً كقولك : (عَلْقَاة) فيقول : ((هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ^٢)) فمن قال ذلك فالوقف عنده هيهاه وترك التنوين للبناء . ومنهم من يجعلها جَمْعاً كَبَيضَاتٍ فيقول : (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) وإذا وقف على هذا القول وقف بالتاء ، والكسرة إذا أردت الجَمع للبناء كالفتحة إذا اردت الواحد . ومن جعلها نكرة للجمع نَوْنٌ فقال : هيهات يا فتى . وقال قوم : بل نَوْنٌ وهي معرفة ؛ لأنَّ التنوين في تاء الجمع في موضع النون من مسلمين قال : والدليل على ذلك أنَّ معناه في البُعدِ كمعناه ، فلو جاز أن تنكره وهو جمع لجاز أن تنكره وهو واحد وهذا قول قوي^٣ .

أما الفراء فلم يعد تاء التانيث وهي مبنية على فتح الجزأين في (هيهات هيهات) كما في خمسة عشر . هذا ظاهر قوله : ((فإذا اوقفت على هيهات ووقفت بالتاء في كليتها ؛ لأنَّ من العرب من يخفض التاء ، فدلَّ ذلك على أنَّها ليست بهاء التانيث فصارت بمنزلة دَرَاكِ ونظارٍ . ومنهم من يقف على الهاء ؛ لأنَّ من شأنه نصبها فيجعلها كالهاء . والنصبُ الذي فيهما أنَّهما أداتان جُمِعَتَا فصارتا بمنزلة خمسة عشر))^٤ .

وعنده أيضاً أنَّها تماثل تاء رَبَّتْ وَثُمَّتْ إذا كان كل واحدة بنفسها فقال : ((وإنَّ قَلْتِ إنَّ كُلَّ واحدةٍ مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها فإنَّ نصبها كنصب قوله : قُمْتُ ثُمَّتْ جَلَسْتُ ، وبمنزلة قول الشاعر: (من السريع)

مَآوِيَّ بَلْ رَبَّتْ مَا غَارَةٌ شَعْوَاءَ كَاللَّذَعَّةِ بِالْمَيْسَمِ
فَنَصَبُ هَيْهَاتَ بِمَنْزِلَةِ هَذِهِ الْهَاءِ الَّتِي فِي رَبَّتْ ؛ لِأَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى رَبٍّ وَعَلَى ثُمَّ . وكانا أداتين ، فلم يغيرهما عن أداتهما فَنَصَبَا... واختار الكساتي الهاء ، وأنا أقف على التاء))^٥ .

١ . الكتاب / ٣ / ٢٩٢
٢ . المؤمنون / ٣٦ /
٣ . المقتضب / ٣ / ١٨٢ - ١٨٣
٤ . معاني القرآن / ٢ / ٢٣٥ - ٢٣٦
٥ . المصدر نفسه والجزء والصفحة

إجراء المضمَر مجرى المظهر في ((أعطيتكمه))

قال ابن جني: ((سألت أبا علي (رحمه الله) فقلت: مَنْ أجرى المضمَر مُجرى المظهر في قوله (أعطيتكمه) فاسكن الميم مستخفاً ، كما اسكنها في قوله : أعطيتكم درهماً ، كيف قياس قوله على قول الجماعة : أعطيته درهماً إذا أضمر الدرهم على قول الشاعر : (من الوافر)
لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ إِذَا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ

إذا وقع ذلك قافية ؟ فقال : لا يجوز ذلك في هذه المسألة ، وإن جاز في غيرها ، لا لشيء يرجع إلى نفس حذف الواو من قوله : (كأنه صوت حاد) ؛ لأن هذا أمر قد شاع عنهم ، وتولمت فيه لغتهم ، بل لقرينة انضمت إليه ليست مع ذلك ، ألا ترى أنه كان يلزمك على ذلك أن تقول : أعطيتهاً ، خلافاً على قول الجماعة : أعطيتهاوه . فإن جعل الهاء الأولى رويًا ، والأخرى وصلًا ؛ لم يجز ذلك ؛ لأن الأولى ضمير والتاء متحركة قبلها ، وهاء الضمير لا تكون رويًا ، إذا تحرك ما قبلها ، فإن قلت : اجعل الثانية رويًا ، فذلك أيضًا ؛ لأن الأولى قبلها متحركة فإن قلت اجعل التاء رويًا ، والهاء الأولى وصلًا ، قيل : فما تصنع بالهاء الثانية ؟ اتجعلها خروجًا ؟ هذا محال ، لأن الخروج لا يكون إلا احد الأحرف الثلاثة: الألف والياء والواو : فإذا أدك تركيب هذه المسألة في القافية إلى هذا الفساد وجب ألا يجوز ذلك أصلًا . فأما في غير القافية فشائعة جائزة . هذا محصول معنى أبي علي ، فأما نفس لفظه فلا يحضرنى الآن حقيقة صورته))^١ .

إن البيت الشعري الذي ذكره ابن جني حدث فيه حذف الواو في حالة الوصل من (كأنه) لأن أصلها (كأنهوه) ؛ لأنهم أجروه في الوصل بحالة الوقف ، هذا ما أشار إليه سيبويه بقوله : ((ومن العرب من ينقل الكلمة إذا وقف عليها ولا ينقلها في الوصل ، فإذا كان في الشعر فهم يجرونه في الوصل على حاله في الوقف نحو : سبَسَبًا وكَلَكَلًا ؛ لأنهم قد ينقلونه في الوقف ، فأثبتوه في الوصل كما أثبتوا الحذف في قوله : لنفسه مقتعاً (لنفسه) وإنما حذفه في الوقف))^٢ .

أما ما حدث في (أعطيتكمه) من سكون الميم ، فإن سيبويه يشير إلى تحريك تلك الميم بالضممة وإثبات الواو مع المضمَر ، وسكونها مع المظهر بقوله : ((قولهم : أعطيتكموه ، في قول من قال : أعطيتكم ذلك ، فيجزم ، رده بالإضمار إلى أصله ... حين قال : أعطيتكم اليوم))^٣ .
وأشار سيبويه أيضاً إلى زعم يونس في هذه المسألة بقوله : ((وزعم يونس أنه يقول : أعطيتكمه ، أعطيتكمها ، كما يقول في المظهر . والأول أكثر وأعرف))^٤ .

١ . الخصائص / ١٧/٢ - ١٨

٢ . الكتاب / ٢٩/١ - ٣

٣ . الكتاب / ٣٧٧/٢ وينظر / ١٩٣-١٩٤

٤ . المصدر نفسه والجزء والصفحة

يفهم من كلام سيبويه أنّ حركة الميم مع المظهر أولى من سكنها ، لاستخدامها المُطرد في العربية ويرجح أيضاً الحركة وبعدها بدلاً من التسكين مع المضمّر ؛ لأنّ التسكين من زعم يونس وهو لا يعتدُّ به .

أمّا (أعطيته درهماً) إذا استخدم مع المضمّر فالأصح أن يكون (أعطيتهوه) ؛ لأنّه لا يجوز أعطيته حتى في الشعر ؛ لأنّك لاتجعل الهاء الأولى رويّاً والأخرى وصلاً ، ولا هاء الضمير تكون رويّاً ولا التاء أيضاً ، وهو الصواب الذي أشار إليه ابن جني نقلاً عن أبي علي .

إِيَّاكَ : ضمير نصب منفصل

قال ابن جني : ((دلّ أبو علي على أنّ (إِيَّاكَ) اسم مضمّر ، قال : لأنّه خُصَّ بالنصب كما خُصَّ (أنا ، أنت) بالرفع ، فكما أنّ (أنا ، وأنت) مضمّران بلا إشكال فكذلك (إِيَّاكَ) ولو كان اسماً ظاهراً لما اقتصر به على النصب ولدخله الإعراب كلّهُ . وليس ظرفاً فيلزم النصب كما لزمته (سوى ، وبعيداتُ بيّن) ونحوهما من الظروف التي لم تستعمل إلاّ ظرفاً ، ولا مصدرًا فالزم النصب نحو : ((سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلِيبَيْكَ ، وَمَعَادَ اللَّهِ)) فإذا كان الأمر كذلك بطل أن يكون (إِيَّاكَ) مشتقاً أو متصرفاً))^١ . هذه حقيقة لغوية ونحوية أوردها أبو علي ودلّ عليها في كون (إِيَّاكَ) ضميراً خُصَّ بالنصب ، كما خُصَّ (أنا ونحن) بالرفع ؛ لكونهما ضمائر رفع ، فضلاً عن ذلك أنّه ضمير للنصب منفصل ؛ لأنّه تقدّم على فعله فإذا تأخر حلّ في مكانه الكاف فوجب اتصاله نحو قوله تعالى: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))^٢ ومعنى ذلك نعبدك ونستعين بك . وفي ضوء هذا لا يعدُّ اسماً ظاهراً ولا ظرفاً ولا مصدرًا ؛ لأنّه لو كان كذلك لأعرب ، لكنّه ضميرٌ منفصلٌ مبنيٌّ ؛ لأنّ الضمائر من المبنيات ، فضلاً عن أنّه غير مشتق ؛ لأنّه ليس باسم ظاهر وإنما مضمّر .

قال سيبويه : ((هذا باب علامة المضمّرين المنصوبين ، اعلم أنّ علامة المضمّرين المنصوبين (إِيَّا) ما لم تقدر على الكاف التي في رأيتك ، و(كَمَا) التي في رأيتكما ، و(كُم) التي في رأيتكم ، و(كُنَّ) التي في رأيتكنّ ، والهاء التي في رأيتهُ ، والهاء التي في رأيتُها ، وهما التي في رأيتهُما وهم التي في رأيتهُم و(هُنَّ) التي في رأيتُهُنَّ و(ني) التي في رأيتني ، و(نا) التي في رأيتنا . فإن قدرت على شيء من هذه الحروف في موضع لم تُوقع (إِيَّا) ذلك الموضع ؛ لأنهم استغنوا بها عن إيّا ، كما استغنوا بالتاء وأخواتها في الرفع عن أنت وأخواتها))^٣ .

يفهم من هذا أنّ (إِيَّاكَ رأيت) فيها (إِيَّاكَ) ضمير نصب منفصل إذا تأخر عن فعله يكون متصلاً أي تحل محله الكاف نحو (رأيتك) وكذلك في (إِيَّاه رأيت) رأيتهُ ، وايضاً في حالة الجمع والتثنية إِيَّاكُمْ رأيتُ رأيتكم و إِيَّاكُم رأيتُ رأيتكما ، رأيتهم ورأيتهما . وهكذا .

١ . المنصف ١/١٢١-١٢٢

٢ . الفاتحة ٥

٣ . الكتاب ٢/٣٥٥-٣٥٦

حكاية أبي علي عن اختلاف النحاة في (إيّاك) وكافها

قال ابن جني ((اخبرني أبو علي عن أبي بكر محمد بن السري ، عن أبي العباس محمد يزيد : أنّ الخليل يذهب إلى أنّ (إيّا) اسم مضمّر مضاف إلى الكاف ، وحكى عن المازني مثل هذا القول المحكي عن الخليل أنّه مضمّر مضاف . قال : وحكى أبو بكر عن أبي العباس ، عن أبي الحسن الأخفش ، وأبو اسحاق عن أبي العباس غير منسوب إلى الأخفش : أنّه اسم مفرد مضمّر يتغير آخره كما تتغير أواخر المضمرات لاختلاف أعداد المضميرين ، وأنّ الكاف في (إيّاك) كالتي في (ذلك) ، في أنّه دلالة على الخطاب فقط ، مجردة من كونها علامة للمضمير ، ولا يجيز أبو الحسن فيما حكي عنه : (إيّاك وإيّاك وإيّاك ، وإيّا الباطل))^١ .

ذكر ابن جني فيما رواه عن أبي علي أنّ الخليل يعدّ (أيّا) اسماً مضمراً ، في حين ذكر ابن الوراق : ((كان الخليل -رحمة الله- يقول : هو اسم مظهر مضاف ناب عن الضمير واستدلّ على إضافته بقول العرب : (أذا بلغ المرء الستين فيآياه وإيّا الشّواب))^٢ .

ثم علق على صحة اظهار ذلك الاسم بقوله : ((فلو كان مضمراً لم تجز إضافته ؛ لأنّ المضاف يقدر قبل الإضافة نكرة ثم يضاف ؛ لأنّ الغرض في الإضافة تعريفه ، فلذلك وجب أن يقدر نكرة ، ولو كان الضمير لا يجوز أن يكون نكرة ، لم يجز أن يكون مضافاً))^٣ .

ومن هذا يفهم أنّ (إيّا) ضمير غير مضاف إلى توابعه الكاف والهاء والياء ، ويفهم أيضاً أنّه اسم مظهر نكرة مضاف إلى الكاف عند الخليل ، بدليل قول سيبويه : ((قال الخليل : لو أنّ رجلاً قال : إيّاك نفسك لم أعتفه ؛ لأنّ هذه الكاف مجرورة . وحدثني من لا أتهم عن الخليل أنّه سمع أعرابياً يقول : إذا بلغ الرجل الستين فيآياه وإيّا الشّواب))^٤ .

أمّا الأخفش فعنده (إيّا) مضمّر والكاف دلالة على الخطاب كما في (ذلك) فلا يقدر عليها علامة إعراب . هذا ظاهر قوله : ((وأمّا قوله : (إيّاك نعيّد)) ولم يقل : انت نعيّد ؛ لأنّ هذا موضع نصب ، وإذا لم يقدر في موضع النصب على الكاف والهاء وما أشبه ذلك من الإضمار الذي يكون للنصب ، جعل (إيّاك) أو (إيّا) أو نحو ذلك في موضع نصب))^٥ .

فالأخفش عنده (إيّا) اسم بكامله ؛ لأنها تنوب عن الكاف في (ضربتك) ، وما بعدها من الكاف والياء لواحق ليس لها موضع إعراب ، وهنّ متعلقات (إيّا) كما تتعلق التاء مع (أن) في (أنت)^٦ . يعلق ابن الوراق على ما ذهب إليه الأخفش ، في تعلق هذه التوابع لـ (إيّا) ويجد له تعليلاً ومخرجاً في تغيير أواخرها في ضوء تغيير الحروف في (أخوك وأخاك وأخيك) وينتصر للخليل ،

١ . سر صناعة الأعراب / ١/ ٣١٢-٣١٣

٢ . علل النحو / ٢٧٢

٣ . المصدر نفسه / ٢٧٣

٤ . الكتاب / ١ / ٢٧٩

٥ . معاني القرآن / ١ / ١٦

٦ . ينظر علل النحو / ٢٧٣

بقوله : ((إن قيل له - يعني الأخفش - لم كانت اسماً للمضمر ، والمظهر بتغير آخره بانتقال الحروف وإنما تنتقل الأواخر بالكلمات ؟ فالجواب ... أنه قد خصّ بما ذكره ، وله نظير مع ذلك ، الا ترى أنهم يقولون : جاءني أخوك ومررت بأخيك ، ورأيتُ أخاك ، فيغيرون هذه الأسماء بالحروف ، علامة للإعراب ، فبتغير هذه الحروف جاز أن يتغير أواخرها ، علامة للأشخاص ، إلا أن ما ذكرناه عن الخليل من إضافة هذه الأسماء يدل على ضعف قول الأخفش ... ولم يُعبأ بالذي ذكره الخليل ، إذ كان عنده شاذاً))^١.

وتابع الخليل أبو اسحاق الزجاج بقوله : ((وموضع الكاف في (إِيَّاكَ) خفض بإضافة (إِيَّا) إليها و (إِيَّا) اسم للمضمر المنصوب إلا أنه يُضاف إلى سائر المضمرات ، نحو : إِيَّاكَ ضربت ، وإِيَاي حَدَّثْتُ ولو قلت (إِيَّا زيد) كان قبيحاً ؛ لأنه خصّ به المضمر))^٢.

أما سيبويه فقد ذهب إلى أن (إِيَّا) ضمير لواحقه (الكاف ، الهاء ، الياء) زوائد تبني حالة الضمير من المتكلم والخطاب والغيبة ، ولا محل لها من الإعراب ، وهذا ظاهر قوليه : ((اعلم ان علامة المضمرين المنصوبين (إِيَّا) ما لم تقدر على الكاف التي في رأيك)) و : ((ولا يجوز (إِيَّا) ان تكون علامة لمضمرٍ مجرورٍ ، من قبل أن (إِيَّا) علامة للمنصوب ، فلا يكون المنصوب في موضع المجرور))^٣. وهو في هذا خالف شيخه الخليل ومال إلى الأخفش برأيه .

في حين أن أهل الكوفة يعدون اللواحق (الكاف والهاء والياء) أسماء و (إِيَّا) عمدتها ، وحثهم في ذلك حصول المثني والجمع في هذه اللواحق وبقاء (إِيَّا) ملازمة للفظ الواحد^٤ . ويعد ابن الوراق رأي أهل الكوفة ظاهر السقوط وحثه على ذلك ((لا يجوز أن يُبنى الاسم منفصلاً على حرف واحد ، فلذلك لم يجز أن يقدر هذا التقدير ... ولا يجوز أن يكون أكثر الكلمة تبعاً لأقلها ، لأن ذلك نقض ما يُبنى عليه الكلام وليس احتجاجهم بلحاق التثنية والجمع لما بعد (إِيَّا) مما يدل على أنها هي الأسماء))^٥.

أقول : إن رأي الخليل في هذه المسألة هو أقرب إلى الصواب إذ كان عنده (إِيَّا) اسم مظهر لا مضمر حسب ما قاله ابن الوراق ؛ لأنه يمكن أن يضاف المضمر إلى المظهر أما فيما نقله ابن جنبي عن شيخه أبي علي بأن (إِيَّا) عنده مضمر ، فلا يجوز إضافة مضمر إلى مضمر ؛ لأن الإضافة تكون نكرة إلى معرفة ، ليست إضافة معرفة إلى معرفة ؛ لأن الضمير معرفة فلا حاجة للإضافة في هذه الحالة .

أما من قال على أن (إِيَّا) اسم بكماله فليس بقوي ؛ لأن حركة الكاف للفتح والكسر يمثل خطاب المذكر والمؤنث كما التاء في أنتَ و أنتِ ، فكما أن التاء حرف خطاب فالكاف حرف خطاب أيضاً .

١ . علل النحو / ٢٧٣ /

٢ . معاني القرآن و اعرابه / ٥٣-٥٤ /

وينظر سر صناعة الاعراب / ٣١٤ /

٣ . الكتاب / ٣٥٥-٣٦٢-٣٦٣ /

٤ . ينظر علل النحو / ٢٧٣ /

٥ . علل النحو / ٢٧٣ /

وأما من قال إن اللواحق هي الأسماء و (إيّا) عمدتُهْنُ فهذا غير مرض ؛ لأنّ (إيّا) اسم مضمّر منفصل ليس عمدةً لغيره ، واللواحق هي للخطاب كما (أنّ) ليس عماداً للتاء في (أنت) والتاء يختلف عن الضمير في قمت ، فهي للخطاب في (أنت) واسم في (قمت) .

أما من زعم بأنّ (إيّا) اسم مظهر ، فهذا فاسد ؛ لأنه يقتصر على ضرب واحد من الإعراب وهو النصب والمظهر لا يقتصر على ضرب واحد .^١

أما من قال : إنّ (إيّا) مضمّر والكاف للخطاب بمنزلة الكاف في ذلك ، وهي ليست باسم ، فهذا رأي يمكن إيماده ، وهو رأي أبي الحسن ، الذي إنتصر إليه أبو علي الفارسي ، وعدّه ابن جني من الأقوال التي يمكن اعتقادها ، بقوله : ((لم يبق قولٌ يجب اعتقاده ، ويلزم الدخول تحته غير قول أبي الحسن : إنّ (إيّا) اسم مضمّر ، وأنّ الكاف بعده ليست باسم ، وإنما هي للخطاب بمنزلة كاف ذلك ، وأرأيتك وأبصرتك زيداً ، وليسك عمراً ، والنّجاءك))^٢ .

وحجة ابن جني في هذا أنّ ألف الاثنين وواو الجماعة ونون النسوة وتاء الفاعل تكون أسماء في أخواك قاما وأخوتك قاموا والهندات قُمنَ ، ولكن تكون مجردة عن مذهب الاسمية في (قاما أخواك) (وقاموا أخوتك) ؛ لأنّ المضمّر لا يتقدم على المظهر ، فلما تكون هذه الأشياء في بعض المواضع دالةً على معنى الاسمية وفي بعضها مجردة عن الاسمية فيمكن أن تكون الهاء والياء في (ضربهُ وضربني) يدلان على معنى الاسمية والحرفية فإذا قلت (إيّا) و(إيّاي) تجردتا عن معنى الاسمية وخلصتا للحرفية ، وبهذا أصبحن للخطاب والغيبة والتمكلم ، في (إيّاك) و(إيّا) و(إيّاي) ، وفي هذا القضية كان أبو علي - رحمه الله - ينتصر لمذهب أبي الحسن ويذب عنه .^٣

فضلاً عن أن الذي أشار إليه ابن جني في (قاما أخواك) هي لغة أكلوني البراغيث وهذه لغة مستعملة عند العرب وفيها الألف والواو والنون علامات للتثنية وجمع السلامة .^٤

الهاء والكاف الضميران بينان على الكسر عند الإضافة إلى الاسم والحرف

قال ابن جني : ((روينا عن أبي زيد فيما أخذناه عن أبي عليّ ، وعن غير أبي زيد : (منهم ومنه ومنكم وبكم) أجرى كاف الضمير مجرى هائه))^٥ .

إنّ كسر هاء الضمير وكافه عند إضافة ميم الجمع هو لغة بعض العرب من ربيعة ومن بكر ، هذا ما أشار إليه سيبويه بقوله : ((واعلم أنّ قوماً من ربيعة يقولون : (منهم) ، اتبعوها الكسرة ولم يكن المسكنُ حاجزاً حصيناً عندهم وهذه لغة رديئة ... فجعلوها بمنزلة منّتن لما رأوها تتبعها وليس بينهما حاجز جعلوا الحاجز بمنزلة نون منّتن . وإنما أجرى هذا مجرى الإدغام . وقال ناس من بكر

١ . ينظر سر صناعة الاعراب / ٣١٤-٣١٧

٢ . المصدر نفسه / ٣١٧/١

٣ . يُنظر المصدر نفسه / ٣١٧/١-٣١٨

٤ . ينظر ابن عقيل / ٨٥/٢

٥ . المحتسب / ٧١/١

بن وائل (من أحلامكم ، وبكم) شبهها بالهاء لأنها علمٌ اضمار وقد وقعت بعد الكسرة ، فأتبع الكسرة حيث كانت حرف اضمار وكان أخف عليهم من أن يضم بعد أن يكسر وهي رديئة جداً . سمعنا أهل هذه اللغة يقولون قال الحطيئة : (من الطويل)

وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ من الدهر ردُّوا فضَّلَ أحلامكم ردُّوا^١

الشاهد فيه (احلامكم) فكسرت الكاف كما تكسر الهاء في (احلامهم) ، لكونهما اختين في الهمس ، وهذه لغة ضعيفة ؛ لأن أصل الهاء الضم والكسر عارض وبهذا تختلف عن الكاف ولكن حمل الكاف على الهاء بالكسرة لغة بعيدة وضعيفة ، فقد اتبعتها معها ؛ لأن الهاء علم اضمار فنشبهها بها .^٢

يفهم من هذا أن إجراء كاف الضمير مجرى هائه في (منهم ومنكم) هي لغة بعض العرب ولم تكن لغة شائعة عند الجميع ، فضلاً عن أن سبب الكسر لمتابعة كسرة لكسرة ، ولن يحفل بالسكون التي بين المكسورين .

قال السيرافي : ((الذي يقول منهم بكسر الهاء لا يحفل بالنون فيكسر الهاء لكسرة الميم))^٣. هذا يحدث في الهاء وقبلها سكون فكيف بالكاف التي ليس بينها وبين الميم المكسورة ساكن فالأولى كسرهما لمتابعة حركة الثانية للأولى ، أو هي حمل الكاف مجرى الهاء ، والله أعلم .

أسماء الإشارة

أسماء الإشارة معرفة مبنية ، وتعرب منونة على الشذوذ

قال ابن جنِّي : ((فإن قلت : فإذا كانت أسماء الإشارة لا تُنكر البتة ، فما تصنع بما حكاها أبو زيد من قولهم هؤلاء قوم ، ورأيت هؤلاء . قال : فنونوا وكسروا قال : وهي لغة بني عقيل . والتنون عندك في هذه المبنيات إنما يجيء علماً للتنكير ، نحو سيبويه وعمرويه ، وغاق غاقٍ وصه وأيهاتٍ وأيه ، وحيهلاً ، وما أشبه ذلك ، فكيف يكون (هؤلاء) نكرة وهو اسم إشارة ، وقد تقدم من قولك ما يمنع تنكير اسم الإشارة ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما شذوذ هذه الحكاية ، وأنه لا نظير لها ، والآخر : ما كان يقوله أبو علي ، وهو أنه إنما جاز أن يُنكر هذا الاسم وإن كان اسم إشارة من قبل أنه قد يجوز أن ينظر إلى قوم من بعيد فيتشكك في الأشباح : أناس هم أم غيرهم ، فإنما نون (هؤلاء) من هذا الوجه ، إلا أنك لا تقبسه لضعفه))^٤.

١ . الكتاب / ٤ / ١٩٦ - ١٩٧

٢ . ينظر هامش محقق الكتاب / ٤ / ١٩٧

٣ . هامش الكتاب / ٤ / ١٩٦

٤ . سر صناعة الأعراب / ١ / ٣١٠

إعتمد أبو علي في تنكير (هؤلاء) وتنوينه على كلام فيه تشكيك ووهم، فكان الحدس عنده عندما ينظر إلى قوم (أناس هم أم غيرهم؟) وهذا الحدس والتشكيك جعل (هؤلاء) نكرة لامعرفة، مع تنوينها؛ لأن التنوين علم للتنكير. لكن هذا خلاف ما عرّف عن أنّ أسماء الإشارة معارف وأسماء مبنية لامعربة، (فهؤلاء) اسم مبني على الكسر من دون تنوين؛ فضلاً عن هذا أن أصل الحكاية مبنية على الشذوذ ولا نظير لها في رأي ابن جنّي، وبهذا يتحقق التعريف والبناء في (هؤلاء) ويكون أولى من التنكير؛ لأنّ لغات العرب جاءت على البناء والتعريف في استعمال أسماء الإشارة، وانفردت لغة بني عُقيل كما ذكر في نطق (هؤلاء)؛ فضلاً عن ذلك أنّ سيبويه ذكر تلك الأسماء من ضمن المعارف كالعلم والضمير وعدها من الأسماء المبهمة التي استخدمت في إشارة الشيء فقال ((وأما الأسماء المبهمة فنحو: هذا، وهذه، وهذان، وهاتان، وهؤلاء، وذلك، وتلك، وذاتك، وتاتك، وأولئك، وما أشبه ذلك، وإنما صارت معرفة؛ لأنّها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته))^١ فمعرفة واضحة؛ لأنّها أسماء إشارة للشيء؛ فهذا يكفي كونها معارف والمعارف لاتنون؛ لأنّ التنوين علم للتنكير كما ذكر ابن جنّي.

الأسماء الموصولة

اللاء ليس محذوفاً من اللائي:

قال ابن جنّي ((وكان أيضاً يقول - يعني أبا علي - إنّ (اللاء) ليس محذوفاً من (اللائي) قال: لأن هذه الأسماء في حكم الحروف غير مشتقة. قال: فـ(اللاء) مثل (شاء) و(اللائي) بمنزلة (الجائي) وليس أن (اللاء) من (اللائي) بمنزلة (القاضي) من (القاضي) ولذلك (مثله) بـ(شاء) وهو بمنزلة (باب))^٢.

ذهب أبو علي في هذا إلى أنّ الأسماء الموصولة نحو (اللاء) و(اللائي) ليست مشتقة وإنما هي بحكم الحروف جامدة، فـ(اللاء) بمنزلة (شاء) و(اللائي) بمنزلة (الجائي) وليس الأولى مشتقة من الثانية، وأنّ (القاضي) هي (القاضي) وحذفت ياءه؛ لأنّه اسم منقوص ومشتق يمكن أن تحذف ياءه ولاسيما إذا نكر.

في حين أنّ سيبويه كان عنده (اللائي) بمنزلة القاضي، إذا ثبتت الياء فيها، فضلاً عن ذلك أن اللام والألف ممكن أن تحذف منها وتكون الكلمة بمنزلة الباب، وإذا حصل الحذف في اللام والألف تصبح (لاء) مرفوعة ومنصوبة ومجرورة لأنّها مثل (باب) في الإعراب، فهي اسم معرب يعرب بالحركات.

^١ . الكتاب/٥/٢

^٢ . المنصف/١/١٢٥

قال سيبويه : ((وأما اللائي واللاتي فبمنزلة :شائي وضاري ، وتُخرج منه الألف واللام . ومَنْ حذف الياء رفعَ وجراً ونصبَ أيضاً؛ لأنه بمنزلة الباب . فمن أثبت الياء جعلها بمنزلة قاضي، وقال فيمن قال : اللاء لاء؛ لأنه يصيرها بمنزلة (باب) حرف الإعراب العينُ، وتُخرج الألف واللام ها هنا كما أخرجتهما في الذي))^١.

إنَّ (اللاء) ليست مشتقة من (اللائي) لأنها بمنزلة (شاء) ودخلت عليها الياء في (شائي) ، في حين القاضي اسم منقوص يمكن أن تحذف ياءه إذا كان نكرة فيصبح (قاضي) وهو اسم مشتق من الفعل (قضى) ، فاللائي ليست اسم منقوص إذ تحذف ياءه ويكون (اللاء) .

حذف صلة الذي عند تشبيهها بـ(مَنْ) و(ما)

قال ابن جنى ((فأما ما أنشدناه أبو علي عن أبي عثمان : (من الرجز) حتى إذا كان هما اللذيين مثل الجدليين المحملجين فإنه إنما شبه الذي بـ(مَنْ) و(ما) فحذف صلتها ، ووصفها كما يفعل ذلك ب (مَنْ) و(ما) ويجيء هذا في قول البغداديين على أنه وصلها بمثل ؛ لأنهم يجرونها مجرى الظرف))^٢.
إنَّ تشبيه الذي بـ(مَنْ) و(ما) وحذف صلتها ثم وصفها هو جعلها نكرة كي توصف ؛ لأنَّ النكرة عندما توصف تكون معرفة، لكنهما اسمان موصولان يحتاجان إلى صلة تفسرهما، فضلاً عن ذلك أنهما معرفة ؛ لأنَّ اسم الموصول من المعارف ، وعند وصفه وحذف صلتها يكون نكرة موصوفة ،ومن هذا يمكن أن تشبه (الذي)بها وتحذف صلتها وتصفه ، وهذا ظاهر قول الخليل وسيبويه .

قال سيبويه((هذا باب ما يكون الاسم فيه بمنزلة الذي في المعرفة ، إذا بُني على ما قبله ، وبمنزلته في الاحتياج إلى الحشو ، ويكون نكرةً بمنزلة رجل . وذلك قولك : هذا مَنْ أعرفُ منطلقاً، وهذا مَنْ لا أعرفُ منطلقاً ، أي هذا الذي قد علمتُ أني لا أعرفه منطلقاً . وهذا ما عندي مهيناً . وأعرفُ ولا أعرفُ وعندي حشوّ لهما يتمان به، فيصيران اسماً كما كان الذي لا يتم إلا بحشوه . وقال الخليل رحمة الله : إن شئت جعلت مَنْ بمنزلة إنسانٍ وجعلت ما بمنزلة شيءٍ نكرتين ، ويصيرُ منطلقُ صفةً لمنٍّ ومهينُ صفةً لما . وزعم أن هذا البيت عنده مثل ذلك ، وهو قول الأنصاري : (من الكامل)

فَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا
... واعلم أنَّ (كفى بنا فضلاً على مَنْ غيرنا) أجودٌ وفيه ضعفٌ إلا أن يكون فيه هو؛ لأنَّ هو من بعض الصلة ، وهو نحو مررتُ بأيُّهم أفضلُ ، وكما قرأ بعضُ الناس هذه الآية (تماماً على الذي أحسنُ) ((٣))^٣ برفع (أحسنُ) على أنها خبر لصلة الموصول .

١ . الكتاب/٣/٢٨٢

٢ . سر صناعة الأعراب/١/٣٦٥

٣ . الأنعام/١٥٤ قرأ يحيى بن معمر وابن أبي إسحاق (أحسنُ) برفع النون وخرج على أنه خبر مبتدأ محذوف أي (هو أحسنُ) وأحسنُ خير وصلة . (البحر المحيط)/٤/٢٥٥

٤ . الكتاب/٢/١٠٥-١٠٧-١٠٨

قال أبو جعفر النحاس في حجة جر (غيرنا) ورفعها ((حجة في أن (من) نكرة و(غيرنا) من نعتها كأنه قال: على إنسان غيرنا ؛ لأن من إذا كانت معرفة وصلت ، وصلتها من الأسماء رفع ، وقد رفع بعضهم فقال: (من غيرنا) كأنه قال على من هو غيرنا))^١.

أما الفراء فقد ذهب إلى (رفع) (أحسن) وجعلها خبراً لصلة الموصول أو جعل (ما) مصدرية أو نصبها على أنها في محل جر ممنوع من الصرف ؛ لأنها صفة ل(الذي)، لأنها بمعنى (ما)^٢. يفهم من آراء النحاة الواردة أن (من) و(ما) يمكن أن تشبه (الذي) في وصفها وحذف صلتها، أي الاسم الذي يأتي بعدها جائز أن يرفع على أنه خبر لجملة صلة الموصول وجائز أن يرفع وينصب ويجرّ في ضوء إعراب (من) و(ما) على أنه صفة لهما ، وهذا الذي جائز في (ما) و(من) يجوز في (الذي) ، لأنهما يصيران نكرة ومعرفة .

قال الفراء في بعض إعرابه لـ(ما) في قوله تعالى ((إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها))^٣ أن تجعل (ما) اسماً، والبعوضة صلة فتعربها إعراب (ما) . وذلك جائز في (من) و(ما)؛ لأنهما يكونان معرفة في حال ونكرة في حال^٤.

أقول : في ضوء هذه الأمثلة يجوز في كلمة (مثل) التي في البيت الذي أنشده أبو علي لابن جني أن تكون صفة للذين ولايجوز أن تكون صلة موصول ؛ لأن (الذي) لا تكون موصولة ؛ لأنه لا يكون في الكلام جملة تصلح للصلة. وفي هدى هذا يجوز أن تشبه الذي بـ (من) و(ما) في أن تقع مصدرية أو موصولة بمعرفة أو شبهها في امتناع لحاق ال بالصفة^٥.

موازنة بين (ما) المصدرية والفاصلة بين المضاف والمضاف إليه والجار والمجرور

((قال أبو صخر الهذلي : (من الطويل)

فَقَلَّ بِهِ مَا عَرَسُوا ثُمَّ أَنهَجَتْ
لَمَنْزِلَةِ أُخْرَى بِهِمْ طَرُقٌ غُبْرُ
قال ابن جني (ليست (ما) هذه كـ (ما) في قوله : (قلما زرتني) ، و(قلما لقيت زيدا) لأن (ما) من (قلما زرتني) حذف لوقوع الفعل بعده كما أصلحت (ما) حرف الجر وهيأته لوقوع الفعل بعده في قول الله سبحانه ((رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ))^٦ وقوله : (من المديد)

رُبَمَا أوفيت في علم
ترفعن ثوبي شمالات

وكما أصلحت الظرف للجملة من غير إضافة في قوله : (من الكامل)

أعلاقة أم الوليد بعدما
أفنان رأسك كالثغام المخلص

١ . شرح أبيات سيبويه/١٦٣

٢ . ينظر معاني القرآن /١/ ٣٦٥

٣ . البقرة/٢٦

٤ . معاني القرآن/١/ ٢١

٥ . ينظر هامش شرح المفصل لأبن يعيش /٣/ ١٥٣

٦ . الحجر /٢/

وليس كذلك (ما) من قوله: (فَقَلَّ بِهِ مَا عَرَسُوا) (إنما هذه (ما) المصدرية في قولك (عجبت مما صنعت) أي : من صنعك و(مماقت) أي قيامك وهي مرفوعة بـ(قَلَّ) يدل على ذلك فصله بينها وبين (قَلَّ) بالظرف ، وهذا الفصل إن وجد بين المضاف والمضاف إليه وبين حرف الجر وما جره في قوله : (من الطويل)

فلو كنت في خلقاء من رأس شاهق وليس إلى منها النزول سبيلٌ ونحو ذلك ، فإنما لم نجد معترضاً بين الجزعين المركبين في نحو معديكرب وقاليقلا ومارسرجس ، ولا فيما أصلح فيه الجزء الثاني الجزء الأول لمباشرة (ما) ، لولا الثاني لم يباشره نحو : ربّما قام، وقلمّا زارنا ، وبعدهما أفنان رأسك كالنغام . وإذا كان هذا مفقوداً غير موجود لم يجز أن يحمل بيت أبي صخر عليه ، فأما الفعل المصلح للفعل بعدهما في قولك (قلمّا زرناك) فإنه عندنا لا فاعل له وذلك أن (ما) المضمومة إليه كفته عن اقتضائه الفاعل وأصارتها إلى حكم آخر ، وقد تقصّى هذا في عدة أماكن من كلام أبي علي وكلامي فتركت الإطالة بذكره ^١.

إن الذي أشار إليه ابن جني في ضوء قول أبي علي هو مذهب الخليل و سيبويه في مشابهة (ما) المصدرية لاسم الموصول (الذي) ، فقد صرح سيبويه به بقوله: ((وسألته عن قوله : ما تدوم أدوم لك ، فقال : ليس في هذا جزاء ، من قبل أن الفعل صلة لـ(ما) ؛ فصار بمنزلة الذي ، وهو بصلته كالمصدر ، ويقع على الحين كأنه قال : أدوم لك دوامك لي . فما ، ودمت ، بمنزلة الدوام . ويدلّك على أن الجزاء لا يكون هاهنا أنك لا تستطيع أن تستفهم بما تدوم على هذا الحد . ومثل ذلك :كلّما تأتيني آتيك ، فالإتيان صلة لـ(ما) ، كأنه قال :كلّ إتيانك آتيك ، وكلّما تأتيني يقع أيضاً على الحين كما كان ما تأتيني يقع على الحين ، ولا يُستفهم بكلمة كما لا يُستفهم بما تدوم ^٢)).

الظاهر أن سيبويه بيّن أن الخليل ذهب إلى أن (ما) في (ما تدوم) هي مصدرية تكون مع الفعل مصدراً مؤولاً ليس فيها جزاء أي شرط ولا يستفهم فيها كما أن كلّما تأتيني أيضاً لا يستفهم فيها ؛ لأنّها تدل على الحين أي الظرف فهي مصدرية ظرفية نحو قوله تعالى : ((وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمتُ حياً)) ^٣ أي مدة حياتي ، وهذا المصدر يعرب نائباً عن الظرف ؛ وعلة ذلك كونها حرفاً لا يستفهم بها ؛ لأنّ (ما) الاستفهامية اسم وليس حرفاً .

وتحدث سيبويه أيضاً عن (ما) التي تكون زائدة ويسميتها المؤكدة للغو . وهي التي تفصل بين الجار والمجرور والمضاف والمضاف إليه وبين الشرط وفعله ، فقال ((وتكون توكيداً لغواً وذلك قولك :متى ماتتني آتِك ، وقولك : (غَضِبْتُ مِنْ غَيْرِ مَا جُرِمْتُ) وقال الله عزَّ وجلَّ ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ

١ . التمام في تفسير أشعار هُذَيْل ٢١٠-٢١١

٢ . الكتاب/٣/١٠٢

٣ . مريم /٣١

مِيثَاقَهُمْ))^١ وهي لغوٌ في أنها لم تُحدِثْ إذا جاءت شيئاً لم يكن قبل أن تجيء من العمل ، وهي توكيد للكلام))^٢.

يفهم من هذا الكلام أنّ المصدرية تكون مع الفعل مصدرًا أو اسماً . أما اللغو تكون زائدة للتوكيد فقط ، حتى لو كانت مع الفعل ، وتبطل عمله وتحوله إلى فعل لا يأخذ فاعلاً بل يدخل على فعل آخر نحو قلّما وكثرما ، وطالما، وشدّما، وكذلك مع (رُبَّ) حرف جر شبيهه بالزائد والمختص بالأسماء النكرات فتدخل عليه (ما) فتصلحه للدخول على الفعل .

قال سيبويه : ((رُبَّما وقلّما واشباههما، جعلوا رُبَّ مع (ما) بمنزلة كلمة واحدة ، وهيؤها ليُذكر بعدها الفعل ؛ لأنّهم لم يكن لهم سبيلٌ إلى (رُبَّ يقول) ولا إلى (قلّ يقول) فألحقوها(ما) وأخلصوها للفعل ... قال : (من الطويل)

صدت فاطولت الصدود وقلّما
وصالٌ على طول الصدود يدوم))^٣ .
يفهم من كلام سيبويه أنّ (ما) دخلت على الفعل وأصلحته للدخول على الفعل وهذا فيما قاله الشاعر وقلّما يدوم وصالٌ وأيضاً رُبَّما نحو قال الشاعر :

.....

رُبَّما أوفيت في علم
قال سيبويه ((وزعم يونس أنهم يقولون : (رُبَّما تقولنّ ذلك) و (كُثر ما تقولنّ ذلك) ؛ لأنّهُ فعلٌ غير واجب ، ولا يقع بعد هذه الحروف إلّا و(ما) له لازمة))^٤.

يتضح من هذا أنّ (ما) المصدرية تختلف عن (ما) الزائدة ؛ لأنّها مع الفعل تكون مصدرًا مؤوَّلاً يمكن أن تصرح به ، وله موقع إعرابي ، ولاسيما إذا كان مع الظرفية يقوم مقام الظرف ، أي نائب عن الظرف .

قال أبو علي : ((وتكون (ما) هذه ... أنّها مع الفعل بمعنى المصدر في موضع الظرف الزماني ، وذلك نحو قولك : أجلسُ ماجلستَ ، وأقيمُ ما أقمتَ ، ولا أكلّمك ما اختلّف الليلُ والنهارُ، ونحو قوله تعالى : ((وكنّتُ عليهم شهيداً مادمتُ فيهم))^٥ وحقيقته أنّه مع الفعل بمعنى المصدر كما ذكرنا والظرف على الحقيقة هو الاسم المحذوف الذي أقيمَ هذا المصدرُ مقامه ، كأنّه إذا قال : أجلسُ ما جلستُ ، فقد قال : أجلسُ جلوسك ، أي : أجلسُ وقتَ جلوسك ، فحذف الوقت أو الزمن أو ما أشبههُ من أسماء الزمان وأقام المصدرَ مقامه كما أقيمَ المصدرُ مقامَ الظرف الزماني في قولهم : جئتُ مقدّم الحاج ، وخفوق النجم وخلافة فلان ، وما أشبه ذلك مما يُحذف فيه اسم الزمان ويقام المصدرُ فيه مقامه))^٦.

١ . النساء/١٥١ والمائدة/١٣

٢ . الكتاب/٤/٢٢١

٣ . المصدر نفسه/٣/١١٥

٤ . الكتاب/٣/٥١٨

٥ . المائدة/١١٧

٦ . المسائل البغداديات/٢٧٦-٢٧٧

وفي ضوء هذه الآراء النحوية يفهم أنّ الفعل (قَلَّ) الذي ذُكِرَ في بيت أبي صخر هو فعلٌ يصلح أن يأخذ فاعلاً الذي حصل من (ما) المصدرية والفعل (عرّسوا) أي أنّ فاعله مصدرٌ مؤوّلٌ ، وهو ليس الفعل (قَلَّ) الذي دخلت عليه (ما) وكفته عن العمل في تعبير (قَلَّمَا) ، بل هو فعلٌ كغيره من الأفعال يحتاج إلى فاعل نحو (ذهب، وضرب، وكتب) وغيرها و(ما) مصدرية ظرفية، كونت مع الفعل مصدرًا مؤوّلًا، يعرب في محل رفع فاعلاً التقدير (فَقَلَّ عرّسهم) . فـ(ما) مصدرية خلافاً لـ(ما) التي تدخل على الفعل (قَلَّمَا) فهي زائدة وفاصلة بين المضاف والمضاف إليه والجار والمجرور في (بعدهما) و(ربّما) فصلحت (قَلَّمَا) دخوله على الفعل (زُرْتِنِي) وحرف الجر (ربّ) دخوله على الفعل (ربّما يود).

ال تعريف

ال تعريف في الخمسة العشر بين الزيادة والتعريف

قال ابن جني : ((من زيادة اللام ما اخبرني به أبو علي أن أبا الحسن حكى عنهم الخمسة العشر درهماً ، فاللام في العشر لا تخلو من أن تكون للتعريف ، أو زائدة ، فلا يجوز أن تكون للتعريف لأن خمسة عشر أسمان في الأصل جعلاً كالاسم الواحد ، وقد تعرف الاسم من أوله باللام في الخمسة ، ومحال أن يتعرف الاسم من جهتين وبلامين ، فثبت أنّ اللام في العشرة زيادة ، إلا أنّها ليست لازمة لزومها في الآن والذي ونحو ذلك))^١.

إنّ اللام في كلمة (العشر) عند التركيب والإضافة في (خمسة عشر) تعد زائدة وليست للتعريف لأن الكلمة ركبت هكذا من جزءين وأصبح الجزآن كلمة واحدة فتعرّف الكلمة في البداية مرة واحدة ولا تعرّف مرتين ، فيقال الخمسة عشر درهماً ولا يقال الخمسة العشر درهماً ، فضلاً عن أنها لاتعد لازمة للكلمة وجزء منها كما اللام في الذي والآن ، وإنما تزداد للتوكيد أو للمبالغة في التعريف ؛ لأنّ العرب عرفت الاسم من موضع واحد .

قال أبو علي : ((لايجوز دخول الألف واللام في الاسم الثاني نحو الخمسة العشر درهماً ولكن الخمسة عشر درهماً ؛ لأنّ الاسم لا يُعرّف من موضعين . وكذلك عرّفته العرب . قال ابن أحمر يصف عشياً : (من الوافر)

وَجُنَّ الخازبازُ بهِ جُنُوناً

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ القلْعُ السواري

فَعَرَّفَ الاسمَ الأولَ من الاسمين))^٢.

إنّ هذا الذي أخبر به أبو علي عن أبي الحسن ، قد أشار إليه سيبويه ، وعدّ التعريف في كلمة (الخمسة عشر) والإضافة في حالة واحدة ، معتمداً على استعمال العرب للكلمة كما الحال في (الآن)

^١ . سر صناعة الاعراب / ٣٦٥/١

^٢ . التكملة / ٢٦٢-٢٦٣

فكما إن اللام في (الآن) معرفة وملازمة كذلك اللام في (الخمسَة عشر) أيضاً معرفة لها وملازمة أيضاً وذلك لكثرة استخدامها في الكلام ، لكن تبقى الكلمة (العشر) نكرة فلا تغير فيها . وهذا ظاهر قوله : ((واعلم أن العرب تدع خمسة عشر في الإضافة والألف واللام على حال واحدة كما تقول : اضرب أيهم أفضل ، وكالآن ، وذلك لكثرتها في الكلام . وأنها نكرة فلا تغير))^١ .

وتزاد (ال) للضرورة في كلمة (أوبر) و(العمر) .

قال ابن جنى : ((أخبرني أبو علي قال : أخبرني أبو بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان ، قال : سألت الأصمعي عن قول الشاعر : (من الكامل)
ولقد جنيتك أكمواً وعساقلاً
ولقد نهيتك عن بنات الأوبر
لم أدخل اللام في الأوبر ؟ فقال : أدخله زيادة للضرورة كقول الآخر : (من الرجز)
باعداً أم العمرو من أسيرها
حراساً أبواب على قصورها
... وأنشدنا أبو علي ، عن أحمد بن يحيى ، عن ابن الاعرابي : (من الرجز)
ياليت أم العمرو كانت صاحبي
مكان من أنشئ على الركائب
يريد ام عمرو))^٢ .

يفهم من هذا أن كلمة (أوبر) معرفة واللام زائدة فيها ، لأنها نوع من الكما أي انها اسم علم يدل على مسمى ويصح أن تكون نكرة في ضوء رأي سيبويه الذي يعد فيه نقلاً عن بعضهم أن عرساً من ابن عرس نكرة^٣ . هذا ظاهر قوله : ((وقد زعموا أن بعض العرب يقول : هذا ابن عرس مقبل ، فرفعه على وجهين فوجه مثل : هذا زيد مقبل ، ووجه على أنه جعل ما بعده نكرة فصار مضافاً إلى نكرة ، بمنزلة قولك : هذا رجل منطلق))^٤ وعله رفعه ، ((لو قال مقبلاً ما صحت هذه المسألة))^٥ . في حين أن رأي سيبويه الأول هو ((أن ابن عرس وأم حبين وسام أبرص وابن مطر معرفة أنك لا تدخل في الذي أضفن إليه الألف واللام ، فصار بمنزلة زيد وعمر . ألا ترى أنك لا تقول أبو الجادب))^٦ .

أما الفراء فعنده (أوبر) معرفة ، إلا أنها نعتت بالمنان ، أي بمثل الألف واللام))^٧ . يتضح مما قيل أن (أوبر) معرفة باتفاق النحاة؛ لأنه علم لمسمى ، وال زائدة ؛ لأن العلم لا يعرف بـ(ال) ، ولا تدخله ، فراراً من اجتماع معرفين وهما العلمية و(ال) وزيادتها هنا ضرورة . كزيادتها في عمرو (العمر) ؛ لأنه اسم شخص ، فعلم و(ال) زائدة معه حتى لا تجتمع معرفتان .

١ . الكتاب ٢٩٨/٣

٢ . سر ضاعة الأعراب ٣٦٥/١-٣٦٦

٣ . ينظر سر صناعة الاعراب ٣٦٦/١

٤ . الكتاب ٩٧/٢

٥ . سر صناعة الأعراب ٣٦٦/١

٦ . الكتاب ٩٦/٢

٧ . مجالس ثعلب ٥٥٦/٢

قال ابن جنى: ((فدل لزوم اللام على زيادتها وأن ما هي فيه ليس مما اعتقب عليه تعريفان وأنشدنا أبو علي: (من الطويل) أما ودماء لاتزال كأنها قال أبو علي: اللام في النسب زائدة وهي كما قال، لأن نسراً بمنزلة عمرو))^١.

حذف (ال التعريف) من العلم الدال على الصفة

قال ابن جنى: ((ألا ترى أن أبا علي حكى عن أبي زيد أنهم يسمون الخبز جابر بن حبة وإتما سموه بذلك لأنه يجبر الجائع فقد نرى معنى الصفة فيه وأن لم تدخله اللام . ومن ذلك أيضاً قولهم واسط، قال سيبويه: سموه واسطاً لأنه وسط ما بين العراق والبصرة^٢. فمعنى الصفة فيه قائم وإن لم يكن في لفظه لام))^٣.

المعروف أن (ال) التعريف تدخل على العلم الذي يلمح منه الصفة، فتكون للمح الصفة فتدخل على الاعلام المنقولة، التي يصلح دخولها عليها نحو (حسن) (الحسن) ولا سيما المنقولة من الوصف نحو (حارث) (الحارث)، وقد دخل على المنقول من المصدر نحو (فعل) (الفعل) والمنقول من اسم جنس نحو (نعمان) (النعمان) الذي هو من أسماء الدم، فيجوز دخولها على هذه نظراً لحالتها الأولى من الصفة والمصدر، وحذفها نظراً إلى حالتها الثانية وهي العلمية^٤.

قال سيبويه: ((وزعم الخليل (رحمه الله) أن الذين قالوا الحارث والحسن والعباس إنما أرادوا أن يجعلوا الرجل هو الشيء بعينه ولم يجعلوه سمي به، ولكنهم جعلوه كأنه وصف له غلب عليه . ومن قال حارث وعباس فهو يجريه مجرى زيد))^٥.

يتضح أن العلم المنقول عن الوصف والمصدر يجوز فيه التعريف بـ(ال) في ضوء معنى الوصفية أي حالته الأولى قبل النقل، ويجوز أيضاً معه (ال) إذ يجعل الرجل بعينه كما أشار الخليل، في حين يجوز حذف (ال) منه إذا كان علماً سمي به، في ضوء حالته الثانية، لأن العلم معرفة فلا يحتاج إلى تعريف.

تعريف كلمة غدوة

قال ابن جنى: ((كان أبو علي (رحمه الله) يذهب إلى أن تعريف (غدوة) تعريف لفظي وأن فائدتها كفاءة غداة لا فرق))^٦.

١ . سر صناعة الاعراب / ١ / ٣٦٠

٢ . ينظر الكتاب / ١ / ٢٤٣

٣ . سر صناعة الاعراب / ١ / ٣٦٧

٤ . ينظر شرح ابن عقيل / ١ / ١٨٤

٥ . الكتاب / ٢ / ١٠١

٦ . المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة / ١٢

إنَّ الذي ذهب إليه أبو علي بشأن تعريف غدوة قد أشار إليه سيبويه من قبلُ وجعلها من أسماء الحين ومن المعارف في ضوء ما سمعه عن العرب فقال : ((اعلم أنَّ غُدُوَّةً وَبُكْرَةً جُعِلَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا اسْمًا لِلْحَيْنِ ، كما جعلوا أمَّ حَبِيبٍ اسْمًا لِلدَّابَّةِ مَعْرِفَةً))^١.

فضلاً عن هذا يعدُّها يونس معرفة غير مُنَوَّنَةٌ أي غير مصروفة ، هذا ما أشار به سيبويه إلى زعم يونس فيما نقله عن أبي عمرو وعنده هو القياس ، فقال : ((وزعم يونس عن أبي عمرو ، وهو قوله أيضاً وهو القياس ، أنَّك إذا قلتَ : لِقَيْتَهُ العَامَ الأوَّلَ ، أو يوماً من الأيام ، ثم قلتَ : غُدُوَّةً أو بُكْرَةً ، وأنت تريد المعرفة لم تنوَّن . وكذلك إذا لم تذكر العام الأول ، ولم تذكر إلا المعرفة ولم تقل يوماً من الأيام ، كأنك قلتَ : هذا الحينُ في جميع هذه الأشياء فإذا جعلتها اسماً لهذا المعنى لم تنوَّن . وكذلك تقول العرب))^٢.

أما الخليل فبيدها مصروفةً وتأتي منوَّنةً هي وبكرة ، هذا ما ذكره سيبويه بقوله : ((وزعم الخليل أنه يجوز أن تقول : آتيتك اليوم غُدُوَّةً وَبُكْرَةً تجعلهما بمنزلة ضحوة ، وزعم أبو الخطاب - الأخفش الأكبر - أنه سمع من يوثق به من العرب يقول : آتيتك بُكْرَةً وهو يريد الإتيان في يومه أو في غده . ومثل ذلك قول الله عزَّ وجلَّ ((وَلَهُمْ رُزُقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا))^٣ هذا قول الخليل))^٤. في ضوء هذا نجد أنَّ أبا علي يتفق وسيبويه في جعل (غدوة) معرفة ؛ لأنها من أسماء الحيل . ويونس بما نقله عن أبي عمرو يختلف مع الخليل والأخفش الأكبر في صرفها وتنوينها فيجعلها نكرةً.

ومهما يكن من الأمر فإنَّ (غدوة) اسم معرفة وتعريفها تعريفٌ لفظيٌّ إذا عدت اسماً من أسماء الحين كـ(غداة) و(بكرة) ، ولا تنون إذا جعات كذلك ؛ لأنَّ التنوين تعريفٌ للتوكيد فهي معرفة وأستغنت بتعريفها عنه.

المبتدأ والخبر

اولاً : المبتدأ :

زيادة الباء في المبتدأ (بحسبك)

قال ابن جني : ((فأما المبتدأ فقولهم : بحسبك أن تفعل كذا ، إنما هو حسبك ان تفعل كذا ، و

الباء زائدة ، أنشدنا أبو علي قال : أنشد أبو زيد : (من المتقارب)

بَحْسِبِكَ فِي القَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ

1 . الكتاب / ٣ / ٢٩٣

2 . المصدر نفسه والجزء والصفه

3 . مريم / ٦٢

4 . الكتاب / ٣ / ٢٩٤

أي حسبك ذلك . كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))^١ ولا اعلم الآن مبتدأ زيدت فيه الباء غير هذه اللفظة^٢ .

فقد أشار أبو علي إلى زيادة الباء مع (حسبك) وإعرابها مبتدأ في ضوء إنشاد أبي زيد الشعر السالف الذكر بقوله: ((وقد جاء في المبتدأ موضع رفع بالابتداء وأنشد أبو زيد)) وذكر البيت : بحسبك^٣ .

فالباء مع (حسبك) زائدة للتوكيد ؛ لأنّ الكلمة تعرب في موضع رفع بالابتداء فهي مجرورة لفظاً مرفوعة محلاً ؛ مثل (لا) النافية للجنس و اسمها عند الخليل في موضع اسم يعرب مبتدأ .
(قال الخليل (رحمه الله) : يدلّك على أنّ (لا رجل) في موضع اسم مبتدأ مرفوع ، قولك : لا رجل أفضل منك ، كأنك قلت : زيد أفضل منك . و مثل ذلك : بحسبك قول السوء ، كأنك قلت : حسبك قول السوء)^٤ .

اعتراض المبتدأ والخبر (الجملة الاسمية) بين اسم إن وخبرها

قال ابن جني : ((و سألت أبا علي عن قول كثير : (من الطويل)
وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بَعْرَةٌ بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ
فقلت له : ما موضع (تهيامي) من الاعراب ؟ فأفتى بأنّه مرفوع بالابتداء ، و خبره : (بعرة)
و جعل الجملة التي هي (تهيامي بعرة) اعتراضاً بين اسم (إن) وخبرها ؛ لأنّ فيها ضرباً من التشديد للكلام ، كما تقول : إنك - فاعلم - رجل سوء ، وإنه - و الحق أقول - جميل المذهب .
وهذا الفصل والاعتراض الجاري مجرى التوكيد كثير في الكلام و إذا جاز الاعتراض بين الفعل والفاعل في نحو ما أنشدناه أبو علي من قوله : (من الطويل)
و قد أدركتني - والحوادثُ جمّةً - أسنة قوم لا ضعافٍ ولا عزلٍ
كان الاعتراض بين اسم (إن) و خبرها أسوغ)^٥ .

إنّ هذا الفصل بين اسم (إن) و خبرها ، غالباً ما يحدث في العربية ، و لم يقتصر على هذا ؛ بل يجوز الفصل بين المبتدأ والخبر ، فيما ((زعم الخليل - رحمه الله - أنه يقول : إنه المسكين أحق ، على الإضمار الذي جاز في مررت ، كأنه قال : إنه هو المسكين أحق . و هو ضعيف . و جاز هذا أن يكون فصلاً بين الاسم والخبر ؛ لأنّ فيه معنى المنصوب الذي أجرته مجرى : إنّا

^١ الانفال / ٦٤ .

^٢ سر صناعة الاعراب / ١ / ١٣٧ - ١٣٨ .

^٣ المسائل العسكرية / ٩٩ .

^٤ الكتاب / ٢ / ٢٩٣ .

^٥ سر صناعة الاعراب / ١ / ١٣٩ و ينظر الخصائص / ١ / ٣٣١ .

تميمًا ذاهبون.))^١ على الرغم من أن (تميمًا) نصب على معنى الاختصاص جوازاً وهو اعتراض بين إن و اسمها وكذلك (المسكين) رفع على معنى الترحم ، لكنه اعتراض بين الاسم و الخبر .
فالاغراض وارد في العربية و لا سيما بين المبتدأ و الخبر ؛ و أنه لا يؤثر على بناء الجملة ولا على الموقع الاعرابي للمبتدأ و الخبر وإنما يأتي للتسديد في اللغة و هو كثير و جيد في لغة القرآن الكريم .

قال ابن جني : ((والاعتراض للتسديد قد جاء بين الفعل و الفاعل ، و بين المبتدأ و الخبر ، و بين الموصول و الصلة ، و غير ذلك ، مجيئاً كثيراً في القرآن ، و فصيح الكلام ... والاعتراض في هذه اللغة كثير و حسن))^٢ .

فضلا عن هذا تحتمل كلمة (تهيامي) في قول كثير وجهاً آخر من الاعراب هو أنها تكون في موضع جرّ بدلالة القسم بها هذا ما ذهب إليه ابن جني وأقره أبو علي .

قال ابن جني : ((وقد يحتمل بيت كثير أيضاً تأويلاً آخر غير ما ذهب إليه أبو علي وهو ان يكون (تهيامي) في موضع جر على أنه أقسم به كقولك : إني - وحبك - لضنين بك . وعرضت على أبي علي هذا الجواب فقبله))^٣ .

ومهما يكن من الأمر يبقى الاعتراض هو الأولى في تأويل اعراب (تهيامي) لأنه أمرٌ وارد في اللغة ، اما الاحتمالات الاعرابية الأخرى فهي من توسع اللغة واجتهاد علمائها للوصول إلى القواعد اللغوية الصائبة .

ثانياً : الخبر

تعدد الخبر

العائد على المخبر عنه (المبتدأ) من مجموع الخبرين نحو : (هذا حلوة حامض)

قال ابن جني : ((راجعت مرّات أبا علي في هذا فقلت : قد علمنا أنّ في كلّ واحدٍ من حلوة وحامضٍ ضميراً من حيث كان كلّ واحدٍ منهما فيه معنى الفعل . فلم زعمت أنه لا يعود الضمير من كلّ واحدٍ منهما وأقمت على أنه عائد من مجموعهما عليه ؟ فأقام على ما قال البيته . فقلت له : ألسنا نقول : هذا قائم أخوه قاعدة جاريته - إذ جعلنا له خبرين - فهل تشك في أنّ كلّ واحدٍ منهما قد رفع الظاهر وعاد منه ضمير عليه ؟ فليت شعري هل يرفع الظاهر و لا يرفع مضمراً و هذا في غاية الوضوح ؟ فلما أفضى بنا الأمر إلى هنا لاح من قوله ما كان يخفى منه منذ أكثر من أربعين سنة :

^١ الكتاب ٢ / ٧٦ .

^٢ الخصائص / ١ / ٣٣١ .

^٣ سر صناعة الاعراب / ١ / ١٤٠

أنه إنما يريد أن العائد المستقل به جميع الخبر إنما يعود من مجموع الاسمين ، فأما كل واحد منهما فلا محالة أن فيه ضميراً من حيث كان ما يوصف به كما يوصف باسم الفاعل))^١ .
يفهم من كلام أبي علي أن خبر المبتدأ هو من مجموع الاسمين (حلو و حامض) و ليس الضمير الذي قبله فيه و يجعله خبراً قائماً بذاته و إنما يوصف باسم كل منهما كما يوصف باسم الفاعل الذي يرفع ضميراً و يرفع ظاهراً كما في قولنا هذا قائم أخوه قاعدة جاريته ، فالعائد المستقل به هو الخبر الحاصل من الاسمين (حلو و حامض) لا من واحد منهما . و في هذه المسألة وجه واحد ، أما إذا قلنا (هذا عبدُ الله منطلق) ففيه وجهان في ضوء ما الخبر العائد على المبتدأ ؟ و ما الذي رفعه ؟ .

قال سيبويه : ((وزعم الخليل - رحمه الله - أن رفعه يكون على وجهين : فوجهُ أنك حين قلت : هذا عبدُ الله ، أضمرت هذا أو هو ، كأنك قلت هذا منطلق أو هو منطلق . والوجهُ الآخرُ : أن تجعلهما جميعاً خبراً لهذا ، كقولك : هذا حلوٌ حامضٌ ، لا تريد أن تنقض الحلاوة ، و لكنك تزعم أنه جمع الطعمين . و قال الله عز و جل : ((كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى . نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى))^٢ . وزعموا أنها في قراءة أبي عبد الله . ((وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ))^٣ . قال : سمعنا ممن يروي هذا الشعر من العرب يرفعه : (من الرجز)

مَنْ يَكُ ذَا بَتِّ فَهَذَا بَتِّي مَقِيظٌ مُصَيِّفٌ مُشْتِيٌّ))^٤

في ضوء كلام الخليل و سيبويه و أبي علي يفهم أن الخبر في البيت الشعري حاصل من مجموع الاخبار المتعددة (بتي ، مقيظ ، مصيف ، مشتتي) ؛ لأنه جائز أن تكون أخبار متعددة لمبتدأ واحد و لا يجوز أن يكون الثاني صفة للأول لأنهما نكرتان تخبران عن معرفة .
أما النص القرآني في قراءة عبد الله بن مسعود بالرفع (هذا بَعْلِي شَيْخٌ) فيجوز أن يكون الخبر من مجموع بعلي و شيخ . و لا يجوز ان يكون بعلي بدلاً من هذا . أو يجوز أن يكون هو شيخ مفسر فيه الكلام الثاني بعد أن مضى الأول .

وقياس مذهب الكسائي أن خبر المبتدأ يتحقق فيه الضمير وإن لم يكن مشتقاً من الفعل نحو : زيدٌ أخوك ، وفي ضوء هذا يكون (شيخ) بدلاً من الضمير في (بعلي) لأنه خبر عن هذا .
يبدو أن الخبر في (هذا حلو حامض) و قوله تعالى (هذا بَعْلِي شَيْخٌ) في قراءة من قرأ بالرفع ، هو حاصل من مجموع الخبرين إذا أخذنا بتعدد الخبر ، وهو الأوّل ؛ لأنّ (الشيخ) لا يكون صفة إلى (بعلي) لأنهما مختلفان في التنكير و التعريف إلا إذا قدرناه (هوشيوخ) و في هذه الحالة تكون الجملة حال (لبعلي) (الجملة بعد المعارف أحوال) .

وقراءة الرفع تسوغ تعدد الخبر أو أنه من مجموعهما كما في (هذاحلو حامض).

^١ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٢٣٤-٢٣٥

^٢ المعارج / ١٥ .

^٣ هود / ٧٢ و ينظر المحتسب / ١ / ٣٢٤ و تنسب القراءة بالرفع للاعش و رسم المصحف ((وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا)) بالنصب على الحالية

^٤ الكتاب / ٢ / ٨٣ - ٨٤ .

^٥ ينظر المصدر نفسه / ١ / ٣٢٥

قال ابن جنى : (كما أنك إذا قلت : (هذا حلوٌ حامضٌ) كان العائد على المخبر عنه راجعاً من مجموع الخبرين))^١.

ويصح هذا كما نقول (الرمان حلوٌ حامضٌ) فتقول العرب (الرمان مُزٌّ) فكأن الخبر هو من مجموع الخبرين ، فتعدد الخبر جائز في العربية و هو نوع من التوسع و الاطراد و الاطراء عن المخبر عنه فنقول : (زيد شاعر كاتب فيلسوف طبيب) .

قال ابن جنى : ((قولك : زيد قائم أخوه قاعدة جاريتة ، و هذا حلوٌ بعضه مرٌ بعضه فإذا جاز لكل واحد من الجزئين أن يرفع مظهراً مضافاً إلى ضمير المخبر عنه كان رفعه المضمرة ، الذي هو أخف وأخصر ، أحرى و أجدر . فإن قلت : فما العائد إلى المخبر عنه منهما المقلد له ، أم لا عائد عليه منهما ؟ قيل : بل هناك عائد إلا أنه من مجموع الخبرين لا من أحدهما كما أن قولك : هذا حلوٌ حامض ، العائد عليه إنما هو مما دلّ عليه من قولك : مُزٌّ . و كذلك كل الخبرين و إن لم يتلخص منهما جزء واحد كما تلخص من قولك : حلوٌ حامض))^٢.

الخبر بالظرف عن الجثة

قال ابن جنى : ((قال رجل من تميم (من الوافر) :

سليلاً سابقين تناجلاها
إذا نسبت تضمّنها الكراع

وصف الجوهر بظرف الزمان و هو إذا ، و هو كقول أوس (من الطويل) :

فقومي و أصحابي يظنون أنني
متى يحدثوا أمثالها أتكلم

فجعل (متى) خبراً عن الجثة ، كذا مأخذ أبي علي في هذا و نحوه ،... و أن الاعتماد الآن على الظرف لا على أن الجملة وقعت خبراً عن الجثة))^٣.

يبدو أن المقصود بالظرف الذي لا يكون خبراً عن جثة هو ظرف الزمان نحو غداً و الساعة و متى و أمثالها ، و لهذا أنكر أبو علي عما قاله أوس و غيره فقال : ((فأما ظروف الزمان فتكون أخباراً عن الأحداث دون الأشخاص و ذلك نحو الخروج غداً و الرجيل الساعة و مقدّم الحاج المحرم ، ولو قيل : زيد غداً ، و عمرو أمس ، لم يستقم ؛ لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث))^٤.

والذي ذهب إليه أبو علي أشار إليه النحاة من قبله ؛ لأنه أصل من الأصول النحوية في ضوء الاستخدام اللغوي الصحيح ؛ فقد ذهب المبرد إلى هذا بقوله : ((إن ظروف الزمان لا تضمّن الجثث . ألا ترى أنك تقول : زيد في الدار . فيصلح و تُفيد به معنى ، و لو قلت : زيد يوم الجمعة لم يصلح ، لأن الزمان لا يخلو منه زيد و لا غيره ، و لكن إن كان اسم فيه معنى الفعل جاز أن تكون أسماء الزمان ظرفاً له ، نحو قولك : القتال يوم الجمعة ، و مقدّم الحاج ، و المحرم يا فتى ، لأنك

^١ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٢٣٤ .

^٢ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٤٦٩ - ٤٧٠ .

^٣ المصدر نفسه / ١٩٤ .

^٤ المقصد في شرح الايضاح / ١ / ٢٨٨ - ٢٨٩ .

تخبر أنه في هذا الوقت يقع . فها هنا فعل قد كان يجوز أن يخلو منه هذا الوقت . فعلى هذا تجري الظروف من الأزمنة و الأمكنة في الإخبار))^١.

أقول : إن الخبر عن الجثة بظرف الزمان لا يجوز إلا إذا كان الاسم يحتوي على معنى الفعل نحو : القتال يوم الجمعة ، فإذا قلت (زيد يوم الجمعة) فهذا لا يجوز ؛ لأن الزمان كله يحوي الجثة (زيد) إلا أن تقول قائم ، في حين يجوز أن يخبر عنه بظرف المكان ، نحو زيد عندك أو زيد في الدار ؛ لأنه يفيد معنى في هذا لزيد كان خالياً منه . فإن لم يعد ظرف زمان لم يقع خبراً عن الجثة نحو : (زيد اليوم)) و إن أفاد نحو : (الليلة الهلال) جاز في تقدير : طلوع الهلال الليلة . هذا مذهب جمهور البصريين ، وذهب آخرون إلى جواز ذلك من غير شذوذ لكن بشرط أن يفيد نحو : (نحن في يوم طيب)^٢.

دخول اللام المفتوحة في خبر المبتدأ ضرورة

قال ابن جنى : ((أما الضرورة التي تدخل لها اللام في خبر غير إن فمن ضرورات الشعر ، و لا يقاس عليها ، قرأت على أبي علي بإسناده إلى يعقوب : (من الرجز)
أَمْ الْحَلِيسِ لَعَجُوزٌ شَهْرِيَّةُ تَرْضَى مِنَ الشَّاةِ بَعْظَمِ الرَّقَبَةِ
والوجه أن يقال : لأم الحليس عجوز شهرية ، كما تقول : لزيد قائم ، و لا تقول : زيد لقائم ...
وأخبرني أبو علي أن أبا الحسن حكى : (إن زيدا وجهه لحسن) فهذه أيضاً ضرورة))^٣.
الظاهر أن دخول اللام على خبر المبتدأ من باب الضرورة الشعرية كما أشار إلى روايته ابن جنى عن أبي علي في حين غيره يعد دخولها شذوذاً . أو ينفي ذلك .
جاء في إعراب القرآن : ((و اللام لا تدخل على خبر الابتداء ، و إنما تدخل على المبتدأ و إدخالها على الخبر شاذ))^٤.

فاللام هنا زائدة أو مقحمة لكلمة (عجوز) ؛ لأن إدخالها لغير الخبر ضرورة شعرية و لا يقاس عليها .^٥

أما ما نقله الأخفش (أبو الحسن) عن قول العرب (إن زيدا وجهه لحسن) فجوز فيه دخول اللام على خبر المبتدأ ؛ لأن الجملة فيه اسمية وهي خبر إن ؛ و لهذا سهل دخولها للإشعار بـ (إن) حتى يؤكد خبرها باللام المفتوحة ، و هذا فيه ضعف .^٦

أما البيت الشعري الذي يروي عند النحاة لشذوذ دخول اللام على خبر المبتدأ ففيه احتمالات من الاعراب : (من الكامل)

^١ المقترض / ٤ / ١٣٢ - ١٣٣ ، و يكرر في الصفحات ١٧٢ - ٣٢٩ - ٣٥١ .

^٢ ينظر شرح ابن عقيل / ١ / ٢١٤ .

^٣ سر صناعة الاعراب / ١ / ٣٧٨ .

^٤ اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج / ٢ / ٧٧٠ .

^٥ ينظر لسان العرب / مادة / شهرت .

^٦ ينظر ضرائر الشعر لابن عصفور / ٥٩ .

خَالِي لَأَنْتَ وَمَنْ جَرِيرٌ خَالَهُ
يَنْلِ الْعِلَاءَ وَيَكْرُمُ الْأَخْوََالَ
فيحتمل فيه الإعراب الأول على الشذوذ ، و هو : خالي : مبتدأ و لأنت : خبر المبتدأ و اللام دخلت عليه للضرورة أو شذوذاً .
ويحتمل فيه الإعراب الثاني و هو الصحيح ، فخالي : خبر مقدم و لأنت : مبتدأ مؤخر و اللام لام الإبتداء . و هو الوجه في الإعراب و القصد الصحيح ^١ .

الاستدلال بتقديم معمول الخبر على جواز تقديم الخبر على المبتدأ

قال ابن جني : ((و على نحو ذلك ما استدل أبو علي على جواز تقديم خبر المبتدأ عليه بقول الشماخ : (من الوافر)

كَلَا يَوْمِي طَوَالَةَ وَصَلُ أُرُو
ظَنُونَ أَنْ مَطَّرَحَ الظُّنُونَ
فقال : (كلا) ظرف لقوله : (ظنون) ، و (ظنون) خبر المبتدأ الذي هو (وصل أروي) ، فدل هذا على جواز تقديم (ظنون) على (وصل أروي) كأنه قال : ظنون في كلا هذين اليومين وصل أروي . أي : هو مُتَّهَم فيهما كليهما))^٢ .

لقد ذهب أبو علي في ضوء شعر الشماخ إلى جواز تقديم الخبر على المبتدأ في ضوء تقديم معمول الخبر ، و كأنه في هذا جواز تقديم معمول على الخبر ، في حين أن سيبويه يعده قبيحاً ما عدا جوازه في الشعر . و هذا ظاهر قوله : ((وإن قلت : زيدا إذ يأتيني أضرب ، تريد معنى الهاء و لا تريد زيدا أضرب إذ يأتيني ، و لكنك تضع أضرب ههنا مثل أضرب إذ جزمت و إن لم يكن مجزوماً ؛ لأن المعنى معنى المجازاة في قولك : أزيد إن يأتك أضرب و لا تريد به أضرب زيدا ، فيكون على أول الكلام ، كما لم ترد بهذا أول الكلام ، رفعت . و كذلك حين ، إذا قلت : أزيد حين يأتك تضرب . وإنما رفعت الأول في هذا كله لأنك جعلت تضرب و أضرب جواباً فصار كأنه من صلته إذا كان من تمامه ، و لم يرجع إلى الأول . و إنما تردده إلى الأول فيمن قال : إن تأتيني آتتك ، وهو قبيح ، و إنما يجوز في الشعر))^٣ .

وقبح هذا التقديم ، لأن معمول لا يقع إلا حين يقع العامل ، فلم تقل : زيدا ضربت إلا بعد أن تبتدى بضربت ، فنقول ضربت زيدا ، ففي بيت الشماخ لولا جواز تقديم خبر (وصل أروي) الذي هو (ظنون) عليه ، فنقول : (ظنون وصل أروي) كما تقول : (منطلق زيدا) ، لما جاز أن تقدم على (وصل أروي) معمول ظنون الذي هو (كلا يومي طواله) ، الذي جرى مجرى قولك : كل واحد من يومي طواله ^٤ .

^١ ينظر سر صناعة الاعراب / ١ / ٣٧٨ .

^٢ المحتسب / ١ / ٣٢١ .

^٣ الكتاب / ١ / ١٣٥ .

^٤ ينظر المقتصد في شرح الايضاح / ١ / ٣٠٣ .

وهذا مثل مسألة (القتال زيدا حين تأتي) التي لم تكن جائزة ؛ لأنَّ (زيدا) معمول (تأتي) فالصواب (القتال حين تأتي زيدا) ، و أيضا لا يجوز أن تقدم (تأتي) على (حين) فتقول (القتال تأتي حين) فكذا لا يجوز تقدم زيدا على حين ؛ لأنه معمول تأتي ؛ فعلا بقاعدة : المعمول لا يقع حيث يقع العامل ، فأمتنع جواز تقديم المعمول هنا لأجل امتناع تقديم العامل كذلك دلّ تقديم المعمول الذي هو (كلا يومي طوالة) على جواز تقديم العامل الذي هو (ظنون)^١ . وفي ضوء هذا يمكن أن يقال إنَّ الضرورة الشعرية هي التي جوزت تقديم المعمول في ضوء جواز تقديم العامل .

دخول اللام المفتوحة على (من) الموصولة (المبتدأ)

قال ابن جنى : ((و ذهب أبو اسحاق في قوله جل ثناؤه : ((يَدْعُو لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مَنْ نَفَعَهُ)) إلى أنَّ التقدير : يدعو مَنْ لَضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفَعِهِ ، قال : فقدمت اللام عن موضعها ، و حكى هذا القول عن البصريين و الكوفيين جميعا . وهذا عندنا على إجماع الكافة عليه في ما حكاه أبو اسحاق غير جائز و لا مرضي ، و قد أنكره أبو علي ، و ذهب في فساده إلى أنَّ اللام على هذا التقدير من صلة (مَنْ) ، و محال أن تتقدم الصلة أو شيء منها على الموصول))^٢ . إنَّ الذي ذهب إليه أبو اسحاق الزجاج هو رأي الكسائي . قال أبو جعفر النحاس : ((قول الكسائي : إنَّ اللام في غير موضعها و أنَّ التقدير يدعو مَنْ لَضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفَعِهِ))^٣ . أمَّا الأخفش فقد عدَّ الفعل يدعو بمعنى القول و (مَنْ) مبتدأ و الخبر محذوف تقديره (إلهه) وهذا ظاهر قوله : ((فـ (يدعو) بمنزلة (يقول) و (مَنْ) رفع ، و أضمر الخبر كأنه : يدعو لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفَعِهِ إلهه))^٤ .

وهذا مردود عليه ؛ لأنَّ المحلوف به لا يحذف ، فتقديره فيه خطأ . فقد نقل أبو بكر الانباري عن أبي العباس ثعلب هذا الرد بقوله : ((سمعت أبا العباس (ثعلبا) ، يقول : كان الأخفش يقول : المعنى لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفَعِهِ إلهه ، فحذف (الإله) قال : و أخطأ الأخفش في هذا ؛ لأنَّ المحلوف عليه لا يحذف ، إذا قلت : و الله لأخوك زيد ، لم يحسن أن تحذف (زيدا) فتقول : (لأخوك))^٥ .

أمَّا الفراء فقد جعل اللام في (لِمَنْ) معترضة بين (يدعو) و (من ضره أقرب من نفعه) ، و قد مال في بعض أقواله إلى رأي الكسائي الذي يقول فيه إنَّ اللام في غير موضعها ، أي في (لضره) فقال : ((يَدْعُو لِمَنْ ضَرَّهُ ، فجاء التفسير : يَدْعُو مَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفَعِهِ . و قد حالت

^١ ينظر المقتصد في شرح الإيضاح / ١ / ٣٠٣ .

^٢ الحج / ١٣ .

^٣ سر صناعة الأعراب / ١ / ٤٠١ .

^٤ أعراب القرآن / ٢ / ٣٩٢ .

^٥ معاني القرآن / ٢ / ٤١٣ .

^٦ إيضاح الوقف و الابتداء / ٧٨١ .

اللام بينهما . و كذلك هي في قراءة عبد الله (يَدْعُو مَنْ ضَرَّهُ) و لم نجد العرب تقول : ضربت لأخاك ، و لا رأيت لزيداً أفضل منك . و قد اجتمعت القراء على ذلك . فنرى أن جواز ذلك ؛ لأنَّ (مَنْ) حرف لا يتبيّن فيه الإعراب ، فاجيز : فاستجيز الاعتراض باللام دون الاسم ، إذ لم يتبيّن فيه الإعراب . و ذكر عن العرب أنهم قالوا : عندي لَمَّا غيره خير منه ، فقالوا باللام دون الرفع . و موقع اللام كان ينبغي أن يكون في (ضَرَّهُ) و في قولك : عندي ما لغيره خير منه . فهذا وجه القراءة للاتباع))^١ .

احتمل الفراء وجهاً آخر لهذا النص ، فجعل يدعو من ضمن قوله (ذَلِكَ هُوَ الظَّلَالُ البَعِيدُ يَدْعُو) ثم استأنف الكلام بعد أن أضمر هاء في (يَدْعُو) كأنّ الكلام (يدعوه ، لمن ضَرَّهُ أقرب من نَفْعِهِ لَبَسَ المولى) كما تقول في موضع الجزاء (لَمَّا فعلت لهو خير لك) . و هذا وجه قوي في العربية عنده .^٢

وعنده أيضاً وجه ثالث ، هو كسر اللام ، فتكون بمعنى إلى ، و هذا الوجه لولا كراهية الخلاف لكان جيداً . بقوله ((ووجه آخر لم يُقرأ به . و ذلك أن تكسر اللام في (لمن) و تريد يدعو إلى مَنْ ضَرَّهُ أقرب من نفعه ، فتكون اللام بمنزلة إلى ، كما قال (الحمد لله الذي هدانا لهذا) ، وإلى هذا و أنت قائل في الكلام : دعوت إلى فلان و دعوت لفلان بمعنى واحد . و لولا كراهية خلاف الآثار و الاجتماع لكان وجهاً جيداً من القراءة . و يكون قوله (يَدْعُو) التي بعد (البعيد) مكرورة على قوله (يدعو من دون الله) يدعو مكررة ، كما تقول : يدعو يدعو دائباً ، فهذا قوّه لمن نصب اللام و لم يوقع (يدعو) على (مَنْ) و الضلال البعيد الطويل))^٣ .

ف رأي الكسائي مردود ؛ لأنه ليس لهذه اللام تصرف على أن يوجبها جواز التقديم و التأخير .^٤ و هذا تقوية لرأي أبي علي عندما ردّ على أبي اسحاق و قال عن رأيه غير جائز و لا مرضي ، و أمّا رأي الاخفش الذي ذهب إليه المبرد و قال به تقدير (إله) فهو مردود أيضاً ؛ لأنّ ما بعد اللام مبتدأ فلا يجوز نصب إله .^٥

أقول : إن رأي أبي علي هو الأصوب ؛ لأنك إذا جعلت اللام مع (لضره) فكأنك جعلتها مع خبر المبتدأ و هذا من باب الشذوذ عند العرب أو قلة الاستخدام كما قال الشاعر : (من الرجز)
أُمُّ الحَلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَيْه
تَرْضَى مِنَ اللّٰمِ بِعَظْمِ الرَّقَبَةِ
و الأصوب أن يقال : لأم الحليس عَجُوزٌ ، لكن الشاعر اضطر إلى تأخيرها ، كما ذكر سابقاً في هذه المسألة الشذوذ فضلاً عن أن اللام إذا لحقت (لضره) و هي لام الابتداء أصبح الخبر بتقدير المبتدأ و كان (مَنْ) تقدمت على (مَنْ) و المفروض أنها تتأخر عنها ؛ لأنها من صلتها .

^١ معاني القرآن / ٢ / ٢١٧ .

^٢ ينظر معاني القرآن / ٢ / ٢١٧ .

^٣ معاني القرآن / ٢١٧ - ٢١٨ .

^٤ ينظر اعراب القرآن للنحاس / ٢ / ٣٩٢ .

^٥ ينظر المصدر نفسه و الجزء و الصفحة .

الإفعال الناقصة (كان و أخواتها)

التبادل فيما بينها بالدلالة على المعنى

كان بمعنى صار

قال ابن جني : ((أنشدنا أبو علي (من الطويل) :

بِتِيهَاءَ قَفْرٍ وَ الْمَطِيِّ كَأَنَّهَا
قَطَا الْحَزْنَ قَدْ كَانَتْ فِرَاخًا بِيَوْضُهَا
أَي صَارَتْ))^١.

يبدو أن لـ (كان) أوجه في العربية و من هذه الأوجه تكون بمعنى صار نحو قال تعالى :
((وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ))^٢ أي صار من الكافرين و نحو قوله تعالى : ((وَ كَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ))^٣ أي
صار من المغرقين - و الله اعلم - أما قوله تعالى : ((كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا))^٤ فقد
حملة بعضهم على أن كان بمعنى صار أي صار صبيًا على الرغم من أن (كان) هنا بمعنى (وجد)
أو (حدث) و هي تامة اكتفت بالفاعل و (صبيًّا) يعرب حالا منصوبة ، و لهذا يكون اختصاص
لعيسى (عليه السلام) و معجزة في التكلم و هو في المهد .^٥ (والتقدير كيف نكلم من وجد في
المهد صبيًّا ينصب على الحال من (كان) ومثل (كان) هاهنا (وإن كان ذو عسرة) ومثله قول
الربيع : (من الوافر)

إِذَا كَانَ الشَّتَاءُ فَادْفَنُونِي
فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُهُ الشَّتَاءُ))^٦.

تعدد خير كان :

قال ابن جني : ((قال الله تعالى : ((فَكُنَّا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ))^١ ينبغي أن يكون
(خاسئين) خبرًا آخر لـ (كونوا) و الأول (قردة) فهو قولك : هذا حُلُو حَامِض ، و إن جعلته
وصفًا لـ (قردة) صغَّر معناه ؛ ألا ترى أن القرد لذلّه و صغاره خاسئٌ أبداً، فيكون إذا صفةً غير
مفيدة . وإذا جعلت (خاسئين) خبرًا ثانيًا حسنًا و أفاد ، حتى كأنه قال : كونوا قردةً و كونوا
خاسئين ؛ ألا ترى أن ليس لأحد الاسمين من الاختصاص بالخبرية إلا ما لصاحبه ، وليس كذلك
الصفة بعد الموصوف ؛ إنّما اختصاص العامل بالموصوف ، ثم الصفة من بعد تابعة له . و لست
أعني بقولي : إنه كأنه قال تعالى : كونوا قردة ، كونوا خاسئين ، أن العامل في (خاسئين) عامل
ثانٍ غير الأول ؛ معاذ الله أن أريد ذلك ، إنّما هذا شيء يقدر مع البديل . فأما في الخبرين فإن العامل
فيهما جميعًا واحد ، و لو كان هناك عامل آخر لما كانا خبرين لمخبر عنه واحد ، و إنّما مفاد الخبر

^١ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٣٤١ .

^٢ البقرة / ٣٤ .

^٣ هود / ٤٣ .

^٤ مريم / ٢٩ .

^٥ ينظر أسرار العربية / ١٣٤ - ١٣٧ .

^٦ البقرة / ٢٨٠ .

^٧ مجمع البيان في تفسير القرآن / ٦ / ٥١٠ .

^٨ البقرة / ٦٥ .

من مجموعهما . و لهذا كان عند أبي علي أنَّ العائد على المبتدأ من مجموعهما ، لا من أحدهما لأنه ليس الخبر بأحدهما ، بل بمجموعهما . و إنما أريدُ أنك متى شئت باشرت بـ (كونوا) أي الاسمين آثرت ، و ليست كذلك الصفة^١ .

يفهم من هذا أنَّ الذي ذهب إليه أبو علي من أنَّ الخبر من مجموعهما لا من أحدهما أخذ من المعنى ؛ لأنَّ (قردةً و خاسنين) كأنهما معنى واحد ؛ لأنَّ القرد خاسئ فالخاسئ هو القرد . قال الأخفش : ((فلأنك تقول : خسأته فخسئ يخسأ خسناً شديدا فهو خاسئ و هم خاسئون))^٢ .

فضلاً عن المعنى ، أنَّ العامل واحد لا اثنان ؛ فلو كان هناك عامل آخر لما أصبح الخبران (قردة، خاسنين) يخبران عن مخبر واحد وهو الكفار ؛ وفي ضوء هذا ذهب أبو علي إلى أنَّ العائد عن المبتدأ هو مجموع الخبرين في جملة (هذا حلو حامض) ؛ لأنَّهما في المعنى واحد و يخبران عن مخبر واحد .

حذف خبر (كان) وأخواتها

قال ابن جني : ((و قال التميمي في منصور بن زياد (من الكامل) :

لَهْفِي عَلَيْكَ لِلهَفَاةِ مِنْ خَائِفِ
يَبْغِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ

حذف خبر ليس ، أي حين ليس في الدنيا مجير . و عليه قولهم : ليس الطيب إلا المسك ، أي ليس الطيب في الدنيا ، ثم أبدل المسك من الطيب . هذا أحد الوجوه في هذه اللفظة . أعني قولهم : ليس الطيب إلا المسك . و اعلم أنَّ حذف أخبار كان وأخواتها يضعف في القياس ، و قلما وجد في الاستعمال . فإن قلت : قد علم أنَّ خبر كان يتجاذبه شبهات ، أحدهما خبر المبتدأ ؛ لأنه هو أصله ، و الآخر المفعول به ، إذا كان منصوباً بعد مرفوع بفعله ، و ليس مصدرًا ولا ظرفًا ولا حالًا ولا تمييزًا و لا مفعولاً له ولا مفعولاً معه ، و كلُّ واحد من خبر المبتدأ و من المفعول به قد شاع في الكلام واطرد حذفه ، و هو واقف بينهما و أخذ للشبه من كلِّ منهما ، فمن أين ، لبيت شعري ، قَبِحَ و قَلَّ حذفه ؟ فالجواب : أنه دخله أمرٌ لم يوجد في واحد منهما . و ذلك أنَّ (كان) الناقصة إنما ألزمت الخبر تعويضًا لها مما اخترم منها من دلالة الحدث ، فجاء متممًا و عوضًا من المخترم منها فلو حذفته لنقضت الغرض الذي جئت به له و من أجله ، فجرى في ذلك نحو من إدغام الملحق ، لما في ذلك من نقض الغرض الذي أريد به احتذاء المنال الملحق به . و كحذف المؤكد لما فيه من تناقض المطلوب . ألا ترى أنَّ التوكيد من مقاوم الأسباب و الأطناب ، و الحذف من مظان الإيجاز و الاختصار ، و هما ، كما ترى ، ضدان . و كنت رأيت أبا علي وقتما ما أنسأ بحذف خبر كان ، و لم أره راجعه و لا أكثر في كلامه ، و فيه عندي ما ذكرته لك . فتفهمة ، فإنه لا يجوز في القياس غيره))^٣ .

^١ الخصائص / ٢ / ١٥٨ - ١٥٩ .

^٢ معاني القرآن / ١ / ١٠٢ .

^٣ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٤٧٧ - ٤٧٨ .

الظاهر أن حذف خبر الافعال الناقصة قليل في الاستعمال ضعيفاً في القياس ؛ لأن هذه الافعال سدت نقصها بالزامها الخبر ، فهو يعد تعويضاً لها مما حصل لها من نقص على دلالة الحدث ، فهي لا تكتفي بالمرفوع وإنما يتم معناها بالمنصوب ولهذا عند حذفه يقدر لكي تتم فائدتها في الجملة و الكلام عموماً .

أما قولهم : ليس الطيب إلا المسك ففي أوجه عدة خرجها أبو علي على ثلاثة أوجه . قال ابن هشام : ((و خرج الفارسي ذلك على أوجه : أحدها : أن في (ليس) ضمير الشأن ، و لو كان كما زعم لدخلت إلا على أول الجملة الاسمية الواقعة خبراً : فقيل : ليس إلا الطيب المسك ، ... الثاني : أن الطيب اسمها ، وأن خبرها محذوف ، أي في الوجود ، وأن المسك بدل من اسمها . الثالث : أنه كذلك ، و لكن (إلا المسك) نعت للاسم ؛ لأن تعريفه تعريف الجنس ، فهو نكرة معنى أي ليس طيباً غير المسك طيباً))^١ .

فضلاً عن هذا أن حذف الخبر لا يعتد به أبو علي و لا يكثره في كلامه ؛ لأن الخبر يؤكد عمل الافعال الناقصة و يتمها حسب ما ذكر ابن جني ، لكنه في بعض الأحيان يخرج مسائل لغوية فيها خلاف اللهجات ، نحو (ليس الطيب إلا المسك) ، في ضوء عمل ليس وأن لا ينتقض بوجود (إلا) ؛ لأن الطيب اسمها و خبرها محذوف تقديره (في الوجود) والمسك بدل من الطيب .

أقول : الأصح في تخريجات هذا هو أن (المسك) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو و الجملة الاسمية (هو المسك) في محل نصب خبر ليس .^٢

زيادة اللام في خبر : ((أمسى))

قال ابن جني : ((و قد أدخلت في خبر أمسى ... أنشدناه أبو علي :^٣ (من البسيط)
مرّوا عجالاً وقالوا : كيف صاحبكم ؟ قال الذي سألوا : أمسى لمجهوداً))^٤
و قال : ((فزاد اللام))^٥ . و التقدير أمسى هو مجهوداً ، و اللام زائدة شذوذاً كما زيدت في خبر (لكن) في ضوء رأي الكوفيين .

قال ابن عقيل : ((و لا تدخل هذه اللام على خبر باقي أخوات ((أن)) ؛ فلا تقول : لعل زيداً لقايم)) وأجاز الكوفيون دخولها في خبر (لكن) ، وأنشدوا : (من الطويل)
يلومونني في حُبّ ليلي عوالي
و لكنني من حُبّها لعميد
وخرج على أن اللام زائدة ، كما شذ زيادتها في خبر ((أمسى)) نحو قوله : و ذكر البيت . أي :
أمسى مجهوداً))^٦ .

^١ مغني اللبيب عن كتب الاعراب / ٣٨٨ - ٣٨٩ .

^٢ المصدر نفسه / ٣٨٩ .

^٣ لم يذكره سيبويه و إنما ذكره ثعلب في مجالسه / ١ / ١٢٩ و لم ينسبه الى قائل معين .

^٤ سر صناعة الاعراب / ١ / ٣٧٩ .

^٥ الخصائص / ١ / ٣١٦ .

^٦ شرح ابن عقيل / ٣٦٣ - ٣٦٦ و ينظر الخزانة / ١٠ / ٣٢٧ .

حذف (كان) و التعويض منها بـ (ما)

قال ابن جني : ((لما حذف (كنت) عوضَ منها (ما) في قوله : (من البسيط)

أبَا خِرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنْ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبَّعُ
ألا ترى أن معناه : لأن كنت ذَا نَفَرٍ فلما حذف (كان) عوضت منها (أَمَا) فصارت هذه هي
الرافعة (لأنت) و الناصبة (لذا نفر) ، لما أنابت عن كان الرافعة الناصبة ، و هذه طريق أبي علي
و نص قوله في هذا البيت))^١. فقال ((ما كتبناه من أن (أن) هذه هي الناصبة للفعل و (ما)
عوضٌ منه ملازمةً للكلمة و (أنت) مرتفع الموضع بالفعل الذي صار (ما) عوضاً منه ، و هو :
كان فاما (أن) مع صلتها في موضع نصب لوصول الفعل إليه و عمله فيه))^٢.

إن حذف (كان) و تعويض (ما) مطرد الاستخدام في لغة العرب ، فقد ذكر سيبويه في باب ما
ينتصب على اضمار الفعل المتروك إظهاره ما نصه : ((و من ذلك قول العرب : أَمَا أَنْتَ مَنْطَلِقًا
انطلقت معك ، و أَمَا زَيْدٌ ذَاهِبًا ذَهَبْتُ مَعَهُ))^٣.

أما الشاهد الشعري فقد فصل فيه سيبويه عن تركيب (أَمَا) و حذف كان بقوله : ((فإِذَا هِيَ
(أن) ضُمَّتْ إِلَيْهَا (ما) و هي (ما) التوكيد ، و لزمت كراهيةً أَنْ يُجْحَفُوا بِهَا لتكون عوضاً من
ذَهَابِ الْفِعْلِ ، كما كانت الهاءُ و الألفُ عوضاً في الزنادقة و اليماني من الياء))^٤.

إن أبا علي كان ينتصر لسيبويه في هذه المسألة على أبي العباس المبرد ، و الذي لا يرى
وقوع الفعل بعد (أن) هذه ممتنعاً ، بل جائز عنده في القياس ، فقال رادا عليه : ((ألا ترى أَنَّهُ قَدْ
يَجُوزُ فِي الْقِيَاسِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ لَا يَجِيءُ بِهِ الْإِسْتِعْمَالُ ، فَإِذَا لَمْ يُسْتَعْمَلْ لَهُ تَرْكٌ ، و إن أجازَه القياسُ ،
فلا يُسْتَعْمَلُ فِي الْكَلَامِ : وَدَرٌ و لا وَدَعٌ ، و لا ما أشبه ذلك لامتناعه في الاستعمال ، و إن أجازَه
القياسُ ، و كذلك اظْهَارُ الْفِعْلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لَا يَجُوزُ لِشَدُوذِهِ عَنِ الْإِسْتِعْمَالِ ، و إن أجازَه
القياسُ))^٥.

في حين أن هناك خلافاً و اتفاقاً في هذه المسألة بين البصريين و الكوفيين و قد وضح السيرافي
ذلك الاتفاق و الخلاف بينهم في ضوء (أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ) فقد ذكر أنهم اتفقوا على وجوب حذف
الفعل (كان) في هذا النص ، و اختلفوا في تقدير المعنى ، فقال الكوفيون : هو بمعنى (أن) ،
وإن (أن) المفتوحة فيها معنى (إن) التي للمجازاة ، و يحملون قوله تعالى : ((أَنْ تَضِلَّ
إِحْدَاهُمَا))^٦ و قال البصريون : إنه على معنى التعليل ، أي لَأَنَّ كُنْتَ مَنْطَلِقًا انطلقَ مَعَكَ . و شبهوها
بـ (إذ) ولأجل أن الثاني استحق بالأول جازَ دخولُ الفاءِ في الجوابِ^٧.

^١ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ١٥١ - ١٥٢ .

^٢ البغداديات / ٣٠٤ .

^٣ الكتاب / ١ / ٢٩٣ .

^٤ المصدر نفسه و الجزء / ٢٩٣ - ٢٩٤ .

^٥ البغداديات / ٣٠٥ - ٣٠٦ .

^٦ البقرة / ٢٨٢ .

^٧ ينظر هامش الكتاب / ١ / ٢٩٣ .

وفي ضوء قول البصريين ، أصل الكلام (لأن كنت) فحذف حرف الجر (اللام) و الفعل (كان) لغرض الاختصار ، فاتفصل الضمير (التاء) لعدم وجود ما يتصل به ، ثم جيء بـ (ما) تعويضاً عن (كان) المحذوفة و أدمت النون بالميم لتقارب الأصوات و لتقارب المخارج^١ .

جواز تقديم معمول خبر (ليس) عليها

قال ابن جنى : ((فإن قلت : فكيف يجوز (ليس) أن تعمل في الظرف و ليس فيها تقدير حدث؟ قيل : جاز ذلك فيها ، من حيث جاز أن ترفع و تنصب ، و كانت على مثال الفعل فكما عملت الرفع و النصب وإن عريت من معنى الحدث ، كذلك أيضاً تنصب الظرف لفظاً كما عملت الرفع و النصب لفظاً ؛ ولأنها على وزن الفعل . وعلى ذلك وجه أبو علي قول الله سبحانه : ((أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ))^٢ ؛ لأنه أجاز في نصب (يوم) ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون متعلقاً بنفس (ليس) من حيث ذكرنا من الشبه اللفظي . و قال أبو علي رحمه الله يوماً : الظرف يتعلق بالوهم مثلاً^٣)) .

يبدو أن أبا عليّ جوّز تقديم خبر ليس عليها إذا كان ظرفاً ؛ لأنّ الظرف يتعلّق بالوهم ، وعنده القياس بقوله : ((و هكذا خبر ليس في قول المتقدمين من البصريين . و هو عندي القياس ، فنقول : منطلقاً ليس زيداً . وقد ذهب قوم إلى أن تقديم خبر ليس على ليس لا يجوز))^٤ .
إنّ هذه المسألة من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين ، فقد ذهب الكوفيون إلى عدم جواز تقديم خبر ليس عليها ، أمّا البصريون فقد ذهبوا إلى جواز التقديم ، حملاً على جواز تقديم خبر (كان) عليها^٥ .

وحجة الكوفيين فيما ذهبوا إليه تتمثل في أنها لا تتصرف في نفسها ، فلا تتصرف في معمولها قياساً على فعل التعجب (ما أحسن زيداً) فلا يجوز : (زيداً ما أحسن) ولا (ما زيداً أحسن) ؛ لأنه فعل جامد . فضلاً عن أنها كالحرف لجمودها ، فلا يتقدم منصوبها عليها قياساً على (ما) الحرفية ، في حين أنها أقوى من (ما) وإن حكم بحرفيتها على قول ؛ ولذلك شبهت (ما) بها في العمل ولا يبطل عملها بما يبطل به عمل (ما) و هي أضعف من (كان) فاعطيت رتبة بين الرتبتين ، أمّا حجة البصريين في الجواز فقد احتجوا في ضوء قوله تعالى : ((أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ)) فـ (يوم) معمول لـ (مصروف) و المعمول يقع حيث يقع العامل ، فلا يقال : بأنّه منصوب بفعل مقدر ، أي : (يُلَازِمُهُمُ الْعَذَابُ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ) ؛ لأنّ التقدير على خلاف الأصل ، فلا

^١ ينظر مغني اللبيب / ٨٤ .

^٢ هود/٨

^٣ الخصائص / ٢ / ٤٠٠ .

^٤ المقتصد في شرح الايضاح / ١ / ٤٠٧ .

^٥ ينظر الانصاف في مسائل الخلاف / ١ / ١٦٠ .

يصار إليه ما أمكن الحمل على الموجود ، و احتجوا أيضاً بقولهم : (أزيدياً لست مثله)؛ فإن الفعل المُفسَّر يجوز أن يعمل في معمول المُفسَّر عند عدم الاشتغال عنه بمعمول آخر ، فلو حذف (مثله) نقلت : (أزيدياً لست) أي : (ألت زيدياً؟)^١.

قال ابن السراج : ((و لا يتقدم خبر (ليس) قبلها ؛ لأنها لم تصرّف تصرف (كان) ؛ لأنك لا تقول : منها يفعل ولا فاعل ، و قد شبهها بعض العرب بـ(ما) فقال : ليس الطيب إلا المسك ، فرفع و هذا قليل))^٢.

اعتمد ابن السراج برأيه هذا قول سيبويه في خصوصية (ليس) التي ذكرها بقوله : ((فأما ليس فإنه لا يكون فيها ذلك ؛ لأنها وضعت موضعاً واحداً و من ثمّ لم تصرّف تصرف الفعل الآخر.))^٣ أما الزمخشري فقد مال إلى تقديم الخبر ، فعنده (يوم يأتهم) منصوب بخبر (ليس) (مصروفاً) واستدل بذلك من أجاز تقديم الخبر ؛ بدليل إذا جاز تقديم معمول الخبر على (ليس) كان دليلاً على جواز تقديم خبرها ؛ لأنّ معمول تابع للعامل فيقع حيث يقع عامله .^٤

يبدو أنّ الذي يمنع تقديم الخبر يعدّها حرفاً و يستدل أنّ الحرف لا يتقدم معموله عليه وأمّا الذي لا يجيز التقديم أيضاً فيعدّها فعلاً ، وقد استدل أنها فعل لم يتصرف (جامد) و الفعل الذي لم يتصرف في نفسه لم يتصرف في معموله مثله كمثل فعل التعجب ، الذي لا يجوز تقديم معموله عليه نحو (زيدياً ما أحسن) ، في حين أن الذي يجيز التقديم فقد احتج بالسماع في ضوء قوله تعالى : ((ألا يوم يأتهم) ؛ لأنه يعد (يوم) منصوباً بـ(مصروفاً) ، وقد تقدم معمول على عامله ، وهذا جوز تقديم العامل أيضاً ، فصح ذلك التقديم .^٥

إنّ تقديم الخبر في هذه المسألة جائز عند العكبري في ضوء رواية و دراية ، فالرواية النص القرآني : ((ألا يوم يأتهم) و الدراية : الموازنة بين (إن) و (كان) فالأولى لا يتقدم الخبر عليها و لا على اسمها بشرط إذا كان غير ظرف ، أمّا إذا كان ظرفاً جائز . أمّا (كان) فيجوز تقدم خبرها عليها وعلى اسمها ، و المعروف أنّ (ليس) هي أخت لـ(كان) وبمثابتهما فجاز أن يتقدم الخبر في ضوء تلك الموازنة .^٦

أمّا ابن هشام فقد خالف التقديم و أيّد رأي الكوفيين في عدم الجواز بقوله : ((وأما امتناع ذلك في خبر (ليس) فهو اختيار الكوفيين ... و هو الصحيح ؛ لأنه لم يسمع (ذاهباً لست)؛ ولأنّها فعل جامد اشبهت (عسى) و خبرها لا يتقدم باتفاق))^٧.

فضلاً عن هذا أنه ردّ على من أجاز التقديم و جعل (يوم) متعلقاً بـ(مصروفاً) بقوله : ((الجواب أنهم توسعوا في الظروف ما لم يتوسعوا في غيرها))^٨.

^١ ينظر المغني في النحو لابن فلاح اليمني / ٣ / ٨٠ .

^٢ الاصول في النحو / ١ / ٨٩-٩٠ .

^٣ الكتاب / ١ / ٤٦ .

^٤ ينظر الكشاف / ٢ / ٢٦٠ .

^٥ ينظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور / ١ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .

^٦ شرح اللمع للعكبري / ١ / ٥٨ - ٥٩ .

^٧ قطر الندى و بل الصدى / ١٣٣ .

^٨ المصدر نفسه و الصفحة .

الظاهر أنّ رأي الكوفيين هو الصحيح ؛ لأنّ (ليس) فعل جامد ، في حين أنّ (كان) فعل متصرف ؛ فـ (ليس) جامدة مثل (عسى) ، و الأخيرة خبرها لا يتقدم عليها باتفاق النحاة ، فضلاً عن أنّ النص القرآني الذي استدل به البصريون و من تبعهم لا يكون فيه (يوم) متعلقاً بـ (مصروفاً) فقط ، وإنّما يؤول إلى أنّ يكون مرفوعاً بالابتداء و بني على الفتح لإضافته إلى الفعل ، فهو في محل رفع مبتدأ^١ . وأما تشبيهه عمل (ما) بها و حملها على ذلك ، فـ (ما) نقضت رتبتها و لا يقاس عليها ، فضلاً عن أنّ سيبويه لم يصرح بنص بتقديم خبر (ليس) عليها ، إذن فالمسألة فيها نوع من الوهم ، فضلاً عن أنّ الخبر ظرف (يوم) و أبو علي يقول أنّ الظرف تتعلق بالوهم^٢ ، هذا دلالة على التوسع في الظروف و العمل فيها و بها .

إِنَّ وَأَخْوَاتِهَا

حذف خبر إنَّ و أنّ و الخلاف بين البصريين و الكوفيين

قال ابن جني : ((و قد حذف خبر إنَّ مع النكرة خاصة ؛ نحو قول الأعشى : (من

المنسرح)

إِنَّ مَحَلًّا و إِنَّ مُرْتَحَلًّا و إِنَّ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا
أي إنّ لنا محلاً و إنّ لنا مرتحلاً . وأصحابنا يجيزون حذف خبر (إنّ) مع المعرفة ، ويحكون عنهم أنّهم إذا قيل لهم إنّ الناس الب عليكم فمن لكم ؟ قالوا : إنّ زيداً ؛ و إنّ عمراً ؛ أي : إنّ لنا زيداً ، و إنّ لنا عمراً . والكوفيون يأبون حذف خبرها إلاّ مع النكرة . فأما احتجاج أبي العباس عليهم بقوله : (من الطويل)

خَلَا أَنْ حَيًّا مِنْ قَرِيْشٍ تَفَضَّلُوا عَلَى النَّاسِ أَوْ أَنَّ الْإِكْرَامَ نَهَشَلَا
أي أو أنّ الإكرام نهشلا تفضلوا . قال أبو علي : و هذا لا يلزمهم ؛ لأنّ لهم أنّ يقولوا : إنّما منعنا حذف خبر المعرفة مع إنّ المكسورة ؛ فأما مع أنّ المفتوحة فلن نمنعه . قال : ووجه فصلهم فيه بين المكسورة و المفتوحة أنّ المكسورة حُذِفَ خبرها كما حُذِفَ خبرُ نقيضها . وهو قولهم : لا بأس ، ولا شك ؛ أي عليك ، و فيه . فكما أنّ (لا) تختص هنا بالنكرات فكذلك إنّما تشبهها نقيضتها في حذف الخبر مع النكرة أيضاً))^٣ .

إنّ الذي ذكره ابن جني ، قد أخذه عن سيبويه ، حتى أمثلته نحو قول الأعشى ، فلا داعي للتكرار ، فضلاً عن هذا أنّ سيبويه أكد إضمار خبر إنّ وليت مع النكرة و المعرفة . فقال : ((وتقول : إنّ غيرها إبلاً و شاء كأنه قال : إنّ لنا غيرها إبلاً و شاء ، أو عندنا غيرها إبلاً و شاء . فالذي تضرر هذا النحو وما أشبهه . وانتصب الإبلُ و الشاء كانتصاب فارس إذا قلت : ما في الناس

^١ ينظر فاتحة الأعراب في أعراب الفاتحة / ١١٥ و انتلاف النصره / ١٢٣ - ١٢٤ .

^٢ ينظر الخصائص / ٢ / ٢٠ / ٤٠٠ و التمام / ١٦٣ و التنبيه / ١٧٠ ، ٢٣٧ .

^٣ الخصائص / ٢ / ٣٧٣ - ٣٧٤ .

مثله فارساً . ومثل ذلك قول الشاعر : (من الرجز)

*يا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا رَوَّاجِعَا *

فهذا كقوله : ألاماء بارداً ، كأنه قال : ألاماء لنا بارداً ، وكأنه قال : يا لَيْتَ لَنَا أَيَّامَ الصَّبَا ، وكأنه قال : يا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا أَقْبَلْتَ رَوَّاجِعَ . وتقول : إِنَّ قَرِيبًا مِنْكَ زَيْدًا ، إِذَا جَعَلْتَ قَرِيبًا مِنْكَ مَوْضِعَهُ . وَإِذَا جَعَلْتَ الْأَوَّلَ هُوَ الْآخِرُ قُلْتَ : إِنَّ قَرِيبًا مِنْكَ زَيْدٌ . و تقول : إِنَّ قَرِيبًا مِنْكَ زَيْدٌ ، و الوجه إِذَا أُرِدْتَ هَذَا أَنْ تَقُولَ : إِنَّ زَيْدًا قَرِيبٌ مِنْكَ أَوْ بَعِيدٌ مِنْكَ ؛ لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ مَعْرِفَةٌ وَ نَكْرَةٌ . و قال امرؤ القيس : (من الطويل)

وإنَّ شفاءَ عَبْرَةٍ مُهْرَاقَةٍ
فَهَلْ عِنْدَ رَسَمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ
فهذا أحسنُ لِإِثْمَا نَكْرَةٍ^١ .

يفهم من كلام سيبويه أنه يذهب إلى حذف خبر إن ، إن كان اسمها نكرة أو معرفة و الاحسن إذا كان الاثنان نكرتين .

أما الفراء فقد ذهب إلى أن حذف خبر إن إذا كررت في محاولة التعرف على أن الأول يخالف الثاني . قال السيرافي : ((قوله إن زيدا وإن عمرا ... الخ)) قال الفراء : إنما تحذف مثل هذا إذا كررت إن ليعرف أن أحدهما مخالف للآخر عند من يظنه غير مخالف ، ويحكى أن أعرابيا قيل له الزبابة الفأرة فقال : إن الزبابة وإن الفأرة . وتقديره إن الزبابة زبابة وإن الفأرة فأرة أي أن هذه مخالفة لهذه وخالفه غيره في اشتراط التكرار^٢ .

يبدو أن الخلاف بين سيبويه و الفراء في هذه المسألة بسبب حذف الخبر ، فسيبويه يؤكد حذفه إن كان اسم (إن) نكرة أو معرفة ، في حين أن الفراء يذهب إلى تكرار (إن) . وأن الكوفيين حسب ما ذكر ابن جني ، فإنهم يذهبون إلى أنه يحذف إذا كان اسمها نكرة فقط . والبيت الشعري الذي احتج به أبو العباس (خلا أن حيا ...) فيه رد على الكوفيين في اشتراطهم لتأكيد الاسم ، وأيضا رد على الفراء في تكرار (إن) ، فقد حذف خبر (أن) المفتوحة الهمزة الثانية بدلالة ما قبله على الرغم من أن اسمها معرفة و هي غير مكررة^٣ .

أما ما أشار إليه أبو علي ، فكأنه انتصار للكوفيين ، فهو يريد أن يقول لهم أن يحتجوا بأن حذف خبر المعرفة منع مع إن المكسورة ، و لا يمنع مع المفتوحة ، و حجتهم بذلك أن (إن) المكسورة الهمزة يمكن حذف خبرها كما حذف خبر (لا) النقيضة لها التي تختص بالنكرات نحو : لا شك ، و لا بأس ، و بهذا يمكن حذفه مع (إن) المكسورة إذا كان الاسم نكرة كما هو الحال في (لا) ، و هذا اجتهاد من أبي علي وإشارة حسنة منه لهذه المسألة .

^١ الكتاب / ٢ / ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ .

^٢ حاشية الكتاب بولاق / ١ / ٢٨٤ .

^٣ ينظر حاشية عزيمة على المقضب / ٤ / ٣١ .

الاعتراض بالقسم بين اسم إن وخبرها

ذكر ذلك ابن جني في ضوء قول كثير : (من الطويل)

وإني - وتهيامي بعزة - بعدما
تخلّيت ممّا بيننا وتخلّيت
فقال : ((وقد يحتمل بيت كثير أيضا تأويلا آخر غير ما ذهب إليه أبو علي ، وهو أن يكون تهيامي في
موضع جرّ ، على أنه قسم به ، كقولك : إني - وحُبّك - لضنين بك ، وعرضت على أبي علي هذا
الجواب فقبله ، وأجاز ما أجاز ، فالباء على هذا في (بعزة) متعلقة بنفس المصدر ، الذي هو
التهيام))^١.

وسأل ابن جني أبا علي أيضا عن قول كثير ، بقوله : ((فقلت له : أيجوز أن يكون (وتهيامي)
بعزّه قسماً؟ فأجاز ذلك ولم يدفعه . وقال الله عزّ وجلّ : ((هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ))^٢ فقوله
تعالى : ((فليذوقوه)) اعتراض بين المبتدأ وخبره . وقال رؤبة : (من الرجز)

إني - وأسطار - سطرن سطرًا
لقائل يا نصرُ نصرٌ نصرًا
فاعترض بالقسم بين اسم إن وخبرها^٣.

والاعتراض في العربية كثير ولا سيما في الشعر ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على
الفصاحة والبلاغة اللغوية وقدرة الشعراء على قوّة النفس والامتداد فيه ، ولا سيما الاعتراض
بالقسم ، ((لأنّ المتكلم قد يبدأ كلامه بغير القسم ، فإذا ما أدرك من المخاطب أو السامع غفلة أو عدم
اهتمام أردف كلامه بالقسم استئنافاً لتوكيد القول أو تنبيهها لحمل المخاطب على الإصغاء والتدبر . وقد
ورد اعتراض القسم في مواضع كثيرة من كلام العرب منها : ... كقول عمرو بن كلثوم : (من
الكامل)

إني - وجدك - ماونيت ولم أزل
فقد فصل الشاعر بالقسم - وجدك - بين اسم إن الياء وخبرها (ماونيت) وهذا كثير في العربية من
شعر ونثر.

اللام المتقدمة غير المرحلة

قال ابن جني ((فالذي يدل على أنّ اللام في المرتبة قبل (إنّ) ثلاثة أشياء : الأول : أنّ العرب قد
نطقت بهذا نطقاً ، وذلك مع إبدال الهمزة هاء في نحو قولهم : لَهَنَك قائم ، إنّما أصلها : لَأَنَّك قائم ،
ولكنهم أبدلوا الهمزة هاء كما أبدلت هاء في نحو هَيَاك ، وهرقت الماء ، فلما زال لفظ الهمزة ،
وحلت مكانها الهاء صار ذلك مُسهلاً للجميع بينهما إذا حلت الهاء محل الهمزة فزال لفظ إنّ ،

^١ سر صناعة الاعراب/١/١٤٠

^٢ ص/٥٧

^٣ الخصائص/١/٣٤٠

^٤ أساليب القسم في اللغة العربية/١٥٦

فصارت كأنها حرف آخر ، قرأت علي أبي بكر محمد بن الحسن أو قرئ عليه وأنا حاضر عن أحمد بن يحيى وحدثنا به عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، محمد بن سلمة : (من الطويل)
أَلَا يَأْسِنَا بَرَقَ عَلِي قُلِّ الْحِمَى
لَهْنَكُ مِنْ بَرَقِ عَلِي كَرِيمُ
فهذا أقوى دليل على أن مرتبة اللام قبل إن ، وبه رأيت شيخنا أبا علي يستدل))^١.

استدلال أبي علي في (لَهْنَكُ) بين قلب الهمزة هاء حتى يجوز أن تلتحق اللام قبل (إن) وبين الفصل في ((قولهم : إِنَّكَ لِرَجُلٍ صَدَقٍ . فوقعت على (إن) وصار هذا الإبدال إلى الهمزة من الفصل الموقع بينهما بالمبتدأ في المعنى ، أو بالظرف ، وذلك نحو: أَنْ عِنْدَكَ لَزِيدًا و...إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً...)^٢ وَإِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ ، فالإبدال هنا كالفصل . ألا ترى (إنما) لم تجتمع مع الحرف على الصورة التي تكون عليها في أكثر الكلام، فأما اللام فيشبهه أن تكون زائدة . ومما جاء في ذلك ما أنشده أبو زيد : (من الكامل)

وَأَمَّا لَهْنَكُ مِنْ تَذَكَّرِ أَهْلَهَا
لَعَلِّي شَفَا يَأْسُ ، وَإِنْ لَمْ تَيَأْسِ))^٣ .
وفي ضوء هذا أن العرب تقلب همزة (إن) هاء وتجعلها كلمة لليمين (لَهْنَكُ) أشار إلى ذلك سيبويه بقوله : ((هذه كلمة تكلم بها العرب في حال اليمين ، وليس كل العرب تتكلم بها ، تقول : لَهْنَكُ لِرَجُلٍ صَدَقٍ ، فهي (إن) ولكنهم أبدلوا الهاء مكان الألف كقوله : (هَرَقْتُ) ولحقت هذه اللام (إن) كما لحقت ما حين قلت : إِنَّ زَيْدًا لَمَّا لَيَنْطَلِقَنَّ ، فلحقت (إن) اللام في اليمين كما لحقت ما ، فاللام الأولى في لَهْنَكُ لام اليمين ، والثانية لام (إن)))^٤ .

أما الفراء فقد ذهب إلى (لَهْنَكُ) أنها من كلمتين في قولهم : والله إِنَّكَ لِعَاقِلٌ ، فنحننا على كلمة واحدة فأخذت اللام والهاء من الله ، والنون من (إن) المشددة فأصبحت (لَهْنَكُ)^٥ .
ومهما يكن من الأمر فإن اللام المتقدمة ليست هي اللام المزحلقة التي تزحلق إلى خبر إن في قولهم : (إِنَّكَ لِرَجُلٍ صَدَقٍ) وإنما هي لام قدمت على (إن) ويمكن قلبها إلى (هاء) كما في أَرَقْتُ وهَرَقْتُ وإضافة لها لام حتى تكون لليمين في (لَهْنَكُ) .

اللام الفارقة

قال ابن جني . ((قراءة علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود - واختلف عنه - وأبي بن كعب وأبي اسحاق السبعي ((ت ١٣٢هـ)) (وإن كادَ بالبدال - مكرهم لتزول .))^٦ بفتح اللام الأولى ، وضم الثانية . قال أبو الفتح: هذه (إن) مخففة من الثقيلة ، واللام في قوله: (لتزول) هي التي تدخل بعد (إن) هذه المخففة من الثقيلة ، فصلاً بينها وبين (إن) التي

١ . سر صناعة الأعراب ١/٣٧١-٣٧٢

٢ . النحل/١١

٣ . المسائل العسكرية/١٦٢

٤ . الكتاب/١٥٠/٣

٥ . ينظر السيرافي حاشية الكتاب/١٥٠/٣

٦ . ابراهيم/٤٦ ((وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال)) وينظر معاني القرآن للفراء ٢/٧٩

للنفي في قوله تعالى : ((إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ))^١ أي : ما الكافرون إلا في غرور ، فكأنه قال : وإنه كاد مكرهم تزول منه الجبال . ودخلت يوماً على أبي عليّ بعيد عوده من شيراز سنة تسعة وستين ، فقال لي : ألا أحدثك ؟ فقلت له : قل : قال : دخل إليّ هذا الأندلسي فظننته قد تعلّم ، فإذا هو يظن أن اللام التي تصحب إن المخففة من الثقيلة هي لام الابتداء قلت لا تعجب ، فأكثر من ترى هكذا))^٢ .

وذكر أبو علي هذه القراءة ، أي : قراءة الفتح والاختلاف فيها بقوله : ((اختلفوا في كسر اللام الأولى وفتح الثانية من قوله : ((لَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالِ ،)) فقراً الكسائي وحده : ((لَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالِ)) بفتح اللام الأولى من (نزول) وضم الثانية . وقرأ الباقون (لنزول) بكسر اللام الأولى وفتح الثانية . من قرأ : ((وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَنْزُولٍ مِنْهُ)) فإن (إن) على قوله : بمعنى (ما) التقدير : ما كان مكرهم لنزول ، وإن مثل التي في قوله ((إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ)) وهذا مثل قوله : ((مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ))^٣ والمعنى : وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أي : جزاء مكرهم ، فحذف المضاف ... ومن قرأ : ((وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَنْزُولٍ مِنْهُ)) كانت (إن) المخففة من الثقيلة على تعظيم أمر مكرهم ، على خلاف القراءة الأخرى ، وهو في تعظيم مكرهم))^٤ .

أما سيبويه فقد عدّ هذه اللام هي اللام التي تفرق (إن) المخففة عن (إن) النافية ، ولذلك جعلت ملازمة للمخففة ، ولم تحذف ؛ لأنها كانت ملازمة لـ (إن) الثقيلة للتوكيد ، والحرف مثل الفعل ، فإن حذف منه شيء لم يغيّر عمله نحو (لم يك) وقد ذكر أيضاً أنّ أكثرهم قد عدّوها في حروف الابتداء ، نحو (إن زيداً لذهب) وهي بمنزلة لكن عندما خففت . فقال : ((وأعلم أنّهم يقولون : إن زيداً لذهب ، وإن عمرو لخير منك ، لما خففتها جعلها بمنزلة لكن حين خففتها ، وألزمها اللام لئلا تلتبس بـ (إن) التي هي بمنزلة ما التي تنفي بها ... وذلك لأنّ الحرف بمنزلة الفعل ، فلما حذف من نفسه شيء لم يغيّر عمله كما لم يغيّر عمل (لم يك) و(لم أبل) حين حذف . وأما أكثرهم فأدخلوها في حروف الابتداء حين حذفوا كما أدخلوها في حروف الابتداء حين ضموا إليها ما))^٥ .

يفهم من هذا أن أبا علي لم يتفق وسيبويه في جعلها من حروف الابتداء وبذلك استخف من الأندلسي عندما عدّ ذلك ؛ لأنّ سيبويه قال : أكثرهم أدخلوها في حروف الابتداء ، دلالة على أن أكثر العرب استخدموها وأكثر النحاة واللغويين ممن سبقوه عدّوها حرف ابتداء ، وهذا يتناقض وما أورده أبو علي في حديثه مع ابن جنّي الذي أيده بذلك . فمن وجهة نظر سيبويه يكون على رأي أبي علي بعض التحفظ .

١ . الملك / ٢٠
٢ . المحتسب / ٣٦٥-٣٦٦
٣ . ال عمران / ١٧٩
٤ . الحجة للقراء السبعة / ١٧٣-١٨
٥ . الكتاب / ١٣٩/٢-١٤٠

تخريج تركيب الهاء الساكنة الملحقة بـ (إنّ)

قال ابن جني ((ماأنشده أبو زيد في نوادره وقرأته علي أبي علي يرفعه بإسناده : (من الرجز)
هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بَيِّدًا إِنَّه دَارُ لَيْلِي قَدْ تَعَفَّتْ إِنَّه
... إنّ البيت يحتمل ثلاثة أوجه أجاز أبو علي جميعها . فأحدها : أن يكون أراد : ببيدا، ثم ألحق
(إن) الخفيفة وهي تلحق للإنكار في نحو ما حكاه سيبويه من قول بعضهم وقيل له ((أخرج
إلى البادية إن اخصبت ؟ فقال : أنا إنيه!، منكرًا لأن يكون رأيه علي خلاف الخروج كما تقول :
أملتلي يقال هذا ؟ أي : أنا أول خارج إليها ، فكذلك هذا الشاعر أراد: أملتلي يُعَرَّفُ ما لا ينكرة، ثم إنّه
شدد النون في الوقف ، ثم أطلقها وبقي التثقيل بحاله فيها على حد سببها، ثم ألحق الهاء لبيان
الحركة نحو (كِتَابِيَه) ^١ (حَسَابِيَه) ^٢ (واقته) ^٣ والوجه الآخر : أن يكون أراد (إنّ) التي بمعنى نعم في
نحو قوله :

..... فقلت : إنّه.

أي : نعم وأجل . والوجه الثالث: أن يكون أراد (إنّ) التي تنصب الاسم وترفع الخبر ، وتكون الهاء
في موضع نصب ؛ لأنها اسم إنّ ويكون الخبر محذوفًا ، كأنه قال: إنّ الأمر كذلك)) ^٤ .
قال ابن جني ايضاً : ((قال أبو علي : ولا يجوز أن تكون الهمزة في بيدي إنّه هي همزتها ؛
لأنه إذا جرّ الاسم غير المنصرف ، ولم يكن مضافاً ولا فيه لام المعرفة وجب ضرورة ، صرفه
وتنوينه ، ولا تنون هنا ؛ لأنّ التنوين لا يثقل ، إنما يفعل ذلك بحرف الإعراب دون غيره وأجاز
أيضاً في قوله :

..... قد تَعَفَّتْ إِنَّه)) ^٥ .

يفهم من كلام أبي علي أنّ الوجه الأول هو حذف همزة (بيدا) ثم إلحاق (إنّ) الخفيفة والوجه
الثاني أراد بمعنى نعم أما الوجه الثالث فهي (إنّ) العاملة التي تنصب الاسم وترفع الخبر وهو
الأصوب ، في حين أنّ أبا زيد الأنصاري قد ذهب إلى أنّ هناك وصلاً بين (بيدا) و(إنّ) لكن أراد
(إنّه) فخفف الهمزة ثم ذهب الألف التي مكان الهمزة لألتقاء الساكنين)) ^٦ وأصبح هناك وصل
بهمزة الوصل (بيدا إنّه).

المضارع بعد (أنّ) المخففة

قال ابن جني : ((وسألت أبا علي عن قول الشاعر : (من البسيط)
أَنْ تَقْرَأَنْ عَلِيَّ أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا
مَنْي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُعَلِّمَا أَحَدًا

١ . من الآية ٩١ / الحاقة

٢ . من الآية ٢٠ / الحاقة

٣ . من الآية ٩٠ / الانعام

٤ . سر صناعة الأعراب / ٢ / ٥١٤-٥١٧ وينظر المسائل البغداديات / ٤٢٥-٤٣٤

٥ . سر صناعة الأعراب / ٢ / ٥١٨

٦ . النوادر في اللغة / ٥٩

فقلت له : لم رفع تقرأن ؟ فقال : أراد (أنّ) الثقيلة ، أي : إنكما تقرأن ، هذا مذهب أصحابنا))^١ .
وقال أيضاً : ((فقال: وأولها الفعل بلا فصل للضرورة ، فهذا أيضاً من الشاذ عن القياس و
الاستعمال جميعاً ، إلا أنّ الاستعمال إذا ورد بشيء أخذ به وترك القياس ؛ لأنّ السماع يبطل
القياس))^٢ .

وقال أيضاً ((كأنه قال : أنكما تقرأن ألا أنه خفف من غير تعويض))^٣ .
يتضح من كلام أبي علي أنّ (أنّ تقرأن) هي (أنّ) الثقيلة تقديره (أنكما تقرأن) ، لأنّه حذف
اسمها وجاء بالفعل بعدها مباشرة وهذه ضرورة شعرية ، ويعدّ هذا من الشاذ عن القياس
والاستعمال ؛ لأنّه جاء بـ(أنّ) مخففة من دون عوض بينهما وبين الفصل .
قال ابن عصفور ، ((مباشرة الفعل المضارع لـ(أنّ) المخففة من الثقيلة وحذف الفصل نحو
قول الشاعر ، ...

أنّ تقرأن ((.....))^٤ .

مقابل هذا أنّ الفراء يعد رفع الفعل بعد (أنّ) من دون (لا) صواباً ، بقوله : ((ولو رُفِعَ الفعل
في(أنّ) بغير (لا) لكان صواباً ؛ كقولك حسبت أن تقول ذاك ؛ لأنّ الهاء تحسن في (أنّ) فتقول
حسبت أنه يقول ذاك ؛ وأنشدني القاسم بن معن : (من مجزوء الكامل)

أن تهبطين بلاد قـو م يرتعون من الطـلاح

فرفع (أنّ تهبطين) ولم يقل : (أنّ تهبطي)))^٥ .

الظاهر أنّ الفراء يعد (أنّ) هذه الخفيفة من الثقيلة : لأنّه قدر الهاء فيها أي قدر اسمها ،
والجملة التي بعدها خبرها وليست هي الناصبة للفعل .

٦ - الكاف من (كأنّ)

كان ابن جني يتحدث عن كاف (كأيّ) ، وكيف أنّها فارقت معنى التشبيه ومتعلقها ، ثم تعرض
لقول أبي علي عن الكاف بـ(كأنّ) فذكر : ((ولأبي علي - رحمه الله - فيه مسألة حسنة في جملة
البغداديات قد أحكمها مع قولهم : له كذا وكذا درهماً ، وقولهم : كأنّ زيداً عمرو))^٦ .

تركيب الكاف وأنّ يفقد الكاف عملها ويفقدها ما يكون عليه حرف الجر عدا المعنى ، وأنّ الكاف
في (كأنّ) عند أبي علي دالة على التشبيه ؛ ولكن لا موضع لها مع ما بعدها فلا يعطف عليها ؛ لأنّ
معنى الابتداء قد زال من الكلام فلا يجوز العطف على الموضع ، وهذا واضح بقوله : ((فأما الكاف
في (كأنّ) فأمرها في أنه لا موضع لها مع ما بعدها بيّن ؛ لأنّها جعلت مع الحروف في باب (ليت)

١ . سر صناعة الإعراب / ٥٤٩/٢

٢ . المنصف / ٢٧٨-٢٧٩

٣ . الخصائص / ٣٩٠/١

٤ . ضرائر الشعر / ١٦٣

٥ . معاني القرآن / ١٣٥-١٣٦

٦ . التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ٦٣٣

و(لعل) فلا موضع لها مع ما بعدها كما أنه ليس لقولك مُبتدئا : ليت زيدا منطلق ، موضع ، إلا أن تبنية على شيء ، وليس على ذلك كلامنا إلا أن للكاف في (كأن) - وإن كانت قد اجتمعت مع التي في (كأين) ، و(له كذا وكذا درهما) ، في أنه لا موضع لها في مع بعدها على الحد الذي ذكرته ، نحواً ليس فيها ، وذلك أن معنى التشبيه ثابت في الكلام كما أنه في قولك : زيد كعمرو ثابت ، ألا ترى : أنك إذا قلت : كأن زيدا عمرو ، فالمعنى زيد كعمرو ، فأنت مشبهة بها هنا ، وليست في الموضوعين الآخرين كذلك ، ولذلك زال معنى الابتداء من الكلام ولم يَجْزِ العطف على الموضوع كما جاز في (إن) و(لكن) ((١) .

يتضح من كلام أبي علي أن الكاف في (كأن) ككاف التشبيه في قولنا : زيد كعمرو فدلالة التشبيه واردة في كليهما ، ولكنها تختلف عن الكاف في (كأين) و (كذا) ؛ لأن معنى التشبيه غير وارد فيهما ؛ لدالتهما على الكناية عن العدد والسؤال عنه كما هو الحال في كم . والذي ذهب إليه أبو علي مذهب سيبويه والخليل .

فأشار سيبويه إلى كاف (كأن) من قبل وعلها للتشبيه وأما (كأين وكذا) فهي للعدد في ضوء رأي الخليل ، وكافها تنصب ما بعدها تمييزاً ، أما كاف (كأن) فهي (أن) أصبحت بمنزلة واحدة تنصب الاسم وترفع الخبر . وهذا ظاهر قوله . ((كذا وكأين عملتا فيما بعدهما كعمل أفضلهم في رجل حين قلت أفضلهم رجلاً فصار (أي وذا) بمنزلة التنوين ، كما كان (هم) بمنزلة التنوين . وقال الخليل - رحمه الله - كأنهم قالوا : له كالعدد درهماً ، وكالعدد من قرية ، فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به . وإنما تجيء الكاف للتشبيه ، فتصيرُ وما بعدها بمنزلة شيء واحد . من ذلك قولك : كأن ، أدخلت الكاف على (أن) للتشبيه)) (٢) .

وتأتي (كأن) غير دالة على التشبيه عندما تنفصل من (وي) وتكون وحدها في قوله تعالى ((وَيَكْفُرُوا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)) (٣) وأحياناً تكون غير دالة أيضاً في كلمة (كأنني) هذا ما رواه ابن جني عن أبي علي بقوله : ((ومما جاءت فيه (كأن) عارية من معنى التشبيه ما أنشدناه أبو علي : (من البسيط)

كَأَنَّنِي حِينَ أَمْسِي لَا تَكَلَّمْنِي
مُتِمِّمٌ يَشْتَهِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
أي : أنا حين أمسي لا تكلمني (متيم من حالي كذا وكذا) (٤) .

إن الذي ذهب إليه ابن جني عن أبي علي في تركيب (ويكأنه) من (وي) و(كأن) قال به الخليل وسيبويه . قال سيبويه : ((وسألت الخليل - رحمه الله تعالى - عن قوله تعالى : ((وَيَكْفُرُوا لَا يُفْلِحُ)) وعن قوله تعالى جده : ((وَيَكْفُرُوا اللَّهُ)) ° فزعم أنها (وي) مفصولة من كأن ، والمعنى وقع على أن

١ . المسائل البغداديات/٤٠٣-٤٠٤

٢ . الكتاب/١٧١/٢

٣ . القصص/٨٢

٤ . المحتسب/١٥٥/٢

٥ . القصص/٨٢

القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نبهوا فقبل لهم : أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا . والله تعالى أعلم))^١ .

ويتضح من كلام الخليل في الرأي الأول أن (كأن) لا تفيد التشبيه في (ويكأنه) ؛ لأن القوم لما تنبهوا تكلموا كلمة تفيد العلم من الأمر ، على الرغم من أنها في الرأي الثاني ربما تدل على التشبيه والله اعلم ؛ وهذا الرأي في (ويكأنه) هو الأصوب ، أما ابن جني فقد ذهب إلى ما ذهب إليه الخليل وسيبويه وما علمه من أبي علي في تركيب ويكأنه من (وي) و (كأن) التي تفيد إخباراً عارياً عن التشبيه فقال ((والوجه فيه عندنا قول الخليل وسيبويه ، وهو أن (وي) على قياس مذهبهما اسم سمي به الفعل في الخبر ، فكأنه اسم أعجب ، ثم ابتداءً فقال : ((كأنه لا يفتح الكافرون)) ، و ((وي كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده)). فـ(كأن) هنا إخبارٌ عارٍ من معنى التشبيه ؛ ومعناه : أن الله يبسط الرزق لمن يشاء. و(وي) منفصلة من (كأن) وعليه بيت الكتاب : (من الخفيف)
وَيَ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحَدِّثُ
بَبٍ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشَ عَيْشَ ضُرٍّ^٢

لا النافية للجنس

ثبات نون المثني في اسمها

قال ابن جني : ((وأما قولهم لا رجلين عندي ولا امرأتين فيها ، فإن أبا علي ذهب إلى أن النون إنما ثبتت ههنا وإن كان الاسم مبنيًا عنده ، وهو مذهب سيبويه ، من قبل أن النون زيادة لحقت بحرف الإعراب كما تلحق لآلف الواحد في الشعر نحو: لا رجلاً ، وكما لحقت النون في نحو : ضربت اللذين في الدار ، وإن لم يكن الواحد معرباً ولا منوناً ، وهذا يدفع ما ذهب إليه أبو العباس وغيره من أن المبني مع لا إذا ثني أخرجته التثنية من البناء ، فاعرفه))^٣ .

ما ذكره ابن جني عما ذهب إليه أبو علي هو رأي الخليل وسيبويه في إثبات النون ولا سيما إثباتها الذي هو رأي الخليل ؛ لأن الاسم في المثني هو اسم واحد والاسم الواحد لا تحذف منه النون . قال سيبويه : ((والدليل على ذلك أن العرب تقول : لا غلامين عندك ، ولا غلامين فيها ، ولا أب فيها ؛ وأثبتوا النون ؛ لأن النون لا تحذف من الاسم الذي يجعل وما قبله أو وما بعده بمنزلة اسم واحد ، ألا تراهم قالوا : الذين في الدار ، فجعلوا الذين وما بعده من الكلام بمنزلة اسمين جعلوا اسماً واحداً ، ولم يحذفوا النون لأنها لا تجيء على حد التنوين ، ألا تراها تدخل في الألف واللام وما لا ينصرف))^٤ .

١ . الكتاب/٢/١٥٤

٢ . المحتسب/٢/١٥٥ وينظر الكتاب/٢/١٥٥

٣ . سر صناعة الإعراب/٢/٤٨٢-٤٨٣

٤ . الكتاب/٢/٢٨٣

أما المبرد فقد خالف سيبويه بما ذهب إليه وحجته ((لأنَّ الأسماء المثناة والمجموعة بالواو ، والنون لا تكون مع ما قبلها اسماً واحداً . لم يوجد ذلك ، كما لم يوجد المضاف ولا الموصول مع ما قبله بمنزلة اسم واحد))^١. (وهذا إشارة الى عدم النظر وإذا قام الدليل فلا عبرة بعدم النظر))^٢.

في حين أن ابن السراج ذهب إلى ما ذهب الخليل وسيبويه في إثبات النون وحجته إثباتها في المبنيات نحو : هذين واللذين . فقال : ((فإن ثنيت المنفي (بلا) قلت : لا غلامين لك ولا جاريتين ، لا بدّ من إثبات النون في التثنية والجمع الذي هو بالواو والنون ، قد تثبت في المواضع التي لا يثبت فيها التنوين ، بل قد يثني بعض المبنيات بالالف والنون ، والياء والنون . نحو : هذا والذي . تقول هذان ، واللذان))^٣. وهذا رأي سيبويه بعينه .

في ضوء هذا يبدو أن الذي قاله أبو علي عن إثبات النون في اسم (لا) إذا كان مثني هو الأصوب . لأنه اعتمد على قول سيبويه وشيخه أبي بكر بن السراج . وما ذهب إليه هو الصواب ؛ لأنّ الاسمين إذا ثنيا جعلاً اسماً واحداً ، بل أن لا واسمها كأنهما اسم واحد مرفوع بالابتداء أو في موضع اسم مبتدأ .

قال الخليل رحمه الله : ((يدلك على أن (لا رجل) في موضع اسم مبتدأ مرفوع ، قولك : (لا رجل أفضل منك) كأنك قلت : زيد أفضل منك . ومثل ذلك : بحسبك قول السوء ، كأنك قلت : حَسْبُكَ قَوْلُ السَّوِّءِ))^٤.

مسألة (لا أcha - فاعلم - لك)

قال ابن جني : ((ومن ذلك مسألة : (لا أcha فاعلم - لك) ... أجاز أبو علي - رحمه الله - أن يكون (لك) خبراً ، ويكون (أcha) اسماً مقصوراً تاماً غير مضاف كقولك : لا عصا لك))^٥. يبدو أن أبا علي يريد أن يقول : إنَّ (أcha) اسم لا مبني غير مضاف وهو اسم مقصور ، وليس معرباً وألحقت فيه الألف كما زعم الخليل فهو مبني بدليل قول العرب : لأبا لك ، كما ذهب سيبويه بقوله : ((هذا باب المنفي المضاف بلام الإضافة : اعلم أنّ التنوين يقع من المنفي في هذا الموضع إذا قلت : لا غلام لك ، كما يقع من المضاف إلى اسم ، وذلك إذا قلت لامثل زيد . والدليل على ذلك قول العرب لأبا لك ، ولا غلامي لك ، ولا مسلمي لك ، وزعم الخليل - رحمه الله - أنّ النون إنما ذهبت للإضافة ولذلك ألحقت الألف التي لا تكون إلا في الإضافة))^٦.

١ . المقتضب / ٣٦٦/٤

٢ . شرح المفصل لابن يعيش / ١٠٦/٢

٣ . الأصول في النحو / ٣٨٣/١

٤ . الكتاب / ٢٩٣/٢

٥ . الخصائص / ٣٣٨/١

٦ . الكتاب / ٢٧٦/٢

وأكد هذا المعنى أبو بكر بن السراج عندما وضحَّ زعم الخليل بقوله: ((قال الخليل إنَّ النون إنما ذهبت للإضافة ولذلك لحقت الألف الأب التي لا تكون إلا في الإضافة وإنما كان ذلك من قبل إنَّ العرب قد تقول : لا أباك ، في موضع : لا أباك لك ، ولو أردت الأفراد لقلت : لا أبَ لزيد . فاللام مقحمة ليؤكد بها الإضافة))^١.

أما الأعلم الشنتمري فقد فسّر كلام سيبويه بأنَّ الاسم بعد لا مبني واللام مع (لك) في موضع نعت أو خبر أو أن يكون الاسم مضافاً ، و (لا) غير مبنية معه واللام زائدة ، فقال : ((اعلم أنه إذا كان بعد الاسم المنفي لام الإضافة ففي الاسم الأول وجهان ، أحدهما أن يبني الاسم الأول مع (لا) وتكون اللام في موضع النعت للاسم أو في موضع الخبر ، وهذا هو الأصل والقياس كقولك : لا غلام لك ولا أبَ لزيد ، والوجه الآخر أن يكون لفظ الاسم الأول كلفظ الاسم المضاف و (لا) عاملةً فيه غير مبنية معه كقولك : لا أباً لزيد ولا أخاك - فَعَلِمَ بثبات الألف في (أبا) و(أخا) أنهما مضافان إذ كانت لا تثبت إلا في الإضافة وزيادة اللام شاذة))^٢.

يفهم مما قيل أنَّ أباً علي يذهب مذهب سيبويه في جعل (أخا) كلفظ الاسم المضاف وثبات الألف فيه دليل على أنه مضاف كما في الحالة الثانية ولكن عند الفصل والاعتراض بين (أخا) و(لك) بـ(أعلم) جوِّز أن يكون الاسم (أخا) مقصوراً غير مضاف وبذلك يكون مبنياً مع (لا) و(لك) في موضع الخبر ، كما في الحالة الأولى .

ظنَّ وأخواتها

فتح همزة (أنَّ) بعد لفظ القول

قال ابن جني: ((روي لنا أبو علي بيت الحطيأة : (من الطويل) :
إذا قلتُ أنِّي آيبٌ أهلٌ بلدةٍ
حططتُ بها عنهُ الوليئةُ بالهَجْرِ
بفتح الهمزة من أني ، قال : ومعناه إذا قدرْتُ وظننتُ أني آيبٌ))^٣.
تكسر همزة (إنَّ) بعد القول ولكن عندما يكون بمعنى الظنِّ تفتح همزتها ، بدليل إذا أردت الحكاية فتكسر الهمزة بعد القول نحو ، قلت إنه منطلق ، وإذا لم ترد الحكاية ، تفتح الهمزة نحو : قلت أنه منطلق وفي هذه الحالة يدل القول على الظنِّ .

قال سيبويه : ((وسألتُ يونس عن قوله متى تقولُ أنه منطلقٌ ؟ فقال : إذا لم ترد الحكاية وجعلت تقول مثل تظنُّ ، قلت : متى تقولُ أنك ذاهب . وإن أردت الحكاية قلت : متى تقول إنك ذاهبٌ كما أنه يجوزُ لك أن تحكى فتقول : متى تقولُ زيدٌ منطلقٌ ، وتقول : قال عمرو إنه منطلق فإن جعلت

١ . الاصول في النحو / ٣٨٩/١

٢ . النكت في تفسير كتاب سيبويه / ١/٥٩٧-٥٩٨

٣ . التنبيه على شرح مشكلات الحماسة / ١٦٥

الهاء عمراً أو غيره فلا تعمل قال ، كما لا تعمل إذا قلت : قال عمرو وهو منطلق . فقال لم تعمل ها هنا شيئاً وإن كانت الهاء هي القائل ، كما لا تعمل شيئاً إذا قلت وأظهرت هو . فقال لا تغيّر الكلام عن حاله قبل أن تكون فيه قال))^١ .

أما معنى الحكاية فقد وضحاها السيرافي بقوله : ((حق الحكاية أن تقول : قال عمرو أني منطلق . وكذلك إذا قلت : قال عمرو هو منطلق ، فحق الحكاية أن يقول : قال عمرو أنا منطلق ؛ لأنّ هذا لفظه الذي لفظ به ، ولكنهم قد يغيرون لفظ الغيبة إلى الخطاب ، ولفظ الخطاب إلى الغيبة ؛ لأنّ ذلك أقرب إلى الأفهام ولا يعد ذلك تغييراً ؛ لأنّ الذي يقول : إن زيدا منطلق لو واجهه لقال أنك منطلق ، ولم يكن ذلك مغيراً للكلام عن مناجه))^٢ .

فالحكاية هي التي تجعل من القول بمعنى الظنّ وتحول الكلام بعده إلى مفرد أي (أن) ومعمولها بمثابة مصدر مؤول يمكن أن يصرح به ، أمّا إذا لم يرد الحكاية فيكون القول بمعنى قال فتكسر الهمزة ويكون ما بعده جملة ، قال سيبويه : ((وتقول : أول ما أقول أني أحمد الله ، كأنك قلت .. أول ما أقول الحمد لله ، وأن في موضعه . وإن أردت الحكاية قلت : أول ما أقول إني أحمد الله))^٣ .

التخريج على التعليق

الفعل (ذكر) معلق

قال ابن جني: ((وفيها : (من الكامل)

وذكرت أي فتى يسد مكانه بالرّفد حين تقاصر الأرفاد

(ذكرت) في كلام العرب على ضربين : أحدهما هاجس النفس ، والآخر جريان اللسان . فالأول كقولك : ذكرته بعد نسيان ، والثاني قولهم : ما اسمك أذكره ، وكل واحد من هذين القسمين يصلح لـ (ذكرت) هذه اللفظة من هذا البيت . فإن جعلتها من هاجس النفس فالجملة التي بعدها وهي قوله: (أي فتى يسد مكانه) في موضع نصب بها ، وهي معلقة في اللفظ عنها ، وجاز أن يعلق هذا الفعل لما دخله من معنى الفكر والتأمل ، كما جاز تعليق عرفت في قولهم : (قد عرفت أبو من أنت مكنيّ به) ، لما دخلها من معنى العلم ، وكما جاز عند يونس تعليق نزع من قول الله سبحانه : ((ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً))^٤ لما كان معنى نزع هنا ليس المراد به النزع باليد كاستخراجك المسمار من الساجة والوتد من الحائط ، وإنما معنى نزع هنا

١ . الكتاب ١٤٢/٣-١٤٣

٢ . حاشية الكتاب طبعة بولاق ٤٧١/١ وهارون/٣-١٤٣

٣ . الكتاب ١٤٣/٣

٤ . مريم/٦٩

معنى التمييز بالفكر والاستخلاص بالنفس ، هكذا مذهب كلام العرب وإن كان الله سبحانه لا رويّة له ولا تردّد في معلوم عنده ، ألا ترى أنّ الرحمة في العباد لين و رقّة ومن الباري سبحانه انتياش و اقاله؟ فاللفظ واحد والمعنيان كما ترى اثنان ، فهذا جاز عندنا أن يذهب يونس إلى تعليق قوله (لَنَنْزِعَنَّ) ولو كان من النزاع الظاهر المقدم ذكره لما جاز تعليقه . وهذا تلخيص أبي علي وأما بسط ما قبضه وفصلت ما أجمله ، وإن جعلت (ذكرت) من جريان اللسان))^١ .

إنّ التعلق هو : ترك العمل لفظاً دون المعنى لمانع ، نحو (ظننت لزيد قائمٌ) فقولك (لزيد قائم) لم تعمل به (ظنّ) لفظاً لكن الجملة في محل نصب ، لأنك لو عطف عليها لنصبت ، نحو : (ظننت لزيد قائمٌ وعمراً منطلقاً) و (ظنّ) عاملة في الجملة معنى دون اللفظ .^٢

والتعليق لا يتم في أفعال القلوب فقط وإنما يتم في الأفعال التي تحمل معنى علم نحو : شككتُ ، ونسيت ، وترددت ، نحو شككت أزيدٌ عندك أم عمرو ، والأفعال التي تدل على العلم ، نحو : (تبين و اتضح) (تبين أصادق أنت أم كاذب) ، والأفعال التي يطلب بها العلم نحو فكرت و امتحنت و بلوت . (فكرت أتقيم أم تسافر) ، وأفعال الحواس الخمس ، نحو : شممت - وذقت - ولمست - وأبصرت - واستمعت .^٣

فالعمل (ذكرت) من الأفعال التي تدل على طلب العلم فتعليقه عند أبي علي جازر فالببيت الشعري (ذكرتُ أيّ فتى) ، وجملة (أيّ فتى يسد مكانه) جملة اسمية في محل نصب للفعل (ذكرت) ؛ لأنّه فعل دال على التفكير والتأمل فجاز تعليقه ، فضلاً عن هذا أنّ أبا علي كان يميل إلى رأي يونس في تعليق الفعل (نزع) في قوله تعالى ((ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ...)) ؛ لأنّ الفعل فيه معنى التمييز والتفكير ، هذا ما أشار إليه ابن جني ملخصاً من رأي أبي علي .

وفي ضوء هذا لا بدّ أن أذكر آراء النحاة في قوله تعالى : ((ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ...)) حتى يتضح رأي يونس قياساً لرأي غيره ، ضمن المناقشة العلمية لتلك الآراء والأقوال .

إنّ للنحاة أقوالاً في ((لَنَنْزِعَنَّ ... أَيُّهُمْ أَشَدُّ ...)) أحدها : قول الخليل (أَيُّهُمْ أَشَدُّ) مبتدأ وخبر ، ولم يعمل (لنزعن) ؛ لأنّه محكي والتقدير : (الذي يقال فيه أَيُّهُمْ أَشَدُّ على الرحمن عتياً) فعلى رأيه (أيّ) أستفهامية . ثانيها : قول يونس : أنه رفع على جهة التعليق للعل (لنزعن) كما لو قلت : (علمتُ أنه أخوك) فعلق الفعل عن الفعل كما تعلق أفعال القلوب ، وثالثها : قول سيبويه : إن (أيّ) موصولة مبنية على الضم في محل نصب لحذف صدر صلتها . وأصل الكلام (أَيُّهُمْ هُوَ أَشَدُّ) فلما حذف صدر الصلة بنيت على الضم تشبيهاً لها بالغايات التي قد حذف مضافاتها مثل (قبلٌ وبعده) ورابعها : قول الفراء : إن الفعل (لنزعن) معلق ، وأيّ شرطية .^٤

^١ . التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/٢٢٢-٢٢٣

^٢ . ينظر شرح ابن عقيل /٢/٤٤-٤٥

^٣ . ينظر منحه الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل على هامش ابن عقيل/٢/٤٥

^٤ . ينظر الكتاب /٢/٤٠٠، والأناصاف /١/٧١١-٧١٦- وأسرار العربية /٣٨٣- وأملاء ما من به الرحمن/٢/١١٥-١١٦ وبداع الفوائد /١/١٥٧

وفي هدى هذه الأقوال نرى سيبويه لم يتفق مع الخليل ويونس فيما ذهباً إليه ويردّ عليهم بقوله : ((وتفسير الخليل - رحمه الله - ذلك الأول بعيداً إنّما يجوز في شعر أو في اضطرار . ولو ساغ هذا في الاسماء لجاز أن تقول : (اضرب الفاسق الخبيث) تريد (الذي يقال له الفاسق الخبيث) وأما قول يونس فلا يشبهه : (أشهد إنك لمنطلق)))^١ .

وفي ضوء هذا يتضح أنّ قول الخليل : إنه مرفوع على الحكاية مردود ؛ لأنّ الحكاية إنّما تكون بعد جري الكلام فتعود الحكاية إليه ، وهذا يصح ابتداءً من غير تقدير قول قائل . وأما قول يونس فضعيف ؛ لأنّ الفعل إذا كان مؤثراً لا يجوز إلغاؤه ، والتعليق فيه إشكال ظاهر وأنّه يكون في أفعال القلوب دون غيرها ، فضلاً عن أنّ (أيهم) لا يجوز أن تكون استفهاماً وقد علق الفعل عن العمل فيه ؛ لأنّه ليس من أفعال القلوب . وأما قول الفراء فأبعدها عن الصواب الذي يقدر فيه الفعل (ننزع) معلقاً عن العمل ؛ لأنّ الكلام معناه الشرط الذي لا يعمل فيما قبله والتقدير : لننزعهم تشيعوا أو لم يتشيعوا ، أو إن تشيعوا^٢ .

أما قول سيبويه فهو أصحّ الأقوال ؛ لأنهم بنوها عندما حذفوا المبتدأ ولو قالوا المبتدأ لأعربوها بالنصب نحو (ضربت أيهم هو في الدار)^٣ .

يبدو أنّ التعليق الذي ذهب إليه يونس في (لننزعن) وأيده أبو علي وابن جني ولا سيما في الفعل (ذكرت) عليه تحفظ قياساً لرأي الأغلبية ؛ لأنّ التعليق يقتصر على أفعال القلوب في نظر أغلب النحاة ، على الرغم من أنّ بعضهم يذهب إلى أنّه يشمل أفعالاً آخر ولا سيما التي فيها تفكير وتميز نحو الفعل (ذكرت) الذي عدّه أبو علي من التي يتم فيها التعليق لكنّ هذا الذي ذهب إليه فيه ضعف كما ذهب يونس قبله وكان في قوله ضعف أيضاً .

وضع الفعل موضع المصدر في محل الفاعل معني

قال ابن جني في فصل (الحمل على المعنى) : ((ومنه قول : (من الطويل)
فإن كان لا يرضيك حتى تردني
إلى قُطري لا إخالك راضياً
حملة الفراء على المعنى، وقال: لأنّ معناه: لا يرضيك إلا أن تردني . فجعل الفاعل متعلقاً على المعنى . وكان أبو علي يغلظ في هذا ويكبره ويتناكره ، ويقول : الفاعل لا يحذف . ثمّ إنه فيما بعد لأنّ له ، وخفض من جناح تناكره))^٤ .

يبدو أنّ الفراء ذهب إلى أنّ تقدير الكلام إلا أن تردني ، أي: لا يرضيك إلا ردّي ؛ لأنّ حتى بعدها الفعل في تقدير المصدر بإضمار أنّ الناصية المصدرية ، والمصدر المؤول من (أن والفعل) يمكن أن يصرح به ، وإعرابه فاعل متعلق على المعنى ، في (لا يرضيك إلا ردّي) ؛ لأنّ من معانيها (إلا أنّ) في الاستثناء .

١ . الكتاب / ١/٢ / ٤٠١

٢ . ينظر أسرار العربية / ٣٨٣ / وأملاء مامن الرحمن / ١١٥/٢ - ١١٦ / وبدائع الفوائد / ١٥٧/١

٣ . ينظر أسرار العربية / ٣٨٣

٤ . الخصائص / ٢/٤٣٣

قال ابن مالك ((حتى) المرادفة لـ (إلى) أو (كى) الجارة أو ((إِلَّا أَنْ))^١ نحو قول الشاعر :
(من الكامل)

ليسَ العطاءُ من الفضولِ سماحةً حتى تجودَ وما لَدَيْكَ قليلُ

أي ((إِلَّا أَنْ تجودَ))^٢ . ويمكن أن يصرح بالمصدر المؤول فيقال ((إِلَّا جودك)).

في ضوء قول الفراء يكون معنى البيت (لايرضيك إلا ردي إلى قطري بن الفجاء) وعند ذلك يكون محل اعراب (أَنْ) المقدرة والفعل (ترد) الرفع ؛ لأنه فاعل للفعل (يرضيك)، كأنه قال : (يرضيك ردي) . إلا أن أبا علي أنكر هذا وذهب إلى أنه لايحذف الفاعل ، وتشدد في أول الأمر ثم تساهل كما قال ابن جني .

أقول :إن ما ذهب إليه أبو علي أول الأمر يعد نوعاً من التمحل في الإعراب وعدم التسهيل بقواعده ؛لأنه يمكن التأويل في كثير من معاني اللغة لإيجاد التخريجات النحوية للمواقع الإعرابية لمفردات الجملة العربية ، وما ذهب إليه الفراء لابأس به ؛ لأنّ المعنى يعضده لعلاقته بالإعراب النحوي ومواقع المفردات في الجمل .

قال ابن جني: ((فإذا كان الكلام إنما يصلحه أو يفسده معناه ، وكان هذا معنى صحيحاً مستقيماً لم أرَ به بأساً وعلى أنّ المسامحة في الفاعل ليست بالمرضية ؛ لأنه أصعبُ حالةً من المبتدأ))^٣ .

تعدي الفعل ونزومه

قول الأعشى: (من الكامل)

هذا النَّهارُ بدا لها من همَّها ما بالها بالليل زال زوالها^٤

قال ابن جني . ((فقد اختلف العلماء في نصب (زوالها) . فأما أبو عمرو فإنه كان يرؤيه زال زوالها بالرفع ، ويقول: أفوى الأعشى . وأما أبو علي فأخبرني عن أبي بكر ، عن أبي العباس قال: معناه: زال الله زوالها . كما تقول : أزال الله زوالها ؛ فهذا قول البصريين والكوفيين))^٥ .

إنّ للمعنى أثراً في إعراب زوالها بالرفع أو النصب ، فضلاً عن أنّ الفعل زال جاء هنا بمعنى (أزال) ، لكنّ العرب أحياناً تسقط الهمزة ، هذا ما أشار إليه الخليل بقوله ((اختلفوا فيما يعنيه، فقال بعضهم: أراد به: أزال الله زوالها ،دعاء عليها وقال بعضهم: معناه: زال الخيال زوالها ، والعرب تلقي الألف، والمعنى : أزال ،كما قال ذو الرمة : (من الطويل)

وبيضاء لاتنحاشُ منّا وأمُّها إذا ما التقينا زيلَ منّا زويلها

ولم يقل :أزيل))^٦ .

١ . تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد/٢٣٠

٢ . ينظر شفاء العليل في ايضاح التسهيل /٢/٩٢٦-٩٢٧

٣ . الخصائص /٢/٤٣٣

٤ . ديوان الاعشى/٧٧

٥ . المنصف/٢/٢١

٦ . العين/٧/٣٨٤-٣٨٥

أما الأصمعي فقد غلط هذا الذي ذهب إليه العرب ، ذكر ذلك أبو حاتم عندما سأله قوله : ((سألته عن قول الأعشى : ... فقال : لا أدري ما وجهه ولم يقل شيئاً . وإنما سألته ؛ لأن بعض شيوخنا قال : زال الله زوالها وأزال سواء وهلكه الله وأهلكه سواء فأنكرهما ، وقال إنما غط))^١.

وقد أشار الأخفش من قبل إلى أن معنى قول الأعشى هو ((دعاء على الليل و معناه أزال الله الليل الذي نقاسي فيه منه ما نقاسيه مع صرمها لنا نهاراً كما زالت سمية و هكذا كما يقول: هلك فلان أي أهلكه الله))^٢.

في هذا يبين الأخفش أن الفعل جاء متعدياً فهو (زال) و لكن أراد أزال و حجته في ذلك قول بعضهم: ((زال بمعنى أزال، لأنها لغة قوم من العرب يقولون فيها: زلت الرجل عن مقامه بمعنى أزلته ... فكانه قال: ما بال الليل أزالها))^٣.

ومهما يكن من الأمر في المعنى الذي يؤول إليه كلام الأعشى أهو دعاء عليها أو لها أو دعاء على الليل بزواله أو دعاء على النهار أو من المقلوب وما أشبه ذلك من معان وتخرجات قال بها النحاة و اللغويون ؛ لكن يبقى الأهم في المسألة هو أن الفعل جاء متعدياً بالمعنى، وهو استخدام عربي فصيح للغة بعض العرب، فيقولون: زال و هم يريدون أزال، هذا ما أشار إليه الخليل و الأخفش.

في ضوء هذا يبدو أن أبا عمرو بن العلاء يروي بيت الأعشى بالرفع ؛ لأنه يذهب إلى أن الفعل لازم و اكتفى بفاعله (زوالها) ، في حين أن أبا علي قد ذهب إلى أن الفعل متعد ؛ لأنه روى تقدير المبرد و ارتضائه النصب، و هو الأصوب بدليل ما رواه الخليل عن أن العرب تستعمل (زال) اللزم وتريد معنى (أزال) المتعدي . أما الأخفش فقد وافق الخليل بما ذهب ، و حجته أيضاً لغة بعض العرب يقولون فيها : زلت الرجل عن مقامه بمعنى أزلته ، ويعد هذا دليلاً قوياً لصحة رواية النصب التي رواها أبو علي عن شيوخه ، خلافاً لما ذهب إليه أبو عمرو بن العلاء .

الفاعل والمفعول به

تقديم المفعول به على الفاعل

قال ابن جني: ((إن المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل حتى دعا ذلك أبا علي إلى أن قال : إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه كما أن تقدم الفاعل قسم أيضاً قائم برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً؛ نحو قول الله عز وجل: ((إنما يخشى الله من عباده العلماء))^٤.))^٥.

^١ . فعلت و افعلت/ ١٨٩

^٢ . التنبيه على حدوث التصحيف/ ٢٠٤

^٣ . المصدر نفسه/ ٢٠٥

^٤ - فاطر/ ٢٨.

^٥ - الخصائص/ ١/ ٢٩٥.

إنّ تقديم المفعول به على الفاعل أسلوب عربي جيد قد استعمله العرب وجاء في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ((الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ))^١ فالضمير (الكاف) المتصل في الفعل (الهاكم) هو المفعول به المقدم و(التكاثر) فاعل مؤخر ، وقد أشار سيبويه إلى هذا بقوله: ((فإنّ قدّمتَ المفعولَ وأخرتَ الفاعلَ جرى اللفظُ كما جرى في الأوّل ، وذلك قولك: ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدُ اللَّهِ؛ لأنّك إنّما أردتَ به مؤخراً ما أردتَ به مقدماً، ولم تُرد أن تشغَلَ الفعلَ بأوّل منه وإن كان مؤخراً في اللفظ . فمَن ثمَّ كان حدَّ اللفظ أن يكون فيه مقدماً ، وهو عربيٌّ جيّدٌ كثير ، كأنهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويَعْنِيانهم))^٢.

إن هذا التقديم يشترط فيه : إن أمن اللبس فإن لم يؤمن لم يجز إلا إذا زال ذلك اللبس . هذا ما ذهب إليه ابن الوراق بقوله: ((فأمّا إذا كانت الأسماء لا يتبيّن فيها الإعراب ، فالواجب أن يكون الفاعلُ المُقدّم والمفعولُ المؤخّر ، كقولك: ((ضربَ موسى عيسى))، فإن نعت أحدهما بما يتبيّن فيه الإعراب ، جاز التقديم والتأخير ، لزوال اللبس نحو: ضربَ عيسى الظريفَ موسى ، وكذلك إن كان أحد الأسمين لا يصح أن يكون إلا فاعلاً أو مفعولاً، جاز نحو: كسرتَ الحبلَى العصى ، فالكسر إنّما يقع على العصى دون المرأة ، فيجوزُ التقديمُ والتأخيرُ))^٣.

فالتقديم للمفعول واسع الاستعمال ، ولاسيما إن أمن اللبس بين الفاعل والمفعول عند فهم المعنى كما في قوله تعالى ((إنما يخشى الله من عباده العلماء)) فالعلماء هم الفاعلون لأنهم يخافون ربهم.

المفعول به

حذف المفعول به

قال ابن جنّي: ((وعلى ذكر حذف المفعول فما أعربَه وأعذبه في الكلام! ألا ترى إلى قوله: ((ووجد من دونهم امرأتين تزدوان)) أي تزدوان إبلهما . ولونطق بالمفعول لما كان في عذوبة حذفه ولا في علوه ، وأنشدنا أبو علي للحطيئة: (من الوافر)

منعمة تصون إليك منها كصونك من رداء شرعبي))^٥.

يبدو أن حذف المفعول به أسلوب من أساليب العربية استخدم في الشعر العربي والقرآن الكريم ، ولاسيما الشعر العربي ؛ لأنّ أبا علي وابن جنّي أكدا هذا من خلال تكرار قول الحطيئة السالف الذكر فضلاً عن النصوص القرآنية والأبيات الشعرية الأخرى التي ذكرها ابن جنّي واقرن بها ما

^١ - التكاثر/١.

^٢ - الكتاب/١/٣٤.

^٣ - علل النحو لابن الوراق/٢١٢.

^٤ - القصص/٢٣.

^٥ - المحتسب/١/٣٣٣.

أنشده له أبو علي قول الحطيئة نحو قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يَتُوفَّوْنَ مِنْكُمْ))^١ أي يتوفون أيامهم أو أعمارهم ، وقوله تعالى: ((يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا))^٢ أي يخصفان أنفسهما وأجسامهما. وقوله تعالى: ((وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ))^٣ أي أوتيت من كل شيء شيئاً وقوله تعالى: ((فَعَشَّاهَا مَا عَشَّى))^٤ أي غشَّاهَا إياه . فحذف المفعولين جميعاً.^٥

أما ما قصد من النص القرآني (تذودان) فقد أراد به تلك المرأتين تحبسان ابلهما وغنمهما عن السقي ، فالمفعول به محذوف وهو الإبل أو الغنم .

قال الفراء: ((تحبسان غنمهما . ولا يجوز أن تقول ذدت الرجل: حبسته . وإنما كان الذياد حبساً للغنم ؛ لأن الغنم والإبل إذا أراد شيء منها أن يشذ ويذهب فرددته فذلك ذود . وهو الحبس . وفي قراءة عبدالله (وَدُوَّتَهُمُ امْرَأَتَانِ حَابِسَتَانِ) فسألتهما عن حبسهما فقالتا : لانقوى على السقي مع الناس حتى يُصدروا))^٦ .

في حين أن قول الحطيئة كان يُقصد به ، صونها للحديث والكلام كما تصون الرداء .

قال ابن السكيت: ((قوله ((تصون اليك)) : معنى ((إليك)) : عندك ، أي تحفظ عندك سرها وحديثها، لاتبوح به ، كما تصون رداء شرعياً))^٧ .

المفعول المطلق

حذفه وتقديره ووجه المبالغة فيه

قال ابن جني: ((وجه المبالغة في نحو هذا كقولهم : جنّ جنونه وضلّ ضلالها وموتّ مائتٌ وشعر شاعر ، ومنه قول الله سبحانه : ((فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا))^٨ أي اذكروا ذكراً أشد ذكراً ، فجعل للذكر ذكراً على وجه المبالغة الذي قدمناه . وجاريت أبا علي هذه الآية يوماً بأخره فقلت : سمعت اليوم أو أمس قارئاً يقرؤها فتعلق فكري عليها ، فأخذ ينظر فيها النظر المستأنف الذي لم يتقدمه روية فيه ، ثم استقر الأمر فيها بيننا على ما رأيت فتقبله ولم يدفعه فهذا أحد الوجهين))^٩ .

١ - البقرة/ ٢٣٤ .

٢ - لاعراف/ ٢٢ .

٣ - النمل/ ٢٣ .

٤ - النجم/ ٥٤ .

٥ - ينظر المحتسب ١/ ٢٤٥، ٢٤٥، ١٢٥/ ٣٣٥ والخصائص ٢/ ٣٧٢ .

٦ - معاني القرآن/ ٢/ ٣٠٥ .

٧ - ديوان الحطيئة/ ١٧٧ برواية وشرح ابن السكيت وينظر تفسير الارجوزة/ ٦١ .

٨ - البقرة/ ٢٠٠ .

٩ - التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/ ٤٠٥ .

في ضوء كلام ابن جني يبدو أنَّ أبا علي يذهبُ إلى أنَّ المفعول المطلق محذوف (ذكراً) ؛ لأن الكاف جاءت عوضاً عنه ؛ فهي في موضع نصب على المفعوليه المطلقه (المصدرية) أي التقدير (فأذكروا الله ذكراً كذكركم) .

قال أبو جعفر النحاس: ((فأذكروا الله كذكركم آباءكم) الكاف في موضع نصب أي ذكراً كذكركم.))^١ فهذا الحذف للمفعول المطلق من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه فالتقدير والله اعلم (فأذكروا الله ذكراً مثل ذكركم) ، فنصبت الكاف لأنها اخذت موقعه الاعرابي.

ومثل هذا: ذكر ابن جني: ((قول الأعشى: (من الطويل)

ألم تغتمض عيناك ليلةً أرمداً
وبت كما بات السليم مسهداً
وذلك أن قوله : (ليلة أرمدا) انتصب (ليلة) منه على المصدر ؛ وتقديره ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلة أرمدا ، فلما حذف المضاف الذي هو (اغتماض) أقام (ليلة) مقامه ، فنصبها على المصدر ؛ كما كان الاغتماض منصوباً عليه . فالليلة إذاً ههنا منصوبة على المصدر لاعلى الظرف . كذا قال أبو علي لنا . وهو كما ذكر ؛ لما ذكرنا))^٢ .

الحذف من هذا النوع وارد في العربية ومن أساليب العرب الفصحاء ؛ وذلك للاختصار والمبالغة في الشيء المحذوف واستخدام اسلوب التلميح والإشارة لكثير من أساليب اللغة في ضوء سعة الكلام واختصاره .

قال سيبويه: ((وتقول إذا نظرت في الكتاب : هذا عمرو ، وإنما المعنى هذا اسم عمرو ، وهذا ذكر عمرو ، ونحو هذا ، إلا أن هذا يجوز على سعة الكلام ، كما تقول : جاءت القرية . وإن شئت قلت : هذا عمرو ، أي هذه الكلمة اسم عمرو))^٣ .

وفي ضوء هذا يفهم أن حذف المضاف إليه يُعرف من خلال المعنى على الرغم من أنه يأخذُ الموقع الإعرابي للمضاف فعندما تقول : جاءت القرية ، فالقرية لم تجئ لأنها لا تتحرك بما فيها من دور ومنازل وإنما سكان القرية وأهلها هم الذين يأتون ، فالمعنى له أثر في فهم السياق والموقع الإعرابي للألفاظ ، فنرى أن الفاعل (القرية) مرفوع ، في حين هي بالأصل كانت مجرورةً فأصل الكلام (جاء أهل القرية) ، وقيل : هذا الأسلوب مستخدم في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ((واسأل القرية التي كنا فيها.))^٤ أي أهل القرية ، ° فلنحظ أن القرية لا تسأل وإنما أهلها يوجه لهم السؤال فالقرية أصبحت مفعولاً به منصوب ، في حين أنها كانت بأصل الكلام مضافاً إليه فحقها الجر ، وهذا مذهب سيبويه بعينه في حذف المضاف .^٦ وتابعه أبو علي بذلك .

١- اعراب القرآن/١/٢٤٧ .

٢- الخصائص ٣/٣٢٢ .

٣- الكتاب/٣/٢٦٩ .

٤- يوسف/٨٢ .

٥- اعراب القرآن لابي جعفر النحاس /٢/١٥٤ .

٦- ينظر الكتاب/١/٢١٢ .

المفعول فيه (الظرف)

بين المصدرية والظرفية

قال ابن جني: ((كان شيخنا أبو علي يذهب إلى أن أصل (بين) أنها مصدر بَانَ بَيْنٌ بَيْنًا، ثم استعملت ظرفاً اتساعاً وتجوّزاً، كمقدم الحاج، وخلافة فلان، قال: ثم استعملت واصلة بين الشئيين، وإن كانت في الأصل فاصلة. وذلك لأنّ جهتها وصلتا ما تجاوزهما بها. فصارت واصلة بين الشئيين. هذا معنى قوله، وجماع مراده فيه. وعليه قراءة من قرأ: ((لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)) بالرفع أي: وصلكم))^٢.

إنّ ما ذهب إليه أبو علي من أن (بين) أصله المصدر بمعنى القطع ويأتي بمعنى الوصل، فقد أشار إليه الخليل رحمه الله بقوله: ((البَيْنُونَةُ: مصدر يان بَيْنٌ بَيْنًا وبَيْنُونَةً، أي قطع، والبَيْنُ: الفرقة، والاسم البين أيضاً. والبين: الوصل قال عزّ من قائل: ((لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)) أي: وصلكم))^٣.

أمّا في تأويل النص القرآني (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) فقد اختلف فيه (فقرأ حمزة ومجاهد (بَيْنَكُمْ) يريد وصلكم. وفي قراءة عبد الله (لقد تقطع ما بينكم) وهو وجه الكلام. إذا جعل الفعل لـ (بين) ترك نصباً؛ كما قالوا: أتاني دونك من الرجال فترك نصباً وهو في موضع رفع؛ لأنه صفة. وإذا قالوا: (هذا دون من الرجال) رفعوه في موضع الرفع. وكذلك تقول: بين الرجلين بين بعيد، وبون بعيد؛ إذا أفردته أجرته في العريه وأعطيته الإعراب.))^٤ قال ابن مجاهد: ((قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة (لقد تقطع بينكم) رفعاً. وقرأ نافع والكسائي: (لقد تقطع بينكم) نصباً. وروى حفص عن عاصم (بينكم) نصباً))^٥.

فالحجة لمن رفع جعله اسماً، بمعنى الوصل، موضعه فاعل، والحجة لمن فتح جعله ظرفاً، بمعنى: الفضاء بين الغابتين؛ لأنّ من الاسماء ما يكون ظرفاً واسماً مثل (زيد دونك، وزيد دون من الرجال).^٦

ومهما يكن من الأمر فإنّ أبا علي يميل إلى القراءة بالرفع ويجعله اسماً بدليل اطراد استعماله في القرآن الكريم اسماً، فقال: ((والدليل على جواز كونه اسماً قوله: ((وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ))^٧ و (هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ))^٨، فلما استعمل اسماً في هذه المواضع. جاز أن يُسند إليه الفعل الذي هو (تَقَطَّعَ) في قول مَنْ رَفَعَ. ويدل على أنّ هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفاً أنّه لا يخلو من أن يكون الذي هو ظرفاً اتسع فيه، أو يكون الذي هو مصدر؛ فلا يجوز أن يكون هذا القسم، لأنّ التقدير

١- الانعام/٩٤.

٢- المحتسب/١٩٠/٢.

٣- العين/٣٨٠/٨.

٤- معاني القرآن للقرآني/٣٤٥-٣٤٦.

٥- السبعة في القراءات/٢٦٣.

٦- ينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه/١٤٥.

٧- فصلت/٥.

٨- الكهف/٧٨.

يصير: لَقَدْ تَقَطَّعَ افْتِرَاقُكُمْ. وهذا مع بَعْدِهِ عن القصدِ خِلافَ المعنى المراد ألا ترى أَنَّ المراد: لَقَدْ تَقَطَّعَ وصلُكُمْ وما كنتم تتألفون عليه^١.

الظاهر أَنَّ أبا علي يعدّه بمعنى الوصل وهو في الأصل ظرفاً توسع في الاستخدام وأصبح اسماً، وفي هذه الحالة لا يكون مصدرًا؛ لأنَّ مصدر بان، البينُّ وهو بمعنى الفراق وهذا خلاف ذلك، وهو بهذا المعنى يختلف عما ذهب إليه الفراء وما رجحه من قراءة عبدالله بالنصب، الذي جعله (بين) منصوباً لكنّه في محل رفع كمثل (أتاني دونك من الرجال). فدون منصوب لكنّه في محل رفع فاعل، (قالبين) عند الفراء ظرف أمّا عند أبي علي اسم، لكنهما متفقان في محلية الرفع له مختلفان في معنى اللفظ. يؤيد هذا الرسم القرآني الذي جاء بالنصب على أنه ظرفٌ اتسع في استخدامه وجعل من حيث المعنى بأنّه الوصل، فهو فاعل في محل رفع على تقدير المعنى؛ لأنّه واصله لشئيين؛ لأنَّ القطع فعل يتم في قطع الوصل، فهذا يرجح ما ذهب إليه أبو علي في تقدير المعنى والأعراب.

(وَسَطٌ) و (وَسَطٌ)

قال ابن جني: ((أنشدنا أبو علي للفردق بيتاً جعل فيه ما لم يستعمل إلا ظرفاً غير ظرف ضرورة (من الطويل)).

رَمَتْهُ بِمَجْلُومٍ كَأَنَّ جَبِيئَهُ
صَلَايَةَ وَرْسٍ وَسَطُهَا قَدْ تَفَلَّقَا
رفع (وسط) ضرورة، وهو ما لا يستعمل إلا ظرفاً^٢.

لقد ذكر هذا الاستخدام لكلمة (وسط) عند غير أبي قال، وذلك ((أن تجعله اسماً بعد أن استعملته ظرفاً، كما قال:

* ... وَسَطُهَا قَدْ تَفَلَّقَا *^٣

من هذا يفهم أَنَّ كلمة (وسط) يمكن أن تستعمل اسماً بعد أن كان ظرفاً، وذلك للضرورة، في حال اخراجها عن الظرفية، وجعلها مرفوعة بالابتداء ساكنة العين، وهذا غير جائز؛ لأنَّ حكمها عند اخراجها من الظرفية تستعمل مفتوحة العين فيقال وَسَطَ الدار وإمّا تسكن عينها إذا استعملت في حالة تشبيهاً لحالة الظرفية. نحو قول الشاعر: (من مخروم المتقارب)

فِ وَسَطِ بِيوتِ بني الخزرج
إن الدلال وحسن العفا

في هذا استخدمت اسماً، واعربت خبر إن. وسكن وسطها^٤.

١- الحجة للقراء السبعة ١٨٩/٢.

٢- الفسر ٥٣/٣ ويروى أنته، ينظر النوادر ١٦٣/١ والخصائص ٣٦٩/٢.

٣- اعراب القرآن المنسوب للزجاج ٤٧٤/٢.

٤- ينظر ضرائر الشعرا لابن عصفور ٢٨٩-٢٩٠.

يبدو أن الظرف يستخدم مع الفعل ظرفاً زمانياً أو مكانياً ويسمى المفعول فيه ، أمّا إذا استخدم مع الجملة الاسمية فيعرب خبراً أو غير ذلك ، وإن له حالة أخرى استعماليه في ضوء استخدامه كاسم أو يعامل معاملة الاسم فيكون فاعلاً أو مبتدأ.

وفي ضوء هذا فقد ذكر أبو علي مثلاً كلمة (وسط) استعملت هذين الاستعمالين المزدوجين كما استعمل الظرف (بين)، يتضح ذلك بقوله: ((ومثل بين في أنه يجري في الكلام ظرفاً ، ثم يستعمل اسماً: (وسط) الساكن العين، ألتري أنك تقول: جلست وسط القوم، فتجعله ظرفاً، (مفعولاً فيه) لا يكون إلا كذلك، ثم استعملوه اسماً في نحو قول القتال: (من الكامل)

مَنْ وَسَطَ جَمْعَ بَنِي قُرَيْطٍ بَعْدَمَا هَتَفَتْ رَبِيعَةَ يَا بَنِي جَوَّابِ

وقال آخر: (من الطويل)

أَتَتْهُ بِمَجْلُومٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ صَلَاةَ وَرْسٍ وَسَطُهَا قَدْ تَفَلَّقَا

فجعله مبتدأ وأخبر عنه، كما جرّه الآخر بالحرف الجار))^١.

ومثل هذا في الاستخدام المزدوج الظروف (قصد ونحو وقبل ودون) هذا ما ذكره سيبويه بقوله: ((وأما دونك فإنه لا يرفع أبداً، وإن قلت: هو دونك في الشرف؛ لأنّ هذا إنّما هو مثل كما كان هذا مكان ذا في البدل مثلاً، ولكنه على السعة. وإنما الأصل في الظروف الموضع والمستقر من الأرض، ولكنه جاز هذا كما تقول: إنه لصلب القناة، وإنه لمن شجرة صالحة، ولكنه على السعة. وأما قصد قصدك فمثل نحي نحوك، وأقبل قبلك، يرتفع كما يرتفعان وينتصب كما ينتصبان. وإن شئت قلت: هو دونك، إذا جعلت الأوّل الآخر ولم تجعله رجلاً. وقد يقولون: هو دون، في غير الإضافة؛ أي هو دون من القوم، وهذا ثوبٌ دون، إذا كان رديئاً))^٢.

يفهم من كلام سيبويه أنّ الظرف دون يستعمل استعمالين، أحدهما ظرفاً ويكون حقه النصب على الظرفية، نحو (زيد دون عمرو في العلم) أو يستعمل بمعنى الحقير أو المسترذل، وهذا يعرب حسب موقعه في الجملة على عدّه اسماً نحو (هذا دونك) أي حقيرك، ويجوز أن يستعمل بمعنى في المرتبة والمنزلة ظرفاً محمولاً على هذا في الرفع؛ أي أنّك جعلته في مكان أسفل من مكان صار بمنزلة أسفل أو تحت ، فيجوز هنا رفعهما على أنّهما نكرتان^٣. وهذا الاستعمال مثل استعمال وسط وبين .

١- الحجة للقراء السبعة/١٨٩.

٢- الكتاب/١/٤٠٩/٤١٠.

٣- ينظر حاشية الكتاب من شرح السيرافي/١/٢٠٤ طبعة بولاق.

الحال

واو الحال ومشابهتها لـ (إذ)

علق أبو علي على مذهب سيبويه في تشبيهه واو الحال بـ (إذ). فقال: ((إنما فعل ذلك من حيث كانت (إذ) منتصباً الموضع بما قبلها أو بعدها كما أن الواو منتصبه الموضع في الحال، ولأن ما بعد (إذ) لا يكون إلا جملة، كما أن، بعد واو الحال لا يكون إلا جملة، ولهذا قال سيبويه: ((واو الابتداء)) يعني هذه الواو إذا كان ما بعدها سبيله ان يكون جملة من مبتدأ وخبر، ولأجل أن بين الحال والظرف هذه المصاقبة ماذهب الكسائي إلى أن نصب الحال إنما هو لشبهها بالظرف. ويؤكد الشبه أيضاً أنك قد تعبر عن الحال بلفظ الظرف، ألا ترى أن قولك: (جاء زيدٌ ضاحكاً) في معنى: (جاء زيد في حال ضحكه)، (وعلى حال ضحكه)، فاستعمالك هنا لفظ (في) و(على)، يؤنسك بالوقت والظرفيه، فاعرفه))^١.

إن مذهب سيبويه الذي علق عليه أبو علي هو موازنة بين واو الحال و(إذ)؛ لأن ما بعدهما جملة، فضلاً عن أن الحال مقارب للظرف في المعنى؛ لأن الحالية فيها معنى الظرفية، فحال زيد عند مجيئه ضاحكاً، أي في حاله أو على حاله، على اعتبار أن (على، وفي) تحقق فيهما الظرفيه، فقوله تعالى (وطائفة) بمعنى إذ طائفه، فهي عند سيبويه واو الابتداء وليست واو الحال؛ لأن بعدها مبتدأ وخبر. هذا ظاهر قوله: ((وأما قوله عز وجل: ((يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ))^٢، فإنما وجهه على أنه يغشى طائفة منكم وطائفة في هذه الحال كأنه قال: إذ طائفة في هذه الحال، فإنما جعله وقتاً ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنما هي واو الابتداء))^٣.

أما الفراء فيعرب (طائفة) فاعل لفعل محذوف يقدره السياق أي أنه رفع بالفعل أهمتهم، أو بـ (يظنون) خبر للمبتدأ، وهو بهذا جعل الواو التي قبلها واو الابتداء؛ لأن بعدها جملة أو كأنها مثل (إذا) بعدها الاسم يكون لفاعل حذف فعله نحو قوله تعالى: ((إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ))؛ فالسمااء فاعل لفعل مقدر أي: إذا انشقت السماء انشقت، فضلاً عن هذا أنه يجعلها حرف عطف وينصب طائفة؛ لأنها معطوفة على (طائفة) الأولى.

فقال: ((وقوله: ((يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ، وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ)) ترفع الطائفة بقوله (أهمتهم) بما رجع من ذكرها، وإن شئت رفعتها بقوله ((يَظُنُّونَ بِاللَّهِ، غَيْرَ الْحَقِّ)) ولو كانت نصباً لكان صواباً، مثل قوله في الاعراف ((فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ))^٤.

يتضح من هذا أن واو الحال يأتي بعدها جملة اسمية أو فعلية؛ وكذلك (إذ) يأتي بعدها جملة اسمية على الأرجح أو فعلية؛ لأنها تدخل على هذه الجملة ولا تعمل فيها وإنما تضاف إليها لأنها

^١ -سر صناعة الاعراب/٢/٦٤٥.

^٢ - ال عمران/١٥٤.

^٣ - الكتاب/١/٩٠.

^٤ - الانشقاق/١.

^٥ - الاعراف/٣٠.

^٦ -معاني القرآن للقرء/١/٢٤٠.

ظرف لما مضى. وهذا مذهب سيبويه ذكره بقوله: ((هذا باب الحروف التي يجوز أن يليها بعدها الأسماء ويجوز أن يليها بعدها الأفعال، وهي لكن، وإنما وكأنما، وإذ، ونحو ذلك؛ لأنها حروف لاتعمل شيئاً فتركت الأسماء بعدها على حالها كأنه لم يذكر قبلها شيء فلم يجاوز ذا بها، إذا كانت لاتغير مادخلت عليه. فيجعلوا الاسم أولى بها من الفعل)).^١

أما ما قاله أبو علي من أن الكسائي قد ذهب إلى أن الحال نصب لما فيه من الظرفية أو لمشابهته إياه، فرأيه صحيح، وحجته قوية أيضاً؛ لأن الحال فيه معنى (على) أو (في)، وهذان حرفا جر فيهما معنى الظرفية، فـ(في) تدل على الوعاء أو الاحتواء بمعنى داخل و(على) تدل على الاستعلاء بمعنى فوق، وبهذا يتحقق معنى الظرفية فيها، فضلاً عن هذا أن قولك (جاء محمدٌ مُسرِعاً)، أي جاء محمد وهو في حال مسرعة أو على حال مسرعة، فهنا تحققت الظرفية، وإن (إذ) هو ظرف لما مضى، فواو الحال تشبه (إذ) من حيث المعنى، وهذا ما ذهب إليه سيبويه بقوله: ((وَأَمَّا (في) فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه...، وَأَمَّا (على) فاستعلاء الشيء؛ تقول هذا على ظهر الجبل...، و(إذ) وهي لما مضى من الدهر، وهي ظرف بمنزلة مع)).^٢

الحال من المضمَر (إياك) في القول (رأيتك إياك قائماً)

قال ابن جني: ((وسألت أبا علي رحمه الله - عن مسألة الكتاب: (رأيتك إياك قائماً)، الحال لمن هي؟ فقال: - (إياك). قلت: فالعامل فيها ما هو؟ قال: (رأيت) هذه الظاهرة. قلت: أفلا تعلم أن (إياك) معمول فعل آخر غير الأول؟ وهذا يقود إلى أن الناصب للحال هو الناصب لصاحبها أعنى الفعل المقدر؟ فقال: لما لم يظهر ذلك العامل ضعف حكمه وصارت المعاملة مع هذا الظاهر)).^٣

يبدو أن الفعل الظاهر هو الذي يعمل بالحال وبصاحبه لا الفعل المضمَر؛ لأنه عندما أضمر ضعف حكمه وغلبه في الحكم الظاهر، فـ(قائماً) حال لـ(إياك) منصوب بالفعل (رأيتك). وهذا مذهب سيبويه فيما قاله: ((ذلك قولك... (ضربته إياه قائماً ليس هذا بمنزلة قولك: أظنه هو خيراً منك، من قبل أن هذا موضع فصل والمُضْمَرُ والمُظْهِرُ في الفصل سَوَاءٌ. ألا ترى أنك تقول رأيت زيداً هو خيراً منك، وقال الله عز وجل: ((وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ)))).^٤ وإنما يكون الفصل في الأفعال التي الأسماء بعدها بمنزلتها في الابتداء. فأما ضَرَبْتُ وقتلت ونحوهما فإن الأسماء بعدها بمنزلة المبني على المبتدأ، وإنما تذكر قائماً بعدما يستغنى الكلام ويكتفى وينتصب على أنه حال، فصار هذا كقولك: رأيتَه إياه يوم الجمعة)).^٥

١ - الكتاب/٣/١١٦.

٢ - المصدر نفسه/٤/٢٢٦-٢٢٩-٢٣٠.

٣ - الخصائص/٢/٤٢٨.

٤ - سبأ/٦.

٥ - الكتاب/٢/٣٨٧.

يفهم من كلام سيبويه أنّ الافعال ضرب وقتل ونحوهما تدخل على الأسماء التي تكون موقعها الإعرابي البناء على المبتدأ أو بمنزلة ، وأنّ (قائماً) الحال لا يذكر إلاّ أنّ يتمّ المعنى ويستغنى، وبعد ذلك يذكر وهو منصوب على الحال بعكس ظنّ وأخواتها ؛ لأنّها تأخذ مفعولين ، أمّا الفعل (رأيتك) الذي ذكره ابن جني و أبو علي هي رأى البصرية وليست القلبية ولهذا تكون بصرية حتى يكون (قائماً) حالاً فلو كانت قلبية لاصبح (قائماً) مفعولاً به ثانٍ .

الجرُّ بالحرف

حروفُ الجرِّ

الجرُّ بالكاف الزائدة عند عطف النفي

قال ابن جني: ((قال أبو الحسن في قوله: (ما أنت كزيد ولا شبيهها به): (إذا جررت الشبيه فقد أثبت لزيد شبيهاً، وإذا نصبت لم تثبت له شبيهاً) وهذا هو تلخيص قول سيبويه ولم يزد فيه شيئاً. وهذا الكلام منهما على أنّ الكاف في (كزيد) غير زائدة وليست كالتي في بيت روبة: (من الرجز)
لواحقُ الأقرابِ فيها كالمَقَّقِ

وأجاز لنا أبو علي فيها الجر، وألاّ يكون مع الجرّ له شبيه، قال: ((وذلك على اعتقاد زيادة الكاف، فكأنه قال: ما أنت زيدا ولا شبيهها به ، ثمّ زاد الكاف ، فقال : ما أنت كزيد ولا شبيهه به ، فلما جر زيدا بالكاف مع اعتقاده زيادتها عطف الشبيه على زيد، وهذا الذي ذهب إليه أبو علي وجه صحيح وهو رأي أبي الحسن))^١.

تابع أبو علي الأخفش الذي تابع سيبويه في زيادة هذه الكاف عند نصب المعطوف إذا لم تثبت له شبيهاً، فإنّ أثبت له شبيهاً جاز الجر .^٢ وهذا ظاهر كلام سيبويه: ((تقول: ما زيد كعمر ولا شبيهها به، وما عمرو كخالد ولا مفلحاً، النصبُ في هذا جيّدٌ ؛ لأنك إنّما تريد ما هو مثل فلان ولا مفلحاً. هذا وجه الكلام. فإن أردت أن تقول ولا بمنزلة من يُشبهه جررت ، وذلك قولك: ما أنت كزيد ولا شبيهه به، فإنما أردت ولا كشبيهه به))^٣.

^١ -سر صناعة الاعراب/١/٢٩٥.

^٢ -ينظر المسائل البغداديات/٤٠١.

^٣ - الكتاب/١/٦٩.

فتح لام الجرّ

قال ابن جني: ((وحدثني أبو علي قال: حكى أبو الحسن عن أبي عبيدة . والأحمر ويونس أنهم سمعوا العرب تفتح اللام الجارة مع المظهر، قال: وقال أبو الحسن: وقد سمعته أنا منهم أيضاً.))^١
الظاهر أنّ هذه اللام المفتوحة هي اللام التي تضع في مكان (كي)، هذا زعمه يونس أو هي لغة بلعبر، وما سمعه أبو الحسن نفسه بقوله: ((وزعم يونس أنّ ناساً من العرب يفتحون اللام التي في مكان (كي)، وأنشد هذا البيت فزعم أنه سمعه مفتوحاً: (من الوافر)

يَوْمَئِذٍ رَبِيعَةٌ كُلُّ يَوْمٍ
لَأَهْلِكَ وَأَقْتَنِى الدَّجَاجَا

وزعم خلف أنّها لغة بلعبر، وأنه سمع رجلاً ينشد هذا البيت منهم مفتوحاً: (من الطويل)

فَقُلْتُ لِكَلْبِيِّ قُضَاعَةٌ إِنَّمَا
تَخِيرْتُمَانِي أَهْلَ فُلُجٍ لَأَمْنَعَا

وقد سمعت أنّ ذلك من العرب، وذلك أنّ أصل اللام الفتح، وإنما كسرت في الإضافة ليفرق بينها وبين لام الابتداء))^٢.

قال سيبويه: ((هذا باب ما ترده علامة الإضمار إلى أصله، فمن ذلك قولك: لعبد الله مال، ثم تقول لك مال ولله مال، فتفتح اللام، وذلك أنّ اللام لو فتحوها في الإضافة لالتبست بلام الابتداء إذا قال: إنّ هذا لعلّي، ولهذا أفضل منك، فأرادوا أنّ يميزوا بينهما، فلما أضمرنا لم يخافوا أنّ تلتبس بها؛ لأنّ هذا الإضمار لا يكون للرفع ويكون للجرّ. ألا تراهم قالوا: يالْبَكْرَ، حين نادوا؛ لأنّهم قد علموا أنّ تلك اللام لا تدخل هاهنا))^٣.

وعلة الفتح مع المضمّر والكسر مع المظهر لهذه اللام سببها: ((إنّ حروف الظاهر وصيغتها لا تتغير بتغير الإعراب ولا تدل على مواضعه من الرفع والنصب والجر، وحروف المضمّرات بأنفسها تدل على مواضعها من الإعراب فلذلك كسروا اللام مع الظاهر))^٤.
ومهما يكن من الأمر فيجوز فتح هذه اللام مع المظهر لأنها مفتوحة وكسرت لعلة الالتباس، فضلاً عن أنّها لهجة عربية.

١- سر صناعة الاعراب/١/٣٢٩.

٢- معاني القرآن للأخفش/١/١٢٢-١٢٣.

٣- الكتاب/٢/٣٧٦-٣٧٧.

٤- السيراء في حاشية الكتاب بولاق/١/٣٨٩ وهارون/٢/٣٧٧.

تقدير (على) بمعنى الظرفية

قال ابن جني: ((قول الآخر: - هو القطامي - (من الوافر)

فَكَرَّتْ تَبْتَعِيهِ فَوَافَقَتْهُ عَلَى دَمِهِ وَمَصْرَعِهِ السَّبَاعَا

وذلك أنه إذا وافقته والسباع معه فقد دخلت السباع في الموافقة ، فكأنه قال فيما بعد : وافقت السباع ، وهذا عندنا على حذف المضاف؛ أي وافقت آثار السباع . قال أبو علي: لأنها لو وافقت السباع هناك لأكلتها معه . فـ (على) الآن هذه الظرف منصوبه بالفعل المحذوف الذي نصب السباع في التقدير ، ولو رفعت السباع لكانت (على) هذه مرفوعة الموضع ؛ لكونها خبراً عن السباع مقدماً، وكانت تكون متعلقة بالمحذوف ؛ كقولنا في قولهم: (في الدار زيد))^١.

إنَّ (على) حرف الجر يأتي أحياناً ظرفاً على الاتساع في المعنى نحو (عليه دينٌ) وهو متعلق بمحذوف (تقديره) (كائن) ، أو يكون بمعنى (فوق) نحو (هذا على ظهر الجبل) أي فوقه .

قال سيبويه: ((كما أنَّ على بمنزلة فوق وإن خالفتها في أكثر المواضع . سمعنا من العرب من يقول : نهضت من عليه ، كما تقول : نهضت من فوقه))^٢.

وفي ضوء هذا يعد (على) ظرفاً عند سيبويه وتابعه أبو علي بقوله: ((الظرف منصوبة بالفعل المحذوف))^٣.

ومادام الحرف (على) في تقدير الظرف فإن له مكاناً من الإعراب ، فإذا قدرنا أن الفعل (وافقت) نصب (السباع) فالظرف (على) منصوب بالفعل المقدر (وافقت) أيضاً، ولكن إذا كان (السباع) مرفوعه عدّها مبتدأ مؤخر (فعلي) أيضاً في محل رفع على الخبرية ؛ لأنَّ الجار والمجرور يكون أحياناً خبراً مقدماً متعلقاً بمحذوف تقديره كائن أو مستقر أو حاصل ، نحو قولك ، (في الدار زيد)، فالنصب جرى على مذهب سيبويه وإن رُدَّ في البعد وعدم اتمام المعنى ، لكن الضرورة هي التي أدت إلى ذلك .

قال الاعلم الشنتمري: ((الشاهد فيه نصب (السباع) على إضمار الموافقة ، لما جرى من ذكرها في صدر البيت ، والتقدير: (فَكَرَّتْ تَبْتَعِيهِ فَوَافَقَتْهُ وَوَأَفَقَتْ السَّبَاعَ عَلَى دَمِهِ وَمَصْرَعِهِ) ، هذا تقدير سيبويه . وقد رُدَّ البيت وغلط فيما تأولهُ فيه وأجازه ؛ لأنَّ الحمل على المعاني إنما يكون بعد تمام الكلام كقولك: وافقت زيدا وعنده عمرو وبشرا، تريد ووافق بشراً عنده ؛ لأنَّ المعنى قد تمَّ في قوله : وعنده عمرو ، ولو قلت وافقت زيدا وعنده عمراً لم يجز عند غير سيبويه في شعرٍ ولا غيره لنقصان الكلام دون الآخر المحمول على المعنى ، والحجَّةُ لسيبويه أنَّ الشعرَ موضع ضرورة يُحتملُ فيه ما لا يُحتملُ في غيره . فإذا جاز الحملُ في الكلام على المعنى مع التمام جاز في الشعر ضرورة مع النقصان ، مع أخذِه هذا عن العربِ وروايته له عنهم))^٤.

١- الخصائص/٢/٤٢٦-٤٢٧.

٢- الكتاب/٣/٢٦٨.

٣- الخصائص/٢/٤٢٦-٤٢٧.

٤- تحصل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب/١٨٧-١٨٨.

الجر بالإضافة

إضافة الاسم إلى المسمى ، والمسمى إلى الاسم

قال ابن جني: ((هذا موضع كان يعتاده أبو علي (رحمه الله) كثيراً ويألفه ويأتق له ويرتاح لاستعماله . وفيه دليل نحوي غير مدفوع يدل على فساد قول من ذهب إلى أن الاسم هو المسمى . ولو كان إياه لم تجز إضافة واحدة منها إلى صاحبه ؛ لأنّ الشيء لا يضاف إلى نفسه))^١.

يفهم من هذا أنّ إضافة الشيء إلى نفسه لا تجوز بل المرادف والعام إلى الخاص نحو(المسجد الجامع والصلاة الأولى) . من أضاف فإتّماً أضاف في الأصل إلى اسم موصوف محذوف ، أي على تقدير(مسجد الوقت الجامع وصلاة الساعة الأولى) وما جاء يحفظ ولا يقاس عليه ، هذا ما اتفق عليه الأخفش وابن السراج والفراسي وجمهور البصريين . وذهب بعض النحاة إلى أنه من قبيل ما أضيف فيه المسمى إلى الاسم ، نحو(بقلة الحبة الحمقاء) كأنك أردت :البقلة التي هي صاحبة هذا الاسم ، أمّا الفراء والكوفيون فقد جوزوا الإضافة من غير دعوى نقل ولا حذف، وقال بذلك الزمخشري وابن الطراوة وابن طاهر وابن خروف.^٢ فقد قال الفراء: ((ولدارُ الآخرة أضيفت إلى الآخرة وهي الآخرة وقد تضيف العرب الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه كقوله ((إنّ هذا لهو حقّ اليقين)) والحق هو اليقين . ومثله اتيتك بارحة الأولى ، وعام الأول وليلة الأولى ويوم الخميس ، وجميع الأيام تضاف إلى أنفسها باختلاف لفظها وكذلك شهر ربيع))^٣.

في حين نرى أبا علي يقدر قوله تعالى : ((ولدارُ الآخرة خيرٌ)) ؛ بـ(دارِ الساعةِ الآخرة) وهذا من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة ، ولأنّه لا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه بل إضافته إلى صفته .^٤

إضافة الأول للثاني

قال ابن جني: ((وقد أضافت العرب الأول إلى الثاني لإقلّ وأخفض من هذه الشبكة بينهما ، أنشدنا أبو علي : (من الطويل)
إذا كَوَّكبُ الخرقاءِ لاحَ بسُحرةٍ
سُهَيْلٌ أذاعتُ غَزَلها في الغرائبِ
قال : فأضاف سهيلاً إليها لجدّها في عملها عند طلوعه، وقريب من هذا قول الرجلين يحملان
الخشب - أحدهما لصاحبه - خذ أنت طرفك ، ولاخذ أنا طرفي . وإنما الطرفُ لخشبة لا
لحاملها))^٥.

١- الخصائص/٣/٢٤.

٢- ينظر ارتشاف الضرب/٢/٥٠٦.

٣- معاني القرآن للفراء/٢/٥٥-٥٦.

٤- يوسف/١٠٩.

٥- ينظر المقتصد في شرح الإيضاح/٢/٨٩٣-٨٩٤.

٦- المحتسب/٢/٢٢٨.

المعروف أن الإضافة بين الأول والثاني أو بين الشيء وغيره تحصل لما بينهما من ملابسَة واختلاط نحو : جلُّ الدابةِ ، وسرجُ الفرسِ ، لكن الإضافة في البيت الشعري بين (كوكب والخرقاء) حصلت لأدنى ملابسَة بينهما واختلاط ، وذلك عندما إضاف الشاعر الكوكب (سُهيل) إلى (الخرقاء) المرأة التي تكسل عن الاستعداد لعمل غزلها في أغلب الأوقات ، لكنها إذا طلع سهيل حصل البرد جدت تلك المرأة في عملها واخذت تفرق غزلها بين قريناتها في قبيلتها تستعين بهن على اتمامه ، فخصَّ الشاعر سهيلاً بهذه المرأة لما بينها وبينه أدنى ملابسَة في العمل ، وشبيهه هذا قولك: لقيته في طريقي ، فأضفت الطريق إليك لأنك مررت به وحقيقته ليس ملكك أو هو لك . ونحو قول أحد حاملي الخشبة لصاحبه خذْ بطرفك ، فالطرف ليس له وإنما أضيف إليه لملاسته إياه عند الحمل. ومثله قول الشاعر : (من الطويل)

إذا قالَ قَدْنِي قالَ باللهِ حلفَةً
لَتُغْنَى عَنِّي ذا إنائِكَ أَجمَعَا
فأضاف الإناء إلى المخاطب وهو ليس له وإنما لساقِي اللبن ولكن أضيف له لملاسته إياه عند أكله أو شربه ما فيه من اللبن .^١

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه

قال ابن جني : ((فحذف المضاف كقوله: (من المتقارب)
وأهلكَ مُهراً أبِيكَ الدوا
اي: فقدَّ الدواء . وأنشدناه أبو علي -رحمه الله-))^٢.
مرَّ هذا الموضوع في باب المفعول المطلق ، ولكن لا بدَّ أنْ أشيرَ إلى أنَّ موضوع حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه وأخذ موقعه الإعرابي كثير في العربي ولا سيما في القرآن الكريم والشعر العربي ؛ لأنَّ الحذف يأتي لأجل الاختصار والإشارة إلى بعض المعاني باختصار الكلام وترك الإطالة . فقال تعالى : ((واسألِ القريةَ)) أي اسأل أهل القرية.^٣ وقال الشاعر : (من الطويل)

وكنت إذا الأيام أحدثنَّ هالكا
أقول شوى ما لم يُصبِنَ صَمِيمِي
هذا على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه في موقعه . فكأنه قال : أحدثنَّ هلكَ هالك.^٤
قال سيبويه : ((أما ما يضاف إلى الآباء والأمهات فنحو قولك : هذه بنو تميم ، وهذه بنو سلول، ونحو ذلك، فإذا قلت : هذه تميم ، وهذه أسد ، وهذه سلول ، فإنما تريد ذلك المعنى ، غير أنَّك

^١ - ينظر شرح ابن يعيش / ٨/٣ - ٩.

^٢ - التمام في تفسير اشعار هذيل / ٦٩ - ٧٠.

^٣ - ينظر الكتاب / ٢/ ٣٠٤، ٢٦٩/١٥٤، والآية يوسف/ ٨٢.

^٤ - ينظر التمام في تفسير اشعار هذيل / ٩٢ - ٩٣.

إذا حذفت المضاف تخفيفاً ، كما قال عز وجلّ : ((وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ))، وَيَطَّوُّهُمْ الطَّرِيقُ ، وَإِنَّمَا يريدون : أهل القرية . وأهل الطريق . وهذا في كلام العرب كثير ، فلما حذفت المضاف وقع على المضاف إليه ما يقع على المضاف ؛ لأنه صار في مكانه فجرى مجراه^١ .

يبدو أنّ الفارسي تبع سيبويه في هذا الحذف ولاسيما في نصوص القرآن الكريم نحو قوله تعالى : ((خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ))^٢ أي : على مواضع سمعهم ، فحذف ؛ لأنه استغنى عن جمعه ، لإضافته إلى الجمع ، قال سيبويه : ((وليس بمستكثر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميعاً ، حتّى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يُستعمل في الكلام . وقال علقمة بن عبدة : (من الطويل)

بِهَا جِيفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبَيْضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ^٣
فالشاهد فيه وضع (الجلد) موضع (الجلود) أي : التقدير فأما عظامها وأما جلودها وأكثر هذا الاستخدام في الشعر . وتبعه الفارسي في هذا الحذف ، فحمل قوله تعالى : ((فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ))^٤ . على حذف المضاف : أي ذي صدق ، وحمل أيضاً قوله تعالى : ((لِسَبَا فِي مَسْكَنِهِمْ))^٥ على حذف المضاف أيضاً التقدير : أرض مسكنهم . وفي معنى قول الشاعر : (من الوافر)

بَيْنَا نَحْنُ نَرْقُبُهُ أَتَانَا مُعَلَّقٌ وَفُضَّةٌ وَزِنَادٌ رَاعٍ
قال أبو علي : ((أصله بين أوقات نحن نرقبه كان كذا . فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . وكذلك البيت^٦ ، كأنه قال : بين أوقات نسوس الناس))^٧ .

الجر بالجوار أو حذف حرف الجر

قال ابن جني : ((وقلت آية تخلو من حذف المضاف ، نعم ، وربما كان في الآية الواحدة من ذلك عدة مواضع . وعلى نحو من هذا حمل أبو علي - رحمه الله - : (من الرجز)

* كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مزملٍ*^٨

ولم يحمله على الغلط ، قال : لأنه أراد : مُزْمَلٍ فيه ، ثم حذف حرف الجر ، فارتفع الضمير فاستتر في اسم المفعول))^٩ .

١ - الكتاب/٣/٢٤٦-٢٤٧ .

٢ - البقرة/٧ .

٣ - الكتاب/١/٢٠٩ .

٤ - القمر/٥٥ .

٥ - سبأ/١٥ .

٦ - ينظر اعراب القرآن المنسوب للزجاج/١/٤١-٤٢ .

٧ - قالت حرمة بنت النعمان بينا نسوس الناس والأمرنا إذانحن فيهم سوقة نتنصفُ

٨ - التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/٥٣٦ .

٩ - هذا عجز بيت لامرئ القيس ، وصدرة : (كأن أباتاً في أفانين ودقة) ديوان امرئ القيس رواية الاصمعي شرح الاعلم الشتنمري/٢٥ .

١٠ - الخصائص/١/١٩٢-١٩٣ .

إنَّ في هذه المسألة خلافاً بين النحاة ، فنرى أبا علي وابن جني: يقدران الكلام (في بجد مزمل فيه) ، فيحذفان حرف الجر (في) ويرتفع الضمير نائب فاعل لاسم المفعول (مزمل) مستتر فيه، ويكون (مزمل) صفة لـ (بجد) سببية، وهذا خلاف ما يرى الخليل وسيبويه؛ لأنَّهما يعدان (مزمل) صفةً لـ (كبير) الذي هو مرفوع ، لأنَّه خبر (كأن) وصفة المرفوع مرفوعة ؛ لكن يكون إقواء في البيت بالنسبة إلى القصيدة المكسورة اللام، فجر (مزمل) للمجاورة مع (بجد). هذا ما أشار إليه سيبويه في نص مشابه له وهو (هذا جحرُ ضبٍ خرب) فقال : ((ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام : ((هذا جحرُ ضبٍ خرب)) فالوجه الرفعُ وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم . وهو القياسُ ؛ لأنَّ الخربَ نعتُ الجحرِ والجحرُ رفعٌ، ولكنَّ بعضَ العرب يجرُّه. وليس بنعتٍ للضبِّ ، ولكنَّه نعتٌ للذي أُضيفَ إلى الضبِّ، فجرَّوه لأنَّه نكرةٌ كالضبِّ؛ ولأنَّه في موضع يقع فيه نعتُ الضبِّ؛ ولأنَّه صار هو والضبُّ بمنزلة اسم واحد. ألا ترى أنَّك تقول : هذا حبُّ رُمانٍ . فإذا كان لك قلت : هذا حبُّ رُماتي ، فأضفتَ الرُمانَ اليك، وليس لك الرُمانُ إنّما لك الحبُّ . ومثل ذلك : هذه ثلاثة أثوابك ، فكذلك يقع على جحرُ ضبِّ ما يقع على حبِّ رُمانٍ ، تقول : هذا جحرُ ضبِّي ، وليس لك الضبُّ إنّما لك جحرُ ضبِّ ، فلم يمنعك ذلك من أن قلت جحرُ ضبِّي، والجحر والضبُّ بمنزلة اسم مفرد ، فاتجرَّ الخربُ على الضبِّ كما أضفتَ الجحرَ إليك مع إضافة الضبِّ ، ومع هذا أنهم اتبعوا الجرَّ بالجرِّ كما أتبعوا الكسرَ الكسرَ، نحو قولهم : بهم وبارهم ، وما أشبه هذا))^١.

ويفهم من هذا جرُّ (خرب) للمجاورة مع (ضب) المجرورة. لانعت سببي كما يقول أبو علي وابن جني.

المصدر واعماله

إعمال المصدر عمل فعله إذا كان مضافا

قال ابن جني : ((ومما جاء من المصادر مجموعا ومعملاً أيضاً قوله: (من الطويل)

مواعيدُ عرقوبِ أخاهِ بيثربِ

و(بيثرب) ومنه عندي قولهم : تركته بملاحسِ البقرِ أولادها : فالملاحس جمع مَلْحَس ؛ ولا يخلو أن يكون مكاناً ، أو مصدرًا ، فلا يجوز أن يكون هنا مكاناً ؛ لأنَّه قد عمل في الأولاد فنصبها، والمكان لا يعمل في المفعول به ، كما أن الزمان لا يعمل به ... ف (ملاحس البقر) إذاً مصدر مجموع معمل في المفعول به ؛ كما أن (مواعيد عرقوب أخاهِ بيثرب) كذلك . وهو غريب . وكان أبو علي - رحمه الله - يورد (مواعيد عرقوب) مورد الطريف المتعجب منه))^٢.

١- الكتاب/١/٤٣٦-٤٣٧.

٢- الخصائص/٢/٢٠٧-٢٠٨.

من المعروف أنّ المصدر يعمل عمل فعله إذا نَوَّنَ أو أَضِيفَ أو عُرِفَ بِـ (ال) ، وبذلك يأخذ فاعلاً ومفعولاً ، فنلاحظ أنّ كلمة (مواعيد) أضيفت إلى عرقوب فأخذت مفعولاً به هو (أخاه) ، والتقدير (وعد عرقوب أخاه) وأيضاً (ملاحس البقر) نصبت مفعولاً هو (أولاد).

قال سيبويه : ((هذا باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه ، وذلك قولك : عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِ زَيْدًا ، فمعناه أَنَّهُ يَضْرِبُ زَيْدًا . ونقول : عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِ زَيْدًا بَكْرًا ، وَمِنْ ضَرْبِ زَيْدٍ عَمْرًا ، إذا كان هو الفاعل ، كأنه قال : عَجِبْتُ مِنْ أَنَّهُ يَضْرِبُ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَيَضْرِبُ عَمْرًا زَيْدٌ ... فمما جاء من هذا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ((أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْئَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ)) ... وقال : (من الوافر)

بِضَرْبِ بِالسُّيُوفِ رُعُوسَ قَوْمٍ
أَزَلْنَا هَامَهُنَّ عَنِ الْمَقِيلِ

وإن شئت حذففت التنوين كما حذففت في الفاعل ، وكان المعنى على حاله ، إلا أنّك تجرُّ الذي يلي المصدر ، فاعلاً كان أو مفعولاً ؛ لأنّه اسمٌ قد كفت عنه التنوين ، كما فعلت ذلك بفاعلٍ ، ويصير المجرور بدلاً من التنوين معاقباً له . وذلك قولك : عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِهِ زَيْدًا ، إن كان فاعلاً ؛ ومن ضَرْبِهِ زَيْدٌ ، إن كان المضمراً مفعولاً^٢ .

إنّ جمع (موعد) و(مواعيد) و(موعد) هذا يخطر في بال أهل اللغة على أنه ظرف زمان أو ظرف مكان أي وقت الوعد أو مكان الوعد ؛ لأنّ المصدر من الفعل (وَعَدَ) (وَعَدًا) ، فكلمة (الموعد) عندما يوردها أبو علي ، يكون متعجباً من عملها ؛ عمل الفعل ؛ لأنّك إذا جعلتها اسم مكان أو اسم زمان فهي لاتعمل في الفاعل والمفعول به ، ولهذا ترجح أنّ تكون مصدرًا أضيف إلى فاعله (عرقوب) وأخذ مفعولاً به (أخاه) ، فيكون من مورد التعجب به ، عندما عمل هذا العمل وحسب على المصدر ولم يحسب على اسم الزمان أو المكان ؛ ولهذا جعل أبو علي يقف منه موقف المتعجب .

دلالة المصدر على فعله

قال ابن جني في باب : تجاذب المعاني والإعراب : ((وهذا موضع كان أبو علي - رحمه الله - يعتاده ، ويلم كثيراً به ، ويبعث على المراجعة له وإطاف النظر إليه . وذلك أنّك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين : هذا يدعوك إلى أمر ، وهذا يمنعك منه . فمتى اعتورا كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى ، وارتحت لتصحيح الإعراب . فمن ذلك قول الله تعالى : ((إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرِ))^٣ فمعنى هذا : إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرِ لِقَادِرٌ ، فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطأ ؛ لفصلك بين الظرف الذي هو (يوم تبلى) ، وبين ما هو معلق به من المصدر الذي هو الرجوع ، والظرف من صلته ، والفصل بين

١ - البلد/١٤-١٥ .

٢ - الكتاب/١٨٩/١-١٩٠ .

٣ - الطارق/٩، ٨ .

الصلة والموصول الاجنبي أمرٌ لايجوز . فإذا كان المعنى مقتضياً له والإعراب مانعاً منه ، احتلت له ، بأن تضرر ناصباً يتناول الظرف ، ويكون المصدر الملفوظ به دالاً على ذلك الفعل ، حتى كأنه قال فيما بعد : يرجعه يوم تبلى السرائر . ودلّ (رجعه) على (يرجعه) دلالة المصدر على فعله))^١ .

يبدو أنّ المصدر عندما يعمل عمل فعله تجد فيه دلالة على معنى الفعل ؛ لأنّ الأصل في العمل هو للفعل والمصدر ينوب عنه في العمل ؛ فلا يعمل عمل الا بدلالة المعنى .

هذا ظاهر كلام سيبويه الذي أشار إلى هذه الدلالة بقوله : ((وكذلك جميع ما ذكرنا إذا أعملت فيه المصدر فجرى مجراه في الفعل . ومن ذلك قولك : عَجِبْتُ مِنْ موافقةِ الناسِ أسودهم ، أحمرهم ، جرى على قولك : وافقَ الناسُ أسودهم أحمرهم . وتقول : سمعتُ وَقَعَ أنيابه بعضها فوق بعض ، جرى على قولك : وقعت أنيابه بعضها فوق بعض . وتقول : عَجِبْتُ مِنْ إيقاع أنيابه بعضها فوق بعض ، على حد قولك : أوقعت أنيابه بعضها فوق بعض))^٢ .

فضلاً عن هذا أنّ هناك تجاذباً بين المعاني والإعراب ؛ لأنّ المعنى له أثر في دلالة الإعراب وربما يغلبه ، ففي قوله تعالى ((إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ)) فتقدير النص من حيث المعنى (على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر) فمن حيث الإعراب أنّه غلط ؛ لأنّ هناك تفريق بين الصلة والموصول بخبر (إنّ) وهو (لقادر) ؛ لأنّ (يوم تبلى السرائر) هو من صلة (رجعه)؛ لأنّ الظرف متعلق بالمصدر (رجعه)^٣ وبذلك يمكن أن يقدر الفعل في مكان المصدر حتى يستقيم الكلام ولا يكون هناك فصل فتقول : ((يرجعه يوم تبلى السرائر) وبهذا كأنّ الجملة تحولت من الاسمية إلى الفعلية لكي يستقيم المعنى؛ لأنّ هناك تجاذباً بين المعنى والإعراب ، الذي غالباً ما يعتاده أبو علي ويلطف النظر فيه ؛ لأنّ هذا يدعوك لأمر وذاك يجذبك إلى غيره ويمنعك منه .

(لا مساس)

في قوله تعالى : ((لا مساس)) (طه/٩٧)

قال أبو الفتح : ((أما قراءة الجماعة : ((لا مساس)) فواضحة ، لأنه المماسّة : ماسستهُ مَسَّاساً كضاربتَه ضَرَاباً ، لكنّ في قراءة مَنْ قرأ : ((لا مساس)) نظراً ، وذلك أنّ (مساس) هذه كَنَزَالٍ وَدَرَاكِ وَحَدَارٍ ، وليس هذا الضربُ من الكلام - أعني ما سُمّي به الفعل - مما تدخل (لا) النافية للنكرة عليه ، نحو: (لا رجلَ عندك ، ولا غلامَ لك) فـ(لا) إذاً في قوله : ((لا مساس)) . نفي للفعل كقولك : لا أمسك ولا

١- الخصائص/٣/٢٥٥-٢٥٦ .

٢- الكتاب /١/١٥٤ .

٣- ينظر اعراب القرآن لابي جعفر النحاس/٣/٦٧٦ .

أقربُ منك. فكأنه حكاية قول القائل : مَسَّاسٍ كدَرَاكِ ونَزَالٍ، فقال : لامَسَّاسٍ، أي : لأقول : مَسَّاسٍ، وكان أبو علي ينعم التأمل لهذا الموضوع لما ذكرته لك^١.

الظاهر أنَّ (مَسَّاسٍ) معدولة عن المصدر، فهو كـ (بَدَادٍ) معدول عن المؤنث أو عن التبديد ، ولكنَّ هذا المؤنث لم يستعمل عند العرب فهو اسم مبني على الكسر (نَزَالٍ، وحَدَارٍ) قال سيبويه : ((قال الشاعر الجعدي : (من الكامل)

وذكرت من لبنِ المَحَلِّقِ شُرْبَةً والخيلُ تَعْدُو بالصَّعِيدِ بَدَادٍ فهذا بمنزلة قوله : تَعْدُو بَدَادًا ، إلا أنَّ هذا معدولٌ عن حده مؤنثاً . وكذلك عُدلت عليه (مَسَّاسٍ). والعرب تقول : أنتَ لامَسَّاسٍ ، ومعناه لا تَمَسَّنِي ولا أَمْسُكُ ودَعْنِي كَفَافٍ ، فهذا معدول عن مؤنث وإن كانوا لم يستعملوا في كلامهم ذلك المؤنث الذي عُدل عنه بَدَادٍ وأخواتها^٢.

أما الفراء فقد عدَّ (لامَسَّاسٍ) لغةً فاشيةً عند العرب، على الرغم من أنه ذهب إلى أن القراءة العامة هي (لامَسَّاسٍ) بفتح السين معناه لا أَمَسَّ ولا أَمَسُّ لأنَّ موسى أمرَ قومه أن لا يخالطوا السامري ولا يؤاكلوه^٣.

في حين عدَّها الزجاج اسماً مبنيًا على الكسر ، واستدرك ذلك وقال هي مؤنث فاختير الكسر لالتقاء الساكنين ، وذكر أنه من قرأ بالفتح (لامَسَّاسٍ) فهو اسم (لا) النافية للجنس مبني على الفتح في محل نصب. ومن قرأ لامَسَّاسٍ فهو مبني على الكسر. فقال : ((وبنيت (مَسَّاسٍ) على الكسر وأصلها الفتح لمكان الألف ، ولكنَّ (مَسَّاسٍ ودَرَاكِ) مؤنث ، فاختير الكسر لالتقاء الساكنين لأنك تقول في المؤنث فَعَلْتَ يا امرأة ، واعطيتك يا امرأة^٤)).

يتضح من هذه الآراء أنَّ النحاة واللغويين اختلفوا في أمر مَسَّاسٍ ، فمنهم من قال بالكسر ومنهم من قال بالفتح ومنهم من قال أنها مصدر معدول ومنهم من قال أنها مؤنث معدول ، فهذا الاختلاف جعل أبا علي يعيد التأمل في هذه المسألة ، لكثرة الآراء فيها.

التعجب

التعجب السماعي

قال ابن جني في ضوء قول المتنبي : (من الخفيف)

دَرَّ دَرُّ الصَّبَا أَيْامَ تَجْرِي... رِ ذِيوَلِي بِدَارِ الْإِثْلَةِ عُوْدِي....

((هذا مثل قولك : : لله درُّك، وحقيقته : (لله ما ظهرَ من فعلك) كذا حصلته عند أبي علي بعدَ (المباحثة))^٥.

^١ المحتسب/٥٦/٢

^٢ الكتاب/٢٧٥/٣

^٣ ينظر معاني القرآن للفراء/١٩٠/٢

^٤ معاني القرآن واعرابه للزجاج/٣٠٥/٣

^٥ - الفسر /٣٠٦/٢.

سبحان الله رجلاً، لله درك فارساً، يالك فارساً، لا كالعيشة زائراً، تالله رجلاً، تعبيرات للتعجب السماعي سمعت عن العرب، والدر: هو الخير والعطاء؛ لأنه حليب الناقة لما فيها من العطاء وكثرة الخير.

قال الخليل: ((لادر درّه أي: لاكثر خيره، والله درك، أي خيرك وفعالك))^١.

قال ابن منظور: ((قولهم: لله درك، يكون مدحاً ويكون ذمّاً، كقولهم: قاتله الله ما أكفره وما أشعره. وقالوا: لله درك أي لله عملك! يقال هذا لمن يمدح ويتعجب من عمله، فإذا ذمّ عمله قيل: لادر درّه أو قيل: لله درك من رجل! معناه الله خيرك وفعالك، وإذا شتموا قالوا: لادر درّه أي لاكثر خيره، وقيل: لله درك أي لله ما خرج منك من خير))^٢.

هذا التعجب جاء نتيجة أخذ المعنى اللغوي للدر أي كثرة اللبن ونقله إلى معنى التعجب مقترباً باسم لفظ الجلالة؛ لأنّ الخير منه، فضلاً عن أنّ القسم باسمه فيه معنى التعجب.

قال سيبويه: ((وقد تقول: تالله! وفيها معنى التعجب، وبعض العرب يقول في هذا المعنى: لله، فيجيء باللام، ولا تجيء إلا أن يكون فيها معنى التعجب))^٣. وقال المبرّد: ((ومن حروف القسم، إلا أنها تقع على معنى التعجب، اللام. وذلك قولك: لله ما رايت كاليوم قط))^٤.

قياساً على هذا أنّ (دردر الصبأ) فيه معنى التعجب، لدلالته على العطاء والخير الذي تندهش له النفس الإنسانية، فضلاً عن اقتراحه باسم الله؛ باستخدام اللام للقسم التعجبي، فتقول: لله درك أي عطاؤك وفعلك، ولا در درك، أي لا أعطي عطاؤك وخيرك، لكن الخير هو أولى؛ لأنّ العرب استخدمته في الخير، فتقول: (الله درك من فارس أو فارساً، والله درك حكيماً). وفي ضوء هذا يتضح أنّ المتنبّي استخدم هذا التعبير في باب التعجب من نفسه أيام الصبأ وهو يغدو ويروح بدار الأتلة قرب الكوفة، وهذا الاستخدام يماثل التعبير اللغوي، (لله درك) الذي فسره أبو علي بفعل الخير ونقله عنه ابن جني.

التعجب القياسي:

التقدير في (أكرم يزيد)

قال أبو علي: ((... فمعنى (أكرم به: ما أكرمته)... والباء وما عملت فيه في قولك: ((أكرم به)) في موضع رفع؛ لأنها مع ما عملت فيه الفاعل، كما تقول ((كفى بالله)) أي كفى الله. وقال أيضاً: فكأنه قال: ((أكرم زيد)) أي صار ذا كرم؛ كما تقول: ((أجرب زيد))

١ - العين/٦/٨.

٢ - لسان العرب/مادة/درر.

٣ - الكتاب/٣/٤٩٧.

٤ - المقتضب/٢/٣٢٤.

أي صار ذا إبل جربي و(انحز) أي صار ذا إبل فيها نحاز. و(ألهج) أي صار ذا فصال قد لهجت في الرضاع))^١.

إنَّ الصيغتين القياسيتين للتعجب (ما أَفْعَلَهُ وَأَفْعَلُ بِهِ!) هما في معنى واحد؛ لِأَنَّكَ في قولك: ما أحسن زيدًا وأحسن بزيد، هما بمنزلة شيءٍ أحسن زيدًا، وكذلك زيدٌ حسنٌ أو هو ذو حسن. هذا ما أشار إليه سيبويه. بقوله: ((وما لم يكن فيه ما أَفْعَلَهُ لم يكن فيه أَفْعَلُ بِهِ رَجُلًا، ولا هو أَفْعَلُ منه، لِأَنَّكَ تريد أن ترفعه من غايةٍ دونه، كما أَنَّكَ إذا قلت ما أَفْعَلَهُ فَأنت تريد أن ترفعه عن الغاية الدنيا. والمعنى في أَفْعَلُ بِهِ وما أَفْعَلَهُ واحد، وكذلك أَفْعَلُ منه))^٢.

إنَّ الفعل (أكرم) صيغته الأمر ولكنّه جاء للإخبار والباء وما بعدها في محل رفع فاعل للفعل أكرم، كأنّه قال: ((زيد كريم))، أو زيد ذو كرم.

قال أبو علي: ((والضربُ الآخرُ من لَفْظِيّ التَّعَجُّبِ نحو: أكرم بزيد، وأعلم به وأطيب به. فاللفظ في هذا لفظُ الأمر، والمعنى معنى الإخبار، المعنى صار زيدٌ ذا علمٍ وذا كرم، والجارُّ مع المجرور في موضعِ رفعٍ بأنّه فاعلٌ. كما أنّهما كذلك في قولهم. كفى بالله. وما جاعني من رجل))^٣.

فالباء في أكرم بزيد زائدةٌ للتوكيد كما أنّ الباء في (كفى بالله) زائدةٌ أي كفى الله وكذلك (من) زائدةٌ لتوكيد النفي في (من رجل) التقدير (ما جاعني رجل).

الصفة (النعته)

نعت النكرات بالجمل

قال ابن جني: ((وكان أبو علي يعتذر من إجازتهم (مررت برجلٍ قائمٍ أبوه)، ويقول: ((إنّما ذلك؛ لأنّ الجملة نكرة كما أنّ المفرد هنا لو وقع لم يكن إلا نكرة؛ لأنّ موصوفه نكرة))^٤.

إذ: الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال.

قال ابن عقيل: ((تقع الجملة نعتاً كما تقع خبراً وحالاً، وهي مؤوَّلةٌ بالنكرة، ولذلك لا يُنعت بها إلا النكرة، نحو: (مررتُ برجلٍ قام أبوه) أو (أبوه قائم) ولا تنعت بها المعرفة))^٥.

(فقائم أبوه) جملة اسمية في محل جر صفة لـ (رجل)؛ لأنّ رجلاً نكرة، فالجملة هنا نكرة وتعرب صفة لأنّ النعت تابع للمنعوت فلو وقع في مكان الجملة مفردٌ لكان نكرة نحو مررت برجلٍ شجاع.

١- المنصف ٣١٨/١.

٢- الكتاب ٩٧/٤.

٣- المقتصد في شرح الإيضاح ٣٧٦/١. وينظر المسائل البغداديات ١٦٥.

٤- المحتسب ٣٦٣/١.

٥- شرح ابن عقيل ١٩٥/٣.

قال الشيخ أبو علي: ((والنكرات تُوصفُ بالجُمْلِ التي ذَكَرْتُ أَنَّهَا تَكُونُ أَخْبَارًا لِلْمَبْتَدَأِ وتكونُ صلَةً لِلذِي. فمن ذلك قولُهُ عزَّ وجل: ((وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ)) فقوله (أنزلناه) جملةٌ من فعلٍ وفاعلٍ وهي صفةُ الكتابِ وموضعها رفعٌ ، يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَهَا رَفْعٌ ، رَفَعُ مُبَارَكٍ بَعْدَهَا ، فَلَوْ ظَهَرَ فِي أَنْزَلْنَا إِعْرَابٌ كَمَا ظَهَرَ فِي الْمَفْرَدِ كَانَ رَفْعًا))^١.

وقال الشيخ الإمام أبو بكر الجرجاني : ((أعلم أنَّ الجملَ نكراتٌ كُلُّهَا فتوصفُ بكلِّ واحدةٍ منها الأسماءُ النكراتُ. وهي أربعٌ.. فالأولى الجملة من المبتدأ والخبر نحو.. (مررتُ برجلٍ أبوهُ خارجٌ) فـ(أبوهُ خارجٌ) في موضعٍ جرٍّ بِإِثْنِهَا صِفَةٌ لِرَجُلٍ وَالثَّانِيَةُ: الْجُمْلَةُ مِنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ كَقَوْلِكَ: (مررتُ برجلٍ قامَ غلامُهُ) ، وَالثَّالِثَةُ: الظرفُ كَقَوْلِكَ: مررتُ برجلٍ في الدَّارِ. والرابعة: الشرطُ والجزاءُ كَقَوْلِكَ: مررتُ برجلٍ أَنْ تُكْرِمَنِي يُكْرِمَكَ، ومررتُ برجلٍ أَنْ تُعْطِيَهِ يَشْكُرَكَ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْصُوفِ))^٢.

يفهم من قول أبي علي وأبي بكر عبد القاهر الجرجاني أنَّ النكرات توصفُ بالجملة ، وتعرب في ضوء محل موصوفها رفعًا أو نصبًا أو جرًّا كما مُثِّلَ ويكون فيها ضمير عائد على الموصوف، فإذا لم يكن فالجملة أجنبية من الموصوف ، فضلًا عن ذلك أنَّ محل إعراب الجملة يظهر عندما يكرر، النعت المفرد. كما في قوله تعالى(مبارك)، فرفعه دلالة على أنَّ الجملة (أنزلناه) في محل رفع ؛ لأنَّ الموصوف مرفوع .

النعت جملة استفهامية

قال ابن جني: قول الراجز أنشدنيهِ أبو علي (من الرجز)

ما زلتُ أسعى معهم وأختبِطُ حتى إذا جاءَ الظلامُ المختلطُ

جاءوا بضحٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطُّ))^٣.

إنَّ الجملةَ الطليبيةَ يمتنع وقوعها نعتًا ، فإنَّ جاءت ما ظاهرها جملة استفهامية طليبية فتخرج على إضمار القول، الذي يكون صفةً ، والجملة الاستفهامية الطليبية معمول لذلك القول المضمرة .^٤ أي أنَّ جملة (هل رأيتَ الذئبَ قَطُّ) في محل نصب مفعول به لقول محذوف يقع صفه لمذوق ضيح .

١- المقتصد في شرح الإيضاح/٢/٩١٠.

٢- المصدر نفسه/٢/٩١١.

جاءوا بضحٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطُّ

٣- الفسر/١/٦٣ ورواية الأصمعي : حتى إذا جن الظلام واختلط

وينظر شرح المفصل ابن يعيش ٣/٥٣ وشرح ابن عقيل ٣/١٩٩

٤- ينظر شرح ابن عقيل /٣/١٩٩.

ومعنى المذق أو، الضيغ : اللبن الممزوج بالماء، فيقال ضيحت اللبن أي مزجته والمذق مثله، ووصف بالجملة الاستفهامية على الحكاية ، كأنه قال جاءوا بمذق مقول فيه ذلك شبه لونه بلون الذئب لورقته ؛ لأنّ الورقة لون كلون الرماد ،^١ أو يقال عنده : هل رأيت الذئب قط لما فيه من الغبرة والكدره .^٢

وفي ضوء هذا يتضح رأي ابن جني وشيخه أبي علي، أن جملة الاستفهام في موضع وصف لاسم نكرة ؛ لأنّ الاستفهام في أصل وضعه لا يكون صفة فهو في موضع الوصف ثم قدر ، لكنّ في تقديره يظهر إرادة المشابهة والصحيح إرادة إثارة المتلقي للبيت تصور اللون عن طريق جملة الاستفهام. وهذا الاستخدام وارد في العربية، فقد تقول لصاحبك: (أكلت فاكهة هل ذقت التمر) أي حلاوتها كحلاوة التمر، وتقول: (أشترت مسبحةً لعلّ رأيت حبّ الرمان) أي لونها أحمر يشبه لون حبّ الرمان ، أي مثل . فالنعت هنا محذوف هو مثل واستغنى بالجملة ؛ لأنّ القصد معلوم عند المتلقي ، وإجمالاً يجوز الوصف بالجملة الإنشائية (الإستفهامية) التي يراد بها التشبيه قياسياً على هذا التأويل واستناداً إلى الاستخدام والتداول .^٣

الفصل بين الموصوف والصفة

قال ابن جني: ((ما أنشدناه أبو علي من قول الآخر: (من الطويل)

أمرت من الكتان خيطاً وأرسلت
رسولاً إلى أخرى جرياً يعينها

ففصل بين قوله: (رسولاً) وبين صفته التي هي (جرياً) بقوله: إلى أخرى ، وهو معمول أرسلت. على هذا حمله أبو علي وإن كان يجوز أن يكون صفة لـ(رسول) متعلقه بمحذوف، وأن يكون أيضاً متعلقاً بنفس (رسول) .^٤

يبدو أنّ الفصل بين الموصوف وصفته جائز عند العرب ولاسيما في شعرهم . حتى أنّ القرآن الكريم استخدم هذا الأسلوب في نحو قوله تعالى: (ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ)^٥ فالتقدير، ذلك حشر علينا ففصل بين الموصوف (حشر) وبين صفته (يسير) بالجار والمجرور (علينا) ، ويجوز هذا الفصل أن يكون بما ليس معمولاً لواحد منهما فالبيت الشعري الذي ذكره ابن جني وأنشده له أبو علي، قد تم فيه الفصل بين الموصوف (رسول) وبين صفته (جرياً) بالجار والمجرور (إلى أخرى) الذي ليس معمولاً للموصوف ولا لصفته ، ويجوز أيضاً أن يكون هذا الفصل بين الموصوف وصفته في معمول أحدهما كقول الشاعر: (من الطويل)

أقول لقوم في الكنيف تروحووا
عشيةً بتنا عند ماوان رزح

١- ينظر شرح المفصل ابن يعيش ٣/٥٥٣ .

٢- المقتصد في شرح الإيضاح/٢/٩١٢ .

٣- ينظر معاني النحو/٣/ ١٨٦-١٨٧ .

٤ - المحتسب/٢/٢٥٠-٢٥١ .

٥ - ق/٤٤ .

٦ - ينظر ضرائر الشعر لابن عصفور/٢٠٤-٢٠٥ .

قال ابن عصفور في ضوء هذا البيت: ((يريد: أقول لقوم رزح في الكنيف تروحوا عشية بتنا عند ماوإن . فإن كان الفصل بينهما بمعمول أحدهما جاز في الكلام والشعر، نحو قوله تعالى: ((ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ)). التقدير: ذلك حشر يسير علينا ، ففصل بين (حشر) وصفته — (علينا) ؛ لأنه معمول للصفة)).^١

قد ذكر ابن جني غير هذا من الفصل في الشعر العربي ، نحو قول لبيد: (من الرمل)
فَصَلَقْنَا فِي مُرَادٍ صَلَقَةً وَصُدَاءُ الْحَقْتُهُمْ بِالثَّلَلِ
فقال في فصله: ((وفيه أيضاً فصل بين الموصوف الذي هو (صلة) والصفة التي هي قوله: ((الحقتهم بالثلل))، بالمعطوف الذي هو قوله: (وصداء)، والموصوف مع ذلك نكرة ، وما أقوى حاجتها إلى الصفة)).^٢
الظاهر أن هذا الفصل بين الموصوف وصفته جائز حتى لو كان هذا الموصوف نكرة ؛ ومدى احتياجها إلى الصفة ، فلا يعيق اتباع تلك الصفة إلى موصوفها وما تضيفه تلك الصفة على الموصوف من تعريف للتكثير .

(عطف النسق)

ما يجوز لـ (واو) العطف ربّما لا يجوز للفاء

قال ابن جني : ((فإن قيل : ألسنت تجيز : قام زيد وأخوك محمد ، فتعطف إحدى الجملتين على الأخرى و إن اختلفتا بالتركيب ، فهلاً أجزت أيضاً مثل هذا في : خرجت فإذا زيد؟ فالجواب أنه قد يجوز مع الواو ، لقوتها وتصرفها ، مالا يجوز مع الفاء من الاتساع ، ألا ترى أنك لو قلت : قام محمد فعمرو جالس ، وأنت تعطف على حدّ ما تعطف بالواو ، لم يكن للفاء هنا مدخل ؛ لأنّ الثاني ليس متعلقاً بالأول ، وحكم الفاء إذا كانت عاطفة ، ألا تتجرّد من معنى الإتيان والتعليق بالأول وهذا جواب أبي علي وهو الصواب)).^٣

معنى كلام أبي علي أنّ الواو أكثر اتساعاً في الاستخدام اللغوي لأنها أمّ باب العطف وجاز الإتيان فيها لقوتها وتصرفها ، فيجوز : (خرجت وإذا زيد) ؛ لأنّ الواو تختلف في المعنى عن الفاء في العطف فهي تفيد المصاحبة ولمطلق الجمع في حين أنّ الفاء تفيد الترتيب ولهذا لا تكون عاطفة بل زائدة في قوله: (خرجت فإذا زيد) . قال سيبويه : ((ومما يدلُّك أيضاً على أنّ الفاء ليست كالواو قولك (مررتُ بزید وعمرو) تريد أن تُعلم بالفاء أنّ الآخر مرَّ به بعد الأول . وتقول لا تأكل السمك وتشرب اللبن فلو ادخلت الفاء هاهنا فسد المعنى)).^٤

^١ - ضرائر الشعر لابن عصفور ٢٠٥/

^٢ - المحتسب ٢٥٠/٢.

^٣ سر صناعة الاعراب ٢٦٣/١-٢٦٤.

^٤ - الكتاب ٤٢/٣.

وأنَّ الفاء اتساعها في الاستعمال أقلُّ من الواو ولهذا عدت عند أبي علي الفارسي زائدة في (خرجت فإذا زيد) ولا تعدُّ رابطةً ؛ لأنَّ استخدامها ضعيف ولا سيما في الجمل التي تكون الثانية منها غير متعلقة في الأولى كما في قولك : (قام محمد فعمرو جالس) فضلاً عن أنَّ اجتماعها مع (إذا) قبيح ، قال سيبويه : ((وزعم الخليل أنَّ إدخال الفاء على إذا قبيحٌ))^١.

وفي ضوء هذا اتضح صحة جواب أبي علي في زيادة الفاء نحو (خرجت فإذا زيد) .

قال ابن هشام : ((الفاء في نحو ((خرجت فإذا الأسد)) زائدة عند الفارسي والمازني وجماعة))^٢. أما ابن جنى فقد تابع المازني والفرسي في زيادتها مع لزومها لعدم سوغ حذفها كما أنَّ الألف واللام في (الذي والتي) زائدتان ولكن لا يمكن حذفهما ، فيدل ذلك أنَّ من الزوائد ما يلزم البقاء في الكلام على الرغم من زيادته . هذا ظاهر قوله : ((إنَّ الفاء وإن كانت هنا زائدة فإنها لازمة لا يسوغ حذفها ، وذلك أنَّ من الزوائد ما يلزم البتة ، وذلك قولهم : (أفعله آثراً ما) أي : أول شيء فـ(ما) زيادة لا يجوز حذفها ، ... وكذلك الألف واللام في الذي والتي وتثنيتهما وجمعهما ، و(الألى) في معنى (الذين) زائدة أيضاً ، وإمّا هن مُنْعرفات بصلاتهنَّ ، والألف واللام فيهن زائدتان لا يمكن حذفهما ، فربَّ زائد يلزم ، فلا يجوز حذفه وكذلك أيضاً قولنا : خرجت فإذا زيد ، الفاء فيه زائدة أيضاً))^٣.

حذف الواو العاطفة

قال ابن جنى : ((حدَّثنا أبو علي ، قال : حكى أبو عثمان : أكلت لحماً سمكاً ، تمرأ . يريد : لحماً ، وسمكاً ، وتمرأ ، وقال : (من الرجز) مَالِي لَا أَبْكِي عَلَى عَلَاتِي صِبَائِحِي غِبَائِقِي قَبِيلَاتِي أراد : وغبائقي ، وقيلاتي . فحذف حرف العطف))^٤.

يُعدُّ هذا الحذف من باب الشذوذ ، وما نقله أبو علي عن أبي عثمان المازني هو حكاية أبي زيد وهذا مثل ما أنشده أبو الحسن الأخفش، وما نقله محمد بن يزيد المبرد النحوي عن المازني وعن أبي زيد، قول الشاعر: (من الخفيف)

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أَمْسَيْتَ مِمَّا يَثْبُتُ الْوُدَّ فِي فَوَادِ الْكَرِيمِ

أي: كيف أصبحت ، وكيف أمسيت ، فحذف الواو للضرورة .^٥

وباب هذا الحذف في الشعر كما ذكر ابن هشام ولا يعدُّ الإسلوب حذفاً لحرف الواو وإنما يُعدُّ بدلَ الاضراب أو على اضمار أو .

قال ابن هشام: ((حذف حرف العطف ، بابيه الشعر ، كقول الحطيئة: (من البسيط)

^١ الكتاب/٣/ ٦٤

^٢ مغني اللبيب / ٢٢١

^٣ سر صناعة الاعراب/١/ ٢٦١-٢٦٢

^٤ المصدر نفسه / ٢/ ٦٣٥

^٥ ينظر الخصائص/١/ ٢٩٠-٢٩١ (بزرع)مكان (يُثبت)وينظر ديوان المعاني/٢/ ٢٢٥

إِنَّ امراً رهطه بالشام ، منزله برمل يبرين جاراً شذ ما اغترباً أي ومنزله برمل يبرين ، كذا قالوا، ولك أن تقول : الجملة الثانية صفة ثانية لا معطوفة . وحكى أبو زيد ((أكلتُ خبزاً لحمًا تمرًا)) فقيل : على حذف الواو وقيل : على بدل الاضراب. وحكى أبو الحسن ((أعطه درهماً درهماً ثلاثة)) وخرج على إضمار أو ، ويحتمل البديل المذكور)).^١

وقد رأى ابن جني ضعف هذا الحذف وعده من باب الشذوذ ؛ لأنَّ حرف العطف يكون عوضاً عن العامل ، فحذفه كأنه حذف العامل عن الجملة ، وهذا يجعل خللاً في التركيب وضعفاً في القياس ، فقال : ((هذا عندنا ضعيف في القياس ، معدوم في الاستعمال ، ووجه ضعفه أنَّ حرف العطف فيه ضرب من الاختصار ، وذلك أنه قد أقيم مقام العامل ، ألا ترى أنَّ قولك ، قام زيدٌ وعمروٌ أصله : قام زيدٌ وعمرو ، فحذفت (قام) الثانية وبقيت الواو كأنها عوض منها ، فإذا ذهبت تحذف الواو الثانية عن الفعل تجاوزت حدَّ الاختصار إلى مذهب الانتهاك والإجحاف ، فلذلك رفض ذلك ... وشيء آخر ، وهو أنك لو حذفت حرف العطف لتجاوزت قُبْحَ الإجحاف إلى كلفة الإشكال ، وذلك أنك لو حذفت الواو في نحو قولك : ضربتُ زيداً وأبا عمرو ، فقلت : ضربتُ زيداً أبا عمرو ، لأوهمت أن زيداً هو أبو عمرو ، ولم نعلم من هذا أنَّ (زيداً) غير (أبي عمرو) فلما اجتمع إلى الإجحاف الإشكالُ قُبِحَ الحذف جداً)).^٢

أقول : لا يجوز حذف حرف العطف (الواو) إنَّ وجد الإشكالُ والإجحافُ وإنَّ لم يكن هناك إشكالٌ فلا بأس من الحذف للتخفيف أو للضرورة ، كما حكى عن أبي زيد ((أكلتُ لحمًا ، سمكًا ، تمرًا)) فالحذف هنا لا يولد الإشكال ، فلا بأس به . أو نحو رواية أبي علي عن أبي عثمان : (بحائي ، غبائقي ، قيلاتي) فالواو كأنها مقولة هنا وإنَّ لم تذكر ، وإلا فيتحول التركيب النحوي من العطف إلى البديل .

عطف الجملة على المصدر المؤول مع تقدير اللام

قال ابن جني : ((وقد جاء ذلك في التنزيل ، قال الله عزَّ اسمه : ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ))^٣ ألا ترى أنَّ معناه ، ولأنَّ هذه أمتكم أمةً واحدة ولأني ربُّكم فاعبدون ، فعطف الجملة من المبتدأ والخبر على أنَّ وفيها معنى اللام ، وهذا يزيل معنى الإبتداء عنده ويصرف الكلام إلى معنى المصدر ، أي ولكوني ربُّكم فاعبدون . ونحوه قوله أيضاً تعالى : ((ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ))^٤ أي فتستووا. قال أبو علي : فأوقع الجملة المركبة من المبتدأ والخبر موقع الفعل المنصوب بأنَّ ، والفعل إذا انتصب انصرف القول به والرأي فيه إلى مذهب المصدر ، ومعلوم أنَّ المصدر أحد الآحاد ، ولا نسبةً بينه وبين الجملة ، وقد ترى الجملة التي هي قوله : ((وأنا ربُّكم)) ، معطوفةً على أنَّ المفتوحة وعبرتها عبرة المفرد ، من حيث كانت مصدرًا ، والمصدر أحد الاسماء المفردة)).^٥

^١ مغنى اللبيب/ ٨٣١

^٢ سر صناعة الاعراب/ ٢/ ٦٣٥-٦٣٦

^٣ الانبياء/ ٩٢/ فاتقون/ المؤمنون/ ٥٢ ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ))

^٤ الروم/ ٢٨

^٥ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/ ١٠٤-١٠٥

النص القرآني ورد في سورة الأنبياء الآية/٩٢ ((إِنَّ فاعبدون بكسر همزة إنَّ ومن دون واو قبلها ، أمّا في سورة المؤمنون فقد ورد بالواو (وَأَنَّ) وفتح همزة أنَّ ثم فاتقون))، والمطلوب من النص هو فتح همزة (أَنَّ)، لأنَّ في فتحها وتقدير اللام (لأنَّ) يصبح مصدراً مؤولاً من (أَنَّ) ومعمولياً منزلته (أَنَّ والفعل) والمصدر مفرد لكنه عطف الجملة عليه (وأنا ربُّكم). هذا ما أثاره أبو علي مستنداً إلى رأي الخليل وسيبويه في حذف اللام عندما تكون أن مفتوحة الهمزة مشددة النون وهي مع الفعل بتقدير مصدر أي مفرد وجاز عطف الجملة عليه.

قال سيبويه : ((هذا باب آخر من أبواب أن تقول: جئتكَ أنك تريد المعروف ، إنما أراد جئتكَ لأنَّك تريد المعروف ، ولكنَّك حذف اللام ها هنا كما تحذفها من المصدر إذا قلت: (من الطويل)

وَأَعْرِضْ عَن ذَنبِ اللَّيْمِ تَكْرُمًا
 وَأَغْفِرْ عَوْرَاءَ الْكِرِيمِ ادِّخَارَهُ
 أي: لادِّخاره . وسألت الخليل عن قوله عز وجل ذكره : ((وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ)) فقال : إنما هو على حذف اللام ، كأنه قال : ولأنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ))^١.

وعلق أبو علي على رأي الخليل وسيبويه وعده محمولاً على الجار بقوله : ((مَنْ قرأ (وَأَنَّ هَذِهِ) كان المعنى في قول الخليل وسيبويه أنه محمول على الجار ، التقدير: ولأنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ، أي اعبدوني لهذا. ومثل ذلك عندهم قوله عز وجل: ((وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)) (الجن: ١٨) المعنى : ولأنَّ المساجد لله))^٢.

في ضوء رأي الخليل وسيبويه وتابعهما أبو علي ، يفهم أنَّ (وَأَنَّ هَذِهِ) مفتوحة الهمزة تقدر بـ(لأنَّ) وتكون الجملة بعدها بتقدير المفرد لأنها مصدر يتكون من (أَنَّ) ومعمولياً، ولكنَّ هذا المصدر عطف عليه جملة وهي قوله : ((وَأَنَا رَبُّكُمْ))، وهذا جائز لأنه ورد في القرآن الكريم، ويخيل لي أنَّ الذي سوَّغ هذا العطف هو أنَّ المصدر (وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) لأنه في الأصل كان جملة ، ولكنَّ أصبحت تلك الجملة مصدراً في محل جر في تقدير (لأنَّ) ، فالعطف كان على الأصل ، ولأنَّ فيها قراءة بالكسر (إنَّ هَذِهِ) وهذه القراءة جيدة في نظر سيبويه ، فهي جملة أصلاً ويمكن عطف جملة على جملة .

قال ابن مجاهد : ((واختلفوا في فتح الألف وكسرها في قوله: ((وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ)) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : (وَأَنَّ هَذِهِ) بفتح الألف وتشديد النون). وقرأ ابن عامر : (وَأَنَّ) بفتح الألف أيضاً وتخفيف النون . وقرأ عاصم وحمزة والكسائي : (وَأَنَّ هَذِهِ) بكسر الألف وتشديد النون))^٣.

فقراءة الكسر هي التي تدل على أنَّ (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ) هي جملة ، فيمكن عطف جملة عليها هي (وَأَنَا رَبُّكُمْ). وهي الأرجح ، لأنَّ الرسم القرآني جاء بها.

^١ الكتاب/٣/١٢٦-١٢٧

^٢ الحجة للقرآن السبعة/٣/١٨٣

^٣ السبعة في القراءات/٤٤٦

البدل

إبدال (إذ) من (اليوم) في قوله تعالى:

((وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ)) الزخرف/ ٣٩

قال ابن جنّي: ((ذلك أن تجعل (إذ) بدلاً من قوله (اليوم)، وإلا بقيت بلا نصب. وجاز إبدال (إذ) - وهو ماضٍ في الدنيا - من قوله: (اليوم) وهو حينئذ حاضر في الآخرة، لما كان عدم الانتفاع بالاشتراك في العذاب إنما هو مسبب عن الظلم، وكانت أيضاً الآخرة تلي الدنيا بلا وقفة ولا فصل، صار الوقتان على تباينهما وتنايهما كالوقتتين المقترنين، الدائنين المتلاصقين، نحو أحسنت إليه إذ شكرني، وأعطيته حين سألني. وهذا أمر استقرّ بيني وبين أبي عليّ - رحمه الله - مع المباحثة)).^١

يفهم من هذا أن العامل في (إذ) عند ابن جنّي وأبي عليّ وقوعها بدلاً من قوله تعالى (اليوم) فالنصب لـ (إذ) بسبب البدليه ولا تكون ظرفاً لـ (ينفع) ولا بما بعدها لعدم جواز التقديم، فضلاً عن هذا أن التنافي والتباين في المعنى كان سبباً في البحث عن جامع بينهما، لأنّ (إذ) وقت في الدنيا و(اليوم) وقت في الآخرة، وعلى الرغم من أن الوقتين غير متدائنين، لكنهما في حكم المتلاصقين غير أن الاحسن من البدلية أن (إذ) للتعليل؛ لاختلاف الزمانين.

قال ابن هشام: ((لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب، لأجل ظلمكم في الدنيا، وهل هذه حرف بمنزلة لام العلة أو ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ، فإنه إذا قيل: ضَرَبْتُهُ إِذْ أَسَاءَ، وأريد بـ (إذ) الوقت اقتضى ظاهر الحال أن الإساءة سبب الضرب؟ قولان، وإنما يرتفع السؤال على القول الأول، فإنه لو قيل: ((لن ينفعكم اليوم وقت ظلمكم الاشتراك في العذاب)) لم يكن التعليل مستفاداً، لاختلاف زمني الفعلين، ويبقى إشكال في الآية، وهو أن (إذ) لا تبدل من اليوم لاختلاف الزمانين، ولا تكون ظرفاً لينفع؛ لأنه لا يعمل في ظرفين، ولا لـ (مشاركون)؛ لأنّ معمول خبر الأحرف الخمسة لا يتقدم عليها؛ ولأنّ معمول الصلة لا يتقدم على الموصول؛ ولأنّ اشتراكهم في الآخرة لا في زمن ظلمهم)).^٢

وفي ضوء هذا يتضح أن أبا الفتح يراجع أبا عليّ في هذا البدل مراراً، وأبو عليّ مستشكل هذا الإبدال، وتوصلوا إلى أن الدنيا والآخرة متصلتان وهما في حكم الله تعالى سواء فكان اليوم ماضٍ و(إذ) مستقبلة كأنها.^٣

وقيل إنّ (إذ) بدل من (اليوم)، في ضوء أن ثبت ظلمهم وهذا محمول على المعنى، لأنّ ثبوت ظلمهم عندهم يكون يوم القيامة، فكانه قال: ولن ينفعكم اليوم إذا صحَّ ظلمكم عندهم.^٤

^١ الخصائص/٣/٢٢٤

^٢ مغنى اللبيب/١١٣-١١٤

^٣ ينظر المصدر نفسه/١١٤-١١٥

^٤ ينظر الكشاف/٣/٤٨٩ وينظر املاء مامن به الرحمن/٢/٢٢٨

ومهما يكن من الأمر فإنَّ إعراب (إذ) بدلاً من (اليوم) فيه اشكال عند التلميذ وشيخه أبي علي ، على الرغم من وجود سبب يجمع بين الوقتين وهو التداي ، في حين أن الحمل على المعنى عند اثبات الظلم يسوغ البدلية بينهما.

قال الزمخشري : ((فإن قلت : ما معنى قوله تعالى -إذ ظلمتم-؟ قلت: معناه إذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهه في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة ، و(إذ) بدل من (اليوم) ونظيره: (من الطويل)

إذ ما انتسبنا لم تلدني لئيمة

أي تبين أني ولدٌ كريمة^١.

أسماء الأفعال

هيهات: اسم فعل أو ظرف

قال ابن جني : ((كان أبو علي -رحمه الله- يقول في هيهات : أنا أفتى مرة بكونها اسماً سمى به الفعل ، كصه ومه ، وأفتى مرة أخرى بكونها ظرفاً ، على قدر ما يحضرنى في الحال. وقال مرة أخرى: إنها وإن كانت ظرفاً فغير ممتنع أن تكون مع ذلك اسماً سمى به الفعل، كعندك ودونك^٢)).
الظاهر أن أبا علي تأثر بمن سبقه في جعل (هيهات) ظرفاً أو اسم فعل ؛ لأنها عند الخليل وسيبويه اسم فعل مثل صه.

قال سيبويه : ((وزعم الخليل : إن الذين قالوا : صه ذاك أرادوا النكرة ، كأنهم قالوا: سَكوتاً. وكذلك هيهات، هو بمنزلة ما ذكرنا عنده، وهو صوت^٣)).

في حين نرى المبرد يذهب إلى أنها ظرف في تأويل البعد ، بقوله: ((وأما (هيهات) فتأويلها : في البعد ، وهي ظرف غير متمكن ، لإبهامها ، ولأنها بمنزلة الأصوات^٤)).

أما الفرّاء فكان يعدها اسم فعل بمنزلة دراك ونظار؛ لأن تاءها ليست تاء التأنيث ؛ لأن بعض العرب يخفض تلك التاء فيقول (هيهات) كما يقول في دراك ونظار، لأنها اسم فعل^٥.

ومهما يكن من الأمر فإنَّ (هيهات) هي اسم فعل ، لأنها بمعنى بعد. فقولك (هيهات زيد) أي بعد زيد وقوله تعالى : ((هيهات هيهات لما تُوعَدُونَ))^٦ أي بعيد. وقول الشاعر جرير: ^٧ (من الطويل)

^١ الكشاف/٤٨٩/٣

^٢ الخصائص/٢٠٦/١

^٣ الكتاب/٣٠٢/٣

^٤ المقتضب/١٨٢/٣

^٥ ينظر معاني القرآن/٢٣٥-٢٣٦

^٦ المؤمنون/٣٩

^٧ الديوان/٣٨٥ (أيهات أيهات ... وأيهات)

فهيئات هيهات العقيق وَمَنْ بِهِ وهيئات خُل بالعقيق نواصله
إن (هيهات) اسم فعل، لأنه بمعنى بَعْد العقيق، والاسم الذي بعدها مرفوع على حد ارتفاع الفاعل
بفعله.^١

تركيب (هَلْم)

قال ابن جني : ((وقال الفراء: أصلها (هل) زَجْرٌ وَحْتٌ، دخلت على أم، كأنها كانت (هل أم) أي
اعجل وأقصد ، وأنكر أبو علي عليه ذلك ، وقال: لا مدخل هنا للاستفهام)).^٢
الظاهر أن أبا علي لما اتكر على الفراء رأيه، قد مال إلى رأي الخليل وسيبويه ؛ لأن في تركيبهم
لـ(هلم) لا وجود لـ(هل) الاستفهامية ولا مدخل للاستفهام.

قال سيبويه: ((وأما (هلم) فزعم -يعني الخليل - أنها حكاية في اللغتين جميعاً ، كأنها (لم) أدخلت
عليها (الهاء) ، كما أدخلت (ها) على (ذا) ، لأنني لم أرَ فعلاً قطُّ بُني على (ذا) ولا اسماً ولا شيئاً
يوضَع موضع الفعل وليس من الفعل)).^٣

ويضيف ابن جني إلى رأي الخليل شرحاً مفصلاً عن تركيبها ومراحله الاستعمالية وما حدث فيها
من حذف ، وتخفيف، وتركيب، وذلك بقوله: ((وأصلها عنده (ها) للتنبيه، ثم قال : ((لم)) أي لم بنا ، ثم
كثر استعمالها فحذفت الألف تخفيفاً ؛ ولأن اللام بعدها وإن كانت متحركة فإنها في حكم السكون ، ألا
تري أن الأصل وأقوى اللغتين -وهي الحجازية- أن تقول فيها : ألمم بنا (فلما كانت لام (هلم) في
تقدير السكون حذف لها ألف (ها) ، كما تحذف لالتقاء الساكنين، فصارت (هلم)).^٤

أما السيرافي فقد مال إلى رأي الفراء وعده الرأي القريب إلى معنى (هلم) والمقصود به
التحضيض، فقال: ((وغير سيبويه من النحويين يقول : إن أصله هل ، زادوا عليه (أم) التي في
معنى أقصد ، وحذفوا الهمزة لما جعلوها كشيء واحد، وضموا اللام وألقوا عليها حركة الهمزة إذ
ابتدئ بها . وهذا قول قريب، وقد رأينا (هل) قد دخلت عليها (لا) فجعلنا في معنى التحضيض ،
كقولهم: هلا فعلت ذلك: وهلم أمرٌ مثل التحضيض)).^٥

فضلاً عن هذا أن ابن جني يحتج للفراء راداً على أبي علي مسوغاً أن (هل) ليست استفهام، بل
أنها زجر وحث، بقوله: ((وهذا عندي لايلزم الفراء ، لأنه لم يدع أن (هل) هنا حرف استفهام ، وإنما
هي عنده زجرٌ وحثٌ وهي التي في قوله: (من الرمل)

ولقد يسمعُ قولي حيَّهْل

قال الفراء : فألزم الهمزة في (أم) التخفيف، فقيل: (هلم)).^٦

^١ ينظر الخصائص/٣/٢٤

^٢ المصدر نفسه/٣/٣٥-٣٦

^٣ الكتاب/٣/٣٣٢

^٤ الخصائص/٣/٣٥

^٥ حاشية الكتاب/بولاق/١٥٨/٢

^٦ الخصائص/٣/٣٦

ومهما يكن من الأمر فقد تباينت آراء العلماء في تركيبها ، أمّا ما هيّتها، فهي اسم فعل استعمل عند أهل الحجاز على لفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع، في حين أنّ بني تميم يغيرونه بحسب المخاطب. فقد ذكر ذلك ابن جني ومال إلى لغة أهل الحجاز وعدّها أعلى اللغتين بقوله: ((وأهل الحجاز يدعونها في كلّ حال على لفظ واحد، فيقولون للواحد والواحدة والاثنتين والاثنتين والجماعتين، هلمّ يا رجل، وهلمّ يا امرأة، وهلمّ يا رجلان، وهلمّ يا امرأتان، وهلمّ يارجال، وهلمّ يانساء. وعليه قوله : (من الرجز)

يا أيّها النّاسُ ألا هلمّة

وأما التميميون فيجرونها مجرى (لمّ) فيغيرونها بقدر المخاطب. فيقولون : هلمّ، وهلمّا وهلمّي، وهلمّوا، وهلمّمّن يا نسوة. وأعلى اللغتين الحجازية، وبها نزل القرآن، ألا ترى الى قوله -عزّ اسمه- ((والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا))^١)).^٢

يبدو أنّ الاستعمال اللغوي لهذه الكلمة له دخل في تركيبها ؛ لأنّها عندما تستعمل لمخاطبة جماعة الأثاث فتقول (هلمّمّن) على لغة التميميين ، ويمكن أن تقول المُمّمّن، وهذا يدلّ على أنّ الهاء يمكن أن تبدل بالهمزة : قال سيبويه في ضوء زعم الخليل عن تركيبها ((وقول بني تميم :هلمّمّن يقوي ذا ، كأنك قلت : (المُمّمّن) فأذهبت ألف الوصل.))^٣ يدلّ هذا على أنّها مركبة من (ها) و (لمّ) . فضلاً عن هذا أنّ الأصمعي يذهب إلى تركيبها من ها (لمّ) وهذا ما حكاه أبو علي عنه قال ابن جني : ((وأخبرني أبو علي قال : قال الأصمعي : إذا قيل لك : (هلمّم) فقل : لأهلمّم. وقال : هلممت بالرجل إذا قلت له : هلمّم ، فاشتقوا منها ، وأصلها : ها لمّ))^٤ . وهذا يؤيد رأي أبي علي وينتصر له على ما ذهب إليه الفراء.

عمل اسم الفعل وموضعه من الاعراب

قال ابن جني : ((ولما دخل شيخنا أبو علي (رحمه الله) الموصل سنة احدى وأربعين قال لنا : لو عرفت في هذا البلد من يعرف الكلام على قولك : (دونك زيدا) لغدوت بابه ورُحت . وكذلك قوله تعالى : ((كُتِبَ اللهُ عليكم)) و((كتاب الله عليكم))^٥ في الموضوعين جميعاً منصوبة الموضع بنفس (كُتِبَ وكتاب) ، ولو قلت : (عليكم كتاب الله) لما كان لقولك (عليكم) موضع من الاعراب أصلاً ، ولا كانت متعلقة بشيء ظاهر ولا محذوف ولا مضمّر على ما تقدم ، فاعرفه))^٦.

^١ الاحزاب/١٨

^٢ الخصائص/٣٦٣

^٣ الكتاب/٣٣٢-٣٣٣

^٤ سر صناعة الاعراب/١/٢٣٤

^٥ النساء/٢٤

^٦ المحتسب/١/١٨٦

دونك، وعليكم: اسما فعل منقولان من الظرف والجار والمجرور تقديرهما الزم، فدونكم زيدا، وعليكم زيدا: الزموا زيدا وهذا أسلوب إغراء^١.

أما قوله تعالى: ((كتاب الله عليكم)) فيكون فيه (كتاب) منصوباً على المصدر لفعل محذوف تقديره (كتب الله كتاباً عليكم)، دل عليه قوله (حرمت)؛ لأن التحريم معناه: كتب. وعليكم اغراء^٢.
وقد قرئ: ((كتب عليكم)) أي كتب الله ذلك عليكم؛ لأن (كتاب) مصدر مؤكد ناب مناب فعله، أي كتب الله كتاباً عليكم، وفرضه فرضاً وهو تحريم ما حرم وعطف قوله: (أحل لكم) بالفتح على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله: أي كتب وأحل^٣.
في ضوء هذا يمكن القول: إن (عليكم) متعلق بالفعل الناصب للمصدر لا بالمصدر، لكونه نائباً عن الفعل (كتب).^٤

في حين أن قولك (عليكم كتاب الله) فيه الجار والمجرور (عليكم) اسم فعل منقول فاعله محذوف و(كتاب) مفعول به؛ لأن في (عليكم) اسمين الأول: الفاعل المرفوع والثاني الكاف المتصلة المحفوظة.

قال المبرد: ((واعلم أنك إذا قلت: ((عليك زيدا)) ففي (عليك) اسمان: أحدهما: المرفوع الفاعل، والآخر هذه الكاف المحفوظة: تقول عليكم أنفسكم أجمعون زيدا، فتجعل قولك (أجمعون) للفاعل، وتجعل قولك: ((أنفسكم)) للكاف)).^٥

ويفهم من هذا أن قصد أبي علي في قوله تعالى (كتاب الله عليكم) هو منصوب بـ(كتب)؛ لأنه متعلق به أما في قولك (عليكم كتاب الله) فيكون (عليكم) اسم فعل يحتاج إلى فاعل، فأصبح فيها عاملاً غير معمول به كما هو في حالة النص القرآني.

الممنوع من الصرف

أسماء السور القرآنية

سورة (ص)

قال أبو علي: ((هو فاعل من الصدى، وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية مع الأجسام الصلبة، قال: وليس فيه أكثر من جعل (الواو) بمعنى الباء في غير القسم، وقد يمكن أن تكون كسرة الدال لالتقاء الساكنين، كما أن فتحها فتحٌ لذلك، وقد يجوز أن يكون من فتح جعل (صاد) علماً للسورة، فلم يصرف، فالفتحة على هذا فتحة اعراب)).^٦

^١ ينظر المقتصد في شرح الإيضاح/١/٥٦٩

^٢ ينظر املاء ما من به الرحمن/١/١٧٥

^٣ ينظر الكشف/١/٥١٨

^٤ ينظر املاء ما من به الرحمن/١/١٧٥

^٥ المقتضب/٣/٢١١

^٦ المحتسب/٢/٢٣٠

الظاهر أن كلمة (صاد) إذا جعلت علماً للسورة فإنها لا تصرف، لأن فيها علتين العلمية والتأنيث. وأربما أنها من الكلمات المبنية في العربية نحو كيف، وأين.

قال سيبويه: ((وأما (صاد) فلا تحتاج الى أن تجعله اسماً اعجباً، لأن هذا البناء والوزن من كلامهم، ولكنه يجوز أن يكون اسماً للسورة فلا تصرفه. ويجوز أيضاً أن يكون ياسينُ وصادُ اسمين غير متمكنين، فيلزمان الفتح، كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة الحركات، نحو: كيف، وأين، وحيث، وأمس)).^١

أما الفراء فيجعلها بمنزلة الأدوات، إذا كان الحرف ما قبل الآخر ألفاً كسرت أما لا ففتحت. فقال: ((كانت بمنزلة من قرأ (نونَ والقلمَ) و(ياسينَ والقرآنَ الحكيم) جعلت بمنزلة الأداة كقول العرب: تركته (حاثِ باثِ) و(خازِ بازِ) يخفضان، لأن الذي يلي آخر الحرف ألف. فالخفض مع الألف والنصب مع غير الألف. يقولون: تركته حيث بيثَ ولأجعلنكَ حيثَ بيصَ إذا ضيقَ عليه)).^٢

في ضوء قول الفراء يتضح أنه لم يعرج إلى موضوع الممنوع من الصرف وإنما تحدث عن موضوع البناء وجعلها أدوات مبنية.

أما الزجاج فقد ذهب إلى أنها ممنوعة من الصرف إذا كانت اسماً للسورة فتقول (هذه صاد) ومصروفة إذا قلت هذه سورة صاد. هذا ظاهر قوله: ((فأما قولك ((هذه قاف)) و(هذه نون) فلك في (نون) ثلاثة أوجه: إن شئت قلت: (هذه نون) تريد (هذه سورة نون) وتحذف السورة كما قلت في (هُودِ)، وإن شئت قلت (هذه نونُ يا هذا) فجعلتها اسماً للسورة ولم تصرفها. وإن شئت قلت (هذه نونُ يا هذا) موقوفة فحكيت الحرف على ما كان يلفظ به في السورة. وفيها وجه رابع: أن تصرفها وانت تريد اسم سورة؛ لأن (نون) مؤنثة، فتصرفها فيمن صرف (هنداً). والأجود ترك الصرف فكذلك (قاف) و(صاد) على ما فسرنا في (نون)).^٣

ومهما يكن من الأمر في تعدد الآراء في صرفها وترك صرفها، لكن أقول: إن أرجح الآراء واتفق أغلبهم عليه هو أن تجعل كلمة (صاد) اسماً للسورة فتمنعها من الصرف للعلمية والتأنيث، والله اعلم.

^١ الكتاب/٣/٢٥٨

^٢ معاني القرآن للفراء/٢/٣٩٦

^٣ ما ينصرف وما لا ينصرف/٦٢

صرف (أفعى)

قال أبو علي : ((أمرُ (أفعى) في ترك صرفه مشكلاً ، وذلك أنَّ أجْدَلَ من الجدَل وهو شدة القتَل ،و(أخيل) من (التخيل) . وأما أفعى فصفة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وذلك لأنَّ معناه معنى الدعارة والنكير)).^١

يبدو أنَّ أبا علي ذهب في كلمة (أفعى) كما ذهب سيبويه عند عدّها صفة على وزن (أفعل) فهي غير مصروفة من باب ما كان من (أفعل صفة) .

قال سيبويه : ((وذلك :أجْدَلٌ وأخيلٌ وأفعى. فأجودُ ذلك أن يكون هذا النحو اسماً وقد جعله بعضهم صفة، وذلك لأنَّ الجدَلَ شدةُ الخلق، فصار أجْدَلٌ عندهم بمنزلة شديد . وأما أخيلٌ فجعلوه أفعل من الخيلان للونه، وهو طائرٌ أخضرٌ، وعلى جناحه لمعة سوداء مخالفة للونه. وعلى هذا المثال جاء (أفعى) ، كأنه صار عندهم صفة وإن لم يكن له فعلٌ ولا مصدر)).^٢

ثم ذكر في باب ما ينصرف من الأمثلة وما لا ينصرف : ((تقول:كلُّ أفعلٍ يكونُ وصفاً لا تصرفه في معرفة ولا نكرة وكلُّ أفعلٍ يكونُ اسماً تصرفه في النكرة)).^٣

في ضوء كلام سيبويه ، يفهم أنَّ (أفعى) صفة على وزن (أفعل) فتكون ممنوعة من الصرف ؛ لأنَّه عند سيبويه وجميع النحويين ، أنَّ كلَّ صفة على وزن (أفعل) نكرة أو معرفة تكون غير مصروفة ، فضلاً عن هذا أنَّها صفةٌ في المعنى لا اللفظ ؛ لأنَّها في اللفظ تدل على مسمّى ، وهي الحية، أمّا في المعنى فهي تدل على العمل المنكر والقبیح ، فدلالة المعنى على الصفة أوجبها أن تكون غير مصروفة ، لأنَّها مثالٌ في الوصف وليس بوصف ، فأصبح عندهم صفة، وإن لم تشتق من فعلٍ ولا مصدر.

منع (زوبر) من الصرف

قال ابن جني : ((كما جاءت الأعلام في الأعيان ،فكذلك أيضاً قد جاءت في المعنى ، نحو قوله : (من السريع)

أقول لَمَّا جَاءَنِي فخرُهُ سبِحَانِ مِنْ عِلْمَةِ الْفَاخِرِ

فسبحان اسم علم لمعنى البراعة والتنزيه ، بمنزلة عثمان ، وحرمان . ومنه قوله : (من الطويل)

وإنَّ قال غاوٍ من تنوخٍ قصيدةً بها جَرَبٌ عُدَّتْ عليّ بزوبِرا

سألت أبا عليّ عن ترك صرف (زوبر) فقال: علّقه علماً على القصيدة فاجتمع فيه التعريف والتأنيث، كما اجتمع في (سبحان) التعريف والألف والنون)).^٤

^١ التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/٤٢٢

^٢ الكتاب/٣-٢٠٠-٢٠١

^٣ المصدر نفسه والجزء/٢٠٣

^٤ الخصائص/٢-١٩٧-١٩٨ وينظر المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة/١٢

إنَّ العلم الموثق لا يصرف في العربية أي لا ينون ويجر بالفتحة هذا ما تعارف عليه أهل العربية وعلماء اللغة والنحو . وكذلك العلم الذي فيه الألف والنون الزائدتان لا يصرف أيضاً ؛ لأنَّ فيه علتان ، نحو (سبحان) الذي هو أصلاً اسم لتتزيه الخالق علم لمعنى البراءة فعومل معاملة عثمان وقحطان ، فلما عدل بـ(سبحان) من معنى التتزيه مُنع من التصريف كذلك لما عدل بـ(زوبر) من علم لمذكر الى علم لمؤنث ، عند تعليقه علماً لقصيدة على الرغم من أنه كان يدل على التذكير ، فلما دلَّ على التأنيث منع من الصرف للعلمية والتأنيث . فضلاً عن تكوينه من أربعة أحرف .

قال سيبويه : ((اعلم أنَّ كلَّ مذكَّر سمِّيته بمؤنث على أربعة أحرف فصاعداً لم ينصرف . وذلك أنَّ أصلَ المذكَّر، عندهم أن يسمى بالمذكَّر ، وهو شكُّه والذي يلائمه ، فلما عدلوا عنه ما هو له في الأصل ، وجاءوا بما لا يلائمه ولم يكن منه فعلوا ذلك به ، كما فعلوا ذلك بتسميتهم إيَّاه بالمذكَّر، وتركوا صرفه كما تركوا صرف الأعجمي)).^١

منع (أبعد) من الصرف

ومما جاء من الاعلام على المعاني قولهم (أبعد) . قال ابن جني : ((ومن ذلك ما حكاه أبو زيد من قولهم هذا غير أبعد^٢ ، قال أبو علي : (أبعد) هنا علم على هذا المعنى وإنما يراد به (بعده) في النفس)).^٣

إنَّ (أبعد) على وزن أفعل ، فإذا سمينا به علماً منع من الصرف لأنَّه علم على وزن الفعل مثل (أحمد).

قال سيبويه في باب ما ينصرف من الأمثلة وما لا ينصرف : ((تقول كلُّ أفعل يكون وصفاً لا تصرفه في معرفة ولا نكرة ، وكلُّ أفعل يكون اسماً تصرفه في النكرة)).^٤ ، أي أنه لا يصرف في المعرفة لأنَّه اسم علم .

وقال الزجاج ((اعلم أنَّ (أفعل منك)) نحو قولك : ((أحسنُ منك)) و(أصغرُ منك) لا ينصرف في قولك : ((مررتُ بأحسن منك)) ، لأنَّه اجتمع فيه : أنه على وزن الفعل ، وأنه صفة . قال الله عزَّ وجلَّ : ((فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا))^٥ وكذلك إن سميت بها رجلاً ، لم تصرفه في معرفة ولا نكرة ، من قِبَل أنه مع (منك) التي توجب أن تكون صفة . فان سميت رجلاً بـ(أفعل) هذا نحو (أحمد) ؛ لأنَّ أصل (أحمد) أحمدُ منك ، ونحو (أصغر) لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة، تقول (مررت بأحمد

^١ الكتاب/٣-٢٣٥-٢٣٦

^٢ ينظر النواذر في اللغة /٢٤٧ ((وقال لم أجد عنده أبعد أي طانلاً)).

^٣ المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة/١٢

^٤ الكتاب/٣-٢٠٣

^٥ النساء/٨٦

وأحمدٍ آخرٍ)) اجتمع فيه في المعرفة : أنه على وزن الفعل، وأنه معرفة ، فامتنع من الصرف فإذا نكرته فقد حططته عن شبه الفعل فانصرف في النكرة)).^١

منع فجار المعدولة من الصرف

قال ابن جني : ((أنشد سيبويه : (من الكامل)

إِنَّا أَقْسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا
فَحَمَلْتُ بَرَّةً وَاحْتَمَلْتُ فَجَارِ

وقال فيها : هناك أنها معدولة عن الفجرة باللام كما ترى . وهذا عندنا تفسير على المعنى لا على تحقيق حال الاعراب ، والتقدير: ذلك أن فجار معدولة عندنا عن فجرة علماً يدل على ذلك ، أنه قرنهما بقوله : (برّة) فكما أن (برّة) علم لا محالة فكذلك ما عدل عنه فجار ، وهو في التقدير فجرة ولو عدل عن برّة هذه لكان قياسه: (برار) وكما لا يشك أن (قَطَامٍ وَحَدَامٍ) معدولتان عن (قاطمة) و(حاذمة) وهما علمان ، وكذلك : (فَجَارٍ) معدولة عن (فجرة) وهذا تلخيص اصحابنا آخرهم أبو علي ، وكذلك ما هذه حاله وقليل ما هو)).^٢

إن ما قاله ابن جني إن (هذا تلخيص اصحابنا ختمهم أبو علي) ، هو كلام سيبويه أورده في الكتاب وبيّن فيه أن فجار معدولة عن فجرة وكذلك مسار معدولة عن الميسرة وحلاق معدولة عن حالقة وقطام عن قاطمة ، وبَدَادٍ وَحَدَامٍ ، وكل هذا وقع فيه خلاف بين تميم والحجاز فتميم ترفعه وتنصبه وتعدّه اسماً لا ينصرف ، لأنه معرب عندها وهو القياس ، أما أهل الحجاز فعده اسماً مؤنثاً علماً مبنيّاً على الكسر ؛ لأنهم رأوه هكذا فأبقوه على حاله .

قال سيبويه : ((واعلم أن جميع ما ذكرناه إذا سميت به امرأة فإن بني تميم ترفعه وتنصبه وتجريه مجرى اسم لا ينصرف ، وهو القياس ؛ لأن هذا لم يكن اسماً علماً ، فهو عندهم بمنزلة الفعل الذي يكون فعال محدوداً عنه ، وذلك الفعل أَفْعَلٌ ؛ لأنَّ فَعَالٍ لا يتغير عن الكسر ، كما أن أَفْعَلٌ لا يتغير عن حالة واحدة.... وكذلك كلِّ فَعَالٍ إذا كانت معدولة عن غير أَفْعَلٍ إذا جعلتها اسماً لأنك إذا جعلتها علماً فأنت لا تريد ذلك المعنى . وذلك نحو حلاقٍ التي هي معدولة عن الحالقة ، وفَجَارٍ التي هي معدولة عن الفجرة ، وما أشبه هذا . ألا ترى أن بني تميم يقولون : هذه قَطَامٌ وهذه حَدَامٌ ؛ لأنَّ هذه معدولة عن حاذمة ، وقطامٌ معدولة عن قاطمة أو قَطْمَةٌ وإِثْمًا كلُّ واحدةٍ منهما معدولة عن الاسم الذي هو عَمٌ ليس عن صفة . كما أن عُمَرٌ معدولٌ عن عامر علماً لا صفةً . لولا ذلك لقلت : هذا العُمَرُ ، تريد : العامر . وأمّا أهل الحجاز فلما رأوه اسماً لمؤنث ورأوا ذلك البناء على حاله لم يغيروه ؛ لأنَّ البناء واحد ، وهو ههنا اسم للمؤنث كما كان (ثم) اسماً للمؤنث ، وهو ههنا معرفة كما كان (ثم) ومن كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع الأشياء)).^٣

^١ ما ينصرف وما لا ينصرف/٩

^٢ المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة/١٢

^٣ الكتاب/٣-٢٧٧-٢٧٨

منع فعل (زُفر) من الصرف

قال ابن جني: الزُفرُ الناهض بحمله ، وليس (زُفرُ) هذا الاسم منقولاً من هذا الوصف ، لو كان كذلك لوجب صرفه ، ألا ترى أنَّ فعلاً المعدول عن (فاعل) لا يجوز دخول اللام عليه ، وذلك نحو (زُحلٌ وقُثمٌ وثعلٌ وجُشمٌ) وقد قال : (من البسيط)

* يَأْبَى الظَّلَامَةَ مِنْهُ النُّوْفُلُ الزُّفْرُ*

فدخول اللام عليه يعرفُك أنَّ زُفرَ الذي ليس مصروفاً ليس بهذا ، لداخلية اللام ، ولو سميت رجلاً بـ(زُفر) هذا بعدَ خلْعك اللام عنه لوجب صرفه ، لأنه حينئذ كأن يكون كصُرد ، وثُعْر ، وجُعْل ، وهذا واضح وهو رأي أبي علي بتفسيره))^١.

يبدو أنَّ (زُفر) إذا كان اسم علم فهو معدول عن (زافر) مثل عُمَرَ عن (عامر) وفي هذه الحالة يكون علماً ممنوعاً من الصرف لا يقبل الألف واللام ، أما إذا كان (الزُفر) بمعنى الناهض بحمله فهذه صفة وفي هذه الحالة يقبل الألف واللام ويكون مصروفاً.

قال سيبويه : ((اعلم أنَّ كلَّ فعلٍ كان اسماً معروفاً في الكلام أو صفةً فهو مصروف فالاسماء نحو : صُرِدٌ وجُعِلٌ وثُقِبٌ وحُفِرٌ ، إذا أردت جماع الحفرة والثقبة . وأما الصفات فنحو قولك : هذا رجلٌ حُطْمٌ وأما عُمَرَ وزُفْرَ ، فإنما منعهم من صرفهما واشباههما أنَّهما ليسا كشيء مما ذكرنا ، وإتّما هما محدودان عن البناء الذي هو أولى بهما ، وهو بناؤهما في الأصل ، فلما خالفا بناءهما في الأصل تركوا صرفهما وذلك نحو : عامرٍ وزافرٍ))^٢.

وقال في موضع آخر : ((هذا باب ما جاء معدولاً عن حده من المؤنث ، كما جاء المذكر معدولاً عن حده نحو : فُسِقَ ، ولُكِعَ ، وعُمَرَ ، وزُفْرَ ، وهذا المذكر نظير ذلك المؤنث ... وقد يجيء معدولاً كعُمَرَ ، ليس اسماً لصفة ولا فعل ولا مصدر))^٣.

يفهم من كلام سيبويه أنَّ (عُمَرَ وزُفْرَ) كلٌّ منهما اسم معدول عن عامر وزافر ، أي عن فاعل وليس هما في الأصل اسم أو صفة أو فعل أو مصدر ، وأنَّهما خالفا بناءهما ، فمنعنا من الصرف ؛ لأنَّهما كانا على وزن فاعل وأصبحا على وزن فُعَل . وهم ليسا كالاسماء والصفات المعروفة على وزن فُعَل نحو صُرِدٌ وحُطْمٌ ، وإتّما معدولان عن أصل وأنَّهما لا يقبلان الألف واللام ، كما يقبل الاسم (صُرِد) فتقول الصُرِد ، فإن قبلا الألف واللام لا يكونا اسمين معدولين ممنوعين من الصرف وإتّما يصبحان صفتين ولا سيما (الزُفر) الذي يأتي بمعنى الناهض بحمله وهذا دليل على أصلية الصفة ، ولا أصلية الاسم المعدول عن (فاعل).

فضلاً عن هذا أنَّهما عدلا عن معرفة ، والمعرفة تشعر بالعلمية ، فالعلم المعدل لا يصرف ، وليس هما معدولين عن نكرة ، فلو كانا كذلك لاستعملا نكرتين ، لكنهما استعملا معرفتين .

^١ المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة/٤٩

^٢ الكتاب/٣-٢٢٢-٢٢٣

^٣ المصدر نفسه والجزء/٢٧٠

قال أبو علي : ((والمعدول عن المعرفة نحو عمراً وزفر ، عدل عن عامر وزافر المعرفتين ألا ترى أن ذلك ليس في أصول النكرات)).^١

القسم

الباء في أحرف القسم

قال ابن جني : ((فإن اضمرت قلت : به لأضربنك ، ولا تقول ، وه لأضربنك ، فرجوعك مع الإضمار الى الباء يدل على أنها هي الأصل . وأنشدنا أبو علي ، قال : أنشد أبو زيد : (من الوافر)
رأى برقاً فأوضع فوق بكر
قال : وأنشد أبو زيد : (من الوافر)

ألا نادت أمامةً باحتمال
لتحزُنني فلا بك ما أبالي)).^٢
إن ما ذهب إليه ابن جني اعتماداً على أبي علي وأنشاد أبي زيد في هذه المسألة هو رأي سيبويه الذي يؤكد فيه الباء واستخدامها مع المظهر ولا سيما مع المقسم به ، غير أنه لا يعدها هي الأصل ، بل الأصل هي الواو التي أكثر استخداماً .

قال سيبويه : ((واعلم أنك إذا حذف من المحلوف به حرف الجرّ نصبتّه كما تنصب حقاً إذا قلت : إنك ذاهب حقاً . فالمحلوف به مؤكّد به الحديث كما تؤكّده بالحق ، ويجرّ بحروف الإضافة كما يجرّ حقاً إذا قلت : إنك ذاهب بحق ، وذلك قولك الله لأفعلن)).^٣

وقد ذهب سيبويه الى أن الواو هي الأكثر استخداماً ثم الباء بقوله : ((وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجرّ ، وأكثرها الواو ، ثم الباء ، يدخلان على كل محلوف به)).^٤

فسيبويه ذهب الى تقديم الواو من حيث كثرة الاستخدام في اللسان العربي ولا سيما في القسم ، أما أبو علي وابن جني فقد ذهبا إلى استخدامها مع الضمير أقل من استخدام الباء ، ولهذا عداها غير الأصل في الباب ، بل هي الأصل ، فالخلاف خلاف مظهر ومضمر ، والأرجح ما ذهب إليه سيبويه ؛ لأنّ الاستخدام اللغوي ولا سيما في القسم للواو أرجح على الباء ؛ لأنّ الكثرة مطلوبة ، فضلاً عن أنّ استخدام القسم مع المظهر أرجح من استخدامه مع المضمر الذي ربّما لا يدل على مقسم به ، وإن دلّ فمن باب الخروج عن الأصل ، لأنّ الأصل في القسم مع المظهر ولا سيما لفظ الجلالة ، والله ، بالله ، تالله وهذا أفضل مع وه ، به ، ته .

^١ المقتصد في شرح الإيضاح/٢/١٠٠٧

^٢ سر صناعة الأعراب/١/٤٣/١٤٤

^٣ الكتاب/٣/٤٩٧

^٤ المصدر نفسه والجزء ٤٩٦

الفعل وازمنته واعرابه

ماضي اللفظ مستقبل المعنى

قال ابن جني : ((فمن المحال أن تنقضَ أوَّلَ كلامك بآخره . وذلك كقولك : قمتُ غداً ، وسأقوم أمس ، ونحو هذا . فإن قلت : فقد ، إن قمتُ معك ، وتقول : لم أقمِ أمس ، وتقول : أعزك الله ، وأطال بقاءك ، فتأتي بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال ، وقال : (من الكامل)

ولقد أمرُ على اللئيم يسبُّني
فمضيتُ ثمَّتَ قلتُ لا يعنيني

أي : ولقد مرتت . وقال : (من الطويل)

وإنِّي لآتيكم تشكُّرَ ما مضى
من الأمر واستيجاب ما كان في غد

أي ما يكون . وقال : (من الرجز)

أوديتُ إن لم تحبُ حبَّو المعتنك

أي أودى - وأمثاله كثيرة - . قيل: ما قدمناه على ما أردنا فيه . فأما هذه المواضع المتجاوزة ، وما كان نحوها فقد ذكرنا أكثرها فيما حكيناه عن أبي علي ((١).

يشعر هذا الكلام أن الأفعال في الأصل كانت بلفظ واحد، ولمعنى واحد لكنها خولف بين مثلها للصناعة الكلامية كي تفيد في أزمنتها ، فلا يضير من أن يأتي المستقبل بمكان الماضي وبالعكس ، نحو قولك ، حفظك الله ، وأدام بقاءك ، وأيدك ، ووفقك لعمل الخير .

قال سيبويه: ((وقد تقع (نَفَعَلُ) في موضع (فَعَلْنَا) في بعض المواضع... وأعلم أن (أسيرُ) بمنزلة (سِرْتُ) إذا أردتَ بـ(أسيرُ) معنى (سِرْتُ)).^٢

والسيرافي يشترط في الفعل أن يكون مجبولاً عليه الفاعل في جواز هذا الاستعمال المتداخل بين الأزمنة بقوله : ((إنما يستعمل ذلك إذا كان الفاعل قد عُرف منه ذلك الفعل خَلْقاً وطبعاً ، ولا ينكر منه في الماضي والاستقبال ، ولا يكون لفعل فعله مرةً من الدهر)).^٣

إنَّ هذا التبادل في الاستعمال بين الماضي والمستقبل زاخر فيه الاستخدام القرآني ولا سيما في أسلوب المجازاة ، لأن حروفه تسوغ الماضي الى الاستقبال .^٤ ، هذا ما حققه سيبويه في سؤاله للخليل بقوله: ((وسألته عن قوله عزَّ وجلَّ : ((وَلَنَّا أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ)).^٥ فقال : هي في معنى لَيْفَعُنَّ ، كأنه قال: لَيْظُنَّ ، كما تقول : والله لا فعلتُ ذاك أبداً ، تريد معنى لا أفعلُ ... وكما جاءت : ((سِوَاءَ عَلَيكُمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ))^٦ على قوله : أم

^١ الخصائص/٣/٣٣٠-٣٣١ وينظر سر صناعة الاعراب/١/٣٩٨

^٢ الكتاب/٣/٢٤

^٣ حاشية طبعة بولاق، الكتاب/١/٤١٦ وهارون/٣/٢٤

^٤ ينظر المصدر نفسه والجزء/٤٥٦ وهارون/٣/١٠٨

^٥ الروم/٥١

^٦ الاعراب/١٩٣

صَمْتَمَ فَكَذَلِكَ جاز هذا على ما هو فاعلٌ . قال عزّ وجلّ : ((وَلَمَّا آتَتْ الذِّينَ أوتوا الكتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبَعُوا قِبَلَتَكَ))^١ أي ما هم تابعين . وقال : سبحانه: ((وَلَمَّا زَالَنا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)) أي ما يَمْسُكُهُما مِنْ أَحَدٍ))^٢.

يبدو أنّ المخالفة في استخدام الأفعال من الأمور المهمة التي بحثها الشيخ أبو علي مع شيخه أبي بكر بن السراج فقد سأله عنها ، وأجابه بجواز ذلك ولا سيما في مبحث المجازاة ؛ لأنها لا يقع معها إلا الفعل المستقبل .

قال ابن جني : ((وقد سأل أبا بكر عنه في نحو هذا ، فقال أبو بكر ، كان حكمُ الأفعال أن تأتي كلها بلفظ واحد ، لأنها لمعنى واحد غير أنه لما كان الغرض في صناعتها أن تفيد أزمنتها ، خولف بين مثلها ، ليكون ذلك دليلاً على المراد فيها . قال : فإن أمن اللبس فيها جاز أن يقع بعضها موقع بعض ، وذلك مع حرف الشرط ، نحو إن قمت جلست ؛ لأن الشرط معلوم أنه لا يصح إلا مع الاستقبال ... ولأن المضارع أسبق في الرتبة من الماضي ، فإذا نفي الأصل كان الفرع أشد انتفاءً))^٣

يفهم مما قيل أنّ المخالفة جائزة بين الأفعال ، فاللفظ الماضي والمعنى حال أو استقبال ولا سيما في الشرط ، لأن الشرط لا يستعمل معه إلا المضارع ، فضلاً عن أنّ الأفعال في حقيقتها بلفظ واحد ولكن خولف بينها للصنعة الكلامية ، وقياساً إلى الفاعل ومدى علاقة الفعل فيه من حيث الطبع والسجية .

استعمال (لن) مكان (ما) للحاضر

قال ابن جني : ((وانشدني أبو علي (من الوافر)

أجدك لن ترى بتُعَيْبَاتٍ ولا يبيدان ناجية ذمولا

فاستعمل (لن) في موضع (ما) فهذا كله من كلام العرب . أراد (ماترى) ، وذلك أن الفعل بعد (اجدك) إنما هو للحاضر ، والحال ونفي فعل الحال إنما هو بـ(ما) دون غيرها))^٤.

إنّ الفعل في الاستقبال يكون نفيه بـ(لن) فتقول (لن يفعل) وأما الفعل في الحال فإن نفيه بالأداة (ما) فتقول (ما يفعل) ، هذا ما أشار إليه سيبويه بقوله : ((وإذا قال هو يفعل ، أي هو في حال فعل ، فإن نفيه ما يفعل ... وإذا قال : سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل))^٥.

يبدو أن استخدام (لن) مكان (ما) ، جاء من دلالة الفعل المضارع على الحال والاستقبال ، فضلاً عن أنّ (لن) في نظر الخليل تتكون من لا وأن^٦ أي هي مركبة دخلت في تركيبها (لا) التي تفيد لنفي

^١ البقرة/١٤٥

^٢ الكتاب/١٠٨-١٠٩

^٣ الخصائص/٣٣١/٣ وينظر التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/٥١٠

^٤ التمام في تفسير اشعار هذيل /١٣٨/ والفسر/١٨٨

^٥ الكتاب/١١٧/٣

^٦ ينظر المصدر نفسه/٥/٣

الفعل للحال والاستقبال نحو قوله تعالى : ((لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ))^١ أيّ (اليوم وغدا) ، وما لنفي الحال، ومادام الحال يتحقق في احدى مركبات (لن)، فلا ضمير من استخدام لن في موضع (ما) في نحو (لن ترى). هذا من حيث القياس ، فضلاً عن أنه سُمِعَ عن العرب هذا الاستعمال في كلامهم.

جزم الفعل

إبقاء الألف أو حذفها في الشعر

قال ابن جني : ((وأنشدنا أبو علي قال : أنشدنا أبو زيد : (من الرجز)

إذا العجوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقِ
ولا تَرْضَاهَا ولا تَمَلِّقِ

فأثبت الألف في موضع الجزم تشبيهاً بالياء في (يأتيك) على أن بعضهم قد رواه على الوجه الأعراف : ((ولا تَرْضَاهَا ولا تَمَلِّقِ)).^٢

إن هذه التشبيه غير جائز عند أبي علي ولا يستقيم ما يقدر في (ترضّاهَا) كما قدرت في (يأتيك) . في حين أن بعض البغداديين يعدّها الألف المقلوبة عن الهمزة وقد حذفت لام الفعل (الألف).

قال أبو علي : (((فترضّاهَا) لا يستقيم أن تقدر فيه ، ما قدرت في : (ألم يأتيك) ، إلا أن الألف شبيهة بالياء فاجريته مجراها : وكذلك قوله : (كأن لم ترى) . وبعض البغداديين يذهب في ذلك على ما حكى لي أنه حذف لام الفعل للجزم . وأن هذه الألف هي المبدلة من الهمزة ، وليس هذا بالواسع ، على أن سيبويه قدحكى المرأة ، والكمأة ، فقياس هذا قياس لم تره في قول القائل)).^٣

الظاهر أن أبا علي يعدُّ قلب الهمزة ألفاً في هذا القول غير واسع ولا يذهب إليه وإنما يذهب إلى أن الألف تشبه الياء ، فكما أن الياء بقيت في (يأتيك) فالألف يمكن أن تبقى في ترضّاهَا ، فضلاً عن أن الإبدال بين الهمزة والألف من باب القلّة في هذا على الرغم من أن سيبويه قد قال فيها كما في قلب همزة المرأة والكمأة ألفاً.

أقول: إن الألف تحذف عند الجزم ، لأنها علامة جزم للفعل المضارع ولهذا قد روى على الوجه المعروف (ولا ترضّاهَا) ، ولكن الوزن هو الذي أبقى الألف ؛ لأنّ الشاعر كره الزحاف . وهو مذهب بعض العرب الذي يؤيده ابن جني بقوله : ((فأثبت الألف في (ترضّاهَا) في موضع الجزم ، ولو قال : ((ولا ترضّاهَا ، ولا تَمَلِّقِ)) لم ينكسر الشعر ، لأنّه كان يصير موضع (مُسْتَفْعِلُنْ: مَفَاعِلُنْ) وهو جائز ، ولكنّه كره الزحاف . وقد روى أيضاً : ((ولا ترضّاهَا) مزاحفاً ، وهذا خلاف مذهب الجفّاة من العرب . ومذهبهم أقوى عندى من هذا ؛ لأنّ زحاف البيت أسهل من احتمال ما لا يجوز مثله إلا في الشعر)).^٤

^١ النساء/١٤٨

^٢ سر صناعة الاعراب/١/٧٨-٧٩

^٣ المسائل العسكرية/١٦٥

^٤ المنصف/٢/٧٨

حذف لام الأمر وتقديرها في ضرورة الشعر

قال ابن جني : ((واعلم أنّ هذه اللام الجازمة لا تضمّر إلا في ضرورة الشعر كما أنّ حرف الجر لا يُحذف إلا في الضرورة . قرأت على أبي علي ، قال : أنشد أبو زيد :
فَتُضْحِي صَرِيحاً مَا تُجِيبُ لِدَعْوَةٍ
وَلَا تَسْمَعُ الدَّاعِي وَيُسْمَعُكَ مَنْ دَعَا
أي : وَلَيْسْمَعُكَ)).^١

الظاهر أنّ الضرورة الشعرية هي التي أدت الى حذف هذه اللام فهي محذوفة في اللفظ عاملة في المعنى ، أي أنها منوية ومقدّرة . فتعمل وهي مضمرة فشبّهة (أن).

قال سيبويه : ((واعلم أنّ هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة ، كأنهم شبّهوها بأن إذا عملوها مضمرة . وقال الشاعر : (من الوافر)
مُحَمَّدٌ تَفَدَّ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ
وَإِنَّمَا أَرَادَ ، : لِنَفْدٍ . وقال مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ : (من الطويل)
عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبَعُوضَةِ فَاخْمُشِي
لَكَ الْوَيْلُ حُرَّ الْوَجْهِ أَوْ يَبِّكَ مَنْ بَكَى
أراد : لِيَبِّكَ)).^٢

أبو علي من جانبهِ أنّ البيت الشعري (... ويسمعك من دعا) لا نعلم أحداً أجازه ، ولكن يجوز أن تقدر حذف اللام فيه ، وحجته في ذلك أنّ أبا زيد كان يريد : (مَنْ دَعَا يُسْمَعُكَ) أي يعده جواب الشرط ، وهذا لا يسوّغه بقوله : ((ولو جاز لجاز (أت من يأتيني) ، والوجه في هذا أن تُقدّر حذف اللام كقوله :

..... أو يبك من بكى

وكان هذا أيضاً في المعنى أقرب مما ذكره)).^٣

في حين أنّ الأخفش (سعيد بن مسعدة) قد قبح هذا ، وجعله من باب مجيء اللفظ مخالفاً للمعنى ، وعدّ ذلك في باب المجازاة أو جواب الأمر . بقوله : ((وقال : ((قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ))؛ وقال : ((قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))^٤ فأجراه على اللفظ ، حتى صار جواباً للأمر . وقد زعم قوم أنّ هذا إنما هو على ((فَلْيَغْفِرُوا)) و((قُلْ لِعِبَادِي فَلْيَقُولُوا)) وهذا لا يضمّر كله ، يعني الفاء واللام . ولو جاز هذا جاز قول الرجل : يَقُمُ زَيْدٌ ، وهو يريد ليقُمُ زَيْدٌ . وهذه الكلمة أيضاً أمثل ، لأنك لم تضمّر فيها الفاء مع اللام . وقد زعموا أنّ اللام قد جاءت مضمرة ، قال الشاعر :
(من الوافر)

مُحَمَّدٌ ، تَفَدَّ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ
إِذَا مَا خَفَتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا

^١ سر صناعة الاعراب/١/٣٩٠

^٢ الكتاب/٣/٩٠

^٣ المسائل البغداديات/٤٦٩

^٤ الجاثية/١٤

^٥ الاسراء/٥٣

يُرِيدُ ((لِتَفِدَ)) وَهَذَا قَبِيحٌ . وَقَالَ : اتَّقَى اللَّهَ امْرُؤًا فَعَلَ كَذَا وَكَذَا ، وَمَعْنَاهُ : لِيَتَّقَى اللَّهَ ، فَالْلَفْظُ يَجِيءُ كَثِيرًا مُخَالَفًا لِّلْمَعْنَى ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ))^١ .

أما ابن جنى فيعده قبيحاً أيضاً كما قال الأخفش ويجعله من باب الشاذ الذي لا يقاس عليه ، قال ذلك تعليقاً على ما أورده سيبويه من الشواهد^٢ .

أقول : يجوز أن تقدر اللام مع الفعل المضارع فيما قيل من شواهد ، ولكن من باب الضرورة الشعرية ، وهذه الضرورة لا تعد قياساً يؤخذ بها على كل شيء ، ولهذا عدّ من باب الشذوذ الذي لا يقاس عليه .

الشرط

(إذا) بين البصريين والكوفيين

قال ابن جنى : ((حدثني أبو علي قال : اجتمعت مع أبي بكر بن الخياط عند أبي العباس المعمرى بنهر معقل ، في حديث حدثنيه طويل . فسألته عن العامل في (إذا) من قوله - سبحانه - : ((هَلْ نَدَلِكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِتُكُمْ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ))^٣ قال : فسلك فيها مسلك الكوفيين . فكلمته إلى أن أمسك))^٤ .

إنّ مذهب الكوفيين في (إذا) ولا سيما في هذا النصّ أنها متعلقة بـ(لفي خلق جديد) ، في حين أنّ البصريين يذهبون إلى أنّ (إذا) منصوبة بفعل مقدر هو تبعثون - وإن جملتها جملة اعتراضية بين جملة (ينبتكم) ، وجملة (إنكم ...) وإنّ (إنّ) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها .

قال الزجاج : (((إذا) في موضع نصب بمزقتم ، ولا يكون أنّ يعمل فيها (جديد) لأنّ ما بعد (إنّ) لا يعمل فيما قبلها ، والتأويل هل ندلكم على رجل يقول لكم إنّكم إذا مزقتم تبعثون ويكون (إذا) بمنزلة (إنّ) الجزاء ، يعمل فيها الذي يليها ، قال قيس بن الخطيم : (من الطويل)

إِذَا قَصُرْتُ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا
خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبٍ^٥
المعنى : يكون وصلها ، الدليل على ذلك جزم ((فَنُضَارِبٍ)) ويجوز أن يكون العامل في (إذا) مضمرًا ، يدل عليه ((إنكم لفي خلق جديد)) ويكون معنى : هل ندلكم على رجل يُنْبِتُكُمْ يقول لكم إذا مزقتم بعثتم ، إنكم لفي خلق جديد ، كما قالوا : ((أَنْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لِمَبْعُوثُونَ))^٦ فإذا يجوز أن تكون منصوبة بفعل يدل عليه ((إِنَّا لِمَبْعُوثُونَ)) ولا يجوز ((أَنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)) بالفتح ، لأنّ اللام إذا جاءت لم يجز إلا كسر (إنّ))^٧ .

^١ معاني القرآن للأخفش/٧٥/١

^٢ ينظر سر صناعة الاعراب/١/٣٩١-٣٩٢

^٣ سيأ/٧

^٤ الخصائص/٣/٣٠٠

^٥ - الشاهد فيه جزم (غضارب) عطفًا على موضع (كان) لأنها في محل جزم على جواب (إذا) التي أعملها عمل (إن) ضرورة /هامش

هارون/٣/٦١

^٦ المؤمنون/٨٢ والصافات/١٦ والواقعة/٤٧

^٧ معاني القرآن وعرابه/٤/١٨٣

حذف اللام من جواب لو ، ولولا

قال ابن جني : ((وقد تحذف هذه اللام من بعد (لو) إذا لم يكن القسم ظاهراً . قال : (من الطويل)
فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ، ولكن الرماح أجرت
أي : لنطقت . ومثل هذه اللام في جواب لولا ، نحو قوله عز وجل ((ولولا رهطك لرجمناك)) ،
(هود: ٩١) ، ((ولولا أنتم لكننا مؤمنين)) (سبأ: ٣١)
وقال الشاعر : (من الطويل)

فوالله لولا الله لا شيء غيره لزعرع من هذا السرير جوانبه
فهذه اللام التي في جواب لولا إنما هي جواب القسم ، وربما حذفت إذا لم يظهر القسم الى اللفظ ، قال
يزيد بن الحكم : (من الطويل)

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي
أي : لطحنت ، ولا تدخل اللام في جواب لو ، ولولا إلا على الماضي دون المستقبل . وكان أبو علي قد
قال لي قديماً : إن اللام في جواب لولا زائدة مؤكدة ، واستدل على ذلك بجواز سقوطها . وكذلك مذهبه
في لو على هذا القياس لجواز خلو جوابها من اللام . أنشد ابن الأعرابي : (من الوافر)
فلو أنا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين
أي : لجرى الدميان)).^١

يبدو أن استنتاج أبي علي في زيادة اللام بجواب (لو) و(لولا) في ضوء حذفها كان استنتاجاً
موفقاً ، لأن الحرف إذا كان زائداً للتوكيد يمكن أن يسقط من الكلام ؛ لأن تأثيره في الكلام التوكيد
فقط كما تؤكد الباء النفي في خبر (ليس) و(ما) نحو ((ليس الفقرُ بعيب)) وقوله تعالى : ((وما ربك
بظلام للعبيد))^٢ وفي ضوء هذا يمكن أن تكون اللام حاصلة في جوابها ويمكن أن تحذف .

موقع الفاء في جواب (أما)

قال ابن جني : ((فإن قال قائل : فلم دخلت الفاء في جواب أما ؟ فالجواب أنها إنما دخلت في
الجواب لما في أما من معنى الشرط ، وذلك أنك إذا قلت : أما زيدٌ فمنطلق ، فمعناه : مهما يقع من
شيء ، فزيد منطلق . فإن قيل : فإذا كان تقدير الكلام : مهما يقع من شيء فزيد منطلق ، فنحن نرى
الفاء قبل الجملة التي هي زيد منطلق . فنحن إذا قلنا : أما زيدٌ فمنطلق ، فقد نرى زيدا قد تقدم على
الفاء ، وصار بعد الفاء اسم واحد ، وهو منطلق ، فما بال أحد الاسمين تقدم على الفاء مع أما ،
وتراهما جميعاً متأخرين عن الفاء مع (مهما) ؟ فالجواب : أن العرب كما تعنى بالمعاني فتحققها
، فكذلك أيضاً تعنى بالألفاظ فتصلحها ، وذلك أن هذه الفاء وإن كانت هنا متبعية غير عاطفة ، فإنها قد

^١ سر صناعة الاعراب/١/٣٩٣-٣٩٥

^٢ فصلت/٤٦

تستعمل في العطف في كثير من المواضع ، نحو قام زيدٌ فعمرو ، ورأيت محمداً فصالحاً ، فمن عاداتها - عاطفة كانت أو متبعة - ألا تقع مبتدأة في أول الكلام ، وأنه لا بد من أن يقع قبلها اسمٌ أو فعلٌ ، فلو أنهم قالوا : أمّا زيدٌ منطلق ، على تقدير مهما يقع من شيء فزيد منطلق ، وأوجبوا على أنفسهم تقدم الفاء على الاسمين مع أمّا ، كما يقدمونها عليهما مع (مهما) لوقعت الفاء مبتدأ ليس قبلها في اللفظ اسمٌ ولا فعلٌ ، إنما قبلها حرف ، وهو أمّا ، فقدموا أحد الاسمين قبل الفاء مع أمّا لما حاولوه من اصلاح اللفظ ليقع قبلها اسم في اللفظ ويكون الاسم الثاني الذي بعده ، وهو خبر المبتدأ ، وإن لم يكن معطوفاً الآن على المبتدأ ، تابعاً في اللفظ لاسم قبله ، وهو زيد ، فيكون الفاء هنا على صورة العاطفة وإن لم تكن عاطفة ، كل ذلك لإصلاح اللفظ ، فاعرفه ، فإنه لطيف ، وهو رأي أبي علي ومذهبه ، وعنه علقت ما كتبتة هنا ، فإن اختلفت الألفاظ فإن المعاني متفقة^١ يبدو أن دخول الفاء في جواب (أمّا) محقق لأنها فيها معنى الشرط وهي بتقدير مهما يكن من شيء ، فتلازمها الفاء .

قال سيبويه : ((وأمّا (أمّا) ففيها معنى الجزاء . كأنه يقول : عبدُ الله مهما يكن من أمره فمنطلق . ألا ترى أن الفاء لازمة لها أبداً)).^٢ إن ملخص ما ذهب إليه أبو علي وعلمه هو أن الفاء تكون بين المبتدأ والخبر مع (أمّا) ، في حين مع (مهما) تكون مع المبتدأ ، لأن في الأولى (أمّا) لا يجوز مجيء حرف بعد حرف لأن الحرف يأتي مع الاسم والفعل لكي يفهم معناه ؛ لأنه يفسر بغيره أما في الثانية (مهما) فتأتي الفاء مع الاسم (المبتدأ) ؛ لأن قبل الاسم اسم آخر وهو شيء ، وفي الحالتين كونها رابطة بين اسمين وهذا التعليل من لدن أبي علي تعليل صائب واستنتاج رائع جاء من حصيلة أفكاره ، وباعه الطويل في العلم والدراية فتأثر به ابن جني ونقل مذهب في كتبه ؛ لأنه كان معجباً بتخرجاته اللغوية والنحوية .

حذف (إمّا) إذا كررت بدلالة المذكورة

قال ابن جني : ((قال أبو عليّ : وقد وجدت أنا في الشعر للفرزدق بيتاً محذوفاً منه ((إمّا)) وهو قوله : (من الطويل)
 تُهاضَ بدارٍ قدّ تقادمَ عهدُها
 وإمّا بأمواتٍ أَلَمَ خيالُها
 كأنه قال : إمّا بدارٍ وإمّا بأمواتٍ)).^٣ يبدو أن هذا الطرح في (إمّا) جائز في الشعر وغيره .

^١ سر صناعة الاعراب/١-٢٦٦-٢٦٧

^٢ الكتاب/٤/٢٣٥

^٣ المنصف/٣/١١٥

قال سيبويه : ((ولو قلت : فإن جَزَعُ وإن اجمالُ صَبْرٍ ، كان جائزاً ، كأنك قلت : فإمّا أمرِي جَزَعُ وإمّا إجمالُ صَبْرٍ ، لأنك لو صححتها فقلت : إمّا جاز ذلك فيها . ولا يجوز طَرَحُ (ما) من إمّا إلا في الشعر قال النمرُ بت تولب :

وإن من خريفٍ فلن يَعدَمَا

سقته الرواعدُ من صَيِّفٍ

وإنما يريد : وإنما من خريفٍ)).^١

لكن في رأي ابن جني على حذف (إمّا) الأولى بدلالة (إمّا) الثانية أي إمّا من صَيِّفٍ وإمّا من خريفٍ^٢ هذا ما قال به أبو علي وأيده ابن جني .

الحكاية

الإعراب على الحكاية

قال ابن جني : ((وأجاز أبو علي في قول الشاعر (من مجزوء الوافر)

وَقِي تَرِحَالِهِمْ نَفْسِي

تَدَاعَوْا بِالرَّحِيلِ غَدًا

ثلاثة أوجه في الرحيل : الرفعُ والنصبُ والجرُّ ، فأما الرفعُ والنصبُ فعلى الحكاية كأنهم قالوا : ((الرحيلُ غداً) و(الرحيلُ غداً)) أي نجعلُ الرحيلَ غداً فحكى الشاعر ما سمع، وأما الجرُّ فبالباء في (بالرحيل) فحكى اللفظة ولم يحك الإعراب، فهذا نظير ، ((دعا بالويل والحرب)) في أن حكى الويل والحرب واعمل الباء ولم يحك الإعراب)).^٣

الحكاية يبقى الاسم على حركة إعرابه التي سمي بها أو كانت أولاً عليه ، كأنهم تنادوا فيما بينهم (الرحيلُ غداً) أو قالوا : (الرحيلُ غداً) فرفعوا ونصبوا على الحكاية ، لأنهم حكوا اللفظ ولم يحكوا الإعراب، وهذا واردٌ عند العرب، ولا سيما في التسمية للأعلام ، فلوسمينا رجلاً بـ (وزيداً) فهو منصوب بالأصل فيبقى في الحالات الثلاث منصوباً عند سيبويه بقوله : ((ولو سميت رجلاً بـ (وزيد، أو وزيداً أو وزيدٌ ، فلا بد لك من أن تجعله نصباً أو رفعاً أو جراً تقول : مررتُ بوزيداً ورأيتُ وزيداً ، وهذا وزيداً . كذلك الرفع والجرُّ ، لأنَّ هذا لا يكون إلا تابعاً)).^٤

وقال أيضاً : ((هذا باب الحكاية التي لا تتغير فيها الأسماء عن حالها في الكلام وذلك قول العرب في رجل يسمي تَابَّطَ شَرًّا : هذا تَابَّطَ شَرًّا وقالوا : هذا بَرَقَ نَحْرُهُ ، ورأيتُ بَرَقَ نَحْرِهِ ، فهذا لا يتغير عن حاله التي كان عليها قبل أن يكون اسماً . وقالوا أيضاً في رجل اسمه ذَرَى حَبًّا : هذا ذَرَى حَبًّا . وقال الشاعر، من بني طهية : (من الرجز)

كَأَنَّهُ جَبْهَةٌ ذَرَى حَبًّا

إِنَّ لَهَا مُرْكَنًا إِرْزَبًّا

^١ الكتاب/١/٢٦٧-٢٦٨

^٢ ينظر المنصف/٣/١١٥

^٣ الفسر/١/٢١٢

^٤ الكتاب/٣/٣٣٣

فهذا كله يترك على حاله. فمن قال : أغير هذا دخل عليه أن يسمي الرجل بيت شعر أو بـ (له درهمان) . فإن غيرَه عن حاله فقد ترك قول الناس وقال ما لا يقوله أحد. وقال الشاعر: (من الطويل)
كذبتُم وبيت الله لاتنكحونها
وعلى هذا يقول : بدأت بالحمد لله رب العالمين ، وقال الشاعر: (من الوافر)
وجدنا في كتاب بني تميم
وذلك لأنه حكى ((أحق الخيل بالركض المعار)) فذلك هذه الضروب إذا كانت اسماء. وكل شيء عمل
بعضه في بعض فهو على هذه الحال)).^١

في ضوء هذه التسمية ومعاملتها على الحكاية لغة وإعراباً استطاع العربي أن يسمي كثيراً من
المسميات والأعلام على هذه الطريقة ولكنهم بهذه التسميات وبمخاطبتهم أيضاً ، كانت هذه التسميات
في صورة مفرد أو جملة والجملة فعلية أو اسمية ، أو كان الاسم مضافاً كما في التسمية على الحكاية
(زهرة اليمن) التي استخدمها جرير في شعره عندما هجاه يماني فقال (إني زهرة اليمن) قال له (يا
زهرة اليمن) . هذا ما رواه وقال به أبو علي ولكن ابن جني لا يذهب إليه.
قال ابن جني : ((وقد جاءت هذه الحكاية عنهم مجيئاً متسعاً . أنشدني أبو علي لرجل يهجو
جريراً: (من البسيط)

أبلغ كليباً ، وأبلغ عنك شاعرها
فقال جرير مجيباً: (من البسيط)
ألم تكن في وسوم قد سمّت بها
فسماه زهرة اليمن على مذهب الحكاية لقوله ، أي : يامن قال إني زهرة اليمن، وليست عندي
كذلك)).^٢

يبدو أن ابن جني لا يذهب كما ذهب شيخه أبو علي إلى أن هذه التسمية (زهرة اليمن) من باب
الحكاية في تسمية الأعلام من الرجال ، فلو كانت هذه التسمية على الحكاية فلازم أن تبقى ملازمة
لحركاتها الإعرابية قبل التسمية كما قال سيبويه ولكنها استخدمت مرفوعةً ومنصوبةً على اللفظ
وليس على المعنى ، وهو في هذا استخدمها صفةً كما في كلمة الطويل ، في قولنا (زيد الطويل) هذا
ما ذهب إليه الخليل . قال سيبويه : ((وقال : زيد الطويل حكايةً ، بمنزلة زيد منطلق، وهو اسم امرأة
بمنزلة قبل ذلك ، لأنهما شيان ، كعاقلة لبيبة ، وهو في النداء على الأصل تقول : يازيد الطويل. وإن
جعلت الطويل صفةً صرفته بالاعراب، وإن دعوته قلت : يازيداً الطويل)).^٣

^١ الكتاب/٣-٣٢٦-٣٢٧

^٢ سر صناعة الاعراب/١/٤٠٥ وينظر الخصائص/٢/٤٦١

^٣ الكتاب/٣-٣٣٣

الفصل الرابع

المباحث اللغوية

أصل اللغة ونشأتها

قال ابن جني: ((باب القول على أصل اللغة ألهم هي أم اصطلاح. هذا موضع محوج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إما هي تواضع واصطلاح، لاوحي وتوقيف. إلا أن أبا علي (رحمه الله)، قال لي يوماً: هي من عند الله، واحتج بقوله سبحانه: ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)) (١) وهذا لا يتناول موضع الخلاف. وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدّر آدم على أن واضع عليها؛ وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة. فإذا كان ذلك محتملاً غير مستنكر سقط الاستدلال به. وقد كان أبو علي رحمه الله أيضاً قال به في بعض كلامه)). (٢)

يفهم من هذا أن أبا علي يأخذ بنظرية التوقيف في نشأة اللغة ويعدها من الله سبحانه وتعالى بدليل نقلني من القرآن الكريم. في حين أن ابن جني يذهب إلى المواضعة والاصطلاح في النشأة وهذا خلاف بين شيخ وتلميذه على الرغم من أنه شايع شيخه ووافق على أنها من عند الله ولكن واضع ابن آدم عليها، فخلط بين التوقيف والمواضعة، وذكر أن أبا علي قد قال في بعض كلامه أن في النشأة تواضع، والله اعلم بالمراد من القول في النشأة والتواضع.

فضلاً عن هذا أن ابن جني وشيخه أبا علي قد أخذوا بنظرية الوضع في نشأة اللغة، ولاسيما قدم الاسم على الفعل في الوضع أو الفعل قدم في الوضع قبل الاسم ولهذا قد اشتق بعض الأفعال من حروف الأصوات التي تستخدم في الزجر للحيوانات مثل حاحيت وعاعيت وغيرها، في محاكات ما للطبيعة من أصوات فجاءت اللغة كطبقة واحدة، كالكتاب المرقوم.

قال ابن جني: ((فقد علمت... قوة تداخل الأصول الثلاثة الاسم والفعل والحرف وتمازجها، وتقدم بعضها على بعض تارة، وتأخرها عنه أخرى، فلهذا ذهب أبو علي رحمه الله إلى أن هذه اللغة وقعت طبقة واحدة كالرقم تضعه على المرقوم والميسم يباشر به صفحة الموسوم، لا يُحْكَمُ لشيء منه بتقدم في الزمان. وإن اختلفت بما

فيه من الصنعة القوّة والضعفُ في الأحوال. وقد كثر اشتقاق الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف ، نحو هاهيت ، وحاحيت ، وعاعيت ، وجأجات، وحأحات، وسأسأت، وشأشأت. وهذا كثير في ، الزجر). (١)
إن نظرية الإلهام والتوقيف نظريه قال بها الأشاعرة يؤيدها القرآن الكريم والتوراة . جاء في العهد القديم الإنجيل المقدس من أن الله جبل ((من الأرض كل حيوانات البريه وكل طيور السماء. فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل مادعا به آدم ذات نفس حيّة فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيورالسماء وجميع حيوانات البرية. (٢)

أما نظرية المواضيع والاصطلاح فهي نظريه قال بها المعتزله وأنّ أبا علي وابن جني كانا معتزليين فخر بما أخذ أبو علي بهذه النظرية أو فهم منه ابن جني أنه قد أخذ بها، ولهذا قال: ((وقد كان أبو علي - رحمه الله - أيضاً قال به في بعض كلامه)).

فضلاً عن هذا أنّ ابن جني قال بنظرية المواضيع والاصطلاح بقوله: ((لنعد فننقل في الاعتلال لمن قال بأنّ اللغة لا تكون وحيّاً وذلك أنّهم ذهبوا إلى أنّ أصل اللغة لا بدّ فيه من المواضيع، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمةً ولفظاً، إذا ذكر عرف به ماسماه، ليمتاز من غيره، وليُغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره، لبلوغ الغرض في إبانة حاله)). (٣)

وفيما أظن أنّ ابن جني يميل إلى نظرية المواضيع على الرغم من أنّه يعرض آراء الآخرين في أسلوب منه، لكنّه في الحقيقة قال بالمواضيع من بداية كلامه مع كلام أبي علي، فضلاً عن هذا أنّ أفكاره ربما هي أفكار أبي علي وإن لم يصرح بها في بعض المواطن فربما أخذها عنه .

ثم إنّ ابن جني لم يكتفِ بالقول بنظرية الإلهام والتوقيف ونظرية المواضيع والاصطلاح، وإنّما عرض نظرية أخرى هي نظرية محاكاة اصوات الطبيعة، إذ يعدّ اللغة نتاج التقليد ومحاكاة الأصوات المنبعثة في الطبيعه من صوت رعد ومطر وخرير ماء وحفيف شجر وهديل حمام ومواء قطة وفحيح أفاعي، إذ يقول: ((وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلّها إنّما هو الأصوات المسموعات، كدوي الرياح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحیح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطيبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد)). (٤)

وفي ضوء هذه النظرية ومفادها صرح تصرّحاً يكاد يجزم على أنّها من أوجه النظريات إلى الصحة وأخصها منزلة عنده ، بقوله: ((وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل)). (٥)

١-الخصائص/٢/٤٠

٢- سفر التكوين -الاصحاح الثاني، الآيتان/١٩-٢٠ ينظر فقه اللغة العربية وخصائصها ١٥

٣-الخصائص/١/٤٤

٤-المصدر نفسه/١/٤٦-٤٧

٥-المصدر نفسه/١/٤٧

فضلا عن هذه النظريات الثلاث التي ذكرها أبو علي وابن جني هناك نظريات أخرُ ظهرت في العصر الحديث، أغلبها تعتمد على الاحتمال والتنظير وأما التطبيق فربما لم يطلق على مجالات ومناحي اللغة والمسميات جميعاً وإنما تأخذ بعض المسميات في التطبيق مسميات أخر. ولهذا فقد ذكرها أنيس فريحه، وحاول التقليل من أهميتها. (١)

يبدو أن أغلب النظريات القديمة والحديثة يشوبها الضعف في الواقع اللغوي ولاسيما محاكاة الطبيعه والنظريات الدالة على الأصوات، لكنّ الراجح منها هي نظرية الإلهام ، والحجة على ذلك الدليل النقلية وهو القرآن الكريم الذي صرح بأن اللغة من الله الذي خلق كل شيء وأحاط به علماً ، فوَقَّفَ لِلإِنْسَانِ حَيَاتِهِ وَأَسْبَابَ دَوَامِهَا، فَكَذَلِكَ وَقَفَ لَهُ لُغَتُهُ ؛ لِأَنَّهَا جِزَاءٌ مِنْ بَقَائِهِ وَعَطَائِهِ ، ولهذا تنبه ابن جني واعتقد أنّها من لدن خبير عليم بقوله: ((واعلم فيما بعد، أنني على تقادم الوقت، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع، فاجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي، مختلفه جهات التغول على فكري. وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفه، الكريمه، اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاق، والرقّة، ما يملك علي جناب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر. فمن ذلك مانبه عليه أصحابنا رحمهم الله، ومنه ما حذوته على أمثلتهم، فعرفت تتابعه وانقياده، وبعد مراميه وآماده، صحّة ما وفقوا لتقديمه منه. ولطف ما أستعدوا، وفرق لهم عنه وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله جلّ وعزّ، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه، وأنها وحي)). (٢)

إنّ ما قاله ابن جني ينبئ عن أنّه تابع شيخه أبا علي في الإلهام والتوقيف وأحس بأن مذهبه هو المذهب الصحيح، ويؤيده ما قال به من سبقهم من أعلام اللغة وأهل النظر والتفسير فهذا أبو الحسن الأخفش قد ذهب من قبل إلى أنّ أصل اللغة إلهام في ضوء تفسير (عرضهم) في قوله تعالى ((الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ)) فقال: ((فيريد: عرض عليهم أصحاب الأسماء)) (٣) وقد أشار ابن جني لهذا بقوله : ((وهذا أيضاً رأي أبي الحسن)). (٤)

ولو رجعنا إلى النص القرآني الشريف ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)) نجد أنّ أغلب أهل التفسير والنظر وأهل اللغة أيضاً يذهبون إلى أنّ هذه الأسماء التي علمها الله إلى نبيه آدم (ع) كانت تشمل جميع المسميات ما يعقل

١ - ينظر نظريات في اللغة/١٥-٢٦

٢ - الخصائص/١/٤٧

٣ - معاني القرآن/١/٥٦

٤ - الخصائص/١/٤١

وما لا يعقل فيجمع هذا المعنى (عرضهم) والمراد به الذي يعقل، ولو أراد ذكر ما لا يعقل فقط، فلقال (عرضها) أو (عرضهن) ولكنه قال (عرضهم) من باب غلبه العاقل على غير العاقل فالأسماء التي علّمها الله سبحانه وتعالى لخليفته في الأرض أسماء الملائكة وأسماء ما في الأرض والسماء من حيوان وجماد وكواكب وغيرها فالأسماء بشخصها والشخص بأسمائها. (١)

قال الفراء: ((فكان (عرضهم) على مذهب شُخوص العالمين وسائر العالم، ولو قُصِدَ قَصْدَ الأسماء بلا شُخوص جازفيه (عرضهن) و (عرضها): وهي في حرف عبد الله (ثم عرضهن) وفي حرف أبي (ثم عرضها) فإذا قلت (عرضها) أن تكون للأسماء دون الشُخوص والشخص دون الأسماء)). (٢)

وقال أبو اسحاق الزجاج: ((قال أهل اللغة: علم آدم أسماء الأجناس، وعرض أصحاب الأسماء من الناس وغيرهم على الملائكة، فلذا قال: (ثم عرضهم) لأنّ فيهم من يعقل وكل ما يعقل يقال لجماعتهم (هم) و (هم) يقال للناس ويقال للملائكة ويقال للجن، ويقال للجان ويقال للشياطين، فكل مميز في الإضمار (هم) هذا مذهب أهل اللغة)). (٣)

يبدو أن الأسماء التي علّم الله سبحانه وتعالى نبيه آدم ليست أسماء الشُخوص فقط أو أسماء الجنس فقط وإنما علّمه الجنين والطفل والأنتى. وهذا لكل جنس من أجناس المسميات .

قال الزجاج: ((وقد قال بعض أهل النظر: إنّ الفائدة في الإتيان بالأسماء أبلغ منها هي الفائدة بأسماء معاني كل صنف من هذه؛ لأنّ الحجة في هذا أن الخيل إذا عرضت فقل ما اسم هذه، قيل خيل، فأى اسم وضع على هذه أنبأ عنها، وإنما الفائدة أن تنبئ باسم كل معنى في كل جنس، فيقال هذه تصلح لكذا، فهذه هي الفائدة البينة التي يتفق فيها أن تسمى الدابة والبعير بأي اسم شئت، والمعنى الذي فيها وهو خاصها معنى واحد وإن اختلفت عليه الأسماء. والله أعلم)). (٤)

والذي يؤكد صحة نظرية الإلهام هو أنّ الله سبحانه وتعالى علّم الأنسان الأسماء التي يتعارف عليها وتحيط به، يفهم هذا من قول ابن عباس (رض): ((علمه الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض، وسهل وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها)). (٥)

فضلاً عن هذا قال مجاهد: ((علمه اسم كل شيء. وقال غيرهما: ((إنما علمه أسماء الملائكة)). وقال آخرون: علمه أسماء ذريته أجمعين)). (٦)

١- ينظر تفسر الرازي ١٧٥/٢-١٧٦

٢- معاني القرآن ٢٦/١

٣- معاني القرآن و اعرابه ١٠٣/١

٤- معاني القرآن و اعرابه ١٠٣/١-١٠٤

٥- الصاحبى في فقه اللغة ٣١/

٦- المصدر نفسه ٣٢/

وفي ضوء هذا نرى ابن فارس يقول بنظرية التوقيف اعتماداً على قول ابن عباس وقول الفراء في (عرضهم) و(عرضهن أو عرضها)؛ لأنّ الله قال (عرضهم) وهذا يقصد ما يعقل، ويشمل أيضاً ما لا يعقل من باب التغليب، العاقل على غير العاقل وهذا سنة من سنن العرب نحو قوله جل ثناؤه: ((والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)) (١) فقال سبحانه وتعالى ((ومنهم)) الضمير للعاقل. وهذا من باب التغليب لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم. (٢)

ثم إن ابن فارس يدل على نظرية الإلهام باحتجاج العلماء بلغة غيرهم من الذين سبقوهم ولو كانت اصطلاحاً ومواضعه لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم أولى منا، فقال: ((والدليل على صحة ما ذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم. ولو كانت اللغة مواضعاً واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج بنا لو اصطلاحاً على لغة اليوم ولا فرق)). (٣)

وحجة أخرى لابن فارس في رفض المواضع، هي أنه لم يبلغ أن قوماً من العرب عاشوا قريباً لزماننا اصطلاحاً على بعض المسميات، ولو كان هذا وارد لاتفق الصحابة رضوان الله عليهم على اصطلاح ذلك على الرغم من أنهم أهل البلاغة والفصاحة لم يسمع عنهم أنهم اصطلاحوا على اختراع لغة أو لفظة لم تتقدمهم. (٤) ودلّ ابن فارس أيضاً على ما ذهب إليه في ضوء تطور اللغة. أي أن الله لم يعلم سبحانه وتعالى، آدم اللغة جملة في زمان واحد، وإنما علمه المسميات التي احتاج إليها في زمانه، وانتشر منها ما شاء الله ثم علم الأنبياء نبياً نبياً حتى وصل الأمر إلى نبينا محمد (ص) فأتاه الله ما لم يؤته لغيره من قبله من علوم الأولين والآخرين، وفي هذا المنوال انتشرت اللغة وتطورت كلاً حسب زمانه واحتاجتهم منها. (٥)

في حجج ابن فارس إثبات لنظرية التوقيف والإلهام؛ لأنّ تفسيره للغة تفسير في ضوء ما يعتقد من إلهام الخالق سبحانه وتعالى لبني البشر من كل ما يحتاجون في هذه الحياة الدنيا وهم أحوج إلى اللغة وطريقة التفاهم. وهذه الحجج أقرب إلى أهل النظر والتفسير الذين قالوا بأن الله علم آدم الأسماء وأراه الاجناس كلها وعلمه هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا ومن هذا يفهم أنه سبحانه وتعالى علمه أسماء الأشياء التي يحتاجها لكي يعمر الأرض؛ لأنه خليفته فيها.

١- النور/٤٥

٢- ينظر الصاحبي في فقه اللغة/٣٢

٣- المصدر نفسه/٣٣

٤- ينظر المصدر نفسه/٣٣-٣٤

٥- ينظر المصدر نفسه/٣٣

قال الزمخشري. ((واشبه ذلك الاسماء كلها: أي أسماء المسميات، فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء ؛ لأنّ الاسم لابد له من مسمى، وعوض فيه اللام كقوله ، واشتعل الرأسُ ، فإن قلت :هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأنّ الأصل وعلم آدم مسميات الأسماء؟ قلت: لأنّ التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات، ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وانبئهم بأسمائهم وجب تعليق التعليم بها. فإن قلت: فما معنى تعليمه أسماء المسميات؟ قلت: أراه الأجناس التي خلقها، وعلمه أنّ هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدينية)). (١)

وقال الطوسي: ((وظاهر الآية وعمومها يدل على أنه علمه جميع اللغات وبه قال الجبائي والرماني فأخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا، تكلم كل قوم منهم بلسان أفوه واعتادوه وتناول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه، ويجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح فلما أهلك جميع الخلاق إلا نوحاً ومن معه كانوا هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها، وتركوا ما سواها، وانقرض ونسوه. (٢)

يفهم من آراء المفسرين وأهل النظر أنّ اللغة هي نافذة من عند الله أفاضها رحمة منه لعباده كي يتفاهموا ويستشعروا بلذة الدنيا واعمارها في العلم والبناء؛ لأنّ اللغة هي وسيلة العلم؛ وهي من عوامل تطور الحياة وبنائها؛ ولهذا فإنّ الله علم آدم (ع) مسميات الأشياء والأجناس والموجودات من حيوان ونبات وجماد وحتى أسماء الملائكة والذراري، وبعد أن علمها آدم لولده تفرقوا بالبلاد فتعلموا ما تعلموا وتركوا غيرها فنسوها؛ ولهذا اختلفت اللغات .

أمّا في شأن النظرية الصوتية التي مفادها محاكاة أصوات الطبيعة من هدير الريح وحفيف الشجر وصرير الجندب، وهديل الحمام وغيرها، فهذه امور تالية على تعلم الجذر الأول للغة من قبل الله سبحانه وتعالى لخلقه، ثم بعد ذلك تحولت اللغة إلى ظاهرة اجتماعية يوم احتك الإنسان بأخيه الإنسان، وشعر بالحاجة إلى التعبير عما في نفسه، وإلى التفاهم مع أخيه الإنسان، ولقد نشأت من محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة، ثم خضعت هذه الظاهره إلى التطور شأن كل ظاهره اجتماعية وهو أقرب الآراء إلى المعقول. (٣) أي أقرب الأمور إلى ما يحسه العقل البشري من الظواهر، بعيدة عن الأمور الغيبية التي بشر بها الأنبياء والرسل والكتب السماوية.

ثم إنّ من يقول بالمحاكاة أو الظاهرة الاجتماعية يعمد إلى الربط بين اللفظ والمعنى لمناسبة فيما بينهم، لأنّ اللفظ هو تعبير انساني لما يسمعه من أصوات في الطبيعة لآدميين وحيوانات ونباتات وجميع الاشياء. وإنّ الرائد

١-الكشاف/١/٢٧٢

٢-التبيان في تفسير القرآن/١/١٣٨ وينظر مجمع البيان/١/٧٦/٧٧ وينظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي/١/١٩٤

٣-ينظر الخليل بن احمد الفراهيدي اعماله ومنهجه/٨٥

لملاحظة هذه الظاهرة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي ذهب إلى وجود علاقة بين اللفظ والمعنى؛ ثم قالت فيه علماء اللغة من بعده .

قال ابن جني في باب إمساس الالفاظ أشباه المعاني: ((اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته . قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب إستطالة ومدًا فقالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازي: تقطيعًا فقالوا صرصر. وقال سيبويه: في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة؛ نحو النقران، والغليان، والغثيان. فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال. (١)

وفي ضوء هذا يفهم أن الخليل وسيبويه قد أشارا إلى هذه المحاكاة الصوتية التي توحى بتقليد الإنسان للطبيعة؛ لأنهم فهموا هذا من النطق بحركات وأصوات الجندب وغيره عند إستطالة لصوته فقالوا صرصر. جاء في العين: ((صرّ الجندب صريراً، وصرصر الأخطب صرصرةً وصرّ الباب يصرّ، وكلُّ صوت، شبه ذلك فهو صرير إذا امتدّ، فإذا كان فيه تخفيفٌ وترجيعٌ في إعادة ضوعف كقولك: صرصر الأخطب صرصرةً)). (٢)

وجاء في الكتاب: ((ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني، قولك: النزوان والنقران، وإنما هذه الأشياء في زعزة البدن واهتزازه في ارتفاع ومثله العسلان والرتكان... كما جاء عليه الصوت نحو الصراخ والنباح... ومثل هذا الغليان؛ لأنه زعزة وتحرك. ومثله الغثيان، لأنه تجيش نفسه وتثور. ومثله الخرطان واللمعان؛ لأن هذا اضطراب وتحرك. ومثل ذلك اللهبان، والصخدان، والوهجان؛ لأنه تحرك الحر وتؤوره، فإنما هو بمنزلة الغليان)). (٣)

يفهم من هذا أن للمحاكاة أثرًا في نشأة اللغة، ولكن لاتعد النشأة الأولى والرئيسة فيها؛ وإنما هي من عوامل تطور اللغة في محاكاة الطبيعة، ولكن النشأة الأولى ترجع إلى الله الذي أحصى كل شيء علمًا؛ ففي علة خلق الانسان استمرار وجوده على الأرض ومن أسباب استمراره اللغة، فالقضية واضحة هو الذي ألهم عبده معرفة الأشياء. ولهذا عدّ أبو علي اللغة طبقة واحدة، في تمازج أصولها الثلاثة الاسم والفعل والحرف، فلا يمكن تقدم أحدها على الآخر لتقدم زمنه وإنما نشأة تلك الثلاثة لأنها أصول واحدة للغة. (٤)

١- الخصائص / ١٥٢/٢ .

٢- العين / ٨١/٧-٨٢.

٣- الكتاب / ٤١/٤ .

٤- ينظر الخصائص / ٤/٢

اللهجات واللغات

للعربية الباقية في عصر النضج اللغوي وقبيل مجيء الاسلام تحديدا. عدة لهجات وتسمى عند القدماء باللغات التي جاءت كلها تحمل خصائص تعبيرية وصوتية خاصة بها، ولهذا عدّ أهل اللغة جواز الاحتجاج بها، فترى ابن جني قد عدّ في خصائصه فصلاً خاصاً سماه ((اختلاف اللغات وكلها حجة)) ويقصد بهذه اللغات أي اللهجات العربية المختلفة، ويجوز الاحتجاج بها جميعاً على الرغم من أنّ بعضها أكثر شيوعاً من غيرها ولا سيما لهجة قريش (١)، فيقول: ((إلا أنّ إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين: فأما إنّ احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه، غير منعيّ عليه، وكذلك إنّ قال: يقول على قياس من لغته كذا كذا، ويقول على من قال كذا كذا، وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغته من (لغات العرب) مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه)). (٢).

إنّ هذه اللهجات العربية تقسم من حيث البداوة والحضارة على قسمين، قسم يعدّ بعض القبائل المعروفة بالفصاحة من القبائل البدوية الضاربة في انحاء الصحراء نحو قبائل: تميم وطيّ وهذيل، وقسم يعدّ قبائل مكة والمدينة من القبائل الحضريّة نحو، قريش والتي تختلف لهجاتها عن لهجات البيئات البدوية، لأنها أكثر حضارة وطراوة في صياغة جملها وتركيب مفرداتها ولحن أصواتها. (٣)

في ضوء هذا تقسم اللهجات العربية على مجموعتين رئيسيتين إحداهما حجازية عربية كما تسمى أحياناً بالقرشية، والأخرى نجدية شرقية والتي تدعى أحياناً (تميمية)، وهذا يظهر في اختلاف النطق بين تلك المجموعتين في كسر فعل المضارعة تعلم وتعلم، ونحو حَقَدَ يَحَقِدُ وحَقَدَ يَحَقِدُ ونحو مَدِينٍ ومَدِين، وهيئات وأيهات. وأمثال ذلك كثير، فضلاً عن هذا معرفة أصل لهجتي تميم وقريش، والظروف التي جعلت من لهجة قريش لهجة فصيحة تلك الظروف التي تمثلت بالعوامل السياسية والدينية والاقتصادية، لكنها لم تكن أقوى قياساً من لهجة تميم في جميع الحالات اللغوية. بل جعلها أغزر مادة وارق أسلوباً وأقدر على التعبير الجميل في أفانين القول المختلفة. (٤)

ولهذا فقد ((ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم. وكشكشة ربيعة. وكسكسة هوازن، وتضجّع قيس وعجرفيّة ضبّة وتلتلّة بهراء)). (٥)

١- ينظر دراسات في فقه اللغة/ ٦٠-٦١

٢- الخصائص/ ١٢/٢.

٣- ينظر دراسات في فقه اللغة/ ٦٦-٦٧.

٤- المصدر نفسه/ ٦٧.

٥- الخصائص/ ١١/٢.

وفي ضوء هذا فقد أكد الفراءُ فصاحة لغة قريش بقوله: ((كانت العرب تحضر الموسم في كلِّ عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستبجح الألفاظ. (١)

يفهم من هذا أنّ لغة قريش كانت من أصفى لغات العرب نتيجةً لاستخدامهم أفصح ما يسمعون عند احتكاكهم بالقبائل العربية، ولهذا أصبحت اللغة العربية المشتركة لجميع العرب، فالشاعر العربي يقول بلغة قريش ويتحاشى خصائص لهجته في بناء الكلمة وإخراج الحروف وتركيب الجملة، ليتحدث إلى الناس بلغة يفهمونها جميعاً.

إنّ دراسة هذه اللهجات والتباين فيما بينها يتحدد في ضوء الامثلة اللغوية التي ذكرت في كتب اللغة ولا سيما ما ذكره ابن جني رويته عن شيخه أبي علي، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على معرفة مظان هذا التباين عند دراسة آراء أبي علي اللغوية واللهجية ومناقشتها في ضوء آراء شيوخه وما كان له وما عليه .

اسم المفعول من (خاط) و(باع) و(كال) في لهجة تميم وأسد والحجاز

قال ابن جني: أخبرني أبو علي قراءة عليه عن أبي العباس عن أبي عثمان عن الأصمعي: قال: بنو تميم - فيما زعم علماؤنا - يتمون مفعول من الياء فيقولون ثوبٌ مَخِيوطٌ وِبُرٌّ مَكِيولٌ. (٢)

اللغة المشهورة والشائعة (مخيوط ومبيوع ومكيول) لغة بني تميم وهي جائزة في القياس ولكن اللغة الفصيحة هي (مَخِيطٌ ومَبِيِعٌ ومَكِيِلٌ) وهذه لغة أهل الحجاز، فالأصل (مبيوع ومكيول) ولكن نقلت الضمة من العين إلى الفاء، فسكنت، وواو مفعول بعدها ساكنة، فحذفت أحدهما، لالتقاء الساكنين. (٣)

وعلة ذلك للخفة في النطق، هذا ما صرح به سيبويه بقوله: ((وتقول في الياء: مَبِيِعٌ ومَهِيِبٌ، أسكنت العين وأذهبت واو مَفْعُولٍ، لأنّه لا يلتقي ساكنان، وجعلت الفاء تابعة للياء حتى أسكنتها كما جعلتها تابعة في بيض، وكانت ذلك أخف عليهم من الواو والضمة فلم يجعلوها تابعة للضمه، فصار هذا الوجه عندهم، إذ كان من كلامهم أنْ يَقْلِبُوا الواو ياءً ولا يتبعوها الضمةً فراراً من الضمة والواو، إلى الياء لشبهها بالألف، وذلك قولهم: مَشُوبٌ، ومَشِيِبٌ، وغارٌ مَنُولٌ ومَنِيِلٌ، ومَلُومٌ ومَلِيِمٌ، وفي حورٍ: حَيْرٌ. وبعض العرب يخرجها على الأصل فيقول: مَخِيوطٌ ومَبِيوعٌ، فشبهوها بصيود وغيور، حيث كان بعدها حرف

١-المزهر/١/٢٢١.

٢-المقتضب من كلام العرب لابن جني/ مع ثلاث رسائل/٨.

٣-ينظر الخصائص/١/٢٥٩.

ساكن ولم تكن بعد الألف فُتْهِمْزَ. ولا نعلمهم أتموا في الواوات، لأنّ الواوات أثقل عليهم من الياءات ومنها يفرون إلى الياء؛ فكَرِهوا اجتماعهما مع الضمة)). (١)

يبدو أنّ سيبويه يعلل حذف الواو للثقل وهذه عنده لغة عامة العرب أو اللغة المشتركة أو هي الأغلب في الاستعمال، فالأولى في مفعول، من خاط مَخِيطٍ، وهو الأعم الأغلب عند عامة العرب، ولكن بعض العرب، المقصود هنا بنو تميم، يقولون (مَخِيط) فييقون الواو والأفصح حذفها؛ لأنها تولد ثقلا في النطق كما نص على ذلك سيبويه.

قال ابن منظور: ((وبرُّ مكيْلٌ، ويجوز في القياس مكيُولٌ، ولغة بني أسد مكوُولٌ، ولغة رديئة مُكال، قال الأزهري: أمّا مُكال فمن لغات الحَضْرِيّين، قال وما أراها عربية محضةً، وأمّا مكوُول فهي لغة رديئة، واللغة الفصيحة مكيل ثم يليها في الجودة مكيول)). (٢)

يفهم من هذا أنّ القياس لغة (مكيول ومَخِيط) وهي الأصل وأنها لغة بني تميم على الرغم من أنّها ثانية في الجودة؛ لكنّها تعدُّ فصيحةً أيضاً؛ لأنها الأصل والقياس عليها.

قال ابن جني: ((ومن ذلك اسم المفعول من الثلاثي المعتلّ العين؛ نحو مبيع، ومَخِيط، ورجل مدين، من الدّين. فهذا كله مُعَيَّر. وأصله مبيوع، ومديون، ومَخِيط، فغير، على ما مضى، ومع ذلك فبنو تميم يتمون مفعولا من الياء فيقولون: مخيوط ومكيول؛ قال: (من الكامل)

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَزْعُمُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالَ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعِيُونٌ). (٣)

وهذا البيت لعباس بن مرداس وهو قيسي النسب (٤)؛ ولهذا نقول: إنّ هذه لهجة قيسية فضلاً عن أنّها لهجة تميمية.

حذف تنوين النصب عند الوقوف في لغة ربيعة

قال ابن جني: ((وحدثنا أبو علي قال: حكى أبو عبيدة: رأيت فرجاً. فكما حمل أزد السراة المرفوع والمجرور على المنصوب كذلك حمل أهل هذه اللغة التي حكاها أبو علي عن أبي عبيدة المنصوب على المرفوع والمجرور. فهذه حال حذف التنوين في الوقوف من الاسم المنون، وإبدال حرف منه في

١- الكتاب/٤/٣٤٨-٣٤٩.

٢- لسان العرب/مادة، كيل وينظر في اللهجات العربية/٣٠٥.

٣- الخصائص/١/٢٦٠-٢٦١.

٤- ينظر معجم الشعراء/٢٦٢ وديوانه/١٠٨ وينظر جمهرة انساب العرب/٢٦٠-٢٦٣.

مكانه، وإن كان غير ممنون فلا نظري ان الوقف عليه بلا تنوين البتة، وذلك نحو: ضربت عمراً، وقام أحمد، ونظرت إلى الرجل). (١)

إن لغة ازدالسراة التي أشار إليها ابن جني في ضوء هذه المسألة كانت تشبع الضمة فتكون واوا والكسرة ياءً فتقول: هذا زيدو، ومررت بزيدي قياساً على الألف التي تبقى في حالة حذف التنوين فيها . هذا فيما زعم الأخفش الأكبر أبو الخطاب .

قال سيبويه: ((وزعم أبو الخطاب أن أزدالسراة يقولون هذا زيدو، وهذا عمرو، ومررت بزيدي وبعمري؛ جعلوه قياساً واحداً؛ فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف)). (٢)

((وزعم أبو الحسن - يعني الأخفش الاوسط - أن ناساً يقولون: رأيت زيداً؛ فلا يثبتون ألفاً؛ يجرونه مجرى المرفوع والمجرور والمعروف أن هذا لغة ربيعة وأنشدوا في ذلك : (من الطويل)

ألا حبذا غنمٌ وحسنٌ حديثها
لقد تركت قلبي بها هائماً دنفاً)). (٣)

الظاهر أن اللغة التي لا تثبت الألف عند النصب نحو (رأيت فرجاً) أو (رأيت زيداً) هي لغة ربيعة.

قال سيبويه: ((وزعم أبو الخطاب أن أناساً من العرب يقولون في الوقف : طلحت)) (٤) فلغة التسكين عند الوقف مستعملة عند بعض العرب في حالة النصب وغيرها .

أدبُه لغة في يده

قال ابن جني: ((وهو أن أبا علي أخبرني أن يعقوب حكى عنهم أنهم يقولون ((قطع الله أدبهُ، يريد (يدَهُ)، قال أبو علي: فالهمزة في أدبهِ ليست بدلاً من الياء، إنما هي لغة في الكلمة، بمنزلة يسرُوع وأسرُوع، ويَلْمَمُ وأَلْمَمَ . ونحو قول طرفه : (٥) (من الرمل)

أرقَّ العينَ خيالٌ لم يقرَّ
طافَ و الركبُ بصحراءِ أسرَّ

ويروى يسرُ فهدت كلها لغات، وليس بعضها بدلاً من بعض، وقولهم: أدبُهُ وزنه: فعَلُهُ، ردّ اللام، وهي ياء لقولهم: يديت إليه يداً. فصارت (أدبي) كما ترى بوزن فعل)). (٦)

بعد مراجعتي كتاب الإبدال لابن السكيت وجدت أنه يذكر (قطع الله يديه) و (قطع الله أدبهُ) رواية عن الكسائي، وأن يسرُوع وأسرُوع التي استشهد بها أبو علي هما اسم واحد لدويبة تصبح فراشه عند اتسلاخها. بقوله: ((ويقال لدويبة تسلخ فتصيرُ فراشةً: يسرُوع وأسرُوع، ويُقال: هي الدودة التي تكونُ في البقل. ويُقال: قطعَ اللهُ يديهِ، وحكى اللحياني عن الكسائي أنه سمعَ بعضهم يقول:

١- سر صناعة الاعراب/٢/٥٢٢.

٢- الكتاب/٤/١٦٧.

٣- هامش المحقق هارون/٤/١٦٧-١٦٨

٤- الكتاب/٤/١٦٧

٦- سر صناعة الاعراب/١/٢٣٨-٢٣٩.

٥- شرح ديوان طرفه/٩٦.

قَطَعَ اللهُ أَدْيِيهِ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الرَّقِيقِ الْيَدَيْنِ)). (١) وَاضَافَ الْقَالِي: ((إِنَّهُ لِيَدِيٌّ وَأَدِيٌّ)). (٢)
يَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ حَقَّقَ وَجُودَ لُغَتَيْنِ هُمَا (أَدْيِيَّةٌ) وَ(يَدِيَّةٌ) وَلَيْسَتْ الْهَمْزَةُ بَدَلًا مِنَ الْيَاءِ
مُسْتَنَدًا إِلَى قَوْلِ ابْنِ السَّكَيْتِ فِي يُسْرُوعٍ وَأَسْرُوعٍ، بِأَنَّهُمَا وَاحِدٌ لِدَوْبِيهِ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ
لُغَتَيْنِ وَتَسْمِيَتَيْنِ عِنْدَ الْعَرَبِ لِهَذِهِ الدَّوْبِيَّةِ، فَالْأَدْيِيُّ وَالْيَدِيُّ هُمَا لُغَتَانِ فِي ضَوْءِ لَهْجَاتِ الْعَرَبِ .
فِي حِينِ نَرَى أَنَّ ابْنَ جَنِيٍّ خَالَفَ شَيْخَهُ أَبَا عَلِيٍّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، لِأَنَّ عِنْدَهُ الْيَاءُ قَلْبَتْ هَمْزَةٌ
فِي قَوْلِهِمْ: ((قَطَعَ اللهُ أَدْيِيَّهُ)) أَصْلُهَا (يَدِيَّهُ)، وَبِذَلِكَ رَدُّوا السَّلَامَ الْمَحْذُوفَةَ وَأَعَادُوا الْعَيْنَ إِلَى
سَكُونِهَا. وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ((إِلَّا أَنِّي أَنَا أَرَى فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ خِلَافَ مَا رَأَى أَبُو عَلِيٍّ؛ لِأَنَّهُ ذَهَبَ
إِلَى أَنَّ الْهَمْزَةَ فِي (أَدْيِيَّهُ) لَيْسَتْ بَدَلًا مِنَ الْيَاءِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَصْلٌ بِرَأْسِهِ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَهَبَ
إِلَيْهِ، لَتَصَرَّفَ الْهَمْزَةُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ تَصَرَّفَ الْيَاءِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لِأَنَّ نَجْدَهُمْ يَقُولُونَ: يَدَيْتُ
إِلَيْهِ يَدًا، وَيَدَيْتُ أَيْضًا وَيَدَيْتُ الصَّيْدَ: إِذَا أَصَبْتَ يَدَهُ وَكَسَرْتَهُ فَقَالُوا: يَدِيَّ وَأَيْدٍ وَأَيَادٍ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:
(مِنَ الطَّوِيلِ)

فَلَنْ أَذْكَرَ النِّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يَدِيًّا وَأَنْعُمًا

فَجَاءَ بِالْجَمْعِ عَلَى فَعِيلٍ، وَهَذَا اسْمٌ لِلْجَمْعِ عِنْدَنَا وَلَيْسَ مَكْسَرًا كَأَيْدٍ وَأَيَادٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ عَبِيدٍ
وَكَلْبٍ لْجَمَاعَةِ عَبْدٍ وَكَلْبٍ، وَلَمْ نَرِ الْهَمْزَةَ فِي أَدْيٍ مَوْجُودَةً فِي غَيْرِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، وَفِي أَحَدٍ وَجْهِي
أَدْيِيَّتِهِ، الَّذِي جُوزَنَاهُ آفَافًا. عَلَى أَنَّا نَعْتَقِدُ فِيهِ أَنَّهُ إِنَّمَا بَنَى أَفَعَلْتَهُ مِنْ لَفْظِ (الْأَدْيِيِّ) بَعْدَ أَنْ قَلْبَتْ هَمْزَتُهُ
عَنِ (يَدِيٍّ)، وَإِلَّا فَالْيَاءُ هِيَ الْأَصْلُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَا أَشْبَهَ بِهِ مِنْ نَحْوِ: يُسْرُوعٍ وَأَسْرُوعٍ،
وَيَلْمَمٌ وَالْمَلْمُ، وَأَسْرُويُسْرُ، لِاطِّرَادِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ فِي مَكَانِ صَاحِبِهِ وَقَلَّةِ اسْتِعْمَالِهِمْ
(الْأَدْيِيُّ) فِي مَعْنَى الْيَدِ، فَاعْرِفْ ذَلِكَ)). (٣)

فِي ضَوْءِ هَذَا تَبَيَّنَ أَنَّ ابْنَ جَنِيٍّ يَعُدُّ فَاءَ الْكَلِمَةِ هَمْزَةً فَتَكُونُ أَدْيِيَّتَهُ عَلَى (أَفَعَلْتَهُ) مِنَ الْأَدْيِيِّ عَلَى
قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ أَوْ الْأَدْيِيِّ فِي قَوْلِ غَيْرِهِ - وَهُوَ الْمَبْرَدُ - لِأَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ. (٤)
بِقَوْلِهِ ((نَطَقُوا بِالْفَاءِ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ هَمْزَةً مَثْنًا كَانَتْ أَوْ مَفْرَدَةً، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
قَوْلُهُمْ أَدْيِيَّتَهُ عَلَى كَذَا أَفَعَلْتَهُ مِنَ الْأَدْيِيِّ فِي قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ، أَوْ الْأَدْيِيِّ فِي قَوْلِ غَيْرِهِ، أَيُّ كُنْتُ

١. كتاب الإبدال/١٣٧.

٢. الأمالي/١٦٠/٢.

٣- سر صناعة الاعراب/١/٢٣٩-٢٤٠.

٤. ينظر المصدر نفسه/١/٢٣٩.

له يدا عليه وظهيراً معه ، فيكون كقول النبي عليه السلام: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.))، أي كلمتهم واحدة فبعضهم يقوي بعضاً)). (١)

فقطع الله أدبِهِ، وقطع الله يَدَهُ لغتان في رأي أبي علي، لا إبدال في الكلمة وإنما كل واحدة منهما كلمة استخدمت في لهجة من لهجات العرب، (فأدبِهِ) لغة في الكلمة، أما في رأي ابن جنبي، فقد جاءت الهمزة بدلاً من الياء ؛ لأنه يراها في احد وجهي (أدبِهِ) الذي يعتقد في بنائه على (أفعله) من لفظ (الأدبي) الذي قال به أبو علي، ولكن قلبت همزته عن (يدي)، فقد أرجعه إلى المثني (يديهِ) و (إدبِهِ) وهذه مستعملة عندنا ومعلومة فتقول: (غسلت إدبِهِ) ونخفف فنقول (إدبِهِ).

لغات أفّ

قال ابن جنبي: ((أخبرنا أبو علي أن في ((أفّ)) سبع لغات: أفّ وأفّ وأفّ، وأفّ وأفّ، وأفّ وأفّ، ومال، وهو الذي تقول فيه العامة: أفّ بالياء)). (٢)

إن الذي ذهب إليه أبو علي قد ذهب إليه الخليل ، ولكن باختلاف ، فقد قال الخليل فيها ثلاث لغات الكسر والضمّ والفتح بلاتنوين وأفضلهنّ الكسر، أما التنوين فالرفع أولى ؛ لأنه يصبح اسماً بمنزلة ويلّ له، فبالتنوين يكون مرفوعاً ومنصوباً والنصب على المصدر نحو قولك: أفّفت أفّاً، فهذه خمس لغات، فضلاً عن لغة الكسر مع التنوين، إذا قلت له: أفّ، فتلك ست لغات، فلم يذكر الممال. (٣)

إن هذه اللفظة هي اسم فعل دال على التضجر، وقد ذكرها الله في كتابه العزيز بهذا المعنى، وجاءت في ضوء الرسم القرآني مشددة الفاء ومنونة بالكسرة، قال تعالى: ((فَلَاتَقُلْ لَهُمْ أَفّ)) (٤) إلا أن القراء اختلفوا في التنوين ومن دونه، فمن نون جعلها صوتاً لا يعرف معناه إلا عند النطق، ومن لم ينون جعلها كلمة على ثلاثة أحرف لاصوت، ويعامل معاملة الاسم فيصيبه الرفع والنصب والخفض.

قال الفراء: ((قرأها عاصم بن أبي النجود والأعمش (أفّ) خفضاً بغير نون. وقرأ العوام (أفّ) فالذين خفضوا ونونوا ذهبوا إلى أنها صوت لا يعرف معناه إلا بالنطق به فخفضوه كما تخفض الأصوات. ومن ذلك قول العرب: سمعت طاقٍ لطاقٍ لصوت الضرب، ويقولون: سمعت تغّ تغّ لصوت الضحك. والذين لم ينونوا وخفضوا قالوا: أفّ على ثلاثة أحرف، وأكثر الأصوات إنما تكون على حرفين مثل صهّ ومثل بغّ ومهّ، فلذلك الذي يُخفض وينون فيه لأنه متحرك الأول . ولسنا بمضطرين إلى حركة الثاني من

١- سر صناعة الاعراب/١/٢٣٩.

٢- التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/٥٣٨.

٣- ينظر العين/٨/٤١٠.

٤- الاسراء/٢٣.

الأدوات وأشباهها فيُخَفَضُ فخفض بالنون: وشبهت أف بقولك مدّ و رُدَّ إذ كانت على ثلاثة أحرف. ويدلّ على ذلك أنّ بعض العرب قد رفعها فيقول أفُّ لك ... وقد قال بعض العرب: لاتقلن له أفّا ولا تُفّا يجعل كالاسم فيصبيه الخفض والرفع والنصب، والنصب بلا نون يجوز كما قالوا: رُدَّ. والعرب تقول: جعل يتأفّف من ربح وجدها، معناه يقول: أفّ أفّ). (١)

أما أبو الحسن الأخفش فقد ذكر أنّها قرئت بالكسر والفتح بالتنوين وغيره (أفّ أفّا) نحو (تعساً) وعدّ ذلك لغةً، والكسر عنده كثير وهو الأجود، وتكون اسماً غير متمكن نحو (أمس) من دون تنوين وبالفتح أيضاً، وإن كانت بالفتح من غير تنوين تعرب على الحكاية، أي لاتقلن لهما هذا القول. (٢)

يبدو أنّ القراء اختلفوا في كسر الفاء وفتحها بالتنوين ومن دونه قال ابن مجاهد: ((فقرأ ابن كثير وابن عامر: (أفّ) بفتح الفاء، وقرأ نافع (أفّ) بالتنوين وكذلك في الأنبياء (٦٧) والاحقاف (١٧)، وحفص عن عاصم قبله. وقرأ أبو عمر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: (أفّ) خفضاً بغير تنوين)). (٣)

فقراءة ابن كثير بالفتح عدّها اسم فعل مبنياً فلم يلحق به التنوين. أما قراءة نافع، بالكسر مع التنوين دلت على أنّه اسم نكرة نحو فداءً لك، فدخول التنوين دل على تكثيره؛ لأنّ التنوين علم التنكير ومن قال أفّ ولم ينون جعله معرفة فلم ينونه؛ وأمّا موضع أفّ في هذه اللغات في الإعراب كموضع الجمل في الإعراب على الحكاية. (٤)

١- معاني القرآن/٢/١٢١.

٢- ينظر معاني القرآن/٢/٣٨٧-٣٨٨.

٣- السبعة في القراءات/٣٧٩.

٤- ينظر الحجة للقراء السبعة/٣/٥٥-٥٦.

التداخل بين اللهجات

قال ابن جني: ((دخلت يوماً على أبي علي - رحمه الله - خالياً في آخر النهار، فحين رأيته قال لي: أين أنت؟ أنا أطلبك، قلت، وما ذلك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من (حوريت؟ فحضنا معاً فيه، فلم نحل بطائل منه فقال: هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلتهم)). (١)

وقال في مكان آخر: ((فحضنا فيه، فرأيناه خارجاً عن الكتاب. وصانع أبو علي عنه بأن قال: إنه ليس من لغة ابني نزار، فأقل الحقل به لذلك. وأقرب ما ينسب إليه أن يكون فعليتاً، قريباً من عفرية)). (٢)

لم يذكر سيبويه (حوريت) وإنما ذكر (عفرية) التي هي قريبة لوزنه (فعليت) ولأنّ التاء فيهما زائدة، فعُدَّ (عفرية) من (العفر) بقوله: ((فمما يبين لك أنّ التاء فيه زائدة... عفرية لأنها من العفر)). (٣)

وقرنتها (صوليت)؛ لأنه يمكن أن يقال إنّ الأصل في حوريت (حوريت) (٤). وهو موضع بالجزيرة العربية. (٥)

في ضوء هذا أنّ أبا علي صانع في إيجاده له هذا الوزن؛ لأنه وتلميذه ابن جني لم يجدا له حلافي لغة ابني نزار (ربيعية ومضر) وإنما عدّوه من لغة اليمن ومن الألفاظ التي دخلت من لغة الجنوب إلى لغة الشمال واختيارهم للوزن فعليت لقربه من (عفرية) على وزن (فعليت)، تخلصاً من المسألة اللغوية في إيجاد مخرجاً لها، لكن البناء والاستخدام اللغوي دخيل على عربية ابني نزار من عربية اليمن (الجنوبية)، ونعلم أنّ عربية الجنوب هي ليست عربية الشمال في ضوء قول أبي عمرو بن العلاء: ((مالسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا)) (٦)؛ ولهذا عدّت هذه الكلمة دخيلة في ضوء التداخل بين اللغات الشمالية من جهة ولغة الجنوب وبين الشمالية نفسها فلا ضير من هذا التداخل والاقتران، كما نشاهده اليوم في لغات العالم. وقد جوّز ابن جني هذا التداخل لقرب اللغتين فيما بينهما من وشائج وصلات لغوية بقوله: ((فلسنا نشك في بُعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار؛ فقد يمكن أن يقع شيء من تلك اللغة في لغتهم فيساء الظنّ فيه بمن سمع منهم وإنما هو منقول من تلك اللغة)). (٧)

يبدو أنّ هذه اللفظة كانت مستعملة في لغة ابني نزار، بعد اقترانها من لغة اليمن، بدليل أنّها سميت

باسم موضع في الجزيرة يقال له (حوريت)، فضلاً عن أنّها قريبة الاستخدام في عربية الشمال بدليل

١- الخصائص/١/٣٨٧.

٢- المصدر نفسه/٣/٢٠٧.

٣- الكتاب/٤/٣١٥-٣١٦.

٤- ينظر المتمتع في التصريف/١/١٢٥.

٥- ينظر معجم ما استعجم/٢/٤٧٥.

٦- طبقات فحول الشعراء/١/١١١.

٧- الخصائص/١/٣٨٦.

أن لها وزناً مقارياً لحروفها وهو (فعليت) الذي على وزنه (عفريت)، ولها كلمة مقاربة معها في الوزن هي (صوليت) (١) التي يمكن أن تكون (صوليت) وتحولت إلى (صوليت) نتيجة الاستخدام اللغوي. وبهذا يمكن أن تعد كلمة (حوريت) هي من بقايا اللغات القديمة التي احتفظت بها العربية الشمالية .

الاشتقاق وأنواعه

قال ابن جني في باب الاشتقاق الأكبر أو ما يسمى بالتقاليب: ((هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي رحمه الله - كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه، ويتعلل به، وإنما هذا التلقيب لنا نحن)). (٢)
قبل الخوض فيما ذكره ابن جني، لابد من معرفة الاشتقاق وأنواعه، فالاشتقاق لغة: ((الأخذ في الكلام وفي الخصومات مع ترك القصد، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذُه منه)). (٣)

واصطلاحاً: ((نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنىً وتركيباً ومغايرتها في الصيغة)). (٤) أو هو ((أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنىً ومادةً أصليةً، وهيئةً تركيباً لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئةً كضارب من ضرب، وحذر من حذر)). (٥)
فيصح أن يكون بمعنى توليد الألفاظ بعضها من بعض، في ضوء أصل بينها ترجع إليه، حتى تتولد منه، فهو في الألفاظ كوشائج النسب بين الناس، فلا بد من وجود عناصر معينة حتى تتحقق صحة هذا الاشتقاق، منها الاشتراك في عدد الحروف أما ثلاثة أو أقل من ذلك، وأن تكون الحروف مرتبة ترتيباً واحداً، ولا بد أن يكون بينها قدر من المعنى المشترك قياساً إلى الأصل. (٦)

أما أنواعه فقد ذكرها أهل اللغة وقالوا فيها الاشتقاق الصغير: هو الاشتقاق المتداول بين أهل الصرف أو ما يسمى بتصريف الكلمة أي أخذ كلمة من كلمة بحيث يكون بينهما تناسب بالحروف والمعنى، نحو ضرب ضارب، ومضروب، وضرب، وضرب، وضرب، قال ابن جني: ((فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم؛ كأن نأخذ أصلاً من الأصول فنتقراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه؛ نحو سلم ويسلم، وسالم وسلمان وسلمي والسلامه، والسليم،... وبقيّة الأصول غيره؛ كتركيب (ض رب) و(ج ل س) و(ز ب ل) على ما في أيدي الناس

١ - ينظر الممتع/١/١٢٥.

٢ - الخصائص/٢/١٣٣.

٣ - العين/٥/٨ والصاح/مادة شق.

٤ - التعريفات/٢٢.

٥ - المزهر/١/٣٤٦.

٦ - ينظر فقه اللغة وخصائص العربية/٧٨.

من ذلك. فهذا هو الاشتقاق الأصغر)). (١)

والاشتقاق الأكبر الذي يكون بين الكلمتين تناسب في المخرج الصوتي للكلمة نحو: (تعق ونهق ودنّ وطنّ)، هذا ما يسمى بالإبدال اللغوي ولا بد أن يكون أحدهما أصلاً والآخر فرعاً ، فضلاً عن أنه يتكون من إبدال صرفي وإبدال لغوي ، فالصرفي كما في إبدال تاء افتعل نحو (اصطنع) وأصلها (اصتنع)، وإبدال ألف صام من الواو لأنّ أصلها صَوَمَ. والإبدال اللغوي: هو تعاقب بالحروف بين الكلمتين بشرط أن يكون بينهما تقارب في المخرج، وأن يكون أحدهما أصلاً للآخر، واللغة ثانية، فإن كانت لغة فهذا اختلاف في اللهجات، على الرغم من أن بعض اللغويين يردون سبب الإبدال إلى اختلاف اللهجات العربية. (٢)

أما الاشتقاق الكبير: هو الذي يسمى بالتقاليب أو القلب اللغوي يشترط فيه أن يكون بين الكلمتين تناسب في اللفظ والمعنى، من دون ترتيب الحروف، نحو جذب وجذب، وحمد، ومدح، وهذا هو الذي أشار إليه ابن جني وذكر أن شيخه أبا علي هو الذي كان يستخدمه ويطبقه، لكن الذي قال فيه وطبقه على مفردات اللغة العربية أول الأمر هو العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - والشاهد على ذلك هو كتابه العين، فقد رتبته وألفه في ضوء فكرة التقاليب، ففي الثنائي يكون هناك وجهان نحو (عقّ وقعّ) وفي الثلاثي ستة أوجه نحو (ضرب، رضب، بضر، ربض، ضبر، برض) والرباعي أربعة وعشرون وجهاً والخماسية مئة وعشرون وجهاً، وأنّ الذي هدى الخليل إلى هذا هو عقليته العلمية الفاحصة لمفردات اللغة؛ لأنه أراد أن يحصر مفردات اللغة ويحصي كل شارده ووارده فيها ليجمعها فاسترشد إلى هذه الطريقة من أمهات أفكاره لم يهتد إليها قبله، فهو الرائد فيها، وعلى الرغم من أنه لم يذكر هذا في كتابه العين لكن الأثر يدل على المؤثر، فالعين معجم لغوي بُني على فكرة التقاليب اللغوية الذي سمّي بعد ذلك بالاشتقاق الأكبر وقد خطا بعده لغويون واعتمدوا فكرة تقاليبه واخذوا عنه أمثال ابن دريد في الجمهوره، ولذلك يُعدُّ الخليل المكتشف لهذه الطريقة. لا بل أن بعض اللغويين يعدونه زعيماً لمدارس الاشتقاق أشكاله وأنواعه وتطبيقاته، وما جاء من بعده يُعدُّ شرحاً لأعماله وأفكاره.

قال د. مهدي المخزومي: ((وإن أرخ الاشتقاق فينبغي أن يؤرخ بالخليل واعماله اللغوية، فهو زعيم هذه المدارس التي عرضت للاشتقاق، بل لم يكن عمل العلماء بعده في الغالب إلا شرحاً لمجمل أقواله، وتوضيحاً لما اتبهم منها، وتكميلاً لما فاتته منها. فالاشتقاق الصغير قد وفي الخليل وتلاميذه وطبقته حقه من البحث والدرس فلم يزد المتأخرون فيه شيئاً، والاشتقاق الكبير من عمل الخليل أيضاً، وإن كان عمله

١. الخصائص/٢/١٣٤.

٢- ينظر فقه اللغة العربية وخصائصها/٢٠٥-٢٠٦.

فيه محدوداً؛ لأنه لم يرم منه إلى أن يدرسه، وأما رمى إلى الاستفادة منه في حصر اللغة العربية في تقاليد كلماتها وتصريفها، ولم يثبت من هذه التقاليد إلا ما ثبت له استعمال العرب إياه، فإذا كان أبو الفتح ابن جني أول من لقبه بهذا الاسم، كما صرح في الخصائص، فإن الخليل أول من التفت إليه، وشرح طريقته، وبنى تأليف كتاب العين عليه؛ لأن كتاب العين مؤلف من طوائف، كل طائفة منها تحتوي على تركيب من التراكيب ووجوه المحتملة المستخرجه منه)). (١)

في ضوء هذا يخيل لي أن الذي أورده ابن جني نقلاً عن شيخه أبي علي ما هو إلا من توارد الخواطر في تقييم شيخه والتأثر بعلمه أو اسداء المدح أو من قبيل الوفاء من تلميذ لشيخه، فهو بذلك ذكر أن أبا علي هو الذي كان يستعين به ويخلد إليه، ولكنه لم يسمه، وبهذا يريد أن يقول إن الذي سماه هو أنا (أي ابن جني) ولكن لا يريد أن يصرح وإنما لمح تلميحاً، فضلاً عن أنه ذكر أن أبا علي كان يحتاج إلى الاشتقاق الصغير ليرفد بحوثه اللغوية الاشتقاقية، فهو بذلك كان يسير على مساره عليه شيوخه كأبي بكر بن السراج الذي ألف كتاباً في الاشتقاق الصغير كما يذكر ابن جني، وفي ضوء هذا أقول: إن لأبي علي الفضل في التطبيق لهذه المسألة ونقلها لتلاميذه، واهتمامه بها .

وفي ضوء هذا أيضاً نرى أن أبا علي يذهب إلى اشتقاق أصول من أصوات وعبارات فضلاً عن أنه ذهب كغيره من البصريين إلى أن المصدر أصل الفعل والفعل أصل الصفة، فذهب إلى أكثر من هذا في مسألة اشتقاق الأصول وعدّها طبيعية. (٢)

فقال عنه ابن جني في باب نقض الأصول وإنشاء أصول غيرها منها. ((رأيت أبا علي - رحمه الله - معتمداً هذا الفصل من العربية، ملماً به، دائماً التطرق له، والفرع فيما يحدث إليه. وسنذكر من أين أنس، حتى عول في كثير من الأمر عليه. وذلك كقولنا: بأبأت بالصبي بأبأة وبنباء إذا قلت له: بنبا - أي بأبي أنت أي أفديك بأبي - . وقد علمنا أن أصل هذا أن الباء حرف جرّو الهمزة فاء الفعل... نقول: إن بأبأت الآن بمنزلة رأأت عيناه (أي تحركت حدقاتهما ودارتا)، وطأطأت رأسي، ونحو ذلك مما ليس منتزعاً ولا مركباً. فمثاله إذا: فعلت فعللةً وفعللاً، كدحرجت دحرجة ودحراجاً)). (٣)

يبدو أن أبا علي مهتم بالاشتقاق مطبقاً إياه في مسائل اللغة، حتى أنه جوز اشتقاق الأفعال والمصادر من الحروف، وقد صرح بهذا تلميذه ابن جني بقوله: ((ان كثيراً من الأفعال مشتق من الحروف، نحو قولهم سألتك حاجة فلوليت لي، أي قلت لي: لولا، وسألتك حاجة فلا لبيت لي: أي قلت لي: لا)). (٤) وذكر هذا في مكان آخر بقوله (وكتب إلي أبو علي في شيء سألته عنه ،

١- الخليل بن احمد الفراهيدي اعماله ومنهجه/٩٢.

٢- ينظر ابو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية/٩١.

٣- الخصائص/٣/٢٢٧.

٤- المصدر نفسه/٢/٣٤.

قال: قال: بعضهم... وذكر ذلك الاشتقاق)). (١) وقال أيضاً: ((قال: وقالوا: بأبأ (الصبي أباه، أي: قال له: بابا)). (٢)

وكان أبو علي دقيق الملاحظه في ظاهرة الاشتقاق ؛ لأنه يتأمل المادتين لكي يصل إلى أيهما هي الأصل وإذا لم يصل إلى ذلك يجعل كلاً منها أصلاً برأسه أو مؤنثاً ومذكراً. قال ابن جني: ((قال أبو علي: رحمه الله: ليس بنت من ابن كصعبة من صعب وإنما تأنيث ابن على لفظه أبنة)). (٣) هذا ما يخص الاشتقاق الصغير، أما الاشتقاق الكبير أو الذي يسمى بالتقاليب فإن أباً علي كان يهتم به والدليل أن تلميذه ابن جني قد كتبه من أستاذه، كما أشار إليه وعلى هذا يكون لأبي علي الفضل في التجديد في موضوعات هذا الاشتقاق .

الأضداد

الأضداد لغة تعني النقيض والمقابل، قال الخليل: ((الضد: كل شيءٍ ضادٌ شيئاً ليغلبه، والسواد ضدّ البياض والموت ضدّ الحياة، تقول: هذا ضدّ هو ضديد هو الليل ضدّ النهار، إذا جاء هذا ذهب ذلك، ويجمع على الضداد. قال الله عزّ وجلّ: ((ويكونون عليهم ضداً)). (٤)). (٥)

أما في الاصطلاح: هو تصرف اللفظة إلى معنيين متضادين (٦) أي أحدهما ضد الآخر نحو الجون، يعني الأسود والأبيض، قال ابن فارس: ((ومن سنن العرب في الاسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو: الجون للأسود، والجون للأبيض)). (٧)

إن أول من التفت إلى هذه الظاهرة في العربية هو الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما تعرض إلى كلمة (الشعب) فوجدها تعني التجمع والتفرق (٨) فقال: ((وشعبت بينهم، أي: فرقتهم، وشعبت بينهم بالتخفيف: أصلحت. والتأم شعبهم، أي: اجتمعوا بعد تفرقتهم وتفرقت شعبهم، قال الطرماح: (من المديد)

* شتَّ شعبُ الحيِّ بعد التئام *

وقال ذو الرمة: (من البسيط)

* ولا تقسمُ شعباً واحداً شعباً *

١- سر صناعة الاعراب/٢/٧٤٥.

٢- المصدر نفسه/٢/٧٤٥.

٣- الخصائص/١/٢٠١.

٤- مريم/٨٢.

٥- العين/٦/٧.

٦- الدراسات اللغوية عند العرب/٤١٨.

٧- الصحابي في فقه اللغة/٩٧-٩٨.

٨- ينظر الدراسات اللغوية عند العرب/٤١٩.

وشَعَبَ الرَّجُلُ أَمْرَهُ : فرقه . قال الخليل: هذا من عجائب الكلام ووسع اللغة والعربية أن يكون الشعب تفرقا . ويكون اجتماعا وقد نطق به الشعر)). (١)

هذا الضرب في العربية كثير ، نحو قولهم : يشري ، بمعنى يبيع ، قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ)) (٢) قال الأخفش: ((تقول: (بييعها) كما تقول: (شريت هذا المتاع)، أي: بعته وشريته: اشتريته، أيضا يجوز في المعنيين جميعا ، كما تقول: إنَّ الجِلَّ لأَفْضَلُ المتاع، وإنَّ الجِلَّ لأَرْدَأُ، على نحو ذلك يجوز مع كثير مثله. وكذلك (الجلُّ) يكون العظيم ويكون الصغير وكذلك (السدف) يكون الظلمة والضوء وقال الشاعر : (من الرمل)

وأرى أربد قد فارقتي
ومِنَ الأَرزَاءِ رُزءٌ ذو جَلَلٍ
أي: عظيم، وقال الآخر: (من الطويل)
ألا إنَّما أبكي ليومٍ لقيتهُ
أي: صغير)). (٣)

إن أغلب العلماء قالوا بالأضداد في العربية نحو: سيبويه وأبي حاتم وابن الأنباري وابن فارس والسيوطي. (٤) في حين أنكر ابن درستويه ذلك في كتابه (إبطال الأضداد) (٥) ومن الذين دافعوا عن الأضداد أبي علي الفارسي بعد أن نصَّ على انكار ابن درستويه لها بقوله : ((وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة ، وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده)). (٦) والمعروف أن ابن درستويه هو أحد شيوخ أبي علي وقد أنكر الأضداد في كتابه (إبطال الأضداد) بقوله: ((وقد زعم قوم من اللغويين أن (النوء) السقوط أيضا وأنه من الأضداد، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا (إبطال الأضداد) وليس هذا موضع ذكره)). (٧)

إنَّ أبا علي كان من المدافعين عن وجود الأضداد في العربية وقد احتج على من أبطلها عن طريق السماع معتمداً على ما قاله العلماء الذين سبقوه ومادون من كتب في هذا المضمار، وعن طريق القياس، معتمداً على الاستخدام اللغوي للشيء وضده، فإذا لم يكن ضدً للشيء وقع اللبس، فيجوز أن يكون لكل من الضدين لفظ يميزه عن غيره حتى يعرف الشيء وضده. هذا ظاهر قوله: ((فلا يجوز أن تقوم له حجة ولا تثبت له دلالة من جهة السماع بل الحجة من هذه الجهة عليه، لأنَّ

١- العين/١/٢٦٣.

٢- البقرة/٢٠٧.

٣- معاني القرآن للأخفش/١/١٦٦.

٤- ينظر الكتاب/١/٢٤ واضداد أبي حاتم/٧٥ واضداد ابن الأنباري/١ والصاحبي/٩٦ والمزهر/١/٣٨٨.

٥- ينظر المزهر/١/٣٩٦.

٦- البغداديات/٤/٥٣٤.

٧- تصحيح الفصح/١/٣٥٩.

أهل هذه اللغة كأبي زيد، وأبي عبيدة والأصمعي ومن بعدهم قد حكوا ذلك وصنفت فيه الكتب وذكروه في كتبهم مجتمعاً ومتفرقاً، فالحجّة من هذه الجهة عليه لا له. والحجّة تقوم من الجهة الأخرى، وهي أنّ الضدّ خلاف ضده فإذا استعملت لفظاً واحدةً لهماً جميعاً ولم يكن لكل واحد من الضدين لفظاً يتمييز به من ضده ويتخلص به من خلافه أشكل وألبس، فعلم الضد شكلاً والشكل ضداً والخلاف وفاقاً، وهذا نهاية الالتباس وغاية الفساد. وقيل له هل يجوز عندك أن تجيء لفظتان في اللغة متفقتين لمعنيين مختلفين؟ فلا يخلو في ذلك من أن يجيزه، أو يمنعه، فإن منعه وإياه صار إلى ردّ ما يعلم وجوده، وقبول العلماء له ومنع ما ثبت جوازه، وثبتت عليه هذه الألفاظ، فإنها أكثر من أن تحصى وتُحصّر، نحو وجدت الذي يُراد به العلم والوجدان، والغضب، و(جلست) الذي هو خلاف (قمت) وجلست الذي هو بمعنى: أتيت نجداً، و(نجد) يقال لها: جلس، فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه وإذا جاز وقوعها للشيء وضده إذ الضد ضرب من الخلاف، وإن لم يكن كل خلاف ضداً)). (١)

أقول: إن أبا علي قد ردّ من أنكر الأضداد المتعارف عليها عند أهل اللغة، الشيء وضده وانتصر لمذهبه ومذهب شيوخه ومعاصريه الذين قالوا بالظاهرة اللغوية، ويؤكد هذا تلميذه ابن جني الذي روى عنه ما يؤيد هذه الظاهره عند شعراء العرب ولاسيما في ضوء شرح قول المتبني: (من الكامل)

((كرمٌ تبيّن في كلامك ماثلاً
ويبين عتق الخيل في أصواتها
ماثلاً) أي قائماً ظاهراً غير خفي وهو من الأضداد، ويكون للخفي ويكون للظاهر البين... وأنشد أبو علي (من الواقف):

أتنسى، لاهدك الله سلمى
وعهد شبابها الحسن الجميل
كأن، وقد أتى حول جديد
أما فيها حمامات مئول
فهذا للظاهر)). (٢)

أي أن (المثول) في ما أنشده أبو علي بمعنى (القائم أو الظاهر أو البين)
يعلق ابن جني على استعمال كلمة (ماثل) في ظاهرة الأضداد ويعدها في معنى (الخافي) من باب

الشدوذ بقوله: ((والاكثر في مائل) هو القائم الظاهر، والذي ورد بمعنى (الخافي) شاذٌ قليل يحتمل التأويل على غيره. (١)

لم يكن التضاد عند أبي علي ذكر الشيء وضده، وإنما ذهب فيه إلى أبعد من هذا فقد عدّ ما يقع بالنفي أو بواسطة همزة السلب تضاداً، الذي نبّه به تلميذه ابن جني ونقله عنه في باب السلب والذي مضمونه أنّ الفعل يمكن أن يسلب معناه بواسطة أداة النفي نحو ما فعل أو أن بعض معاني الأسماء والأفعال تدل على السلب لا الإثبات في تصريفها نحو (عجم) الذي يدل على الإيهام لا البيان .

قال ابن جني: ((نبهنا أبو علي - رحمه الله - من هذا الموضوع على ما ذكره وأبسطه؛ لتعجب من حسن الصنعة فيه. اعلم أنّ كلّ فعل أو اسم مأخوذ من الفعل أو فيه معنى الفعل، فإنه وضع ذلك في كلامهم على إثبات معناه لاسلبهم إياه . وذلك قولك: قام، فهذا لإثبات القيام، وجلس لإثبات الجلوس، وينطلق لإثبات الانطلاق، وكذلك الانطلاق، ومنطلق: جميع ذلك وما كان مثله إنما هو لإثبات هذه المعاني لانفيها. ألا ترى أنك إذا أردت نفي شيء منها ألحقته حرف النفي فقلت: ما فعل، ولم يفعل ولن يفعل ولا تفعل، ونحو ذلك ثم إنهم مع هذا قد استعملوا ألفاظاً من كلامهم من الأفعال، ومن الأسماء الضامنة لمعانيها، في سلب تلك المعاني لا إثباتها. ألا ترى أنّ تصريف (ع ج م) أين وقعت في كلامهم إنما (هو للإيهام) وضدّ البيان. من ذلك العجم لأنهم لا يفصحون، وعجم الزبيب ونحوه لاستتاره في ذي العجم، ومنه عجمة الرمل لما استبهم منه على سالكيه فلم يتوجه لهم... ومنه قيل لصلاة الظهر والعصر: العجمان؛ لأنه لا يفصح فيها بالقراءة. وهذا كله على ما تراه من الاستبهم وضدّ البيان، ثم إنهم قالوا: أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته، فهو إذا لسلب معنى الاستبهم لا إثباته)). (٢) ومثله تصريف (مرض) فهو مريض ومرض ومرضى ومرضى ثم إنهم قالوا: مرضت الرجل أي داويته من مرضه، وسمي منه الممرض والممرضه أي التي تزيل المرض عن المريض وتداويه. (٣)

فضلاً عن هذا عدّ أبو علي بعض الأسماء والأفعال التي عند الاستخدام اللغوي يحدد معناها وتكون في الاستعمال بمعنى متضاد لمعنى الاستعمال الثاني نحو كلمة (متعال) إذا كانت من العبد لله فهي من باب العلو والدعاء وتعظيم الخالق. وإن كانت من الخالق للعبد تكون بمعنى الدم، هذا يأتي نتيجة الاستخدام فيحدث التضاد.

١-الفسر/٢/١٤٤

٢-الخصائص/٣/٧٦

٣-ينظر المصدر نفسه/٣/٧٧

قال أبو علي: ((جاء اسم الفاعل في قوله: (الكَبِيرُ الْمُتَعَالَى) (١) فهذا الفعل في التنزيل إذا استند إلى القديم سبحانه، كان ثناءً ومدحاً، وإذا قاله العبد كان متقرباً وإذا اسند إلى العباد. كان ذمّاً ووصفاً لهم يتعدى ما يجب لهم ومجاوزتهم إياه ومثل ذلك فيما جاء التنزيل به صفة القديم المتكبر هو والقديم سبحانه مدح وللعبد ذم قال: ((...العَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ...)). (٢) وقال كذلك: ((...يَطْعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)). (٣) ((٤)؛ لأن الله سبحانه تكبره دليل قوته وقصم الجبارين المتكبرين من البشر الذين يجعلون الدنيا سجنًا للمؤمنين. وجنةً لهم.

في ضوء ما ذكر أقول: إنَّ أبا علي عالِمٌ موضوع التضاد في العربية بين اطروحاته وكتبه ولا سيما التي ذكرها ابن جني في كتابه الخصائص وهو موضوع السلب الذي أشار إليه ونبه عليه تلميذه، فكان مما يدور بأفكاره وما استخلصه منها، وهو بذلك أضاف ضرباً جديداً في الموضوع على الرغم من أنه أفاد من العلم الذي استقاه من شيوخه واختمر في ذهنه فخرج بهذه مستنداً إلى رائد المعجم العربي والمصنف الأول لمعاني مفردات العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقال في المفردة (عجم): ((العَجْمُ: ضِدُّ الْعَرَبِ... والأعجم الذي لا يُفْصِحُ... وتعجم الكتاب: تنقيطه كي تستبين عجمته ويصح)). (٥)

هذا الدليل القاطع على أن ما جاء به أبو علي في موضوع السلب ما هو إلا أفكار شيوخه الذين سبقوه في هذا المضمار لكنه لا يعدم فضل التبويب ، وقال فيه ونبه تلاميذه إليه وقد نقلوا عنه الكثير من أفكاره في موضوع التضاد فعلى سبيل المثال لا الحصر قوله في معنى كلمة (أحد) في قوله تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) (٦) ((إن (أحد) هذه معناها العموم والاحاطة ومعنى (أحد) من (أحد عشر) إنما الأفراد والانقباض، فمعناها كما ترى ضدان. (٧)

١- الرعد/٩: ((عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال))

٢- الحشر/٣٢: ((هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحن الله عما يشركون))

٣- غافر/٣٥.

٤- الشورى/١٤٥.

٥- العين/١-٢٣٧-٢٣٨.

٦- الاخلاص/١

٧- التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/٨٣.

المعرب والدخيل

المعرب ظاهره لغويه حصلت في العربيه نتيجة لاختلاط كلام العرب بلغات الشعوب الآخر من سريانيه وعربيه وحبشيه وروميه... وغيرها فقد دخلت تلك الكلمات إلى العربية واستخدمها العرب ونطقوا بها وأصبحت جزءاً من تراثهم اللغوي. ولاسيما القرآن الكريم والشعر العربي .

وفي ضوء هذا يعرف بأنه اقتباس كلمة من لسان أعجمي وادخالها في اللسان العربي. وقد سماه سيوييه إعراباً، بقوله: ((هذا باب ما أعرب من الأعجميه.)) (١) وسماه الخفاجي بالدخيل. (٢) وقال السيوطي: ((هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعه لمعان في غير لغتها.)) (٣) للعلماء آراء في مفهومه، فقد ذهب سيوييه إلى أنه لا يشترط فيه سوى الاستعمال، فمتى استعملت العرب الكلمه الأعجميه صارت معربه سواء ألحقوها بأوزان كلماتهم أم لم يلحقوها، هذا ظاهر كلامه: ((اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه.)) (٤)

أما أبو علي الفارسي فقد عدّه الكلم المقيس على كلام العرب سواء أتكلّموا به أم لم يتكلّموا، ذكر هذا ابن جني بقوله: ((قلت له أفر تجل اللغة ارتجالاً؟ قال: ليس بارتجال، لكنّه مقيس على كلامهم، فهو إذاً من كلامهم. قال: ألا ترى أنك تقول: طاب الخُشْكُنَانُ؛ فتجعله من كلام العرب، وإن لم تكن العرب تكلمت به. هكذا قال، فبرفك إياه كرفعها ما صار لذلك محمولاً على كلامها ومنسوبا إلى لغتها.)) (٥)

وفي ضوء هذا جعل أبو علي الكلمة التي تأخذ إعراب الكلمات العربية وتسير على منوالها من كلام العرب، فقال: ((إذا قلت: ((طاب الخُشْكُنَانُ)) هذا كلام العرب؛ لأنك باعرابك إياه قد أدخلته كلام العرب)) (٦)

وذهب ابن جني الى أن الكلمة الأعجميه، متى ما دخلت عليها (آل) التعريف اصرفتها وجعلتها من أصول كلام العرب قياساً إلى النكره، وهو في هذا أيّد ما ذهب إليه شيخه أبو علي قياساً

١- الكتاب/٤/٣٠٣.

٢- ينظر شفاء الغليل/٣.

٣- المزهر/١/٢٦٨.

٤- الكتاب/٤/٣٠٣.

٥- الخصائص/١/٣٥٩.

٦- المصدر نفسه /١/٣٥٧.

على سنن العربية في صرف الكلمة الممنوعه من الصرف عند تعريفها بـ(ال)، فقال: ((ويؤكد هذا عندك أنّ ما أُعرب من أجناس الأعجمية قد أجزته العرب مجرى أصول كلامها؛ ألا تراهم يصرفون في العلم نحو آجر وأبريسيم، وفرند، وفيروزج، وجميع ما تدخله لام التعريف. وذلك أنّه لما دخلته اللام في نحو الديباج والفرند، والسهريز، والآجر؛ أشبه أصول كلام العرب، أعني النكرات فجري في الصرف ومنعه مجراها.)) (١)

إنّ ما ذهب إليه ابن جني في مسألة النكرة وتعريفها وأثرها في التعريب هو ما ذهب إليه أبو علي نفسه في الاشتقاق من الكلمة الاعجمية النكرة وعدّها عربية في الاستخدام اللغوي ولاسيما الشعر العربي، فقال أبو علي: ((ويؤكد ذلك أنّ العرب اشتقت من الأعجمي النكرة كما تشتق من أصول كلامها؛ قال رؤبة: (من الرجز)

هَلْ يُنَجِّبِنِي حِلْفَ سَخْتَيْتِ
أَوْفَضَّةَ أَوْ ذَهَبَ كِبْرَيْتِ

قال: فـ(سختيت) من السخت؛ كـ(زحليل) من الزحل)). (٢)

فضلاً عن هذا ما حكاه أبو علي عن ابن الاعرابي ((يقال درهمت الخبازي))، أي صارت كالدرهم، فقد اشتق من الدرهم وهو أعجمي. (٣) فالاشتقاق حدث في ضوء الفعل ولم يقتصر عليه وإنما يأتي مع الكلام فيمكن اشتقاق الاسم من الاسم الاعجمي نحو اشتقاق: المزرّج من الزرجون، الذي تكون نونه قياساً أصلاً مثل سين قريوس، لكن في الكلمة نوعاً من الخلط في اشتقاقها، وهي مثل (المعرجن) اشتق من عرجون الذي نونه أصلاً والذي يعدّه ابن جني من أصل رباعي كما في سبطر، ووزنه في الأسماء أولى نحو علجن: فعن. ذهب في هذا في ضوء ما رواه عن أبي علي، فقال: ((ومما اشتقته العرب من كلام العجم ما أنشدناه من قول الراجز: (من الرجز)

هل تعرف الدار لأمّ الخرزج
منها فظلت اليوم كالمزرّج

أي الذي شرب الزرجون؛ وهي الخمر. فاشتق المزرّج من الزرجون؛ وكان قياسه: كالمزرّج، من حيث كانت النون في زرجون قياسها أن تكون أصلاً؛ إذ كانت بمنزلة السين من قريوس؛ قال أبو

١ - الخصائص/١/٣٥٧.

٢ - المصدر نفسه/١/٣٥٨.

٣ - ينظر المصدر نفسه/١/٣٥٨.

علي: ولكنَّ العربَ إذا اشتَقَّتْ من الأَعْجَمِيَّ خَلَطَتْ فيه. قال: والصحيح من نحو هذا الاشتقاق قول روية: (من الرجز)

* في خَدْرِ مِيَّاسِ الدُّمَى مُعْرَجِنٌ *

وأشَدُّناه المعرجن باللام. فقوله المعرجن يشهد بكون النون من عُرْجُونِ أصلاً وإن كان من معنى الاعراج؛ ألتراهم فسروا قول الله تعالى (حتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (١) فقالوا: هي الكباسة إذا قُدِّمت فاتحنت فقد كان على هذا القياس يجب أن يكون نون (عُرْجُون) زائده كزيادتها في (زيتون)، غير أن بيت روية الذي يقول فيه (المعرجن) منع هذا، واعلمناه أنه أصل رباعي قريب من لفظ الثلاثي؛ كسبطر من بسط، ودمثر، من دمت، ألتري أنه ليس في الأفعال (فَعَلْنَ) وإِمْأ ذلك في الأسماء نحو عَلَجَنَ، وَخَلَبِنَ)) (٢)

فالنون في (زُرْجُون) أصلية لأنه اسم أعجمي أما النون في (المعرجن) فهي زائدة، لأنه من الاعراج، فالقياس معرج، فالمزرج في اشتقاقه خلط فالقياس أن يقول المزرجن، ولكنه حذف النون، لهذا الخلط نقل ذلك ابن جني عن شيخه بقوله: ((أرادَ سكرانَ كالذي قد شرب من الزَّرْجُونِ. قال: وكان قياسه أن يقول: ((المزْرَجَنَ)) لأنَّ النونَ في زَرْجُونِ أصلٌ. فقال: ((مَزْرَجٌ)) لأنَّ الكلمةَ أعجميةٌ. وهم إذا اشتقُّوا من الأَعْجَمِيَّ خَلَطُوا فيه)) (٣)

يفهم مما قاله أبو علي ونقله ابن جني أن المعرب هو الاسم الأعجمي الذي يأتي على نهج العربية وسننها وأساليبيها: قال الجوهرى: ((تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول: عربتُه العربُ وأعربتُه أيضاً.)) (٤)

في ضوء هذا لابد أن نعرف كيف أن العربية تستوعب تلك الكلمة الأعجمية وتتعامل معها قياساً إلى نهجها وأساليبيها، وتعددها في مصافي الكلمات العربية وتطبق عليها قواعد وسننها التي استخدمها العرب في كلامهم الفصيح .

إن هذا التعامل يتم بعده طرق منها: الإلحاق بأبنية العربية نحو - دُرْهَمُ أَلْحَقُ بِنِإَاءِ هُجْرِعٍ - ودينار بديماس - وإسحاق بإعصار - ويعقوب بربوع - وأجور بعاقول، ورستاق فألحقوه بقرطاس. ومنها: تغيير حاله العجمية، وإبدال مكان الحرف حرفاً عربياً، والحركة والزيادة إبدالها

١- يس/٣٩

٢- الخصائص/١/٣٥٩-٣٦٠.

٣- المنصف/١/١٤٨.

٤- الصحاح/مادة العرب.

أيضاً. والذي دعاهم إلى هذا أن الكلمة الاعجمية لا تدخل إلى العربية إلا بتغيير وإبدال حروفها، وقد فعلوا هذا بالذي يلزمه التغيير والإبدال حتى تكون أقرب إلى البناء والصوت العربي، نحو آجر، وإبريسم وإسماعيل، وسراويل،... وغيرها. ومنها: تترك الاسم الاعجمي على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم أو مقاربة لها، فلا يلتفتون إلى البناء أكان على بنائهم أو لم يكن، نحو خراسان، وخُرَم، والكرُكُم. ومنها: تغيير الحرف الذي ليس من حروفهم ولا يغيروا بناءه الاعجمي نحو: فرند، وبقم، وجُرُيز، البرند، القربُز. (١)

يبدو أن أبا علي قد رصد بعض الكلمات المعربة التي دخلت إلى العربية فضلاً عن مناقشته لأبنيتها في الأصالة والزيادة، فقد سأله ابن جني عن كلمة (أرُز) فقال: (أرُز) أعجمي. (٢) ونقل عنه ابن جني اشتقاقه كلمة متبترق من كلمة (بطريق بطارقه) وكلمة (تفرعن) من فرعون، فهذا اشتقاق من أعلام وأجناس العجم.

قال ابن جني: ((فقال: تبترق فهو متبترق، فجرى مجرى تدحرج فهو متدحرج، فالاشتقاق منه يلحقه بأصول كلام العرب التي هي مصادر... قال: إذا جاز أن يشتق من أعلام كلام العجم على بعدها عن أصول كلام العرب كان الاشتقاق من أجناسها المشابهة لأجناس كلام العرب أجوز وذلك قولهم: قد تفرعن الرجل إذا طغى وعلا أمره، فهذا من فرعون، وفرعون علم، فسختت من سخت، ومتبترق من بطريق لجواز السخت، والبطريق أولى بالجواز)) (٣)

ونقل عنه تلميذه أيضاً قوله في أصل كلمة (أيوب) وعدها من (أيب) وهذا ليس من كلام العرب ولم ينكره. ((قال أبو علي: ويجوز أن تكون العين ياء، كأنه (أيب) وإن لم يكن في كلام العرب كلمة من همزة وياء وباء؛ لأنه لا ينكر أن يأتي في كلام العرب لفظ ليس مثله في اللغة العربية نحو اسماعيل وأبراهيم)). (٤)

يفهم مما تقدم أن أبا علي قد رصد ظاهرة المعرب في العربية وعرضها من حيث تقبل العربية لها، وطريقة تعاملها معها والاشتقاق منها وتعريفها وتنكيرها إلى غيرها من سنن العربية وهو بذلك يعدها ظاهرة طبيعية جاءت نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم، وإن ما ذهب إليه في هذه الظاهرة هو ما وصل إليه ممن سبقوه في هذا المضمار، فضلاً عن أنه تحدث عن قياسه في ضوء كلام العرب وأبنيتها واوزانه والاشتقاق منه الاسماء والافعال. فهو بذلك أضاف معرفة لمعارف شيوخه المستفاد منها في الدرس اللغوي.

١- ينظر الكتاب/٤/٣٠٣-٣٠٥ وارتشاف الضرب/١/٧٢ والوجيز في فقه اللغة/٤٣٣.

٢- ينظر الفسر/٢/١٣١

٣- التمام في تفسير اشعار هذيل/٢٣٠-٢٣١.

٤- المنصف/٣/١٤٤.

التصحيف والتحريف في ألفاظ اللغة

التصحيف لغة: هو مصدر (صَحَّفَ يُصَحِّفُ) ((الخطأ في الصحيفة.)) (١) والصَّحْفِي والمُصَحَّفُ : هو ((الذي يَرَوِي الخطأ عن قراءة الصُّحُف بأشباه الحُرُوف)) (٢) واصطلاحاً هو ((أن يقرأ الشيء على خلاف ما اراد كاتبه أو على ما اصطاحوا عليه)) (٣)

قال حمزة الأصفهاني: ((وأما قولهم: ((صَحَّفَ فلان ما رواه)) و(جاء بالمصحَّف فيه) فقد أجاب أهل المعاني في معناه فقالوا. أما معنى قولهم: ((التصحيف)) فهو أن يُقرأ الشيء بخلاف ما أراده كاتبه وعلى غير ما اصطاح عليه في تسميته)) (٤)

أما كيف حدث هذا التصحيف؟ فقد نتج من عدم توخي الدقة فيما تكتب الصحائف وفيما يروي؛ لأنَّ العلمَ لا يؤخذ إلا من أهل الدراية الموثوق بهم. فإذا لم يكن ذلك فيحدث التصحيف.

قال الأصفهاني: ((إنَّ أصله فيما زعموا أن قوما كانوا أخذوا العلم عن الصُّحُف من غير أن يَلْقَوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونه التغيير، فيقال عندها: قد صحَّفوا فيه؛ أي رَوَوْه عن الصُّحُف.)) (٥) وقال أيضاً: ((إنَّ الاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بمعرفة اللغة وعلم مقدمات الكلام ومعرفة ما يصلح أن يأتي بعدها ممَّا يشاكلها وما يستحيل مزامته لها.)) (٦)

هذه الظاهرة التي تفتت عند أهل المعرفة من شعراء ولغويين قد رصدها أبو علي الفارسي وأشار إليها وتتبع الألفاظ اللغوية التي يحدث فيها. سواء أعند العرب أم عند الشعراء، أم عند اللغويين والنحاة في رواياتهم. (٧)

فقد قال في كلمة (تخصي) تخريجاً لغوياً خلافاً لما قاله ابن الأعرابي في بيت حميد بن ثور الهلالي: هذا ما رواه ابن جني عنه بقوله: ((قرأت على أبي علي لحميد بن ثور: (من الطويل)

جَلْبَانَةٌ وَرَهَاءُ تَخْصِي حِمَارَهَا
بَغِي مَنْ بَغِيَ خَيْرًا إِلَيْهَا الْجَلَامُدُ

١- الصحاح/مادة:صحف.

٢- العين/٣/١٢٠.

٣- التعريفات/٣٨.

٤- التنبية على حدوث التصحيف/٧١.

٥- المصدر نفسه/٧١.

٦- المصدر نفسه/٨١.

٧- ينظر ابو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية/٥٠.

قال أبو علي: هذا البيت يُقَعُ فيه تصحيف من الناس. يقول قوم مكان (تَخْصِي حمارها)، (تَخْطِي حمارها)، وهو مشتبه مشكل: يظنونه من قولهم: (العوان لا تُعَلِّم الخُمْرَةَ). قال: وقد قال ابن الأعرابي: يقال: جاءك خاصي العير: إذا وُصِفَ بقلَّةِ الحياء. فعلى هذا لا يجوز في البيت غير (تَخْصِي حمارها)، ويدل على أن (جِلْبَانَةَ) و(جِرْبَانَةَ) أصلان غير مبدل أحدهما من صاحبه وجودك لكل واحد منها أصلاً متصرفاً، واشتقاقاً صحيحاً فأما جِلْبَانَةَ فمن الجَلْبَةِ والصياح، لأنها الصَّخَابَةُ، وأما جِرْبَانَةَ فمن جَرَبِ الأمور وتصرفَ فيها. ألا تراه قال: (تَخْصِي حمارها) وإذا بلغت المرأة من البَذْلَةِ والحَنَكَةِ إلى خصاء حمارها، فناهيك بها في التجريب والدربة، وهذا وَفَقُ الصَّخْبِ، لأنه ضد الحياء والخفر)). (١)

هذا استدلال رائع وصائب من بنات أفكار العالم النحرير أبي علي الفارسي في الربط بين الدربة والصخب من جهة وبين الابتذال والحنكة؛ لأن الصَّخْبَ والابتذال هو ضدُّ الحياء الذي هو الهدوء والدعة. وخصاء الحمار له علاقة مع الصخب والصياح من المرأة المبتذلة التي لا تكثرت للحياء، وهذا دليل على أنه (تخصي) وليس (تخطي) يصحفه الناس.

وذكر ابن جني أيضاً موضعاً آخر لتصحيح أبي علي لبعض أبيات الشعر، نحو ((قوله: (من الوافر)

فأبعده الإله ولا يؤبِّي
ولا يُسْقَى من المرض الشفايا

فقال: وقرأته على أبي علي: ولا يشقى)). (٢)

أما التحريف فقد رصده أبو علي في شعر العرب، فقد عدَّ كلمة (عطاء) في بيت البعيث الذي يهجو به جرير هو (عطية)؛ لأن عطية اسم أبي جرير، هذا ما ذكره ابن جني قال: ((أنشدنا أبو علي: (من الطويل)

* أبوك عطاء ألام الناس كلهم *

يريد عطية بن الخطفي)). (٣)

١- سر صناعة الاعراب/١/١٩١.

٢- الخصائص/١/٢٩٢.

٣- المصدر نفسه/٢/٤٣٧.

التَّرَادُفُ

الترادف في مفهوم اللغة: هو أن يركب أحد خلف الآخر يقال له رديف، رَدَفَ فلانٌ فلاناً ركبَ خلفه على الدابة.

قال الخليل: ((الرَدَفُ: ما تَبِعَ شيئاً فهو رَدْفُهُ، وإذا تتابع شيءٌ خلفَ شيءٍ فهو التَّرَادُفُ، والجميعُ: الرُدَافِي... ويقال: جاءَ القومُ رُدَافِي أي بعضهم يتبعُ بعضاً، ورَدِيفُكَ: الذي تُرَدِّفُهُ خَلْفَكَ، ويرتَدِفُكَ، ويردِفُهُ غيرُكَ. ونَزَلَ بالقومِ أمرٌ قد رَدَفَ لهم أمرٌ أعظمُ منه. والرُدَاف: هو موضعُ مَرَكَبِ الرُدَفِ.)) (١) وقد جاء هذا في الذكر الحكيم بقوله تعالى: ((بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ)) (٢) قال الفراء: ((مُتَتَابِعِينَ)) (٣) وقال الزجاج: ((يَأْتُونَ فِرْقَةً بَعْدَ فِرْقَةٍ)) (٤) فهذا المعنى قريب إلى متابعة الشيء لآخر.

أما في المصطلح اللغوي فهو: دلالة عدة كلمات على معنى واحد أو مسمى واحد فمثلاً دلالة عدة ألفاظ على الخمر، نحو: الشمول والعقار والقرقف والخندريس والراح والمدامة والصهباء والسبأ. ونحو: السيف، والمهند والحسام، وفي الفعل أيضاً نحو مضى وذهب وانطلق. (٥)

قال الجرجاني: ((هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد.)) (٦)

يبدو أن المعنى اللغوي مقارب للمصطلح اللغوي؛ لأن كلاهما يدل على التتابع والتوالي، هذا المفهوم عبر عنه الجرجاني بقوله: ((المترادف: ما كان معناه واحداً وأسماءه كثيرة، وهو ضدُّ المشترك. أخذاً من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب والنَّفْظَيْنِ راكبان عليه كالليث والأسد.)) (٧)

إنَّ أوَّلَ مَنْ أشار إلى مصطلح الترادف اللغوي، بعد الخليل هو سيبويه في تقسيم الكلم من حيث الدلالة بقوله: ((اختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذهب وانطلق.)) (٨)

فضلاً عن هذا أن بعض اللغويين كانوا يكترون من المترادفات والمسميات والألفاظ لمعنى شيء واحد نحو الحجر الذي يحفظ له الأصمعي سبعين اسماً وابن خالويه للسيف خمسين اسماً وللأسد خمسمئة

١ - العين/٢٢/٨-٢٣.

٢ - الانفال/٩.

٣ - معاني القرآن/١/٤٠٤.

٤ - معاني القرآن واعرابه/٢/٣٢٦.

٥ - ينظر المزهري/١/٤٠٤.

٦ - التعريفات/٣٧.

٧ - المصدر نفسه/١١٢.

٨ - الكتاب/١/٢٤.

اسم، وللحية مئتين. والعرب تخرج للأسد خمسين ومئة اسم. (١)
مقابل هذا هناك من ينكر ظاهرة الترادف ويعد كل اسم أو مسمى يدل على معنى خاص به فعن ابن
الأعرابي: ((كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربّما
عرفناه فأخبرنا به وربّما غمض علينا فلم نلزم العرب حملَه)) (٢)

ولهذا ذهب ثعلب وابن فارس أن الاسم يدل على المسمى وما تبقى من المسميات فهي صفات لا
أسماء نحو السيف فهو الاسم الذي يدل على الآلة الجارحة أمّا المهنّد والحسام وغيره فهي صفات لا
أسماء فقال في هذا المعنى ابن فارس: ((ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهنّد
والحسام. والذي نقوله في هذا إنّ الاسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات. ومذهبنا أنّ كلّ
صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى.)) (٣)

أمّا أبو علي فينقل عنه أنّ الاسم واحد والباقي صفات، هذا ما حكاه ((القاضي أبو بكر بن العربي
بسنده عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بطلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة
وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسّم أبو علي فقال: ما أحفظ له إلا
اسمًا واحدًا، هو السيف. قال ابن خالويه: فأين المهنّد والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه
صفات، وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة.)) (٤)

إنّ هذه المناظرات والمساجلات والتنافس بين العلماء في مجالس الحكّام ربّما تقوم على التغليف لا
للغظ بل لإسقاط الخصم، وهذا يفهم من المناظرة السابقة التي أراد منها ابن خالويه المأخذ من أبي علي
لكنّ هذا مردود؛ لأنّ أبا علي مهتم لظاهرة الترادف، وقد عالجه في كتبه وأكدها وجعلها من أساليب
توسع اللغة بقوله: ((اختلاف اللفظين والمعنى واحد حسن بعد الحاجة إلى التوسع بالألفاظ، ويبيّن أنّ هذا
القسم لو لم يوجد لم يوجد من الاتساع ما وجد بوجوده، ألا ترى: أنّه إذا سجع في خطبة، أو قفى في
شعر، فركب السين فقال: جلس، فجاء به مع ما يشاكله، ولو لم يقل في هذا المعنى إلا (قعد)، ضاق
المذهب فيه، ومن هنا جاءت الزيادات لغير المعنى في كلامهم في نحو: كتاب، وعجوز، وقضيب، فيما
حكي لنا عن محمد بن يزيد. وأيضًا فإذا أراد التأكيد قال: قعد، وجلس، فتكون المخالفة بين الألفاظ أسهل

١- ينظر الصاحبى في فقه اللغة/٤٣-٤٤ وينظر أيضاً الدراسات اللغوية عند العرب/٤٤٤.

٢- اضرار ابن الأنباري/٧.

٣- الصاحبى في فقه اللغة/٩٦.

٤- المزهر/١/٤٠٥.

من اعاتها أنفسها، وتكريرها، ألا ترى: أن في التنزيل (و غرابيبُ سوْد) (١) والغرابيبُ هي السوْد عند أهل اللغة فحسَنَ التكريرُ لاختلاف اللفظين، ولو كان: غرابيبُ غرابيبُ، لم يكن سهلاً.)) (٢)

ومما لا يقبل الشك، يفهم من قول أبي علي هذا أنه كان يقرُّ بالترادف ويعده ظاهرة لغويةً تساعد على الاتساع في استخدام اللغة ولا سيما الشعر فتساعد الشاعر في استخدام تفاعيله وقوافيه، وذلك في ضوء استخدام الكلمات المترادفة، فضلاً عن السهولة الناتجة عنه في فهم الأساليب العربية. قال الدكتور المنصوري: ((إنَّ أبا علي يقرُّ بوجودِ الترادفِ ؛ لأنَّهُ يقولُ: لو لم يُوجدَ لم يُوجدَ من الاتساع ما وُجدَ بوجوده ولكنَّ وجوده هذا مقترن بحس

نِ الحاجةِ إليه فليس من الحسن الإفراط به)) (٣)

وقد قال أبو علي بالترادف بل دافع عنه ونبه عليه تلاميذه، هذا ما ذكره ابن جني في باب تلاقى المعاني على اختلاف الأصول والمباني بقوله: ((وكان أبو علي - رحمه الله - يستحسنُ هذا الموضوع جداً وينبه عليه، ويُسرُّ بما يحضره خاطره منه. وهذا باب إنما يُجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مُجرّدة من الألفاظ.)) (٤)

لم يقتصر على التنبيه عليه بل قال فيه وطرح الألفاظ التي تؤكد ترادفها في المعنى وبلفظين اثنين نحو كلمة (حبي) من حبا يحبو، ويأتي بمعنى (السحاب) ذكر هذا ابن جني بقوله: ((فقال أبو علي (رحمه الله): قيل له حبي كما قيل له سحاب. تفسيره أن حبياً (فَعِيل) من حبا يحبو، وكأنَّ السحاب لثقله يحبو حبواً، كما قيل له سحاب وهو (فَعَال) من سحب؛ لأنَّه يسحب أهدابه... قال: ومن ذلك قوله في أسماء الحاجة: الحاجة والحوجاء واللوجاء. والإرب، والإربة، والمأربة، واللبانة، والتلوة بقية الحاجة، والتلية أيضاً، والاشكلة، والشهلاء... وأنت تجد مع ذلك اختلاف أصولهما ومبانيها جميعاً، راجعاً إلى موضع واحد، ومخطوماً بمعنى لا يختلف، وهو الإقامة على الشيء والتشبيث به.)) (٥)

أما ابن جني فيذهب إلى أن الترادف سبب من أسباب اختلاف اللهجات العربية وهو بهذا ربما يذهب إلى إنكاره لأنَّ القدامى من اللغويين يذهبون إلى أن الترادف يكون في لغة أو لهجة واحدة لا في عدة لهجات. (٦) فضلاً عن ذلك أنه يهتم بالبيئة والزمن والجماعة في اختلافها بحدوث الترادف وهو بذلك يختلف عن شيخه أبي علي الذي يبدو مما يعرضه أنه لا يهتم بهذه الأسباب ؛ لأنها خارجة عن إرادة

١- فاطر/ ٢٧.

٢- البغديات/ ٥٣٣-٥٣٤.

٣- ابو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية/ ٨٠.

٤- الخصائص/ ١٣٣/٢.

٥- المصدر نفسه/ ١٢٦/٢-١٢٧.

٦- ينظر المزه/ ٤٠٥/١-٤٠٦.

الإنسان. (١)

ومن هذا الخلاف نفهم أنّ ابن جني عدّ اختلاف اللهجات من أسباب حدوث ظاهرة الترادف بقوله ((وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد، من هنا ومن هنا. ورويت عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما: الصقر بـ(الصاد)، وقال الآخر: الصقر بـ(السين)، ففرضيا بأولٍ واردٍ عليهما فحكيا له ماهما فيه. فقال: لا أقول كما قلتما، إنّما هو الزفر. أفلا ترى إلى كل واحدٍ من الثلاثة، كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها. وهكذا تتداخل اللغات)) (٢)

يفهم مما قيل: أنّ أبا علي من المناصرين لفكرة الترادف بل القائلين بها والمدافعين عنها، فقد أنكر على ابن خالويه وثعلب بطلانها ورد عليهما عن طريق السماع. بتأليف المؤلفات فيه، فضلاً عن القياس الذي يعول عليه دائماً؛ لأنّه من الأصوليين وقياسه في ضوء الكنايات التي ليس فيها زيادة، فالكلمات نحو، مضى، وذهب، ليس فيها زيادة قياساً على الكنايات في الخطاب والغيبه والإضمار. (٣) أمّا المحاورة التي دارت بينه وبين ابن خالويه، فالظاهر أنّ أبا علي ذهب إلى موضوع المجاز اللغوي في الأسماء والصفات، وابن خالويه ذهب إلى الحقيقة. (٤) يدلّك على هذا قوله: ((ويدلُّ على جواز وقوع اللفظة الواحدة لمعنيين مختلفين قولهم: ظننتُ، والظنُّ بمعنى (الحُساب) وخلافُ العلم، واستعملُ أيضاً بمعنى اليقين وذلك في نحو قوله عزّ وجلّ: ((الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ)). (٥)) (٦) قال أبو عبيدة: ((معناها: يوقنون، فالظنُّ على وجهين: يقين وشك)). (٧)

فالمجاز اللغوي ظاهر فيما يعرض أبو علي ويأخذ به؛ لأنّه يعده باباً من أبواب إثراء العربية بالمعاني الجديدة فيجعل فيها الإتساع والمرونة لاحتواء الألفاظ التي تدل على المعاني المجازية؛ لأنّ الحقيقة مداها محدود في استيعاب المعاني لكنّ المجاز مدها واسع في استيعاب تلك المعاني، ورفد الظاهرة اللغوية بالمعاني المستنبطه لجعل اللغة أكثر طواعيةً ومرونةً في الاستخدام لدى الكاتب والشاعر والمتكلم.

ولهذا أكد أبو علي المجاز في توجيه تلاميذه على هذه الظاهرة اللغوية هذا ما ذكره ابن جني نقلاً

١- ينظر أبو علي النحوي/ ٨٠- ٨١.

٢- الخصائص/ ٣٧٤/١.

٣- ينظر البغداديّات.

٤- ينظر أبو علي النحوي/ ٧٩.

٥- البقرة/ ٤٦.

عنه في باب الفرق بين الحقيقه والمجاز، بقوله: ((قال لي أبو علي : قولنا قام زيد بمنزلة قولنا: خرجت فإذا الأسد، ومعناه أن قولهم خرجت فإذا الأسد، تعريفه هنا تعريف الجنس، كقولك الأسد أشد من الذئب وأنت تريد أنك: (خرجت وجميع الأسد) التي يتناولها الوهم على الباب. هذا محال، واعتقاده اختلال. وإنما أردت: خرجت فإذا واحد من هذا الجنس بالباب. فوضعت لفظة الجماعة على الواحد مجازاً، لما فيه من الاتساع والتوكيد والتشبيه. أما الاتساع فأنتك وضعت اللفظ المعتاد للجماعة على الواحد. وأما التوكيد فلأنك عظمت قدر ذلك الواحد بأن جئت بلفظه على اللفظ المعتاد للجماعة وأما التشبيه فلأنك شبّهت الواحد بالجماعة؛ لأن كل واحد منها مثله في كونه أسداً.)) (١)

لست بصدد ظاهرة المجاز والتوسع فيها، لكنّه إغناءً للغة واعطاؤها معاني جديدة من لفظة واحدة ، وهذا أثره في إغناء ظاهرة الترادف في اللغة؛ لما فيه من التجديد والاتساع والمرونة اللغويه .

ما جاء من مادة المعجم اللغوي العربي فيما يرويه ابن جنى عن الفارسي

الفاظ وعبارات رواها أبو علي الفارسي، فيها دلالة لمعان مختلفة تفهم معانيها في ضوء المعجم العربي

الإجرْدُ

قال ابن جنى: ((أخبرنا أبو علي، عن أبي بكر، عن أبي سعيد السُّكْرِيِّ قال: أخبرني أبو حاتم عن الأصمعي قال: القَصِيصُ والإجرْدُ هُما، شجرتا الكمأة اللتان تعرف بهما. قال: وأنشد أبو سعيد: (من الرجز) جَنَيْتُهَا مِنْ مُجْتَى عَوِيصٍ مِنْ مَبْتِ الأجرْدِ والقَصِيصِ)) (١) .
يذهب هذا اللفظ إلى معنيين، الأول: يدل: على الكمأة والثاني: - بَقْلٌ لَهُ حَبٌّ .
قال الزبيدي: (والإجرْدُ بالكسر كإكبر، أي مشددة الراء، وقد يخفف فيكون كإثم: نبت يَدُلُّ على الكمأة ... وقال النَّضْرُ: - الإجرْدُ: بَقْلٌ لَهُ حَبٌّ كَأَنَّهُ الفلفل.) (٢)

الأُسُورُ

قال ابن جنى: ((وقالوا للفارسي أُسُورٌ بكسر الهمزة وضمها، وقال أبو علي تفسيره (ذو الفُرس) أو (عالي الفُرس) وجمعه أيضاً أُساورٌ وأساورَةٌ)) (٣) يفهم من هذا أنه القائد أو عليه القوم قال الخليل: ((والأُسُورُ: من أُساورَةٍ كَسَرَى، أي: فُؤادِهِ)) (٤)
إنَّ المعنى مأخوذ من القوة والحزم؛ لأنَّ القائد يكون حازماً وقوياً قال الخليل: ((وفلانٌ ذو سَورَةٍ في الحرب، أي: ذو بَطْشٍ شديدٍ)) (٥)
وعلى الرغم من أنَّ هذا المعنى عند أهل فارس، فربَّما هناك افتراض وتداخل بين العربية والفارسية.

استكانوا:

قال تعالى: ((فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ)) (٦) أي ما خضعوا لربهم .
قال ابن جنى: ((إنَّ أبا علي - رحمه الله - كان يقول: إنَّ عين (استكانوا) من الياء، وكان يأخذه من

١ - المنصف/٣/٩٠.

٢ - تاج العروس/مادة جرد

٣ - الفسر/٤/٧٨.

٤ - العين/٧/٢٩٠.

لفظ الكَيْن ومعناه، وهو لحم باطن الفرج، أي فما ذلّوا وما خضعوا، وذلك لذلّ هذا الموضع ومهاتته.)) (١)
وكان الخليل قد سبق في ذكر هذا أو ما يقاربه، فعد الكين غدداً في الفرج بقوله:
((الكَيْنُ، وَجَمَعُهُ: الكيُونُ: غُدْدٌ دَاخِلٌ قَبْلَ المَرَأَةِ، قال جرير : (من الكامل)

غَمَزَ ابن مُرَّةٍ يا فَرَزْدَقُ كَيْبَهَا
غَمَزَ الطَّبِيبُ نَعَائِغَ المَعْدُورِ)) (٢)
أما ابن فارس فعد الضيق في الفرج بقوله: ((يقولون إنه في عضو من أعضاء المرأة يضيّقُ به
والجمع كيُون)) (٣)

والجوهري ذهب كما ذهب الخليل، بأنّه لحمَةٌ دَاخِلِ فَرْجِ المَرَأَةِ. (٤)
ويضيف ابن منظور عن اللحياني معنى آخر هو البظر بقوله: ((والكَيْنُ: البَطْرُ، عن اللحياني - وَكَيْنُ
المَرَأَةِ: بظارتُها؛ وأنشد اللحياني : (من الرجز)

يَكْوِينُ أَطْرَافَ الأيُورِ بِالكَيْنِ
إِذَا وَجَدْنَ حَرَّةً تَنْزَيْنِ)) (٥)

وقال أيضاً: ((واستكان الرجل خضع وذلّ، جعله أبو علي استفعل من هذا الباب)) (٦)
ومهما يكن من الامر، فإن المقصود بالمعنى، هو فرج المرأة إن كان الضيق أو الغدة أو البظر، والذي
يفهم منه معنى الذلة والخضوع؛ لأنّ في هذا الموضوع نوعاً من الذلّ والهوان ، ولهذا عدّ أبو علي
الفارسي اشتقاقاً (استكانوا) استفعلوا من الذلة والخضوع، وهو الأقرب إلى أقوال المفسرين . قال
الطوسي: ((أي لم يذلّوا عن هذه الشدائد، ولم يتضرعوا اليه، فيطلبوا كشف البلاء منه تعالى عنهم
بالاستكانة له... يقال: استكان الرجل استكانة إذا ذلّ عند الشدة.)) (٧)

أَمْرَ الشَّيْءِ إِمْرًا

قال أبو الفتح: ((يقال: أَمْرَ القَوْمِ إِذَا كَثَرُوا، وَقَدْ أَمَرَهُمُ اللهُ أَي: كَثَرَهُمْ. وكان أبو علي يستحسن قول
الكسائي في قول الله تعالى: ((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا)) (٨): أي كثيراً، من قول الله: ((أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا)) (٩) ومن

١- الخصائص/٣/٣٢٤.

٢- العين/٥/٤١٢.

٣- معجم مقياس اللغة/ مادة (كين).

٤- ينظر الصحاح مادة/ كين.

٥- لسان العرب مادة: كين.

٦- المصدر نفسه و المادة.

٧- التبيان في تفسير القرآن/٧/٣٨٥.

٨- الكهف/٧١.

قولهم: أمر الشيء إذا كثر)) (١)

يفهم من كلام أبي الفتح أن أبا علي يذهب إلى أن معنى أمر، وإمراً بمعنى الشيء الكثير. وهذا مصداق قول الخليل: ((أمر الشيء، أي: كثر.)) (٢) في أحد معاني (أمر) النماء والبركة، والخير والكثرة والعطاء. وهذا رأي الخليل .

قال ابن فارس: ((وأما النماء فقال الخليل: ((الأمرُ النماءُ والبركةُ وامرأةٌ امرأةٌ أمرةٌ أي مباركةٌ على زوجها. وقد أمر الشيء أي أكثر. ويقول العرب: ((مَنْ قَلَّ ذَلَّ، وَمَنْ أَمِرَفَلَّ)) أي من كثر غلب. وتقول: أمر بنو فلان امرأةً أي كثروا وولدت نعيمهم.)) (٣)

هذا المعنى يفضله أبو علي على معنى ((أمرنا)) من الإمارة والسلطة أي أصبح أميراً على القوم. قال ابن الاعرابي: أمرت فلاناً أي جعلته أميراً. وأمرته وأمرتها كلهن بمعنى واحد... أمر فلان على قومه، إذا صار أميراً)) (٤)

إن الذي ذهب إليه أبو علي هو الأولى، لأن الكثرة والترف دليل على البطر والطغيان في المعاصي فيكون أحسن من الإمارة؛ لأن الإمارة تشغل الشخص عن الملذات لأتشفاله بالسلطة بالرغم من أن فيها طغيان وجبروت، لكن الذي لديه الكثرة والعدة والعدد في كل شيء رجال وأموال، يكون أكثر ترفاً وترفيه فيغمس بالملذات واللذات ويتعد عن ذكر الله، فضلاً عن هذا أن الأمر خاص بالمترفين، وإن أمر الله لا يكون خاصاً بل عاماً بالمترفين وغيرهم. هذا ما أحتج به أبو علي بقوله: ((ويقوي حمل ((أمرنا)) على النقل من أمر، وأن لا يجعل من الأمر الذي هو خلاف النهي؛ لأن الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصوراً على المترفين، وقد أمر الله بطاعته جميع خلقه، من مترف وغيره، ويحمل أمرنا على أنه مثل: أمرنا. ونظير هذا كثر وأكثره الله وكثره، ولا يحمل أمرنا على المعنى: جعلناهم أمراء، لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة عدة أمراء، فإن قلت: يكون منهم الواحد بعد الواحد، فإنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال، وإنما يهلك الله لكثرة المعاصي في الأرض وعلى هذا جاء الأمر بالتنزيل في قوله: ((يعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإني فاعبدون)) (العنكبوت) ٥٦ فأمرهم بالهجرة من الأرض التي تكثر فيها المعاصي إلى ما كان بخلاف هذه الصفة.)) (٥)

١ - المحتسب/١٦/٢

٢ - العين/٨/٢٩٨ وينظر فعلت وأفعلت/١٢١.

٣ - ينظر العين/٨/٢٩٨-٢٩٩ ومعجم مقياس اللغة/مادة أمر.

٤ - معجم مقياس اللغة/مادة امر.

٥ - الحجة للقراء السبعة/٣/٥٤-٥٥.

الإِنَاء

قال ابن جنى: ((قال الله تعالى: ((إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاءً)). (١) أي بلوغه وإدراكه. قال أبو علي: ومنه سَمَوَا الإِنَاء؛ لأنه لا يستعمل إلا بعد بلوغه حفظه من خَرَزِهِ أو صياغته أو نجارته أو نحو ذلك)). (٢)

إِنَّ (الإِنَاء) أو (الإناء) يعني بلوغ الشيء أو إدراكه . قال الخليل: ((والإِنَاء: الإدراك والبلوغ، وإِنَاء الشيء بلوغه وإدراكه فنقول: انتظرنا إِنَاء الطَّعَامِ، أي: إدراكه، وقوله تعالى ((غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءً)) أي: غير منتظرين نضجه وبلوغه... والإِنَاء، ممدود: واحد الآنية، والأواني: جمع الجمع.. جمعُ فعلٍ على أفْعلة، ثم جمع أفْعلة على أَفَاعِلٍ)). (٣) ((مثل سقاء وأسقية وأساق)). (٤)

الظاهر أَنَّ المعنى الذي قال به أبو علي في (الإِنَاء) إنه لا يستعمل كظرف لوضع الأشياء فيه إلا بعد صناعته وبلوغه المرحلة الأخيرة من العمل ويكون معداً للاستعمال، وهو بهذا يزواج بين المعنى اللغوي والمادي بنقل المعنوي إلى المادي وهو إنجاز الشيء حتى يصبح جاهزاً للاستعمال .

أَوْلِق

قال ابن جنى: ((أولق: وهو الجنون. قرأت علي أبي علي، عن أبي الحسن، عن أبي العباس، عن الفضل، عن أبي زيد: (من الطويل) تُرَاقِبُ عَيْنَاهَا الْقَطِيعُ كَأَنَّهَا الْمَسُّ هُنَا الْجَنُونُ أَوْ (الْخَبَلُ) قَالَ الْخَلِيلُ: ((الْأَوْلِقُ: الْمَمْسُوسُ، وَرَجُلٌ مَأْلُوقٌ، وَبِهِ أَوْلَقٌ أَيْ مَسٌّ مِنْ جَنُونٍ...)) وَالْأَلْقَةُ تُوصَفُ بِهَا السَّعْلَةُ وَالذَّنْبَةُ وَالْمَرْأَةُ الْجَرِيئَةُ لِحَبْثُهَا)). (٦) وقال الجوهري: ((والأولق: الجنون، وهو فَوْعَلٌ، لأنه يقال للمجنون مَوْوَلَقٌ عَلَى مَفْوَعَلٍ... وإن شئت جعلت الأولقَ أَفْعَلَ، لأنه يقال أَلِقَ الرَّجُلُ فَهُوَ مَأْلُوقٌ عَلَى مَفْعُولٍ)). (٧)

١- الاحزاب/٥٣

٢- الخصائص/٧٠/٢.

٣- العين/٤٠٠/٨-٤٠٢ وينظر معجم مقاييس اللغة/١/٤٣/١ مادة/أنى.

٤- الصحاح/مادة/أنى.

٥- المنصف/١٧/٣.

٦- العين/٢١٣/٥.

٧- الصحاح/مادة/ألق

بكرت — بكور — باكورة

قال ابن جنى: ((قرأته على أبي علي في النوادر، عن أبي زيد من قول الشاعر (ضَمْرَةٌ بِن ضَمْرَةِ النَّهْشَلِيِّ):
(من الكامل)

بَكَرَتْ تَلْوَمُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسَلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتَابِي)). (١)

((قال أبو زيد انشدني المفضل لضَمْرَةَ بِن ضَمْرَةِ النَّهْشَلِيِّ وهو جاهلي وذكر الشعر ... ، قال أبو حاتم بكرت أي عجلت ولم يرد بكور الغدو ومنه باكورة الرطب والفاكهة للشيء المتعجل منه وتقول أنا أبكر العشيّة فأتيتك أي أعجلت ذلك وأسرعته ولم يرد الغدو ألا تراه يقول بعد وهن أي بعد نومة . والندى السخاء والعطاء فلأتمته في ذلك وأمرته بالإمساك. بسل عليك حرام عليك)). (٢)

إن بكر وبكر وأبكر أي عجل، وهو واحد في المعنى، والبكرة الغداة والبكر من كل شيء أوله، والتبكير والبكور والابتكار المضي في وقت الغداة، والباكور: المبكر في الإدراك من كل شيء. وغيث باكور وهو المبكر في أول الوسمي وهو الساري في آخر الليل وأول النهار وجمعه بكر. (٣)

يبدو أن هناك تبكيراً في الغداة وتبكيراً في العشيّة. قال ابن جنى: ((قيل: إن أصل البكور. التقدّم في كلامهم، فلا يمتنع أن يطلق في أوقات الليل إذا حصل معه تقدّم، وإن كان أكثر ما يستعمله الناس في أول النهار لأنهم في أول النهار بادنون في أعمالهم، فمن هنا اتسع في هذا الوقت)). (٤)

تاج

قال ابن جنى: ((قرأت على أبي علي في كتاب الهمز لأبي زيد: ((وقد تأجوا كنواج الغنم)) أي يصيح خلفهم مال عظيم، فكأنه يبكي عليهم)). (٥). قال أبو زيد: ((وتقول: تأجت الغنم تتأج تواجاً إذا صاحت)). (٦). يبدو أن التاج صوت الغنم. قال الخليل: ((التواج: صوت النعجة، تأجت تتأج تواجاً)). (٧) وهي (تأججة والجمع تواجج وتواججات)). (٨). (ومنه كتاب عمرو بن أفصى، إن لهم التأججة؛ هي التي تصوت من الغنم، وقيل: هو خاص بالضأن منها)). (٩).

١- تفسير إرجوزة أبي نواس/ ٨٠.

٢- النوادر في اللغة/ ٢.

٣- ينظر العين/ ٥/ ٣٦٤- ٣٤٥.

٤- تفسير إرجوزة أبي نواس/ ٨١.

٥- الفسر/ ٤/ ٥٧.

٦- الهمز لأبي زيد/ ١٧.

٧- العين/ ٦/ ١٧٢.

٨- الصحاح/ مادة/ تاج.

ثَبَجُ . الأَثْبَاجُ

قال ابن جنى نقلاً عما حكاه عن أبي علي: ((الأَثْبَاجُ: الأوساطُ. وأحدها ثَبَجٌ. مثل جَبَلٌ وأَجبال)). (١)
في حين نرى الخليل يعده الذي يعلو الظهر أو هو الخلط والتخليط بقوله: ((الثَّبَجُ أعلى الظَّهْرِ مِنْ كُلِّ شيءٍ . وَالتَّثَبُّجُ. التَّخْلِيْطُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. ومنه كتابٌ مُثَبَّجٌ)). (٢)
أما ابن دريد وابن فارس فيعدانه وسط الشيء وجمعه الأوساط، ويأتي بمعنى الإقعاء ويأتي أيضاً بمعنى جعل العصا على الظهر وما خلفها اليدين. قال ابن فارس: ((الباء والتاء والجيم لكلمة واحدة تتفرع منها كَلِمٌ، وهي مَعْظَمُ الشيءِ ووسطه. قال ابن دريد: ثَبَجَ كُلُّ شَيْءٍ وَسَطُهُ. ورجلٌ أَثَبَجَ وامرأةٌ ثَبَجَاءُ إذا كان عظيم الجوف. وثَبَجَ الرجلُ. إذا ألقى على أطراف قدميه يستنجي وتراً... وتَثَبَّجَ الرجلُ بالعصا إذا جعلها على ظهره وجعل يديه من ورائها)). (٣)

جرر: جرير

قال ابن جنى: ((قول أبي النجم : (من الرجز)

وَالكَوْرُ وَالْمَهْرِيَّةُ الْمَوَارِدَا
يَجْدِبْنَ بِالْأَزْمَةِ الْجَرَائِرَ

ويروى: ((يجاذبن الجرر)) وهو اختيار أبي علي. والجرر جمع جرير. وهو حبل مضمور من آدم)). (٤)

قال الخليل: ((الجريرُ حَبْلُ الزَّمَامِ)) (٥) وهذا الحبل منه تنقاد الفرس. في حين يعده الجوهرى غير الزمام بقوله. ((والجرير يُجعل للبعير بمنزله العذار للدابة غير الزمام. وبه سُمِّيَ الرجلُ جريراً)). (٦)

جزيت في الخير، وجازيته في الشر

قال أبو الفتح: ((حدثنا أبو بكر محمد بن علي المراغي، ورويناه أيضاً عن شيخنا أبي علي قال: كان أبو إسحاق يقول جزيت الرجل في الخير، وجازيته في الشر، واستدل على ذلك بقراءة العامة: ((وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ)). (٧) وقرأت عن أبي علي عن أبي زيد: (من الطويل)

لَعَمْرِي لَقَدْ بَرَّ الضَّبَابَ بَنُوهُ
وَبَعْضُ الْبَنِينَ حُمَّةً وَسَعَالُ

جَزَوْنِي بِمَا رَبَّيْتُهُمْ وَحَمَلْتُهُمْ
كَذَلِكَ مَا إِنَّ الْخُطُوبَ دَوَالَ)). (٨)

١- تفسير ارجوزة ابي نواس/٧٥.

٢- العين/٩٩/٦-١٠٠.

٣- معجم مقاييس اللغة/مادنتبج.

٤- تفسير ارجوزة ابي نواس/١٣٢.

٥- العين/١٥/٦.

٦- الصحاح/مادة/جرر.

٧- سبأ/١٧.

٨- المحتسب/٢/١٨٨.

إن جذر الكلمة (جزى) يدل على الإحسان والإساءة. قال الخليل. (جزى يجزي جزاء)، أي: كافاً بالإحسان وبالإساءة،... وتجازيت ديتي: تقاضيتُهُ.)) (١)

وقال ابن فارس: ((الجيم والزاي والياء: قيام الشيء مقام غيره ومكافأته إياه يقال جزيت فلاناً أجزيه جزاءً وجازيته مجازاةً، وهذا رجل جازيك من رجل، أي حسبك. ومعناه أنه ينوبُ مناب كل أحد،... وتقول جزى عني هذا الأمرُ يجزى، كما تقول قضى يقضى، وتجازيت ديتي على فلان أي تقاضيته. وأهل المدينة يسمون المتقاضى المتجازي. قال الله جل ثناؤه: ((يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا)). أي لا تقضى)) (٢)
أما الجوهري فيعدُّ (جزيتُ وجزيتُ) بمعنى واحد بقوله: ((جزيتُهُ بما صنعَ جزاءً، وجزيتُهُ بمعنى. ويقالُ جازيتُهُ فجزيتُهُ، أي غلبتُهُ.)) (٣)

إنّ المعنى عند أهل اللغة للكلمة (جزيتُ وجزيتُ) واحدٌ هو المجازاةُ والجزاءُ بالإحسانِ والإساءة، لكنَّ أهل التفسير ومعاني القرآن يعدّون جزيتُ في الخير وجزيتُ في الشرِّ ودليلهم واضحٌ هو القرآن الكريم: ((وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورُ))؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يعاقبُ الكافرَ ويجازيه النارَ بأعماله السيئة، والمؤمن لا يجازى بسيئاته وإتّما سيئاته تمحوها حسناته.

قال الفراء: ((يقولُ القائلُ: كيفَ خصَّ الكفورَ بالمجازاةِ والمجازاةُ للكافرِ وللمسلمِ وكلِّ واحدٍ؟ فيقالُ: إن جازيناه بمنزلة كافأناه، والسيئة للكافرٍ بمثلها، وأمّا المؤمن فيجزى لأنّه يزداد ويتفضل عليه ولا يجازى. وقد يقال: جازيت في معنى جزيت. إلا أنّ المعنى في أبين الكلام على ما وصفت لك. (٤)

وقال أبو إسحاق الزجاج: ((يقال، الله - عزوجل - يجازى الكفورَ وغير الكفور، والمعنى في هذه الآية المؤمن تكفّرُ عنه السيئات، والكافرُ يحبطُ عمله فيجازى بكلِّ سوءٍ يعمله، قال الله عزوجل: ((الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ)) (٥) وقال: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)) (٦) فاعلم - جلَّ وعزَّ - أنه يحبطُ عملَ الكافرِ. وأعلمنا أنّ الحسناتِ يذهبن السيئاتِ، وأنَّ المؤمنَ تكفّرُ عنه سيئاته حسناتُهُ)) (٧)

فالكافر يجازى بسوء عمله ؛ لأنَّ أعماله تحبطُ كلها أمّا المؤمن فقد أعلمنا الله أنّ حسناته تكفّرُ سيئاته، فلا يجازى وإتّما يجزى على عمله الطيب، فالمجازاة بالذنوب للكافر لا للمؤمن ؛ لأنَّ المؤمنُ يجزى ولا يجازى، لزيادةِ بالثواب فلا يناقش يوم الحساب، وإتّما يطهرُ من الذنوب، بحسناته وإيمانه.)) (٨)

١- العين/٦/١٦٤.

٢- معجم مقياس اللغة /مادة/جزى.

٣- الصحاح/مادة/جزى.

٤- معاني القرآن للفراء/٢/٣٥٩.

٥- محمد/١.

٦- محمد/٢٨.

٧- معاني القرآن و اعرابه/٤/١٨٨-١٨٩.

٨- ينظر معاني القراءات للزهرى/٣٩٢-٣٩٣.

وفي ضوء هذا ذهب أبو إسحاق فيما رواه أبو علي عنه، إلى أن جرى في الخير وجرى في الشر، وإن ما ذهب إليه يُعدُّ حسناً في ضوء النصوص القرآنية التي ذهب بها إلى مجازاة الكافر ومعاقبته بذنوبه فتعدُّ المجازاة في الشر، أما المؤمن فيجرى في الخير، فضلاً عن هذا أن المعنى في ضوء النص لا يصح دائماً على معنى الكلمة وجذرها الذي يدل على الإساءة والإحسان كما قال الخليل رحمه الله، لكن (فاعل) يختلف عن (فعل) في المعنى، فما صح في فاعل (يجازى) في العقوبة لا يصح في فعل (جرى) في العطاء والخير.

حبط ، أحبطاء

قال ابن جنى: ((قرأت على أبي علي، عن أبي الحسن علي بن سليمان، عن أبي العباس عن الفضل عن أبي زيد في كتاب الهمز (١)، وتقول إْحْبَطَاتُ إْحْبِطَاءً : إِذَا انْتَفَخَ جَوْفُكَ)) (٢)

إنَّ الحبط الانتفاخ - والاحبطاء - يأتي بمعنى عظيم البطن، ويقال: احبطأت واحبطيت، بالهمز وغيرها. (٣)
الظاهر أنَّ الحبط هو الألم عندما تأكل الدابة نبت الربيع فتنتفخ. قال ابن فارس: ((وَأَمَّا الألمُ فَالحبطُ: أَنْ تَأْكُلِ الدَابَّةُ حَتَّى تُنْفَخَ لذلِكَ بطنها. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنْ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ)) (٤)) (٥)

ويدل المعنى على الاستبطاء والامتاع. قال ابن الأثير ((في حديث السَّقِطِ: (يُظَلُّ مُحْبَطًا عَلَى بابِ الجَنَّةِ) المُحْبَطِيُّ - بالهمز وتركه - المُتَغَضَّبُ المُسْتَبْطِيُّ. وقيل هو الممتنع امتناع طلبه، لا امتناع إباء. يقال: احْبَطَاتُ، واحْبَطَيْتُ والحْبَطِيُّ: القصير البطين ، والنون والهمزة والألف والياء زوائد لللاحق)) (٦) لأنَّ الأصل الثلاثي حبط.

ومهما يكن من الأمر فإن المعنى يدل على كبر البطن وعظيمه إذا كان في الانتفاخ من الأكل وفي حالة سورة الغضب .

حَلَّتْ - تحلَّى قال ابن جنى: ((قرأت على أبي علي، عن أبي بكر عن أبي العباس، عن أبي الفضل عن أبي زيد: وتقول: حَلَّتْ الأبلُ عن الماءِ تحلَّةً وتحلِّيناً: إِذَا أُخْرِتُهَا عَنْهُ وَحَبَسْتُهَا. (٧)) (٨)
وقال أيضاً: ((تحلَّى: قرأت على أبي علي، عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس محمد بن يزيد عن أبي الفضل الرياش ، عن أبي زيد: حَلَّتْ الأديمَ حلناً إِذَا أُخْرِجَتْ تحلِّينه، والتحلَّى: القشر الذي عليه الشعر فوق الجلد. (٩)) (١٠)

٦- النهاية في غريب الحديث والأثر/١/٣٣١.

٧- الهمز/١٩

٨- المنصف/٣/٤٩

٩- الهمز/١٩

١٠- المنصف/٣/٥٣

١- الهمز/٢٠

٢- المنصف/٣/١١

٣- ينظر العين/٣/٣٣٤.

٤- النهاية في غريب الحديث والأثر/١/٣٣١.

٥- معجم مقاييس اللغة مادة/حبط.

هذا ما ذهب إليه الخليل في المعنيين بقوله: ((وَحَلَّتْ الْإِبِلُ: حبستها عن الوردِ وحلَّتْ الأديمَ: قَشَرَتْ عنه التَّحْلِيءَ والتَّحْلِيءُ: القشر الذي على وَجْهِ الأديمِ مما يلي منبتَ الشعرِ)). (١)

وهذا أيضاً عند ابن فارس في ثلاثة معاني أحدها وهو المطلوب، ما يدل على تنحية الشيء عن الآخر، فحبس الإبل عن الماء هو التنحية عن المراد التي تطلبه – وفصل الجلد الحلاوة هو أيضاً تنحية الشيء عن غيره، فضلاً عن الحلاوة ضد المرورة وعن التحليه أي التجميل وعن التنحية الذي هو المهم في هذا الباب هناك معنى آخر ذهب إليه ابن فارس، وهو الضرب في الأرض فيقال: (حَلَّتْ الأَرْضُ إِذَا ضَرَبَتْهَا). (٢)

حَمَصِيصُهُ

قال ابن جنى: ((أخبرني أبو علي، عن أبي بكر، عن أبي سعيد، عن أبي حاتم قال: قال الأصمعي: بقلّة حَامِصَةٌ تجعل في الأقط.)) (٣)

أشار إلى هذا المعنى الخليل – رحمه الله – بقوله: ((الحمصيص، بقلّة دون الحمّاض في الحموضة، طيبة الطعم من أحرار البقل تنبت في رملٍ عالٍ)). (٤)

الظاهر أن ما رواه أبو علي عن طريق الأصمعي خالف رأي الخليل بقسم من المعنى ووافق في قسم آخر، فاتفق بكون الحمصيص بقلّة ؛ ولكن اختلف عن الحموضه ودرجتها وطيبة طعمها، فالخليل أكثر توثيقاً للمعنى من الأصمعي.

خَفِيَّتُهَا : أَخْفِيهَا

قال أبو الفتح: ((أَخْفَيْتُ الشَّيْءَ: كتمته وأظهرته جميعاً، وخَفَيْتُهُ بلا ألف: أظهرته البتة. فمن ذلك قراءة من قرأ: ((أَخْفِيهَا)) قالوا معناه أظهرها. قال أبو علي: الغرض فيه أزيل عنها خفاءها، وهو ما تُلَفَّ فيه القربة ونحوها من كساء وما يجري مجراه)) (٥)

أشار الخليل إلى هذا المعنى فضلاً عن الاظهار بقوله: ((وكلُّ شَيْءٍ غَطِّيَتْ بِهِ شَيْئاً فَهُوَ خِفَاءٌ. وَالْخَفِيَّةُ: غَيْضَةٌ مُلْتَفَّةٌ مِنَ النَّبَاتِ، يَتَخَذُ فِيهَا الْأَسَدُ عَرِينَهُ... وخفا البرقُ يخفُو خَفَوًا أو يخفي خَفِيًّا أي: ظهر من الغيم. ومن قرأ: ((أَكَادُ أَخْفِيهَا)) (٦) فهو يريد: أظهرها، وأخفيها أسرها من الإخفاء وقد قرئ: ((فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى

١- العين/٣/٢٩٦.

٢- ينظر معجم مقاييس اللغة/مادة/حلو/حلا.

٣- المنصف/٣/٨٨.

٤- العين/٣/١٢٧.

٥- المحتسب/٢/٤٧.

٦- طه/١٥.

لَهُمْ)) (١) أي أظهر)) (٢)

الظاهر أن القراءة إذا كانت بالفتح، فالمعنى يدل على الاظهار، وإذا كان بالضم (أخفيها) فالمعنى يدل على الستر وعدم الاظهار، فضلاً عن هذا أن خفيت من التضاد اللغوي، فتأتي بمعنى: أظهرت وبمعنى سترت. قال الشاعر : (من المتقارب)

وإن تبعثوا الحرب لا تقعد

فإن تدفئوا الداء لا نخفه
فالشاعر يريد (لأنخفه) أي لا نظهره. (٣)

الدمكمك

قال ابن جني: ((هو الشديد، أنشدنا أبو علي عن أبي العباس أحمد بن يحيى : (من الطويل)

إذا اختلفت في الهراوى الدمامك

رأيتك لاتغنين عني بقرة

وهو جمع دمكمك.)) (٤)

يبدو أن معنى الدمكمك، هو الرجل الشديد فالرجال الأقوياء إذا حدث فيما بينهم شجار بالعصي، يحدث ما لا يرضى ولا يحمد عليه، وهذا المعنى لا يشمل الرجال بل الإبل القوية والشديدة تسمى الدمامك مفردها دمكمك. (٥)

قال ابن فارس : ((الدا والميم والكاف يدل على معنيين أحدهما الشدة، والآخر السرعة ؛ وربما اجتمع

المعنيان . فأما الشدة فالدمكمك : الشديد. والدامكة : الداهية والأمر العظيم)) (٦)

الرأرة

قال ابن جني: ((أخبرنا أبو علي، عن أبي الحسن، عن أبي العباس، عن أبي الفضل عن أبي زيد، قال: تقول:

رأرت عينا الرجل رأرة: إذا كان يديرهما، وهو رجل رأرة العينين. (٧)) (٨)

المقصود بالمعنى، التدقيق بالنظر مع تحريك العين، أو الحدة أو الدقة بالنظر أو اللمع (٩) قال

الخليل: ((الرأرة: تحديق النظر، وتحريك الحدقتين في ذلك... رأرت بصري. ورأرت عيناها.)) (١٠)

٧-الهمز/ ٨

١-السجدة/ ١٧.

٨-المنصف/ ٣/ ٨٦

٢-العين/ ٤/ ٣١٣-٣١٤.

٩-ينظر مختصر شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية / ٨٤

٣- ينظر معاني القرآن للفراء/ ٢/ ١٧٦-١٧٧.

١٠- العين/ ٨/ ٣٠٦.

٤- المنصف/ ٣/ ٣١.

٥- ينظر لسان العرب.

٦-معجم مقاييس اللغة/مادة دمك

وقال الفراء: ((الرأء الذي كلمك وناظرك قلب عينه كثيراً)) (١) في حين يرى البندنجي أنها سوء في العين. (٢). أما الجوهرى فيرى أنه اللعان والبريق، بقوله: ((رأ السراب: لمع، ورأت المرأة بعينها: برقت)) (٣)

رهيأ

قال ابن جنى: ((قرأت على أبي علي في كتاب الهمز عن أبي زيد، وتقول: ((رهيأت أمرى رهيأة)) إذا لم تحكمه، وقد رهيأ الرجل؛ وذلك أن يحمل حملاً فلا يشده بالحبال فهو يميل)) (٤) يدل المعنى على عدم الحكمة والدقة عند وضع الحمل على الحامل فيبقى في حالة مضطربة وربما يميل أو يسقط. هذا من الجانب المادي، ويذهب المعنى أيضاً في الجانب المعنوي عدم الدقة في الأمر والرأي الذي يذهب به الرجل فلا يقومه.

قال الخليل: ((الرهيأة: أن تجعل أحد العدلين أثقل من الآخر يقال: رهيأت حملك رهيأة، ورهيأت رأيك، أو أمرك إذا لم تقومه، والرهيأة: الضعف والعجز والتواني، ومنه يقال: ترهيأ الرجل في أمره، إذا هم به ثم أمسك عنه)) (٥)

الرواء

قال ابن جنى: ((المنظر والشارة قال أبو علي هو غير مهموز، فيجوز أن يكون (فعالاً) من رأيت، اجتمع على تخفيفه، ويجوز أن يكون (فعالاً) من (الري) قال: لأن للريان نضارة وحسناً)) (٦)

إذا كان مضموم الفاء فهو بمعنى: الحسن وإن كان مكسور الفاء فهو بمعنى حبل الخيمة. قال الخليل: ((الرواء: حسن المنظر في البهاء والجمال، يقال: امرأة لها رواء وشارة حسنة. والرواء: حبل الخباء، أعظمه وأمتنه، وذلك لشدة ارتوائه في غلظ فتله)) (٧)

والريان الحسن والنضارة من روى يروي رياً من (الرئي) أي الارتواء وهو الامتلاء. قال الخليل: ((كل شجرة أو عضو أمتلاً قيل: قد ارتوي، وإنما قالوا: روي إذا أرادوا الري من الماء والاعضاء والعروق من الدم، ولارتوي العروق لأنها لاتغلظ، وليس معنى ارتوائها كارتواء القوم إذا حملوا ريبهم من الماء، كل هذا من روي يروي رياً)) (٨)

٧- العين/٨/٣١١.

٨- المصدر نفسه والجزء والصفحة.

١- المنقوص والممدود/٤٩.

٢- ينظر التقفية في اللغة/٩٠.

٣- الصحاح/مادة/رأراً.

٤- المنصف/١/١٠٦-١٠٧.

٥- العين/٤/٨٥-٨٦.

٦- الفسر/١/١١٨.

ازعمي - زعم

قال ابن جنى: ((أشددنا أبو علي (من الرمل) (لعمري بن أبي ربيعة):

قلتُ كَفَى لكَ رَهْنٌ بِالرُّضَا
فازعمي ياهندُ، قالتُ: قَدْ وَجِبَ
ازعمي: اكفلي بوصولك.)) (١)

يذهب الفعل زعم إلى معنى الشك أو الكذب أما زعم فيأتي بمعنى الزعامه فهي السيادة أو الكفالة. ويأتي هذا الحرف بمعنى الطمع.

قال الخليل: ((زَعَمَ يَزْعُمُ زَعْمًا وَزُعْمًا إِذَا شَكَ فِي قَوْلِهِ، فَإِذَا قُلْتَ: ذَكَرَ، فَهُوَ أُخْرَى إِلَى الصَّوَابِ، وَكَذَا تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ ((هَذَا اللَّهُ يَزْعُمُهُمْ)) (٢) وَيَقْرَأُ يَزْعُمُهُمْ، أَي: بِقَوْلِهِمُ الْكُذْبَ. وَزَعِيمٌ الْقَوْمُ: سَيِّدُهُمْ وَرَأْسُهُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنْهُمْ زَعْمٌ يَزْعُمُ زَعَامَةً: أَي: صَارَكُهُمْ زَعِيمًا سَيِّدًا. قَالَتْ لَيْلَى: (من الكامل)

حَتَّى إِذَا رَفَعَ اللَّوَاءَ رَأَيْتُهُ
تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا
والتزعم: أي التكذب... والزَّعِيم: الكفيل بالشيء، ومنه قوله تعالى: ((وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ)) (٣) أي: كفيل. وَزَعِمَ فُلَانٌ فِي
غَيْرِ مَزْعَمٍ، أَي: طَمَعَ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ. وَأَزْعَمَتْهُ: أَطْمَعَتْهُ... وَالزَّعِيمُ: الدَّعِي.)) (٤)

الساھر

قال ابن جنى: ((كان أبو علي (رحمه الله) يذهب في الساھر إلى هذا، ويقول: إن قولهم: سهر فلان أي نبا جَنَّبَهُ عَنِ السَّاهِرَةِ (وهي وجه الأرض) قال الله عز وجل: ((فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ)) (٥) فَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا سَهَرَ قَلْبَهُ جَنَّبَهُ عَنِ مَضْجَعِهِ وَلَمْ يَكِدْ يَلْقِي الْأَرْضَ، فَكَأَنَّهُ سَلَبَ السَّاهِرَةَ.)) (٦)

يبدو أن المعنى الذي ذهب إليه أبو علي في معنى الساھر والساھرة هو من بنات أفكاره لكنه ربما قد تأثر بما ذهب إليه الفراء من أن الأرض عليها سهر الناس والحيوان ونومهم. وهذا ظاهر قوله: ((وهو وجه الأرض، كأنها سميت بهذا الاسم؛ لأن فيها الحيوان: نومهم، وسهرهم.)) (٧)

١- الفسر ٣/٣٨.

٢- الانعام/١٣٦.

٣- يوسف/٧٢.

٤- العين/١/٣٦٤-٣٦٥.

٥- النازعات/١٤.

٦- الخصائص/٣/٧٩.

٧- معاني القرآن للفراء/٣/٢٢٢.

فضلاً عن هذا أن الذي سبقه لم يشر إلى هذا فالخليل لم يعالج غير السهر وهو امتناع النوم بالليل،
والساهرة وجه الأرض العريضة البسيطة. (١)
أما ابن فارس فقد ذكر أن الساهرة ، سميت لأن عملها في البيت دائماً ليلاً ونهاراً فكأنها تسهر على هذا
العمل الدؤوب، وفي ضوء هذا يقال: ((رجلٌ سَهْرَةٌ: قليلُ النوم.)) (٢)

لم يَتَسَنَّهُ

قال ابن جني: ((قرأت على أبي علي باسناده عن أبي عبيدة، قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: ((لم
يَتَسَنَّهُ)) (البقرة: ٢٥٩): لم يتغير، هو من قوله تعالى: ((مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)) (الحجر: ٢٦) اي: متغير.)) (٣)
أشار المفسرون وأصحاب معاني القرآن إلى أن معنى يتسنا، أو يتسنى، يتغير وقيل: إنه مأخوذ أيضاً من
معنى (مسنون) بمعنى: متغير. والفراء يميل إلى أنه من السنة قال: ((قوله: ((لم يتسنه)) جاء التفسير: لم يتغير
بمرور السنين عليه، مأخوذ من السنة.. وقد قالوا هو مأخوذ من قوله ((من حمإ مسنون)) يريد: متغير فإن
يكن كذلك فهو أيضاً مما أبدلت نونه ياءً . ونرى أن معناه مأخوذ من السنة اي لم تُغيّرهُ السنون)) (٤) وقال
أيضاً: ((والمسنون: المتغير... أخذ من سننت الحجر على الحجر.)) (٥)
أما الزجاج فعنده من معنى التغير، أي لم تغيّره السنون، لا من تغير في معنى الآسن، من أسن الطعام
يأسن، أما ما قاله بعض النحويين من حمإ مسنون في إبدال النون ياء لأن الأصل يتسنن، فهذا ليس بصحيح ؛
لأن ((مسنون)) يأتي بمعنى مصبوب على سنة الطريق. (٦)
وتابع الزجاج في رأيه هذا أبو عبيدة بقوله: ((لم تأت عليه السنون فيتغير ، وهذا في قول من قال للسنه
سنيّة) مصغرة، وليست من الآسن المتغير، ولو كانت منها لكانت، ولم يتأسن)) (٧)
يبدو أن ما نقله أبو علي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو، لم يذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن في نصه
وإنما جاء سماعاً وليس قراءةً.
ومهما يكن من الأمر، فإن معنى (لم يتسنه): لم يتغير، أي أنه مأخوذ من معنى لم تغيّره مرّ السنين عليه
فهو باقٍ على حاله ، وليس من معنى الآسن المتغير طعمه.

١- ينظر العين/٤/٦-٧.

٢- ينظر معجم مقاييس اللغة/مادة سهر.

٣- سر صناعة الاعراب/٢/٧٥٨.

٤- معاني القرآن للفراء/١/١٧٢.

٥- المصدر نفسه/٢/٨٨.

٦- ينظر معاني القرآن واعرابه/١/٢٩٣.

٧- مجاز القرآن/١/٨٠.

شَانِي

قال ابن جنى: ((أخبرني أبو علي، عن أبي بكر، عن أبي رستم، عن ابن السكيت قال: يقال: شَانِي الأمر و شاعني أي شاقني، قال ساعدة بن جُوَيَّة : (من البسيط)

حَتَّى شَاهَا كَلِيلٌ مَوْهِنًا عَمِلُ
بَاتَتْ طَرَابَا وَبَاتَ اللَّيْلَ لَمْ يَنَمْ)) (١)

يبدو أن شاعني مقلوب من شَانِي والدليل على ذلك أنه لا مصدر له؛ لأنهم لم يقولوا شاعني شوعاً، بل قالوا شَانِي شأواً ، في حين أن ابن الأعرابي قال: إنهما لغتان، ذكر هذا ابن منظور نقلاً عن ابن سيده. هذا من حيث التصريف، أما من حيث المعنى فالمقصود به التعجب فتقول: شَانِي الشيء شأواً: أعجبني وقيل: حزنني، وطربني وشاقني . فشأها الذي ذكر في بيت ساعدة بن جُوَيَّة تأتي بمعنى شاقها وطربها على وزن سعاها ، وفي ضوء هذا قال الأصمعي بـ شَانِي الأمر مثل سعاني ، وشاعني مثل ساعني إذا حزنك ، قال الحرث بن خالد المخزومي باللغتين: (من الكامل)

مَرَّ الخُمُولُ فَمَا شَأُونُكَ نَقْرَةً
وَلَقَدْ أَرَاكَ تُشَاءُ بِالْأَضْعَانِ

وإذا كان المصدر شأياً بمعنى حزنني وشاقني فتقول شَانِي الشيء شأياً. (٢)

شَأَوْتُ — بمعنى سبقتُ

قال ابن جنى: ((أخبرني أبو علي، عن أبي الحسن، عن أبي العباس، عن أبي الفضل، عن أبي زيد، قال (٣): يقال شَأَوْتُ القوم شأواً: إذا سبقتهم، وشَأَوْتُ من البئر شأواً: إذا نزعت منها التراب. والشأو ملء الزبيل من التراب. والشأو: السبِقُ.)) (٤)

هذا المعنى قد ذكره الخليل في السبق والنزع بقوله: ((والشأو: الغاية شَأَوْتُ القوم، أي: سبقتهم، أشأى شأواً. وشأو الناقة: زمامها، وشأوها: بعرها... وأخرجت من البئر شأواً من التراب، أي: زبيلاً. وقيل: الشأو: الحفر أيضاً. يُقال شَأَوْتُ البئرَ، وأخرجتُ كذا أو كذا مشأةً، والمشأة: زبيلٌ أو شيء يُخرجُ به ترابُ البئرِ.)) (٥)

الشَّجِبُ

شَجِبَ بِشَجْبٍ شَجُوبًا وَشَجْبًا:

قال ابن جنى: ((ويقال: شَجِبَ بِشَجْبٍ فِي الْهَلَاكِ وَالْيَبْسِ جَمِيعًا شَجْبًا شَجُوبًا ؛ وقرأت على أبي علي في نوارد أبي زيد للبعيت (من الطويل):

وَأَيَّةُ أُمَّ لَا تُكَبُّ مِنْ ابْنِهَا
عَلَى شَجْبٍ أَوْ لَا يُصَادِفُهَا تَكَلُّ)) (٦)

٤ - المنصف/٣/٧٦.

٥ - العين/٦/٢٩٧.

٦ - الفسر/١/٢٢٧.

١ - المنصف/٣/٧٦.

٢ - ينظر لسان العرب /مادة/شأى.

٣ - الهمز/١٤/١٤.

رواية البيت في النواردي (على ابنها)، قال أبو زيد: ((الشجب الهلاك شجب شجباً إذا هلك.)) (١)

في حين نرى الخليل يعدّه الحزن والأثم والحديث بالخنا، بقوله: ((الشجبُ الهمُّ والحزنُ، وقد أشجبتك هذا الأمرُ فشجبت له شجباً، وغرابٌ شاجبٌ يشجبُ شجبياً وشجوباً، أي شديدُ النعيق الذي يتفجج من غرابان البين...، ورجلٌ شاجبٌ أي أثم يتكلم بالخنا فيهلك نفسه، وشجب يشجبُ شجباً، وشجوباً، وشجب شجباً أجود.)) (٢)

يفهم من هذا أن الحزن والأثم يدل على الهلاك، هذا من حيث المعنى أما المصدر فيكون شجباً وشجوباً والأولى شجباً، ولكن هذه الكلمة دلت على معنى جديد استخدم في لغتنا الحالية، وهو الإنكار عن الحدث أو الشيء الذي قد يحدث فيرفض، فيقال أشجبُ هذا الحدث بمعنى أرفضه أولاً أقبلُ به أو أشجبُ هذا العدوان أي أرفضه وأعارضه، وهذا جاء نتيجة للتطور اللغوي في معنى الكلم العربي، وقد استخدمت الكلمة بهذا المعنى في لغة السياسة الحالية ولا سيما لغة الأعلام العربي؛ وفي المعنى الجديد بعض دلالة المعنى القديم؛ لأن الغراب الشاجب هو الذي ينق بشدة تجاه غرابان البين كأنه يرفضها، فضلاً عن أن الثم والحديث بالخنا مرفوض من الناحية النفسية والخلقية وترفضه كل نفس إنسانية.

الشَّدُّ، والشَّدَّةُ

قال ابن جني: ((والشد من أشدّ العدو، وأنشدنا أبو علي وغيره (من البسيط):

لَمَّا لَقَيْتَهُمْ وَاهْتَزَّتِ اللَّمَمُ

بَأَسْرَعِ الشَّدِّ مَنِي يَوْمَ لَأَيْتِهِ

والشدة: الحملة، وقرأت على أبي علي في نواردي أبي زيد وأنشدناه أيضاً (من الوافر):

وَقَدْ ضَاقَتْ لَشِدَّتِهِ ذِرَاعِي)) (٣)

قَصَوْتُ لَهُ الْقَبِيلَةَ إِذْ تَجَهَّنَا

هذا المعنى ذكره الخليل: ((الشَّدُّ: الحَمْلُ، تقول: شَدَّ عليه في القتال. وشَدَدْنَا عليهم شَدَّةً واحدةً في

الحملة. قال: (من الوافر)

وَقَلْنَا بِالضُّحَى فِجْحِي فَيَا ح

شَدَدْنَا شَدَّةً لَاعِيْبَ فِيهَا

والشَّدُّ: العَدُوُّ والفعل: اشْتَدَّ. والشَّدَّةُ: الصَّلَابَةُ. والشَّدَّةُ: النَّجْدَةُ وَثَبَاتُ الْقَلْبِ، ... وَرَجُلٌ شَدِيدٌ: شَجَاعٌ.)) (٤)

وتأتي أيضاً بمعنى الجماعة والهزاهز أي الشدائد، وتأتي بمعنى البلوغ عند الإنسان .

قال الخليل: ((والأشدُّ: مبلغُ الرَّجُلِ الحُنْكَةَ والمعرفة . قال الله عزَّوجلَّ: ((حتى يبلغ أشدّه)) (٥).)) (٦)

١- النواردي اللغة/٢٩.

٢- العين/٦/٣٩.

٣- الفسر/٣/١٤٧. وينظر النواردي في اللغة/٦ وفيها (فصرت) وليس (قصوت) (ما) و (بشدته) وليس (قد) و (لشدته)

٤- العين/٦/٢١٣.

٥- الاسراء/٣٤.

٦- العين/٦/٢١٤.

الصلاة

قال ابن جنى: ((ذلك أن الصلاة عندنا من الواو، بذلك على ذلك ما كان رآه أبو علي فيها، وذلك أنها من الصلّوين، وهما مكتنفاً ذنبِ الفرس وغيره مما يجري مجرى ذلك . قال: واشتقاقه منه أن تحريك الصلّوين أول ما يظهر من أفعال الصلاة. فأما الاستفتاح ونحوه من القراءة والقيام فأمر لا يظهر، ولا يخص ما ظهر منه الصلاة. لكن الركوع أول ما يظهر من أفعال المصلّي)) (١)

إن الذي ذهب إليه أبو علي من اشتقاق الصلاة من الصلّوين وارد عند أهل اللغة بهذا المعنى، والدليل عليه أن الصلّوين مفردا الصلاة وهو وسط الظهر عند الفرس ونهايته تكون بالذنب أو الجانبين اللذين يضمنان الذنب.

قال الخليل: ((والصلّا: وسط الظهر لكل ذي أربع وللناس وكل أنثى إذا ولدت انفرج صلاها... وإذا أتى الفرس على أثر الفرس السابق قيل: قد صلى وجاء مصلّيًا لأن رأسه يتلو الصلّا الذي بين يديه.)) (٢)

الصوب: القصد

قال ابن جنى: ((الصوب: القصد، الصوب الأصابه، قال الشاعر وهو أوس بن عفاء، قرأته على أبي علي في نوادر أبي زيد (من الوافر):

ذريني إنما خطي وصوبي
عليّ، وإن ما أهككت مال)) (٣)

المعروف أن الصوب، الجهة أو الاتجاه أو القصد أو المبتغى الذي يطلب وفي لغتنا الدارجة (العامية) تستخدم هذه الكلمة بمعنى الجهة. فيقال، صوب النهر أي جهته. وذلك الصوب أي تلك الجهة أو الضفة الأخرى للنهر، ويفهم أيضاً هو القصد والاتجاه في ضوء ما قالته العرب: ((والعرب تقول للسائر في فلاة تقطع بالحدس إذا زاغ عن القصد: أقم صوبك أي قصدك. وفلان مستقيم الصوب إذا لم يزع عن قصده يميناً وشمالاً في مسيرة)) (٤)

قال الخليل: ((وصاب السهم نحو الرمية يصوب صيبوبة إذا قصد وسهم صائب أي قاصد)) (٥)

١- المحتسب/٢/٨٤.

٢- العين/٧/١٥٣.

٣- الفسر/٢/١٠٤ وفي النوادر/٦/٤٦ ذريني إنما خطي وصوبي

٤- العين/٧/١٦٧.

٥- المصدر نفسه/٧/١٦٦.

عليّ وإنما أهككت مال

الصَّيْصِيَّةُ:

قال ابن جنى: ((قرأت على أبي علي، عن أبي بكر، عن أبي رستم، عن ابن السكيت، عن الأصمعيّ قال: حدثني خلف الأحمر، قال: أنشدني رجل من أهل البادية: (من الرجز)

خالِي عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلَجٍ المَطْعَمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِ
وَبِالْغَدَاةِ فَلَقَ الْبَرِّيْجِ يُقْلَعُ بِالْوَدِّ وَبِالصَّيْصِجِ

... قال أبو علي: يريد الصَّيْصِيَّةُ، وهو قرن البقرة)) (١)

يبدو أن الصَّيْصِيَّةُ هي ما كان يستخدم للحماية والدفاع عن الإنسان والحيوان . قال الخليل: ((والصَّيْصِيَّةُ: ما كان حصناً لكل شيء مثل صيصة الثور وهو قرنه، وصيصة الديك كأنها مخلب في ساقه، وصيصة القوم: قلعتهم التي يتحصنون فيها كقلاع اليهود من فريضة حيث أنزلهم الله من صياصيمهم)) (٢)

عزوتُ

قال ابن جنى: ((عزوت فلاناً إلى أبيه إذا نسبته إليه، أنشدنا أبو علي (من الرجز):

اطْلُبْ أَبَا نَخْلَةَ مَنْ يَأْبُوكَأ فَقَدْ سَأَلْنَا عَنْكَ مَنْ يَعْزُوكَا
إِلَى أَبِ فَكْلِهِمْ يَنْفِيكَأ

وعلى أنهم قد قالوا: عزيته إلى أبيه، والواو أعلى)) (٣)

إنّ المعنى اللغوي الذي يفهم من عزوت من أشار إليه الخليل بالدعوة إلى الجاهلية والتعصب للنسب واللذين نهى عنهما الإسلام، قال الخليل: ((والاعتزأ: الاتصال في الدعوى إذا كانت حرب، فكل من ادعى في شعاره أنا فلان بن فلان، أو فلان الفلاني فقد اعتزى إليه)) (٤) ((وفي الحديث: (مَنْ تَعَزَّى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ) وهو أن يقول يآل فلان . قال : (من الطويل)

فَلَمَّا التَّقَتْ فُرْسَانُنَا وَرَجَالَهُمْ دَعَاوُا بِالْكَعْبِ وَعَتْرَيْنَا لِعَامِرِ
وقال آخر: (من الطويل)

فَكَيْفَ وَأَصْلِي مِنْ تَمِيمٍ وَفِرْعَهَا إِلَى أَصْلِ فِرْعَى وَعَتْرَائِي اعْتَرَاؤَهَا)) (٥)

١- المنصف/٣/٧٩.

٢- العين/٧/١٧٦.

٣- التمام في تفسير اشعار هذيل/١٩٨-١٩٩.

٤- العين/٢/٢٠٥.

٥- معجم مقاييس اللغة/مادة/عزوبي.

قال ابن الاثير في ضوء الحديث النبوي الشريف: ((مَنْ تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْزَوْهُ بِهِنِ أَبِيهِ وَلَا تَكُنُوا)) التَّعَزَّى: الْإِتِمَاءُ وَالْإِتْسَابُ إِلَى الْقَوْمِ. يُقَالُ: عَزَيْتُ الشَّيْءَ وَعَزَوْتُهُ أَعَزَيْتُهُ وَأَعَزَوْتُهُ إِذَا أَسْنَدْتَهُ إِلَى أَحَدٍ. وَالْعِزَاءُ وَالْعِزْوَةُ: اسْمٌ لِدَعْوَى الْمُسْتَعِيثِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: يَا فُلَانُ، أَوْ يَا لَأَنْصَارِ وَيَا لِمُهَاجِرِينَ)) (١)

العنُسُ

قال ابن جنى: ((العنُسُ... الناقةُ التي تمت وتوفرت وأشدت. أنشدنا أبو علي: (من الطويل)
ومُفْرِهَةٌ عَنَسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا فَخَرَّتْ كَمَا تَتَابَعُ الرِّيحُ بِالْقَفْلِ)) (٢)
إن العنس من أسماء الناقة ومن صفات المرأة البكر، أشار إلى هذا الخليل بقوله: ((العنُسُ من أسماء الناقة سميت به لتمام سنّها وشدة قوتها. ووفور عظامها وأعضائها وآعيناس ذنبها. أي وفور هلبه وطوله... وعنست المرأة تعنُسُ عنوساً إذا صارت نصفاً وهي بعد بكر لم تزوج. وعنسها أهلها. تعنيساً إذا حبسوها عن الإزواج حتى تجاوزت فتاء السن، ولما تعجز بعد فهي معنسة.)) (٣) (وهذا قياس صحيح؛ لأن ذلك حين اشتدادها وقوتها)) (٤)، لأن الجذر اللغوي ((يدل على شدة في شيء وقوة)) (٥)

عَوَان

((عوان: هي النصف، وجمعها عون. قال الشاعر: أنشدناه أبو علي: (من الطويل)
سمين الضواحي لم تورقه ليلاً فَأَنْعَمُ أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعَوْنُهَا)) (٦)
الظاهر أن المعنى يدل على المرأة أو البقرة التي في منتصف عمرها. قال الخليل ((والعوان: البقرة النصف في سنّها... ويقال للمرأة النصف: عوان قال: (من الوافر)
نواعمُ بَيْنَ أَبْكَارٍ وَعَوْنٍ (٧)
فضلاً عن هذا المعنى تدل على الحرب الثانية، قال الخليل أيضاً: ((والحربُ العوانُ التي كانت قبلها حربُ بكرٍ، وهي أوّلُ وقعةٍ، ثم تكونُ عَوَانًا كأنّها ترفعُ من حالٍ إلى حالٍ أشدَّ منها.)) (٨)

١ - النهاية في غريب الحديث والاثر/٣/٢٣٣.

٢ - المنصف/٣/٧٠.

٣ - العين/١/٣٣٦-٣٣٧ وينظر معجم مقاييس اللغة/مادة عنس.

٤ - معجم مقاييس اللغة /مادة عنس

٥ - المصدر نفسه والمادة نفسها .

٦ - المنصف/٣/٥٨.

٧ - العين/٢/٢٥٤.

٨ - المصدر نفسه/٢/٢٥٤.

العوى

قال ابن جنى: ((قال لي أبو علي: إنما قيل لها (العوى) لأنها كواكب ملتوية، قال: وهي من عَوَيْتُ يَدَهُ أي: لَوَيْتُهَا)) (١)

هذا المعنى حققه الخليل في ظاهر كلامه عن التواء الحبل فقال: ((وعَوَيْتُ الحبلَ عِيًّا: لَوَيْتُهُ وَعَوَيْتُ رأسَ الناقةِ أي عَجْتُهَا فَانَعَوَى. والناقة تَعْوِي برتها في سَيْرِهَا: أي تَلْوِيهَا بِخَطْمِهَا... والعَوَاءُ: نجمٌ في السَّمَاءِ يُوْنْتُ يُقال لها عَوَاءٌ. ويقال إذا طَلَعَتْ العَوَاءُ جِئَمَ الشِّتَاءِ وطاب الصَّلَاءُ وهو من نُجُومِ السَّنْبُلَةِ

من أُنِواءِ البَرْدِ في الرَّبِيعِ، إذا طَلَعَتْ وَسَقَطَتْ جَاءَتْ بالبَرْدِ ويقال لها عَوَاءُ البَرْدِ.)) (٢)

الظاهر أنها عند الخليل ممدودة في حين نرى أبا علي يجعلها مقصورة فهي تمد وتقصر. (٣) فضلاً عن هذا أضاف ابن فارس معنى آخر (للعوى أو العواء) يستحق الوقوف عنده وهو اشتقاقها من العواء لأنها تساعد على عواء الكلب عندما تخرج في أيام البرد. فقال: ((ليس ببعيد أن تكون مشتقة من العواء أيضاً لأنها تأتي ببرد تعوى له الكلاب)) (٤) فالكلبة المستحربة تسمى معاوية، لاشتقاقها من العواء لأنها تعوى لطلب الذكر في أيام (عواء البرد). (٥)

ومهما يكن من الأمر فأنها تدل على التغير إلى الشدة في المعنى الأول وقريبة من المعنى الثاني .

غَدَنَ – اغْدُودِنَ

قال ابن جنى: ((يقال: اغْدُودِنَ النبت: إذا طال واسترخى، أنشدنا أبو علي لحسان: (من المتقارب)

وقامَتُ ترائيكُ مُغْدُودِنَا
إذا ما تَنَوَّأَ بِهِ آدِها)) (٦)

يبدو أن جذر الكلمة يدل على النعومة والطلاوة والليونة، قال الخليل: ((المُغْدُودِنُ: النَّاعِمُ وشابُّ غُدائِيٍّ إذا ارتَوَى وامتلاً شاباباً.)) (٦) وقال ابن فارس: ((الغين والذال والنون أصيلٌ صحيحٌ يدلُّ على لينٍ واسترسالٍ وفترةٍ من ذلك المُغْدُودِنُ: الشَّعْرُ الطويلُ النَّاعِمُ المسترسل... والشَّبابُ الغُدائِي: الغَضُّ. قال: (من الرجز)

بعد غُدائِيٍّ الشَّبابُ الأَبْلَهُ

وأصل ذلك كله من الغَدَنَ، وهو الاسترخاء والفترة)) (٨)

١ - سر صناعة الاعراب/١/٨٧.

٧- العين/٤/٣٩٣.

٢ - العين/٢/٢٧٠-٢٧١.

٨- معجم مقاييس اللغة/مادة/غدن.

٣- ينظر معجم مقاييس اللغة/مادة/عوى.

٤ - معجم مقاييس اللغة/مادة/عوى.

٥- ينظر المصدر نفسه والمادة نفسها

٦- المنصف/٣/١٣.

الغزاةُ

قال ابن جني: ((الغزاه من أسماء الشمس... أخبرنا أبو علي في ((نوادير أبي زيد)) (١) قال: ويقال: لقيت فلاناً غزاةً الضحى، ورأد الضحى، وكهر الضحى. كل ذلك بعدما تنبسط الشمس وتضحى غزاةً الغين معجمة. وقال الراجز: (من الراجز)

دَعَتْ سُلَيْمَى دَعْوَةً هَلْ مِنْ فَتَى
يَسُوقُ بِالْقَوْمِ غَزَالَاتِ الضُّحَى ؟
فَقَامَ لَارِثٌ وَلَاوَانِي الْقَوَى

وكنى بالغزاة عن المشيب بها)) (٢)

إنّ المعنى جاء نتيجة لاستعارة الكلمة وجعلها من أسماء الشمس من باب اطلاق الجزء على الكل؛ فهي عين الشمس لا الشمس وتأتي بمعنى وقت الضحى. (٣) لأن الشمس في هذا الوقت تكون مصبحة للناس بجمال خيوط اشعتها فكأنها كالغزاة بجمالها ومغازلتها للأرض بنورها.

قال ابن فارس: ((الغزال وهو معروف والأنتى غزاة ولعل اسم الشمس مستعار من هذا فإن الشمس تسمى الغزاة ارتفاع الضحى.)) (٤)

فَدَمٌ

قال ابن جني: ((الفدم: العيي من الرجال ويقال فيه (تدم) أيضاً بالثاء كما قالوا (جذت) و(جذف)... وأنشدنا أبو علي عن أبي بكر لعمارة بن عقيل: (من البسيط)

وَالْفَدَمُ أَسْحَقَ رَأْسَ الْبَغْلِ مَفْتَرَسٌ
بَغْدَادَ لِشَاكِرٍ نَعْمَى وَلَا جَاذِي)) (٥)
يبدو أنّ جذر الكلمة ((الفاء والذال والميم) يدل على القله والثقل في اللسان. قال الخليل ((الفدم: العيي عن الحجّة والكلام، وفدم فدامة والجميع فدم قال الشاعر: (من الطويل)

فَأَنْكَرْتُ إِنْكَارَ الْكَرِيمِ وَلَمْ أَكُنْ
كَفَدَمِ عِبَامٍ سَيْلٍ شَيْئاً فَجَمَجَمَا)) (٦)
وقال ابن فارس: ((الفاء والذال والميم أصل صحيح يدل على خثورة وثقل وقلة كلام في عي. من ذلك قولهم: صبغ فدم، أي خائر مشبع. قالوا ومن قياسه الرجل الفدم، وهو القليل الكلام من عي وهو بين الفدومة والفدامة وهذا كله قياسه الفدام الذي تقدم به الأباريق لتصفية ما فيها من شراب)) (٧)

الظاهر أنّ الفدام يدل على التأخير في نزول الماء أو خروجه من الإناء فكذاك الكلام من العي يتقل ويقل والمتكلم يتأخر بسببه فهذا قريب لذاك في المعنى.

١ - النوادر ١٢٨/ ((فقام لاوان ولارث القوى))

٢ - الفسر ٢٧٥/١-٢٧٦

٣ - ينظر العين/٤/٣٨٣.

٤ - معجم مقاييس اللغة/مادة/غزل.

٥ - الفسر/٣/٧٦.

٦ - العين/٨/٥٤.

٧ - معجم مقاييس اللغة/مادة/فدم.

فرج ،أفرج

قال ابن جنى: ((حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ عَنْ أَبِي اسْحَاقَ قَالَ يَقَالُ : رَجُلٌ أَفْرَجٌ وَفُرْجٌ وَهُوَ الَّذِي لَا يَكْتُمُ سِرًّا وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي يَكْشِفُ عَنْ فَرْجِهِ.)) (١)

الظاهر أن جذر الكلمة (فرج) يدل على الانفتاح نحو الفرجه الشق في الحائط ومارواه أبو علي عن أبي اسحاق يدل على الانفتاح في الحديث وغيره وعدم كتمانه ولا سيما السر . قال الخليل: ((رَجُلٌ أَفْرَجٌ وَأَمْرَأَةٌ فَرَجَاءُ أَيْ عَظِيمُ الْأَيْتَيْنِ)) (٢) وقال ابن فارس: ((ومنه الفرج الذي لا يكتُم السرَّ، والفرج مثله. والفرجُ : الذي لا يزالُ ينكشفُ فرجُه... ومما شدَّ عن هذا الأصل: المُفْرَجُ قالوا: وهو القَتيلُ الذي لا يدري مَنْ قَتَلَهُ ويقالُ هو الجميل لا ولاء له إلى أحدٍ ولا نسب.)) (٣)

فيل، فإيل

قال ابن جنى: ((رَأَى فَيْلٌ وَفَيْلٌ أَنْشَدَنَا أَبُو عَلِيٍّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ : (مَنْ الْوَافِرُ) بَنَى رَبَّ الْجَوَادِ فَلَاتَفِيَلُوا أَيْ لَا تَحْمُقُوا أَوْ تَجْهَلُوا)) (٤)

الظاهر أن المعنى يدلُّ على الضعف في الرأي ، لأنَّ الحمافة وليدُة الجهل ، والجهل ضعف في الرأي والعقل والفراسة.

قال الخليل: ((وَتَفَيْلٌ رَأَى فِلَانٌ أَيْ أَخْطَأَ فِي فِرَاسَتِهِ... وَفَيْلَتْ رَأْيُهُ)) (٥)

وقال الجوهري: ((رَجُلٌ فَيْلٌ الرَّأْيُ أَيْ ضَعِيفُ الرَّأْيِ وَالْجَمْعُ أَفْيَالٌ وَرَجُلٌ فَالٌ أَيْ ضَعِيفُ الرَّأْيِ مُخْطِئُ الْفِرَاسَةِ وَقَالَ : (مَنْ الْوَافِرُ) رَأَيْتُكَ يَا أُخَيْطَلُ إِذْ جَرَيْنَا وَجَرِيَتْ الْفِرَاسَةُ كُنْتَ فَالًا وَقَدْ فَالَ الرَّأْيُ يَفِيلُ فَيَوْلَةٌ وَفَيْلٌ رَأْيُهُ تَفْيِيلًا أَيْ ضَعَفَهُ فَهُوَ فَيْلٌ الرَّأْيِ.)) (٦)

١ - سر صناعة الاعراب/٢/٤٤٤ .

٢ - العين/٦/١١٠ .

٣ - معجم مقاييس اللغة/مادة/فرج .

٤ - المقتضب/٢٨-٢٩ .

٥ - العين/٨/٣٣٥ .

٦ - الصحاح/مادة/فيل .

قَبَاء

قال ابن جنى: ((قال أبو علي في (قَبَاء) اسم الجبل المعروف: إنه إن كان في هذا الجبل انضماماً وأجتماعاً فهو من قولهم: حرفٌ مَقْبُوءٌ، أي مضموم فهذا الذي قلتُ أنا نظير ما قاله.)) (١)

يبدو أنّ الجذر الثلاثي للكلمة يدل على الضم والجمع ((يقال قَبُوتُ الشَّيْءِ جَمَعْتُهُ وَضَمَّمْتُهُ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْمُونُ الرَّفْعَ فِي الْحَرَكَاتِ قَبُوءًا وَهَذَا حَرْفٌ مَقْبُوءٌ وَيُقَالُ إِنَّ الْقَبَاءَ مُشْتَقٌّ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَجْمَعُهُ عَلَى نَفْسِهِ)) (٢)

الظاهر أنّ الذي ذهب إليه أبو علي من تسمية جبل (قَبَاء) بهذا الاسم لما فيه من تجمع وضم في جوانبه هو الصواب لما فيه دلائل الكلمة على هذا الانضمام والتجمع فأشتق القباء وأخذت الكلمة لتسمية ذلك الجبل.

القَصْر

في قوله تعالى: ((إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ)) (٣)

قال ابن جنى: ((وحدثنا أبو علي على أنّ القَصْرَ هنا بمعنى القصور، قال: وهي بيوت من آدم كانوا يضربونها إذا نزلوا على الماء.)) (٤)

إنّ المعنى الذي ذهب إليه أبو علي بمعنى البيوت قد خالف به أهل اللغة والتفسير الذين قد سبقوه، لأنهم ذهبوا في أحد معاني الكلمة إلى أنّها بمعنى العنق أو أصول النخل فقال الخليل: ((والقَصْرَةَ، أصلُ العنقِ، وكذلك عُنُقُ النَّخْلَةِ أَيْضًا وَبُجْمَعُ الْقَصْرَ وَالْقَصْرَاتِ. وَقَالَ أَبُو عبيدة: كَانَ الْحَسَنُ يَقْرَأُ ((إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جَمَالَاتٌ صَفْرٌ)) وَيُفْسِرُ أَنَّ الشَّرْرَ يَرْتَفِعُ فَوْقَهُمْ كَأَعْنَاقِ النَّخْلِ ثُمَّ يَنْحَطُّ عَلَيْهِمْ كَالْأَيْنِقِ السُّودِ.)) (٥)

الظاهر أنّ الخلاف بالمعنى جاء نتيجة لخلاف القراءة، فمن قرأ (كالقصر) بسكون الصاد عدها بمعنى قصر قُصُور أي بيت وجمعها بيوت تصنع من آدم، هذا ما ذهب إليه أبو علي ، ومن قرأ بفتح الصاد (كالقصر) (٦) جعلها بمعنى أعناق النخل فيجمعها: قصر وقصرات، هذا ما ذهب إليه الخليل وأبو عبيدة

١ - المنصف/١/١٥٠.

٢ - معجم مقاييس اللغة/مادة/قبو.

٣ - المرسلات/٣٢.

٤ - المحتسب/٣٤٧/٢.

٥ - العين/٥/٥٩ وينظر مجاز القرآن/٢/٢٨١ لم نعثر على تفسير (قصر) وانما فقط قوله تعالى ((جمالات صفر)) بمعنى سود.

٦ - ينظر المحتسب/٣٤٦/٢ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير.

وذكر هذا الفراء ولم يحققه ويرضى به بقوله: (يقال: كَالْقَصْرِ، كأصول النخل، ولست اشتهي ذلك، لأنها مع آيات مخففة، ومع أن الجمل إنما شبه بالقصر، ألا ترى قوله جل وعز: ((كأنه جمالات صفر)) والصفر، سود الأبل، لا ترى أسود من الأبل إلا وهو مشرب بصفرة، فلذلك سمت العرب سود الأبل: صفراً، كما سموا الظباء: أدمًا لما يعلوها من الظلّة في بياضها)) (١)

أما الزجاج فقد ذهب إلى أنها قصر وجمعها قصور أي بسكون الصاد على الرغم من أنه ذكر المعاني الأخر بقوله: ((جاء في التفسير أنه القصر من هذه القصور، وقيل القصر جمع قصرة، وهو الغليظ من الشجر، وقرئت كالقصر، بفتح الصاد جمع قصرة أي كأنها اعناق الإبل)) (٢)

يبدو أن أبا علي أخذ معناه من معنى الزجاج في ضوء سكون الصاد، فهو القصر وجمعها قصور أي بيت وبيوت، يؤيده الرسم القرآني بالسكون، فالمعنى كأن شررها عال وكبير كالقصور الكبيرة وهي تحجزهم وتقصرهم عن الخروج منها.

قال ابن فارس: ((القصر: الحبس، ويقال: قصرته إذا حبسته، وهو مقصور أي محبوس. قال الله تعالى: ((حور مقصورات في الخيام)). وأمرأة ما قاصرة الطرف: لا تمتد إلى غير بعلاها، كأنها تحبس طرفها حبسًا. قال الله سبحانه: ((فيهن قاصرات الطرف))... والمقاصر جمع مقصورة، ولكل ناحية من الدار الكبيرة إذا أحيط عليها فهي مقصورة...)) (٣)

أما فتح الصاد (قصر) فيعدها ابن فارس من الشذوذ عن بابه بقوله: ((ومما شذعن هذا الباب القصر: جمع قصرة وهي أصل العنق، وأصل الشجرة، ومستغلظها.)) (٤)

قَضِضٌ

قال ابن جني: ((أخبرني أبو علي أن أبا زيد حكى عنهم: ((طعام قَضِضٌ إذا كان فيه الحصى.)) (٥)
فعند أبي زيد وأبي علي فك الإدغام (قَضِضٌ) أما عند الخليل فيدغم نحو (قَضِضٌ) هذا ما أشار إليه بقوله: ((ولحم قَضِضٌ وطعام قَضِضٌ: أي وقع في التراب أو أصابه التراب فوجد ذلك في طعمه.)) (٦)

١ - معاني القرآن للفراء ٢٢٥/٣.

٢ - معاني القرآن واعرابه ٢٠٩/٥.

٣ - معجم مقاييس اللغة/مادة/قصر.

٤ - المصدر نفسه والمادة.

٥ - المنصف ٣٠٢/٢.

٦ - العين ٩/٥.

الظاهر أنّ الخليل يعدّه الطعام الذي وقع في التراب أمّا ما أخبره أبو علي عن أبي زيد فيعدانه الذي فيه الحصى، وقع فيه التراب أو خلط معه الحصى فهناك فارق في العملية أوقع فيه أم وقع عليه، ويفهم من هذا أنّ قضض يشعر فيه صوت الأسنان عندما يسحق الحصى المخلوط مع الطعام، فكأنّ الطعام خلط معه الحصى. أو وهو وقع في التراب واختلط معه الحصى الصغير المخلوط بالتراب. فالعملية واحدة.

وجذر الكلمة (قضّ) له ثلاثة معانٍ، أحدها الخشونة والآخِر الثقب والثالث بمعنى هوي الشيء أي وقع. قال ابن فارس: ((قض: القاف والضاد أصول ثلاثة: أحدهما هُوِيَ الشيء، والآخِر خُشُونَةٌ في الشيء، والآخِر ثَقَبٌ في الشيء. فالأوّل قولهم: انقضّ الحائط: وقع ومنه انقضاض الطائر: هويّه في طيرانه. والثاني قولهم: درع قضّاء خشنة المسّ لم تنسحق بعد. وأصله القَصَّة، هي أرضٌ مُنخَفِضَةٌ ترايبها رملٌ، وإلى جانبها متن. والقَضَض: كسرُ الحجارة ... والقضّ: ترابٌ يعلو الفراش. يقال أقضّ عليه مضجعه. قال أبو ذؤيب: (من الكامل)

أَمَ مَا لِحْسِمِكَ لَايَلَائِمُ مَضْجَعًا
إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
ويقال لحم قضّ، إذا ترب عند الشيء. ومن الباب عندي قولهم: جاءوا بقضّهم وقضيضهم، أي بالجماعة الكثيرة الخشنة. قال أوس: (من الطويل)

وجاءت جحاشٌ قضّها بقضيضها
كأكثر ما كانوا عديداً وأكعوا
والأصل الثالث قولهم: قضّضت اللؤلؤة أقضّها قضّاً، إذا ثقبّتها. ومنه اقتضاض البكر، ((١))

القَهْقَرُ

قال ابن جنّي: ((وحدثني أبو علي، قال: حكى الأصمعي: القَهْقَرُ واليَهْبَرُ للكثرة من الصمغ)) ((٢))
إنّ معنى هذه المفردة عند الخليل مخالف لما عند الأصمعي وما حكاه عنه أبو علي فالخليل عنده (القَهْقَرُ: الحجر. قال: (من الرجز)

جِنًا عَلَى كُلِّ كُمَيْتٍ هَيْكَلٍ
أَخْضَرَ كَالْقَهْقَرِ أَوْ كَالْأَحْيَلِ)) ((٣))
يبدو أنّ جذر الكلمة يدلُّ على الغلبة، قال ابن فارس: (قَهْرَ إِذَا غَلَبَ، ومن الباب قَهْرَ اللَّحْمِ: طُبِخَ حَتَّى يَسِيلَ مَاؤُهُ. والقَهْقَرُ، فيما يقال: التَّيْسُ. فَإِنْ كَانَ صَاحِبًا فَلَعَلَّهُ مِنَ الْقِيَاسِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. والقَهْقَرُ: الحجر الصُّلب. وليس يبعُدُ عن الأصل الذي يبنى عليه الباب)) ((٤))

١ - معجم مقاييس اللغة/مادة قضّ.

٢ - المنصف/٣/٢٣.

٣ - العين/٣/٣٦٦.

٤ - معجم مقاييس اللغة/مادة قهر.

كلُّ هذه المعاني تدلُّ على القوةِ والمنعةِ فالكتلةُ والحجرُ دلالةٌ على القوةِ ، وتدلُّ على الغلبةِ أيضاً لما في القوةِ من الدفعِ والمنعةِ ، وحتى طبخ اللحم يدلُّ على قوة النار في الغلبةِ عليه حتى ينضج.

القَوْدُ:

قال ابن جنبي: ((القود: هو أن يُقتلَ القاتل. قال النبي (صلى الله عليه وسلم): لا قود إلا بحديدة. قال الشاعر - قرأته على أبي علي، عن أبي بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى: (من البسيط) يامسك ردى فواد الهائم الكمد من قبل أن تطبى بالعقل والقود)). (1)

يدل المعنى على القتل بالمثل في ضوع قوله تعالى: ((ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب)) (2)

وقد ذكر هذا المعنى الخليل بقوله: ((القود: القتل بالقتيل، تقول: أقدته به. واستقدت الحاكم وأقدته: انتقمت منه بمثل ما أتى)). (3) ((وسمي قوداً لأنه يُقاد إليه)). (4) ((وقال النبي (ص)): ((من قتل عمداً فهو قوداً)) القود: القصاصُ وقتلُ القاتلِ بدلَ القَتيلِ. وقد أقدته به أقيده إقادةً. واستقدتُ الحاكم: سألته أن يُقيدني. وأقدتُ منه اقتاداً)). (5)

الكروان

قال ابن جنبي: ((وسألني أبو علي (رحمه الله) يوماً فقال: ملام قوله: (من الرجز)

.. والظل لم يفضل ولم يكر...

فأخذنا جميعاً ننظر فيه، فقال: هو من قولهم (ساق كرواء) لاجتماعها وانضمام أجزائها، ثم افرقنا فلما لقيته بعد قلت: قد وجدت في ذلك المعنى شيئاً جيداً قطعاً. قال: ما هو؟ قلت: قولهم الكروان لدقة ساقيه فاستحسنه وقال هذا نهاية)). (6)

وقال أيضاً: ((الكروان: طائرٌ معروفٌ، وجمعه: كروانٌ وكراوين. أنشدنا أبو علي لذي الرمة: (من الطويل)

من آل أبي موسى ترى الناسَ حوله
كأنهم الكروانُ أبصرنَ بازياً)). (7)

١ - المنصف/٥٥/٣.

٢ - البقرة/١٧٩.

٣ - العين/١٩٧/٥.

٤ - معجم مقاييس اللغة/مادة/قود.

٥ - النهاية في غريب الحديث والاثر/١١٩/٤.

٦ - التمام في تفسير اشعار هذيل/٢٥٧.

٧ - المنصف/٧٢/٣.

إنَّ الذي ذهب إليه أبو علي وابن جني من أنَّ الكَرَوَانَ طائر، فهو صحيح، لأنَّ ذَكَرَهُ يُسَمَّى الكِراءَ، والأثنى كَرَوَانَةٌ. قال الخليل: ((الكِراءُ: الذَّكَرُ من الكَرَوَانَ، ويقال الكَرَوَانَةُ الواحدة. والجميع الكِرَوَانُ)) (١) وأما دَقَّةُ ساقيه فقد سُحِبَت على تسميته؛ لأنَّهم يقولون للمرأة الدَّقِيقَةُ السَّاقِينِ كرواء. قال ابن فارس: ((ويقال سَمِّيَ بذلك لدَقَّةِ ساقيه، ويقولون: امرأةٌ كَرَوَاءٌ: دَقِيقَةُ السَّاقِينِ وهذا إن صح فهو شاذ عن القياس الذي ذكرناه)) (٢) لأنه ذكر أنَّ جذر الكلمة ((الكاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على لين في الشيء وسهولة، وربما دل على تأخير)). (٣) لكن أقول: إنَّ دَقَّةَ السَّاقِينِ دلالة على اللين والسهولة والجمالية حتى في مشيها. فلا يعدُّ من باب الشذوذ؛ لأنَّ المعنى مفارب للمعنى.

اللزَّاق

قال ابن جني: ((أنشدنا أبو علي: (من الرجز)

لَمَّا رَأَتْ أَنَّكَ بِنْسِ السَّاقِي
دَلُّوْ فَرْتَهَا لِكَ مِنْ عَاقِ
وَجَرَّبَتْ ضَعْفَكَ فِي اللزَّاقِ.

قال: اللزَّاقُ: النكاح.)) (٤)

وقيل: ((ولست بالمحمود في اللزَّاق، قال ابن المنظور: أي في مجامعته إياها، قال: والعرب تكنى باللزَّاق عن الجماع.)) (٥)

الظاهر أنَّ الخليل لم يذكر هذا المعنى وكذلك ابن فارس ماعدا الأزهري في التهذيب الذي نقل عنه صاحب اللسان ولهذا يعد أبو علي قد ذكر هذا نقلاً عن ابن الأعرابي الذي ذكر الشعر الذي جاءت به كلمة (اللزَّاق). (٦)

١ - العين/٥/٤٠٠.

٢ - معجم مقاييس اللغة مادة/كرى.

٣ - المصدر نفسه والمادة نفسها

٤ - تفسير راجوزة ابي نواس/١٥٢-١٥٣.

٥ - لسان العرب/مادة/لرزق.

٦ - ينظر العين/٥/٨٩ ومعجم مقاييس اللغة/مادة/لرزق، ولسان العرب/مادة/لرزق.

المئلاة

قال ابن جني: ((المئلاة، للخرقة في يد النائحة تُشير بها. قال لي أبو علي: هي من ألوت، فقلت له: فهذا إذا من (مألوت)، لأنها لا تألو أن تشير بها؛ فتبسم رحمه الله إلي؛ إيماء إلى ما نحن عليه، واثباتاً له، واعترافاً به.)) (١)

يبدو أن اشتقاق المئلاة من الفعل (لوى) أي أشار به؛ لأن النائحة تشير بها وتحركها بيدها، قال الخليل: ((والإلواء: أن ترفع شيئاً فتشير به، تقول: ألوى الصريح بثوبه، وألوت المرأة بيدها قال الشاعر: (من المتقارب)

فألوت به طار منك الفؤادُ
ويروي: مُستعيراً، يصف معصم الجارية.)) (٢)

قال ابن فارس: ((ألوى بالشيء، إذا أشار به كاليد ونحوه، وألوى بالشيء ذهب به، وكأنه أماله إلى نفسه.)) (٣)

والذي ذهب إليه ابن جني من معنى السلب في المادة اللغوية (مألوت) أي (لألوت) قريب من اشتقاق الكلمة؛ لأن النائحة لا تألو أن تشير بها ولا تقصر من أن تحركها؛ (يقال: ألوت في الشيء ألوا، إذا قصرت فيه.)) (٤) فهي في استمرار من تحريك تلك الخرقة، كونها تشعر أو لا تشعر بتحريكها.

مأود

قال ابن جني: ((أشدنا أبو علي لحسان: (من المتقارب)

وقامت ترائيك مغدودنا
إذا ما توء به آداها

تقول: الرجل مأود أي مثقل من قوله سبحانه (ولا يؤدّه حفظهما)) (٥)) (٦)

يبدو أن الجذر الثلاثي للكلمة يدل على المشقة والتعب نتيجة للنقل، فالشاعر يصف شعر المرأة المسترسل الطويل، فعندما تقوم لينقلها بطوله.

قال الخليل: وتقول: أدني هذا الأمر يؤودني أوداً وأووداً إذا بلغ منك المشقة... وتقول: ما أدك فهو لي آند، أي ما أثقلك فهو لي مُثقل.)) (٧) وتأييد ذلك معنى قوله تعالى (لا يؤدّه) أي لا يثقله. (٨) وفي ضوء هذا يتضح أن (مأود) اسم مفعول من الفعل آد أو أود، بمعنى ثقل.

١- الخصائص/٣/٧٩.

٢- العين/٨/٣٦٤.

٣- معجم مقاييس اللغة/مادة/لوى.

٤- المصدر نفسه/مادة/ألوى.

٥- البقرة/٢٥٥.

٦- العين/٨/٩٦.

٧- معاني القرآن واعرابة للزجاج/١/٢٨٨.

٨- المقتضب من كلام العرب ضمن ثلاث رسائل/١٥.

مدينة

قال ابن جنى: ((أما من أخذها من (دان يدين) فمعناه أنها أطاعت صاحبها وتذلت له، والدين: الطاعة؛ وهكذا أخذت عن أبي علي وقت القراءة)) (١)

إن ما ذهب إليه أبو علي وابن جنى هو معنى الطاعة في الجذر اللغوي مأخوذاً من الإتيان، سميت المدينة بهذه التسمية لأنها أطاعت الذي أنشأها وحدد حدودها أول مرة، فهي من الخضوع والتذلل للذي فطرها ابتداءً. قال الخليل: ((والدين: الطاعة، ودانوا لفلان أي أطاعوه... والمدينة: الأمة، والمدين: العبد)) (٢) وهذا جاء من معنى الطاعة والخضوع لأن الأمة والعبد يطيعان سيدهما. قال ابن فارس: ((والمدينة كأنها مفعلة، سميت بذلك لأنها تقام فيها طاعة ذوي الأمر. والمدينة: الأمة والعبد مدين، كأنهما أدلهما العمل)). (٣)

منى

قال ابن جنى: ((أما منى) فكان أبو علي - رحمه الله - يقول: إن لامة ياءً وكان يشتقها من منيت الشيء) إذا قدرته من قوله: (أبو قلابة الهذلي): (من البسيط) ((حتى تلاقى ما يمنى لك الماني)) (٤)

أي: يُقدر لك المُقدرُ وكان يجمعهما بأن يقول: إنها إنما سميت (منى)، لأن الناس يقيمون بها فيقدرون أمورهم وأحوالهم فيها. وهذا صحيح مستقيم.)) (٥) إن الأصل في المعنى الثلاثي للكلمة يدلُّ على تقدير الشيء أي المُقدر من الأمور؛ ولهذا سُميت منى؛ لأنَّ الناس قدروا أن يذبحوا فيها من الهدى، فهو من قولك مناه الله: أي قدره وأصبح في تقديره من الأمور الواجبة على العبد. (٦)

قال ثعلب: ((هو من قولهم منى الله عليه الموت أي قدره لأنَّ الهدى ينحر هناك.)) (٧)

١ - المنصف/١/٣١٢.

٢ - العين /٨/٧٣.

٣ - معجم مقاييس اللغة/مادة/لين.

٤ - عجز بيت للجندلي شطره الاول ((لاتأمنن وإن أمسيت في حرم)). (معجم مقياس اللغة/مادة/منى).

٥ - التمام في تفسير اشعار هذيل/٢٠٤

٦ - ينظر معجم مقاييس اللغة/مادة/منى.

٧ - لسان العرب/مادة/منى.

مَنْجُونٌ

قال أبو الفتح: ((مَنْجُونٌ: هو الدولاب... أنشد أبو علي، عن أبي زيد: (من الرجز)

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ بَاتُونِي
غَرَبَانَ فِي جَدُولٍ مَنجُونٍ)) (١)

المقصود بالمنجون هو (الناعور) الذي تسقى فيه الزرع أو هو خشبة الناعور الدائرية التي تدور فتحمل الماء وتسقى الزرع. قال الجوهري: ((المَنْجُونُ: الدُولَابُ التي يَسْتَقَى عليها ، ويُقال المَنْجِينِ أيضاً، وهي أنثى. وأنشد الأصمعي لعمارة بن طارق: (من الرجز)

* وَمَنْجُونٌ كَالأَتَانِ الْفَارِقِ * ((٢))

يعده سيبويه خماسياً؛ لأنه ليس في الكلام فنعول، والنون لاتزاد ثانيه إلا بثبت، فعنده النون زائدة وهو على وزن عَرَطْلِيلِ. (٣) هذا ظاهر قوله. ((وأما مَنْجِينٌ فالميم منه نفس الحرف؛ لأنك إن جعلت النون فيه من نفس الحرف فالزيادة لالتحق ببنات الأربعة أولاً إلا الأسماء من أفعالها نحو مدرج. وإن كانت النون زائدة فلا تزداد الميم معها؛ لأنه لا يلتقي في الأسماء ولا في الصفات التي ليست على الأفعال المزيده في أولها حرفان زائدان متواليان. ولولم يكن في هذا إلا أن الهمزة التي هي نظيرتها لم تقع بعدها الزيادة لكانت حُجَّةً. فإنما منجنيق بمنزلة عَنَتْرِيْسِ، وَمَنْجُونٌ بمنزلة عَرَطْلِيلِ ، فهذا ثبت ويقوى ذلك مجانيقٌ ومناجين.)) (٤) وذكره الجوهري في الثلاثي (جنن) (٥)

أما ابن الأعرابي والأزهري وابن بري فعندهم أنه رباعي، قال ابن بري: ((وَحَقُّهُ أَنْ يَذَكَرَ فِي مَنجَنٍ ؛ لأنه رباعي، ميمه أصلية ونونه التي تلي الميم، قال: ووزنه فَعَلْلُولٌ مثل عَضْرَفُوْطٌ،)) (٦)

ومهما يكن من الأمر في تصريف الكلمة فإنه لا يغير في معناها المعجمي ودلالاتها اللغوية التي تعني الدولاب أو خشبة الناعور. وقيل: إنه الدهرُ أي دولاب الدهر الدوار الذي يدور بالناس ويقلبهم من حال إلى حال. قال تعالى: ((وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدُأُولُهَا بَيْنَ النَّاسِ)) (٧)

١ - المنصف/٣/٢٤ وينظر النوادر في اللغة/٦٠.

٢ - الصحاح/مادة/جنن.

٣ - لسان العرب/مادة/منجون.

٤ - الكتاب/٤/٣٠٩.

٥ - الصحاح/مادة/جنن.

٦ - لسان العرب/مادة/منجون.

٧ - ال عمران/١٤٠.

نَاءٌ = نَهْضٌ

قال ابن جني: ((يقال: ناء الرجل بحمله ينوء به، إذا نهض به. وقرأت على أبي علي، عن أبي الحسن، عن أبي العباس. عن أبي الفضل، عن أبي زيد، يقال: نُوتَ بالحمل أنواع به نوعاً إذا نهضت به. وناء بي الحمل: إذا ثقل عليّ وعجزت عنه. وناء النجم فهو ينوء نوعاً: إذا سقط. وقال الأعشى: (من المتقارب)

إِذَا هِيَ نَاءَتْ تُرِيدُ الْقِيَامَ تَهَادَى كَمَا قَدْ رَأَيْتُ الْبَهِيرَا ((١).

الظاهر أنّ المعنى يدل على النهوض بثقل لكنه يذهب إلى موضوع السقوط بالنسبة للنجوم وطلوعها فهذا يسمى النوع ، والأنواع. قال الخليل: ((النوء، مهموز من أنواع النجوم ، وذلك إذا سقط نجم بالغداة فغاب مع طلوع الفجر، وطلع في حياله نجم في تلك الساعة على رأس أربعة عشر منزلاً من منازل القمر سمي بذلك السقوط والطلوع نوعاً من أنواع المطر والحرّ والبرد، وذلك من قولك: ناء ينوء.. والشيء إذا مال إلى السقوط نقول: ناء ينوء نوعاً بوزن ناع، وإذا نهض في تتأقل يقال: ناء ينوء به نوعاً إذا اطاقه ، قال في وصف الرأل: (من الطويل)

يَنْوُونَ وَلَمْ يُكْسَيْنِ إِلَّا مَنَارِعَا مِنْ الرِّيشِ تَنَوَاءِ الْفِصَالِ الْهَزَائِلِ

وينوء الحمل الثقيل بالبعير، أي: يميل أي: يثقله. والمرأة تنوء بها عجيزتها تنوء. وقوله تعالى: ((ما إن مَفَاتِحَهُ لَتَنُوَّءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)) (٢) أي: بأربعين رجلاً تكادُ تعجزُ بحمله)). (٣)

يبدو أنّ النوع ، ناء ينوء تنوء، يأتي بمعنى ينهض بالثقل مع التعب . قال الزجاج: ((ومعنى لَتَنُوَّءَ بِالْعُصْبَةِ: لَتَثْقُلَ الْعُصْبَةُ)). (٤)

نَسٌّ

قال أبو علي: ((نَسٌّ: بالسّين غير معجمة، أي: جَفٌّ)). (٥)

إنّ الخليل لم يشير إلى هذا المعنى نفسه وإنما أشار إلى أنّه يدل على سرعة الذهاب لورود الماء. (٦) وهذا دلالة على العطش واليبوسة والجفاف ، قال ابن فارس: ((نَسَّتِ الْقَطَاةُ: عَطِشَتْ وَيُقَالُ لِمَكَّةَ النَّاسَةُ ، لِقَلَّةِ الْمَاءِ بِهَا . وَنَسَّتِ الْخُبْرَةَ نَسًّا: يَبِسَتْ. وَنَسَّتِ الْجُمَّةُ: تَشَعَّتْ. وَذَلِكَ لِقَلَّةِ الدَّهْنِ فِيهَا)). (٧)

١- المنصف/٣/٦٥.

٢- القصص/٧٦.

٣- العين/٣٩١/٨-٣٩٢.

٤- معاني القرآن واعرابه/٤/١١٦.

٥- تفسير أرجوزة أبي نواس/٩٤.

٦- ينظر العين/٧/١٩٩.

٧- معجم مقاييس اللغة/مادة نس.

النِّيَّ

قال ابن جنى: ((والنِّيَّ الشحم .يقال:نوت الناقة تنوى نوايةً ونوايةً وهي لينه النوي والنوا وناقاة ناويه.أشدنا أبو علي(من السريع):

يَنْبِي تَجَالِيْدِي وَأَقْتَادَهَا
ناوكرأسِ الفَدْنِ الْمُؤَيْدِ)).(١)
هذا المعنى ذكره الخليل نقلاً عن أبي الدُقَيْش بقوله: ((نَوَتِ الناقاةُ تَنَوَى نِيًّا، إِذَا كَثُرَتْ نِيَّهَا، قَالَ أَبُو الدُقَيْشِ: النَّيُّ: الْفِعْلُ، وَالنِّيُّ: الْأَسْمُ، وَهُوَ الشَّحْمُ السَّمِينُ.. وَالنِّيُّ اللَّحْمُ)).(٢) فضلاً عن هذا أنه اللحم الذي لم ينضج)).(٣)

الْهَلُوكُ

قال ابن جنى: ((المرأة الفاجر، وأنشدنا أبو عليّ للهذلي (من البسيط)
السَّالِكُ الثَّغْرَةَ الْيَقْظَانُ كَالنَّهْأ
مَشَى الْهَلُوكِ عَلَيْهَا الْحَيْعَلُ الْقِصْلُ
وأنشدنا أيضاً لكثير: (من الطويل) ...
وقد لَبَسَتْ لُبْسَ الْهَلُوكِ ثِيَابَهَا
تراعى لك الدنْيَا بعينٍ ومبْسَمٍ)).(٤)
إنَّ ما ذهب إليه أبو علي وابن جنى قد ذكره الخليل نصاً بقوله: ((والهَلُوكُ: الْمَرْأَةُ الْفَاجِرُ)).(٥) وقال ابن فارس المعنى نفسه ((وامرأة هلوك إذا تهالكت في غنجها متكسرة، ولا يُقال رجلٌ هَلُوكٌ)).(٦)

هُومٌ: نَامٌ

قال ابن جنى: ((وقد قالوا: هُومٌ إذا نام، أنشدنا أبو علي رحمه الله لذي الرُّمَّة (طويل):
وَأَلَّا يَنَالُ الرِّكْبُ تَهْوِيْمَ وَقَعَةٍ
مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا اعْتَادَنِي مِنْكَ زَائِرٌ)).(٧)
يبدو أنَّ المعنى عند الخليل هو حركةٌ تأثير النَّعَاسِ عَلَى الْإِنْسَانِ فَقَالَ: ((هُومٌ الْقَوْمُ وَتَهوَمُوا، إِذَا هَزُّوا

١ - الفسر/١/٧٨.

٢ - العين/٨/٢٩٤.

٣ - ينظر معجم مقاييس اللغة/مادة/نياً.

٤ - الفسر/٢/٨٦.

٥ - العين/٣/٣٧٨.

٦ - معجم مقاييس اللغة/٦/٦٢ مادة/هلك.

٧ - التمام في تفسير اشعار هذيل/١٥٨.

رُؤْسَهُمِ مِنَ النَّعَاسِ. قَالَ: (من البسيط)

عَارِي الْأَشَاجِعِ مَسْعُورٌ أَخُو قَنْصٍ
مَا تَطَعُمُ الْعَيْنُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْوِيمٍ)). (١)
فالنَّعَاسُ هُوَ بَدَايَةُ النَّوْمِ وَهُوَ الْفِرَاشُ الْحَرِيرُ لِلنَّائِمِ، فَعِنْدَمَا يَنْعَسُ الْإِنْسَانُ يَبْدَأُ بِتَحْرِيكِ رَأْسِهِ إِلَى
الْأَسْفَلِ فَيَحْتَاجُ إِلَى الْفِرَاشِ وَالْخُلُودِ وَالرَّاحَةِ بَعْدَ عَنَاءِ وَتَعَبِ الْحَيَاةِ، فَهِيَ الْحَرَكَةُ الْأُولَى فِي التَّعْبِيرِ عَنِ
النَّوْمِ .

الوادي ، الواديّ

قال ابن جني ((الوادي:مَجْرَى السَّيْلِ وَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ وادٍ ؛ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ مِنْ (وَدَى يَدِي) أَي سَالَ قَالَ
أَبُو عَلِيٍّ: وَمِنْهُ الْوَادِيّ: لَمَّا يَخْرُجُ مِنْ جَذَعِ النَّخْلَةِ الْأَكْبَرِ كَأَنَّهُ شَيْءٌ سَالَ مِنْهُ)). (٢)
إِنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ خَالَفَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْخَلِيلُ مِنْ أَنَّ الْوَادِيَّ هُوَ فَسِيلُ النَّخْلِ . صَحِيحٌ أَنَّ الْفَسِيلَ
يَخْرُجُ مِنْ جَذَعِ النَّخْلَةِ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِسَائِلٍ يَسِيلُ مِنْهَا .
قال الخليل ((الواديّ: فَسِيلُ النَّخْلِ الَّذِي يُقْلَعُ لِلغَرَسِ، وَالوَاحِدَةُ وَدِيَّةٌ)). (٣) فِي حِينِ ذِكْرِ الْوَادِيّ: ((الماء
الَّذِي يَخْرُجُ أبيضَ رقيقًا عَلَى أَثَرِ الْبَوْلِ مِنَ الْإِنْسَانِ)). (٤) وَمَهْمَا يَكُنُ مِنَ الْأَمْرِ فَالْوَادِيَّ هُوَ السَّائِلُ الَّذِي
يَخْرُجُ مِنَ النَّخْلَةِ أَوْ مِنَ الْإِنْسَانِ .

الواحد الأحد

قال تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) الْإِخْلَاصُ – ١
قال ابن جني: ((قال أبو علي: ((إِنَّ (أَحَدًا) هَذِهِ مَعْنَاهَا الْعُمُومُ وَالْإِحَاطَةُ وَمَعْنَى (أَحَدٌ) مِنْ (أَحَدَ عَشَرَ) إِنَّمَا
هُوَ الْإِفْرَادُ وَالْإِتْقَابُضُ، فَمَعْنَاهُمَا كَمَا تَرَى ضِدَانًا)). (٥)
إِنَّ أَصْلَ أَحَدٍ أَحَدٌ مِنْ (الوحد) وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فَهُوَ وَاجِبُ الْوُجُودِ الَّذِي يَحِيطُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عِلْمًا .
قال سيبويه : ((وَقَالُوا أَحَدٌ وَأَصْلُهُ وَحَدٌّ ؛ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ ، فَأَبْدَلُوا الْهَمْزَةَ لضعف الواو عَوْضًا لَمَّا يَدْخُلُهَا
مِنَ الحذفِ وَالبَدَلِ)). (٦)

١ - العين/٩٩/٤ وينظر معجم مقاييس اللغة/مادة/هوم.

٢ - التمام في تفسير اشعار هذيل/١٣٩.

٣ - العين/٩٩/٨.

٤ - المصدر نفسه والجزء والصفحة.

٥ - التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/٨٣.

٦ - الكتاب/٣٣١/٤.

إنَّ الله الواحد الأحد، أي: الفرد الذي لاثاني له، فلا شريك ولا مثيل له، وهو ليس كالعدد الواحد والثاني والرابع لأنَّه ليس بعدد؛ لأنَّ العدد إنَّما هو ما أضيف أو ما رُكب من أعداد بعضها إلى بعض، في حين الواحد لم يتركب من ضم الشيء إلى غيره؛ لأنَّه مادة العدد؛ ألا ترى أنَّ معنى الوحدة موجودٌ في كلِّ عددٍ قلَّ أو كثر، فهو في هذا المعنى يكون دالاً على العموم في الأعداد والإحاطة والشمول في كلها، في حين أنَّ العدد يدل على الإفراد؛ في احتياجه إلى الإضافة لغيره في أحد عشر وأخواتها مثلاً، وفي ضوء ذلك يُعد جزءاً ليس بالكلِّ، لأنَّ الكلَّ العمومُ والجزء الإفراد وبذلك يعدان ضدين. (١)

قال الطوسي: ((أصل (أحد) وحد، فقلبت الواو همزة... وحقيقة الواحد شيء لا ينقسم في نفسه أو معنى صفته، فإذا اطلق أحد من غير تقدم موصوف فهو أحد نفسه، فإذا جرى على موصوف، فهو أحد في معنى صفته، فإذا قيل الجزء لا يتجزأ واحد، فهو واحد في معنى صفته وإذا وصف تعالى بأنه احد، فمعناه أنَّه المختص بصفات لا يشاركه فيها غيره: من كونه قديماً وقادراً لنفسه وعالماً وحيماً وموجوداً كذلك، وأنَّه تحقق له العبادة لا تجوز لأحد سواه. ولا يجوز أن يكون (أحد) هذه هي التي تقع في النفي، لأنَّها أعم العام على الجملة أحد، والتفصيل فلا يصلح ذاك في الإيجاب. كقولك: ما في الدار أحد، أي ما فيها واحد فقط ولا أكثر ويستحيل هذا في الإيجاب. وفي قوله (الله أحد) دليل فساد مذهب المجسمة، لأنَّ الجسم ليس بـ(أحد) إذ هو أجزاء كثيرة، وقد دلَّ الله بهذا القول على أنَّه أحد، فصحَّ أنه ليس بجسم)). (٢)

يفهم من هذا أنَّ (أحد) و(الواحد) هما شيء واحد يشمل العموم؛ لأنَّه ليس بجسم، لأنَّ الجسم يتكون من أجزاء وكل جزء يحتاج إلى غيره حتى يكون الكل، فالواحد في العدد والأحد أيضاً يحتاج إلى غيره حتى يكون العدد في التركيب والإضافة نحو (أحد عشر) أما (أحد) فهو الله الذي لا يحتاج لغيره؛ لأنَّه الأول والأخر وهو الشمول والإحاطة والعموم فهو كل شيء في الوجود فالكل هو ضد للجزء، وهذه حقيقة الضد بين (الله أحد) في المعنى وبين (أحد) في العدد.

١- ينظر اشتقاق أسماء الله/ ٩٠.

٢- التبيان في تفسير القرآن/ ١٠/ ٤٣٠.

ذَكَرْتُ حَبِيْبًا فَاقْدًا تَحْتَ مَرْمَسٍ

ذَكَرْتُ بِهَا سَلَمَى فَبِتْ كَأَنَّمَا

أي مَفْقُودًا، وَقَالُوا لِلْجَبَلِ الَّذِي لَانَبِتَ فِيهِ حَالِقٌ وَإِنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ مِنَ النَّبَاتِ كَالرَّأْسِ الْمَحْلُوقِ مِنَ الشَّعْرِ وَقَالُوا لِلْحَمْتِي الْفَخْذَيْنِ بَادٌ وَإِنَّمَا حُكْمُهُ مَبْدُودٌ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُمَا بَدَّهُمَا عَلَى السَّرَجِ أَي فَرَقَهُمَا وَقَدْ قَالُوا مَفْعُولٌ فِي مَعْنَى فَاعِلٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ((إِنَّهُ كَانَ وَعَدُهُ مَأْتِيًا)) (مريم) ٦١ اي آتِيًا (١)

جَذَبَ يَجْذِبُ بِمَعْنَى جَاذِبٍ يَجَاذِبُ: فَاعِلٌ

يَخْتَارُ أَبُو عَلِيٍّ بِنَاءَ فَاعِلٍ وَيَفْضَلُهُ عَلَى بِنَاءِ الْفَعْلِ؛ وَالسَّبَبُ يَعُودُ إِلَى أَنَّ مَجَاذِبَةَ الْحَبْلِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْمَشَارَكَةِ وَمِنْ مَعَانِي (فَاعِلٍ) الْمَشَارَكَةِ .

قال ابن جني : ((قول أبي النجم : (من الرجز)

والكورُ والمهريَّةُ الموردًا
يَجْذِبْنَ بِالْأَزْمَةِ الْجِرَائِرَا

ويروى : (يجاذبن الجرر) وهو اختيار أبي علي . والجرر جمع جرير ، وهو حبل مضفور من

أدم)) . (٢)

الظاهر أَنَّ اخْتِيَارَ أَبِي عَلِيٍّ لِبِنَاءِ فَاعِلٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَشَارَكَةِ ، فَالْمَجَاذِبَةُ فِي الْجُرْرِ أَوْ الْجِرَائِرِ تَدُلُّ عَلَى مَشَارَكَةِ بَيْنِ طَرَفَيْنِ ، فَالِاخْتِيَارُ تَمَّ فِي ضَوْءِ مَعْنَى الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ .

قال سيبويه : ((اعلم أنك إذا قلت : فاعلتُ ، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين

قلت فاعلتُ ، ومثل ذلك ضاربتُ ، وفارقتُ ، وكارمته وعازتني وعازرتته ، وخاصمتني وخاصمتُهُ .)) (٣)

كابر: اسم جمع جاء على بناء اسم الفاعل

((قال أبو علي: ((كابر: ليس باسم الفاعل كقائم وقاعد، لكنه اسم من أسماء الجمع بمنزلة الجامل

والباقِرِ والسَّامِرِ والطَّائِرِ والدَّابِرِ؛ أَلَّا تَرَاهُ قَالَ (مِنَ الرَّجْزِ)

عَلَى رُؤُوسِ كَرُؤُوسِ الطَّائِرِ

١ - المخصص/٤/٤٠٠/السفر الخامس عشر .

٢ - تفسير ارجوزة ابي نؤاس /١٣٢/

٣ - الكتاب /٤/٦٨/

فجعله جمعاً، فكأنه قال: وكُبراءُ سادوكَ بعدَ كُبراءِ ، (في قول النابغة : (من الطويل)

بَقِيَّةٌ قِدْرٍ مِنْ قِدُورٍ تَوَرَّتْ
لآلِ الْجُلَاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرٍ
فمن متعلقة بمحذوف هو في الأصل صلة لكبراء، مثلها في قوله: ((لآل الجلاح كابرًا بعد كابر)) أي
لآل الجلاح متتابعين في الفصل متشابهين في السؤدد. وأكثر هذا القول ومعاقده من جهة أبي علي رضي
الله عنه)). (١)

إن بناء كابر هو اسم جمع؛ لدلالته على الجمع بمعناه، وهو من لفظ الواحد، وليس بجمع تكسير ولا
اسم فاعل، فهو مثل الجامل والباقر اللذين لم يكسر عليهما جمل ولا بقرة؛ لأن فاعلاً لا يكسر عليه فهو
الجامل والباقر. فضلاً عن أنه يأتي على وزن (فعل) نحو (ركب) و(صحب) ، لا يكسر عليه (فاعل) نحو
(راكب) و(صاحب)، ومثل ذلك: طائر وطير، فهو بمنزلة قوم ونفر، ولكن من لفظ واحده .

قال سيبويه: ((هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسر عليه واحده ولكنه بمنزلة قوم ونفر
وذود، إلا أن لفظه من لفظ واحده، وذلك قولك: ركب وسفر. فالركب لم يكسر عليه ركب. ألا ترى أنك تقول
في التحقير: ركب وسفير، فلو كان كسر عليه الواحد رداً إليه، فليس فعل مما يكسر عليه الواحد للجمع.
ومثل ذلك: طائر وطير، وصاحب وصحب... ومثل ذلك: الجامل والباقر، لم يكسر عليهما جمل ولا
بقرة. والدليل عليه التذكير والتحقير، وأن فاعلاً لا يكسر عليه شيء)). (٢)

أما من حيث الدلالة فمعناه معنى الجمع ؛ لأن كلمة كابر توحى بأنها جمع بمعنى كبراء، وقد حصل
هذا في الاستخدام اللغوي للكلمة ضمن السياق، فكان النابغة الذبياني قال توارثوها كبراء بعد كبراء ؛
لأنهم متتابعو الشرف ومتشابهو الفضل. (٣)

تشبيه المصدر باسم الفاعل

قال ابن جني: ((إن المسيل لما اشبه المصدر نحو: المسير والمحيط جمعه جمع اسم فاعل فقال:
السوائل. فأما أبو علي - رحمه الله - فأشدنا (من الطويل):

فليتَّكَّ حَالُ الْبَحْرِ دُونَكَ كُلُّهُ
وكنْت لقي تجري عليه السوائل

وذهب إلى أنه جمع (سيل)، وكلاهما على تشبيه المصدر باسم الفاعل والمكان جار مجرى المصدر

لاشتراكهما في جريانها على الفعل)). (٤)

١- التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/٦٩٠-٦٩١.

٢- الكتاب/٣/٦٢٤-٦٣٥، وينظر المخصص/٤/٢٧٤-٢٥٧/السفر الرابع عشر.

٣- ينظر التنبيه على شرح مشكلات الحماسة/٦٩٠.

٤- التمام في تفسير أشعار هذيل/١١٣

يبدو أن أبا علي يريد من قوله أنه جمع (سيل) المقصود به مصدر يشبهه اسم الفاعل (سائل) ، لأنه جمع على سوائل ، وهذا التشبيه ذكره سيبويه بقوله: ((ويقع على الفاعل - يعني المصدر - وذلك قولك يومَ غَمٍّ ورجُلٌ نَوْمٌ، إمّا تريد النائم والغام. وتقول: ماءٌ صرّى، إمّا تريد صرّ خفيفاً إذا تغيّر اللبنُ في الصرّع. وهو صرّى ، فتقول هذا اللبنُ صرّى وصرّ. وقالوا معشراً كرم، فقالوا هذا كما يقولون: هو رضا، إمّا يريدون المرَضِيَّ، فجاء الفاعل كما جاء للمفعول. وربّما وقع على الجميع)). (١)

واستنتاجاً يمكن أن أقول: إنّ المصدر قد يأتي والمقصود به اسم فاعل ويجمع على جمع اسم الفاعل نحو (رضا)، يعني به المرضي ونحو: (سيل) الذي يقصد به سائل وتجمع على سوائل، كما ذكر أبو علي رحمه الله - ، ونظير هذا قوله تعالى: ((إِنَّ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا)) (٢) أي غائراً ، فشبه المصدر (غور) بالصفة (اسم الفاعل) غائر.

قال ابن جني: ((والمصدر قُوِّيُّ الشبهه باسم الفاعل الذي هو صفة... ويدلُّك على قوّة شبه المصدر بالصفة وقوع كل واحد منهما موقع صاحبه ، وذلك نحو قوله تعالى: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا)) أي غائراً)). (٣)

١- الكتاب/٤/٤٣-٤٤.

٢- الملك / ٣٠.

٣- المحتسب/١/٥٧.

الخاتمة

إنَّ البحث في أغلبه تأصيلٌ لاطروحات أبي علي الفارسي - رحمه الله - اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية في ضوء أقواله وآراء شيوخه - رحمهم الله - ، نحو : الخليل وسيبويه والمبرد والزجاج وأبي بكر بن السراج ، فضلاً عن هذا كانت هناك موازنة بين آرائه من جهة وآراء الأخفش والفراء وتعلب وغيرهم من علماء المدرسة الكوفية ؛ لأنَّه في هذا يمثل المدرسة البصرية على الرغم من أنَّه قد أخذ من المعينين وممن سبقهم ؛ لكنَّه يعدُّ مذهب أهل البصرة ولا سيما ما ذهب إليه الخليل وسيبويه وابن السراج هو المعين والأساس للدراسات اللغوية والنحوية والصرفية .

في ضوء هذا التأصيل لاحظت أنَّ أبا علي - رحمه الله - قد اعتمد في أكثر مسائله اللغوية آراء الخليل وسيبويه ، لأنَّه يعدها الأصل لدراسته ، فكان يكرر أغلب آرائهما ، فهما الفكر الثاقب الذي استوعب تلك المسائل ، فضلاً عن التحليل والتعليل لمسائلهما وادلاء الحجج والبراهين على صحة ما عرضا من آراء بإزاء مدرسة الكوفة التي ربَّما تخالفهما أو تتفق معهما . فكان "أبو علي يضيفي المنطقية منطقية عصره على آراء سيبويه وشيخه فيدل على صحة ما ذهب إليه في مسألة الألف في التثنية ليست حرف اعراب صحة الواو في (مذروان) ولو كانت حرف اعراب وليست من بناء الكلمة لقلبت الواو ياءً فيقال (مذريان) ؛ لأنَّ لامها كـ (لام) مغزى ، تكون طرفاً ؛ ولكنَّ بقاءها واواً دلالة على أنَّ الألف من الكلمة .

وقد كان ينتصر لسيبويه في مسألة حذف (كان) والتعويض منها بـ(ما) في ضوء قول الشاعر: (من البسيط)

أبا خراشة أمّا أنت ذانفر
فإنَّ قومي لم تأكلهم الضَّبْعُ
فانتصر له على أبي العباس المبرد ، الذي لا يرى وقوع الفعل بعد (أن) هذه ممتنعاً ، بل جائزاً عنده في القياس .

على الرغم من هذا الانتصار لمذهب الخليل وسيبويه ؛ لكنَّه يخالفهما أحياناً في عدد من المسائل ، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قد خالفهما في مسألة الحركات، فهي عند الخليل فيما نقله عنه سيبويه زوائد على الأحرف ، أمّا هو فقد عدَّهنَّ أحرفاً ؛ لكنَّ أصواتهنَّ أقلُّ من صوت الحرف ، فضلاً عن أنَّ الحركة تحدث مع الحرف مخالفاً رأيهما الذي ذهب إلى أنَّ الحركة تحدث بعد الحرف .

وخالفهما أيضاً في موضوع (الجر بالجوار أو حذف حرف الجر) وعليه فإنه اعرب (مزمّل) صفة إلى (بجاء) في قول الشاعر : (من الطويل)

* كبير أناس في بجاء مزمّل *

فيقدر الكلام (في بجاء مزمّل فيه) فيحذف حرف الجر (في) ويرتفع الضمير ؛ لأنه نائب فاعل لاسم المفعول (مزمّل) المستتر فيه ، ويكون (مزمّل) نعت سببي لـ(بجاء) ، في حين أنّ الخليل وسيبويه يعدان (مزمّل) صفة لـ(كبير) الذي هو المرفوع ؛ لأنه خبر (كأنّ) وصفة المرفوع مرفوعة ؛ ولكنّ يحدث إقواء في قافية البيت للقصيدة المكسورة اللام ، فجرّ (مزمّل) للمجاورة مع (بجاء) كما في قول العرب (هذا جُحْرُ ضُبٍ خَرِبٍ) فجر (خرِب) لمجاورة "ضُبٍ".

ويختلف معهما ويوافق يونس البصري في موضوع (التعليق) للفعل (ننزعنّ) في قوله تعالى: ((ثُمَّ لَنُنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا)). فيميل إلى رأي يونس في تعليق الفعل (ننزع) ؛ لأنّ فيه معنى التمييز والتفكر كما في الفعل (ذكرت) في قول الشاعر: (من الكامل) وذكرتُ أيّ فتى يسدُّ مكانه بالرّفد حين تقاصرُ الأرفاد لأنّ فيه نوعاً من التأمل والتفكر فجاز أن يُعلّق ؛ كما جاز عند يونس تعليق (ننزعنّ) ؛ لأنّ فيه معنى التمييز بالفكر والاستخلاص بالنفس . في حين لم يذهب الخليل وسيبويه كما ذهب يونس ؛ فخالفهما أبو علي .

وانتصر لأبي الحسن الأخفش الأوسط في موضوع (إيّاك) من أنّ (إيّا) ضمير والكاف للخطاب ؛ فخالف في هذا الخليل وسيبويه ؛ لأنّ الخليل يرى فيما ينقل عنه سيبويه أنّ (إيّا) اسم مظهر نكرة مضاف الى الكاف ؛ في حين يرى أبو علي فيما نقله عنه تلميذه ابن جنّي أنّ (إيّا) مضمّر ، ولا يجوز اضافة مضمّر الى مضمّر ؛ لأنّ الكاف ضمير ، فضلاً عن أنّ الاضافة تكون اضافة نكرة الى معرفة لا اضافة معرفة الى معرفة ، والضمير معرفة فلا حاجة للاضافة .

ووافق أبا عبيدة وخالف سيبويه فيما نقل عن العرب في الوقف على المنصوب المنون ، فذهب الى جوازه نحو : (ضربَ فرج) واستشهد بقول الأعشى : (من المتقارب) وإلى المرءِ قيسٍ أطيلُ السُرى وأخذ من كلّ حيٍّ عَصْمٌ أما سيبويه فقد جوزّه في حالتي الرفع والجر ولم يجوزّه في حالة النصب ؛ لأنّه منون وربّما يلحقه ما يبيّن حركته.

ولم تقتصر المخالفة على سيبويه وإنما خالف الكسائي والأخفش والزجاج في موضوع دخول اللام المفتوحة على (من) الموصولة في قوله تعالى : ((يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ)) ، فالكسائي والزجاج يذهبان الى أنّ اللام في غير موضعها والتقدير : (يَدْعُو مَنْ لَضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ) ، في حين أنّ أبا علي أنكره عليهما هذا وذهب إلى فساده ؛ بدليل أنّ التقدير على رأيهما (من) صلة (من) ومحال أن تتقدم الصلة أو شيء منها على الموصول .

وبعيداً عن الخلافات النحوية والصرفية ، أقول : إنَّ أغلب المسائل التي عرضها وقال بها أبو علي قد ذكرها الذين سبقوه وقالوا بها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر أنَّ نظرية الإلهام في اللغة التي قال بها وجعلها من النظريات المهمة في نشوء اللغة أو هي التي عليها المعول واستند فيها على قوله تعالى : ((وعلم آدم الأسماء كلها)) ، قد ذهب إليها غيره ممن سبقوه نحو : الخليل وسيبويه والفرّاء وابن فارس .

ولم يقتصر نقله عن الخليل وسيبويه والمبرد وشيخه ابن السراج ، بل تعداهم في النقل عن أبي زيد ، فقد أخذ كثيراً من المسائل اللغوية والنحوية والصرفية قراءة في كتبه ولا سيما كتاب النوادر في اللغة ، ونقل أيضاً عن ابن السكيت ولاسيما من كتابه اصلاح المنطق .

فضلاً عن هذا فقد اجتهد في بعض المسائل والموضوعات اللغوية ولا سيما موضوع التصحيف والتحريف ، فلديه استدلال رائع في تصحيف كلمة (تخصي حمارها) وجعلها في النسخ والكتابة (تخطي حمارها) .

وله باع طويل في دراسة المعجم اللغوي ، فقد اجتهد في معنى كلمة الساهر أو الساهرة ، وعدّها بمعنى (وجه الأرض) ، فسهر فلان أي نبا جنبه عن الساهرة وهي وجه الأرض .

وحاول في ضوء القراءات القرآنية أن يجعل من الظرف مصدرًا كما في قوله تعالى : ((لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)) (الانعام/ ٩٤) في الرفع من (بينكم) فتكون فاعلاً للفعل (تقطع) ؛ لأنّه يعدّها مصدرًا من الفعل (بان يبين يبنًا) ثم استعملت ظرفًا على التوسع في اللغة .

ولم يقتصر البحث على ما أخذه وما رواه أبو علي من شيوخه مشافهة ورواية بل اشتمل على ما أخذه ابن جني من شيخه ومارواه من مسائله اللغوية ، فقد كان يوافقها في أغلبها ، ولكنه يخالفه في بعضها ويناصر غيره ، فخالفه في مسألة (فَعَة وَفَعَة) مثال (ضِعَة وَضِعَة) ووافق سيبويه الذي خالفه أبو علي في تلك المسألة .

إنَّ ما سجلناه من مناقشات علمية وأدلة وحجج قال بها أبو علي في ضوء ما رواه عن شيوخه ، دلالة على أنه يُعد من كبار محققي اللغة ومن علمائها الذين أدلوا بدلوهم في بحور اللغة ومضامينها ، وعلى الرغم من هذا كانت لديه سعة في الحوار العلمي والصبر في الحوار الذي بُني على اسس موضوعية في الأخذ والرد بين الشيخ وتلميذه للوصول الى نتائج مرضية تحقق الهدف المنشود من ذلك الحوار القائم على الشفافية في العطاء العلمي الذي ربّما أثرت عليه أفكار عصرهما ، عصر التعليقات والبراهين فجعل الخلاف بينهما وبين شيوخهما مبنياً على اطروحات علمية تحليلية لا شخصية عاطفية ، فالتفرد في بعض المسائل اللغوية والنحوية جاء نتيجة للاستدراكات والتفريعات التي أفاضتها العقلية العلمية في ذلك العصر .

أما موقفهما من مصادر اللغة والنحو فقد كانا يميلان الى القياس والتعليل أكثر من السماع ، على الرغم من أنَّ أغلب اللغة أخذت سماعاً عن الأعراب ، ثم نقلت عن طريق الشيوخ رواية ؛

لكنّ الدراية تأججت في عصرهما ، وأصبح البحث عن العلة اللغوية ديدن العلماء وهدفهم في تقعيد القواعد فضلاً عن استيعاب المادة العلمية ، فتراهما يعتمدان على القياس فضلاً عن الحجج والبراهين في اغلب المسائل اللغوية ولا سيما أبو علي الذي عدّ القياس أساساً من أسس فهم اللغة وتقعيدها وفضله على السماع ، فصرح ذات مرّة بقوله : ((أخطئ في خمسين مسألة في اللغة ولا أخطئ في واحدة من القياس))

أما في قضية الشاذّ فقد كانا يهتمان به لا من أجله كشاذّ حتى يقعان به المغالطة والمماثلة وانما من أجل العلم بالشيء من شتى جوانبه حتى يحصل المطلوب ويوفى المعلوم وتكون البيئة في مضمار العلم لإطلاع أهلها عليها ، فضلاً عن تسجيل النكته اللغوية تجاه القاعدة العلمية ، واستيعاب اللغة وكلام العرب ؛ لدراسته وتمييز الغث من السمين .
هذا غيض من فيض اقتصرنا عليه حتى لا يطول بنا المقام وتملنا الأنام وتكدر النفوس في شدة الزحام.

في ضوء هذا يفهم أنّ أبا علي أخذ عن سابقه وتابعهم وخالفهم واطاف ما أضاف من اجتهاده وبنات أفكاره ، وقد أوجزت القول في بعض المسائل المهمة ؛ ولكن البحث فيه المسائل الكثيرة والردود المعتمدة والمناقشات العلمية والحجج الباهرة دلالة على عمق وسعة أفق العالم النحرير أبي علي في لغة القرآن الكريم لغة العليم الحكيم ولغة أهل جنته ، رزقنا وإياكم جنة المختار محمد وآله الأطهار واصحابه الأخيار إنّه الوهاب الرزاق ذو الجلال والاکرام .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- آنتلاف النُصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ، عبد اللطيف بن أبي الشَّرْجي الزبيدي (ت ٨٠٢هـ) ، تحقيق د. طارق الجنابي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- الابدال ، تأليف أبي يوسف يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، تحقيق حسين محمد محمد شرف ، مراجعة الاستاذ علي النجدي ناصف ، القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ابن جنّي عالم العربية ، د. حسام سعيد النعيمي ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ .
- ابن جنّي النحوي ، تأليف د. فاضل صالح السامرائي ، دار النذير للطباعة والنشر ، بغداد ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- أبنية الصّرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة بغداد ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٩٦٥ - ١٣٨٥ .
- أبو علي الفارسي ، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، مكتبة نهضة مصر الفجالة القاهرة ، مصر ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
- أبو علي النّحوي صرّفياً ، رسالة دكتوراه ، تقدمت بها بتول عباس نسيم الوائلي الى مجلس كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد ، مطبوعة على آلة الحاسوب بغداد ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ .
- أبو علي النّحوي وجهوده في الدراسات اللّغوية والصوتية ، تأليف د. علي جابر المنصوري ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، طبع بمطبعة الجامعة ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
- الأتقان في علوم القرآن ، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣م .
- أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ، تأليف د. محمد سمير نجيب اللّبي دار الكتب الثقافية ، الكويت - حولي ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الرابعة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

- إرتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق مصطفى أحمد النّمس ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م مطبعة المدني القاهرة ، مصر .
- أسرار العربية ، تأليف أبي البركات الأنباري (٥٧٧هـ) تحقيق محمد بهجة البيطار مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) تحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد - العراق ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- اشتقاق اسماء الله ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ، (ت ٣٤٠هـ) تحقيق د. عبد الحسين المبارك ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- إصلاح المنطق لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م .
- الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- الأضداد ، تأليف محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبع في مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٠م .
- إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النّحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق د. زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني - بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م .
- إعراب القرآن المنسوب الى الزجاج أبي اسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ) تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- الإعلال في كتاب سيبويه في هدى الدراسات الصوتية الحديثة ، رسالة ماجستير تقدم بها عبد الحق أحمد إلى كلية الآداب - جامعة بغداد ، مطبوعة على الآلة الكاتبة ١٩٨٣م .
- اعلام في النحو العربي ، د. مهدي المخزومي ، الموسوعة الصغيرة (٦٠) منشورات دار الجاحظ ، ودار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٩٨٠م .
- الإقتراح في علم أصول النحو ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) قدم له د. احمد سليم الحمصي ، د. محمد أحمد قاسم ، جروس بوس الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
- الإقناع في القراءات السبع ، تأليف أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن البانّش (ت ٥٤٠هـ) ، حققه وقدم له د. عبد المجيد قطامش دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

- الأُمالي ، تأليف أبي علي اسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦هـ) ، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، مراجعة لجنة احياء التراث العربي.
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن ، تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ) تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين ، والكوفيين ، تأليف كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر ، بلا تاريخ.
- إيضاح الوقف والابتداء ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) تحقيق محيي الدين رمضان ، المطبعة التعاونية بدمشق ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) مكتبة الرياض الحديثة الرياض - بلا تاريخ.
- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي / القاهرة ، الطبعة الخامسة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٠م) ، مطبعة المدني.
- تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق عبد الستار احمد فرّاج وآخرين ، الكويت ، بلا تاريخ.
- تاريخ اللغات السامية ، تأليف أ.ولفنسون (أيونويب) ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
- التبيان في تفسير القرآن ، تأليف أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي (١٤٠٩هـ) - (١٩٨٩م).
- التحديد في الاتقان والتجويد ، تأليف أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت ٤٤٤هـ) تحقيق د.غانم فدّوري الحمد ، الطبعة الاولى /بغداد ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب ، صنعه أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) تحقيق د.زهير عبد المحسن سلطان ، دار الشؤون الثقافية /بغداد/ الطبعة الاولى/ ١٩٩٢.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ، تحقيق محمد كمل بركات ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م/ القاهرة.
- تصحيح الفصح ، لابي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه (٣٤٧هـ) ، تحقيق عبدالله الجبوري ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- التصريف الملوكي ، لابي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) عني بتصحيحه محمد سعيد بن مصطفى النعسان ، علق عليه احمد الحاني ومحيي الدين الجراح .
- التطور اللغوي التاريخي ، د. ابراهيم السامرائي ، بيروت / دار الاندلس للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤٠١-١٩٨١م.
- التعريفات ، لابي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت ٨١٦هـ) دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- تفسير ارجوزة ابي نواس في تقرير الفضل بن الربيع ، صنعه أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد بهجة الاثري ، المطبعة الهاشمية بدمشق ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- التفسير الكبير للامام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) مكتب الاعلام الاسلامي الطبعة الثالثة ، طهران ايران ، ١٤١١هـ .
- التقفية في اللغة ، لابي بشر اليمان البندنجي (ت ٢٨٤هـ) حققه د. خليل ابراهيم العطية / مطبعة العاني - بغداد / ١٩٧٦ .
- التكملة ، لأبي علي الفارسي ت (٣٧٧هـ) تحقيق ودراسة ، د. كاظم بحر المرجان ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- التمام في تفسير اشعار هذيل مما اغفله أبو سعيد السكري لأبي الفتح عثمان بن جني المتوفي (٣٩٢هـ) حققه وقدم له أحمد ناجي القيسي وخديجة عبد الرزاق الحديثي وأحمد مطلوب وراجعه مصطفى جواد ، ساعدت وزارة المعارف على نشره ، مطبعة العاني / بغداد ، الطبعة الاولى ١٩٦٢م.
- التنبيه على حدوث التصحيح ، تأليف حمزة بن حسن الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مكتبة النهضة - بغداد / الطبعة الاولى ، مطبعة المعارف ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- التنبيه على شرح مشكلات الحماسة لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) دراسة وتحقيق عبد المحسن خلوصي الناصري ، رسالة ماجستير / كلية الاداب جامعة بغداد / ايلول ١٩٧٤ ، مطبوعة على الآلة الكاتبة .
- تهذيب اصلاح المنطق ، لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) تحقيق د. فوزي عبد العزيز مسعود ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨٦ .
- ثلاثة كتب في الاضداد للأصمعي والسجستاني ولابن السكيت ويليهما ذيل في الاضداد للصفاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦هـ) راجعه لجنة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- جمهرة اللغة ، لابن دريد الازدي (ت ٣٢١هـ) طبع حيدر آباد الدكن الطبعة الاولى ١٣٤٥هـ .
- الحجة في القراءات السبع ، للامام ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم ، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م دار الشروق بيروت ، لبنان - القاهرة - مصر .
- حجة القراءات ، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ألف كتابه (حجة القراءات) قبل سنة (٤٠٣هـ) تحقيق سعيد الافغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- الحجة للقراء السبعة ، ائمة الامصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم ابو بكر بن مجاهد ، تأليف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ت (٣٧٧هـ) تحقيق كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية تأليف د. محمد ضاري حمادي ، مؤسسة المطبوعات العربية ، الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، بيروت - لبنان ، طبع بمناسبة الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري .
- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- الخصائص ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) حققه محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، بلا .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- دراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ١٣٧٦هـ - ١٩٧٦م .
- الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث ، د. محمد حسين آل ياسين منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، الدكتور حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد - العراق ١٩٨٠م . وزارة الثقافة والاعلام العراقية .
- دقائق التصريف ، للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب من علماء (القرن الرابع الهجري) تحقيق د. أحمد ناجي القيسي ود. حاتم صالح الضامن ود. حسين تورال ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت/١٩٧٤م.
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤ .
- ديوان جرير ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ.
- ديوان الحطيئة ، برواية وشرح ابن السكيت ، (٢٤٤هـ) تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني ، الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ديوان العباس بن مرداس ، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري ، دار الجمهورية ، بغداد ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، (٣٩٥هـ) عن نسخه :الشيخ محمد عبيده والشيخ محمد محمود الشنقيطي مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني الجزء الاول، مكتبة القدسي، بلا تاريخ.
- ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
- رواية اللغة ،د. عبد الحميد الشلقاني ،دار المعارف بمصر /١٩٧١ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأتباري (ت ٣٢٨هـ) تحقيق د.حاتم صالح الضامن ،دار الرشيد للنشر ، بغداد/العراق ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- السبعة في القراءات ،لابن مجاهد ، (٣٢٤هـ) تحقيق :د.شوقي ضيف ، الطبعة الثانية،دار المعارف بمصر ١٩٨٠م.
- سر صناعة الإعراب ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) دراسة وتحقيق د.حسن هنداوي ،دار القلم ، دمشق ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- سر صناعة الاعراب ، صنعه الشيخ أبي الفتح عثمان بن جني النَّحْوِيَّ رحمه الله . بتحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، محمد الزفزاف ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، الطبعة الاولى ١٩٥٤م-١٣٧٤ هـ .
- شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ)ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، الطبعة السادسة ١٩٧٤م-١٣٩٤هـ.
- شرح أبيات سيبويه ، تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ)تحقيق زهير غازي زاهد ، مطبعة الغري الحديثة ،نجف، الطبعة الاولى-١٩٧٤ .
- شرح جُمَل الزَّجَاجِي ، لابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)،تحقيق د.صاحب أبو جناح ،دار الكتب للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

- شرح ديوان طرفة ،وعلقمة وعترة ،تحقيق وشرح نخبة من الأدباء ، دار الفكر للجميع ،بيروت ١٩٦٨ .
- شرح اللمع ، صنّفه ابن برهان العكبريُّ أبو القاسم عبد الواحد بن عليّ الأسدي (ت ٤٥٦هـ) حققه د.فائز فارس ،الطبعة الاولى،الكويت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- شرح المفصل ،لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) عالم الكتب، بيروت ،بلا تاريخ.
- شرح الملوكي في التصريف ، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) تحقيق د.فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ،بجلب ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- شعر تأبط شراً ،دراسة وتحقيق سلمان داود القره غولي وجبار تعبان جاسم ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- الشعر والشعراء ،تأليف ابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) راجعه واعد فهارسه الشيخ محمد عبد المنعم العريان ، دار احياء العلوم /بيروت/لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- شفاء العليل في ايضاح التسهيل ،لأبي عبد الله محمد بن عيسى السلسيلي (ت ٧٧٠هـ)،دراسة وتحقيق د.الشريف عبد الله علي الحسيني البركاتي ، المكتبة الفيصلية ،مكة المكرمة /الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ،تأليف جمال الدين بن مالك الاندلسي (ت ٦٧٢هـ) ،تحقيق د.طه محسن ، طبع دار افاق عربية للصحافة والنشر/١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الشواهد والاستشهاد في النحو ، د.عبد الجبار علوان النايلة /مطبعة الزهراء /بغداد، الطبعة الاولى /١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،لاحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) حققه مصطفى الشويمي ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر/بيروت-لبنان ١٩٦٣م-١٣٨٢هـ.
- الصّاح تاج اللغة وصحاح العربية ،تأليف اسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت في حدود ٤٠٠هـ)،تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الصرف ، تأليف د. حاتم صالح الضامن ، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر الموصل/١٩٩١م.
- ضرائر الشعر ،لابن عصفور الاشبيلي ،(ت ٦٦٩هـ) تحقيق السيد ابراهيم محمد ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ١٩٨٠م.

- طبقات فحول الشعراء ، تأليف محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) ، قرأه وشرحه أبو فهد محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م . القاهرة .
- الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، تأليف يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني ت (٧٤٩هـ) سنة تأليف الكتاب ٧٢٨هـ . اشرفت على مراجعته وضبطه جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- علل التنثية ، لابن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : عبد القادر المهيري ، نشر في حوليات الجامعة التونسية العدد الثاني ١٩٦٥م .
- علل النحو لابن الوراق أبي الحسن محمد بن عبد الله (ت ٣٨١هـ) تحقيق ودراسة د. محمود جاسم درويش ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٢م .
- علم اللغة العام ، الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة ١٩٧٥م .
- العين ، لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية - دار الرشيد للطباعة ودار الحرية للطباعة - بغداد (١٩٨٠م - ١٩٨٥م / ١٤٠٠هـ - ١٤٠٥هـ) .
- فاتحة الاعراب في اعراب الفاتحة لتاج الدين الاسفراييني (ت ٦٨٤هـ) تحقيق د. عفيف عبد الرحمن ، منشورات جامعة اليرموك ، سلسلة الاداب واللغويات (٢) ١٤٠٠ - ١٩٨١م .
- الفسر ، أو شرح ابن جني لديوان المتنبي ت (٣٥٤هـ) ، تحقيق د. صفاء خلوصي طبع دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد (١٩٨٨م - ٢٠٠٢م) الطبعة الاولى .
- فقه اللغة العربية وخصائصها ، تأليف د. اميل بديع يعقوب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٨٢م .
- فقه اللغة واسرار العربية ، تأليف الامام أبي منصور عبد الملك بن محمد اسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بلا تاريخ .
- فقه اللغة وخصائص العربية ، تأليف محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٠م .
- الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ، تأليف جرجي زيدان ، مراجعة وتعليق د. مراد كامل ، دار الهلال ١٩٦٩م القاهرة .
- في اللهجات العربية ، د. ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٧٣م .

- قطر الندى وبل الصدى / تصنيف ابي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الاصباري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر/الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٦٣ .
- الكتاب ، كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) ، ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، تأليف ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان . بلا تاريخ .
- لسان العرب ، لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) دار لسان العرب ، بيروت
- اللغة والنحو بين القديم والحديث ، تأليف عباس حسن ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٧١م .
- نمع الادلة في أصول النحو ، لأبي البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأتباري (ت ٥٧٧هـ) تحقيق سعيد الأفغاني دار الفكر - بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧١م .
- ليس في كلام العرب لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق ، د. محمد أبو الفتوح شريف ، مكتبة الشباب ، مصر ، القاهرة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ما يحتمل الشعر من الضرورة ، تأليف أبي سعيد بن عبد الله السيرافي (ت ٣٦٨هـ) تحقيق وتعليق ، د. عوض بن حمد القوزي ، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض ، الطبعة الاولى ١٤٠٩ - ١٩٨٩م .
- ما ينصرف ولا ينصرف ، أبو اسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق هدى محمود قراة ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة ، صنعه ابن جني ، مطبعة الترقى ، الطبعة الاولى ١٣٤٨هـ ، دمشق ، دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الثانية ١٩٨٣م .
- مجاز القرآن ، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) عارضة بأصوله وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين ، الناشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م .
- مجالس ثعلب ، لأبي العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ) شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٠م والثالثة ١٩٦٩م .

- مجالس العلماء ، لأبي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر دار الرفاعي بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق علي النجدي ناصف ، د. عبد الحلیم النجار ، د. عبد الفتاح اسماعيل الشلبي، دار سزكين للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- مختصر شرح القلادة السمطية في توشیح الدريدية ، تصنيف الامام اللغوي رضي الدين الحسن بن محمد الصاغاني (ت ٦٥٠هـ) ، حققه د. سامي مكي العاني وهلال ناجي ، مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٧م .
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) عنى بنشره ج. برجشتراسر، دار الهجرة ، تاريخ مقدمه اثر جفري ١٩٣٤م .
- المخصص ، تأليف أبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) قدم له د. خليل ابراهيم جفال ، دار احياء التراث العربي ببيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- المدارس النحوية ، تأليف د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٦م .
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، تأليف د. مهدي المخزومي مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
- المذكر والمؤنث ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق د. طارق نجم عبدالله ، دار البيان /جده/ الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي عبدالواحد بن علي الحلبي (ت ٣٥١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، تاريخ مقدمة الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- المزهري في علوم اللغة وانواعها ، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تصحيح محمد احمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر ، بيروت ، بلا تاريخ .
- المسائل الشيرازيات ، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق ودراسة د. علي جابر المنصوري ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ١٩٧٦م .
- المسائل العسكرية في النحو العربي ، لأبي علي الفارسي النحوي (ت ٣٧٧هـ) دراسة وتحقيق د. علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة ، بغداد الطبعة الثانية ١٩٨٢م .

- المسائل المشكّلة المعروفة بالبغداديات ، لأبي علي الفارسي النحوي (ت ٣٧٧هـ) دراسة وتحقيق صلاح الدين عبدالله السنكاوي، احياء التراث الاسلامي ، مطبعة العالي ، بغداد ، ١٩٨٣م .
- معاني القراءات ، تصنيف الشيخ أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) حققه الشيخ أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- معاني القرآن ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) عالم الكتب بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- معاني القرآن ، صنعه الأخفش الأوسط الإمام أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري (ت ٢١٥هـ) حققه د. فائز فارس ، دار الأمل الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر والورق المحدودة ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- معاني القرآن وأعرابه للزجاج أبي اسحق ابراهيم بن السري (ت ٣١١هـ) شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، خرّج أحاديثه علي جمال الدين محمد ، دار الحديث القاهرة ، الشركة الدولية للطباعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، مطبعة التعليم العالي في الموصل ، ومطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، ساعدت جامعة بغداد علي نشره ، بيت الحكمة ١٩٨٩م و ١٩٩١م .
- معجم الشعراء للإمام أبي عبيد محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤هـ) تصحيح د. ف. كرنكو ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تأليف عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) حققه مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، بلا تاريخ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث خلف جامع الأزهر ، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب ، لجمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، راجعه سعيد الافغاني ، دار الفكر .
- المقتصد في شرح الايضاح ، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق د. كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م . المطبعة الوطنية ، عمان .
- المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب - بيروت ، بلا تاريخ .

- الممتع في التصريف ،لابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ) تحقيق د.فخر الدين قباوه منشورات دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- من أسرار اللغة ،تأليف د.ابراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الخامسة ١٩٧٥م.
- المنصف ، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي (ت ٣٩٢هـ) لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري (ت ٢٤٧هـ) تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،الطبعة الأولى ،١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
- المنقوص والممدود ،للفرّاء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي دار المعارف بمصر ،الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية ،د.عبد الصبور شاهين ،مؤسسة الرسالة بيروت ،لبنان ،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- نزهة الألباء في طبقات الادباء ،لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الاتباري (ت ٥٧٧هـ) قام بتحقيقه د.ابراهيم السامرائي ،مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٩م.
- نظريات في اللغة ،تأليف أنيس فريحة ،دار الكتاب اللبناني -بيروت الطبعة الاولى ١٩٧٣م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه ،لابي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ،منشورات معهد المخطوطات العربية ،الكويت ،الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر ،للإمام مجد الدين ابي السعادات المبارك الجزري ابن الاثير (ت ٦٠٦هـ)،تحقيق طاهر احمد الزاوي ،محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ،بيروت ،تاريخ مقدمة المحققين ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
- النوادر في اللغة ،لابي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت ٢١٥هـ)دار الكتاب العربي ،بيروت -لبنان ،الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- الهمز لابي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥هـ) المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ١٩١٠م.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العربية ،تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني ،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت - لبنان ،بلا تاريخ .

- الوجيز في فقه اللغة ،محمد الأنطاكي ،منشورات مكتبة دار الشرق بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ،تاريخ مقدمة المؤلف ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، اعد فهارسها رياض عبد الله عبد الهادي ، دار احياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م ، بيروت ، لبنان .
- يونس البصري حياته وآثاره ومذاهبه ،تأليف د.أحمد مكي الأنصاري مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم ،١٣٩٣هـ -١٩٧٣م .

Title : Abou Ali Al-Farsi in Ibn Jenni's classification

Abou Ali-Hassan Ibn Ahmed Ibn Abdul Khafar sulaiman Ibn Abban was born in (288 H) & died in (377 H). He spent his time in reading and writing various books .

He was taught by many scientists directly . He taught many students and then they became great men (sheikh) and they wrote his linguistic ideas in books which became famous in that time .

One of these scientists who was the great faithful student Abou Ali faith Authman ibn jenni the linguist died in (392H) He wrote his teacher's science Abi Ali most of his books were Al-Khasais and ser sinaat Al-earab ,Al-munsif, Al-tam-am,Shrh irgoza abi noa's , He depended on it during the writing his thesis and his scientific explanations .

He was considered his faithful son and student who kept his teacher's science .

His books were every where. Abou Al-fatih was considered saibaweih his age when he kept his teacher's science, Al-Khlil ibn Ahmed Al-farahidi died in (175H). In his book Al Kitab .As well as Abou faiteh kept his teacher science in his classifications.

Now I am going to write about this teacher's science (sheikh) on the light of ibn jenni's books and his classifications and his thesis , so I wrote all his copies from his teachers then I returned to the sources which before him,then I stopped myself on all the varieties, when I discussed about Ali's ideas. I returned to Al-Khlil and saibaweih, Al-mobred, Ibn Al-saraj, Al-zajaj and other scientists when I did this I give the fact about the ability of this scientist . I want to express about my plan in studying my research about his classification . I divide my research to preface and four parts .

In my preface I write about the relation between the sheik and his student in addition about the genuine grammar and language .

In the first part, I write about the phonetic subject of Abou Ali with his opinions about (omission, inversion, juncture.

In the second part about the grammar as nouns, verbs and infinitives .

In the third part includes studying grammatical researches and analysis .

In the fourth part about studying linguistic researches of Abou Ali as well as about derivation. Also about studying language such as subject and object.

Finally I write the results of my research.

Raheem Juma'a Ali Al-khazraji